



ناتج الفكر المسيحي

يسوع المسيح عبر الأجيال

المجلد الأول

» من يقول الناس اني انا ابن الانسان «

الدكتور إفس حنا جرجس النخري



صدر عن دار الثقافة ص . ب ١٣٠٤ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة
نشر أو طبع بالرونيزو للكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر
وحده حق إعادة الطبع) ٣٣٠/١٠ ط ١ / ٨١ (١) ٥ - ٥ الترقيم الدولى :
٧ - ٤٢ - ٧٣١١ - ٩٩٧ رقم الايداع بدار الكتب : ٢٨٠٧ / ١٩٨١ .
طبع بمطبعة : دار الطباعة القومية بالنجالة

أهداء

إذ أوجد وأحيا وأتحرّك الآن ، والفضل في ذلك يرجع
إلى الرب يسوع المسيح الذي وهب لي الحياة من جديد فأنا مدين له
بها .

كما أننى مدين أيضا بهذه الحياة لأخى المحبوب فرح جرجس
الذى أعطى جزءا من حياته لأحيائى ولحياتى غير حاسب لاخطر حسابا،
فأهدى له هذا الكتاب .

كما انى أهديه أيضا إلى زوجتى المحبوبة هونبك جرجس
التي بحبها وبسهرها وتعبها وعنايتها ومساعداتها لى فى العمل وفى
الخدمة ، استطعت أن أكتب هذا الكتاب .

« المؤلف »

محتويات المجلد الأول

الجزء الأول

صفحة

المسيا في العهد القديم

٢٣

الفصل الأول : المسيا في الأنبياء ٢٥

— المسيا كما فهمه وتكلم عنه أنبياء العهد القديم ٢٩

الفصل الثاني : تطور فكرة المسيا عند اليهود ٣٩

الفصل الثالث : المكابيون والأحلام المسيانية ٦٣

— يهوذا المكابي ٧٢

— يوناثان المكابي ٧٩

— سمعان بن ماتاثياس ٨٤

صفحة

- يوحنا هركانوس أو هركان وعائلة الأسمونيين ٩١
- الملك أرسطو بولس الأول ٩٥
- الملك ألكسندر جونه ٩٥
- الملكة ألكسندرا سالومة ٩٧
- هيودس الملك ١٠١
- الفصل الرابع : انحركات الثورية الشمالية ١١٠
- الفصل الخامس : المعتقدات المسيانية قبيل الميلاد ١٢٧
- قائمة ببعض المراجع ١٣٥

الجزء الثانى

صفحة

ميلاد المسيح وحياة وموته وقيامته

١٣٧

١٣٩

الفصل الأول : ولادة المسيح

— الأدلة الكتابية التى تتكلم عن وجود يسوع ١٤٤

— الأدلة التاريخية التى تتكلم عن وجود يسوع ١٤٦

١٤٨

أ — التلمود

ب — شهادة يوسيفوس فلافيوس المؤرخ

١٤٨

اليهودى

١٥٣

ج — المصادر الوثنية

١٥٧

د — حركة النقد التاريخى

١٥٩

— مشكلة حياة يسوع فى القرن العشرين

١٦٤

— متى وأين ولد يسوع

٧

صفحة

الفصل الثانى : الميلاد العذراوى ١٦٩

— الأسباب التى من أجلها رفض البعض الميلاد

العذراوى ١٧١

أ — صعوبات علمية ١٧٢

ب — صعوبات كتابية ١٧٢

ج — مشكلة شجرة النسب ١٧٣

د — صعوبة لغوية ١٧٤

— الرد على الاعتراضات الخاصة بالميلاد

المعجزى ومفهوم كارل بارت للميلاد ١٧٥

الفصل الثالث : طفولة يسوع وشبابه ١٩٩

الفصل الرابع : يسوع ومعاصروه ٢١٠

الفصل الخامس : يسوع والغيورون ٢٣٢

الفصل السادس : موقف يسوع من الغيورين ٢٤٠

الفصل السابع : مفهوم التلاميذ عن يسوع ٢٦٨

الفصل الثامن : مفهوم يسوع عن نفسه ٢٧٨

— العصريون المتطرفون ٢٨٠

— الوسطيون ٢٨٢

— المحافظون ٢٨٣

— بعض المراجع الخاصة بمسيانية يسوع ٣١٠

الفصل التاسع : الفصح والعشاء الربانى ٣١١

صفحة

- ٣١٤ — كيف كان يعيد بعيد انفصح
- ٣٢٢ — العشاء الربانى
- ٣٢٥ — الأفخارستيا أو العشاء الربانى
- ٣٢٦ — مفهوم الكنيسة الكاثوليكية
- ٣٢٧ — مفهوم لوثر للعشاء الربانى
- ٣٢٩ — مفهوم كلفن للعشاء الربانى
- ٣٣٥ — مفهوم زوينكلى للعشاء الربانى
- ٣٣٨ — الفصل العاشر : موت المسيح وقيامته
- ٣٥٥ — هل قيامة المسيح حقيقة أم أسطورة
- ٣٦٢ — ونزل إلى الجحيم

الجزء الثالث

صفحة

عقيدة الكنيسة

والسرطات في القرنين الاول والثاني

٣٧٥

٣٧٧

الفصل الاول : إيمان الرسل

— عقيدة الرسل والكنيسة الاولى في يسوع

٣٨٥

المسيح

٣٨٤

— المسيح في رسائل بولس الرسول

٣٩١

— المسيح في مفهوم يوحنا

٣٩٦

— الغنوسية

٣٩٩

— تعاليم سرغت

٤٠٧

الفصل الثاني : كنيسة القرنين الاول والثاني

— ماذا رأى معلمو القرنين الاول والثاني

٤١٢

في المسيح

٤١٥

— أغناطيوس الأنطاكي

٤١٧

— تعاليم أغناطيوس الكريستولوجية

صفحة

٤٢٠	الفصل الثالث : أكليمنديس الروماني
٤٢٦	الفصل الرابع : بوليكاربوس
٤٣١	الفصل الخامس : إيريناوس
٤٤٤	الفصل السادس : يوستينوس الشهيد
٤٥٤	الفصل السابع : تاتيانوس
٤٥٨	— بعض المراجع للدراسة
٤٥٩	الفصل الثامن : اثيناغورس وثيوفيلوس
٤٦٥	الفصل التاسع : ميلتون الساردسي

الجزء الرابع

صفحة

آباء الكنيسة والهرطقة في القرن الثالث

٤٧١

٤٧٣ الفصل الأول : !!خنوسية والماركيونية

— قائمة ببعض المراجع لدراسة ماركيون
وتعاليمه

٤٨٩

٤٩٠ الفصل الثاني : البنيون

٥٠٠ الفصل الثالث : اكليمندس الاسكندري

٥١٣ — قائمة ببعض المراجع

٥١٤ الفصل الرابع : ترتليانوس

٥٣٥ — قائمة ببعض المراجع

٥٣٦ الفصل الخامس : كبريانوس

٥٣٩ الفصل السادس : أوريجانوس

— قائمة ببعض المراجع لدراسة تعاليمه وحياة

٥٦٣ أوريجانوس

صفحة

٥٦٤	الفصل السابع : هيوليتوس
٥٦٤	— تمهيد : ما هي عقيدة الغربيين
٥٦٦	— هيوليتوس — حياته
٥٧٢	— هيوليتوس — تعاليمه
٥٧٩	— قائمة ببعض المراجع
٥٨٠	الفصل الثامن : نوقاتيانوس
٥٨٥	— قائمة ببعض المراجع
٥٨٦	الفصل التاسع : ديونيسيوس الاسكندري
٥٩١	— قائمة ببعض المراجع
٥٩٢	الفصل العاشر : الانتحالية
٦٠٠	— قائمة ببعض المراجع
٦٠١	الفصل الحادى عشر : الأسقف بولس السميساطى
٦٠٩	— قائمة ببعض المراجع
	الفصل الثانى عشر : لوقيانوس وتأسيس مدرسة أنطاكية
٦١٠	اللاهوتية
٦١١	— حياته
٦١٢	— تعاليمه
٦١٦	— قائمة ببعض المراجع
٦١٧	الفصل الثالث عشر : أريوس
٦١٨	— حياته وتعاليمه
٦٢٦	— مجمع نيقية

صفحة

٦٤١	— قائمة ببعض المراجع
٦٤٢	الفصل الرابع عشر : القديس أثناسيوس
٦٤٦	— مجمع صور
٦٤٩	— انتصار آيريوس وموته
٦٥٤	— مجمع سارديكا
٦٦٤	— مجمع القسطنطينية
٦٦٧	الفصل الخامس عشر : الأسقف أبولوناريوس
	— قائمة ببعض المراجع عن آريوس
٦٧٧	وأثناسيوس
٦٧٨	— قائمة ببعض المراجع عن مجمع نيقية

تمهيد:

ما هو الغرض من كتابة هذا الكتاب عن تاريخ الفكر المسيحي ؟ •

عندما يقوم كاتب بتأليف كتاب ، لابد أنه يكون مدفوعا بدوافع محددة لمعالجة بعض الأمور التي يحتاج مجتمع ما لمعالجتها • والذي دفعني لكتابة هذا الكتاب عن تاريخ الفكر المسيحي أو العقائد (Dogmas) هو ما كنت أشعر به وألمسه عندما كنت طالبا في المعهد الإكليريكي الكاثوليكي بالمعادي ، ثم طالبا ومدرسا بكلية اللاهوت الانجيلية بالعباسية ، (المعهدين اللذين أكن لهما كل تقدير ومحبة واحترام) ، من فقر المكتبة العربية في الكتب العقائدية ، وحتى القلة القليلة الموجودة حاليا من هذه الكتب العقلانية في اللغة العربية ، مترجم فقط عن لغات أجنبية •

وقد يلاحظ القارئ عند اطلاعه على هذا الكتاب ، أننا سنطيل الوقوف عند بعض النقاط التي لم يتكلم عنها الكتاب المقدس إلا بالإيجاز ، أو لم يتكلم عنها مطلقا والغرض الأساسي من ذلك، هو محاولة إيضاح بعض النقاط والمشاكل التي تخص تاريخ الفكر المسيحي عن شخص ربنا يسوع المسيح ولم يتكلم الكتاب عنها كثيرا أو لم يذكرها بقتاتا • ولكن الاكتشافات الحديثة ساعدتنا على فهمها •

فمثلا فسوف نوجز في الكلام عن الصدوقيين والفريسيين والكتبة والهيروديسين الخ .. لأن هذه الأحزاب والطوائف الدينية والسياسية كانت موجودة ومعتزفة بها من اليهود في أيام السيد ، ويسوع نفسه ذكرها كثيرا . أما عندما نتكلم عن بدء ظهور هذه الأحزاب والشيع الدينية في التاريخ اليهودي سنتكلم عنها باسهاب نسبي . لأن العهد القديم (إلا سفرى الميكابيين) لا يذكر شيئا عن نشأة هذه الأحزاب . مثل آخر : لقد تكلم المسيح عن الكتبة والفريسيين والصدوقيين ، بل وجه اليهم الويلات علانية أمام الجميع ، ولذلك سوف لا نتكلم عنهم كثيرا .

أما الغيورون ، فان المسيح والعهد الجديد لا يتكلمان عنهم إلا بالايجاز وفي أحيان كثيرة بكيفية غير مفهومة ، ولهذا السبب أيضا سوف نتكلم باسهاب عن أحزاب الغيورين ومشاكلهم وانتظاراتهم السياسية والمسيانية سنتبع أيضا نفس الطريقة عندما نتكلم عن جماعة قمران أو الأسينيين الذين لم يرد ذكرهم في العهد الجديد ولا بكلمة واحدة رغم أنهم كانوا شيعة دينية يهودية ظهرت في القرن الثانى ق . م . وظلت قائمة الى وقت سقوط أورشليم . فسنحاول إذن في هذا البحث إيضاح هذه النقاط ونقاط أخرى كثيرة لم يتكلم عنها العهد القديم ولا العهد الجديد مع أنها في غاية الأهمية بالنسبة للعهديين وخاصة فيما يتعلق بالتعاليم المسيانية والكرستولوجية * . ومع أن مجال تاريخ الفكر المسيحى أو العقائدى (Dogmas) يختلف كثيرا عن مجال الأدب والأخلاق المسيحية (Ethics) إلا أنه يجب أن يعالج هو أيضا (أى

(*) أى الاصطلاح كرسولوجى (CHRISTOLOGIE) يعنى التعاليم المختصة بشخص المسيح .

التخصص في مجال الفكر المسيحي (مواضيع خاصة
تعرض المجتمع والوسط الذي يعيش فيهما الانسان
العصرى المعاصر . وتوجد علاقة كبيرة وهامة بين الآداب
المسيحية وبين العقائد المسيحية . لأن كلا منهما
يعمل على تفسير وتوضيح فكرة ما أو عقيدة ما أو موقف
ما معين .

وأما الذى يميز بين هذين المجالين هو أن العالم
اللاهوتى المسيحى المتخصص فى الآداب المسيحية (Ethics)
يحاول فى نور الكتاب المقدس شرح بعض المشاكل
العقائدية العصرية التى يتعرض لها الانسان فى العصر
الحالى ، أى الذى يعيش فيه وفى البيئة التى تحيط به :
مثلا ما هو موقف الكنيسة من استعمال دبوب منع الحمل
أو الاجهاض أو ما رأيها فى الطلاق ؟ أو تعدد
الزوجات ؟ أو الخدمة العسكرية أو علاقة
الكنيسة بالدولة الخ وأما اللاهوتى
المتخصص فى تاريخ الفكر المسيحى أو العقائد
المسيحية ، فهو يحاول أيضا أن يشرح - فى نور الكتاب
المقدس - كيف وأين ومتى وادت عقيدة ما ، ثم يتتبع
تطورها فى التاريخ . وهذا هو موضوع بحثنا فى هذا
الكتاب .

وسنركز فى بحثنا هذا على شخص المسيا : « يسوع
المسيح » . وكما سبق القول فإن من يكتب فى تاريخ الفكر
المسيحى أو العقائد المسيحية ، يحاول أن يتتبع تاريخيا
كيف وأين ومتى ولدت عقيدة ما . وبما أن موضوع هذا
الكتاب هو شخص المسيا : يسوع المسيح ، فسنحاول إذن

(م ٢ - تاريخ الفكر المسيحى)

البحث عن أصل فكرة المسيا في العهد القديم ومتى وأين وكيف تطورت هذه الفكرة وما هو مفهوم العهد القديم للمسيا وسنتعرض أيضا للمفاهيم المسيانية المختلفة التي كانت منتشرة في هذه الحقبة من الزمن . على أننا لن نقف طويلا عند مفهوم العهد القديم والأنبياء للمسيا لأن كثيرين من الكتاب والمفسرين كتبوا مجلدات لا تحصى ولا تعد في هذا المجال . ولكننا سنحاول أن نتتبع تطور فكرة المسيا والمفهوم المسياني الذي كان يحلم به شعب إسرائيل على مر العصور ، وخاصة في الحقبات التي يتكلم عنها الكتاب المقدس بإيجاز ، ان كانت قد وردت أصلا ، كفترة ما بعد السبي والرجوع منه ثم عهد الميكابيين الى أن استولى الرومان على فلسطين في سنة ٦٣ ق . م . وبعد ذلك أصبح هيرودم الكبير حاكما على البلاد في سنة ٣٧ ق . م . فسنحاول إذن أن نتتبع تسلسل الحوادث من الناحية التاريخية ومن الناحية العقائدية لنفهم ما هي المفاهيم المسيانية التي كانت منتشرة ومعروفة في وسط الشعب اليهودي في كل حقبة من حقبات الزمن .

ثم ما هي الطوائف اليهودية التي ظهرت ومتى ظهرت :
وعندما نصل إلى العصر الأول الذي ولد فيه السيد سنتعرض أيضا لبحث المفاهيم المختلفة المتنوعة التي كانت منتشرة في بلاد اليهود بخصوص المسيا ومجيئه . وما هي أيضا الطوائف والأحزاب الدينية والسياسية التي ظهرت في ذلك العصر ، وما موقفها من المسيح وما هو موقف المسيح منها ؟ وبما أننا سوف لا نقف طويلا عند مفهوم العهد القديم للمسيا ، فسوف لا نقف طويلا أيضا عند مفهوم

الكتبة والفريسيين ولا عند مفهوم العهد الجديد للمسيا لأن هذه الطوائف (كتبة ، فريسيين ، هيروديسيين في العهد الجديد) معروفة لدينا وقد كتب عنها الكثير من الكتب لكننا سنسهب في حديثنا عن المفاهيم والأمانى المسيانية لبعض الطوائف الدينية التي لم يتحدث عنها كثيرا العهد الجديد مثل الغيورين والأسينيين ... الخ ... وما هو موقفهم من المسيا : يسوع المسيح وما هو موقف المسيح منهم ومنا . سنطرح على هذه الطوائف وعلى الطوائف الأخرى ذلك السؤال الذى سألته السيد تلاميذه في قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إني أنا ابن الانسان ؟ » (متى ١٦ : ١٧) هذا السؤال سيكون محور بحثنا ومركز تأملاتنا في هذا الكتاب ، فما هو جواب كنيسة القرون الأولى والثانى والثالث والرابع ؟ هل اتفق جواب هذه الأحزاب والطوائف والأجيال مع جواب بطرس : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » أم كانت لهم أجوبة مختلفة ؟ .

وفي دراستنا لمفهوم كنيسة القرون : الأولى والثانى والثالث والرابع لشخص المسيح سنتعرض للهرطقات التى ظهرت في هذه القرون التى هدت الكنيسة بأخطار جسيمة .

وفي دراستنا لتاريخ الفكر المسيحى وتطوره على مر العصور سنتعرض لبعض المسائل الشائكة مثل : هل كان الجبل بالمسيح وولادته بطريقة طبيعية أم بطريقة معجزية ؟ ثم هل قام فعلا من بين الأموات ؟ هل كان يعرف يسوع بأنه المسيا ؟ ما هو موقف المحافظين والعصريين من هذه المسائل ؟ .. وغير ذلك من هذه المسائل الضعيفة .

وهناك هدف آخر لهذا الكتاب وهو التركيز على أن فكرة

المسيح ولدت وتطورت في المفهوم اليهودي قبل الميلاد ،
ودراسة موقف وايمان الذين كانوا ينتظرون المسيح المخلص
في كل حقبة من حقبات التاريخ التي مرت بهم .

وعندما نصل إلى ما بعد الميلاد سيكون بحثنا مركزا على
القرون الأربعة الأولى وبالتحديد إلى مجمع القسطنطينية
الأول سنة ٣٨١ .

وسنتناول بالتحليل عقيدة وايمان الكنيسة في كل قرن
من هذه القرون الأربعة في شخص المسيح يسوع . ومما
لاشك فيه ، أنه ليس من السهل أن ندرس كل التعاليم
والهرطقات التي ظهرت في هذه القرون الأربعة لكثرتها
واقتران انتشارها ولذلك سنكتفي بالإشارة إلى بعض
المعلمين الذين حملوا المشعل بشجاعة وايمان لتوصيل
الرسالة التي تسلموها من سابقيهم . وكذلك إلى بعض
الهرطقات والتعاليم المضلة التي ظهرت في الكنيسة
وخارجها . وعندما نتعرض للفريقين سنحاول أن نعطي
نبذة تاريخية قصيرة عن كل واحد منهم ، حتى نستطيع أن
نعرف ، إلى جانب تعاليمه الكرسولوجية (CHRISTOLOGIE)
شيئا عن حياته وتاريخه وكتابات التي تركها لنا . والغرض
من هذه النبذة التاريخية عن بعض هؤلاء الأبطال هو :
أولا أن هؤلاء الآباء الذين قاموا بحمل المشعل ونشروا
انجيل الخلاص المحرر ، أمثال : أغناطيوس الأنطاكي
أكليمندس الروماني وبوليكرابوس ايريناوس ويوستينيوس
الشهيد وأكليمندوس الاسكندري وترتليانوس وأريجانوس
وأثناسيوس وأغسطينوس وآخرون هم ملك للكنيسة
العامة ، وليس لكنيسة دون أخرى كاثوليكية كانت أم
ارثوذكسية أو بروتستانتية أو تقفر بهم وحدها .

والكنيسة الانجيلية ترى في هؤلاء الآباء سحابة من الشهود
(عب ١٢ : ١) قدموا شهادة لامعة لشخص الرب يسوع ،
بالرغم من ضعفاتهم وسقطاتهم وأغلاطهم كبشر .

ثانيا : كما نود أيضا أن يكرس بعض الدارسين في الشرق
العربي جهدا ووقتا أطول في جمع تعاليم هؤلاء الآباء
وتقديمها للعالم العربي . لأن الدراسة الحالية ليست
شاملة لأنها تقتصر على جزء بسيط من تعاليم الآباء ،
فيما يخص موضوعنا أي ما هو إيمانهم وعقيدتهم في
شخص الرب يسوع المسيح .

ولهذا السبب سنعطى في نهاية بعض الفصول قائمة
ببعض المراجع الهامة لمساعدة الدارس على مواصلة البحث
في هذا الموضوع .

لقد قدم يسوع في الشهر الأول من حياته الى الهيكل ،
وقدمت أيضا عنه التقدمة الطقسية وهناك في الهيكل
يتقدم رجل شيخ ، يدعى سمعان . ويأخذ الطفل بين ذراعيه
ويقول مصليا : « الآن تطلق عبدك ياسيند حسب قولك
بسلام . لأن عيني قد أبصرتا خلاصك .. وباركهما سمعان
وقال لأنه ما أن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في
اسرائيل ولعلامة تقاوم .. » (لو ٢ : ٢٢ - ٣٥) .

إن هذه النبوة التي نطق بها سمعان الشيخ قد لازمت
المسيح في كل حياته وتحققت فيه حرفيا ، لا بل إن المسيح
بعد موته وقيامته أصبح علامة تقاوم على مر العصور .

وسنرى في دراستنا لتاريخ الفكر المسيحي ، كيف أن
شخص ربنا يسوع المسيح في خلال هذه القرون الأربعة

الأولى أصبح فعلا حجر عثرة .. وعلامة تقاوم .. لأنه في كل عصر وفي كل مكان كان يطرح نفس السؤال الذي طرحه في قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إنى أنا ابن الانسان » ؟ وللإجابة على هذا السؤال انقسم الناس الى كنائس وطوائف وشيع ، يعتقد كل منهم بأنه يملك الحق وكل الحق . وبدأ كل منهم يحارب ويهاجم الآخر . ولم يعلموا أنهم في صراعهم يمزقون الكنيسة الحقيقية التي هي جسده والتي من أجلها صلى السيد في أيامه الأخيرة قائلا: « ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني » (يو ١٧ : ٢١) .

ليساعدنا الرب يسوع لكي يكون هدفنا الأسمى هو تمجيد اسمه وامتداد ملكوته أولا، ثم العمل في حقله ليس لرفع مستوى الانسان من الناحية الروحية فقط وقيادته للمصالحة مع الله بل العمل أيضا على رفع مستوى الانسان المادى والاجتماعى . فان كان المسيح قد جاء لكي يخلص ما قد هلك فانه قد جاء أيضا لكي « يكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » هنا على الأرض أيضا وليس في الأبدية فقط .

الجزء الأول

المسيح
في العهد القديم

- الفصل الأول : المسيا في الأنبياء •
- الفصل الثاني : تطور فكرة المسيا عند اليهود •
- الفصل الثالث : المكابيون والأحلام المسيانية •
- الفصل الرابع : الحركات الثورية في الشمال •
- الفصل الخامس : المعتقدات المسيانية قبيل الميلاد •

الفصل الأول

المساقف الأنبياء

إن الله في محبته التي لا توصف ، خلق الانسان الأول طاهرا نقياً ، لا عيب فيه ، يتمتع بطهارة الطبيعة ونقاوة الفكر وحرية الارادة والاختيار . وفي هذا الجو . جو الطهارة والقداسة ونقاوة الفكر وحرية الاختيار والتصرف ، وجد آدم . والوحي المقدس يعلمنا بأن الله أسند إلى آدم بعض المسئوليات الادارية والهامة ومنها أنه كلفه بأن يعطى اسما لكل حيوان من الحيوانات ولكل طير من الطيور . . . وجبل الرب من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليري ماذا يدعوها . وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها (تك ٢ : ١٩) وهذه هي المسئولية الثانية التي كلف بها آدم . أما المسئولية الأولى فكانت عنايته بالجنة وحفظها : « وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها » (تك ٢ : ١٥) . من هذا نرى أن الله أعطى لآدم سلطانا عظيما جدا . وكاتب المزامير يقول : « فمن هو الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده وتتقصه قليلا عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلمه . تسلطه على أعمال يديك » جعلت كل شيء تحت قدميه . . .

(مز ٨ : ٤ — ٦ ، عب ٢ : ٦ — ٧) • فان الله قد أعطى لآدم سلطانا مطلقا ليس على حيوانات البرية وطيور السماء فحسب بل على الخليقة كلها (تك ١ : ٢٦) • المخلوق الوحيد من كل الخلائق الأرضية الذي يتمتع بهذا الامتياز الفريد • واذا كان آدم هو الوحيد الذي انفرد بهذا الامتياز أى بأن يكون سيدا ومتسلطا على الطبيعة ، (لا بل يفتحنا أن نعطيه أيضا لقب معاون الله : بمعنى أنه يساهم ويشترك في عمل الله) وذلك يرجع الى أن آدم هو المخلوق الوحيد من بين كل الخلائق الذي ينطبق عليه هذا الكلام : « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » (تك ١ : ٢٧) وهو أيضا المخلوق الوحيد الذي يتمتع بهذه الهبة التي لم تستطع أى خليقة أخرى على الأرض الحصون عليها ألا وهى النفخ فى أنفه : فان كل الخلائق خلقت بأمر الله وسلطانه بلاشك ، ولكن آدم هو المخلوق الوحيد الذى نفخ الله فى أنفه نسمة حياة • بهذين الامتيازين (أى كونه على صورة الله ، ونسمة الله فى أنفه) أصبح آدم إنسانا له روح وجسد (Psycho - Physique) وبهذين الامتيازين يختلف الانسان فى أشياء كثيرة عن الحيوان ويصبح قريبا من الله ، وبهذا أيضا أصبح سيدا على الطبيعة ومتسلطا عليها •

فعندما خرج الانسان من بين يدي الله ، كان طاهرا نقييا شفافا يستمتع بالحديث معه وجها لوجه دون خوف أو خجل أو ارتعاب كما حدث بعد السقوط (تك ٣ : ٨) • هكذا كان الانسان قبل السقوط ، فقد كان على « صورة الله وكشبهه » •

ولكن ما أن رأى الساقط الأول (الشيطان) (متى ٤ : ١ — ١١ ، مز ١ : ١٢ — ١٣ ، لو ٤ : ١ — ١٣ ، يو ٣ : ٨ ، تك ٣ : ١ — ٢٤) هذه المحبة العميقة ، والروابط الوثيقة والشركة المقدسة التى يتمتع بها الانسان الأول مع الله ، إلا وامتلا قلبه حقدا وغيظا ، وعندئذ دبر

مؤامرة بالمر والفس والكذب ، وسقطت حواء وآدم اللذان انخدعا بكذب الكذاب (يو ٨ : ٤٤) . لقد قدم لهما نفس التجربة التي سقط فيها هو نفسه وهي : « . الله عالم أنه يوم تاكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » ، فطردا من محضره ومن جنته ، ومن ذلك التاريخ أصبح الانسان في عداوة مستمرة مع إلهه ، الاله الذى فى محبته وفى حرّيته أيضا خلقه طاهرا نقيّا ، يتمتع بالشركة المقدسة معه . ومن هذا التاريخ أيضا وصدى صوت الانسان يتردد على مر العصور قائلا لله : « أبعد عنا وبمعرفة طرقتك لا نسر » (أى ٢١ : ١٤) وبعد ذلك « فسدت الأرض وامتلات ظلما ورأى الله الأرض فإذا هى قد فسدت » (تك ٦ : ١١ - ١٢) . ان سقوط الانسان الأول كان عبارة عن الحلقة الأولى لسلسلة طويلة ثقيلة ، قيدت البشر جميعا وكانت تطوح بهم بلا رحمة الى الهلاك الأبدى الذى هو انفصال الخالق عن المخلوق . ان قصة السقوط توضح لنا أن الذى قام بأخذ المبادرة العملية للانفصال عن الله والعصيان ضده هو الانسان وان كنا نرى الحية تلعب دور المحرض المغرى والمثوق أيضا ، إلا أن الانسان كان يتمتع بحرية كاملة للرفض أو للقبول . نعم كانت الحية هى ذلك الكذاب وأبو الكذاب (يو ٨ : ٤٤) لكن الانسان هو الذى سمع وصدق وأطاع هذا الكذاب ، وبذلك فقد عصى الله وثار ضده . لقد أراد أن يصير مثل الله .

والذى يهمنى فى هذه القصة هو القول : « وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك وبين نسلها » . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » . (تك ٣ : ١٥) . من هذه الآية نبدأ بحثنا فلقد رأى كثيرون من العلماء والمفسرين فى هذا النص وعدا بمجىء ذاك الذى استطاع وحده أن يسحق سحقا نهائيا رأس الحية . والكتاب المقدس ذاخر بالآيات العديدة التى تبين لنا بوضوح أن يسوع ، نسل المرأة هو الذى سحق الرأس المسموم ، رأس الحية الذى سسم البشرية كلها . فالرسول يوحنا يقول : « من يفعل »

الخطية فهو من ابليس لأن ابليس من البدء يخطيء • لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال ابليس » (١ يو ٣ : ٨) ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبني • • (غلا ٤ : ٤ ، رو ٨ : ٣ ، في ٢ : ٧ ، ١ كو ١٥ : ٥٤ ، كو ٢ : ١٥ ، تي ١ : ١ ، عب ٢ : ٤١) فعندما سجل كاتب سفر التكوين هذه الكلمات • • • « هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » كان يعلن عن مجيء المخلص الفادي الذي يقول عنه القديس بولس : « وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعا » (رو ١٦ : ٢٠) فمن الواضح إذن أن هذه الآية (تك ٣ : ١٥) تتضمن وعدا بمجىء المخلص وتهديدا بسحق مملكة وسلطان الشيطان ، وهنا نلاحظ أن الانسان هو الذى كان يأخذ دائما المبادرة في قطع العلاقات بينه وبين الله والقيام بالثورة والتهمرد ضده وعلى العكس من ذلك كان موقف الله فانه هو الذى دائما يأخذ المبادرة لإرجاع العلاقات المقطوعة وتوطيد المحبة واعطاء السلام • فان كان آدم في جهله وعصيانه يريد أن يكون مثل الله ، وبهذا الجهل والعصيان والجرأة الغير الحكيمة فقد نقاوته الأولى ، بل كاد يفقد جزءا كبيرا من كونه « على صورته وكشبهه » وأصبح بتصرفه وابتعاده عدوا لله ، فان الله من جانبه قد أحب الانسان محبة أبدية لا يدرك لها طول أو عرض ، فهي محبة الله نفسه السرمدى ، الأزل ، يهوه اسمه الذى له السماوات وكل ما فيها ، الذى يقول عنه القديس بولس : « الذى اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله • لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس » • • (في ٢ : ٧) • هذا هو الاله العظيم الجبار ، المهبوب ، القدوس ، الغيور ، المخيف ، والمحب أيضا الذى قحمه لنا العهد القديم بهذه الصفات ، هو نفسه يأتى إلينا وإلى عالمنا لكي يكون معنا : عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا • « وبالأجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح تراءى للملائكة كرسا به بين الأمم أو من به في العالم رفع في المجد » (١ تي ٣ : ١٦ ، يو ٣ : ١٤)

١٦ ، ١ يو ١ : ٢) وعندما جاء الإله الحقيقي الى العالم ، لم يسلك مسلك آدم الذي أراد أن يكون مثل الله : بل هو الله صار انسانا بل أكثر من ذلك صار انسانا عبدا لكي يحرر كل عبد يقبله كسيد ومخلص .

هذه هي المبادرة السعيدة التي اتخذها الله بعد سقوط الانسان . فقد وعد بمخلص يسحق رأس الحية ويحرره من سلطان عدوه . وعلى هذا الوعد الذي تكرر على فم الأنبياء الذين تتبأوا بمجيء هذا المخلص المحرر ، ركز المؤمنون عبر الأجيال آمالهم وأمنياتهم وأنظارهم على شخص هذا المحرر ، المخلص الذي سيدعى فيما بعد باسم المسيا .

وفي دراستنا لهذا الموضوع سنحاول الاقتراب بطريقة موجزة وسريعة من الاعلانات الالهية في الكتاب المقدس ، أي نبوات الأنبياء ، عن المسيا ثم كيف فسرت هذه النبوات على مر العصور .

المسيا كما فهمه وتكلم عنه أنبياء العهد القديم

بعد أن سقطت البشرية في قبضة ابليس بسقوط آدم ، اذ بسقوطه صار كل الجنس البشري في عداوة مع الله ، قائلين له : « لا أبعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسر » (أي ٢١ : ١٤) . وهنا نرى الله ، الذي من عادته وفي محبته الغير المتناهية ، يأخذ دائما المبادرة بالمصالحة فيعطى هذا الوعد الثمين للانسان الساقط المبتعد عنه قائلا : « وأضع عداوتينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) .

وقد أعلن لنا الله أن نسل المرأة الذي سيسحق رأس الحية هو شخص الرب يسوع المسيح . هذا هو الوعد الأول الذي يشير به الوحي المقدس إلى المخلص . الوعد الذي أصبح فيما بعد وعلى مر العصور

الطويلة موضوع الرجاء والامل ، ذلك الوعد يقول عنه كاتب الرسالة الى العبرانيين : « في الايمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » (عب ١١ : ١٣) إن هذا الوعد « هو يسحق رأسك » كان كالمشعل المنير الذي يضيء الطريق أمام الآباء ورجال الايمان في العهد القديم ، كان بابا للرجاء بعد أن انقطع الرجاء بسقوط آدم . فمن المرأة التي عن طريقها دخلت الخطية ثم الموت الى العالم (رو ٥ : ١٢ - ١٣ ، ١ كو ١٥ : ٢١) سيخرج أيضا الذي سيهب الحياة الأبدية للذين يقبلونه كمخلص وفاد (رو ٥ : ١٥ - ١٩ ، لو ٢ : ١٥ ، غلا ٤ : ٤) لانه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضا باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارا » (رو ٥ : ١٩) . والرب في أمانته الغير المتناهية كان يذكر شعبه بهذا الوعد العظيم مرارا كثيرة وفي ظروف مختلفة ، فهوذا موسى يلفت أنظار الشعب في البرية الى هذا المخلص بالقول « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥ ، ١٨) ولقد تحقق هذا الوعد عندما جاء المسيح ، وهذا واضح من القول : « فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذي من الناصرة » (يو ١ : ٤٥ ، أع ٣ : ٢٢ ، ٣٧) . وهناك نبوات أخرى تشير بطريقة غير مباشرة الى المسيح وبطريقة مباشرة إلى الملك العتيق والذي من صلبه سيخرج المسيا المنتظر كقول بلعام « أراه ولكن ليس الآن . أبصره ولكن ليس قريبا » . (عد ٢٤ : ١٧ - ١٩ ، صم ٢ : ٧ - ١٢ ، ١٦ ، ٢ : ٤) ويمكننا أن نعتبر كل هذه النصوص وحدة واحدة إذ أنها تعبر عن الملك داود الذي سيخرج من صلبه المسيح . وجدير بالذكر أن نبوة بلعام هذه (عد ٢٤ : ١٧ - ١٩) قد تحققت في داود الذي جاء بعد بلعام . فقد ظهر داود كملك عظيم انتصر على هو آب وأدوم وعلى كثيرين من أعدائه (صم ٢ : ٨ ، ١٤) وأسس مملكته العظيمة التي صارت فيما بعد المثال الذي

يتغنى به كل اسرائيلى ؛ والنموذج الذى يحلم به كل الملوك الذين جاؤا بعده . وفى العهد القديم نبوات كثيرة جدا تشير إلى داود باعتباره الشخص الذى منه سيخرج المسيا المنتظر . الذى سيعطى سلاما وراحة لشعبه . وفى كتاب المزامير مثلا نجد عبارات كثيرة يمكن أن ننسبها إلى المسيا المنتظر أو إلى رجال الله الأتقياء الذين عاشوا بأمانة أمام الله وتألموا واضطهدوا عن أجل اسمه . (مز ٧٣ : ٩ — ١٥ ، اش ٤٩ : ٧ ، مى ٧ : ٧) وبعض المزامير تتكلم عن المسيا نفسه وعن ملكه وعن كهنوته (مز ٤٥ : ٦ — ٧ ومز ٤٧ : ١ : ٢ ، مز ١١٠ : ١ — ٢٧ ، عب ١ : ٨ ، ٩ ، ٥ : ٦) وأما كتاب الأمثال فيقدم لنا وصفا رائعا دقيقا عن الحكمة (أم ٨ : ٢٢ — ٣١) الحكمة الموجود عند الله « منذ البدء منذ أوائل الأرض » قبل أن يوجد القمر أو المياه وقبل الجبال ، وقبل السموات وقبل كل ما هو موجود ويحيا ويتحرك . فكل ما هو موجود قد وجد لأن الحكمة كان « عنده صانعا » . وبلاشك ، عندما نقرأ هذا الفصل بتدقيق نرى التشابه الذى لا يمكن إنكاره ، بينه وبين انجيل يوحنا (١ : ١ — ٥) « من قبل أن تقرر الجبال قبل التلال أبدئت .. لما ثبت السموات كنت هناك أنا . كنت عنده صانعا » .. (أم ٨ : ٢٢ — ٣١) ، « من البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله .. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ١ — ٥) . والعهد الجديد يستعمل كلمة « حكمة » مرارا كثيرة لى يشير بها إلى المسيح : « وأما للمدعوين يهودا ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله .. ومنه أنتم بالمسيح ينوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداء (١ كو ١ : ٢٤ ، ٣٠) فإنه فيه قد خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى .. الكل به وله قد خلق » الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل » (١ كو ١ : ١٦ — ١٩) فالحكمة التى يتكلم عنها كاتب سفر الأمثال هو المسيح : هو اللوغوس (الكلمة) الذى كان منذ البدء فى حضن الآب والذى به خلق كل شيء (عب ١ : ١ — ٢ ، ١ كو ٨ : ٦ ، ٣ : ٢) وعندما نقرأ بتمعن

سفر اشعيا النبي نجد فصولا عديدة جدا تشير بطريقة واضحة وصريحة الى المسيا . وإننا لا نجهل أن بعض المفسرين قد حاولوا نسبة معظم هذه الفصول الكتابية في سفر اشعيا الى الأمة اليهودية كلها في أثناء السبى وبعده (كعبد الله المتألم والمطروح ، والمذلول والمجروح والمحتقر والمخذول من الناس الذى لا صورة له ولا جمال فننظر اليه ولا منظر فنشتيه) (اش ٥٣ : ٣ - ١٢) . وأن البعض الآخر نسب هذه الفصول الى بعض الأشخاص بطريقة رمزية (اش ٤ : ٢ ، إر ٢٣ : ٥ - ٧ ، زك ٣ : ٨ ، ٦ : ١٢) على أنه من الواضح البين أن هذه الفصول تتكلم عن المسيا بطريقة لا تترك للشك أو اللبس مجالا ، ومنها قوله : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) ان هذه الآية تشير قطعا الى شخص الرب يسوع المسيح ولا يمكننا أن نطبقها على أى ملك أو على أى قائد سياسى فى اسرائيل .

فان اسرائيل بعد السبى كان ينتظر مخلصا : ينتظر مسيا ، وهذا المخلص أو المسيا أو الملك : (اش ٤ : ٢ ، ٤٢ : ١ ، ٢ ، ٤٣ : ١٠ و ٤٩ : ١ - ٣) هو انسان ابن انسان من نسل داود . ان الملك المنتظر ، بحسب المفهوم اليهودى يجب أن يكون انسانا ومولودا بطريقة بشرية ، ولم يفكر أى يهودى فى أية لحظة من لحظات تاريخه فى السبى أو بعده بأن المسيا المنتظر هو كائن سماوى أو آت من عالم آخر . بل كان الأمر المهم بالنسبة لكل يهودى هو أن المسيا أو الملك المنتظر لابد أن يكون من نسل داود لكى يحرر الشعب من الاستعباد والاحتلال الأجنبى ويجلس على كرسي داود أبيه . فعندما يقول النبى : « ها العذراء تحبل ... » لا يقصد بأن المسيا الذى سيولد من العذراء هو ملك أرضى ، ولكنه ملك على نظام آخر . على أية حال سوف نتكلم عن هذه الآية باسهاب عندما نناقش موضوع الميلاد العذراوى فى الفصول القادمة . وكل ما نريد أن نوضحه هنا هو سرد بعض الفصول الكتابية التى تكلمت عن المسيا ، مع ذكر بعض

التفصيلات البسيطة • ولذلك لا يمكننا أن نهمل الأصحاح (٩ : ٦-٧) « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرًا قديرا أبا أبديا رئيس السلام » (٠٠) والنبى يعطى هنا بعض الصفات التى سيتمتع بها مولود العذراء (تش ٧ : ١٤) فان اسمه « عجيب » : وكيف لا يكون اسم ذلك المولود الذى سيولد عجيبا وهو يدعى عمانوئيل (٧ : ١٤) الذى تفسيره الله معنا (متى ١ : ٢٣) فهو ذلك الشخص الذى صار مع يعقوب الليل كله (تك ٣٢ : ٢٩) وهو أيضا الذى ظهر لنوح وزوجته ، وقال منوح لملاك الرب ما اسمك حتى اذا جاء كلامك نكرمك « فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمى وهو عجيب » (قض ١٣ : ١٨) • نعم ان اسمه عجيب لأنه قد تميز عن كل بنى البشر فقد مسح بزيت الابتهاج أكثر من كل شركائه (عب ١ : ٩) فهو الله نفسه الذى فى محبته غير المدركة صار عمانوئيل أى الله معنا ، الله معنا ومثلنا — صار انسانا • أليس هذا عجيبا !! فان كان هذا الابن عجيبا فهو مشير أيضا أى أنه صاحب مشورة ، ومشورته تختلف كل الاختلاف عن مشورات الشيطان والبشر فان الحية أشارت على حواء بأن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لكى تصير مثل الله ، والنتيجة التى حصلت عليها حواء وآدم من هذه المشورة هى أنهما صارا عريانين ومطرودين من الجنة • أما هو الذى فى حضن الآب منذ الأزل فهو صاحب المشورة الصالحة والذى يقول عنه كاتب سفر الأمثال « لى المشورة والرأى • أنا الفهم لى القدرة » (أم ٨ : ١٤) لأنه حكمة الله وعلمه (١ كو ١ - ٢٤ ، ٣ و ٢ : ٤ ، ٣ : ٢ ، رؤ ٣ : ١٨)

وهو أيضا إله قدير : لا وجه للمقارنة بينه وبين الآلهة التى كانت تحيط بشعب الله : « فيمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به • الصنم يسبكه الصانع والصائع يغشيه بذهب ويصوغ سلاسل فضة » (م ٣ - تاريخ الفكر المسيحى)

(اش ١٨:٤٠ و ٧٠٦ و ٤٤ : ٩ - ٢٠) ، فهو الله القدير. يقول للشئ
كن فيكون (تك ١ : ٦ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٧) ومع أنه إله قدير وكن
الأشياء كانت بأمره وطوع أمره ، فهو ليس بالاله البعيد الذى يسكن فى
أقصى السموات والذى لا يمكن أن يدنو منه الانسان ، بل ان هذا الاله
القدير هو أيضا أب أبدي محب .

رئيس السلام : هو نفسه سلام : مانح السلام الذى يفوق كل
عقل (فى ٤ : ٧) وهو أيضا سلامنا (أف ٢ : ١٤) . والسلام الذى
يمنحه هذا الرئيس يختلف اختلافا كليا وجزئيا عن السلام الذى يعطيه
العالم والذى حلمت به أمة اليهود . فان أمة اليهود حلمت بسلام ناتج
عن تدمير وخراب الممالك الأخرى التى كانت تحيط بها وتهدد سلامها .
إن هذا السلام لا يتم عن طريق سفك الدماء وقتل الأعداء وتهديم
الحصون ، لأن الحرب والعدوان والعنف لاينتج عنها الا الكراهية
والعداوة ، والفقر والجهل والمرض .

فلقد حاولت الأمم ولا تزال تحاول حتى الآن عبثا الحصول على
السلام عن طريق العنف والتسلح . أما النبى اشعيا فيرسم لنا صورة
خلابة رائعة يحاول فيها اظهار التغيير الجذرى الذى يحدث فى حياة
الذين يحصلون على هذا السلام فى ملكوته الآتى ، فعندما يتقابل الله مع
الانسان ويقبل هذا الأخير الدعوة الموجهة اليه لى يكون ابنا له وعضوا
فى ملكوته ، يصبح الانسان خليفة جديدة وبهذا يصبح عضوا فى ملكوت
الله . « اذ كان أحد فى المسيح فهو خليفة جديدة ، الأشياء المتعينة قد
مضت. هوذا الكل قد صار جديدا » (٢ كو ٥ : ١٨) . هذا هو ملكوت
الله الذى يرسمه لنا اشعيا فى هذه اللوحة الرائعة (اش ١١ : ٦ - ١٠)
حيث يقول : « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى
والعجل والشبل والمسن معا وصبي صغير يسوقها » .

إن هذا الفصل لا يمكن تفسيره تقسيرا حرفيا كما ظن البعض ، بأنه ستأتى فترة من الزمان (الملك الألفى) حيث يجرد الله الحيوانات من طبائعها وغرائزها الوحشية فتعيش فى سلام دون هجوم واقتراس ، فلا يأكل فيما بعد الحيوان المفترس حيوانا آخر .. الخ .. إن هذه الأعداد واضحة وصريحة وهى تصف لنا حال الذين يتقابلون مع المخلص بعد دخولهم فى ملكوت السموات ، فالله يريد بلا شك أن الذين يدخلون الملكوت يعيشون فى سلام تام ، فان رغبة الله رئيس السلام هى أن يرى الأسود بجانب الأبيض والأصفر بجانب الأشقر ، والفقير بجانب الغنى والقوى بجانب الضعيف ، يعيشون جميعا فى سلام وأمان . وبما لاشك فيه أن عالمنا الحاضر مهدد فى سلامه أكثر من أى وقت مضى ، فالحروب وأخبار الحروب التى تتدلع فى كل مكان لا تترك فى قلب الانسان وفى البيئة التى يعيش فيها الا خوفا ورعبا واضطرابا وقلقا ، خصوصا أن الوسائل التكنولوجية الحديثة المستعملة فى الحروب أداة شيطانية وفعالة جدا فى التخريب والتدمير والقتل . فالقوى يهجم على الضعيف وينهش لحمه وعظمه ، وهنا يسألنا الذين يؤمنون بحرفية هذا الفصل وفصول أخرى لها اتصال بهذا الموضوع (رؤ ٢٠ : ٤ - ٩) قائلين : هل يمكن للمسيح أن يسمح لأتسياء مثل حروب أو مؤامرات أو أمراض الخ .. أن تحدث فى ملكة الألفى ؟ والجواب على ذلك هو أن عبارة ألف سنة لا تعنى ألف سنة حرفيا ، فالرسول بطرس يقول « .. ان يوما واحدا عند الرب كآلف سنة وألف سنة كيوم واحد » (٢ بط ٣ : ٨) وكتب المزمور التسعين يقول : « لأن ألف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر ، وكهزيع من الليل » (مز ٩٠ : ٤) .

فمن الصعب أن نبني عقيدة الألف السنة حرفيا على عبارة وردت مرة واحدة فى سفر الرؤيا ، وهو سفر قد امتلأ من أوله إلى آخره بالرموز والتشبيهات والمجازات مما يزيده غموضا .

أما بخصوص ملك السلام وتقييد الشيطان فإن هذا الملك يبدأ عندما يدخل المسيح القلب ويغير الانسان غيصير خليفة جديدة وتصبح حياته حياة جديدة . وهذا لا يتم إلا بعد أن يدخل المسيح إلى القلب ويربط الشيطان ويستولى على أمتعته (متى ١٢ : ٢٥ - ٢٩) ومن هذه اللحظة يسعى المؤمن جاهدا أن يحيا ويسلك ويتصرف كعضو في ملكوت السلام، يعمل على انتشاره في القلوب . وهنا يمكن أن يسكن الذئب مع الخروف . ولكي لا نبتعد عن موضوعنا وهو المسيا كما فهمه وتكلم عنه بعض أنبياء العهد القديم ، نرجع إلى سفر إشعياء فنجد في الأصحاح ٤٢ : ١ - ٤ نصا قد نسبته البعض إلى المسيا ونسبه البعض الآخر إلى عبد الرب ، وعبد الرب في بعض أسفار العهد القديم قد يكون كناية عن شعب الله كله ، كما هو الحال في (اش ٤٥ : ٤ ، ٤٩ : ٣ ، ٥٥ : ٣ - ٥) «قال لي أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد» (اش ٤٩ : ٣) .

على أن كثيرين من المفسرين ينسبون نص إشعياء (٤٢ : ١ - ٤) ، ٥٣ : ١ - ٢ ، ٦١ : ١ - ٦) إلى المسيح . ولقد سبق القول بأن عددا لا بأس به من المفسرين يتردد كثيرا في نسب هذه النصوص إلى المسيح ظنا منهم بأن النبي يتكلم عن إسرائيل كله كشخص محقق مخذول ومطروود الخ

ولكننا نعتقد أن الصورة التي يقدمها إشعياء هنا سواء في أصحاح ٥٣ : ١ - ١٢ أو في الأصحاح ٦١ : ١ - ٦ ، لا تنطبق على إسرائيل كشعب إلا بطريقة جزئية ولكنها تنطبق على المسيح بطريقة كلية . فعندما نقرأ أصحاح ٥٣ لا يمكننا بسهولة أن ننسبه إلى أمة إسرائيل وخاصة النبوات التي تشير بطريقة مباشرة إلى المسيح وهو نفسه ما ينطبق على أصحاح ٦١ وخصوصا أن السيد الرب نفسه قال عن هذا

الأصحاح في أول عظة له في مجمع الناصرة ، إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم » (لو ٤ : ٢١) .

وهناك فصول أخرى كثيرة في العهد القديم تشير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى المسيا (مثل ارميا ٢٣ : ٥ ، ٣٠ : ٩ ، ٣٣ : ١٤ - ١٦ ، حز ٢٦ : ١ ، دانيال ٣ : ٢٥ ، ٧ : ١٣ - ١٤ ، مي ٢ : ٥ ، حجي ٢ : ٢٣ ، زك ٣ : ٨ ، ٩ : ٩) .

لقد نطق بهذه الأقوال رجال الله الأتقياء مسوقين من روحه القدوس في كل عصر من العصور ، فكانت كلماتهم هذه عن المسيح عبارة عن مصابيح تتلألأ في جو مظلم مخيف ، فأشارت الطريق وفتحت باب الرجاء والأمل . فإن عيون شعب الله ، وخاصة الذين كانوا ينتظرونه بالحق والاستقامة ، كانت مثبتة على هذه الوعود المختصة بمجيء المسيا المخلص . والذين نطقوا بهذه الوعود وكثيرون من الذين سمعوها كانوا ينتظرون تحقيقها بفارغ الصبر . ففي كل عصر من العصور كان شعب الله يتربص منتظرا أن تتحقق هذه الوعود في عصره : « في الايمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » (عب ١١ : ١٣) « ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس ... » (غلا ٤ : ٤) ، وهنا فقط أصبح الحلم الذي راود خيال المنتظرين مدة طويلة ، حقيقة ملموسة لا شك فيها . ولقد كانت فرحة ذلك الرجل العجوز سمعان عظيمة لا يدانيها فرح ، عندما أدرك أن الوعود التي انتظرها الآباء وصدقوها وحيوها من بعيد تحققت وها هي الآن بين يديه . إذ « أن أنبياء وأبرارا كثيرين اشتبهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا » وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » (متى ١٣ : ١٦ - ١٧) فيهتف سمعان فرحا

بعد أن أخذ بين ذراعيه الطفل يسوع ويقول: « الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك ، الذي أعددتَه قدام جميع الشعوب ٥٥٥ » (لو ٢ : ٢٦ - ٣٥) • نعم لقد تحقق الأمل ، وأصبحت حقيقة واقعة نبوة موسى القائلة : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي • له تسمعون » •

لقد كان موسى رمزا للمسيح في أشياء كثيرة : فقد أنقذا كلاهما من الموت في سن الطفولة ، وترك كلاهما المجد لكي يشاركا اخوتهما في المشقة والآلام (عب ٣ : ٢ - ٤) وكانا متواضعين يفيضان بالحب والحنان والبطم (عد ١٢ : ٣ ، ٢٧ : ١٧ ، متى ١١ : ٢٩ ، ٩ : ٣٦) وكانا شفيعين (تث ٩ : ١٨ ، عب ٧ : ٢٥) ، وكلاهما عرفا مجد الله وأعلناه (خر ٣٤ : ٢٩ ، ٣٥ و متى ١٧ : ١٠ - ٨ ولو ٢٤ : ١٩ ، يو ١٧ : ١ - ٥ و ٢ كو ٣ : ٧) كان كلاهما أيضا وسيطى عهد (تث ٢٩ : ١ ، عب ٨ : ٧٦) •

فعلى مر العصور كان شعب الله ينتظر المسيا المخلص الذي تكلم عنه موسى والأنبياء • فكيف إذن انتظر شعب الله المسيا ؟

ومن هو المسيا بحسب المفهوم اليهودي ؟ ومن أى شيء سيخلص شعبه ؟ هل هو مخلص بالمعنى الدينى أو السياسى ؟؟ وسنحاول بنعمة الله أن نعالج هذه الأسئلة وأسئلة أخرى في الفصل التالى :

الفصل الثاني

ظهور فكرة المسيا عند اليهود

كان الغرض من الفصل السابق هو أن نورد بعض الفصول الكتابية التي تشير إلى المسيا ، وما هو العمل الذي سيقوم به عندما يأتي الى العالم . ولقد رأينا أن معظم النبوات والأنبياء يقدمون لنا مسيا سيخلص شعبه من خطاياهم وسيحررهم من العبودية . ومما لا شك فيه أن الظروف التي اجتاز فيها الشعب قديما منذ دعوة الله لابراهيم إلى ما بعد خراب اورشليم ، شجعت كثيرا على تأويل وتحريف هذه النبوات في الأوساط اليهودية وإلباسها ثوبا سياسيا وطنيا . ومما لا شك فيه أيضا ، أن الذين تنبأوا بمجيء المخلص قد تنبأوا مسوقين من روح الله القدوس (٢ تي ٣ : ١٤ - ١٧ ، ٢ بط ١ : ١٩ - ٢١) إلا أنهم اقتبسوا أمثالهم وأقوالهم من البيئة التي كانوا يعيشون فيها ، فقد كان شعب الله يعيش في وسط معاد له . وكم من المرات تعرض هذا الشعب لهجمات عنيفة وحروب شعواء ومؤامرات سوداء . في هذه الظروف العصيبة المؤلمة ، لم يترك الرب شعبه ليد الأعداء بل كان يرسل لهم مرسلا أو قائدا لكي يذكرهم أولا وقبل كل شيء بالعهد الذي قطعه معهم يهوه (تك ١٢ : ٣ ، ١٥ : ٤ -

٥ ، ١٧ : ٩ - ١٠ ، ١٨ - ١٩ ، ١٨ : ١٨ ، ٢٢ : ١٥ - ١٧)
لكى يكونوا له شعبا . والعمل الثانى الذى يقوم به المرسل أو القائد
هو أن يكون أداة في يد الله لخلاص شعبه من أعدائهم ، وهنا نرى
الجو الذى ولد فيه الاصطلاح مخلص ، أو مسيح .

وقبل أن ندخل في التفاصيل التاريخية السياسية : ومتى وكيف
انتشر المفهوم انخاص بالمسيا عند اليهود ، يحسن بنا أن نحرف ما معنى
«مسيا» من الناحية اللغوية . إن كلمة «مسيا» أو مشيحه (MASHIAH)
عبرية الأصل ولقد ترجمت إلى اليونانية « كريستوس (CHRISTOS) »
وتعنى المسيح ، فكلمة مسيا تعنى مسوح ، وكلمة المسيح تعنى المسوح .
ثم إن كلمة يسوع تعنى في أصلها العبرى «الله يخلص» . ولقد أعطى
هذا اللقب للوك إسرائيل بعد مسحهم ملوكا وبذلك يصبح الملك « مسيح
الرب » . فنرى صموئيل النبى يمسح شاول ملكا ، فهو مسيح الرب .
(١ صم ٩ : ١٦ ، ١٠ : ١) وكذلك داود (١ صم ١٦ : ١٢) ،
وسليمان (١ مل ١ : ٤٥) ، ويوآش (٢ مل ١١ : ١٢) . وكانت
المسحة ضرورية أيضا بالنسبة للكهنة (خر ٢٨ : ٤١ ، ٢٩ : ٧) كذلك
أيضا بالنسبة للأنبياء (١ مل ١٩ : ١٦ ، اش ٦١ : ١) .

كانت المسحة لازمة وضرورية للملك ، فمن طريقها يمكن للملك
أن يقوم بممارسة بعض الخدمات الدينية (٢ صم ٦ : ١٢ - ١٨ ،
٢ مل ١٦ : ١٢ - ١٥ ، ١ مل ٨ : ١٤) . والسدى يهمنى في هذا
الأمر هو ما كان ينتظره اليهود من مسوح الرب أو مسيح الرب .
وما كان ينتظره اليهود من ملكهم واضح وصريح في أول مظاهره لهم
في التاريخ للمطالبة بملك عندما جاءوا إلى صموئيل النبى قائلين له :
« فالآن اجعل لنا ملكا . يقضى لنا كسائر الشعوب » (١ صم ٨ : ٥) .
لقد كانت رغبة قلب هذا الشعب أن يصير كباقي الشعوب ، له ملكه

فأعطى لهم الرب ملكا حسب رغبة قلوبهم ، وهو شاول الذى مسح صموئيل النبى ملكا (١ صم ٩ : ١٥ - ١٦ ، ١٠ : ١) • وصار شاول ملكا على إسرائيل من سنة ١٠٣٥ إلى سنة ١٠١٥ تقريبا • ووظيفة الملك واضحة كما حددها هذا الشعب بالقول : « فنكسون نحن أيضا مثل سائر الشعوب ويقضى لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا » (١ صم ٨ : ٢٠) •

على أن شاول لم يفلح فى ملكه بل سلك حسب هوى قلبه ، ورغبة نفسه ، ولم يعر كلام الرب أذنا صاغية ، ولذلك رفضه الرب وأقام مكانه داود : « فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته على أن يملك على إسرائيل • إملأ قرنك دهنا وتعال أرسلك إلى يس البيتلحمى لأنى قد رأيت لى فى بنيه ملكا » (١ صم ١٦ : ١ - ١٣ ، مز ٧٨ : ٧٠ ، ٨٩ : ١٩ ، ٢٠) •

ولقد نصب داود ملكا رسميا فى سنة ١٠١٥ ق.م • وملك إلى سنة ٩٧٥ ق.م تقريبا ، وبملك داود على إسرائيل بدأت صفحة جديدة فى تاريخ هذا الشعب • فإن الوعود التى سبق الاشارة إليها من الناحية الأرضية (تك ١٢ : ٣ ، ٤ - ١٧ ، ٥ : ٩ - ١٠ ، ١٨ - ١٩ ، ١٨ : ١٨ ، ٢٢ : ١٥ - ١٧) بدأت الآن تتحقق بطريقة عملية فى ملك داود (١ مل ٨ : ٢٠ ، مز ٧٨ : ٨٠ ، مز ٨٩ : ٣ ، ٤ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٧) •

ثم جاء ابنه سليمان وملك من سنة ٩٧٥ ق.م تقريبا • بعد أن مسح صادوق الكاهن بأمر الملك داود نفسه (١ مل ١ : ١ - ٥٣) وهو الذى قام ببناء هيكل الرب الذى أراد داود أبوه أن يبنيه ولكن الرب منعه عن ذلك (٢ صم ٧ : ١٣) ولقد تم بناء هذا الهيكل حوالى سنة ٩٦٤ ق.م (١ مل ٦ : ٣٧ - ٣٨) •

بعد أن مات سليمان وانضم إلى أبائه في سنة ٩٣٥ ق.م انقسمت المملكة إلى قسمين مملكة الجنوب وتدعى يهوذا وعاصمتها أورشليم ولقد ملك عليها من سنة ٩٣٥ - ٥٨٦ عشرون ملكا وكلهم من عشيرة داود ، إذ استثنينا الملك أخزيا بن يهورام إذ أن أمه عثليا كانت بنت عمري ملك إسرائيل (١ مل ١٨: ٨ ، ٢٦) ، ولقد شمل هذا القسم كل بيت يهوذا وسبط بنيامين .

والقسم الثاني هو مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة، وكان هذا القسم يشمل عشرة أسباط . وأول ملك على إسرائيل بعد الانقسام في مملكة الشمال هو يربعام الذي عمل عجلي ذهب وقبائل لإسرائيل : « هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أبعذك من أرض مصر ، ووضع واحدا في بيت إيل وجعل الآخر في دان » (١ مل ١٢: ٢٨ - ٢٩) وبذلك أراد يربعام أن يمنع شعب إسرائيل من الذهاب إلى أورشليم وتقديم الذبائح هناك حتى لا يرجع قلب هذا الشعب إلى رجبعام ، وأن يقطع كل صلة يمكنها أن تربط شعب الجنوب (يهوذا) بشعب الشمال (إسرائيل) ، وبهذا ازدادت شقة الخلاف واتسعت الفجوة بين الشعبين الشقيقتين وأصبحتا كقريبتين بين مخالفين الأهم التي تحيط بهما ، ولقد كانت هذه الحقيقة كافية لتقوية روابط المحبة ، ودفعهما إلى الاتحاد الحقيقي ، ولكن حدث العكس ، فقد شن كل منهما حربا شعواء على أخيه ، بل حدث في أحيان كثيرة أن انضم كل منهما إلى صف عدو كان في الماضي عدوا مشتركا لهما .

وهنا تبدأ المأساة المحزنة المؤلمة والتي ستستمر حقبة طويلة من الزمن يقوم خلالها إسرائيل بحرب ضد يهوذا ويهوذا بحرب ضد إسرائيل ، ويريد كل منهما أن يفتي ويلتشي الآخر .

لقد كان الصراع بين هذين الشعبين الشقيقتين في أحيان كثيرة عنيفا حتى أنه تطور إلى حروب وقتال وتدمير وتشريد . وهكذا نرى أن إسرائيل ويهوذا ، المملكة المنقسمة ، عاشت في صراع وحرب وقتال ولم تعرفا السلام إلا في فترات قصيرة وعابرة . » وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل الأيام » (١ مل ١٤ : ٣٠ ، ١٥ : ٦ ، ٢ أخ ١٢ : ١٥) ولقد استمرت هذه الحالة وسيطرت على المملكة المنقسمة من سنة ٩٣٥ إلى سنة ٧٢١ ق م أي سنة السبي الأول لإسرائيل . وفي هذه الفترة كان يحكم على إسرائيل ملوك وعلى يهوذا ملوك آخرون . تارة يقتربون من السيد متذكرين عهوده ووصاياه ، وتارة يبتعدون ، ولذلك أسلمهم الرب إلى أيدي أعدائهم مرات كثيرة عندما كانوا يبتعدون عنه ويفعلون الشر أمام عينيه . كما أنه أيضا أسلم أعداءهم لأيديهم عندما رجعوا إليه بقلوبهم وقابوا عن خطاياهم واعترفوا بسيادته المطلقة عليهم (١ مل ١٤ : ٧ - ١١ ، ١٦ : ٣١ - ٣٩ و ٢ مل ١٧ : ٢٦ ، ٢ أخ ١٢ : ١ - ٢ و ١ مل ١٦ : ٢٥ و ٢ أخ ١٥ : ٢ و ١ مل ٢٠ : ١ - ٣٤ و ٢ مل ٦ : ١ - ٣٣ : ٧ - ١ و ٢ مل ١٧ : ٧ - ٤٠ ، ١٨ : ١ - ٣٧) .

هكذا عاش هذا الشعب المتمرد في المملكتين الجنوبية (يهوذا) والشمالية (إسرائيل) يعرج بين الفرقتين (١ مل ١٨ : ٢١) ولم يسمع لقول الأنبياء ، الذين كانوا يعلنون محبة الله العظيمة له ، بل سد أذنيه وأغمض عينيه وأغلق قلبه ، ولأنه كان شعبا صلب الرقبة عنيدا وقاسي القلب ، أسلمه الله إلى أيدي أعدائه . فبعد أن ذاق مرارة الانشقاق الذي دام أكثر من مائتي عام (٩٣٥ - ٧٢١ ق م) نراه الآن يدخل في محنة جديدة أو بالمعنى الأصح يزج به في معصرة تعصر لحمه وعظمه بلا شفقة ولا رحمة . ولقد بدأت هذه الكارثة بشعب إسرائيل أولا عندما جاء تغلثفلاسر ملك أشور وهجم على إسرائيل » وأخذ عيون

وآبل بيت معكه وبانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى وسباهم إلى آشور » (٢ مل ١٥ : ٢٩) • هذا هو السبى الأول الذى سبى فيه حوالى ٢٧٢٩٠ يهودى فيما بين سنتى ٧٣٤ — ٧٣٢ ق.م ولم يكن هذا السبى ، إلا فاتحة لسلسلة طويلة من السبأ فى المملكتين • ثم فى سنة ٧٢٤ جاءت الجيوش الآشورية وحاصرت مدينة السامرة التى بذلت كل ما فى وسعها للمقاومة والصمود ضد العدو • إلا أن الحصار استمر حوالى ثلاث سنوات ، فلم تستطع المدينة مقاومة الأعداء الذين كانوا يحاصرونها من الخارج ، وامتداد السكان بالطعام والشراب من الداخل ، فأضطرت السامرة فى نهاية الأمر أن تسلم للعدو الآشورى • وهكذا سقطت السامرة فى يد سرجون (SARGON) فى سنة ٧٢١ ق.م • بعد حصار طويل ومقاومة باسلة • ولم يكتف الآشوريون بدخول المدينة وتخريبها بل سبوا الاسرائيليين وأسكنوهم فى حاح وخابور نهر جوزان وفى مدن مادي ، ثم قاموا بحركة عكسية فأتوا بقوم من « بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنوهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها » (٢ مل ١٧ : ١ — ٢٤) •

ولقد استطاع الآشوريون باتباعهم هذه السياسة ، سياسية طرد المواطنين من أوطانهم ، كما فعلوا مع السامريين والبابليين أن يحكموا هذه الشعوب المختلفة المتنوعة بيد من حديد • فبعد حركة تفريغ الأرض من الاسرائيليين واسكانها بعدد كبير من الشعوب الأجنبية ، لم يتبق من هذا الشعب فى الأرض الاسرائيلية الا البعض من الفلاحين العجائز • ثم انتشرت الوثنية فى الأرض كلها ، الوثنية التى بدأ بها يربعام عندما صنع عجلى الذهب وقال : « هوذا آلهتك يا اسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ووضع واحدا فى بيت إيل والآخر فى دان » (١ مل ١٢ : ٢٧ — ٢٩) • فإن هذه البذرة الصغيرة التى زرعها يربعام أصبحت بعد سقوط السامرة شجرة كبيرة ضخمة تأوى الطيور اليها وتبنى فيها أعشاشها : « فكانت كل

أمة تعمل آلهتها ، ووضعوها في بيوت المرتفعات التي عملها السامريون .
كل أمة في مدنها التي سكنت فيها « ٥٥ (٢ مل ١٧ : ٢٩ - ٤٠) وهكذا
سقطت السامرة ساجدة روحيا وعسكريا تحت أقدام الآشوريين
والهتهم !!! فهل استطاعت مملكة الجنوب (يهوذا) أن تتخذ لنفسها عظة
وعبرة من هذا السقوط المريع الذي سقطت فيه أختها مملكة الشمال
(إسرائيل) ؟ هل استطاعت أن تفتح عينيها وتميز صوت الرب الذي
يكلمها في هذه الكوارث التي لحقت بأختها ؟ للأسف الشديد لقد سدت
أذنيها وأغلقت قلبها وصلبت رقبتها ولم تسمع لصوت ذاك الذي كان
يناديها بالقول : « افتحي لي يا أختي يا حبيبتى يا حماتى ياكاملتى لأن
رأسى امتلا من الطل وقصصى من ندى الليل » ٥٥ ولكن كان جوابها :
« قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه . قد غسلت رجلى فكيف أوسخهما ٥٥٥
فتحت لحبيبتى لكن حبيبتى تحول وعبر » (نش ٥ : ١ - ٨) نعم لقد
تحول وعبر عن مملكة إسرائيل مسلما إياها ملك آشور الذي سبهاها الى
أراض بعيدة ومتفرقة وما الآن يأتى دور أورشليم ، دور يهوذا (مملكة
الجنوب) ، ولكن الهجوم لا يأتى هذه المرة من آشور بل من بابل التي
استطاعت أن تكسر شوكة آشور وامبراطوريتها وتحل محلها ، وان كانت
سياستها لا تختلف كثيرا عن سياسة آشور . ولقد انهالت عدة كوارث
كانهيال المطر على يهوذا عندما ظهر في التاريخ القائد المصارب المحتل
نبوخذ نصر الذى غزا بلاد الأراراط

(DICTIONNAIRE BIBLIQUE J. DHEILLY. p. 796 - 797)

في سنة ٦٠٦ ق م (إر ٤٦ : ٢) ثم استطاع أن يهزم فرعون نخو
ملك مصر عند نهر الفرات في سنة ٦٠٥ (إر ٤٦ : ٢) ثم قام باحتلال
سوريا حتى وصل الى حدود مصر ولكنه في سنة ٦٠٤ اضطر للرجوع الى
بابل لسبب وفاة أبيه نابوبولاسار (NABOPOLASSAR) ولقد تولى
نبوخذ نصر الحكم وإدارة البلاد الواسعة المترامية الأطراف بيد قوية
وارادة صلبة .

ولذلك فعندما تمرد الملك يهوياقيم ملك يهوذا على بابل أرسل نبوخذ راصر بعضاً من قواته العسكرية المربطة في المنطقة من الكلدانيين والآراميين والموآبيين والعمونيين (٢ مل ٢٤ : ٢) فأخمدوا الثورة في اورشليم ، على أن هذه الثورة تمخضت فولدت ثورة أخرى أعنف وأقسى فلقد حاول الحزب المؤيد لمصر في اورشليم إثارة الشعب ضد سياسة بابل وتدخلها بطريقة مباشرة في شئون اليهودية ، وعندئذ ثار نبوخذ راصر ثورة عارمة ، فجاء بجيوشه وقواته العسكرية وأحاط بأورشليم ولم تستطع هذه المدينة الصمود أمام قوات بابل المدربة ، أكثر من ثلاثة شهور • ففي ١٦ مارس ٥٩٧ ق • م • سقطت اورشليم تماماً في يد نبوخذ راصر • وهنأ ترى القافلة الأولى من المسيبين وعلى رأسهم الملك يهوياكين وأمه وعبيده في طريقهم إلى بابل ، إلى أرض السبي (٢ مل ٢٤ : ٨ - ١٧ ، ٢ أخ ٣٦ : ٩ - ١٠ وإر ٢٢ : ١٨ - ١٩) ، ٢٤ : ١ ، ٢٩ : ١ ودا ١ : ١ - ٢ ، ٥ : ١ - ٢ ، حب ١ : ٦) وعدد الذين أخذوا في هذا السبي الأول ليهوذا حوالي عشرة آلاف شخص من أغنياء البلاد ومن ذوى النأس والصناع والعمال (٢ مل ٢٤ : ١٤ - ١٧) هذا هو السبي الأول الذي كان كضربة قاسية وقاضية على يهوذا مملكة الجنوب •

السبي الثاني : بالرغم من الخراب والتدمير والقتل والسبي الذي قاسته اورشليم وسكانها في ٥٩٧ ق • م • ، فإن هذه المدينة هبت ثانية بثائرة ضد بابل ، وعندئذ جاءت القوات العسكرية البابلية وعلى رأسها نبوخذ راصر نفسه ، وحاصر المدينة وبنى حولها أبراجاً • وظلت المدينة تحت هذا الحصار القاسي القاتل ثمانية عشر شهراً (من يوليو ٥٨٨ إلى يناير ٥٨٦) • فاشتد الجوع وانتشر الوباء بين الشعب ، وتذمر القادة هتفرت المدينة وهرب جميع رجال القتال ليلاً • فتبعهم جيوش الكلدانيين وأدركوا الملك صدقيا والهاربين معه • وأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك

بابل إلى ربله وكلموه بالقضاء عليه، وقتلوا بنى صدقيا أمام عينه وقلعوا
عينى صدقيا، وتقيدوه بسنسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل (٢ مل ٢٥ :
١-٧ و ٢ أخ ٣٦ : ١٣ و ١ر ٢١ : ١-٩ ، ٣٢ : ١-٥ ، ٣٤ : ١-٤ ،
٢١ : ٥٢ ، ١ : ٣٤ و حز ١٢ : ١٢ - ١٤ ، ١٧ : ١١ - ٢٣ ، ٢١ : ٢٨ - ٣٥) .

السبى البابلى الثالث :

أما السبى الثالث فقد تم على يد « نبوزرادان رئيس الشرط
عبد ملك بابل الذى جاء إلى اورشليم فى سنة ٥٨١ ق م . وأحرق
بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم ، وكل بيوت العظماء أحرقتها
بالنار وجميع أسوار اورشليم مستديرا هدمها كل جيوش الكلدانيين
الذين مع رئيس الشرط وبقية الشعب الذين بقوا فى المدينة والهاربون
.. سباهم نبوزرادان رئيس الشرط .. وأعمدة النحاس التى فى بيت
الرب والقواعد ويحصر النحاس الذى فى بيت الرب كسرها الكلدانيون
وحملوا نحاسها إلى بابل . والقصور والرفوش والمقاص والصحنون
وجميع آنية النحاس التى كانوا يخدمون بها أخذوها ، والمجسمات
والمناضج . ما كان من ذهب فالذهب وما كان من فضة فالفضة أخذها
رئيس الشرطة .. (٢ مل ٢٥ : ٨ - ٣٠) .

وبعد أن سلبوا المدينة وأهلها ، وأشعلوا النيران فى الهيكل وأخذوا
من سيوهم وغنائمهم ، ورجعوا إلى بابل لم يتركوا فى اورشليم إلا
الفقراء والعاجزين عن العمل والانتاج ، والفلاحين والكرامين .
وحتى البقية القليلة التى بقيت بعد هذا السبى الثالث هرب
معظمها إلى مصر بعد حادثة اغتيال جدليا (٢ أخ ٣٦ : ١٧ - ٢١) . ولقد تضاربت الآراء بخصوص

عدد المسيبين فى الثلاث المراحل • على أن العدد الذى اتفقت عليه الأغلبية هو حوالى ٢٢٠٠٠ مسبى ، غير النساء والأولاد (١) •

وهنا تتم نبوات إرميا والأنبياء الآخرين الذين حاولوا جاهدين بالارشادات والاعلانات والصلوات ارجاع اسرائيل ويهوذا الى صوابهما • ان إرميا النبى الذى كان معاصرا لبعض الحوادث لم يستطع الصمت أمام الكوارث التى حلت بشعبه ، وقد وعظ وعلم وتنبأ بالرغم من السجن والضرب وطرحه فى البئر ، ولكن للأسف الشديد فقد صلب الشعب رقبتة وغلظ قلبه ولم يسمع لصوت المحبة الذى كان يدعوه ، ولذلك حلت بهم هذه الكوارث وفى نهاية الأمر ترك لهم بيتهم خرابا (إر ١ : ١٥ ، ١٧ ، ٣٣ : ٢٦ — ٣٥ ، ٣٩ : ٣ ، ١٠ : ٢٢ وحز ١٢ : ٨ — ١٦ ، ١٧ : ١١ — ٢١) •

وكيف لم يترك لهم بيتهم خرابا ونحن نرى بعد السبى أن مدن اسرائيل وقد خربت وهجرت وأصبح ساكنوها أجنب ، وأقيمت المذابيح والهيكل والمعابد الوثنية على اختلاف أشكالها وأنواعها فى طول بلاد اسرائيل وعرضها ، وفى مملكة يهوذا بعد أن رفضت أن تأخذ من سقوط أختها اسرائيل عظة ، ووصلت هى أيضا الى نفس المصير ، فسقطت أورشليم ، ودمرت جدرانها وهدم هيكلها الذى بناه سليمان والذى كان فخرا لكل الأمة • (هيكل سليمان بنى حوالى سنة ٩٦٤ ق • م) • (١ مل ٥ : ٧ — ٣٨) •

لقد سبى الشعب المختار الى بلاد بعيدة وكثيرة ، وهناك فى الغربه عندما جلس الاسرائيليون على ضفاف أنهار بابل يتذكرون بلادهم

(١) انظر القاموس الفرنساوى D. B. ص ٢٦٧

خصوصا عندما سألهم الذين سبواهم أن يرنموا لهم ترنيمة من ترنيمات اورشليم . فأجاب هؤلاء المسييون والحزن يقطع أنيساط قلوبهم : « كيف ترنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة ، ان نسيك يا اورشليم تنسى يمينى ، ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك إن لم أفضل اورشليم على أعظم فرحى » (مز ١٣٧ : ١ - ٦) .

فى هذه الأرض الغريبة والبعيدة عن اورشليم وعن السامرة ، اندمج الشعب المختار فى الشعوب الأخرى ، خصوصا مسبيو اسرائيل ، الذين اختلطوا بسرعة بالشعوب التى سبوا اليها ، فأصبح وطن السبى والغربة وطنهم ، لدرجة أن الكثيرين بل الأغلبية الساحقة من شعب اسرائيل فضلت البقاء فى مدن الغربة على العودة الى بلاد اسرائيل . وأما مسبيو يهوذا فمع أن عددا لا بأس به منهم استطاع أن يتأقلم فى الاقليم الجديد وأن يتكيف فى المجتمع الغريب بدون أية صعوبة ، إلا أن عددا لا بأس به أيضا ظل متمسكا بالله ، لا يفكر إلا فى العودة إلى اورشليم ، حيث يستطيع أن يرنم ترنيماته الحلوة بصوت مرتفع وبحرية كاملة . فالعودة من السبى بالنسبة للأقلية القليلة المبعثرة والمسببة « فى حلق وخابور نهر جوزان وفى مدن مادي » (٢ مل ١٧ : ١ - ٢٤) . أى الذين سبوا من اسرائيل ، وبالنسبة للعدد الذى لا بأس به فى بابل (أى الذين سبوا من يهوذا) ، أصبحت هذه العودة الحلم اللذيذ الذى يداعب خيال هؤلاء جميعا ، وقصة الرجاء الحلوة التى فيها يرى المسييون قبسا من النور وبابا للأمل والرجاء .

ففى فترة السبى وبسببه أيضا ، بدأ بعض الأنبياء بالتحدث من جديد عن المسيا المخلص ، الذى يختلف عن كل المخلصين والمحررين السابقين الذين عرفهم يهوذا واسرائيل . ولقد عرفت هذه الأمة منذ ولادتها قادة ، وقضاة ، ومخلصين ، وملوكا وقمالك . أن موسى قد (م ٤ - تاريخ الفكر المسيحى)

أخرجها من مصر ، ويشوع دخل بها إلى أرض الموعد ، وقضى لها القضاة دبورة وضموثيل وغيرهم ، ثم ملك عليها شاول فداود فسليمان وحوالى أربعين ملكا ملكوا فى الملكتين الجنوبية يهوذا ، والشمالية اسرائيل ، كل هؤلاء ظهرُوا فى وسط شعب الله ، وقادوه خلال هذه الحقبات التاريخية ولعبوا دورا فى حياته ، البعض منهم بنى والبعض الآخر هدم . البعض حاول الجمع والآخر عمل على التفريق واثارة الحروب . وانتهى الأمر بهذه الأمة الى السبى ، وهناك فى السبى بدأ الشعب يحلم بمخلص وبملك يخلصهم من سبيهم ، ويحررهم من عبوديتهم ، ويخرجهم لا من مصر كما كان يحلم الشعب قديما ، بل من بابل والمدن الأخرى التى تشتتوا فيها ، إرميا يقول : « ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض ، فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذى يدعونه به الرب برنا ، لذلك ها أيام تأتى يقول الرب ولا يقولون بعد حى هو الرب الذى أوسع بنى اسرائيل من أرض مصر ، بل حى هو الرب الذى أوسع وأتى بنسل بيت اسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الأراضى التى طردتهم اليها فيسكنون فى أرضهم » (إر ٢٣ : ١ - ٨) .

ولكن كيف يستطيع هذا الشعب المشتت فى مدن كثيرة مترامية الأطراف ، الشعب المحطم المسجوق ، الذى لا قوة له ولا نظام فيه ، كيف يمكن لهذا الشعب المسبى والمشتت أن يرجع الى وطنه ؟ ! ويرسل الرب جوابا الى هذا الشعب الذى كان يعيش غريبا بعيدا عن وطنه ، حزينا ومحظما ، فى الرؤية التى أعلنها الى النبى حزقيال (٣٧ : ١ - ١٤) (رؤية النبى للعظام اليابسة) . « ثم قال لى يا ابن آدم هذه العظام هى كل بيت اسرائيل ، ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاءونا ، قد انقطعنا ، لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبى وأتى بكم الى أرض اسرائيل » (حزقيال ٣٧ : ١١ -

(١٤) • ثم قوله « وآخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضى وأتى بكم الى أرضكم •• وتسكنون الأرض التى أعطيت أبائكم إياها وتكونون لى شعبا وأنا أكون لكم إلها » •• (حز ٣٦ : ٢٤ - ٣٨) • « وأصيرهم أمة واحدة فى الأرض على جبال اسرائيل وملك واحد يكون ملكا عليهم ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد الى مملكتين •• وداود عبدى يكون ملكا عليهم ويكون لجميعهم راع واحد •• ويسكنون فى الأرض التى أعطيت عبدى يعقوب إياها » •• (حز ٣٧ : ١٥ - ٢٨) •

وهنا نرجع إلى السؤال الذى طرحناه سابقا : كيف يمكن لهذا الشعب المسبى والمشتت والمحطم الرجوع إلى وطنه ؟ ١١ •

وما لاشك فيه أن نبوات الأنبياء هنا تعنى رجوع الشعب المطرود والمسبى الى وطنه : الى الأراضى التى سبى منها • ولكن من الذى يقوم بعملية الارجاع هذه ؟ أو من هو الذى يستطيع أن يخلصهم من براثن الأسد القوى الذى يقبض عليهم بمخالبه ؟ على أننا نود أن نفهم الجملة السابقة فهما جيدا ، وهى (مما لاشك فيه أن نبوات الأنبياء هنا تعنى رجوع هذا الشعب المطرود والمسبى إلى الأراضى التى سبى منها) •

ونحن لا نقصد هنا بهذا القول رجوع أمة صهيونية إلى فلسطين ، بل ما نريد أن نوضحه هو أن نبوات الأنبياء كانت موجهة إلى شعب مسبى فى بلاد بعيدة ، وفى أزمنة بعيدة أيضا عن الزمن الذى نعيش فيه حاليا • ولقد تم فعلا كثير من هذه النبوات برجعوع الكثيرين من المسيبيين إلى أرضهم قبل الميلاد •

وأما الرجوع الذى يتكلم عنه الرسول بولس أو خلاص اسرائيل (رومية ٩ - ١١) « وهكذا سيخلص جميع اسرائيل •• » (رومية ١١ : ٢٦)

٦) فانما يقصد به الخلاص الروحى وليس تكوين مملكة أو أمة ، فإن باب الخلاص أى قبول الرب يسوع المسيح كمخلص وفاد ، مفتوح ليس فقط لليهود بل للأمم أيضا : للأسود وللأصفر وللأبيض وللغنى وللفقير . فالرجوع لا يقصد به إذن رجوعا إلى أمة معينة أو إلى أرض معينة ، بل إلى الرب يسوع . فعندما يرجع اليهود إلى المسيح ويقبلونه كمخلص يسر بهم قلب الآب وتفرح بهم السماء . وما نريد أن نلفت نظر القارئ إليه هو أننا لانريد بهذه الكلمات القصيرة أن نتطرق (نمسح جوخ) لأى دولة أو هيئة حاكمة ، بل اننا نحاول بروح الصلاة أن نشرح كلمة الرب معطين لها الأولوية ، لأنه « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أعمال ٥ : ٣٩) .

على أية حال ليس هذا موضوع بحثنا ، فلنرجع إذن إلى السؤال الذى طرحناه سابقا ، وهو من الذى سيقوم بعملية ارجاع اسرائيل الذى كان مشتتاً في آشور وبابل وفي مدن كثيرة وبعيدة ؟ .

مما لا شك فيه أن مسعى اسرائيل ويهوذا (٧٢١ ، ٥٩٧ - ٥٨٢) كانوا لا يعرفون كل النبوات المختصة بالرجوع الى بلادهم ، إذ أن هذه النبوات كثيرة وعديدة جدا ، ولم نذكر منها هنا إلا البعض القليل . على أن البعض من هذه النبوات كان معروفا ولو بطريقة جزئية وغير كاملة ، خاصة النبوات التى كان ينطق بها الأنبياء شفويا ، أو بطريقة مباشرة كعظائم مثل عاموس ، هوشع ، إشعياء ، ميخا ، إرميا . . فمن هذه النبوات اكتشف المسيحيون أن الله سيفتقد شعبه بارساله مخلصا لهم . وكما سبق القول فإن الأنبياء الذين تكلموا عن هذا المخلص وصفوه بأنه سيكون رئيسا يختلف اختلافا كليا وجزئيا عن كل الرؤساء والملوك الذين سبقوه في اسرائيل ويهوذا . (إشعياء ٩ : ٦ ، ٧ ، ١١ : ١ - ١٠) في عهد هذا الرئيس أو الملك سيكون السلام سائدا بطريقة لم يسبق لها نظير .

على هذه النبوات ثبت البعض من المسيبين أنظارهم وكأنها شعاع نور فى ليلة مظلمة ، غير أن البعض الآخر من هؤلاء المسيبين شطوا بعيدا عن روح النبوات المقدسة ، فقد انتظروا مخلصا ومسيا سياسيا لى يخلصهم من السبى ومن الاستعباد .

وهناك فى السبى تتبلور وتكبر فكرة المسيا عند اليهود ، فان فكرة مسيا الرب أو مسيح الرب كانت موجودة ، ولكنها بدأت تأخذ شكلا أكبر فى السبى ، ويمكن أن نقول بأن هذا الانتظار انتظار مخلص يخلص شعبه ، هو نفس الانتظار الذى كان يحلم به اسراييل فى فترة حكم القضاة . فالشعب الذى كان يعيش مهددا من الشعوب التى كانت تحيط به ، كان ينتظر الخلاص من يهوه . وهنا فى السبى ، خصوصا عند المسيبين من مملكة الجنوب (يهوذا) بدأت فكرة المخلص أو المسيا الذى من أصل داود ، تختمر فى أذهان المسيبين : « ويخرج قضيب من جزرع يسي ويذبت غصن من أصوله » (إشعياء ١١ : ١ - ١٠) . هذه الفكرة - فكرة المسيا أو مسيح الرب - التى كانت موجودة عند اليهود قبل السبى كما سبقت الإشارة الى ذلك ، ولدت من جديد فى الوسط اليهودى فى فترة السبى ، وستظل هذه الفكرة مهيمنة على عقول وقلوب اليهود عبر التاريخ . وسنرى فى المستقبل أن فكرة المسيا لعبت دورا كبيرا وهاما فى حياة الأمة اليهودية من الناحية السياسية والاجتماعية .

إن الشعب انسى (خصوصا مسيبي يهوذا) بدأ يفكر بطريقة جدية فى تدخل الرب فى كل ما حدث له . فقبل السبى رفض هذا الشعب أن يستمع لانذارات الأنبياء ، وضرب بها عرض الحائط ، أما الآن بعد أن تحققت كل النبوات التى تنبأ بها الأنبياء فقد عرف الشعب أن مصدر هذه النبوات هو الله وأنه يريد رجوعه وتوحيته ، وفعلا سمع البعض صوت الله الذى كان يكلمهم فى الغربة بطرق متعددة ، فرجع هو أيضا إليهم واستجاب لصلاتهم .

ففى سنة ٥٥٠ ق.م. صار كورش ملكا لفارس ومادى ، وقام بالهجوم على بابل فى سنة ٥٤٠ ، وهذه المدينة القوية الحصون لم تستطع الثبات أمام قوات جيوش كورش أكثر من خمسة عشر يوما فسقطت بابل فى يد ملك فارس ، فى الوقت الذى كانت الآمال والأحلام بالرجوع إلى يهوذا تملأ أذهان وقلوب اليهود فى السبى . ولقد كانت سياسة كورش من الناحية الدينية تختلف اختلافا كبيرا وجزئيا عن سياسة بابل ، فعندما أصبحت بابل تابعة له أصدر منشوره الشهير فى سنة ٥٣٨ ق.م. (انظر القاموس الفرنسى D. B ص ٢٤٧) والذى يتضمن هذا القول : « هكذا قال كورش ملك فارس ، جميع ممالك الأرض دفعها لى الرب إله السماء وهو أوصانى أن أبني له بيتا فى اورشليم التى فى يهوذا . من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ويصعد الى اورشليم التى فى يهوذا ويبني بيت الرب إله إسرائيل . هو الإله الذى فى اورشليم » (عزرا ١ : ٢-٤) .

إن كورش كان ملكا متسامحا من الناحية الدينية مع كل الشعوب والأمم التى كان يحكمها ، وكان لا يعتبر نفسه الغازى المنتصر على الشعوب التى دخلت تحت سلطانه ، بل كان يعتبر نفسه المحرر لهذه الشعوب . ولذلك فقد ترك للكثير من هذه الشعوب حرية تقرير المصير . ولقد ظهر كورش على المسرح السياسى فى الوقت الذى كان فيه يتحرق البعض من اليهود شوقا للعودة إلى بلاد يهوذا . ولذلك فقبل أن يصل إلى بابل ويستولى عليها يكتب عنه إشعياء هذه الكلمات : « هكذا يقول الرب » لمسيحه « لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما وأحقاء ملوك أهل لأمتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق . وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل . لأجل عبيدى يعقوب وإسرائيل مختارى دعوتك باسمك ، لقبتك وأنت لم تسمع فنى » . (إش ٤٥ : ١ - ٤ ،

٤١ : ٢ - ٤٠ ، ٢٥) • ثم يقول أيضا : « القسائل عن كورش راعى فكل مسرتى يتمم ويقول عن اورشليم ستبنى وللهيكل ستؤسس » (إش : ٤٤ : ٢٨ و ٢ آخ ٣٦ : ٢٢ ، ٢٣) •

وهنا يدرك إسرائيل فى غربته أن كل ما حدث لهم قبل السبى وفى أثنائه ، لم يحدث لهم عفوا أو عن طريق الصدفة ، بل إن يد الله القدير كانت وراء هذه الحوادث ، فهو الذى أرسل الأثوريين بجيوشهم على السامرة فخربوها ، وهو أيضا الذى أرسل نبوخخذ راصر على اورشليم فقلبها رأسا على عقب لأنهم تركوا السيد وحفروا لأنفسهم آبارا كثيرة لا تضبط ماء كما يقول النبى المعاصر لسبى يهوذا : « لأن شعبى عمل شرين ، تركونى أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آبارا آبارا مشققة لا تضبط ماء » (ار ٢ : ١٣) • وهو أيضا نفسه الذى يسخر كورش ملك فارس لكى يصدر هذا القرار الشهير المختص بعودة الذين يريدون العودة إلى اورشليم لأن « قلب الملك فى يد الرب كجداول مياه حيثما شاء يميله » (أم ١ : ٢١) • ولم يدرك هذا الأمر إلا عدد قليل جدا من الشعب المسبى ، أولئك الذين كانت لهم العيون المفتوحة فاستطاعوا أن يروا يد الله خلف كل هذه الأحداث : « خراب السامرة وأورشليم ثم ظهور كورش على المسرح السياسى العالمى ، وقراره بعودة اليهود إلى بلادهم • لقد استطاعوا أن يفهموا ولو جزئيا بأن الله كان يكلمهم بطرق كثيرة » (عب ١ : ١) •

ومن هؤلاء الذين كانت لهم العيون المفتوحة والأذان الصاغية لصوت الله : زربابل من شالنتيل وهو من نسل يهوياكين الملك (أى ٣ : ١٦ - ٢٠ وعزرا ٣ : ٢ وحجى ١ : ١ ومتى ١ : ١٢) •

فإن كان الله يسخر الملوك لكى يصدروا قراراتهم لتنفيذ إرادته فهو يستخدم أيضا عبيده لقيادة هذا الشعب روحيا وسياسيا • إن

الذى يقود هذا الشعب ليرجع به إلى أرض الموعد يجب أن يكون من هذا الشعب . فقد كان موسى الذى أخرج شعبه من مصر من هذه الأمة ، وهو أيضا الذى تنبأ فقال : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) ، فمع أن هذه النبوة تشير إلى النبي الأعظم ، المسيح ، إلا أن الكثيرين رأوا فيها إشارة إلى زربابل ، خصوصا أن زربابل الذى كان ينتظر بدون شك بفارغ الصبر ، فرصة الرجوع إلى أرض يهوذا ، انتهر فرصة هذا القرار الصادر من الملك كورش و قام فوراً بتظيم قافلتين للراغبين في الرجوع . والقافلة الأولى غادرت بابل في سنة ٥٣١ ق.م ، والقافلة الثانية غادرت بابل أيضا في سنة ٥٢٢ ق.م . وعندما وصل هؤلاء المسييون وعلى رأسهم زربابل إلى اورشليم ، بدأوا حالا في إقامة مذبح الرب و إصلاح الهيكل الذى دشن في سنة ٥١٥ ق.م . (انظر القاموس الفرنسى ص ٥٤٣) . ولأجل هذا فقد رأى فيه بعض العائدين من السبى (نوعا من المسيا) . أما الأنبياء فقد شجعوه وأيدوه بقوة وحماسة ، فزكريا يقول : « من أنت أيها الجبل العظيم أمام زربابل تصير سهلا . . . إن يدى زربابل قد أسستا هذا البيت فيداه تتمانة فتعلم أن رب الجنود أرسلنى إليكم » (زكريا ٤ : ٥ - ١١) . ثم يقول حجي : « فالآن تشدد يا زربابل يقول الرب وتشدد يا يهوئشع بن يهووصادق الكاهن العظيم وتشددوا يا جميع شعب الأرض يقول الرب واعملوا نإنى معكم يقول رب الجنود » (حجي ١:٢ - ٦ ، ١:١ ، ٢:٢١) .

فزربابل يحقق نبوات الأنبياء وآمال الشعب الذى كان ينتظر من مدة طويلة مخلصا يخلصه ويخرجه من أرض السبى «لأنه هكذا قال الرب إني عند تمام سبعين سنة نبابل أتعهدكم وأقيم لىكم كلامى الصالح بركم إلى هذا الموضع » (ار ٢٩ : ١٠) « وأجلب على تلك الأرض كل كلامى الذى تكلمت به عليها كل ما كتب في هذا

السفر الذي تنبأ به إرميا على كل الشعوب (ار ٢٥ : ١٢ — ١٤ ، ٣٣ : ١٠ — ١٨ ، ٢٨ : ٥ — ٦) ، قارن هذا مع (عزرا ٥ : ١٢ — ١٧ ، ار ٣٠ : ١٠ — ١٢ ، ٣٢ : ٣٧ — ٤١ ، ٢٣ : ٥ — ٨) .

وهنا نرى زربابل كما لو كان بذرة زيتون صغيرة تثبت وتكبر ، وتصبح شجرة كبيرة ، تحمل بين أغصانها سلافا واستقرارا لهذه الأمة الباقية الحزينة المشتتة . ولقد بدأت أحلام المسبيين الراجعين إلى يهوذا ، بشأن مخلص أو مسيا تتبلور وتكاد أن تصبح حقيقة واقعة ، عندما ينصب زربابل حاكما على يهوذا : « كلم زربابل والى يهوذا » (دجى ٢ : ٢٠ — ٢٣) . وهكذا أصبح ليهوذا وال وحاكم يهودى ، بعد ما ظلت ما يقرب من سبعين سنة (٥٩٧ — ٥٣٧) تغوص فى بحر من الأمم يحيط بها وتتدمج فيه ويسيطر عليها . وأما الآن فقد تغيرت الأوضاع فمع أن زربابل كان خاضعا للملك كورش فإن هذا الأخير قد أقامه كحاكم مفوض على يهوذا من قبل ملك الفرس .

هذه هى نتيجة القافلتين الأولى والثانية (سنة ٥٣٧ ، ٥٢٢) اللتين قادهما زربابل إلى يهوذا للعودة من السبى . على أننا نلاحظ أنه بالرغم من المجهود الضخم الذى بذله زربابل ورفقاؤه فى اصلاح ما يمكن اصلاحه فى المدينة والهيكل ، فقد ظلت أجزاء كثيرة وعديدة فى المدينة وأسوارها والهيكل فى حالة يرثى لها . فبعد ٩٢ عاما من وصول القافلة الأولى للمسبيين من بابل إلى اورشليم ، وبالتحديد فى سنة ٤٤٥ ق م . جاء إلى شوشن القصر بعض من رجال يهوذا على رأسهم أخو نحميا ، وهذا الأخير سأل عن اليهود وعن أحوالهم فى أرض يهوذا « فقالوا لى إن الباقين الذين بقوا من السبى هناك فى البلاد هم فى شر عظيم وعار . صور اورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار » (نحميا ١ : ١ — ١١) فلما سمع نحميا هذا الخبر المعزن تألم وحزن وبكى .

ولاحظ الملك أرتحتشتا (١) أن وجه نحميا مكمدا ، وسأله عن ذلك فعرّف السبب . وطلب نحميا منه بأن يذهب إلى اورشليم لكي يقوم ببناء هذه المدينة . وبعد صلاة وصوم (نحميا ١ : ١ - ١١) قام نحميا برحلته الأولى إلى اورشليم سنة ٤٤٥ ق.م. (نح ٢ : ١ - ١٩) .

وبعد أن طاف بالمدينة ورأى حالة اليهود المؤلمة المحزنة ، جمعهم وقال لهم : « ... هلم فنبنى أسوار اورشليم ولا نكون بعد عارا وأخبرتهم عن يد إلهي الصالحة علي وأيضا عن كلام الملك الذي قاله لي . فقالوا لنقم ولنبن ، وشدّدوا أياديهم للخير » (نحميا ٢ : ١٧ ، ١٨) . ولقد رمموا أسوار اورشليم (نح ٣ : ١ - ٣٢) وعندما رأى الأعداء نشاطهم قاموا ضدهم وأوقفوهم عن العمل (نح ٣ : ٣٣ ، ٤ : ١٧) ولكن نحميا استأنف نشاطه مع الشعب بعد أن أحبط حيلة الأعداء .

ولم يقيم نحميا بترميم أسوار اورشليم المهدمة فحسب ، بل قام أيضا بعمل إصلاح اجتماعي ، بل يمكن أن نقول : قام بثورة اجتماعية ضد الظلم الاجتماعي الذي كان سائدا . إذ أن عددا من أغنياء اليهود كانوا يستغلون إخوتهم اليهود أيضا بأخذ الربا فطلب المصلح الاجتماعي أن يكف الشعب عن هذا العمل (نح ٥ : ١ - ١٣) . وإن كان نحميا قد قام بدور المصلح الاجتماعي فإنه لم يهمل أبدا الداء الخبيث وهو الحرب ضد الخطية ، وإهمال الناموس ولذلك دعا عزرا الكاتب الكاهن ليقرأ لهم سفر شريعة موسى (نح ٨) وبعد قراءة كلمات الناموس يأتي دور الاعتراف بالخطايا ، فقد اعترف الشعب

(١) يحتفل بأن أرتحتشتا الذي يفكره نحميا هو أرتحتشتا الأول .
ARTAXERXES I LONGUEMAIN

٤٦٥ - ٤٢٥ ق.م. (انظر الناموس الفرنسي ص ٩٥ D. B.) .

بخطيته وأبتعاده عن الله (نوح ٩) ولقد قام نحميا باصلاحات أخرى عديدة (نوح ١٠-١٣) ، لأن الملك عينه حاكما لهذه المدينة (نوح ١٤:٥) ولكن كان عليه أن يرجع إلى شوشن القصر لكى يعطى تقريراً عما فعل في مهمته هذه (نوح ٦:٢ ، ١٣ : ٧ و٦) وبالرغم من المقاومات والمكائد التي حاكها أعداء هذا الرجل المصلح العظيم فقد استطاع أن يواصل البناء .

فقسم الرجال الذين كانوا يعملون معه إلى فريقين ، فريق يبنى والفريق الآخر مسلح يقوم بحراسة الذين يبنون (نوح ٤ : ١٥-٢٣) . وبهذه الحماسة والعزم استطاعوا أن ينهوا بناء أسوار أورشليم المنهدمة في أقل من شهرين .

بعد هذا الإصلاح الخارجى ، بدأ نحميا فى الإصلاح الداخلى : بنهضة روحية فيها تعهد الشعب أن يجدد عهده مع الرب . وعندما جدد الشعب عهده مع الله استراح المصلح فعاد إلى شوشن القصر لكى يعطى تقريراً للملك عما قام بعمله فى أثناء الاثنى عشرة سنة (٤٤٥ : ٤٣٣ ق م) واضطر هذا المصلح أن يرجع ثانية إلى أورشليم بعد أن سمع بأن الحياة الروحية انخفضت وأن الشعب بدأ يبتعد عن الرب . فقام برحلته الثانية فى سنة ٤٢٣ ق م . (نوح ١٣ : ٧ و٦) . (أنظر : القاموس الفرنسى ص ٨٠٦) .

فعندما عاد نحميا إلى أورشليم (٤٢٥ ق م) قام باصلاح دينى جذرى وعميق فى المجتمع اليهودى الذى كان قد اندمج فى المجتمع الوثنى ، الذى كان يعيش فى وسطه . ولقد طالب نحميا الشعب بحفظ ومراعاة التاموس والسبت . ولقد كان هذا الاصلاح شاملا وجذريا لدرجة أنه يقول : « وكان واحد من بنى يوياداع بن الياشيب الكاهن العظيم صهرا لسنبط الحوروتى فطرده من عندي » (نوح ١٣ : ٢٣ —

(٣١) • لقد كان نحميا حازما شديدا فى إصلاحه ، لكى يبنى هذه الأمة المنهدمة روحيا وماديا وأخلاقيا •

لقد لعب نحميا دورا هاما وعظيما فى بناء الأمة اليهودية بعد السبى ، فعن طريق غيرته للرب وحماسه ونشاطه فى العمل والبناء والتجديد استطاع أن يغير شكل المدينة الحصينة والشعب المبتعد المتمرد اليائس فى أحيان كثيرة ، إلى شعب عامل نشط تملأه وتحركه من جديد الآمال المسيانية القديمة المختصة بملك يملك على إسرائيل.

إن هذه الآمال بدأت عندما قام زربابل بقيادة القافلة الأولى للعودة إلى اورشليم (٥٣٧ ق م) ثم تثبتت حينما جاء نحميا ، ورمم أسوار اورشليم المنهدمة (٤٤٥ ق م) • على أن هذه الآمال المسيانية تعمقت واتسعت فى أذهان هذا الشعب عندما قام عزرا بقيادة قافلة كبيرة جدا من المسيبين إلى بلاد يهوذا ، فلقد وصل عزرا الكاتب الكاهن إلى اورشليم على رأس هذه القافلة فى سنة ٣٩٨ ق م • (أنظر القاموس الفرنسى ص ٥٤٣) إن وجود عزرا الكاتب الكاهن (عزرا ٧ : ١١ ، ١٢ ، ٢١ و ٢٢) على رأس هذه القافلة العائدة إلى أرض الموعد يعتبر رمزا روحيا وماديا له قيمته العظيمة • فلقد سبق ورأينا زربابل الذى جاء بالقافلة الأولى والذى أصبح حاكما لأورشليم كان من نسل ملوكى وهذا تحقيق للوعود التى لا تحصى ولا تعد بخصوص ملك داود • وهنا نرى خطوة أخرى تتحقق بمجىء عزرا الكاهن الكاتب لكى يحقق أيضا الوعد الخاص بالكهنوت ، فقد كان عزرا من نسل هارون • إن نحميا بذل جهدا كبيرا يحمده عليه لبناء المدينة المنهدمة ، ثم بذل جهدا جبارا أيضا لكى يدعو الشعب إلى التوبة والرجوع إلى الله ، ولكن هذه المجهودات الكثيرة والجبارة والتى تظهر غيرة الرجل للرب وحماسه ، كانت تحتاج من

الناحية الطقسية إلى الكمال • ولكى تكمل هذه المجهودات يأتى عزرا الكاهن الكاتب لكى يهتم بالناحية الروحية ، فقام بدعوة الشعب إلى التوبة والتقديس (عزرا : ٩) • وهنا يبدأ عزرا عملا مكملا لعمل نحميا ، فالأول بنى الأسوار المنهدمة من الناحية المادية ، والثانى قام ببناء الأسوار المنهدمة من الناحية الروحية •

وهنا تكتمل الصورة المسيانية التى كان يحلم بها المسييون وهم على ضفاف بابل عندما طلب منهم الأعداء أن يرثموا لهم ترنيمة من ترنيمات بلادهم فقالوا لهم : « كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة ، إن نسيك يا اورشليم تنسى يمينى ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك إن لم أفضل اورشليم على أعظم فرحى » (مز ١٣٧) •

والآن لقد رجع عدد لا بأس به من الشعب إلى الأرض التى كان يحلم بالرجوع إليها فهل اتعظوا من هذه الغربة ؟ هل سمع إسرائيل لصوت إلهه فى العاصفة (١ مل ١٩ : ١٠ - ١٨) والشدة والسبى أم سمع لصوت إلهه المنخفض الهادى ؟

إن الله يدعو الانسان فى كل عصر من العصور لكى يعيش معه وبالقرب منه ، وأن يتعبد له وأن يكون أيضا نافعا وعاملا فى المجتمع الذى يعيش فيه ، فهل نسمع صوته عندما يوجه لنا هذه الدعوة ؟

قبل أن أختم هذا الفصل أحب أن ألفت نظر القارئ إلى نقطة هامة : وهى أنه لولا وجود سفرى عزرا ونحميا لأصبح التاريخ المختص بالشعب المختار غامضا وغير واضح فى فترة السبى وما بعدها ، أى من تاريخ سقوط السامرة (٧٢١ ق م) إلى القرن الرابع ق م •

فالبرغم من المشكلات التاريخية والنقد الذى يتعرض له السفران،

فإنهما يقدمان لنا سجلا مفيدا عن شعب الله ، لأن الأنبياء الذين تنبأوا عن السبى والذين عاصروه تكلموا بطريقة نبوية وفي بعض الأحيان تنبأوا وتكلموا بأمثال وألغاز غير واضحة ومحددة ، أما هذان الكتابان فقد قدما لنا سجلا تاريخيا عن تاريخ هذا الشعب في هذه الحقبة من الزمان ، خصوصا عندما يذكران أسماء بعض الملوك والممالك ، الأمر الذى سهل كثيرا عملية البحث لتحديد التواريخ التى جرت خلالها هذه الأحداث .

الفصل الثالث

المطابقون والأهللالم المسانية

في الفصل السابق رأينا كيف أن عناية الاله القدير دبرت أن يكتب سفرنا عزرا ونحميا لكي نستطيع أن نعرف عن طريقهما ما حدث لشعب الله . فإن هذين السفرين يعطيان لنا فكرة عن الفترة التي قضاها الشعب المسبى في أرض السبى ، وما بعد السبى إلى سنة ٤٠٠ ق.م. تقريباً. ومع أن هذه الحوادث التي حاول كتابا عزرا ونحميا شرحها ليست هي كل الحوادث التاريخية ، إلا أنها واضحة وتشمل بعض الحقائق التاريخية الهامة التي بفضلها استطعنا أن نعرف ما حدث لهذا الشعب في هذه الحقبة من الزمن . فلو كنا لا نملك هذين الكتابين لأصبحت هذه الحقبة (من سنة ٧٢١ الى ٤٠٠ ق.م) غامضة أمامنا .

ونحن لانجهل أن كثيرين من المؤرخين والكتاب سجلوا وكتبوا الكثير عن الامبراطوريات وعن الممالك وعن الأباطرة ، وعن الملوك الذين سيطروا وملكوا في هذه العصور . إلا أن هؤلاء المؤرخين والكتاب لم يسجلوا لنا إلا بشع مفرط ما يخص هذا الشعب . ولذلك فإن كتابي عزرا ونحميا لا يعتبران وثائق تاريخية فقط ، قيمتها لا تقدر ، بل يعتبران أيضاً دليلاً ومرشداً للمباحث المؤرخ . لأن أسماء الممالك والملوك والتوازيخ

والأماكن التي يتعرض لذكرها هذان الكتابان ساعدت وتساعد أيضا كثيرا ، المؤرخين والباحثين الذين ينبشون التاريخ بحثا عن الحقيقة التي تخص هذا الشعب .

وما قلناه الآن عن كتابي عزرا ونحميا يمكننا أن نقوله عن كتابين آخرين لعبا دورا هاما جدا ، يشبه إلى حد كبير الدور الذي لعبه كتابا عزرا ونحميا في تاريخ الأمة اليهودية . وقبل أن أذكر اسم هذين الكتابين أحب أن أنبه القارئ إلى أنهما لم يذكر في الكتاب العبري ، ولا في العهد القديم للطبعة البروتستانتية ، ومع ذلك يمكننا أن نقول إنه لولا وجود كتابي الميكابيين الأول والثاني ، لجهلنا حقائق تاريخية هامة جدا مرت بها الأمة اليهودية ، وظهرت في خلالها أحلام وأشواق وأمانى مسيانية دفعت هذا الشعب إلى أن يصارع ويناضل ويقاوم للحصول على حريته واستقلاله .

والذين يدرسون تاريخ الكتاب المقدس يعرفون جيدا ، بأنه توجد فترة ضمت بدأت بنهاية الأنشطة والإصلاحات التي قام بها نحميا وعزرا في القرن الرابع ق . م . ونحن لا نملك إلا معلومات قليلة جدا ومحدودة من الناحية التاريخية عما يخص الشعب اليهودي في الفترة التي تمتد من سنة ٤٠٠ ق . م . إلى سنة ٦٣ ق . م . (سنة احتلال الرومان لفلسطين على يد بومبي) ، ولذلك فإننا نسمى هذه الفترة فترة الصمت . وإن كانت هذه الحقبة من الزمن تدعى في تاريخ الكنيسة المقدسة فترة صمت ، إلا أنها لم تكن فترة جمود في التاريخ . فالعالم يتحرك باستمرار ، بل إنه في تلك العصور كان يتحرك بأسرع من المعتاد . وكان يوجد في ذلك العالم المتحرك شعب ينتظر المسيا . كانت لهذا الشعب آماله وأشواقه ، وكانت له أيضا مشاكله وصعوباته

العديدة ، والكتاب المقدس بدون سفرى الميكابيين الاول والثانى لايعطى لنا أية معلومات عن فترة الصمت هذه .

والتاريخ يسجل لنا حوادث هذه القرون فيعلمنا بأن الفتح الفارسى اكتسح كل الشرق الأوسط تقريبا . ثم على أنقراض الامبراطورية الفارسية الضعيفة المنهارة قامت امبراطورية أخرى فتية قوية هي امبراطورية إستندر الأكبر ، الذى استطاع أن يصل فى غزواته إلى الهند . فهذا الرجل الشاب الذى لم يتجاوز الثالثة والثلاثين عاما (١) ، استطاع خلال هذه الأعوام القليلة أن يبنى امبراطورية عظيمة مترامية الأطراف من اليونان إلى الهند ، وعندما اكتست رأس الامبراطورية اليونانية بالشعر الأبيض وشاخت هى أيضا بدورها ، خرجت امبراطورية أخرى فتية فأزاحت الامبراطورية اليونانية وتربعت مكانها على عروش الممالك الكثيرة الواسعة التى كانت تسيطر عليها هذه الامبراطورية ، ألا وهى الامبراطورية الرومانية ، أما الشعب اليهودى فقد رأى كل هذه التقلبات بل عاشها . وقد سجل لنا المؤرخون ما حدث فى خلال هذه العصور وما حدث فى كل الامبراطورية وكل مملكة فيها . ولكن الكتاب المقدس لم يسجل لنا أى شئ يخص فترة الصمت . وبلا شك ، إن الكتاب المقدس ليس كتاب تاريخ وجغرافيا أو أى علم آخر ، وإن كان فى أحيان كثيرة يكلمنا عن التاريخ والجغرافيا والعلوم الأخرى ، إلا أنه أولا وقبل كل شئ هو كتاب الله ، الذى يكلمنا عن الله . على أن هذا لا يمنع أن الذين كانوا يعيشون فى فترة الصمت كانوا يحتاجون أيضا إلى كلمة الله . والإله الذى لا يمكن أن يترك نفسه بلا شاهد فى أى عصر من العصور لابد أنه أعلن ذاته بطريقة أو بأخرى . وعلى ذلك فإن كثيرين يعتقدون بأن هذه الفترة التى تدعى فترة الصمت لم تكن فى الحقيقة فترة صمت

(١) ولد الاسكندر الاكبر فى ٣٥٦ ق.م.

(م ٥ - تاريخ الفكر المسيحى)

بل فترة صلاة ، وحركة ونضال وحرب وسفك دماء وكفاح ونجاح واستقلال وحرية . هذا هو ما حاول أن يصفه لنا كتابا الميكابيين الأول والثاني .

لقد سبق أن رأينا أن عددا لا بأس به من المسيبين رجع إلى اورشليم وإلى يهوذا ، وبدأوا في إصلاح الهيكل وتقديم الذبائح . وهنا يتحقق الحلم الذي كان يحلم به المسييون (مز ١٣٧) ولكن عندما رجع هذا الشعب إلى بلاده التي نفى منها ، وعندما بدأ في الاستقرار وجد نفسه وسط شعوب كثيرة ومتنوعة وخاصة في السامرة ومدن الشمال التي هجرت في أثناء النسيب الأثوري وامتلات بأعداد كبيرة من جنسيات وبلاد مختلفة . ولقد اندمج شعب السامرة والمدن الشمالية مع الشعوب الأخرى بأكثر سرعة وبأكثر سهولة من شعب الجنوب (يهوذا) . فإن شعب الجنوب (مملكة يهوذا سابقا) حاول بقدر الامكان الانفصال عن الشعوب المحيطة به ، ولكن الظروف التاريخية والتقلبات السياسية وظهور امبراطوريات وممالك على مسرح العالم عرضهم لاضطهادات عنيفة وصراعات حاولت أن تفرض تغييرا جذريا من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية في حياة سكان المنطقة ، ومما لاشك فيه أن كثيرا من هذه التغيرات والقوانين التي فرضها الأباطرة والحكام على الشعوب تتعارض تعارضا كليا وجزئيا مع المبادئ والمفاهيم اليهودية ، ومن هنا بدأ الصراع القديم الجديد الذي يلخص لنا سببه موسى في هذا القول والذي حاول البعض من شعب الله الاتقياء المحافظة عليه ، على مر العصور بالرغم من الظروف المضادة وهو : « أنا هو الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر ، من العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لمن ولا تعبدن » .

(خر ٢٠ : ١ - ٦)

فلقد حاول البعض من الأقلية الموجودة والراجعة من السبى التمسك بالناموس وتطبيقه على حياتهم العملية ، ولهذا فقد تعرضوا لصعوبات كثيرة ومشاكل عديدة ، بل لاضطهادات قاسية ومريرة • ويسجل كتابا المكابيين الأول والثاني سلسلة طويلة من هذه الاضطهادات والمعارك والجهاد • وقبل أن ندخل في بعض التفاصيل المختصة بالصراع والمعارك والحروب التي خاضها هذا الشعب من أجل الحصول على الاستقلال ، يحسن بنا أن ننقى نظرة ولو سريعة جدا على هذين الكتابين •

في الحقيقة توجد أربعة كتب للمكابيين على أن الكتابين الأخيرين لم يعتبرا في أى وقت من الأوقات ككتب أبو كريفية • فهما يحتويان على بعض الأشعار والروايات التي تنقسم بالطابع الخرافى •

كتاب المكابيين الأول :

وهو من الناحية التاريخية ذو أهمية عظيمة ، إذ أنه يعطى لنا حقائق تاريخية موثوق منها ، وإن كانت فيه بعض المبالغات في وصفها • وهو يحتوى على ستة عشر فصلا يقص لنا فيها تاريخ ثورة المكابيين ضد تدنيس الهيكل (الأصحاح الأول) يتكلم الأصحاح الثانى عن ثورة ماتاثياس (MATTATHIAS) والأصحاحات من الثالث إلى التاسع (٢٢:٩) يصف لنا حملات وغزوات يهوذا المكابى • ومن الأصحاح التاسع (٩ : ٢٣ - ٧٣) تكلم عن يوناثان (JONATHAN) وأخيرا من الأصحاح الثالث عشر إلى الأصحاح السادس عشر تكلم عن سمعان • إن هذا الكتاب يعتبر وثيقة ثمينة مكتوبة كتابة حسنة ومفصلة • وهو مكتوب باللغة اليونانية ولكن يحتمل أن الأصل كتب باللغة العبرية في حوالى سنة ١٠٠ ق • م • ويحتمل أن كاتبه فريسي ذو أسلوب سلس •

كتاب الميكابيين الثانى :

والجدير بالملاحظة أن الميكابيين الثانى لايعتبر تكملة للكتاب الأول، إذ أن الميكابيين الثانى كتب قبل الميكابيين الأول، وفى الأصل فإن الميكابيين الثانى عبارة عن كتاب ضخيم يتكون من خمسة مجلدات وقد لخصه لنا فى جزء واحد رجل يدعى (GASON) جازون القيروانى ويحتمل أن جازون قام بعملية التلخيص فى حوالى سنة ١٢٠ ق م م . ويحتوى الكتاب على خمسة عشر فصلا يصف فيها الفترة التى تمتد من سنة ١٧٦ - ١٦١ ق م م . أى أنها فترة أقصر من الفترة التى يغطيها كتاب الميكابيين الأول . ويشدد كاتب الميكابيين الثانى كثيرا على الاحتفال بعيد التجديد (يو ١٠ : ٢٢) ثم أنه يسجل بعض القصص التى يذكرها كاتب الكتاب الأول ، إلا أنه يقص لنا أيضا بعض القصص التى لم يذكرها الميكابيين الأول ، مثل قصة الشهيد العازار معلم الناموس (٦ : ١٨ - ٣١) ثم قصة الشهداء السبعة وأهمهم (٢ ميكا ٧ : ١ - ٤٢) .

والكتابان (خصوصا الكتاب الأول) يصوران لنا الصراع العنيف المرير الذى خاضه هذا الشعب للحصول على الحرية الدينية والاستقلال الوطنى . فان كان هذا الشعب استطاع الرجوع إلى اورشليم ويهوذا وإلى بعض المدن الأخرى فان الظروف التى وجد فيها لم تكن مشجعة له على اقامة الشعائر الدينية . لأن الاحتلال الأشورى : ثم الاحتلال البابلي ، فالفارسي فاليوناني قد تركت طابعا لم يكن من السهل ازالته حيث انتشرت فى طول البلاد وعرضها العبادات الوثنية على اختلافها ، وشيدت فى كل مدن اسرائيل ويهوذا معابد وهياكل لآلهة عديدة وكثيرة . . . وأما ديانة يهوه ، فاضطهدت وضعفت ، بل فى كثير من الأحيان لم تعد كديانة من الديانات الأخرى الموجودة فى البلاد بل أصبحت ديانة مكلفة ، كان ثمنها فى بعض الأحيان حياة الذين كانوا يتمسكون بها ويحيونها

حياة عملية . وبالرغم من هذه الظروف الصعبة القاسية ، وبالرغم من الاضطهادات المريعة العنيفة ، وبالرغم من الصمت القاتل الذي يشبه الموت ، نجد حفنة من الناس لا يريدون الصمت ولا يقبلون الذل والاهانة والخنوع ، فتهد هذه الجماعة القليلة العدد والضعيفة : في وجهه الاستعمار مطالبة ليس فقط بحريتها الدينية ، بل بالحرية الوطنية أيضا . وفي حقيقة الأمر ان الذي قام بثورة الميكابين لم تكن حفنة أو جماعة من الناس بل هو رجل كاهن يدعى متاتياس MATTATHIAS ولعل هذا الرجل الكاهن كان يعرف تاريخ بلاده ، بل أنه عاش جزءا من المأساة . فهو يعرف تاريخ عزرا ونحميا وما عملاه قبل وبعد السبي . وهو يعرف أيضا كيف أن شعوب هذه المنطقة وهم اليهود قد رحبوا بالاسكندر الأكبر بعد أن خابت آمالهم في الحكام السابقين وظنوا بأنه يستطيع أن يمنحهم الاستقلال ، أو على الأقل الاستقرار في بلادهم . ولكن بعد أن مات الاسكندر الأكبر أصبحت فلسطين من جديد فريسة ثمينة يتنازع عليها ثلاثة من جنرالاته وهم انطيخوس وسلوقيوس وبطليموس (ANTIGONE, SELEUCUS, PTOLEME) ولقد مات الجنرال

(ANTIGONE) في معركة (IPSUS) عام ٣٠١ ق م وأصبحت فلسطين خاضعة للسيادة المصرية في حوالي ١٠٠ عام . وبعدها ساعد الفلسطينيون أنطيخوس الثالث على طرد المصريين من المنطقة والحلول محلهم (١) (في سنة ١٩٨) . وفي بداية الأمر كان المستعمر متساهلا ومتسامحا مع المواطنين ، ولكن عندما تولى الحكم ابنه أنطيخوس الرابع ابيفان (٢) الذي سماه السوريون أبيفان أي المختل

(١) انظر Des Prophètes à Jésus : Le Monde Juif vers La temps de Par Guignebert.

الفصل الثالث ص ٣٠ — ٤٣

(٢) لقد ملك أنطيخوس الرابع ابيفان من سنة ١٧٥ — ١٦٤ ق م.

العقل. كان هانتنياس يعرف هذه الحقائق التاريخية كما أنه لا ينسى أبدا ذلك اليوم الذي أرسل فيه أبيفان أنطيوخوس الرابع جيوشه إلى اورشليم فأشاعوا فيها رعبا وخوفا وسلبا وقتلا . بل ان هذا الملك المتجبر لم يكتف بقتل وتشريد الشعب فحسب ، بل قام في عام ١٦٧ ق . م . باجراء عملية تعتبر في عيون اليهود أبشع وأنجس عمالية ، ففي ربيع ذلك العام ١٦٧ ق . م . أمر أنطيوخوس الرابع باقامة تمثال يحتمل أن يكون تمثال جوبيتر الأولمبي JUPITER OLIMPIEN في المكان الذي كان فيه مذبح التقدمة (١ سكا : ١ : ٤١ - ٦٤ ، ٢ ميكا : ٥ : ١ - ١١) وبهذا العمل فقد نجس الهيكل وأهان الإله القدير الذي ليس له شريك أو نظير له . وقد ذكر دانيال هذه الحادثة (دا : ٩ : ٢٧ ، ١٢ : ١١ و متى : ٢٤ : ١٥ و مر : ١٣ : ١٤ ولو : ٢١ : ٢١) . ويعتقد كثيرون من المفسرين بأن نبوة دانيال تحققت في هذه الحادثة ، كما أن بعض المفسرين اليهود يرى أن رجسة الخراب التي يتكلم عنها دانيال لا تشير إلى حادثة تنجيس الهيكل في سنة ١٦٧ فحسب ، بل تشير أيضا إلى ما حدث في سنة ٤٠ م . عندما أحر الامبراطور جاليجولا (GALIGULA) بوضع تمثال في الهيكل . ويحتمل أن السيد كان يتنبأ بحادثة سنة ٤٠ م . بهذا القول : « فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة حيث لا ينبغي . ليفهم القارئ » . (مر : ١٣ : ١٤) .

ولم يكتف أنطيوخوس أبيفان الرابع بأن نجس الهيكل علانية بل أصدر قرارا يمنع فيه اليهود من تقديم الذبائح أو العبادة لله . وكان هدف هذا القرار هو توحيد الديانة ، والقضاء على تنوع الديانات وتكاثرها . ولم يكن هذا الأمر ضد اليهود فقط بل ضد بعض الديانات الأخرى . والمنشور الذي أرسله الملك ينص على أن كل الشعوب الخاضعة له لا تتعبد إلا للاله الذي عينه الملك ، وكل من يتعبد أو يقدم ذبائح لآلهة أخرى يحكم عليه بالموت .

أمام هذا القرار الملكى القاسى انحنى الكثيرون ، ثم هرب البعض إلى القرى والمدن النائية لكي يستطيعوا أن يتمبدوا لله ولو فى الخفية . ومن بين الذين طردوا من أورشليم الرجل الشيخ الكاهن ماتاتياس . فقد ذهب مع أولاده الخمسة إلى مدينة مودين (MODIN) وهى تبعد عن أورشليم بحوالى ستة كيلو مترات : ولكن الأمر الملكى لم يكن مقصورا على مدينة أورشليم ، بل كان أمرا لكل المملكة ، ولذلك فقد جاء بعض الذين كانوا يشرفون على تنفيذ قرارات الملك إلى قرية مودين وطلبوا من شعبها أن يقدم ذبيحة للاله الذى عينه الملك ، وكان ماتاتياس حاضرا وطلب منه رئيس الشرطة أن يتقدم ويقدم الذبيحة فرفض ، فقام شخص آخر يهودى لكى يقدم الذبيحة ، وعندئذ امتلا الرجل الشيخ الكاهن بغيرة تشبه غيرة فينحاس بن العازار بن هرون الكاهن الذى أخذ رمحه وقتل رجلا إسرائيليا اختلط بامرأة أجنبية . (عد ٢٥ : ١ - ١٦ ، تث ١٣ : ١١ - ١٢) .

فعندما رأى ماتاتياس الرجل اليهودى يقترب من المذبح ليقدم ذبيحة للصنم أسرع إليه وخنقه فمات بين يديه . ولما طلب منه مندوب الملك أن يقدم الذبيحة هجم عليه وقتله هو الآخر ، ثم خرج صارخا وهو يقول : « من ليهوه فليتبغنى » والتف حول ماتاتياس جماعة من الناس يزيد عددها على ستة آلاف شخص . (١ ميكا ٢ : ١٥ - ٢٨) . وعندما سمع الملك بهذا الخبر أرسل جيشا قويا لسحق هذه الجماعة العاصية التى هربت إلى الجبل ، وبمكر ، حاصر الجيش هذه الجماعة يوم السبت فرفض اليهود الدفاع عن أنفسهم يوم السبت حتى لا يكسروه ، فهجم عليهم جيش الملك وأهلك معظمهم اذ أنهم فضلوا الموت على أن يكسروا يوم السبت بالدفاع عن أنفسهم (١ ميكا ١ : ٢٩ - ٤١) . ولقد ظن الملك أنه استطاع أن يقضى على الجماعة النائرة بهذه المذبحة الشنيعة ولم يعلم أن دماء هؤلاء الذين سقطوا كانت كالبذور الجيدة التى سقطت على أرض خصبة فأعطت ثمارا كثيرة جدا .

إن الثورة التي قام بها الكاهن ماتاتياس لم تكن إلا بداية لعدة ثورات طويلة ومريعة ومحزنة : كلها قتل وحرب وسفك دماء ، امتدت حتى بداية القرن الأول ق.م. فمن على فراش الموت ألقى ماتاتياس خطابا مماوئا بعبارات التشجيع لدفع أولاده لمواصلة الجهاد من بعده (١ ميكا ٢ : ٤٩ - ٧٠) ، ليحفظ اليهود الناموس ويمارسونه بدقة وأمانة .

يهوذا الميكابي :

كان يهوذا الابن الثالث لماتاتياس الكاهن ، ولقد أعطى له لقب الميكابي الذي يعنى مطرقة . فعندما تولى قيادة الحركة الثورية التي بدأها أبوه ، كانت ضرباته للعدو قاضية كضربات المطرقة . أما ماتاتياس الكاهن تولى يهوذا الميكابي فورا زعامة هذه الجماعة في سنة ١٦٦ ق.م. (١ ميكا ٣ : ١ - ٩) وحاول تنظيم المحاربين وإعدادهم اعدادا كاملا من الناحية العسكرية . ولقد انضم إليه الكثيرون من الذين كانوا يحلمون بتحرير أورشليم ، ثم تحرير اليهودية من القوانين التي فرضت عليهم . وكيف لا ينضم إليه عدد كبير من اليهود وقد ذاقوا الاضطهاد والحرمان وتاقوا إلى الحرية . إن الأوامر التي أصدرها الملك ضد اليهود كانت تحرم عليهم ليس فقط العبادة لله بل عدم ممارسة أي طقوس أو شرائع دينية . فقد صدر أمر بعدم ختن الأطفال، والأم التي تختن ابنها يعاقب طفلها على رقبتها ويساق الإثنان إلى جبل عال حيث تطرح الأم مع طفلها المختون (٢ ميكا ٦ : ١٠ - ١١) لكي تكون مثالا وعبرة لكل أم أو أب جرىء يتمسك بديانته .

ولقد أرغم اليهود أيضا على أكل الخنزير، ومن كان يعصى أمر الملك فالمرت عقابه (٢ ميكا ٦ : ١ - ٣٠) كان الشعب مهددا في حريته ، ولهذا السبب عينه التف الكثيرون حول يهوذا الميكابي ، وكان هدفهم هو ليس فقط تحرير أورشليم المدينة الغالية على قلوبهم ، بل أيضا الحصول على

الحرية الكنيئة التي عن طريقها يستطيعون ممارسة شعائهم الدينية
(٢ ميكا ٧ : ١ - ٤١) •

ولا ينسى اليهود المحافظون أبدا اليوم الذي تجرأ فيه أنطيوخوس الرابع ليس فقط غنى إرسال رسائل إلى كل بلاد اليهودية أمرا فيها بالغاء عبادة يهوه ، ثم الاحتفال وتقديم الذبائح والعبادة للاله زايوس الألومبي (ZEUN CLYMPIEN) وهو اله كوني - للكون كله. «COSMIQUE» واله خاص للملك) ، بل لا ينسون أيضا يوم ٧ ديسمبر ١٦٧ ق م • عندما أمر الملك باقامة تمثال الاله جوبيتر الألومبي في نفس المكان الذي كان فيه الهيكل • وتلت هذه العملية موجة عاتية قوية من الاضطهادات ضد اليهود والناموس (١ ميكا ١ : ٢٩ - ٦٤) ، لذلك فان اليهود المحافظين على الناموس والمتمسكين بالعبادة لله ، رأوا في يهوذا الميكابي مخلصا ومحررا على نمط دبوره وجدعون ويفتاح وشمشون ، فجاءت إليه جماعات كبيرة ، ومنها كون جيشه • ولما رأى القادة اليونان أن الجيش اليهودي يقوى ويعظم ، هاجموا عدة مرات ، ولكن في معظم هذه المناوشات والحروب كان النصر حليف الشعب المختار (١ ميكا ٣ : ٣٨ - ٤ : ٣٦ ، ٢ ميكا ٨ : ٨ - ١٥ ، ٨ : ١٦ - ٢٣ ، ١١ : ١ - ١٢) •

وبعد هذه الحروب والانتصارات المتوالية التي حصل عليها شعب انيهود ضد جيش أنطيوخوس الرابع ، قرر يهوذا مع اخوته أن يصعد إلى اورشليم لكي يحررها ويطهرها (١ ميكا ٤ : ٣٦ - ٦١ و ٢ ميكا ١ - ٢ ، ١٠ : ١ - ٨ و ١٠ : ٢٢) فجاء بجيوشه إلى اورشليم ودخلها واستولى عليها ، وعندما رأى يهوذا والمخاربون معه حالة الهيكل مزق الرجال ثيابهم وبكوا بكاء عظيما ، لأن هيكل الرب أصبح كمغارة لصوّن قبدأوا فوراً في تنظيفه واصلاحه

وبنيان ما تهدم منه ، واشتروا أواني أخرى لخدمة الهيكل غير التي أخذها الملك أنطيوخوس . ولقد قام الجيش المنتصر أو بالمعنى الصحيح الجماعة التي أخذت على عاتقها مسئولية تحرير وتطهير الهيكل ، بتنظيف ، وترميم وإعداد الهيكل والمدينة ، فهدموا المذابح الوثنية التي كانت تحيط بالهيكل وكسروا التماثيل التي أمر بإقامتها الملك أنطيوخوس الرابع ، وقلعوا الأشجار والشجيرات التي نمت حوله . وبعد أن قاموا بعملية الهدم والبناء والتطهير ، طلب يهوذا الميكابي من بعض الكهنة الذين ظلوا متمسكين بالناموس والوصايا ولم تغرهم الوعود ولم يرعهم أى وعيد ، ضلب من هؤلاء الكهنة أن يقوموا بالخدمة في الهيكل (١ ميكا ٤ : ٣٦ — ٦١) .

وفي ١٤ ديسمبر سنة ١٦٤ دشن الهيكل رسميا وقدمت عليه ذبائح بعد أن انقطع تقديمها ثلاث سنوات . ومنذ ذلك اليوم الذى دشن فيه الهيكل الذى يسميه يوحنا بعيد التجديد (يو ١٠ : ٢٢) ويسميه اليهود بعيد الحانوكا (HANOUKAH) واليهود يحتفلون بهذا العيد كل عام لأنهم يعتبرونه عيداً عظيماً (١ ميكا ٤ : ٥٩) . وانجيل يوحنا يدعو عيد التجديد (يو ١٠ : ٢٢) لأن اليهود استطاعوا أن يجددوا الهيكل ، ليس فقط الهيكل المنسهدم المتروك ، بل أن يجددوا أيضاً عهودهم مع يهوه ، (٢ ميكا ١ — ٢) . وفي التاريخ اليهودي لا يقل عيد التجديد هذا أهمية — ان لم يكن أعظم — عن اليوم الذى فيه رجع المسبيون من السبي وبدأوا فى بناء أورشليم وأسوارها وهيكلها متعهدين أن يسيروا بحسب ناموس ووصايا الرب ، فإن يوم التدشين يشبه إلى حد كبير اليوم الذى وقف فيه عزرا الكاهن الكاتب لكى يقرأ على مسامع الشعب سفر شريعة موسى التى أمر بها الرب إسرائيل ، لقد كان هذا اليوم يوم شكر وتوبة ، وتجديد عهد (نحميا ٨ : ١ — ١٨) .

ومن الملاحظ أن كتابي الميكابين الأول والثاني يشددان كثيراً على

التمسك بالناموس • وهذا واضح كل الوضوح في الثورة التي قام بها الميكابيون والتي كان هدفها ليس فقط تحرير البلاد من الأجنبي ، بل تطبيق الناموس تطبيقا عمليا في حياة الشعب • ولهذا السبب قبل كثيرون من اليهود الاضطهاد والموت بشجاعة منقلعة النظير ، عندما حاولت السلطات المحلية ارغامهم على كسر أو تعدى الناموس (٢ ميكا ١٨:٦ — ٣١ ، ٦ : ١ — ٤١) • بل إن اليهود الذين كانوا يتبعون يهوذا في حركته الثوريه ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فعندما كانوا يقومون بالهجوم على المدن والقرى كانوا يقتلون الوثنيين وبعض اليهود الذين اندمجوا مع الوثنيين وتعودوا عوائدهم وتقاليدهم (١ ميكا ١ : ٢٤ ، ٣ : ١ — ٩) ضاربين عرض الحائط بالشريعة والناموس • فقد كان الناموس وتطبيقه يحتلان المكانة الأولى في فكر هذه الجماعة • ولقد نادى ماتاتياس الكاهن بهذا الأمر كل حياته بل وفي ساعاته الأخيرة وهو على فراش الموت ، حث أولاده على متابعة الجهاد ضد أعداء الناموس والشريعة (١ ميكا ٢ : ٤٩ — ٦٤) • كذلك الذين صعدوا إلى اورشليم مع يهوذا لتحريرها في سنة ١٦٤ ، كانوا مشبعين بهذه الفكرة عينها ، وهي المحافظة على الناموس والعمل على تطبيقه بأية وسيلة وطريقة •

ولهذا السبب عينه كان الكثيرون من اليهود ينظرون إلى يهوذا — الذي حاول ويحاول الآن وخاصة بعد عيد التجديد — بعين الرضا والابتهاج بل أن البعض كان يرى فيه نوعا من المسيا ، مع أن فكرة المسيا في هذا الوقت كانت باهتة وغير واضحة ، إلا أنها كانت منتشرة بين العامة • ولذلك فبعد عملية تطهير الهيكل وتدشينه أصبح يهوذا الميكابي بطلا له شعبيته العظيمة وشهرته الكبيرة •

إلا أن شهرة يهوذا هذه أثارت الحقد والضغينة في قلوب أعدائه، فإن كان البعض من اليهود المحافظين رأوا فيه بطلا وربما بطلا

(مسيانيا) ، كانت الدول التي تحيط بهذا الشعب ترى فيه منافسا بل مخربا لسلطانها وقواتها . ولذلك فقد تحالفت بعض الدول ضده لكي يكسروا شوكته ويحطموا قسوته ويحولوا نصرته إلى هزيمة (١ ميكا ٥ : ١ - ٦٨ ، ٢ ميكا ١٠ : ١٤ - ٣٣ ، ١٢ : ١ - ٣١ ، ١٢ : ٣٢ - ٤٥) وفي هذه الفصول نرى الحروب العنيفة التي خاضها هذا الشعب ، والمؤامرات التي حيكت ضد يهوذا وضد اليهود للقضاء عليهم جميعا ، ولكن هذا القائد لم يعبأ بتهديدات المهددين ولم ينخدع بوعود الواعدين الكاذبة ، وكل تحالفات المتحالفين ضده لم تكن عزمه لحظة واحدة ولم ترحزحه عن موقفه قيد أنملة .

ويقدم لنا سفر الميكابيين صورة رائعة ليهوذا المحارب المناضل ، ليس فقط ضد الملك وقواته وجيوشه الضخمة ، وضد الأمم التي تحالفت ضده بسبب الغيرة والحقد ، بل يقدمان لنا أيضا صورة نضاله ضد اليهود أنفسهم ، الذين كانوا يرون في الحركة الثقافية اليونانية ، التي نادى بها السلطات اليونانية نوعا من التمدن (MODERNISME) وكانت هذه دعوة إلى تعميم اللغة اليونانية كلغة عامة ، وسنرى فيما بعد كيف أن هذه الروح : أى إتباع ما هو عمري وجديد ، وترك ما هو قديم ، ستسود على كثيرين من اليهود وستكون أيضا سببا في إلتسامهم وفي إثارة الحروب بينهم وبذلك يرجعون إلى النقطة التي بدأ بها جدارهم رجبام ويربعام .

على أية حال فإن يهوذا الميكابى قد ناضل ليل نهار لكي يجمع الشعب المتفرق المشتت وأن يوحد صفوفهم وهدفهم ، ويمكن أن نقول إنه نجح إلى حد بعيد في بث الروح الوطنية في هذا الشعب وإنه خلق منه من جديد شعبا واعيا ولو جزئيا لمسؤوليته الوطنية .

فقد ثابر يهوذا على العمل في بنيان هذه الأمة بالرغم من كل الصعوبات الخارجية والداخلية التي واجهته ، واستطاع في سنوات قليلة جدا أن يكون جماعة لها وزنها وكيانها ، بل رأى أيضا بعينيه سقوط ممالك ورؤساء أقوى منه وأعظم ، ثم رأى أيضا اختفاء ملوك وعظماء من على خشبة مسرح التاريخ ، فقد مات الملك أنطيوخوس الرابع ، العدو اللدود للأمة اليهودية ، الملك الذي حاول جاهدا أن يلاشي هذه الأمة باللهها وديانتها وثقافتها من الوجود ، مات كما يصوره لنا الميكانيون الأول غريباً بعيداً عن وطنه (١ ميكا ٦ : ١٤ ، ٦ : ١٧-١٧) ومريضاً متألماً ، تركته حاشيته كما يعرفنا بذلك الميكانيون الثاني (٢ ميكا ١ : ١١ - ١٧ ، ٩ : ١٠ - ١٤) ويعتقد أن الملك أنطيوخوس الرابع أبيضان مات في سبتمبر أو في أكتوبر سنة ١٦٤ ق.م. ولم ير تدشين الهيكل كما ظن البعض خطأ حيث أن تدشين الهيكل تم في ١٤ ديسمبر سنة ١٦٤ بعد موت الملك أنطيوخوس الرابع .

في بداية عهد أنطيوخوس الخامس كانت الحروب مستمرة بين إسرائيل وبين الأسرة الحادية الأنطيوخوسية، نجد أن جيش هذه الأخيرة هاجم عدة مرات جيش يهوذا ولكنه رجع على أعقابيه مقهوراً مكسوراً (١ ميكا ٦ : ١٨ - ٥٤ ، ٢ ميكا ١٣ : ١ - ٢٣) مما اضطر معه الملك أنطيوخوس الخامس إلى أن يمد يد المصالحة لأعدائه وأن يعترف لهم بحقوقهم الدينية التي كانوا يطالبون بها ويبدلون من أجلها دماءهم، فمنح أنطيوخوس الخامس اليهود حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية (١ ميكا ٦ : ٥٥ - ٦٣ ، ١١ : ٢٢ - ٢٦ ، ١٣ : ٢٦، ٢٣) .

إلا أن فترة السلام التي وعد بها أنطيوخوس الخامس لم تستمر طويلاً وكانت كأنها طفل صغير مات في مهده قبل أن يعرف الخير أو الشر . لأن الملك أنطيوخوس الخامس قد اغتيل على ما يجتمل في سنة

١٦٣ • وخلفه ديمتريوس الذي توج ملكا في سنة ١٦٢ وظل على العرش إلى سنة ١٥٠ ق.م. (١) • وعندما قبض الملك ديمتريوس على زمام الحكم شن حربا شعواء ضد اليهود • بل أن بعضا من اليهود أنفسهم ، خصوصا الثراغبين في الحصول على مراكز هامة ، في الدولة (كرئيس للكهنة ألياقيم) وشوا بيهودا لدى الملك ، فأرسل الملك عدة حملات عسكرية هجمت على يهوذا ، وكل ما حصلت عليه في النهاية — بالرغم من بعض الانتصارات القليلة جدا التي لا قيمة لها — هو الانكسار والتقهقر أمام جيش يهوذا (١ ميكا ٧ : ١ — ٥٠ و ٢ ميكا ١٤ : ٥ — ٣٦) ولقد أدت هذه الانتصارات التي حازها يهوذا وجيشه إلى تثبيت سلطته وتدعيمها واتساع شهرته وتقويتها فأصبح يهوذا ، في المنطقة قائدا وزعيما مطروق الباب يرى فيه الشعب المظلوم والمغلوب على أمره مخلصا •

معركة بئر زيت وموت يهوذا :

رأينا فيما سبق الانتصارات العديدة والعظيمة التي حازها يهوذا في أثناء السبع السنوات التي كون خلالها جيشا لاسرائيل وتزعم قيادته • إن شهرته لم تكن قاصرة على منطقة فلسطين فحسب ، بل طار صيته إلى روما فأرسل إلى مجلس الشيوخ الروماني لكي يخلق ويكون علاقات بين شعبه وشعب روما • وكان رد فعل روما على هذه المبادرة ردا إيجابيا مشجعا (١ ميكا ٨ : ١ — ٣٢) ولكن الذي عمل أكثر على إتساع شهرته ، هو انتصاره العظيم على القائد المحنك نيكانور (NIKANOR) فكسر شوكتة وحطم جيشه وقطع لسان هذا القائد وأعطاه لطيور السماء وقطع يده التي إمتدت مهددة الهيكل بالهدم

(١) انظر القاموس الفرنسي D. B. ص ٢٦٤ — ٢٦٥.

وأخيرا علق جسده أمام الهيكل (١ ميكا ٧ : ٣٩ — ٢٠٥٠ ميكا ١٥ : ١ — ٣٦) .

وعندما سمع ديمتريوس الملك بهذا الخبر المفجع امتلأ غيظا وغضباً وثار ثورة عارمة طالبا الانتقام العاجل السريع من يهوذا . فأرسل إلى اورشليم أولا جيشا عظيما ، وتحولت هذه الجحافل الضخمة المحاربة في شهر أبريل ومايو سنة ١٦٠ ق.م . إلى بئر زيت ، وكان تعداد جيش الملك حوالي ٢٢٠٠٠ جنديا وجيش يهوذا ثلاثة آلاف من المختارين . وعندما رأى يهوذا والرجال الذين معه الجيوش المعادية ذابت قلوبهم وخارت قواهم وانكسرت روحهم . لقد حاول الذين معه أن يثبطوا عزيمته حتى يعدل عن الدخول في الحرب وعن مواجهة جيش العدو الضخم ، بعدد قليل جدا . « فقال لا يمكن أن يقال عنى فيما بعد بأننى اخترت الهروب ، لنمت بشجاعة لأجل اخوتنا ولاننشوه مجدنا » (١ ميكا ٩ : ١٠) وعندما رأى الإسرائيليون جيش العدو الضخم لم يبق مع يهوذا إلا ثمانمائة رجل ، ودخل يهوذا الحرب بهذا العدد القليل ومات موت الأبطال . فجاء أخواه يونانان وسمعان وحملاه الى مقبرة آبائهم في مودين ، حيث بكاه الشعب بمرارة وحزن . وكان الشعب يصرخ قائلا : « كيف سقط البطل الذى كان يخلص إسرائيل » (١ ميكا ١٩ : ٢١) . إن هذه الجملة لها معناها في تاريخ الأمة اليهودية وخاصة فيما يتعلق بالآمال المسيانية . لقد سقط الرجل الذى علق عليه الكثيرون آمالهم لكي يخلصهم من الاستعباد اليونانى . ولذلك صرخوا والالام يعصر قلوبهم قائلين : « كيف سقط البطل الذى كان يخلص إسرائيل » (١ ميكا ٩ : ١ — ٢١) .

يونانان :

بعد أن اختفى البطل المحارب يهوذا في سنة ١٦١ — ١٦٠ ق.م . أصبح هذا الشعب فريسة شهية تتقضم عليها وحوش البرية وطيور

السماء • فبدأت من جديد الاضطهادات في المدن وفي القرى • ولقد ترعم هذه الحركة بكيدس (BARKIDES) الذي قام بحملة شاملة ضد اليهود هادفا منها ملاحشة اليهودية من الوجود • ولقد مر أتباع يهوذا في فترة مؤلة عصية (١ ميكا ٩ : ٢٣ — ٢٨) •

فاجتمع أصدقاء يهوذا وجاءوا الى يونانان أخى البطل الوطنى الراحل وطلبوا منه أن يتولى القيادة وأن يكون رئيسا لهم • فقبل يونانان وأصبح قائدا لهذا الشعب في سنة ١٦٠ ق.م •

كان يونانان سياسيا أكثر منه حربيا ، فمع أنه اضطر أن يستعمل العنف وأن يخوض بعض المعارك الحربية نكى يدافع عن الشعب ، إلا أنه تفوق في مجال السياسة أكثر منه في ساحات انقتال ، فقد كان سياسيا محنكا ودبلوماسيا بارعا • وبالرغم من ذلك فقد استطاع أن يضرب بشدة وبقبضة من حديد على الأيدي التى كانت تمتد من كل ناحية للاستيلاء على هذا الشعب واستعباده واستغلاله • فقد استطاع أيضا أن يهزم بكيدس وجيشه وأن يحرر إخوته من سلطانه واضطهاداته (١ ميكا ٩ : ٤٣ — ٥٧) خصوصا عندما تأمر بكيدس مع بعض حلفائه لآبادة يونانان وأتباعه والقضاء عليهم قضاء نهائيا ، فلم تكن نتيجة هذه المؤامرة إلا هزيمة مريرة للجيش اليونانى وحلفائه •

ولقد بدأ نجم يونانان يلمع في الأفق بعد هذه الانتصارات العسكرية العظيمة ولجذا فقد نظر إليه قادة المنطقة من ملوك وعسكريين بشيء من الغيرة والاعجاب والتقدير • وكرجل سياسى ودبلوماسى انتهر يونانان الفرصة الذهبية التى سنحت له ، وهى فرصة الانقسام الذى كان يسود رؤساء المنطقة • ففي ذلك الوقت كانت آسيا كحقيل واسع يتكالب عليه الكثيرون من كل ناحية ، ولقد حاولت الدول التى

كانت تريد أن توسع تخومها وأملاكها استخدام إسرائيل كطعم للصيد ، فقد كان يتصارع على السلطة كل من ألكسندر بالاس المغامر والسذى كان يدعى بأبيه ابن أنطيوخوس أبيفان لتشابهه به (١) ، ثم الملك ديمتريوس من ناحية ، ومن الناحية الأخرى كان الرومان ينظرون إلى المنطقة كلها بنهم وشغف . ولذلك فقد حاولت كل جهة من هذه الجهات أن تستغل إسرائيل للاستفادة منها . وإسرائيل بدورها ، وعلى رأسها الرجل الدبلوماسي الماهر يوناثان ، أرادت هي أيضا استغلال الموقف والاستفادة منه للحصول على الاستقلال والحريّة . وأول من أراد استغلال هذا الموقف هو الملك ديمتريوس عندما رأى أن جيش الكسندر بالاس قد وصل إلى المنطقة ، فقد كتب خطابا رقيقا مملوءا بالمواعيد التي يحلم بها شعب إسرائيل ، وعندما علم بذلك الملك ألكسندر بالاس أسرع هو الآخر بإرسال رسالة أرق ومواعيد أكثر وامتيازات أعظم .

ومن هذه الامتيازات أن الملك ألكسندر سيعين يوناثان رئيس كهنة ويعتبره صديقا له ، ولقد ألبس يوناثان الملابس الكهنوتية في ٢٥ أكتوبر ١٥٢ ق.م. إلا أن الملك ديمتريوس أرسل مرة ثانية خطابا آخر يتضمن مواعيد لا حصر لها : كإلغاء بعض الضرائب ثم ترك ثلث محاصيل أرضه ونحسف أثمار أشجاره لمساعدة الشعب اليهودي واعتبار أورشليم مدينة مقدسة وبناء على ذلك يجب إعفاؤها من كل الضرائب ، كما أعطيت قلعتها هدية لرئيس الكهنة ومنحت الحرية الكاملة لكل اليهود في كل المملكة مثل حرية العبادة وحرية العمل وحرية الوصول إلى أي مركز في الدولة مهما كان الخ .

(١) انظر المذكرات التفسيرية في ص ٢٠٠٨
Traduction Oecumenique de la Bible Ancien Testament.

(م ٦ - تاريخ الفكر المسيحي)

بالرغم من هذه المواعيد الكثيرة التي لم نذكر منها إلا القليل جدا ،
قرر الشعب ويونانان التحالف مع الملك ألكسندر ، لأن الشعب لم ينس
بعد الاضطهادات العنيفة التي ذاقها على يد الملك ديمتريوس .

ونشبت الحرب بين ألكسندر وديمتريوس وانهزم الأول واضطر
إلى الهروب . على أن ديمتريوس لم يتمتع بهذا النصر طويلا لأنه
عندما غربت شمس ذلك اليوم غربت أيضا شمس حياة الملك .

بعد هذه الحادثة نلاحظ تغيرا جذريا في مجرى الأحداث ، فلم
يعد هذا الشعب كرة تتقاذفها الأيدي وتلقى بها حيثما تشاء ، بل أصبح
قويا له جيشه وسلاحه ، حتى وأن لم يكن قد حصل بعد على استقلاله
الكامل ، فإنه كان يسير نحوه بخطوات واسعة وسريعة . وأصبح
يونانان الآن رجلا سياسيا له وزنه وكيانه ، وبناء على ذلك فهو يختار
الحليف والصديق الذي تتفق سياسته ومصالح الشعب . ولذلك نراه
مرة ينضم إلى حزب ألكسندر ومرة أخرى ينضم إلى حزب ديمتريوس
ومرة ثالثة يتحالف مع أنطيوخوس السادس ضد ديمتريوس الثاني
(١ ميكا ١١ : ١ - ١٢ : ٣٦) .

ولكن هذا السياسي المحنك الخبير سقط بسهولة في شباك الصياد
تريفون (TRYPHON) وهو جنرال أنطاكي أرسل إلى يونانان مدعيا
بأنه يقوم بمؤامرة لقلب الملك . وعندئذ ذهب إليه يونانان فاستقبله
استقبالا عظيما وتظاهر تريفون بأنه يريد أن يسلم مدينة بتولمايس
(PTOLEMAIS) وبعض المدن الأخرى ليونانان فاطمئن إليه وذهب
معه إلى هذه المدينة وهناك أغلقت الأبواب عليه وعلى الألف شخص
الذين كانوا معه ولم تفتح إلا لأخراج جثث القتلى . وهكذا سقط عظيم
آخر في إسرائيل سنة ١٤٣ ق.م. كانت عليه تعقد الآمال . كان موت

يوناثان كارثة تجل عن الوصف ، فقد اختفى في الوقت الذي فيه أتاح الفرصة لهذا الشعب أن يثبت وجوده وكيانه وأن يقف على قدميه مرفوع الرأس • إن يوناثان استطاع في الفترة التي فيها قاد هذا الشعب (من ١٦٠ - ١٤٣ ق.م) أن يكون أمة عظيمة • وإن كان قد مات قبل أن يصل بشعبه إلى الاستقلال الكامل إلا أنه بفضل ما قام به من حروب ومحاولات سياسية ودبلوماسية ترك خلفه أمة تسير بخطوات واسعة وسريعة نحو الاستقلال الوطني والحرية الدينية الكاملة ، إذ أنه هو نفسه قد تقلد منصب رئيس كهنة • وهنا نسأل هذا السؤال : عندما عين الملك ألكسندر بالاس يوناثان رئيس كهنة ، هل كان هذا التعيين نجاحا أم فشلا للديانة اليهودية ؟ (١ ميكا ١٠ : ١ - ٢١) • إن الإجابة على هذا السؤال صعبة ، ولكن يمكن أن نقول إن تعيين يوناثان رئيس كهنة يعتبر نجاحا عظيما من الناحية السياسية ، لأن الذي عينه رئيس كهنة للديانة اليهودية هو ألكسندر بالاس الذي كان يدعى بأنه أنطيوخس أبيفان الذي كان يريد أن يلائم الديانة اليهودية من الوجود (١ ميكا ١ : ٤١ - ٦٤) • فمع أن هذا التعيين اعتبر نجاحا سياسيا إلا أنه كان للأسف الشديد بداية للصراع والانشقاق وظهور أحزاب وطوائف في الديانة اليهودية نفسها ، لأن كثيرين من اليهود المحافظين لم يوافقوا على تعيين يوناثان رئيس كهنة ، إذ أنهم كانوا يرون أنه لا يتناسب إلى العائلة الكهنوتية ، وبناء على ذلك لا يحق له أن يكون رئيس كهنة • وقائمة نسب سبط الكهنوت التي تذكرها مخطوطات قمران ، تبين لنا أن ذكر عائلة يهوريايب (عائلة يوناثان) لم ترد إلا بعد وصول هذه العائلة إلى الكهنوت في عصر يوناثان (١) وهذا يدل على إضافة هذه العائلة فيما بعد في الشواهد الآتية

(١) انظر الترجمة المسكونية للكتاب المقدس ص ١٩٨٤ لتفسير (١) ميكا

١٠ : ١

(١ أخ ٢٤ : ٧ ، نحميا ١١ ، ١٢) •

على أية حال فإن جماعة من هذا الشعب لم تقبل أن يكون يونانان رئيس كهنة وهو لا ينتسب لسبط الكهنوت بحسب إعتقادهم ؛ ونتيجة لذلك يظن أن ابن أويناس الثالث الذي كان يجب أن يكون غملا رئيس كهنة لم يقبل هذه الأوضاع ، فنزل إلى مصر وأسس معبداً في ليونتوبوليس (LEONTOPOLIS) أن « سيد البر » ذهب إلى قمران واختبأ هناك (٢) • وسنرى فيما بعد الدور الذي قامت به جماعة قمران عندما نتعرض للكلام عن ذلك •

وهنا نرى أن الرجل الذي استطاع بمهارة أن يكمل عمل أبيه يهوذا في تكريين وجمع الشعب المشتت الممزق ، كان وصوله الى مركز رئيس كهنة السبب في تمزيق الشعب وانقسامه •

سمعان بن ماتاتياس :

عندما وصل خبر ما حدث بين تريفون ويونانان إلى آذان سماعيل ظن هذا الأخير بأن يونانان قد سقط مع الذين سقطوا ولم يعرف إلا مؤخراً بأن أخاه قد قتل فيما بعد على مقربة من باسكاما (BASKAMA) (١ ميكا ١٣ : ٢٠ — ٢٤) • ولذلك فقد قام فور وصول هذا الخبر ؛ بالرغم من الحزن الذي كان يعصر قلبه ، خطيباً في الشعب ومبيناً له ما بذله أبوه ماتاتياس وأخوه يونانان لأجل المحافظة على الناموس وترميم مذبح الرب • ثم وعد بأن ينتقم انتقاماً مريعاً لأخيه من أعداء الشعب • وعندما سمع الشعب هذا الخطاب صرخ قائلاً : « أنت رئيسنا بدل يهوذا ويونانان » (١ ميكا ١٢ : ١ — ١١) فتولى سماعيل بن ماتاتياس وأخوه

(٢) انظر الترجمة المسكونية للكتاب المقدس ص ٢٠٠٨ لتفسير (١ ميكا

١٠ : ٢٠) •

يوناثان قيادة الشعب من هذا اليوم ، وأصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة والكاهن الأعظم لإسرائيل في سنة ١٤٣ ق.م .

إن السفين التي قضاها سمعان مع أخيه يهوذا كمستشار وكمرشد فنى له (١ ميكا ٢ : ٦٥) ومع أخيه يوناثان حيث كان يقوم بعمليات حربية ناجحة ، قد صنعت منه رجلا حربيا ودبلوماسيا يخشى بأسه (١ ميكا ٥ : ١٧ - ٥٥ ، ١١ : ٦٤ - ٦٦) .

فحالما تولى سمعان الحكم أرسل خطابا إلى الملك ديمتريوس الثانى يطلب منه ان يرفع الضرائب عن البلاد لأنها تعرضت لسلب ونهب تريفون . وكان رد الملك ديمتريوس الثانى إيجابيا . وهذا الأمر أى إلغاء ورفع الضرائب عن الشعب كان يعتبر خطوة هامة جدا للتقدم نحو الاستقلال الكامل . وهناك خطوة أخرى خطاها سمعان نحو الاستقلال الكامل لا تقل أهمية عن الخطوة الأولى ، وهى استيلائه على قلعة أورشليم وطرد القوات الأجنبية الرابضة فيها . وبهذا أزاح سمعان الكابوس الذى كان جاثما على صدر أورشليم وصفى الاستعمار اليونانى الذى استغل هذه المدينة حوالى ٢٦ سنة (من ١٦٧ ق.م - ١٤١) . انتشرت أخبار سمعان بسرعة البرق فى البلاد القريبة والبعيدة - حتى أن الرومان كتبوا إليه لكى يجددوا عهد الصداقة الذى قطعوه مع يوناثان أخيه (١ ميكا ١٤ : ١٦ - ٤٩) . وأما اليهود فقد اجتمعوا فى مجمع لكى يقدموا بطريقة عطية شكرهم إلى سمعان وإلى كل عائلته الذين بذلوا حياتهم لأجل حرية البلاد . وفى ١٣ سبتمبر سنة ١٤٠ ق.م . قرر هذا المجمع أن يكرم سمعان وعائلته ، لأنه استطاع أن يواصل بجهد وصبر وحكمة ودبلوماسية الأعمال التى بدأها أبوه وأخواه حتى وصل الشعب اليهودى إلى استيلائه الكامل وجريته التى كان ينشدها من زمن طويل ، والامتيازات التى منحها المجمع لسمعان

كثيرة لذلك سنذكر بعضها على سبيل المثال وليس للحصر : ١ - الاعتراف بأنه الرئيس العام ٢ - القائد الأعلى للقوات المسلحة ٣ - رئيس كهنة مستديم إلى اورشليم إلى أن يأتي نبي لتعيينه (١ ميكا ١٤ : ٤١) •
 ٤ - المسئول الأعلى عن كل الأعمال والإدارات والاجتماعات ... الخ (١ ميكا ١٤ : ٢٥ - ٤٩) •

هذه هي بعض الامتيازات التي اعترف بها مجمع اليهود لسمعان والتي كتبوها على حجر ووضعوها في الهيكل تخليداً وشكراً له ولعائلته •

والقارئ المدقق يلاحظ بأن المادة الخاصة برياسة الكهنة تقول : « وسمعان رئيس كهنة مستديم إلى أن يأتي نبي لتعيينه » • وكما سبق القول إن جماعة من اليهود لم تقبل تعيين يوناثان رئيس كهنة لأنه لم يكن من نسل هرون ، وبما أن هذه الجماعة المجتمعة في مجمع سنة ١٤٠ ق.م. كانت لا تريد كما يبدو من النص توسيع الفجوة بين الذين يقبلون سمعان رئيس كهنة والذين لا يقبلونه فإنها قررت : أن سمعان يعين رئيس كهنة إلى أن يأتي نبي ليعينه أو ليمنحه رئيس كهنة أو بمعنى آخر أن يفصل في أمره « نبي » (١ ميكا ٤ : ٦٤ - أنظر أيضاً قوانين قمران ٩ : ١١ ، يو ١ : ٢١ ، ٢٥ يو ٦ : ١٤) ومن هذا نستنتج أن اليهود لم يكونوا متفقين على أن يكون سمعان رئيس كهنة • ولقد أدى عدم الاتفاق هذا إلى انشقاق ونزاع ، وإلى حرب وانقسام • فما كادت هذه الأمة الممزقة المهددة من الداخل ومن الخارج أن تسترد حريتها الوطنية والدينية ، وتستنشق هواء الحرية العليل حتى تعرضت هي نفسها وحريتها الدينية والوطنية إلى الضياع والهلاك •

إن الجماعة التي لم تقبل بأن يكون يوناثان رئيس كهنة ، ورفضت

بالتالى هذا المركز لسمعان أخيه للسبب عينه ، وانفصلت عن العائلة المالكة وأصبحت طائفة منعزلة داخل إسرائيل نفسه ، وافقت في بادئ الأمر على سياسة الميكابيين الخارجية والداخلية، الا فيما يختص برئاسة الكهنوت التى أسندت إلى شخص على درجة كبيرة جدا من الكفاءة العسكرية والدبلوماسية ، ولكنه لا ينتمى لعائلة هارون ، وبناء عليه لا يمكن أن يكون رئيس كهنة بالرغم من أنه كان من عائلة خادمة للهيكل . إن القانون يحتم بأن يكون القائد الأعلى للدولة الثيوقراطية Théocratique من نسل هارون أخى موسى ولهذا السبب انفصلت هذه الجماعة محتجة على هذا الوضع ولقب تابعوها باسم (HASSIDIM) أى «الأتقياء» (١ ميكا ٢ : ٤٢ ، ٧ : ١٣) . ويبدو أن هذه الجماعة كانت موجودة قبل وجود يهوذا نفسه إذ أن كتاب الميكابيين الأول يتكلم عنها واصفا إياها بالبسالة والشجاعة (١ ميكا ٢ : ٤٢) على أنها لم تظهر على مسرح التاريخ إلا عندما عين يوناثان رئيس كهنة فاحتجت على هذا احتجاجا شديدا وانعزلت عن اليهود . وبما أنهم اعتبروا أنفسهم «إخوة أتقياء» (HASSIDIM) فإنهم لم يشتركوا مع بقية اليهود في الاحتفالات الدينية التى كان يرأسها رئيس الكهنة الغير القانونى بحسب اعتقادهم ، ولكن مع انغزالهم عن بقية المجتمع إلا أنها كانت تعيش فيه وتتعامل معه .

ويبدو أن حادثة تعيين يوناثان رئيس كهنة ولدت حركة أو طائفة أخرى سميت فيما بعد بطائفة الفرنسيسيين (الانفصاليين) أى الذين فرزوا وعزلوا أنفسهم . إلا أن هذا اللقب قد ألصقه بهم أصدادهم . أما هم فكانوا يسمون أنفسهم «الأتقياء» ويظن كثيرون بأنه من هذه الطائفة — طائفة الإنعزالين أو الفريسيين — خرجت طائفة أخرى أكثر تدقيقا وأعظم ترمتا ، فقد اعتقدوا بأن العالم المعاصر وقتئذ ضل الطريق الصحيح السليم فيجب الابتعاد عنه ، فذهبوا إلى وادى قمران

حيث كونوا جماعة تقضى معظم وقتها فى الصلاة والتأمل والانتظار . وهكذا ولدت طائفة أو جماعة الأسينيين الذين كنا نجهل الكثير عنهم قبل اكتشاف مخطوطات وادى قمران ، لأن ما وصل إلينا عن حياتهم ومعتقداتهم كان عن طريق يوسيفوس فلافيوس المؤرخ اليهودى الشهير ثم فيلون الإسكندري وأسابيوس ثم الشيخ بلنوس . ولكن اكتشاف هذه المخطوطات فتح أمامنا بابا جديدا لمعرفةهم ، ولا نريد هنا أن ندخل فى التفاصيل الكثيرة المختصة بعقائدهم وكتاباتهم التى تريد على خمسمائة مجلد، ولكننا نريد فقط أن نلفت نظر القارئ الى أن هذه الجماعة خرجت هى أيضا من جماعة الأتقياء لأنها لم تقبل أن يكون رئيس الكهنة من عائلة غير عائلة هارون . إن الجماعة الأولى التى أفرزت نفسها عن بقية اليهود — والتى ستدعى فيما بعد بجماعة الفريسيين — كانت تعيش فى المجتمع المعاصر حينذاك وتندمج فيه جزئيا ، أما جماعة قمران فقد انسحبت تماما من ذلك المجتمع وذهبت إلى وادى قمران فى صحراء اليهودية تحيا حياة تشبه الحياة الرهبانية فى المسيحية . وإن كانت الجماعة الأولى سمت نفسها بالأتقياء فجماعة قمران تدعى لنفسها بأنها هى البقية الأمانة فى إسرائيل . فذهبت بذلك مذهباً أبعد من الجماعة الأولى فى انفصالها عن الأمة ، ورفضت تقديم الذبائح والاشتراك فى الخدمات التعبدية فى الهيكل لعدم شرعيتها ، لكنها احتفظت بكنيتها المختصين بها ، من البقية الباقية فى إسرائيل ومن نسل صادوق ، لكى يقدموا ذبائح الهيكل بعد تطهيره عندما يأتى اليوم الذى فيه يمسح رئيس كهنة بطريقة طقسية وتقليدية صحيحة . وبما أن هذه الجماعة أرادت أن تحتفظ بقداستها وبرها بعيدة عن العالم والكنة الذين يخدمون فيه غير معترفين لهم بكنوتهم ولا بسلطانهم لأنهم لا ينتمون إلى بيت صادوق الكاهن الشرعى . وبناء على ذلك لا يملكون حق الكهنوت .

ويظن أن عدد الأسينيين قد بلغ حوالى ٤٠٠٠ عضو ، كانت

غالبيتهم في وادي قمران ، ويظن أن بعضا منهم كان في مصر وسوريا . ويحتمل أيضا أن أعضاء هذه الجماعة اضطرت للهروب وتركت وادي قمران بسبب الحروب العنيفة التي شنها الرومان ضد الغيوريين (من ٦٦ — ٧٣ ب.م) والتي انتهت بسقوط أورشليم في سنة ٧٠ ب.م . ولكن من حسن الحظ أن بعضا من هذه الجماعة استطاع أن يخفي بطريقة محكمة وحكيمة جزءا من مكتبة هذا الدير حيث وجد البدوي محمد الديب صدفة بعضا من هذه المخطوطات الثمينة في ربيع ١٩٤٧ عندما كان يبحث عن إحدى نعاجه الضالة في هذه المنطقة ، ومنذ هذا التاريخ والعلماء يدرسون هذه الوثائق التاريخية العظيمة ويحللون النتائج التي يصلون إليها .

ولنترك الآن هذه الطوائف الدينية ولنرجع إلى سمعان الذي لم يحصل على لقب ملك إلا أنه حصل على حق ضرب نقوده الخاصة ببلاده ، فتمتع الشعب في فترة حكمه بسلام لم يعرف له نظيراً إلا في أيام سليمان ، عندما كان يستعمل كاتب الميكابيين الأول التعبير الكتابي القديم والعزيز على قلب هذا الشعب ألا وهو : « واستراحت الأرض في أيامه » وقد كان كل فرد مشغولاً بزراعة أرضه الخصبة المثمرة . وكان الشيوخ يجلسون معا يقصون قصص النجاح والفلاح والخصب والإثمار في هدوء وسلام . (١ ميكا ١٤ : ١ — ١٥) . نعم كانت البلاد تتعرض من وقت لآخر لبعض هجمات من الأعداء ، ولكن سمعان كان يصددهم صدا عنيفا ويرغمهم بقوة جيشه على الرجوع إلى بلادهم (١ ميكا ١٦ : ١ — ١٠) . وقد اعتبرت هذه الحقبة أعظم الحقبات وأمجدها في تاريخ إسرائيل بعد حكم سليمان . وسنرى فيما بعد كيف أن الشعب اليهودي نظر إلى عصر الميكابيين كمصر مجد عظيم لا يفوقه في المجد إلا عصر داود وسليمان . ورغم أن اليهود يبالغون كثيرا في وصف عصر الميكابيين ، إلا أن هذه الحقبة تعتبر حقيقة حقبة مجد في تاريخ

هذا الشعب ، ويرجع الفضل في ذلك إلى عائلة يهوذا الميكابي ويوناثان وسمعان خصوصا أنه في عهد هذا الأخير نالت البلاد إستقلالها وحريتها الدينية والوطنية ، بفضل جهاده وصبره وكفاحه . ولقد كانت خاتمة حياة سماعيل كأخويه السابقين أى الموت في سبيل الوطن . ولكن موته يشبه إلى حد كبير موت أخيه يوناثان الذي قتله تريفون بحيلة وبمكر . فقد كان زوج إبنته بطولى أبو باس (PTOLEMEE ABOU BAS) حاكم أريحا طموحا إلى الحكم بشغف عظيم ويتحين الفرص للاستيلاء عليه . ولذلك فقد انتهر فرصة مرور سماعيل بأريحا مع ابنه ماتاتياس ويهوذا ، فدعاهم لوليمة عظيمة أقامها لهم وإنتهت الوليمة باغتيالهم واغتيال الرجال الذين كانوا معهم . وبعد عملية الاغتيال أرسل إلى رؤساء الجيش والقواد للحضور ليوزع عليهم الذهب والفضة . ثم أرسل رسلا لاغتيال يوحنا هركانوس بن سماعيل حتى يخلو له الجو تماما .

ولكن يوحنا هذا علم بالأمر فقبض على الرجال الذين كانوا يريدون قتله . وهكذا تنتهى حياة الرجل الذى استطاع أن يبصر بعينه ويجنى ثمار الحرية والاستقلال الذى كان يحلم به الكثيرون في تلك البلاد . وهكذا ينتهى أيضا تاريخ عائلة حكمت تلك البلاد حوالى ثلاث وثلاثين سنة من (١٦٧ - ١٣٤ ق م) . إن الفترة التى حكم فيها الميكابيون الذين أظهروا شجاعة منقطعة النظير لتحرير بلادهم — وكان عصرهم هو العصر الذهبى — ليست فقط الفترة الذهبية والمجيدة في تاريخ إسرائيل ، بل والمثال الذى يجب أن يتبعه الشعب اليهودي ، فأصبح ماتاتياس وعائلته أبطالاً وطنيين احتلوا مكانة مرموقة يفتقد لهم الشعب في كل تجربة ومحنة وطنية وسياسية ودينية ، فنلاحظ أن أبصار هذا الشعب كانت تنظر للوراء إلى ماتاتياس ويهوذا ويوناثان وسمعان ، كما نلاحظ أيضا أن أبصار هذا الشعب كانت تتطلع إلى يهوذا آخر لى يخرجهم ويخلصهم من هذه الأزمات . وما يهمنا هو أن اختفاء هذه

العائلة عندما تعرضت إسرائيل لهجمات عديدة خصوصا في فترة احتلال الرومان عمل على نمو وترعرع فكرة مجيء المسيا، المسيا الذي تصوره البعض على مثال يهوذا الميكابي، الذي سيسحق ويحطم أعداء شعبه، ولقد حلم الشعب بعصر سلام كامل حيث « يسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسنن معا وصبي صغير يسوقها » (إش ١١ : ٦) .

كما تصور البعض الآخر أن المسيا سيظهر بارادة يهوه ، ويهلك الأشرار. المقاومين وسيظهر الأرض منهم وعندئذ يملك عليها . وقد ظن فريق آخر بأن مجيء المسيا سيكون مسبوقا بحوادث وكوارث خارقة للطبيعة وأوبئة وزلازل وحروب وأخبار حروب ، على أن الكثيرين خصوصا في الأوقات الصعبة ، كانوا ينتظرون ظهور المسيا كمخلص ومنقذ لشعبه سياسيا ودينيا ، ولذلك ظهر كثيرون يدعون لأنفسهم هذا الامتياز . وسنرى فيما بعد عددا كبيرا من المساياء الكذبة الذين ظهروا وحاولوا أن يلعبوا الدور الذي قام به يهوذا الميكابي ، ولكن محاولاتهم كلها باءت بالفشل الذريع ، وأخيرا انتهت بالكارثة العظيمة المهولة وهي سقوط أورشلم في سنة ٧٠ ب.م.

يوحنا هركانوس : (JEAN HYRCAN)

بعد أن رأينا الإنتصارات العظيمة التي حققتها عائلة يهوذا الميكابي في الفترة التاريخية بين ١٦٧ — ١٣٤ ق.م. نصل إلى الفترة التي سلكم فيها يوحنا هركانوس وعائلته ، ومع أن يوحنا هركانوس هو ابن سمعان وحفيد الكاهن ماتاتياس وابن أخى يهوذا الميكابي رأس عائلة الميكابين ومؤسسها إلا أنه (يوحنا) يعتبر آخر الميكابين وأول عائلة الأسمونيين (LA FAMILLE ASMON EENNE)

ولقد تولى يوحنا هركانوس قيادة الحكم بعد أن اغتال بطوليمى أبو باس أباه وأخويه في فبراير سنة ١٣٤ ق.م. فأصبح كأبيه قائدا للقوات المسلحة ورئيسا للكهنة . وعندما تولى قيادة البلاد قام السوريون بهجوم عنيف عليه وحاصروا اورشليم فاضطر بأن يعترف بسيادة أنطيوخوس السابع سيدتس (SIDETES) ، ولم يتحرر من سلطانه إلا عندما حارب البارطيون أنطيوخوس السابع سيدتس وقتلوه في سنة ١٢٨ ق.م. وبهذه الحادثة تحرر يوحنا هركانوس من القيود التي كانت تعوقه عن السير إلى الأمام نحو الحرية والاستقلال . فبعد قتل أنطيوخوس السابع سيدتس صار ليوحنا هركانوس سلطان كامل ، وهكذا بدأ يعمل ويتصرف ويحكم فأمر بهدم هيكل جرزيم ثم أجبر الأدوميين بالقوة على قبول الختان ، وبمساعدة روما استطاع أن يحصل من جديد على استقلال بلاده . ولقد حاول أن يدخل النظم الحديثة في بلاده وينشر التمدن فيها فسمح بدخول ما يسمى « بالدينية أو العالمية » (Secularisme) في الديانة اليهودية وفي حياة الناس العملية ، فشجع الحركات الأدبية والرياضية والثقافية في بلاده . فنشطت من جديد المراكز الثقافية اليونانية في مدن كثيرة وأصبح الهلينيون منتشرين في طول البلاد وعرضها ، بل أن بعضا من اليهود كانوا يتكلمون اليونانية بحلاقة رافضين إجابة لغة أجدادهم وذلك مشايعة « للمودة » الحديثة.

ولهذا السبب إتسعت الفجوة بين عائلة يوحنا هركانوس وبين «الأتقياء» (أي بين LES ASMONIENS وبين LES HASIDIMES) فإن جماعة الحاسنيم (الأتقياء) كانت تعتبر إندماج الأمة اليونانية بلغتها وثقافتها وعاداتها في المجتمع اليهودي أمراً خطيراً جداً على الحياة الروحية للإنسان اليهودي . فهم يعتقدون بأن السبب والاضطهاد والتشرد بين الأمم والظروف القاسية والمرة التي مر بها هذا الشعب في تاريخه المؤلم ، كل هذا لم يكن إلا نتيجة لاندماج واختلاط

وتتأرجح هذا الشعب مع شعوب أخرى ، ولذلك فقد رفضت جماعة الحاسديم حركة التمدن واتسعت الفجوة بينهم وبين الأسمونيين (العائلة المالكة) ، وهي فجوة بدأ بحفرها يوناثان عم يوحنا هركانوس بقبوله رئاسة الكهنوت . وعندما أظهر الحاسديم معارضتهم الشديدة ورفضهم التمام لسياسة يوحنا هركانوس : ظهرت طائفة أخرى أو حزب جديد هي طائفة الصدوقيين ، مع أن جماعة الصدوقيين كانت أقدم من يوحنا هركانوس نفسه ، فهم يعتقدون أن جدهم هو صادق الذي كان كاهنا في أيام يوناثان النبي وداود الملك وهو الذي مسح سليمان ملكا (٢ صمو ٨ : ١٧ ، ١ مل ١ : ٣٢ - ٣٩ ، حز ٤٠ : ٤٦ ، ٤٣ : ١٩) .

والكتاب المقدس يقدم لنا صادق وأبياثار كاهنين في أيام ملك داود (٢ صم ٨ : ١٧) . وقد كان صادق الكاهن آمينا ومخلصا لداود الملك خصوصا في الأيام الصعبة القاسية التي اجتازها داود في أثناء الثورة التي قام بها ابنه أبشالوم (٢ صم ١٥ : ٢٤ - ٢٩ ، ١٧ : ١٥ - ١٩ ، ٢٢ : ١٩) . كما كان يؤيد سليمان ويقف بجانبه بينما انضم أبياثار الكاهن إلى حزب أدونيا المعارض لسليمان . وعندما جنس الملك سليمان على العرش عزل أبياثار من الكهنوت فلم يعد كاهنا للرب (١ مل ١ : ٧ - ٨ ، ٣٣ - ٤٠ ، ٢ : ٢٧) . ومنذ هذا التاريخ إلى أيام الميكابيين وعائلة صادق الكاهن تتمتع بنصيب الأسد في الكهنوت ، ونقول بنصيب الأسد لأن بعد العودة من السبي كان يوجد عدد من الكهنة من نسل أبياثار الذي حرمه سليمان من الكهنوت (عز ٨ : ٢) ، ولذلك يمكننا أن نقول بأن عددا كبيرا جدا من الكهنة كانوا صدوقيين وكان حزب الصدوقيين - على النقيض من الحاسديم والأسينيين - يؤيد العائلة المالكة والحركة الهلينية ، بل أظهروا استعدادهم للتعاون مع العائلة المالكة في اضطهاد حزب الحاسديم . واضطهدوهم فعلا في أيام حكم يوحنا هركانوس

(١٢٧ - ١٠٤ ب.م) وفي أيام أرستوبولس الأول وفي أيام ألكسندرجونه . وكان هذا الحزب يتكون من العائلات الكهنوتية الارستقراطية الغنية ، ضامًا في حضنه أعضاء أرستقراطيين أغنياء واستمر هكذا إلى زمن السيد الرب على الأرض وحتى سنة ٧٠ ب.م . وبعد هذا التاريخ لانسمع عنهم شيئًا البتة .

وبما أن هذا الحزب كان يضم جماعة من أغنياء البلاد وأثريائها فإن مصالحهم الشخصية كانت تتطلب تعاونًا كاملاً مع السلطة الحاكمة - وطنية كانت أم أجنبية - فقد كانوا في معظم الأحيان « عملاء الاستعمار » (كما نقول في تعبيراتنا الجارية) . أما من ناحية عقيدتهم فإنهم كانوا يؤمنون بأسفار موسى ويرفضون كل تقليد شفهي ، وكل الطقوس الخاصة بالطهارة ، طقوس تمسك بها الفريسيون كثيرًا ، كما كانوا يرفضون أيضًا قيامة الأموات (٢٢ : ٢٣ - ٣٣) أع ٤ : ١ - ٢ ، ٢٣ : ٦ - ٨) كما إنهم لا يؤمنون بالملائكة ولا بالشياطين (أع ٢٣ : ٨) ولا يؤمنون بالعناية الإلهية ، ويعتقدون بأن الإنسان حر في اختيار الخير ورفض الشر .

هذه هي شيعة الصدوقيين التي انتشرت ولاقت نجاحًا كبيرًا في أيام يوحنا هركانوس وأيدت الهلينية . ومع أن يوحنا هركانوس شجع الثقافة اليونانية إلا أنه هاجم بشدة القوات اليونانية وضربها عدة ضربات قاسية مستغلًا ضعفها وتمزقها من ناحية ، كما استغل صداقته للرومان ومجاهدات التعاون بينه وبينهم من ناحية أخرى . فبعد أن حصل على الاستقلال الوطني سنة ١٢٨ ق.م . بدأ في سياسة التوسع فقام بمحاصرة السامرة وخرّبها ، وعندما طلب السامريون مساعدة الملك السلوقي (اليوناني) ، حذر الرومان من التدخل في النزاع . فامتنع اليونانيون عن مساعدة السامريين وبذلك إمتد سلطان يوحنا

هركانوس إلى السامرة في الشمال • كما امتد سلطانه الى الجنوب عندما حارب الأدوميين وانتصر عليهم وأرغمهم على الختان وعلى قبول الديانة اليهودية • ففي عهده كادت اليهودية من الناحية الجغرافية والسياسية أن تصل إلى المجد الذي كانت عليه في أيام ملك داود وسليمان • ومات يوحنا هركانوس في ١٠٤ ق.م • تاركا خلفه مملكة ممتدة الأطراف ، دون ملك لأنه لم يحصل على لقب ملك ، وتولى بعده ابنه أرسطوبولس الأول •

الملك أرسطوبولس الأول

إستطاع أرسطوبولس أن يحقق ما كان يحلم به أباه وأجداده بعد سقوط السامرة في أيدي الآشوريين (٧٢١ ق.م) وسقوط أورشليم في أيدي البابليين (٥٩٧ ق.م) ، أي أن يقوم ملك ويملك على إسرائيل • فإن الذين سبقوا أرسطوبولس من حكام بعد السبي والعودة إلى اليهودية لم يحصل واحد منهم على لقب ملك •

ولقد ملك الملك أرسطوبولس في سنة ١٠٤ ق.م • وكانت محبته للثقافة اليونانية عظيمة جدا لدرجة أنه دعى « المحب اليوناني » (PHILHELLEN) • وهكذا اتبع سياسة أبيه فيما يخص الهلينية وإضطهاده للفريسيين الذين كانوا يعارضون هذه السياسة • إلا أن الملك أرسطوبولس لم يتمتع طويلا بهذا اللقب الملوكي لأن الموت اختطفه بعد سنة واحدة من ملكه (١٠٤ - ١٠٣ ق.م) وخلفه في الملك أخوه ألكسندر جونه •

ALEXANDRE JANNEE

الملك ألكسندر جونه

مات الملك أرسطوبولس الأول دون أن يترك أولادا فخلفه على

عرش المملكة أخوه ألكسندر جونه الذى استمر فى الحكم من ١٠٣ — ٧٦ ق.م. بعد أن تزوج من أرملة الملك الراحل سالومة ألكسندرا •

وعندما تربع ألكسندر جونه على العرش قبض بيديه على السلطتين المدنية والدينية ، كملك على الأمة اليهودية وفى نفس الوقت رئيس كهنتها • ورؤاسه للكهنة أثارت المشكلة القديمة التى قامت بين العائلة الحاكمة وبين الفريسيين الذين رفضوا أيضا بأن يكون ألكسندر جونه رئيسا للكهنة • ولقد أغاظ موقف الفريسيين هذا الملك الجديد كما أغاظ سابقه من العائلة المالكة • ومما زاد الطين بلة حادثة التفاح المتعفن • وفى أحد أعياد المظال وبينما كان رئيس الكهنة (ألكسندر) يقدم الذبيحة رماه بعض المتعصبين بتفاح متعفن ، إذ أنهم اعتبروا قيامه بهذه الخدمة المقدسة خرقا للمقدسات لأنه لم يمنح الشرف بأن يكون خادما لها • وإزاء هذا التصرف ثار الملك ثورة عارمة كان من نتيجتها أن شبت حرب أهلية شعواء بين الفريسيين والموالين لهم وبين العائلة المالكة والموالين لها وخاصة الصدوقيين • ولقد راح ضحية هذه الثورة حوالى ستة آلاف فريسي ، ولم تستطع هذه الدماء الكثيرة أن تخدم ثورة ألكسندر وتروى عطشه لسفك الدماء • فقد حاول مرة أخرى أن ينتقم من الفريسيين بطريقة أبشع وأفظع فأمر بصلب ثمانمائة من الشخصيات البارزة منهم • وعندما كان المصلوبون يلفظون أنفاسهم الأخيرة ذبح أمام عيونهم نساءهم وأولادهم (١) • وعلى أثر هذه الحادثة هرب الكثيرون من وجه ألكسندر المضطهد للحزب الفريسي متخفين من الصحارى والكهوف مسكنا لهم • ولكن عندما اقتربت ساعاته الأخيرة أوصى زوجته ألكسندرا التى خلفته على الملك أن تتفرق بالفريسيين وأن تتصالح معهم •

كان الملك ألكسندر جونه طموحا ، فلم يكتف بالحدود التى وصل

(١) انظر القاموس السابق ذكره ص ٢٩.

إليها يوحنا هركانوس بل قام أيضا بعدة غزوات ضد المدن اليونانية واستولى على الكثير منها فاتسعت مملكته وعظم سلطانه ، ولكن كانت المملكة في الداخل منقسمة ممزقة ، فبالرغم من إنتصاراته على الأعداء في الخارج وسقوط مدن كبيرة وكثيرة ومحصنة في يده ، فإنه لم يستطع أن يسوى الأمور في الداخل حيث كان الصراع بينه وبين أحزاب المعارضة شديدا عنيفا ، وكان على رأس هذه الأحزاب المعارضة حزب الفريسيين . وقد تطرف بعض المعارضين في معارضتهم فطلبوا مساعدة وتدخل الملك ديمتريوس العدو للدود لليهود . ويمكن أن نقول بأن العلاقات ساءت جدا بين العائلة المالكة وبين الفريسيين أكثر من أى وقت مضى وكان هذا مؤثرا إلى انهيار وسقوط هذه الدولة مرة أخرى في الفوضى والاستعمار . فعندما مات الملك ألكسندر جونه (٧٦ ق.م) ترك دولة قوية في سياستها الخارجية ضعيفة منقسمة على ذاتها في الداخل مما أدى بها فيما بعد إلى الوقوع في قبضة الاستعمار الرومانى ثم الموت .

الملكة الكسندرا سالومة

كما سبق ورأينا أن الكسندرا سالومة كانت زوجة للملك أرسطوبولس الأول . وبعد أن مات هذا الأخير بداء السل على ما يبدو تزوجت الكسندرا سالومه من الملك ألكسندر جونه الذى أوصى عند موته بأن تخلفه على العرش . فصارت الكسندرا سالومة ملكة على إسرائيل في سنة ٧٦ ق.م. وأسندت رئاسة الكهنوت إلى ابنها الأكبر يوحنا هركانوس الثانى ، وقد ملكت من سنة ٧٦ - ٦٧ ق.م. وحاولت في التسع السنوات هذه أن تغير السياسة التى اتبعتها سابقوها فيما يتعلق بالفريسيين ، فطلبت هى نفسها منهم أن يمدوها بالنصائح والإرشادات وأن ينعاونوا معها في إدارة البلاد ، فكانت الفترة التى حكمت فيها فترة (م ٧ - تاريخ الفكر المسيحى)

هدوء إلى أن ماتت ألكسندرا سالومة ملكة إسرائيل في سنة ٦٧ ق.م.

فترة الإنهيار والصراع

بعد أن ماتت الملكة ألكسندرا سالومة سقطت إسرائيل بين وحوش جائعة مفترسة • فمنذ زمن طويل جدا وروما تنتظر باهتمام شديد إلى اليهودية وإلى ما يحدث فيها من الداخل ومن الخارج • ثم تحول هذا الاهتمام إلى مصلحة بالغة الأهمية بالنسبة للسياسة الرومانية ، ولذلك رأت روما في موت الملكة وقيام حزبين يتصارعان على السلطة فرصة مناسبة لاتعوض للتدخل • فقد تصارع على السلطة بعد موت الملكة سالومة كل من ابنيها رئيس الكهنة يوحنا هركانوس الثاني وأرستوبولس الثاني • أما الأول الذي عينته أمه الملكة رئيسا للكهنة في مدة حكمها (٧٦ — ٦٧ ق.م) فأراد أن ينتهز هذه الفرصة بعد موت أمه لكي يكون ملكا على إسرائيل • ولكن أخاه أرستوبولس الثاني كان يطمع هو أيضا في الملك • فصارت المملكة منقسمة ممزقة بها عدة أحزاب وطوائف يهاجم الواحد الآخر فيضعفون بعضهم بعضا ، وأصبحت العائلة المالكة نفسها منقسمة أيضا وممزقة إلى حزبين يرأس كل منهما أحد الأخوين ، حزب يرأسه رئيس الكهنة يوحنا هركانوس الثاني (GEAN HYRCAN 2e) وحزب آخر يرأسه أخوه أرستوبولس الثاني (ARISTOBULE 2e) كان يوحنا رئيس الكهنة رجلا ضعيفا ، ولقد التف حول أرستوبولس المتذمرون وغير الراضين عن الأوضاع السائدة وقتئذ وخاصة قادة الجيش والصدوقيون • وكان يؤيد رئيس الكهنة الذي أصبح ملكا في سنة ٦٧ ق.م. الفريسيون والأدوميون • ومع أن الفريسيين لم يقبلوا أن يكون يوحنا هركانوس رئيس كهنة إلا أنهم قبلوه ملكا ، لأنه اتبع سياسة أمه في مد يد المصالحة لهم وفي استئسارهم في أمور الحكم وإدارة البلاد • وعندما استمرت المعارك بين الأخوين ، لجأ كل منهما إلى كل الوسائل الممكنة المباحة وغير المباحة

للوصول إلى العرش ، فيوحنا هركانوس طلب مساعدة ملك النبطيين ، وقد نصحه بذلك أنطيباتر (ANTIPATER) أبو الملك هيودس الأكبر ، وبالرغم من أن ملك النبطيين أرسل جيشا عظيما لمساعدة الملك يوحنا هركانوس ، فقد استطاع أرسطوبولس قلب نظام الحكم وخلع الملك من على العرش .

وبينما كان الأخوان يتقاتلان ويتناحران ، وصلت الجيوش الرومانية إلى سوريا واستولت عليها وضمتها إلى الامبراطورية الرومانية سنة ٦٤ وكانت سوريا تعتبر حصنا من الحصون الأخيرة في مملكة السلوقيين (SELEVCIDE) . ربوصول القوات الرومانية إلى المنطقة والإستيلاء على سوريا حدثت هذه المسرحية الغريبة : فلقد جاء عدد كبير من ممثلي الدول المحيطة بسوريا ليقدموا التهانى والتبجيل للقائد الرومانى بومبى (POMPEE) كان من بينهم ثلاثة وفود من اليهود يمثلون ثلاثة أحزاب : وفد عن أرسطوبولس والصدوقيين وكان يطالب بومبى بالتدخل السريع . والوفد الثانى وكان على رأسه أنطيباتر (ANTIPATER) الذى كان يطالب بومبى بمساعدة يوحنا هركانوس وحزب الفريسيين . وأخيرا الوفد الثالث ، وفد من الشعب كان يطالب بومبى بالتدخل وتصفيّة العائلة المالكة عائلة الأسمنيين . وفى نهاية الأمر قرر بومبى مساعدة يوحنا هركانوس بعد أن حرّمه من مزايا كثيرة ، منها أنه حرّمه من لقبه ملك وأعطاه لقب حاكم . وأو والى . وحتى هذا المنصب نزع منه لسبب ضعفه فترة من الزمن ، ولكن قيصر أرجعه إلى منصبه فى ٤٧ ق.م . ثم فى سنة ٤٠ ق.م . وعندما غزى البارطيون أعداء روما الألداء سوريا خلعوا يوحنا هركانوس من الحكم وأقاموا مكانه ابن أخيه أنطيجينوس أرسطوبولس (ANTIGONE ARISTOBVLE) وكان من أشد الأعداء لعمه يوحنا هركانوس لكى يخلق بطريقة نهائية أمامه الباب الذى يصل به

إلى رئاسة الكهنوت (١) ولقد قضى يوحنا هركانوس عدة سنوات أسيرا في بلاد البارثيين ولكنه رجع أخيرا إلى اليهودية ومات هناك في سنة ٣٠ ق.م .

ومع أنه يمكن أن نقول بأن عهد الأسمنيين قد امتد إلى سنة ٣٧ ق.م . أى إلى أن تولى هيروُدس الملك في اليهودية إلا أنه في حقيقة الأمر قد انتهى سلطانهم عمليا في سنة ٦٣ ق.م . عندما دخل بومبي مدينة أورشليم واستولى عليها ، فأصبحت اليهودية منذ هذا التاريخ مقاطعة رومانية ، وسقطت من جديد في يد مستعمر آخر وفقدت استقلالها وسيادتها الوطنية خصوصا عندما تولى هيروُدس الكبير سلطان الحكم في البلاد في سنة ٣٧ ق.م .

إن عائلتي الميكابيين والأسمنيين حكمتا اليهودية مدة قرن وثلث قرن تقريبا . واستطاعت العائلة الأولى (الميكابيون) بدم أبطالها المحاربين وغيره المتحمسين أن تخلص هذا الشعب من الاستعباد والاستعمار الأجنبي وأن تسير معه طريقا صعبا طويلا شاقا شائكا ، إلى أن تصل به إلى عتبة الاستقلال ، ثم جاءت العائلة الثانية (الأسمنيون) واستطاعت أن تصل بنجاح عظيم إلى الاستقلال الذي كان يحلم به الكثيرون من إسرائيل .

ولكن هذا الاستقلال الكامل كان شبيها بيقطينة يونان ، فلم تر نور النهار إلا لفترة وجيزة وبعدها سقطت الأمة اليهودية تحت أقدام الرومان . وهنا تبدأ فترة جديدة في تاريخ هذه الأمة بما لها من

(١) كان الناموس يحتم أن يكون رئيس الكهنة بلا عيب من الناحية الجسمية ، فأصبح من المستحيل على يوحنا هركانوس أن يرتقى إلى درجة رئيس الكهنوت بسبب العيب الجسمي (تمزيق أذنه) .

انتصارات مسيحية ، من كثيرين من اليهود استقبلوا الرومان بحسب
رحب وقلب مفتوح • وتعاونوا معهم وسهلوا لهم مهمة الحكم في البلاد ،
أما البعض الآخر فقد اعتبروا وجود الرومان في هذه البلاد أمراً كريها
مبغوضا ويجب محاربتهم وطردهم وتحرير البلاد منهم ، ومن هذه
الجماعة ظهرت أحزاب سبراها فيما بعد •

على أية حال فقد نصب هيروُدس ملكا على الذين تعاونوا مع
الرومان وعلى الذين لم يتعاونوا معهم •

هيروُدس الملك

تولى هيروُدس الأكبر زمام الحكم في هذه البلاد سنة ٣٧ ق.م •
بعد أن حكم بالموت مريونا على خشبة ، على أنطيجنوس أرسطوبولس
من عائلة الأسمنيين ، وهكذا انتهى حكم هذه العائلة • (١)

كان هيروُدس أدوميا وهو ابن أنطياتر (ANTIPATER) الذي
كان وزيرا في أيام يوحنا هركانوس الثاني • وكان لأنطياتر ولدان
فازائيل وهيروُدس وأقد عنيهما أنطونيوس حاكمين على منطقة اليهودية •
ولكن عندما استولى أنطيجنوس (ANTIGONE) على اليهودية ،
انتحر فازائيل وأما هيروُدس فقد هرب إلى روما واتصل بالقادة الرومان
خصوصا بأنطونيوس وأكتافوس (OCTAVE ANTOINE) فعين ملكاً
واستطاع عن طريق المساعدات العسكرية الرومانية استرداد اليهودية
من يد أنطيجنوس • والجدير بالذكر أن قيصراً نفسه قد اختار رجلاً
عربياً لكي يكون حاكماً على اليهودية في سنة ٤٧ ق.م • ولم يكن ذلك

(1) Henri Gaubert. L'Attete du Messie.
La Bible Dans L'Histoire : Mame 90 p 121.

الرجل العربى الحاكم لليهودية سوى هيودس أنطيباتر الذى صار فيما بعد الملك هيودس الأكبر (٢) .

كتب الكثيرون عن هيودس وحياته وسياسته ، ومما لاشك فيه أنه كان سياسيا ماهرا. ودبلوماسيا مخنكا ، يعرف بسياسته ودبلوماسيته أن يكسب ثقة أصدقائه ، بل وأعدائه أيضا . وعندما كان يفشل فى كسب ثقة الأعداء عن طريق الدبلوماسية والمكر ، كان يلجأ إلى العنف والقتل والتشريد . هذه الصفات كانت خير مساعد له لتحقيق مآربه ، ففي فجر حياته السياسية استطاع بسلوكه وتصرفاته ودبلوماسيته أن يحوز إعجاب أنطونيوس واكتافيوس اللذين نصحا مجلس شيوخ روما باختياره ملكا لليهودية ، وعندما صار ملكا فى سنة ٣٧ ق.م. ظل إلى موته الحليف المخلص والصديق الوفى لروما وسياستها . وبعد هزيمة أنطونيوس فى معركة أكتيوم (ACTIUM) انضم هيودس إلى اكتافيوس ، وهذا الأخير حصل فى ٢٧ ق.م. على لقب « أغسطس » . ويعد هذا اللقب من الألقاب الدينية ، ومعناه السامى أو العظيم أو الإلهى . . . ولقد عمل هيودس جاهدا على ارضاء أكتافيوس ومجلس الشيوخ من ناحية وعلى ارضاء الأمة اليهودية من ناحية أخرى ، الأمر الذى لم يكن سهلا للتنفيذ . ولكى يرضى الأوساط الرومانية اتبع السياسة الهلينية فأقام على خرائب المدن المنهدمة مدنا جديدة جميلة ، على الطراز اليونانى . ثم بنى المسارح والمسارح المتدرجة ، بل وصلت به الجرأة إلى أن وضع بعض الرموز والعلامات الرومانية فى اورشليم نفسها ، الأمر الذى اعتبره اليهود المتدينون عثرة وغير مقبول . ولقد كرس قاعة باسم القياصرة وقاعة باسم أغريباس . . . الخ ولكى يرضى الأوساط اليهودية بدأ فى بناء الهيكل ، كما قام بعدة أعمال إصلاحية

(2) Ch. Guignebert : Des Prophetes A Jésus.

Le Monde Juif Vers le Temps de Jesus. 35 — 46.

أخرى لصالح اليهود حتى ينال رضاهم ، أو على الأقل يتجنب ثورتهم .
وبما أن هيودس كان هجينا ، فقد إعتبر نفسه يهوديا ولكي يقسوى
الروابط العائلية بينه وبين اليهود تزوج من مريم حفيدة رئيس الكهنة
يوحنا هركانوس الثانى وأنجب منها ولدين وأرسلهما إلى روما لكي
يتعلما ويتهدبا في قصر القيصر . ومما لا شك فيه ، أن نسبة هذين الولدين ،
ألكسندر وأرستوبولس ، إلى أم يهودية « مريم » كان لابد لها أن تلعب
دورا هاما في إختيار الملك الذى سيجلس على عرش اليهودية . ولذلك
فقد حاول الابن الأكبر انطياتر (١) أن يسمم أفكار أبيه من ناحية أخويه
مما دفع هيودس لقتلها .

ومع أن هيودس كان سياسيا ودبلوماسيا ماهرا ، لكن هذه
الصفات لم تمنعه من استخدام القسوة والعنف والشراسة والقتل
والانتقام بطريقة وحشية عند فشل السياسة والدبلوماسية ، لذلك
أطلق عليه اسم هيودس السفاح ، وقبل أن نذكر بعض جرائمه التى
بالغ فيها الكثيرون وأضافوا إليها الكثير ، يجب ألا ننسى أن هيودس
كان كريما غاية الكرم .

ولقد أظهر روج السخاء والكرم عندما تعرضت اليهودية لمجاعة
عنيفة فباع الصوانى الذهبية التى كان يمتلكها لكي يشتري بها قمحا
للشعب الجائع ، كما أنه حاول في مرات عديدة أن يلعب دور المصالح
بين الشعب ، ولكنه لم يفلح في القيام بهذا الدور لكثرة جرائمه التى
جعلت له أعداء كثيرين . والجرائم التى ارتكبها هيودس عديدة ومصدرها
هو شغفه الشديد بالحكم والتمسك به واعطائه الأولوية المطلقة ، ولذلك
كان لا يتردد لحظة واحدة في تصفية أى شخص مهما كان قريبا أو
صديقا ، تحوم حوله الشبهات بأنه يريد قلب الحكم أو نزع المملكة من يديه .

(١) كان لهيودس عدة زوجات .

فعندما بدأت الشكوك تساوره في إخلاص ثلاثة من أبنائه ألكسندر، وأرستوبولس وأنطياتر، أمر باغتيالهم، كما أن زوجته المحبوبة مريم، وأما الكسندرا لاقتا نفس المصير ضحية لشكوكه فيهما. ولذلك قال عنه الامبراطور أغسطس (إكتافيوس) إن خنازير هيودس تتمتع بالأمن والسلام أكثر من أولاده. ويقال إن هيودس كان مكروها جدا من الشعب بسبب الفضائح التي ارتكبها، ولذلك عندما اقتربت أيامه الأخيرة وعرف أن الموت يقترب منه بخطوات واسعة، أمر بأن يسجن عدد لا بأس به من العظماء ومن ذوى الجاه، ثم أعطى الأمر إلى المسئولين بأنه عندما يلفظ أنفاسه الأخيرة يجب قتل هؤلاء المسجونين لأنه كان متأكدا من أنه لا يوجد شخص واحد سيذنب ولو دمة واحدة على موته. ولذلك أمر بقتل هؤلاء جميعا حتى يعم الحزن والمناحة والبكاء، وأن تذرف الدموع يوم وفاته حتى وإن لم تكن لأجله.

ولقد اضطهد أيضا الأسمنيين وأعضاء السنهدريم بطريقة بشعة، وبلاشك أن قصة مذبحة بيت لحم تصور لنا طباع الرجل ووحشيته (مت ٢ : ١ - ١٨) .

ولقد ظل هيودس ملكا على اليهودية لمدة تزيد على الأربعين سنة (من ٣٧ ق م - ٤ ب م) وللأسف الشديد، ما أكثر الجماجم التي ضحى بها ليبنى عليها عرشه وسلطانه.

كان هيودس مريضا بحب السلطان، ولذلك كان لا يتورع أو يتردد في اضطهاد أو قتل من تحوم حوله الشبهات بأنه منافس له. ألم يأمر بقتل الأطفال الأبرياء في بيت لحم عندما علم أن منافسا له في السلطان سيخرج من وسطهم (مت ٢ : ١ - ١٨) .

في عهد هذا الرجل الذي سمى هيودس السفاح جاء إلى عالمنا طفل

كباقي الأطنان في الظاهر ، ولد في بيت لحم على مقربة من اورشليم ، وعندما ولد كانت اليهودية ، بل العالم كله يعيش في جو مظلم نتيجة لحب السيطرة والقوة ومحبة الذات والعنف والظلم الاجتماعي . جاء هذا الطفل إلى عالمنا لكي يعطيه سلافا حقيقيا ، ولذلك فقد رنمت الملائكة قائلة : « المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » (لو ٢ : ١٤) . مات هيروودس في سنة ٤ ب.م. تاركا خلفه مملكة واسعة ولكنها ضعيفة إقتصاديا . وهذا الضعف الاقتصادي مع أسباب أخرى كثيرة — ساهم في أشعال الثورات والاضطرابات الشعبية التي سنراها فيما بعد . فقد استطاع هيروودس في حياته أن يسيطر على المملكة تارة بدبلوماسية وسياسته الماهرة ، وتارة بقسوته وعنفه كما استطاع أيضا أن يحتفظ بثقة روما مدة طويلة ، إلا أن الشعب لم يكن راضيا عن سياسته خاضعا لها ؛ فبعد موته انفجرت البراكين التي استطاع في حياته أن يمسكها ويخرسها ، واندلعت الثورات في أماكن كثيرة متعددة ، وقامت أحزاب وطوائف معتدلة ومتعصبة انتهى بها الأمر إلى خراب اورشليم ودمارها في سنة ٧٠ ب.م .

وعند موته قسم الامبراطور أغسطس المملكة بناء على وصية هيروودس ، على أبنائه الثلاثة . فمنح أرخيلوس (ARCHELAUS) اليهودية والسامرة مع لقب حاكم فقط وليس لقب ملك ، إلا أن الشعب كان يدعوه ملكا (متى ٢ : ٢٢) . ثم أعطى الجزء الثاني من المملكة وهو « الجليل » لهيروودس أنتيباس مع لقب رئيس ربيع ، ولكن عندما حامت حوله الشبهات في إخلاصه لروما نفى إلى ليون في سنة ٣٩ ب.م. أما الجزء الثالث من المملكة « تراخونيتس » والذي كان تابعا لسوريا فقد منح لابن هيروودس الثالث وهو فيليبس بن كليوباترة . وهكذا انقسمت المملكة سياسيا ودينيا . والذي يهمنا في هذا الأمر إلى جانب الناحية التاريخية التي تساعدنا كثيرا على فهم المكتوب ، ظهور الأحزاب

الدينية التي ظهرت في هذا الوقت ولعبت دوراً هاماً جداً في تاريخ هذه الأمة ، ومما ساعد على ظهور هذه الأحزاب الدينية هو أن الكثيرين من الشعب اليهودي قد تركوا في ذلك الوقت التمسك بالناموس والمكتوب ، واندمج الكثيرون منهم في الأمم واشتركوا معهم في عاداتهم وتقاليدهم . حتى قادة الدين أنفسهم وخاصة طبقة الكهنوت تواطأت بطريقة مكشوفة وبلا حياة مع الرومان واليونان . ولهذا السبب عينه واصلت جماعة الفريسيين المناداة بالعودة إلى الناموس والتمسك به والعمل بموجبه .

وبجانب هذا الحزب القديم نجد أيضاً جماعة الأسينيين الذين انفصلوا هم أيضاً عن العائلة المالكة ، وكانوا ينتظرون « سيد البر » . ولقد مرت بنا فيما سبق قصة هذين الحزبين ، وسنرى في الفصول الآتية الدور الهام الذي ستقوم به هذه الأحزاب الدينية السياسية وعقيدتهم في المسيا : يسوع الناصري . ولكن قبل أن نبدأ دراسة هذه الأحزاب التي ظهرت قبل مجيء المسيا والتي واصلت نشاطها في أثناء حياته على الأرض ، وبعد موته وقيامته ، يحسن بنا أن نلقى نظرة سريعة على تاريخ رجل لعب دوراً هاماً جداً من الناحية التاريخية في هذه الحقبة ، وهو المؤرخ المشهور يوسيفوس فلافيوس .

يعتبر يوسيفوس فلافيوس أعظم من أرخ للأمة اليهودية ، وترجع أهمية ما كتبه يوسيفوس في التاريخ اليهودي إلى أنه كان معاصراً وشاهد عيان لبعض الأحداث التي سجلها وخاصة ما يروي عن ثورة اليهود التي اندلعت في سنة ٦٦ ق م .

ولد يوسيفوس في سنة ٣٧ ب م . في عائلة يهودية من الأرستقراطية الكهنوتية . كان أبوه متى (MATTHAIS) كاهناً يخدم في الفرقة الرابعة والعشرين (١ . أخ ٢٤ : ١٠ ، لو ١ : ٥) أمنا

أمه فكانت تنسب إلى العائلة الميكابية الملكية . وبهذين النسبين الكهنوتي والملوكي كان يوسيفوس من الطبقة الحاكمة والقريبة من روما . لهذا السبب انتقد يوسيفوس ثورة اليهود ضد روما ؟ ولقد كان هو نفسه كاهنا ويقال إنه قضى ثلاث سنوات مع جماعة قمران ، فهو يعرف تقاليدهم وعاداتهم وتعاليمهم ، كان يوسيفوس دارسا متعمقا وسياسيا محنكا . فانخرط في سلك السياسة ولمس في مجالها ، ولذلك أرسله السنهدريم في سنة ٦٤ ب.م. إلى روما لكي يدافع عن الكهنة الذين سجنهم فيلكس ، وفي طريقه إلى روما تعرف على ممثلة شهيرة قدمته إلى الأوساط الرومانية في البلاط الامبراطوري . ولقد استطاع يوسيفوس أن يستحوذ على إعجاب الكثيرين من الذين تقابل معهم في بلاط الامبراطورية الرومانية ، ونجح نجاحا عظيما في دفاعه عن القضية التي بعث من أجلها إلى روما بفضل مساعدة بوبية (POPPEE) زوجة نيرون ، لقد أغدقت عليه الهدايا المادية والأدبية في روما .

عندما رجع يوسيفوس من روما وجد بلاده في اضطراب عظيم عندما حاول تنظيم ثوري تحرير البلاد من المستعمر . ويرى كثيرون من المؤرخين في يوسيفوس شخصا خائنا لبلاده لتواطئه وتعاونيه مع العدو الأجنبي ، وفي حقيقة الأمر كان يوسيفوس يريد في بداية الأمر تحرير البلاد ، ولكن بطريقة أخرى غير الطريقة التي كانت تتبعها الأحزاب المتعصبة في ذلك الوقت — فقد انضم هو نفسه إلى قوات المقاومة والتحرير وأصبح جنرالا في جيش التحرير^(١) ولكنه غير هذه السياسة عندما هجمت القوات الرومانية على مدينة جوتابات (GOTAPATE) التي كان يقوم فيها هو نفسه بتنظيم حركة المقاومة ضد فاسبازيان (VESPASIEN) الروماني في سنة ٦٧ ب.م. فعند سقوط هذه المدينة في

(1) Daniel M. Rhoads Israelin Revolution 6 - 74 C.E.A. Political History Bases.

Writting of Josephus Fortress Press. Philadelphia 4 - 5.

أيدى الرومان دمرها تدميرا كاملا ولم ينج من المذبحة إلا عدد قليل جدا . وكان هو من ضمن الذين أفلتوا من قبضة الموت في هذه المذبحة المريعة . . إلا أن الجنود الرومان قرروا قتل كل الذين نجوا من هذه المذبحة وكان لابد أن يلقى يوسيفوس نفس المصير . ولكنه عندما جاء دوره طلب أن يقابل القائد العام الرومانى لأمر سرى جدا خاص بالامبراطورية ، فقدموه للقائد العام فسبازيان وعندما رأى يوسيفوس القائد العام الرومانى تتبأ له بأنه سيكون الامبراطور الرومانى في وقت قريب — الأمر الذى كان يحلم به دائما هذا القائد الرومانى وكان جواب فسبازيان ليوسيفوس : ستظل سجيننا إلى أن نتحقق من صحة أو كذب هذه النبوة . وهكذا استطاع يوسيفوس أن ينجو من مخالف الموت . ومنذ هذا الوقت أصبح عميلا للرومان ومتعاوننا معهم ، فقد تعاون معهم في الترجمة ، بل أصبح المرشد والناصح للحكام الرومان فيما يختص بالأمور اليهودية مصاحبا للقائد العام ، ولذلك كان في صحبة تيطس بن الامبراطور فسبازيان في أثناء حصار اورشليم (سنة ٧٠) ، وبعد سقوطها رجع معه إلى روما ليتخذ منها وطنا ثانيا ، وهناك أضاف إلى اسمه اسم فلافيوس ، ومات يوسيفوس فلافيوس ، ذلك المؤرخ اليهودى العظيم ، في نهاية القرن الأول وأقيم له تمثال في روما اعترافا بخدماته لها .

كتابه :

ويحتفظ لنا التاريخ بعدة كتب من كتبه ومنها :

١ — « تاريخ اليهود القديم » (JEWISH ANTIQUITIES)
وأنهى كتابته سنة ٩٣ ب.م . ويحتوى على عشرين مجلدا وفيه بعض تاريخ اليهود من أول الخليقة إلى سنة ٦٦ ب.م .

٢ — « حرب اليهود » وقد كتبه بالآرامية وترجمه هو نفسه إلى

اليونانية ، ويحتوى على سبعة كتب ، وأنهى كتابته في سنة ٧٨ ب.م. ويتناول في هذه الكتب حروب اليهود ونضالهم للحصول على الاستقلال من أول سنة ٦٦ ب.م.

٣ - «تاريخ حياة يوسفوس» عندما كان جنرالاً في الجليل وقد أضاف هذا الكتاب كتذييل لكتاب تاريخ اليهود القديم . ثم نسب إليه خطأ كتاب الميكابين الرابع .

الفصل الرابع

الحركات الثورية الشمالية

بعد موت هيودس الكبير في سنة ٤ ب.م. حدثت عدة اشتباكات مسلحة بين القوات الرومانية وبين بعض اليهود ، وخاصة اليهود الحجاج الذين جاءوا لزيارة اورشليم ، إلا أن هذه الاشتباكات المسلحة لم تقتصر على العاصمة فقط بل امتدت إلى أماكن كثيرة أخرى في البلاد ، ولم تستطع القوات الرومانية أن تسكت الأصوات الصارخة التي كانت تطالب بالحرية، إلا مؤقتاً، إذ أن الثورة بدأت من جديد وعلى نطاق واسع عندما صدر أمر بالاككتاب في أيام حكم كيرنيوس نوالى سوريا،^(١) وكان الهدف من هذا الاككتاب أو الاحصاء هو معرفة الامكانيات المالية للمنطقة حتى يمكن فرض ضريبة مناسبة عليها .

وعندما علم بأمر هذا القرار الخاص بالاككتاب الذي أصدره الامبراطور أغسطس إلى الحاكم سولبيكوس كيرنيوس حاكم سوريا ، نصح رئيس الكهنة — في ذلك الوقت وهو جوزار (Joazar)

(١) يجب التفريق بين هذا الاككتاب الذي حدث سنة ٧ ب.م. تقريباً وبين الاككتاب الذي حدث أيضاً على يد كيرنيوس قبل أن يكون حاكماً سنة ٦ أو ٧ ق.م في أثناء حكم هيودس الذي في أيامه ولد المسيح .

الشعب بالخضوع لهذا الأمر تنفيذاً لمطالب روما ، ولكن على العكس من رئيس الكهنة جوزار . ثار على هذا القرار الامبراطوري معلم يهودي يدعى يهوذا الجليلي . ولقد ساعده على القيام بالثورة وساعده فيها بكل ما أوتي من قوة وعلم الفريسي صادوق . فعندما طرق خبر الاكتتاب هذا مسامع يهوذا الجليلي ثار ثورة عارمة وبدأ يخطب في الناس حاثا إياهم على الثورة العامة في كل ابلاد والتمرد والخروج على السلطات الرومانية وسحاربتها أينما وجدت وبكل الوسائل . والذي دفع يهوذا الجليلي إلى القيام بهذه الثورة ضد روما في سنة ٦ ب.م. هو اعتقاده بأن دفع الضريبة لدولة أممية وقبول سلطانها والخضوع لها يعد كسرا للناموس وخطية وبالتالي رفضا لسلطان يهوه ، ولذلك طلب من كل اليهود بصفة عامة ومن أتباعه بصفة خاصة عدم دفع الضرائب ، بل القيام بالثورة ضد القوات الرومانية الموجودة في البلاد . وعلى أثر هذا ، إلتف حول يهوذا الجليلي عدد كبير لابس به من اليهود . وقد ذكر سفر الأعمال في كلمات قليلة جدا هذه الثورة التي قام بها يهوذا الجليلي : « لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه إنه شيء ، الذي التصق به عدد كبير من الرجال نحو أربعمئة ، الذي قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبعدوا وصاروا لاشيء . بعد هذه الأيام قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاع وراءه شعباً غفيراً فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشبثوا » (أ ع ٥ : ٣٦ و ٣٧) .

إن يهوذا الجليلي قام بثورته هذه في سنة ٦ أو ٧ ب.م. ومنذ هذا التاريخ ظهرت حركة (أو حزب أو طائفة) دينية سياسية جديدة تهدف إلى تحرير البلاد من الاستعمار وحكمها بحسب التوراة بطريقة متعصبة ، وقد أراد أتباع هذا الحزب أن يجعلوا من الناموس الموسوي دستوراً لأحكامهم وقضايائهم وسلطانهم على البلاد . فإله هو الإله الواحد لا إله غيره ، والبلاد يجب أن تحكم بحسب «كتابه» (الناموس)

ويجب معاقبة وطرد من يخالف هذا الأمر ، وهكذا ظهرت بظهور هذه الحركة السياسية الدينية طائفة جديدة أو مذهب دينى سياسى جديد يضاف إلى المذاهب السابقة والتي كانت معروفة (مذاهب) الفريسيين والاسينيين (الصدوقيين) ولقد كتب يوسيفوس فلافيوس المؤرخ اليهودى الشهير الكثير عن هذه الجماعة ، فقد قال عن مؤسس هذا الحزب : « .. إن يهوذا الذى يدعى انجيلي قد بث فى نفوس اليهود روح الثورة وعدم دفع الجزية للرومان لأنه بدفعهم الجزية للرومان يساوون الانسان بالله . وبذلك أسس يهوذا طائفة جديدة تختلف عن المذاهب الثلاثة الأخرى (الفريسيين ، الصدوقيين والاسينيين) » (حرب اليهود ٢: ١١٨) . ثم كتب مؤخرا عن نفس الجماعة فقال : « إن يهوذا الذى تكلمنا عنه سابقا كان هو المؤسس للطائفة الرابعة . وهذه الطائفة تتفق فى كل شيء مع الفريسيين . » (يوسيفوس تاريخ اليهود ١٨ : ٣ - ٦ ، ٢٣) . وفى فصل آخر كتبه أيضا مؤخرا حاول فيه أن يبين أن يهوذا الجليلي هو الجد لحركة « السيكر » (SICAIRE) : « إن العازر حامل الخنجر (SICAIRE) أو القاتل كان هو الذى يتولى قيادة الجماعة التى هجمت على قلعة ماسادا (MASSADA) وهو من نسل يهوذا الذى حاول قديما اقناع اليهود بعدم الخضوع لأمر الاحصاء الذى قام به كيرنيوس . . . والذين لم يسمعوا له ، عاملهم معاملة الأعداء فسلبت أموالهم وأخذت مواشيهم وأحرقت منازلهم . . . (يوسيفوس حرب اليهود ٧ : ٢٥٣ - ٢٥٥) » .

إن الثورة التى قام بها يهوذا الجليلي ومصادوق كانت لاتهدف إلى تحرير البلاد من المستعمر الرومانى فقط بل إلى إعادة النظام الثيوقراطى (يعنى دولة الحاكم فيها هو الله) (Une Nation Theo Cratique) ولإعادة هذا النظام الثيوقراطى إلى البلاد كان من الضرورى وكخطوة أولى وأولية أن تسيطر على البلاد فى ذلك الوقت ، ولاشعال نار الثورة

في البلادقام كل من يهوذا الجليلي وصادوق بالقاء العظائم والخطب الحماسية ضد الرومان ويقول يوسيفوس : « لقد كانت لهذه الخطب التأثير العميق لدرجة أنها دفعت الجماهير إلى الثورة . إن هذين الرجلين استطاعا أن يلقيا الاضطراب والفوضى في وسط الشعب بطريقة غير معقولة » (يوسيفوس حرب اليهود ١١ : ١١٨) •

ومما لاشك فيه أن روما كان لايمكنها أن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذه الثورة التي كانت تريد طردها من البلاد والاستيلاء على السلطان والحكم ، ولذلك فقد ضربت الجيوش الرومانية هذه الحركة الجديدة ضربات قاسية بل قاضية في بعض الأحيان ، إذ هجمت على التجمعات الشعبية اليهودية والحدوتيه فشتتها وقضت على الزعيمين قضاء شنيعا . وهكذا انتهى أمر يهوذا الجليلي وصادوق كما يذكره سفر الأعمال : « بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعبا كثيرا فذاك أيضا هلك ، وجميع الذين انقادوا إليه تشبوا » (أع ٥ : ٣٧) •

والسؤال الذي نسأله الآن : ماذا حدث لهذا الحزب الجديد بعد موت قائده يهوذا الجليلي ؟ إن كتاب الأعمال يقول : « وجميع الذين انقادوا إليه تشبوا ... » إن السلطات الرومانية قضت على المتمردين بطريقة وحشية قاسية ولكنها لم تستطع أن تقضى عليهم قضاء نهائيا . ولذلك فقد تشبوا أفراد هذا الحزب الجديد في البلاد ، وخاصة في الجليل مسقط رأس يهوذا الجليلي ، وكان هذا الحزب يقوم بأنشطة سياسية وبعمليات هجومية ضد الرومان وضد أتباعهم ولكن بطريقة سرية جدا ، وبهذا استطاع الحزب الجديد أن يواصل نشاطه بهذه الطريقة الخفية إلى أن جاء اليوم الذي أمكنه فيه من جديد اعلان تمرد وعصيانته وثورته على الرومان ، وعلى أعوان الرومان •

(م ٨ - تاريخ الفكر المسيحي)

ولكن ما هو هذا الحزب الجديد؟ إن المصادر التي تكلمنا عن هذا الحزب الجديد قليلة جداً ، فالمصدر الأول الذي ذكر كثيراً عن هذا الحزب هو مصدر متحيز وهو المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس ، كما أن الكاتب المسيحي هيبوليتوس ذكره أيضاً في كتاباته ، كذلك بلينيوس الشيخ . ولكن بالرغم من أن يوسيفوس مصدر متحيز إلا أنه يعطينا تفاصيل كثيرة ومطولة عن هذه الجماعة التي سماها باسم « حملة الخناجر » (SICHIREs or SICAIRe) والكلمة المستعملة هنا كلمة لاتينية تعني حامل الخنجر أو السكين ، فإن هذا الحزب قد تبنى كوسيلة من الوسائل التي استعملها لتحرير البلاد — العنف والهجوم والقتل ، فهذا الاسم « سيكر » يعني الشخص الذي يحمل سكيناً أو خنجراً ويستعمله بطريقة خاطئة وسريعة . والسؤال الذي يجب طرحه الآن هو : « هل هذا الحزب « سيكر » هو حزب يختلف عن حزب الغيورين أم هو نفس الحزب ؟ »

إن الرأي السائد حالياً والذي يؤيده كل من هنجل وبرانندون (M. HENGEL, S.G.F. BRANDON) هو أن حركة المقاومة كانت حركة مستمرة ، وتدعى حركة الغيورين وعندما يذكر يوسيفوس هذه الحركة يسميها جماعة اللصوص أو (حملة الخناجر) (SICAIREs) وكان المثل الأعلى لحركة الغيورين فينجاس بن العازار (عد ٢٥: ١٥) . كذلك ماتاتياس اللدين غاراً غير الرب (١ ميكا ١ و ٢) . ويعتقد كل من هنجل وبرانندون أنه بالرغم من أن أصل الحركة الغيورية يرجع إلى فينجاس وماتاتياس الميكابي ، ولكنها لم تبدأ على نطاق واسع ومنظم إلا في سنة ٦ ب.م. عندما قام يهوذا الجليلي بثورته ضد الرومان . والأغلبية الساحقة التي تؤيد هذه النظرية تعترف بأن كتابات يوسيفوس فلافيوس والكتابات الأخرى لا تحتوي إلا على القليل جداً من المصادر التي تكلمنا عن نشاط الغيورين من سنة ٦ — ٦٦ . فإن

يوسيفوس يعطى في معظم الأحيان لهذه الحركة اسم «صوم حاملى الخناجر» ففى هذه الفترة أى من سنة ٦ - ٦٦ لم تظهر كثيرا كلمة «غيور» فى كتابات يوسيفوس ، وعلى الرغم من ذلك فان يوسيفوس نفسه يذكر حادثة صلب اثنين من اتباع يهوذا الجليلى على يد الحاكم طيباريوس ألكسندر (فى سنة ٤٦ - ٤٨) ٠٠ كما يذكر لنا أيضا حادثة أخرى فى بداية حرب سنة ٦٦ وهى حادثة ابن أخ يهوذا يدعى مناحيم (MENAHEM) الذى استولى على قلعة ماسادا (MASSADA) بعد أن قتل جيوش كثيفة رومانية وسلح رجاله بسلاحهم . ثم اتجه إلى اورشليم على رأس هذه الجماعة مدعيا بأنه المسيح . على أن الكهنة انذبن قاموا بالثورة هجموا على مناجيم (١) وقتلوه مع عدد كبير من أتباعه وبعد اغتيال هذا الزعيم الذى كان يدعى بأنه المسيح ظهرت الانقسامات فى حركة الغيورين ، وهنا يظهر شخص آخر من نفس عائلة يهوذا الجليلى يدعى العازر بن يائير الذى كان يرأس جماعة من الغيورين فى قلعة ماسادا . ولقد ظلت هذه الحركة الغيورية وشبه الغيورية تقوم بأنشطة مختلفة وعمليات حربية تخريبية تحت قيادات مختلفة متنوعة إلى سنة ٧٠ عندما سقطت اورشليم بعد أن أحرقت أبوابها وهدمت أسوارها وقتل وسبى سكانها . أما الذين لجأوا إلى قلعة ماسادا فقد اختبأوا فيها ودافعوا عنها ببسالة عظيمة حتى سقطت فى سنة ٧٣ أو ٧٤ عندما أدركوا بأنه لا أمل فى الانتصار ففضلوا الانتحار الجماعى مع عائلاتهم وأطفالهم على التسليم ليد العدو (١) .

إن نظرية هنجل وبراندون تحاول اثبات أن حزب الغيورين هو الحزب الذى ، وإن كان يرجع فى الأصل إلى فينحاس والميكابيين ، إلا أنه ظهر فعلا بطريقة عملية وعلى نطاق واسع فى سنة ٦ ب.م. أى عندما

(١) فى نهاية هذا الفصل سنعطى قائمة بالكتب التى اقتبسناها هنا ، وكتب أخرى تساعد الدارس على التوسع فى هذا الموضوع .

ظهر يهوذا انجيلي • وبالرغم من أن يوسيفوس لا يتكلم عن الغيورين بطريقة واضحة إلا بعد سنة ٦٦ ، فإن الحوادث التي يذكرها من سنة ٤٦ - ٦٦ لا يمكن نسبتها إلا إلى الغيورين •

ولندخض نظرية هنجل وبراندون هذه، قامت جماعة أخرى تعترف أيضاً بأن يوسيفوس مؤرخ متحيز ولكنها تفسر كتاباته بطريقة تختلف عن هذين الكاتبين ، فهي تعتقد في وجود بعض الأسباب التي من أجلها لم يستعمل يوسيفوس كلمة غيور إلا مؤخراً ، ومن هذه الأسباب ، أن الفلاحين لعبوا دوراً هاماً في هذه الثورات ، لأن انحنم بدولة ثيوقراطية والغيرة على نقاوة الهيكل حدثا بالفلاحين إلى القيام بعدة ثورات في أماكن مختلفة وفي فترات متباعدة • ولقد ظهر في أثناء هذه الثورات بعض الأشخاص الذين كانوا يدعون القيام بعمل المعجزات المسيانية • فهذه الاضطرابات والثورات التي قام بها الفلاحون أدت في نهاية الأمر إلى ظهور كل من جماعة السيكرز والغيورين • ومؤيدو هذه النظرية يعتقدون بأن الذين لجأوا إلى قلعة ماسادا بعد ظهور مناحيم كيمسيا وأغتياله هم جماعة « السيكر » (SICAIRES حاملي الخناجر) وليسوا من الغيورين لأن هذه القلعة كانت ملجأ لجماعة حاملي الخناجر وليس لجماعة الغيورين ، إذ أن حزب الغيورين لم يظهر إلا بعد حزب السيكر (سنة ٦٦) ويحتمل أن هذا الحزب (الغيورين) قد خرج من جماعة الأسينيين أو على الأقل كان على صلة وثيقة بهم • وهذا واضح من اتفاقهما في بعض المبادئ ، فإن الغيورين كانوا يحاربون معنف لتطهير الهيكل والوصول به إلى درجة النقاوة الكهنوتية التي حلم بها حزقيال (٤٠ - ٤٨) • ولهذا السبب عينه فقد عينوا كاهناً ريفياً من نسل صادوق ، وكانوا يتبعون في اختيار رئيس الكهنة العادة القديمة وهي لقاء القرعة • والغيورون لا يتفقون أيضاً وسياسة مناحيم وادعاءاته المسيانية • « ومورتن سميث » (MORTON SMITH) يظن أن حزب

الغيورين لم يظهر كحزب على مسرح النضال إلا في شتاء سنة ٦٧-٦٨
 أى بعد اغتيال مناحيم بسنة ، وكان معظم أعضاء هذا الحزب من
 الفلاحين الأتقياء وليس من كهنة الدرجة الثانية (١) كما يظن بومباخ.
 (BAUMBACH) وكان هذا الحزب يبغض أغنياء المدينة وكهنة الدرجة
 السامية ، كذلك كان يكن بغضة شديدة للرومان المستعمرين .

من هذه اللوحة التاريخية يمكننا أن نرى أنه توجد عدة نظريات
 بخصوص ظهور الغيورين ، يمكن أن نلخصها في نظريتين : ١ - لقد
 ظهر حزب الغيورين بظهور المعلم يهوذا الجليلي في سنة ٦ أو ٧ ب.م.
 ٢ - إن حزب الغيورين لم يظهر إلا بعد سنة ٦٦ ب.م. والذين يتمسكون
 بهذه النظرية الأخيرة يستشهدون بصمت المؤرخ اليهودي يوسفوس
 فلافيوس عن الكلام عن هذا الحزب .

على أننا نعتقد بأن جماعة الغيورين قد ولدت في التاريخ اليهودي
 بعد المبادرة التي قام بها فينحاس بن العازار (عدد ٢٥ : ٦ - ١٥) وبدأت
 تنتشر الحركة انغيوررية في أيام حكم أنتيخوس أبيفان الرابع
 بطريقة فردية أو جماعية ، قوية وفعالة في بعض الأحيان ، وضعيفة
 وهزيلة في أحيان أخرى . هكذا ظلت هذه الحركة قائمة تظهر

(١) إن الكهنة وعلى رأسهم رئيس الكهنة كانوا يشكلون جماعة الكهنة
 الارستقراطية وهذه الجماعة كانت قريبة من الطبقات الارستقراطية
 الغنية ، ولهذا السبب تواطأت مع الطبقة الغنية ذات المصالح ومع
 المستعمر الروماني ، ومع أن هاتين الطبقتين لم ترحبا بالاستعمار
 الروماني إلا أنها تعاونتا وقبلتا حارسا على مصالحها وأملاكها .
 على أن جماعة من الكهنة لم تقبل هذا الخداع الاجتماعي ورفضت
 التعاون كليا. وجزئيا مع الرومان ومع رئيس الكهنة وكان معظم
 هؤلاء الكهنة من الطبقات الفقيرة فانضموا الى حزب الغيورين
 وقاتلوا جنبا إلى جنب معهم .

تارة وتختفى تارة أخرى ، إلى أن جاء يهوذا الجليلي وقام بثورته ضد الرومان وضد الارستقراطية الكهنوتية ، ومنذ هذا التاريخ أصبحت هذه الحركة منظمة دينية سياسية . ومع أن هجوم الرومان على هذه الجماعة وقتلهم لقائديها يهوذا الجليلي وصادوق الفريسي وتشيتتهم لأفرادها في سنة ٦ أو سنة ٧ ب.م. كان ضربة قاسية مريعة لحياة هذه المنظمة ، فقد ظل الغيورون بالرغم من هذه الضربة متمسكين بغيرتهم الدينية والسياسية ، والعمل على تنفيذ أغراضهم والوصول إلى أهدافهم التي وضعوها نصب أعينهم . فإن الذين أفلتوا (كما سبق القول) من أيدي الرومان الذين هجموا على يهوذا وصادوق ، تشقتوا في البلاد خصوصا في الجليل مسقط رأس يهوذا الجليلي وكونوا نواة للمقاومة ، وكانت هذه النواة تعمل بطريقة خفية وسرية جدا حتى لا تراها أعين الرومان أو أعوان الرومان ، ولهذا السبب ظن البعض أن هجوم الرومان على يهوذا وأتباعه كانت وثبة قاضية ونهائية ، ولكن حقيقة الأمر هي غير ذلك فإن هذه النواة ظلت تنمو بطريقة خفية إلى أن استردت قوتها وحيويتها وعندئذ استأنفت مرة أخرى نشاطها السياسي والديني بطريقة فعلية وعملية .

ومن حركة الغيورين هذه خرجت عدة حركات أو أحزاب دينية وسياسية يعوزنا الوقت لو تعرضنا لذكرها وتحليل أهداف كل منها بطريقة مطولة ، ولذلك نكتفي هنا بذكر بعضها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

١ - الحزب الذي يمكننا أن نسميه الحزب الشمالي المعتدل : وهذا الحزب يؤمن بأن البلاد في حاجة ماسة وشديدة إلى الإصلاح والتغيير السريع الكلي والجزئي . وهذا التغيير يشمل العبادة في الهيكل والكهنوت والحياة العملية وظهور المستعمر :

٢ - أما الحزب الثاني فيمكننا أن نسميه الحزب الشمالي : وهو يؤمن بنفس المبادئ وينادي بها ولكنه لا يقف عند هذا الحد ، ولكي يصل إلى الأهداف لابد من استعمال القوة ضد الأجنبي فقط ثم الاعتماد على السلاح للتعاون مع يهود لتحرير البلاد .

٣ - أما الحزب الثالث والذي يمكننا أن نسميه الحزب الشمالي المتطرف جدا ، فهو حزب « السيكر » (SICAIRE) وهو يهدف إلى تطهير الهيكل وتحرير البلاد من المستعمر ثم تأسيس دولة ثيوقراطية . ولكي يصل هذا الحزب إلى هذه الأهداف التي قبلتها كل الأحزاب المتطرفة والمعتدلة ، فقد استعمل كل الوسائل الممكنة والغير الممكنة للحصول على هذا الاستقلال وتأسيس الدولة الثيوقراطية (أي الدولة التي يحكمها ويديرها الله) .

ولقد سمي هذا الحزب « بالسيكر » (SICAIRE) نسبة إلى السكاكين أو الخناجر التي كانوا يستعملونها في هجومهم على الرومان ، وكانت ضحاياهم من الرومان ومن اليهود المتعاونين مع الرومان (أي المستعمرين وأعوان المستعمرين) ، وأتبعوا نفس السياسة التي اتبعها من قبلهم يهودا الميكابي ، وهي الهجوم وقتل المستعمر والمتواطىء معه . ولقد اتخذوا من الجبال والغايير مساكن وملاجئ لهم وللهرب والاختفاء بعيدا عن السلطة الرومانية ، كما أنهم اتخذوا من الاحتفالات الدينية والوطنية والتجمعات الشعبية بصفة عامة ميدانا لنشاطهم العملي . وبما أن اسمهم (SICAIRE) أي الذين يحملون الخناجر ويستعملونها بسرعة وبطريقة مفاجئة فقد كانوا يندسون وسط الجماهير ويهجمون بطريقة سريعة ومفاجئة على ضحيتهم المعينة ، وبعد قتلها كان يصرخ القاتل قائلا : « النجدة » لكي لا تتجه إليه. أنظاره

الجمهور (١) • واعتقد الغيرون بأن الله هو السيد المتسلط على الكون، وله وحده يجب السجود والعبادة والطاعة، فالطاعة لأي سلطة أخرى مهما كانت مكانتها وعظمتها لا تتفق ووصية الله، والخضوع لأي ناموس أو قانون. آخر غير ناموس وقانون يهوه يعتبر مخالفا وكسرا لوصيته وإهانة لشخصه • ولذلك اعتبروا أن وجود روما والنسر الروماني في هذه البلاد إهانة ليهوه، خصوصا الضريبة التي فرضتها الرومان والتي كان يجب أن تدفع للهيكل لا للأمم الغلف • وكانوا يعتقدون أيضا بأن إله إسرائيل الذي أخرجهم من مصر وسار معهم عبر التاريخ وخلص آبائهم من الظلم والاضطهاد سيخلصهم هم أيضا من ظلم الرومان وسيطرتهم القاسية، على شرط أن يستعملوا هم أيضا كل الوسائل التي يملكونها من قتل وغدر وسفك دماء للوصول إلى هذا الغرض وهو التخلص من المستعمر وأعوانه، وكانوا على استعداد أن يضحوا بأموالهم وحياتهم وحياة ذويهم ليحققوا حلم الاستقلال وحرية العبادة وسلطان الله المطلق، أي الشيوقراطية (THEOCRATIE) • وكانوا مقتنعين كل الاقتناع بأن الله الذي تدخل بطريقة معجزية مع شعبه وخلصهم من يد الأعداء سيتدخل أيضا بطريقة إلهية وسيخلصهم من يد الرومان مهما كانت قوتهم وعظمتهم لأن يهوه أقوى من كل الأقوياء وأعظم من كل العظماء، على أن يواصلوا جهادهم وحروبهم ونضالهم المسلح •

ويقدم لنا يوسيفوس جماعة الغيورين كعصابة لصوص (شلة حرامية) متعصبة دينيا وسياسيا تشيع في البلاد الاضطراب وترتكب الجرائم التي تقشعر منها الأبدان، كالسرقة والتخريب والقتل • وهو يحمل هذه الجماعة مسئولية رد الفعل الذي قام به الرومان ضد جرائمهم، فهم المسئولون ليس فقط عما حدث من ثورات على يد يهوذا

(١) يوسيفوس « حرب اليهود » ٢ : ٢٥٤ - ٢٥٦ •

الجليلي وأتباعه بل ما حدث أيضا من سرقة وتخريب وقتل منذ قيام « هذه العصاة » خصوصا ما حدث في ثورة ٦٦ ب.م. وأدى إلى خراب أورشليم ، فهو يلقي مسئولية ثورة سنة ٦٦ ب.م. وخراب أورشليم على الغيورين الذين استقزوا الرومان بتصرفاتهم المتطرفة وجرائمهم الكثيرة (١) .

ومع أن حركة انغيورين قد لزممت الصمت بعد موت يهوذا مؤسسها ، إلا أنها ظهرت من جديد واضعة أمامها نفس الأهداف التي كان يسعى يهوذا الجليلي وصادوق للوصول إليها كما أشرنا إلى ذلك سابقا . والجدير بالذكر أنه يبدو أن أتباع يهوذا الجليلي قد بايعوه وعائلته لقيادة هذا الحزب كما حدث في تاريخ يهوذا الميكابي وعائلته ، ولذلك نرى أعضاء هذه العائلة في مقدمة المحاربين والمصارعين والمضحين بحياتهم . ويوسيفوس فلافيوس يشهد بأن الحاكم ألكسندر طياريوس (٤٦ - ٤٨ ب.م) غد حكم بصلب اثنين من أولاد يهوذا الجليلي (٢) .

فمن الواضح إذاً، أن هذه العائلة قد لعبت دورا كبيرا وهاما جدا في حزب الغيورين لدرجة أن الجليل مسقط رأس يهوذا أصبح ملجأ للغيورين . وإنجيل لوقا يذكر لنا قصة هؤلاء الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم ، « وكان حاضرا في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم » (لو ١٣ : ١ - ٢) .

ومن المحتمل أن جماعة من الغيورين أو من المؤيدين لهم قد

(1) Joseph flavius. antiquite. 18 - 1.6.

S. G. Brandon. gesus et les zelotes. flammariion ideas et recherches.

Traduit de l'anglais par georges et beatrice formentelli.

(٢) راجع كتاب (Brandon) ص ٧١ - ٧٤

جاءت إلى اورشليم لتقديم ذبائح كعادة اليهود وعندما رأت هذه الجماعة الأوضاع القائمة هناك والقوات الرومانية بالقرب من الهيكل ثم النسر الروماني لم تستطع أن تحتفل إهانة كهذه فثارت وسببت هيجانا مما اضطر بيلاطس إلى أن يرسل قوة عسكرية لتقضي على هؤلاء الثوار ، وعندما وصلت القوة العسكرية إلى الهيكل لم تترك الثوار إلا جثثا هامة اختلطت دماؤهم بدماء الذبائح التي كانوا يقدمونها . ومع أن يوسيفوس لا يذكر شيئا عن هذه الحادثة إلا أنه يعرفنا بأن الجليل كان في ذلك الوقت في حالة هيجان وثورة .

وهكذا واصلت هذه الحركة القتال والصراع المستمر ضد القوات الرومانية وضد الارستقراطية الكهنوتية وضد كل مؤيد للحكومة القائمة، ولقد اتخذوا في جهادهم هذا كمثل أعلى لهم ماتاتياس الكاهن وأولاده .

ولذلك فقد اعتبروا هذه الحقبة من الزمن كالعصر الفضي إن لم يكن الذهبي بعد عصر داود وسليمان . ولقد حاول الغيورون والمؤيدون لهم أن يبذلوا كل غال ورخيص لكي تعيش إسرائيل هذا المجد الضائع . ولهذا السبب اشتعلت النيران واندلعت ثورات بين الرومان الذين كانوا يريدون حكم البلاد وضبطها والبقاء فيها مهما كلفهم الأمر ، وبين هذه الأحزاب والمؤيدين لها الذين كانوا لا يقبلون أي سلطة مهما كانت إلا سلطة يهوه نفسه ولا يقبلون أي اختلاط أو اندماج مع هذا الشعب الأغلف النجس ، ولا يقبلون أيضا أية مساومة في حقوق الله والوطن فهم يطالبون بالجلاء الكامل والسريع .

ومما عجل باندلاع الثورة أو بالمعنى الأصح الثورات ضد الرومان أسباب يعوزنا الوقت إذا دخلنا في تفصيلاتها ، فنذكر أذا بعضها على

Josephe : Fl. Antiquité 17, 9,3 ; Vita, 171.

سبيل المثال فقط لا على سبيل الحصر : إزدیاد سوء التفاهم بين اليهود والسلطات الرومانية عندما قام بيلاطس البنطى ببناء مجرى ماء لكى يمد المدينة والهيكل بمياه صالحة للشرب ، لأنه مول هذا المشروع من صندوق الهيكل وأخذ المال المكرس للهيكل ولخدمته ودفعه للعمال وللقائمين على هذا المشروع ، فغضب اليهود لهذا الأمر حتى المعتدلين منهم . ثم هناك أمر آخر وسع الفجوة بين الفريقين : إن بعض الحكام الرومان جرحوا أحاسيس ومشاعر اليهود الدينية ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ظهور عدد لا بأس به من اليهود يدعى كل منهم بأنه المسيا المنتظر ومنهم ثيوداس الذى قتل بأمر الحاكم فادوس (٤٤ - ٤٦ ب.م) ولا ننسى قسوة فيلكس الوالى ومعاملته الوحشية للوطنيين الثوار . ثم هناك أيضا مشكلة النزاع الذى قام بين يهود قيصرية والأمم بخصوص بعض الامتيازات المدنية . وعندما فشل فيليكس فى البت فى الأمر ، أرسل ممثلين من الفريقين إلى روما وعندئذ منحه الامبراطور هذه الامتيازات المدنية للأمميين (٥٩ ب.م) الأمر الذى زاد من حقد اليهود على السلطات الرومانية وعجل بثورة سنة ٦٦ ب.م .

هذه الأسباب مع أسباب أخرى عديدة دفعت كثيرين من اليهود وخاصة أحزاب الغيورين إلى الثورة والعنف ، ولذلك عندما أمر العازار بن حنان القائد العام لحرس الهيكل بأن لا تقدم فيما بعد الذبيحة اليومية التى كانت تقدم فى الهيكل لأجل رفاهية وسعادة الامبراطور الرومانى ، فقد كان هذا الأمر كشعلة نار ألقيت على بحيرة من البترول فاشتعلت نيرانها وكان اشتعالها عظيما . فعنى أثر هذا القرار اشتبكت القوات الوطنية مع القوات الرومانية ، ولقد سيطرت القوات الوطنية فى بداية الأمر على الموقف بالرغم من الجحافل الرومانية والمساعدات العسكرية التى جاءت من مناطق أخرى لأخمد الثور قوسحقها ، فإن القوات الرومانية تكسبت على أعقابها متقهقرة منكسة الرأس (نوفمبر ٦٦) . وقد كان لهذا

النصر تأثير عميق في نفسية اليهود خصوصاً في نفسية أحزاب الغيورين الذين اعتبروا أن النصر جاء من فوق ، ولا بد أن الله سيتدخل لكي يحرر شعبه من الاستعمار .

أما روما فلم يكن من السهل عليها أن تقبل هزيمة مثل هذه ولذلك فقد كلف فسبازيان (VESPASIAN) بإخماد هذه الثورة ، فجاء إلى الجليل وضرب بشدة وعنف بدون رحمة . ولم يستطع الثائرون الثبات أمام قوته فسقط الكثيرون وهرب البعض الآخر خصوصاً قادة الحركة الوطنية إلى اورشليم (٦٧ ب.م) لكي يواصلوا نضالهم هناك . وكان فسبازيان ينوي مطاردتهم وحصرهم في اورشليم وفعلوا أعد العدة للذهاب إلى هناك ، وبينما كان يقترب من المدينة وصل إليه خبر خلع وإغتيال الإمبراطور نيرون في صيف ٦٨ ق.م. ففتح هذا الخبر أمام طموحه العريض باباً واسعاً للمجد والعظمة . وفعلوا أصبح فسبازيان إمبراطوراً على روما وترك ابنه تيطس لإخماد الثورة اليهودية . ولقد استطاع تيطس القضاء على الثورة في كل اليهودية في سنة ٦٩ إلا في اورشليم وبعض الحصون الموجودة بالقرب من البحر الميت .

وفي مايو سنة ٧٠ كانت نصف مدينة اورشليم في يد الرومان . وفي ٢٩ أغسطس سنة ٧٠ سقطت المدينة إلا أجزاء منها في يد الرومان فحرقوا المذبح . وفي آخر سبتمبر سقطت المدينة كلها في يد المحتل الروماني ، فقلبوها رأساً على عقب ولم يبق منها قائم إلا جزء من الحائط الغربي بأبراجه الثلاثة .

ولقد استخدم الرومان هذا الحائط الباقي من قلعة هيرودمس ككتلة بعض القوات الرومانية التي كانت تشرف على المدينة الخربة ، ومنع اليهود من الرجوع إليها وإعادة بنائها . وأمر تيطس بأن تحرث

المدينة كلها بمحراث ما عدا هذه الأبراج الثلاثة .

وسقوط مدينة أورشليم في يد الرومان لم يكن بالأمر السهل الهين ، فبالرغم من أن القوات الرومانية كانت تحيط بها مع القوات الإضافية التي أرسلت إليها من الأقاليم الأخرى التي كان يحتلها الرومان ، فلقد استطاعت هذه المدينة البائسة أن تظهر شجاعة نادرة النظير ومقاومة عظيمة بأسلة في أثناء حصارها ، فإن سكان أورشليم دافعوا عنها دفاعا يعجز القلم عن وصفه ، إذ أنهم بذلوا في الدفاع عنها أرواحهم وأجسامهم بسخاء عظيم وشجاعة مدهشة . وكان يتزعم حركة الدفاع هذه الغيورون وأحزاب أخرى ولكن الغيورين لعبوا دورا هاما جدا في المقاومة ، كما لعبوا دورا هاما أيضا قبل حصار أورشليم عندما حاولوا التخلص من أعوان الرومان بالهجوم على كثيرين من رؤساء الكهنة والأغنياء والرومان في بيوتهم وفي الجامع وفي مجمع السنهدريم نفسه . وبذلك أضعفوا بل شلوا حركة اليهود العملاء بارعابهم وتخويفهم باستعمال القوة والعنف والذبح . كانت سياسة العنف والقتل والذبح موجهة ليس فقط ضد الرومان الذين يحتلون البلاد بل كانت متبعة أيضا مع اليهود العملاء والمتواطئين مع الأجانب ، ومع أن هذه السياسة سببت انقسامًا في الشعب ، إلا أن المدينة بضفة عامة دافعت دفاعا عظيما حتى آخر أيام الحصار . عندما استطاع جنود الرومان بعد حصار دام وقتا طويلا هلك فيه من الجوع والعطش آلاف مؤلفة من اليهود — دخول المدينة والاستيلاء عليها . وإشعال النار فيها وفي هيكها العظيم ، الذي كان يعتبر أعجوبة من أعاجيب الزمان . (١)

(١) اقرأ سقوط أورشليم بقلم ح. د. كلنج تعريب د. عزت زكي (صدر عن لجنة النشر المسيحي ص. ب ٤٣ الفجالة . مصر . فمع أن الكتاب يعتبر قصة روائية إلا أن المؤلف يسرد فيه بعض الحقائق التاريخية التي لها قيمتها (ص ٢٣٥ — ٢٣٦) .

وبعد أن ذاقت أورشليم الحصار المرير والآلام التي لا توصف سقطت مرة أخرى في يد الأجنبي وسبى عدد كبير من سكانها (حوالى تسعين ألف) وهكذا تحققت نبوة السيد فيها عندما قال : « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ إعلموا أنه قد اقترب خرابها • حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال والذين في وسطها فليفروا خارجا والذين في الكورة فلا يدخلوها ، لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب » (نو ٢١ : ٢٠ - ٢٢ ، متى ٢٤ : ١٥ - ١٩) •

الفصل الخامس

المعتقدات المسيانية قبل الميلاد

لقد رأينا في الفصول السابقة كيف أن الله فتح باب الرجاء أمام الإنسان الساقط الخاطئ آدم ، ووعده بمخلص يخلصه من خطاياه ، وكما أن الحية قادت المرأة إلى الابتعاد عن الله المحب ، فمن نسل المرأة سيأتي من يخلص نسلها من الخطية ويصالح الإنسان الساقط المتمرد فمن طريق المسيح المخلص تمت المصالحة بين الله وبين الإنسان ، وتحرر الإنسان من قيود الخطية والاستعباد . ثم رأينا كيف تتبأ الأنبياء بهذه الحقيقة الإلهية ونادوا بها وكيف أن الاجيال التالية فهمت هذه الاعلانات الإلهية الخاصة بالمسيا . وعرفنا أيضا كيف أن كثيرين من شعب إسرائيل فهموا هذه النبوات كما لو كانت أقوال مختصة بخلاص مادي وسياسي ، أي خلاص من الاستعمار والاستعباد الأجنيين والخصول على الاستقلال الوطني وتأسيس أمة وطنية . بهذه الروح عينها قام زربابل بقيادة القافلة الأولى للرجوع إلى اورشليم (٥٣٧ ق.م) وبنفس الروح قام أيضا نحميا بترميم أسوار اورشليم المنهدمة في سنة ٤٤٥ ق.م . كانت هذه الأهداف ، أي إقامة أمة يهودية مستقلة ، هي التي دفعت عزرا أيضا للرجوع من السبي على رأس قافلة عظيمة في سنة ٣٩٨ ق.م ، وهذه

الأهداف عينها هي التي دفعت ماتتاتياس وأولاده إلى القيام بالثورة ضد الملك أنطيوخس الرابع أبيفان ١٦٧ ق.م. وهي أيضا نفس الأهداف التي أراد الوصول إليها كل من الميكابيين والأسمونيين والغيورين .

والغرض من كل ما ذكرناه في الفصول السابقة هو محاولة شرح العقيدة الخاصة بالمسبا على مر العصور وكيف أن شعب الله كان ينتظر المسيا المخلص المنقذ المحرر . الخ من الأزمنة التي كانوا فيها روحيا وماديا وسياسيا . كانت العقيدة المسيانية في بداية الأمر باهتة وغير واضحة في ذهن الشعب ولكن عندما كان يمر هذا الشعب بتجربة قاسية أو محنة مؤلمة تمس حريته وسيادته الوطنية كان يبحث عن مخلص ومنقذ من يد أعدائه ، فقد رأى مخلصا في موسى وفي يشوع وفي القضاة وفي الملوك وفي الميكابيين وفي الأسمونيين وفي الغيورين . وعلى مر العصور والأجيال وكثرة المحن والتجارب التي قاساها هذا الشعب ولحاجته المستديمة والملحة لمخلص ، فإن عقيدة المسيا المخلص والمنقذ من الأعداء رسخت في قلوب الشعب وتأصلت في أذهانهم . وبلا شك عندما أقول الشعب ، لا أريد أن أعهم لأنه في كل عصر من هذه العصور وجدت جماعة من الناس لا تقبل الأفكار المسيانية الشعبية ، ولكنه في كل عصر من العصور أيضا وجدت جماعات كثيرة ومتنوعة كانت تنتظر المسيا بحسب مفاهيمهم المختلفة المتنوعة . ولقد حاولت كل جماعة من هذه الجماعات التي كانت تنتظر المسيا وتؤمن بمجيئه أن ترسم صورة لمسياها ، فقد رآه البعض كالمخلص لشعبه إسرائيل محطبا بقوة سلطان الأعداء ومعطيا النصر لشعبه ، ورآه البعض الآخر كسيد للبر ، ثم رآه آخرون كالمطهر والمخلص أي الذي يطهر ليس الأمم فحسب بل شعبه أيضا من خطاياهم ومن اختلاطهم بالشعوب الأخرى .

هذه العقائد وعقائد أخرى كثيرة كانت منتشرة وسائدة في العصور

التي سبقت مجيء المسيح وفي أيامه أيضا . كما سبق القول فإن العقائد المسيانية كانت في بداية الأمر باهتة وغير واضحة في أذهان الشعب ، ولكنها تأصلت وتعمقت وتبلورت في أذهانهم بمرور الزمن . ولقد انتشرت هذه العقائد المسيانية انتشارا عظيما وعلى نطاق واسع جدا بين اليهود في آخر حكم هيرودمس ، أى قبل ميلاد المسيح ببضع سنوات ، ووصلت هذه العقائد المسيانية إلى ذروتها في الإنتشار في أيام المسيح نفسه ، ففي هذا الوقت كان الشعب اليهودي ينتظر بفارغ الصبر مجيء المسيا . ولهذا السبب عينه فقد جاء كثيرون من المسايا الكذبة قبل المسيح وبعده يدعون لأنفسهم هذا الحق ، وكانت التربة مهيأة ومعدة لذلك . فالشعب اليهودي الذى كان يئن متألما تحت نير الرومان القاسى الظالم كان ينتظر مخلصا يخلصهم من الاستعمار في ذلك الوقت . وساعد على انتشار هذا اعتقاد بين اليهود عدة عوامل منها : أن الزمان في المفهوم اليهودي ينقسم إلى قسمين : ٢٠٠٠ سنة بدون ناموس و ٢٠٠٠ سنة تحت الناموس وبعدها يأتى المسيا . وعلى هذا فقد اعتقد البعض أن المسيا قد ولد فعلا في ذلك الوقت في بيت لحم ولكن لا يعرف أحد أين هو بالضبط ولا من هو ، ولكنه منتظر اللحظة المناسبة التي يعلن فيها ذاته في الوقت المعين (يو ٧ : ٢٧) . عامل آخر : فقد اعتقد اليهود بأنه لو استطاع شعب الله حفظ السبت وتنفيذ مطالبه مرتين فقط ، فيأتى المسيا وينقذ شعبه . ثم هناك عامل آخر مهم هو أن ضغط الرومان وظلمهم دفعا اليهود للانغماس في الأحلام المسيانية الحلوة التي حلم بها آباؤهم .

لهذه الأسباب ولأسباب أخرى أيضا ظهر عدد لا بأس به قبل وفي أثناء وبعد مجيء المسيح ، إدعى كل منهم بأنه المسيا المنتظر والمخلص الذى سيحطم قوات الرومان ويحرر شعب الله من السلطان العاتى . (م ٩ — تاريخ الفكر المسيحى)

ألم يحاول سمعان الجليلي في ثورته أن يحرر البلاد من الرومان لكى يحكمها حكما ثيوقراطيا ؟ ألم يتبع أيضا كثيرون من الذين جاءوا بعده نفس السياسة ونفس المنهج ؟ ألم يحاول الغيورون حكم البلاد بحسب التوراة ، حتى لو تطلب الأمر القوة والعنف والغسوة ؟ ولهذا فقد كان النزاع بين الرومان وبين بعض الأحزاب اليهودية صراعا مستمرا وعنيفا وداميا ولم تتردد القوات الرومانية لحظة واحدة في أن تضرب بقضيب من حديد وبشدة على رأس كل من كان يدعى بأنه مسيحا أو منقذ أو مخلص لهذا الشعب . لأنه بهذا الادعاء كان يحاول أن يفرض سلطانا آخر على إسرائيل غير سلطان قيصر . ألم تضرب القوات الرومانية بشدة المصرى الذى كان يتزعم حزبا يزيد أعضاؤه على أربعة آلاف عضو وكانت له نفس الأهداف والأطماع المسيانية التى كان ينتظر شعب ذلك الوقت تحقيقها بفارغ الصبر ؟

ولقد أشار سفر الأعمال إلى هذا الرجل (أع ٢١ : ٣٨) كما أنه أشار إلى حوادث أخرى مماثلة (أع ٥ : ٣٦ - ٣٨) . ويوسيفوس المؤرخ اليهودي يتكلم عن هذا الرجل المصرى الجنسية الذى جمع حوله ما يقرب من أربعة آلاف شخص وصعد إلى جبل الزيتون ووعد الشعب بأنه سيعمل بأورشليم ما عمله يشوع باريجا عندما أسقط جدرانها ، ووعد الشعب أيضا - الذى خرج وراءه - بأنه عند سقوط أسوار أورشليم والاستيلاء عليها سيقتل الرومان ويحرر المدينة منهم . وعندما عرف الوالى فيلكس بهذا الأمر طلب من الجيوش ملاحقة هذا الرجل والجمهور الذى سار معه ، وبدأت المعركة بين جيوش فيلكس وبين هذا الرجل المصرى واليهود الذين كانوا يؤمنون بمسيانيته ، وانتهى الأمر بأن قتل عدد كبير من أتباعه ، وأما الرجل فقد هرب ولم يستطع فيلكس ولا جيوشه القبض عليه (١) . ولقد كان هذا الرجل عضوا

(١) انظر S.G. Lirandon ص ١٣١-١٣٢
كان فيلكس واليا من سنة ٥٢ - ٥٩ م.

نشطاً عاملاً في حزب السيكير (SICAIRE) . وكما سبق القول فإن هذا الحزب وأحزاب أخرى يهودية كانت تؤمن بأن المسيا العتيـد أن يظهر سيحرر البلاد من الاستعمار الروماني ، وبه سيبدأ بملكوت الله . ويوسيفوس المؤرخ اليهودي يقدم لنا سلسلة طويلة لعدد كبير من الأشخاص الذين ادعى كل منهم بأنه المسيا المنتظر الذي يجب أن يخلص شعبه من قبضة المستعمر . فهو يذكر لنا أيضاً قصة ذلك الرجل المصري ثم في أثناء حكم فادوس (CUSPIDIUS FADUS) ظهر ثوداس الذي ادعى نفس هذا الادعاء ، ولكنه لقي حتفه مع أربعمئة رجل (١ ع ٥ : ٣٦ - ٣٨) (١) وفي حكم كوممانوس ظهرت جماعة العازار . (VENTIDIUS CUMNUS)

ودارس التاريخ اليهودي يلاحظ أنه منذ آخر حكم هيرودس إلى حوالي سنة ٧٤ ب.م. قد شاهدت البلاد ظهور عدد كبير من الثوار والأشخاص الذين ادعوا بأنهم مسايا . ولقد ازداد عدد هؤلاء في الأربعين سنة الأخيرة أي من سنة ٣٠ ب.م. إلى سنة ٧٠ ب.م. ولقد كانت هذه الحركات المسيانية السياسية سبباً من الأسباب الهامة التي أثارت غضب الرومان وجعلتهم ينظرون إليها كحركات عدائية ومقاومة للرومان ولقيصر نفسه . ومما لاشك فيه أن القادة الرومان في هذه البلاد كانوا يعرفون عقائد وأهداف هذه الحركات ، فإن بعض هذه الحركات كان ينادي بقرب مجيء ملكوت الله ، ومعنى ملكوت الله على الأرض بالنسبة لبعض هذه الحركات لايعنى أن تحرر البلاد من الاستعمار الروماني فقط بل إن كل الأمم ستصير هي نفسها خاضعة لإسرائيل وتأتّم بأمرها وتدين بديانيتها (اش ٩ : ٢ - ١١ ، ١ : ١٢ ، حز ٣٢ : ٧ ، ار ٤ : ٢٤ ، اش ٣٠ : ٢٧ ، ٣٤ : ٥ - ١٠ ، ١٠ : ١٤ - ١٩ ، ٦١ : ١٥ - ١٦) .

(١) يوسيفوس التاريخ اليهودي ٢٠ ، ٥٠ ، ١ .

ولكى تتحقق هذه الأمنية لابد أن يهوه نفسه سيدخل في الأمر ، فهو الذى قاد شعبه في القديم وأعطاه الإنتصارات الباهرة العظيمة على أعدائه ، فهو يهوه نفسه الذى سيؤيد هذا الشعب ضد الرومان لطردهم من هذه البلاد . كانت بعض هذه الحركات تؤمن بأن المسيا سيخضع الأمم تحت قدميه ، لأن عمله سيتمد إلى الأمم أيضا . ألم يكن هذا هو الشرك الذى مده الشيطان للمسيح في التجربة على الجبل ثم أصعده إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان ، وقال له إبليس لك أعطى هذا السلطان كله ومجدهن لأنه الى قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد . » (لو ٤ : ٥ - ٦) . ألم يكن هذا هو ما يسعى إليه ويريد الحصول عليه كل غيور ؟ على أية حال سنرجع إلى هذه النقطة فيما بعد .

ولقد تشبعت الجماهير اليهودية بالأفكار المنتشرة في ذلك الوقت بخصوص المسيا . ثم أن بعض الكتب الأبوكريفية التى كانت معروفة في ذلك الوقت ساعدت على انتشار الأفكار المسيانية : فإن الذين قاموا بالثورات ضد المستعمر كانوا في معظم الأحيان يتخذون كمثال لهم في نضالهم وصراعهم أبطال الميكابيين والأسمونيين . الخ . ولذلك نلاحظ أن كتابى الميكابيين كان لهما تأثير عميق جدا في النضال . كذلك أيضا كتاب أخنوخ الذى لعب دورا هاما جدا في التأثير على اليهود ، بل إن تأثير هذا الكتاب أهد إلى كاتب من كتاب العهد الجديد فاقتبس منه وهو يهوذا (يهوذا ١٤) .

وكتاب أخنوخ — دون الدخول في التفاصيل — عبارة عن رؤية رأى فيها الكاتب تاريخ البشرية كلها . وفي وسط هذه البشرية رأى الرائي قطيع غنم ، وهذا القطيع الذى يمثل أمة اليهود ، مر تحت حكم ونير ٧٠ راعيا أى تحت حكم ونير ٧٠ ملكا وثنيا فأساءوا معاملته جدا .

ولكن من وسط هذا القطيع المغلوب على أمره خرجت بعض الخراف ذوشجاعة وبأس وهم الميكابيون والموالون لهم ، فقاموا بحروب عنيفة ضد الغربان التي كانت تنهش لحم الخراف . وكادت الغربان أن تغلب على الميكابيين وعلى رأسهم يوحنا هيركانوس ، فاستغاث هذا الأخير بالله وعندئذ فتح الملاك أنسفر الذي سجل فيه فظائع هؤلاء الملوك (٧٠ ملكا) فاغتاظ الرب وامتلاً غضبا ، ولذلك فقد فتحت الأرض فاهها وابتلعت الغربان التي كانت تهدد الشاب يوحنا هيركانوس وقطيعه الأبيض ، وانتصر الشاب بالسيف الذي أعطاه له السيد لقتل الأمم أعداء الرب ، وهكذا قضى الرب على أعداء قطيعه ، وأصبح هذا القطيع ظاهرا نقيا ودخل الهيكل الجديد الذي أحضره الله من السماء لهذا الغرض ، ثم يقوم الوثنيون الذين لم يهلكوا بخدمة هذا القطيع والسهر على راحتهم ، وبعد هذا يظهر المسيح كثور بقرون سوداء كبيرة (١)

كانت هذه القصص وقصص كثيرة أخرى شعبية معروفة ومنتشرة بين الشعب اليهودي عن المسيح . ولقد قدمت هذه الروايات شخص المسيح كمنقذ من الظلم والاستعمار وكالمحرر والمخلص وكالمعلم والمرشد الذي يعلم شعبه ويرشده إلى الحق الإلهي . ألم تقل المرأة السامرية للمسيح : «قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء» (يو ٤ : ٥ ، تث ١٨ : ١٨) .

لقد احتلت هذه القصص والروايات المسيانية مكانة مرموقة في الثقافة وفي التعاليم اللاهوتية اليهودية في ذلك العصر . ولهذا السبب فإن كثيرين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر ظهور المسيا القريب والمفاجئ ،

(1) Jesus - Christ et les Croyances Messianiques de son temps. Deuxième édition: revue et augmentée. Strasbourg. Treutiel et Wurtz Librairie. Édition 1864.

المسيا الذي سيحرر شعبه من النير الرومانى القاسى والظالم • ولهذا السبب أيضا كانت القوات الرومانية تضرب بلا رحمة وبلا شفقة كل ادعاء مسياني ، إذ كانت تعلم جيدا أن كل حركة مسيانية سياسية خطر على سياستها ووجودها ، ولذلك فقد كان الصراع بين الرومان وبين قوات التحرير الوطنية صراعا مستمرا وعنيفا ، ووصل هذا الصراع أشده في السنوات السابقة واللاحقة لميلاد يسوع •

بعض المراجع الهامة عن الغيورين وعن تلك الحقبة من الزمان :

1. S.G.F. Brandon. **Jesus And the Zealots : A Study of the Political Factor In Primitive Christianity**, New York, 1968.
2. Oscar Cullmann. **Jesus et Les Revolutionnaires de Son Temps**. Neuchatel, 1970.
3. Georges R. Edwards. **Jesus and the Politics of Violence** New York, 1972.
4. Comtantin Daniel. "Esseniens, Zelotes et Ssicaire et leur mention par paronymie dans le N.T. (in Numan 13, 1966. pp. 88 — 115).
5. H. Kingdon "Who were the Zealots and their leaders in A.D. 66 ?" In New York testament studies 17 (1970) pp. 68 ff.
6. Morton Smith "Zealots and Sicarii, their Origins and Relations" in Harvard theological Review 64 (1971) pp. 1 — 19.
7. Walter Wink "Jesus and Revolution. Reflections on S.G.F. Brandon's "Jesus and the Zealots" in Union Seminary Quarterly Review 25 (1969) pp. 37 — 59.
8. Dict. of the Bible (J. Hasting, 5th vol., Edim., 1897 — 1904.
9. Alfred, Bertholet. **Histoire de La Civilisation d'Israel**, Trade Jacques Marty. Paris Payot 1929.
10. Louis De Porte. **La Mesopotamie. Les Civilization babylonienne et Assyrienne**. Paris.
11. Charles F. Jean, **Les Milieu Biblique** Avan ler Vol. 1922. 2em 1923.
12. Jean Juster. **Les Juifs dans L'empire Romains, Leurs Condition Juridique, Economique et Sociale**, 2 vols., Paris Geuthner, 1914.
13. M. J. Lagrange. **Le Judaisme Avant Jesus Chirst**. Paris 1931.
14. Ad. Lods **Israel, des Origines au milieu du 8 Siecle**, Paris.
15. S. Matthews. **The History of The New Testament Times in Palestine**. New York, 1910.

16. **Johns, Pedersen. Israel, its Life and Culture 1 — 2** Londre Milford, 1926.
17. **CH. Guignebert. des Prophetes a Jesus Le Monde Juif. Vors Le Temps de Jesus.**
18. **Cecil Roth. Histoire du Peuple Juif des Origines a 1962** (Ed. de La Terre Retrouvee. 12 R. de La Victoire, 12. 1963.
19. **Henri Caubert. L'Attente du Messie La Bible dans L'Histoire. Mame. Paris 21. 2. 1968.**
20. **Marcel Simon. Les Sectes Juives Au de Jesus. Press Universitaires de France.**
21. **S.G. Brandon. Jesus et Les Zélotes Flammarion idees et Recherches. Trod.**
22. **C. Kittel. Theological Dictionary of the N.T. Grand Rapids, from 1964 Onwards : Articles sur Zelotes (Stumpff) vol. 2 pp. 877 — 888 Sur Lestes (Rengstorf) Vol. IV pp. 257 — 262. et Sur Sikarios (Betz) Vol. 7 pp. 278 — 282.**
23. **F M. Abel. Histoire de La Palestine depuis La Conquete d'Alexandre Jusqu'a L. Invasion Arab 2 Vol. (Coll. Etudes bibl. Paris, 1952).**
24. **Joachim Jeremias. Jerusalem au Temps de Jesus. Recherches d'Histoire Economique et Sociale. Trad de L'all 525 p. Paris 1967.**
25. **Daniel M. Rhoads. Israel in Revolution 6 - 74 C.E A Political History.**
26. **T. Colan. Jesus - Christ et Les Esperance Messianique de son temps.**
27. **W. Trilling. Jesus devant L. Histoire tr. Par Joseph Schmit. Les Editions du Cerf.**

الجزء الثاني

ميلاد المسيح
وحياته وموته وقيامته

- الفصل الأول : ولادة المسيح
- الفصل الثاني : الميلاد العذراوى
- الفصل الثالث : طفولة يسوع وشبابه
- الفصل الرابع : يسوع ومعاصروه
- الفصل الخامس : يسوع والخيرون
- الفصل السادس : موقف يسوع من الخيورين
- الفصل السابع : مفهوم التلاميذ عن يسوع
- الفصل الثامن : مفهوم يسوع عن نفسه
- الفصل التاسع : الفصح والعشاء الربانى
- الفصل العاشر : موت المسيح وقيامته

الفصل الأول

ولادة المسيح

إن كل ما قلناه في الفصول السابقة عن « المسيا » كما يقدمه لنا العهد القديم ، المسيا كما رآه وانتظره اليهود قبل الميلاد ، ثم فترة الميكابيين وما بعدها ، وأخيراً . . . المعتقدات التي كانت سائدة عن المسيا من قبل وبعد مجيئه . كل هذا لا يعد إلا تمهيدا للدخول في صلب الموضوع الذي نريد دراسته دراسة عقائدية ، وحتى نعرف كيف فهم التلاميذ والكنيسة الأولى ، والمدافعون (APOLOGISTES) والعصور اللاحقة شخص ربنا يسوع المسيح ، كان من اللازم والضروري أن نلقى نظرة تاريخية سريعة على مفهوم المسيا عند اليهود وأي نوع من المسيا كانوا ينتظرون . فبعد أن رأينا الآمال الروحية والسياسية والاقتصادية التي كان اليهود يعلقونها عن مجيء المسيا ، لنقدم الآن للدخول في موضوع دراستنا : « يسوع المسيح على مر العصور » ، وسنحاول بنعمة الله أن نتناول بالتحليل مفهوم كل حقبة مبتدئين من سنة ٤ ق.م. إلى العصر الحاضر ، أو بعبارة أخرى : ما هو جواب الكنيسة أو الكنائس أو الشعوب والطوائف سؤال الرب يسوع نفسه ، الذي سألته لتلاميذه في قيصرية فيلبس قائلاً : « من يقول الناس إنني أنا

ابن الانسان ؟ » (متى ١٦ : ١٣) • إن الرب يسوع الذى طرح هذا السؤال على تلاميذه ، طرحه أيضا على كل جيل وعصر مرت به كنيسة • وكما أن التلاميذ كانوا ملزمين بإعطاء جواب على هذا السؤال ، فالكنيسة أيضا ملزمة فى كل عصر وفى كل مكان بأن تعطى جوابا واضحا وصريحا عن عقيدتها فى شخص المسيح يسوع • فالدراسة التى سنقوم بها الآن تتركز على مفهوم الكنيسة لشخص الرب يسوع المسيح • وكيف فهمت الكنيسة على مر العصور شخص المسيح • وبناء على ذلك فسنضطر للدخول فى تفصيل وشرح بعض العقائد الكرسولوجية (CHRISTOLOGIE) (التعاليم الخاصة بشخص المسيح) وبعض الهرطقات التى ظهرت فى كل حقبة من حقبات الزمان وموقف الكنيسة منها ، والصراع العنيف القاسى المرير والمحزن الذى مرت به كنيسة الفادى ، جسد المسيح • هذا الصراع الشنيع بدأت بوادره تظهر بين التلاميذ أنفسهم ، ثم ازداد فى الكنيسة الأولى ، وللأسف الشديد ، فإن دارس تاريخ العقائد يلاحظ أنه على قدر ما كانت الرسالة تنتشر فى العالم على قدر ما كانت تظهر انشقاقات وبدع وهرطقات ، لأنه حيثما بشر بالمسيح : كان سؤاله يطرح نفسه : « من يقول الناس إنى أنا ابن الانسان ؟ » وكان الذين يسمعون هذه الرسالة المفرحة ملزمين بإعطاء جواب على : « من هو يسوع المسيح ؟ أهو يوحنا المعمدان ، أهو إيليا ، أهو إرميا أو واحد من الأنبياء ... » أو كما اعترف بطرس ملهما من الآب نفسه : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » • والكنيسة المسيحية حاولت على مر العصور الاجابة على هذا السؤال : من هو يسوع المسيح ؟ أهو نبي ، أهو مصلح اجتماعى ، أهو مصلح دينى ، أهو انسان غير عادى وخارق للطبيعة أم هو ابن الله الحى : الله الذى ظهر فى الجسد ؟ ... والناس فى إجاباتهم على هذا السؤال : « من هو يسوع المسيح ؟ » انقسموا إلى أحزاب وطوائف وكنائس ، وتحققت كلمات سمعان التى نطق بها عندما أخذ الطفل يسوع بين يديه وقال :

« إن هذا (يسوع) قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم » (لو ٢ : ٣٤) • نعم لقد جاء المسيح لسقوط وقيام كثيرين ليس فقط فى إسرائيل بل فى الكنيسة كلها وفى العالم كله • « إلى خاصته جاء وخاصته لمقبله • وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه » (يو ١ : ١١ و ١٢) • هنا يبدأ الإنقسام والصراع بين الذين قبلوه سيّدا ومخلصا لحياتهم وتصرفاتهم وإيمانهم وبين الذين رفضوه أو لم يعطوه المكان اللائق به كرب وسيد • لقد جاء المسيح — المسيا — الذى كان شعب اليهود ينتظرونه بفارغ الصبر ، جاء إلى خاصته لخلاصها وتحريرها ، فجاء عرفته خاصته وقبلته كمخلص وكسيد ؟ إن النبى إشعياء يقول : « الثورة يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه ، أما إسرائيل فلا يعرف شعبى لا يفهم ••• » (اش ١ : ٣) •

إن جواب هذه الأمة على سؤال المسيح : « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » كان أنه بعزبول ، وأنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين » (مر ٣ : ٢٢) • ولذلك فقد طلبوا كهنة وشعبا ، من بيلاطس أن يصلب يسوع وأن يطلق لهم باراباس : « فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا ، حينئذ أطلق لهم باراباس ، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب » (متى ٢٧ : ٢٥) •

منذ هذا التاريخ ، أى بعد أن أعلن الشعب اليهودى أن دم المسيح عليهم وعلى أولادهم وأنه ليس لهم ملك إلا قيصر (يو ١٩ : ١٥) تحول المسيح عنهم وعن أمتهم وترك لهم بيتهم خرايا ، وجردت هذه الأمة من كل الإمتيازات التى كانت تتمتع بها لأنها هى نفسها التى طلبت بأن تجرد من هذه الامتيازات عندما أنكرت سيدها وربها طالبة سيادة قيصر • بهذا الجواب : « دمه علينا وعلى أولادنا » أصبحت الأمة اليهودية كباقي الأمم وأصبحت الكنيسة المسيحية شعب الله المختار إذا

تمسكت بدعوتها واحتفظت بمقامها الذى منحه لها الرب فى فرط محبته .
على أن هذا لايعنى أن الباب أغلق نهائيا أمام هذه الأمة ، بل إذا قبلت
المسيح كالمخلص والفادى تصبح بدورها عضوا فى كنيسة المنتشرة
فى الأرض كلها . إن هذا « يسوع » قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى
إسرائيل ولعلامة تقاوم .

ولكى لا نبتعد عن موضوع دراستنا : « من هو يسوع المسيح »
سنحاول أن نتبع نفس الطريقة التى اتبعناها فى الفصول السابقة من
الناحية التاريخية . فالسؤال الأول الذى يفرض نفسه هو :

١ - هل يمكننا أن نثبت من الناحية التاريخية وجود المسيح ؟
ومتى ولد ؟

قبل أن نبدأ البحث فى السؤال الأول : « هل يمكننا أن
نثبت من الناحية التاريخية وجود يسوع » ، نريد أن نلفت نظر القارئ
الكريم إلى أمر مهم جدا ، وهو أن إيماننا بالمسيح يسوع الذى ولد من
عذراء فى بيت لحم وعاش فى أرض فلسطين و صلب ومات وقام فى
اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله الآب وسيأتى من
هناك ليدين الأحياء والأموات ، إن إيماننا هذا بالرب يسوع لايتوقف
على ما يقوله المؤرخون سلبيا أو إيجابيا ، لأن الايمان بشخصه الكريم
هو هبة الله ، وكما يقول الرسول : « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان
وذلك ليس منكم . هو عطية الله » (أف ٢ : ٨) فحتى الإيمان الذى
نؤمن عن طريقه بالمسيح هو عطية من الله . وهذا الإيمان يولد فى قلب
الانسان عندما يتقابل الرب يسوع المسيح معه . فعن طريق هذا اللقاء
بين يسوع المسيح وبين الانسان ، يولد الايمان ويصبح الانسان خليفة
جديدة .

فإن كنا سنحاول فى الصفحات التالية البحث عن بعض النصوص والوثائق التاريخية التى تتكلم عن يسوع وعن وجوده التاريخى ، فإن هذا لايعنى أن إيماننا بالمسيح متوقف على هذه الأدلة التاريخية ، لأن إيماننا بالمسيح راسخ على صخر صلب وعلى أدلة أعظم وعلى شهود أكثر أمانة وإخلاصا . لأن مسيح الايمان الذى عمل ويعمل الآن فى كنيسته بالروح القدس يستطيع بمقابلته للانسان أن يقنعه بوجود يسوع التاريخى . فمع أن « يسوع التاريخ » وجد فعلا ، ولد وعاش وتآلم وفرح وأخيرا صلب ومات وقاوم ، إلا أن هذه الحوادث التاريخية لايمكن أن تصبح حقيقة مقنعة لها تأثيرها وفعاليتها إن لم يصبح مسيح الايمان حقيقة واقعية يحيا به الانسان ويحيا فيه ، فأساس إيماننا فى وجود يسوع التاريخ لايرتكز إذن على ما قاله أو يقوله المؤرخون بل يرتكز على « يسوع الايمان » الذى يشهد بروحه القدوس لنفسه ، ثم على أقوال الكتب المقدسة التى تشهد له : « ففتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى » (يو ٥ : ٣٩) .

هذا لايعنى أن دراسة التاريخ والبحث العلمى والتتقيب فيه لاقيمة لها بالنسبة للمسيحى أو للايمان المسيحى ، كلا ، فإن كان المسيحى الحقيقى لايبنى إيمانه على ما يقدمه التاريخ ، إلا أن ما يقدمه التاريخ عن يسوع من الناحية الايجابية يغذى ويقوى إيمان المؤمن فى يسوع ، وبذلك تصبح دراسة التاريخ ومعرفته وما يرويه عن يسوع مهمة جدا وضرورية لكل دارس وباحث ، ولهذا السبب فمن واجبنا أن ننقب ونبحث التاريخ باحثين بأمانة وإخلاص عن بعض النصوص والكتابات التى تتكلم عن وجود يسوع التاريخى . ولكن قبل أن نتكلم عن بعض هذه الأدلة التاريخية يجدر بنا أن نذكر الأدلة الكتابية .

الأدلة الكتابية التى تتكلم عن وجود يسوع :

إن الأدلة الكتابية التى تتكلم عن وجود يسوع لا حصر لها ولا عدد ، ولذلك لا نذكر أقوال الأنبياء التى نطقوا بها معلنين مجيء المسيا المخلص ، ونكتفى فقط — على سبيل المثال لا على سبيل الحصر — بسرد بعض الأدلة الكتابية :

إن أول الأدلة الكتابية التى تكلمنا عن يسوع ، هى رسائل القديس بولس الرسول ونذكر أولا رسائل بولس لأنها كتبت وأرسلت إلى الكنائس قبل أن تكتب الاناجيل . فهذه الرسائل تكلمنا عن أصل يسوع (رومية ١ : ٣ ر غلا ١ : ١٩ ، ٣ : ١٦) وعن حياته (١ كو ١١ : ١٠ ، ٢ : ١٠ ، ٢١ : ١٠) ، وتكلمنا أيضا عن موته (١ كو ٢ : ٢ وغلا ٢ : ٢٠ وفى ١ : ٨) وعن قيامته (١ كو ١٥) إن أقدم رسالة من هذه الرسائل كتبت حوالى سنة ٥٢ ب.م .

المصدر الثانى الذى منه نستقى معلوماتنا عن يسوع ، هو الاناجيل . فإن الاناجيل الثلاثة الأولى التى كتبت بين ٧٠ ، ٨٥ ب.م . ثم إنجيل يوحنا الذى كتب فيما بين سنة ٩٠ ، ١٠٠ ب.م . تروى لنا قصة ميلاد وحياة ومعجزات وجهاد ، وصلب ودفن وقيامة وصعود يسوع .

كل هذه الرسائل : رسائل بولس الرسول والرسائل الأخرى وكذلك الاناجيل الأربعة ، موضوعها الأساسى هو شخص يسوع المسيح . فهى من ناحية تقدم لنا يسوع الناصرى : كان إنسانا ولدت من امرأة وعاش بين الناس مشتركا معهم فى أفراحهم وأحزانهم ، وكان عرضة للعطش والجوع والآلام والموت . ومن ناحية أخرى تقدم لنا يسوع المسيح ابن الله ، الذى ولد من امرأة عذراء وعمل المعجزات ، وأقام الموتى وقام هو نفسه من الأموات وصعد إلى السماء . هذه هى شهادة

الكتاب المقدس عن يسوع المسيح، وبهذه الصورة المزدوجة يقدم لنا العهد الجديد شخص يسوع المسيح، معطيا لنا شهادة عن أصله وعن سبب وجوده على أرضنا. ومن الواضح أن العهد الجديد لم يحاول أن يعطى لنا قصة حياة كاملة (LA BIOGRAPHIE DE JESUS) عن يسوع، إذ أن هدف الأناجيل لم يكن هدفًا روائيًا، لأن الذين كتبوا هذه الكتب وخاصة الانجيليون لم يحاولوا أن يقدموا قصة حياة يسوع لكي يشبعوا رغبة محب الاستطلاع في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجنس وعلم البيولوجيا، بل قدموا لنا بعض الحوادث وبعض القصص التي تروى لنا ما قام بعمله يسوع الناصري، دون أن يدخلوا في التفاصيل التي يهتم بها عالم النفس، وعالم الاجتماع وعالم الجنس وعالم البيولوجيا. فعلى سبيل المثال نحن نعرف أن يسوع لم يكن عابسا كثيلا، رغم ذلك فإن العهد الجديد لا يذكر ولو مرة واحدة أن يسوع ضحك أو ابتسم. نعم إنه يقول... «وفي تلك الساعة تهللي يسوع بالروح وقال أحمذك أيها الآب رب السماء والأرض...» (لو ١٠ : ٢١) ومع ذلك فلم يقل ضحك يسوع أو ابتسم يسوع، مع أنه هو مصدر السرور والفرح الحقيقيين.

ظاهرة أخرى : العهد الجديد لا يذكر ولو مرة واحدة أن يسوع كان يقوم كأي انسان آخر بمطالب جسده الطبيعية.

من هذه الأمثال وأمثال أخرى يتضح لنا بأن كتاب العهد الجديد لم يكن في قصدهم تقديم قصة كاملة عن حياة يسوع تشمل كل تصرفاته الداخلية والخارجية، بل أرادوا أن يصفوا لنا الانسان يسوع الناصري الذي تقابل معه بعضهم في أثناء حياته على الأرض، فرأوا فيه ليس فقط الانسان يسوع الناصري ابن مريم، بل رأوا فيه أيضا المسيح ابن الله الحي. إن الرسل والانجيليين يقدمون لنا شهادة (م ١٠ - تاريخ الفكر المسيحي)

حية حقيقية لا يمكن رفضها أو انكارها عن وجود يسوع على الأرض ويمكننا أن نلخص هذه الشهادة في كلمات القديس يوحنا القائلة : « الذى كان من البدء ، الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ... الذى رأيناه وسمعناه نجبركم به لكى يكون لكم أيضا شركة معنا ... » (١ يو ١ : ٣) •

الأدلة التاريخية التى تكلمنا عن وجود يسوع :

كما سبق القول أن إيماننا فى المسيح لا يرتكز بأى حال من الأحوال على ما يقوله المؤرخون ايجابيا أو سلبيا عن يسوع ، بل إن إيماننا الذى هو هبة وعطية من لدنه ، يرتكز أولا وقبل كل شئ على شخصه الكريم ، صخر الايمان ومنبعه الحقيقى • ثم يرتكز أيضا على وحيه الصادق أى الكتاب المقدس • وهذا الأخير يستمد سلطانه ونفوذه وتأثيره من الله المثلث الأقانيم •

فإن كنا ننبش التاريخ باحثين عن بعض الأدلة التاريخية التى نتكلم عن يسوع ، فأننا لا نريد بذلك ، البحث عن أساس لايماننا بالمسيح فى التاريخ ، إلا أن التاريخ بوثائقه وأدلته التاريخية يمكن أن يكون عاملا فى تقوية إيماننا بالمسيح ، وليس مصدرا له • ولهذا السبب ، أى لتقوية الايمان ولأسباب أخرى يتحتم على كل دارس ، وخاصة الذى يريد دراسة العقيدة المسيحية فيما يتعلق بشخص الرب يسوع أن يعطى اهتماما كبيرا لدراسة التاريخ •

والسؤال الأول الذى يفرض نفسه فرضا على الباحث فى التاريخ هو السؤال الذى سألَه الأستاذ جوجل (MAURICE GOGUEL) الذى كتب عدة مؤلفات عن حياة يسوع ، محاولا الاجابة على السؤال

الآتي : هل يسوع هو شخصية حقيقية لحما ودما ، وهل عاش فعلا في منطقة ما على الأرض ؟ وفي وقت معين ؟ أم هو مجرد حقيقة روحية رمزية ، أسطورة عن طريقها استطاعت الكنيسة الأولى أن تعبر عن آمالها وأحلامها وعبادتها^(١) . هذا هو السؤال الذي سألّه جوجل والذي نسألّه ويسألّه الكثيرون من المؤرخين ، هل يسوع الناصري حقيقة أم خيال ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول إنه لا يوجد مؤرخ واحد جاد ينكر وجود يسوع التاريخي ، فمع أن الأدلة التاريخية التي يتكلم عن وجوده نادرة جداً إلا أن المؤرخين اتفقوا على أن وجود يسوع حقيقة لا يمكن أنكارها كما يقول الكاتب الألماني ترلينج (W. TRILLING) في كتابه المعنون : « يسوع أمام التاريخ » . وإن كان البعض رفض فكرة وجود يسوع التاريخي وعلى رأسهم (P. VOLNEY) ثم دوبوي (CH.F. DUPUIS) في سنة ١٧٩١ ، فإن حقيقة وجود يسوع التاريخية حقيقة ثابتة ، وانكارها يعني انكار حقيقة تاريخية لا شك فيها ، كما لو قلنا إن الامبراطور أغسطس قيصر ونابليون لم يوجدوا في التاريخ . ولدحض هذه الادعاءات التي لا أساس لها ، يواصل الكاتب شرحه بالقول : « يكفي اثبات حادثة واحدة تكون قد حدثت فعلا مع يسوع على المستوى التاريخي لاثبات وجوده التاريخي . ونحن نملك أكثر من

(١) كتب مسيو Goguel عدة مؤلفات عن حياة يسوع ومنها

(A) La Vie de Jésus. Payot. Paris. 106 Boul. St. Germain 1932, 164, 174.

(B) Jésus : Histoire des vies de Jésus - les temoigange Paulinien, les Evangiles - les origines des Jésus.

(C) Jésus de Nazareth. Mythe ou Histoire. Payot. Paris 106 Boul. St. Germain W. Trilling : Jésus devant l'histoire. Traduit de P'Allemand par Joseph Schmit. Les édition du CGRB 29 Bl. Latour Maukourg Paris, 1986 p. 15 - 18.

حادثة تثبت وجود يسوع التاريخى (١) • وهنا نسأل هذا السؤال :
ما هى المصادر التاريخية التى تتكلم عن يسوع ؟

١ - التلمود (٢)

إن التلمود يعتبر من أهم المصادر التاريخية القديمة التى تكلمنا
عن يسوع الناصرى • ولقد حاول كلاوزن (KLAUSNER) جمع كل
النصوص التلمودية التى تتكلم عن يسوع • ومن أهم هذه النصوص التى
ذكرها التلمود (LA BARATTA) والتى حفظت فى كتابات السنهدريم
فى التلمود البابلى ، النص الآتى : « لقد علق يسوع الناصرى على خشبة
فى عشية عيد الفصح ، فمدة أربعين يوماً كان يتقدمه مناد صارخا :
لقد استعمل السحر وأغوى إسرائيل وجره إلى العصيان ، فهو إذن
مستحق الرجم ، فإن كان يوجد من يدافع عنه لئى يبرر موقفه فليدافع ،
ولكن لم يوجد من يدافع عنه أو يبرره ولذلك قضى عليه فى عشية عيد
الفصح » • ثم يقول جوجل إنه يوجد تقليد يهودى قديم يرجع إلى
العصر الأول وبداية القرن الثانى ، يقول هذا التقليد إن : « يسوع ابن
عسكرى رومانى • وهدف هذا التقليد هو استبعاد يسوع من النسب
الداودى » • كما أن التلمود يذكر أيضاً بأن الإسرائيليين اعترفوا ليس
فقط بوجود شخص يسوع الناصرى بل بالمعجزات التى عملها ، إلا
أنهم نسبوا معظم هذه المعجزات إلى الشيطان •

ب - شهادة يوسيفوس فلافيوس المؤرخ اليهودى :

فى معرض حديثه عن هيرودس أنتيباس يقول : « فى نحو ذلك

(١) اقتبس من Goguel فى كتابا ص ٥١ ، ٥٢

(٢) التلمود عبارة عن مجموعة التقاليد اليهودية وتفسير للشرعة .

الزمان جاء يسوع ، إنسان حكيم : لو أمكن أن ندعوه إنسانا ، لأنه كان يقوم بعمل معجزات عجيبة ويعلم الحق للباحثين عنه ، فتبعه عدد كبير من اليهود ومن الأمم ، فهو المسيح ، ولكن زعماء أمتنا وشوا به لدى بيلاطس فحكم عليه بالصلب ، وأما الذين اتبعوه فظلوا على حبهم له ، ولذلك فقد ظهر لهؤلاء حيا في اليوم الثالث من موته مثبتا أقوال الأنبياء المختصة به وبمعجزاته التى لا حصر لها وتوجد حتى الآن جماعة باقية تدعى باسم « مسيحيين » نسبة له « (١) »

ونفس المؤرخ (يوسيفوس) يتكلم عن حادثة أخرى ويذكر فيها إسم يسوع فيقول : لقد دعا حنانيا السنهدريم للانعقاد وقدم له يعقوب أخا يسوع الذى يقال له المسيح مع آخرين ، ولقد إتهموهم بكسر الناموس فحكم عليهم بالرجم ونفذ هذا الحكم في عيد الفصح في سنة ٦٢ ب.م « . وسفر أعمال الرسل يشير إلى هذه الحادثة بالقول : « في ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه ليسيء إلى أناس من الكنيسة ، فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف » (أع ١٢ : ١ ، ٢) .

بالنسبة للنص الأول المنسوب ليوسيفوس المؤرخ يقول جوجل (GOGUEL) إن أريجانوس استشهد بهذه الشهادة دون أن يذكر المرجع بالضبط « (٢) »

قبل أن ننتقل إلى المصادر الغير المسيحية التى تكلمت عن يسوع يجب أن نقف قليلا عند النص الأول المنسوب ليوسيفوس ، لأن الأمانة العلمية تتطلب من الباحث المدقق لا البحث والتقيب عن النصوص القديمة والحديثة التى تؤيد وجهة نظره أو النتيجة التى يريد أن يصل إليها

(١) انظر كتاب تاريخ اليهود ليوسيفوس ملايوس (كتاب ١٨ : ٣٠٢)

(٢) انظر كتاب جوجل Goguel حياة يسوع ص ٥٦

فحسب ، بل يجب عليه أيضا أن يبحث بدقة فيما إذا كانت هذه النصوص صحيحة أو غير صحيحة : ثم يدرس الآراء المعارضة لها ، ولذلك يجب أن نلفت نظر القارئ إلى أن النص الأول الذى يتكلم عن يسوع : « إنسان حكيم .. فهو المسيح .. » ، قد تعرض هذا النص لبعض النقد ، والنقد الذى وجهه الكثيرون من المتخصصين فى النقد التاريخى هو أن هذا النص أدخلته يد مسيحية فى كتابات يوسيفوس فلافيوس . وتوجد عدة أسباب دفعت النقاد إلى أن يفترضوا هذا الفرض .

١ - إن يوسيفوس لم يتكلم أبدا فى كتاباته العديدة والكثيرة (انظر ص ١١٥) عن يسوع إلا فى هذين النصين ، فكيف يمكن أن مؤرخا عظيما كيوسيفوس كتب عن تاريخ اليهود من بدء الخليقة إلى سنة ٦٦ م . (٢٠ مجلد) ، ولا يتكلم عن يسوع بشيء من التفصيل ، وقد كرس صفحات كثيرة لأحداث وأشخاص تقل كثيرا جدا فى أهميتها عن شخص يسوع ١١٩

٢ - يقول النقاد أيضا إن اعتراف يوسيفوس بأن يسوع هو المسيح يعنى أنه يعترف بمسيانيته ، وهذا الأمر لا يمكن قبوله بسهولة . ذلك لأن يوسيفوس كان من الطبقة اليهودية المتعاونة مع الأجانب الرومان ، وسياسة الرومان كانت ضد كل الحركات المسيانية . ولقد لقب يوسيفوس نفسه هذه الحركات « بجماعة اللصوص » .

٣ - إن اعتراف المؤرخ اليهودى بمسيانية يسوع يعنى أنه تجدد أو قبل المسيحية الأمر الذى لم يذكره فى أى كتاب من كتبه . ولذلك يجد كثيرون من النقاد أنه من الصعب قبول هذا النص الذى يعترف فيه بأن يسوع هو المسيح .

وهنا يجب أن نطرح السؤال الآتى : إذا كان يسوع الناصرى

حقيقة تاريخية فعلية ، فلماذا لم يتكلم عنه بالتفصيل هذا المؤرخ اليهودى العظيم والمتخصص فى تاريخ أمته ؟ والذى عاش فى نفس القرن الذى عاش فيه يسوع ، وخاصة أن يوسفوس كتب الكثير عن سياسة وتاريخ الحركات المسيانية ومقاومتها لروما ولسياستها ؟

إن النقاد ودارسى التاريخ يتسائلون باندعاش عظيم عن صمت يوسفوس وعدم ذكره ليسوع فى كتاباته ، ولماذا التزم هذا الصمت الذى يكاد أن يكون عمدا كاملا ، إذا استثنينا النصين اللذين اقتبسناهما أعلاه .

والأمر غملا مذهش جدا عندما نعرف بأن يوسفوس لم يكن مؤرخا مشهورا وعارفا بتاريخ الأمة اليهودية فقط بل كان أيضا سياسيا محنكا ومسئولا كبيرا فى السياسة اليهودية . بل أصبح فيما بعد مستشارا للإمبراطور الرومانى فيما يختص بالأمور السياسية اليهودية . وبهذه الصفات الثقافية والسياسية والدبلوماسية والدينية كان يوسفوس على صلة وثيقة بئى ما يحدث فى فلسطين ، فلماذا إذا كان يوسفوس شحيحا فى اعطائه المعلومات التاريخية المختصة بيسوع ؟

عندما ندرس ما كتبه يوسفوس عن فترة الثورات والاضطرابات التى قام بها بعض اليهود من سنة ٦ الى ٧١ ب.م . نلاحظ عداوته ومقاومته الشديدة للحركات المسيانية بطريقة عامة ثم مقاومته وعداوته لحزب الغيورين بصفة خاصة . ونرى أيضا كيف أن يوسفوس حمل اليهود الثوار مسئولية الخسائر الجسيمة فى الأرواح والأموال ، الخسائر التى سببوها بثوراتهم ضد الرومان من سنة ٦٦ إلى ٧٠ ، وخاصة فى سنة ٧٠ عندما سقطت أورشليم محروقة الأسوار ، منهزمة البناء ، بسبب تعصبهم الدينى الأعمى غير الحكيم . ولقد وصف يوسفوس هذه الحركات التى كانت تدعى بأنها حركات مسيانية « بالصوص والقراصنة » . ولذلك

فقد اعتبر الرومان أن هذه الحركات وقادتها تمثل خطرا حقيقيا وعظيما عليهم ، وبناء عليه كانت القوات الرومانية المحتلة للبلاد في ذلك الوقت تعمل جاهدة وبلا تهاون على تنظيف البلاد من كل هذه الشيع الغيورية وأمثالها التى لا هدف لها إلا تصفية الرومان من البلاد وعودة الحكم الثيوقراطى . وقد تعرضت بلاد فلسطين من سنة ٥ ق م . إلى سنة ٧٠ ب م . لحركات مسيانية كثيرة ، مما اضطر الرومان إلى الضرب بشدة لأى حركة تصطبغ بهذا اللون المياني .

وعلى ما يبدو كان يوسيفوس يرى في يسوع وفي تلاميذه نوعا آخر يختلف تماما عن كل المسايا وعن كل الحركات الميانية التى وصفها في كتاباته ، نذك فإن يوسيفوس الدبلوماسى والسياسى حاول أن يتجنب الكلام عن قرب أو عن بعد عن يسوع أو تلاميذه . فقد كان يخشى أن الكتابة عنه وعن تلاميذه ، تجذب نظر الرومان إلى جماعة المسيحيين واعتبارهم شيعة أو حزبا من الأحزاب السياسية الميانية المشابهة للأحزاب الأخرى ، مما كان يجلب عليهم عداوة الرومان ومقاومتهم لهذه الجماعة المسيحية . فلو مدح أو تكلم عن يسوع أو عن تلاميذه بطريقة حيادية ، لعرض نفسه لخطرين مهمين : (١) لاعتبره الرومان واحدا من أتباع هذا الحزب الذى قد يظن الرومان بأنه يمثل خطرا عليهم . (٢) لاعتبره الحزب الكهنوتى الأرستقراطى واحدا من أتباع طريق الناصريين . ونحن لانجهل أن يوسيفوس انتهى من كتابة « تاريخ اليهود » (٢٠ كتاب) في حوالى سنة ٩٣ ب م ، فكان إذن لا يخشى أى خطر من جانب حزب الارستقراطية الكهنوتية الذى قضى عليه كما قضى على كل الأحزاب اليهودية الأخرى سنة ٧٠ ب م ، ولكن لا يفوتنا أيضا أن اليهود الذين تشنتوا بنسب سقوط أورشليم والذين تشنتوا من قبل ذلك كانت لهم كلمتهم ومجامعهم حيثما وجدوا في كل الامبراطورية الرومانية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لو كتب يوسيفوس عن يسوع

وحياته وأعماله وتحرفاته وكذلك عن تلاميذه فلا بد له أن يتكلم عن اليهود وانتظاراتهم المسيانية وآمالهم المعلقة على المسيا الذى سيأتى لى قلب الأوضاع الراهنة ويقيم على أنقاض الامبراطورية الرومانية ملكوت الله . إذاً فعد كان صمت يوسيفوس (أو شبه الصمت) ما هو إلا صمت سياسى دبلوماسى لأنه لم يرد أن يسيء إلى علاقته بالسلطات الحاكمة الرومانية التى منحتة إمتيازات كثيرة ، ولا إلى علاقاته مع اليهود أبناء شعبه . وفى الوقت نفسه لا يريد أن يعرض أتباع يسوع لبطش الرومان .

لهذه الأسباب يعتقد الكثيرون بأن يوسيفوس فضل أن يسدل ستارا على شخصية يسوع . ولهذه الأسباب أيضا إعتقد البعض بأن النص الذى ذكرناه آنفاً عن يسوع بأنه إنسان حكيم .. فهو المسيح .. الخ .. والذى ارتكزت عليه الكنيسة وقتاً طويلاً ، قد يكون مصدره مسيحياً أو على الأقل امتدت إليه يد مسيحية فغيرت الكثير منه ، ولكن هذا لا يغير شيئاً من إيماننا بالمسيح يسوع .

ج - المصادر الوثنية :

إن المؤرخ الرومانى الوثنى « تاسيت » الذى كان معاصراً لبعض الرسل (٥٥ - ١٢٠ ب.م) ، يذكر فى حديثه عن حريق روما اسم المسيح فيقول : « إن المسيحيين لقبوا بهذا الاسم بسبب نسبتهم إلى المسيح الذى فى عهد طيباريوس ، حكم عليه بالموت بيلاطس البنطى ، ومع أن هذه الخرافة الشنيعة قضى عليها فى وقتها ، بالقضاء على الذى بدأ بها ، إلا أنها انتشرت من جديد ليس فقط فى اليهودية مهد هذا الشر بل فى روما نفسها . ولهذا فقد اضطر الحكام إلى مطاردة من يعتقدون هذه الديانة ، ليس فقط لأنهم أحرقوا روما بل لأنهم أعداء

الجنس البشرى « (١) • إن أسلوب هذه الشهادة يبعد عنها كل الشبهات بأنها دخيلة على التاريخ أو من عمل يد مسيحية لأنها تلقى جريمة حرق روما على المسيحيين ، وهى التهمة التى أتهم بها نيرون المسيحيين ، كما أن المؤرخ يصفهم بأعداء البشرية ••» ثم هناك شهادة أخرى لا تقل أهمية عن هذه الشهادة وهى خطاب بليينوس الصغير الحاكم الرومانى لببثينيا ، إلى الامبراطور تراخاموس فى سنة ١١١ ب.م. ويقول فى هذا التقرير : « إن هذا المذهب انتشر فى كل مدينة وفى كل قرية ، فقد هجرت هياكل آلهتنا مع مذابحها ، ولهذا فقد أقيمت الشماسات فى السجون لتعذيبهم ، وكان رد الفعل هو صلواتهن الحارة • وعادة يجتمع المسيحيون قبيل الفجر فى يوم محدد لاكمram المسيح إلههم بالترانيم « (٢) •

توجد أيضا شهادة أخرى ، هى شهادة طاليس السامرى الذى يتكلم عن خسوف الشمس الذى حدث فى أيام طيباريوس ، ويعلق يوليانوس الأفريقى على هذا الحدث بالقول بأن طاليس أخطأ عندما قال إنه قد حدث خسوف طبيعى للشمس ، لأنها كانت معجزة • على أننا كنا نتوقع — كما يقول الأستاذ جوجل GOGUEL — أن يوليانوس الأفريقى يضيف موضحا بأن هذه الظاهرة التى حدثت فى ذلك التاريخ بالذات والتى يعتبرها طاليس ظاهرة طبيعية هى معجزة لأن يسوع صلب فى هذا التاريخ ، وهو الخسوف الذى تتكلم عنه الأناجيل (متى ٢٧ : ٤٥ ، مر ١٥ : ٣٣ . لو ٢١ : ٤٤ — ٤٥) (٣) •

(١) انظر كتاب بورنكام (G. Bornkamm) ص ٣٤ ، ٣٥

(٢) انظر كتاب الآب بولس الياس اليسومى « يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه » ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) انظر كتاب جوجل (La Vie de Jésus) ص ٧٠ — ٧٥

إن الوثائق اليهودية والوثنية التى سبق أن أشرنا إليها تثبت بطريقة لا تترك للشك مجالا ، وجود يسوع التاريخى على أرضنا • ومع ذلك فلا بد أن القارئ يندهش كثيرا جدا لضآلة وقلة هذه الوثائق التاريخية التى تتكلم عن يسوع وكيف أن رومية التى كان يمتد سلطانها على دول كبيرة وعديدة فى الشرق وفى الغرب ، لا تحتفظ بهذه الوثائق خصوصا أن يسوع قد حكم عليه بالصلب على يد بيلاطس البنطى الحاكم الرومانى ؟

مما لا شك فيه أن المؤرخين الوثنيين لم يسجلوا لنا عن يسوع إلا القليل الذى رأيناه ويرجع ذلك إلى أن تاسيت وبنينوس الشاب وبلينوس العجوز ، وسوتيون وآخرون ، بل المجتمع الرومانى بأسره فى القرن الأول إلا القلة القليلة جدا (الكنيسة الرومانية) — لم يعتبروا المسيحية إلا خرافة من خرافات الشرق ، وبناء عليه لم يعيروها اهتماما كبيرا ، إلا فى الوقت الذى كان يشعر فيه هذا المجتمع بأن هذه الخرافة (المسيحية) تمثل خطرا على الدولة أو تشيع اضطرابات سياسية فيها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد ظن كثيرون أن المسيحية هى شيعة أو طائفة يهودية جديدة وليست ديانة جديدة ، ولذلك لم يهتم المؤرخون الوثنيون فى بادئ الأمر بتاريخ ميلادها ونشأتها وتطورها •

أما بخصوص غياب إسم يسوع من التقارير المرفوعة إلى روما بالرغم من محاكمته فى محكمة رومانية على يد حاكم رومانى ، فصحيح أن إسم يسوع لا يوجد فى التقارير الموجودة ، وبالرغم من ذلك فإن يوستينوس الشهيد (JUSTIN MARTYR) يشير فى إحدى عظاته إلى أن السجلات الرومانية تحتوى على قضية محاكمة يسوع ، كذلك أشار ترتليانوس إلى هذا التقرير ، وفى حقيقة الأمر فإن السجلات الرومانية لا تحتوى على قضية محاكمة يسوع • ويوستينوس الشهيد كان يظن

أن قضية مثل هذه لابد وأن تكون مسجلة فى السجلات الرومانية ، وهو لم يقل بأنه يُطلع على قضية محاكمة يسوع فى السجلات الرومانية بل كان يعتقد بأن قضية مثل هذه لابد وأن تكون قد سجلت فى التقارير التى رفعت إلى الامبراطور .

والسؤال الذى يجب طرحه الآن هو : لماذا إذن لا يوجد أى أثر فى السجلات الرومانية لقضية محاكمة يسوع ؟

إن كنا لانجد حتى الآن أى أثر لاسم يسوع فى التقارير الرسمية المرفوعة إلى روما فإن ذلك يرجع إلى عدة حقائق .

١ - كان بيلاطس شخصا قاسيا وله عدة سوابق مع روما ومع الشعب اليهودى ، ومن هذه السوابق أنه حكم بقتل كثيرين دون محاكمة رسمية ، ولقد ذكر هذا أغريباس فى أحد تقاريره ضد بيلاطس .

٢ - إذا كان بيلاطس لم يرسل تقريراً مفصلاً أو لم يرسل أى تقرير إلى روما بخصوص محاكمة يسوع ، فذلك لأنه ربما كان يعتبر أن يسوع لا يتمتع بالجنسية الرومانية فلا داعى إذن لإرسال تقرير عن هذه الحالة .

٣ - ربما إعتبر بيلاطس أيضاً أن محاكمة يسوع قضية محلية ولا تخص إلا النظام والبوليس المحلى فلا داعى إذاً لإبلاغ روما . هذا فى حالة عدم وجود أى وثائق تاريخية مرفوعة من بيلاطس إلى روما بخصوص محاكمة يسوع ، لأن علم الحفريات يقدم لنا فى كل يوم مفاجآت علمية سارة ، فربما يقدم لنا المستقبل حلاً سليماً ومنطقياً لهذه المشكلة .

د - حركة النقد التاريخى :

مما سبق يتضح لنا جيدا أن وجود « يسوع التاريخ » حقيقة لا شك فيها ، ولقد قامت فى القرنين الماضيين حركات متنوعة ومختلفة وموضوع بحثها هو : « يسوع التاريخ » . فقد بدأ النقد التاريخى لحياة يسوع فى القرن الثامن عشر ، على أنه لم يبدأ بطريقة جدية وعلمية إلا فى القرن التاسع عشر عندما قام ريتشارد سيمون (RICHARD SIMON) بتقديم بحث شامل ودقيق عن حياة يسوع . وكان هذا النقد وليد الحركة التى سميت بحركة التحرر والتى قام بها النقاد فى انجلترا وفرنسا ، ثم مدرسة العقلين والقتوير فى ألمانيا . ومن مشاهير الذين قاموا بحركة النقد التاريخى فى ألمانيا أحد أساتذة اللغات الشرقية فى مدينة هامبورج وهو هرمان صموئيل ريماروس (HERMANN SAMUEL REIMARUS) (١٦٩٤ - ١٧٦٨) الذى ترك خلفه حوالى ٤٠٠٠ صفحة ، تعتبر دفاعا عن الديانة الطبيعية . ويعتقد ريماروس (REIMARUS) بأن يسوع كان وظل يهوديا ولم يفكر فى أن يخلق ديانة جديدة . وكل ما أراد أن يفعله هو الحصول على الاستقلال الوطنى ، وأن يفهم الشعب أنه ابن الله بمعنى الملك المسيا . ويواصل ريماروس بحثه بالقول إن يسوع كاد يصل إلى تحقيق غرضه أو برنامجيه فى حادثتين أولاهما : عندما أرسل تلاميذه إثنين إثنين فى إرسالية . ثانيتهما : عندما جاء هو نفسه مع تلاميذه إلى اورشليم ودخل إليها دخول الملك المنتصر . ولكن هذه المحاولة كما يقول ريماروس ساقطت يسوع إلى الموت ، وأما التلاميذ الذين لم يريدوا العودة إلى العمل بعد موته فإنهم اخترعوا من عندياتهم فكرة قيامته من الأموات وكذلك فكرة الفداء .

وجاء بور (BAUR) بعد ريماروس الذى وإن كان قد ناقش مشكلة يسوع وحياته ، إلا أنه نبر كثيرا على الناحية التفسيرية . وبعد

ذلك جاءت المدرسة العقلية التي تعتبر يسوع إنسانا ذا تعاليم سامية ،
فهو معلم عظيم ، حكيم ، مصلح . . . الخ ، والذي فيه يتحد العقل والدين ،
والمثل لهذه المدرسة هو جوتلب بولس (SCHLEIER MACHER)
ويظهر بعد هذه المدرسة شلير مخر (K.H VENTURINI)
الذي ركز جهوده على الانجيل الرابع . فإن كان العقليون قد وجدوا في
يسوع رسولا لديانة معقولة وحديثة فإن شلير مخر يرى في يسوع معلم
العقيدة .

ثم جاءت طائفة أخرى من الكتاب يمكننا أن نسميها الرومانسية . وعلى
رأس هذه الطائفة فننتيني (1848-1898) (K.H. VENTURINI)
ثم باهرد (1792-1841) (K.F. BAHRD) ويظن كل منهما بأن
يسوع كان عضوا في شيعة الأسينيين (ESSENIENS) وقد تعلم
وتدرب على يد معلم هذه الشيعة . ونظريتهما عن قيامة يسوع تقول :
إن يسوع أنزل من على الصليب فاقد الوعي وعالجه أطباء أسينيون
إلى أن استرد قوته وظهر لتلاميذه الذين اعتقدوا أنه مات .

وبعد هذه الطائفة من الكتاب والنقاد ظهر في سنة 1835 كتاب
كل له تأثير كبير جدا في الأوساط العلمية واللاهوتية . وهو كتاب
سترأوس (DANIEL FRIEDRICK STRAUSS) وكان محور بحث
سترأوس في هذا الكتاب هو أن الديانة لا تتركز على حقائق أو على أحداث
بل على أفكار ، والأفكار تحتاج إلى ظواهر لكي تلعب دورها . فلا يهم
ما إذا كانت القصص الانجيلية تاريخية أو غير تاريخية ، ولكن المهم
الفكرة . وهنا يدخل سترأوس فكرة الأسطورة (MYTHE)
لشرح حقيقة سامية ولقد أثارت أفكاره في ذلك الوقت نقاشا حادا حول
النقاط الثلاثة الآتية :

- ١ — الأسطورة •
- ٢ — العلاقة بين يسوع التاريخ وبين المسيح •
- ٣ — موضوع تأليف الاناجيل •

ثم فى سنة ١٨٤٩ ظهر كتاب رينان (RENAN) الذى كتبه فى سوريا • وانذى يقدم لنا فيه صورة ليسوع ككتاب حلو عالم ، يتجول فى قرى الجليل وهو باسم للحياة ، ولقد صنع منه أتباعه صانع معجزات ومسيا ، الأمر الذى قاده فى نهاية الأمر إلى الموت (١) •

مشكلة حياة يسوع فى القرن العشرين

إن السؤال المختص بحياة يسوع التاريخية كان موضوع نقاش وفى أحيان كثيرة كان موضوع نقاش شائك ، إلا أنه لم يكن من المواضيع التى لها أولويتها فى النقاش والبحث • ولم يأخذ هذه الأولوية إلا فى القرن التاسع عشر عندما ظهرت كتابات ولها وزن (WELL HAUSEN) ثم ويز (WREDE JOHANNES WEISS) وآخرين • وقد حارن هؤلاء بكتاباتهم أن يبينوا أن إنجيل مرقس هو أتمم الاناجيل الأربعة الموجودة لدينا ، وأن هذا الانجيل عبارة عن أجزاء متفرقة ، يتكلم عن حقبات مختلفة من الزمن • ولقد جمعت هذه الأجزاء تحت تأثير بعض الأفكار اللاهوتية • وهذا يعنى أن قصة مرقس المختصة بحياة يسوع قد مرت ببعض التصحيحات والتكملة • وبناء على ذلك فإن متى ولوقا يل ويوحنا قد استقوا من هذه المعلومات الصحيحة •

ولقد كان لهذه الكتابات تأثيرها العميق ، فهزت معظم الأوساط العلمية واللاهوتية •

(١) راجع كتاب «La Vie de Jésus» Goguel من ص ١ — ٣٩

ثم جاء بعد ذلك ألبرت شويتر الذى أشاد بالجهود التى بذلها كتاب القرن التاسع عشر لايجاد حل لمشكلة يسوع التاريخية دون جدوى • وعلق على هذه المجهودات بالقول : « إن كل جهد للوصول إلى تأليف أو « بناء » حياة ليسوع من الناحية التاريخية لا يقودنا إلا إلى سلسلة من المتناقضات التى لا يمكن حلها » • وبعد إثنتى عشر سنة من ظهور كتاب شويتر « يسوع » ظهرت مدرسة أخرى ألمانية يمكننا أن نلخص تعاليمها عن يسوع فى النقاط التالية :

(١) إن قصص الأناجيل عبارة عن عناصر متناثرة لا تتبع تسلسلا عضويا تكوينيا وأنها سطحية •

(٢) عدم اعتبار الأناجيل كمستندات تاريخية بحتة لأنها لم تؤلف وتحفظ لى تعطى فكرة عن يسوع ، الذى عاش وعلم فى الجليل واليهودية والذى مات فى اورشليم ، بل هى مستندات دينية لشرح من هو يسوع بالنسبة للإيمان أى أن الأناجيل لم تكتب كوثائق تاريخية بل كرسائل دينية وتقوية لتثبيت إيمان المؤمنين •

(٣) إن مواد الأناجيل تبدو كأنها كتبت لتملأ الوظائف المتنوعة المختلفة فى حياة الكنيسة الأولى وحاجاتها • ولذلك فإنه من الصعب التمييز بين العناصر التاريخية وبين العناصر الغير التاريخية الخاصة بحياة يسوع فى الأناجيل • ولقد كتب بولتمان يقول : « إنه ليس فى استطاعتنا أن نعرف سمات يسوع وحياته الشخصية ... إذ لا يمكن أن نثبت صحة أى كلمة من كلامه • وكل ما يمكن لنا أن نقواه عن حياة يسوع وعن شخصيته هو ألا نقول شيئا ... يرجع ذلك إلى عدم التأكد من الوثائق التى لدينا وخصوصا أنها قليلة ، فمن الصعب التأكد مما إذا كانت هذه الأقوال هى فعلا أقوال المسيح أم هى

• اضافات من الكنيسة الأولى « (١) •

ويتساءل جوجل مستغرباً عن النتيجة التى وصل اليها البحث العلمى التاريخى بالرغم من الجهود التى بذلت منذ أيام ريماروس إلى المدرسة الألمانية فى القرن العشرين ، ويعلق بالقول : « إن كانت جهود الباحثين قد أدت إلى هذه النتيجة السلبية فربما يرجع ذلك الفشل وعدم التأكد إلى أن الانسان يريد أن يحصل على تأكيد ١٠٠ ٪ الأمر الذى ليس فى استطاعة التاريخ أن يقدمه للانسان » (٢) •

وحول هذا الموضوع دار حوار حاد وجاد فى سنة ١٩٢٣ بين هرنك وبين كارل بارت وكانت وجهة نظر هرنك أستاذ تاريخ العقائد المشهور فى ألمانيا هى أن البحث العلمى والتاريخ والنقد التاريخى هى الأدوات التى بها وعن طريقها يجب الوصول إلى تكوين عقيدة منطقية وصحيحة عن المسيح، يمكن أن يقبلها الانسان العصرى ، والتى بها يجب شرح الكتاب المقدس الغامض والتميز بين يسوع الأحلام ويسوع الحقيقة . أما كارل بارت فقد رفض رفضاً باتاً فكرة هرنك ، لأنه كان يؤمن بأن العلم الأكيد والصحيح لا يأتى إلا عن طريق الايمان الذى يعطيه الله نفسه ، لأننا لا نعرف المسيح حسب الجسد كما يقول الرسول : « إذا نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد • وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد » (٢ كو ٥ : ١٦) • وهنا نلاحظ أن كارل بارت يضع على رأس القائمة الوحي الالهى وليس البحث العلمى وانتدى للتاريخ للوصول إلى معرفة المسيح (٣) ، لأنه

La Vie de Jésus

(١) راجع ص ٢٨ من كتاب جوجل

Rudolf Bultmann. Jésus 33 — 36, 39

Goguel. La Vie de Jésus

Jean Robinson, pp. 44 — 46

(٣)

(م ١١ — تاريخ الفكر المسيحى)

إن لم يعلن المسيح نفسه بالروح القدس للجاهل والباحث فيظل كلاهما في ظلام دامس لأنه هو النور الذى بنوره نرى نوراً •

ولا نريد أن نستطرد في الحديث واقتباس أقوال الكتاب واللاهوتيين وتفنيد آراءهم بخصوص هذا الموضوع وإلا لأفردنا له مجلدا خاصا • إلا أنه من واجبنا لفت نظر القارئ إلى حقيقة هامة هى : لقد ظهرت ، نتيجة ، لحوار والذقاش والمجادلات التى تحولت إلى صراع عنيف وهدير ليس فقط في القرون الثلاثة الأخيرة بل على مر العصور منذ أن ولدت الكنيسة ، عدة اتجاهات ونزعات لاهوتية مختلفة يمكننا أن نسميها ، الاتجاهات اللاهوتية المحافظة والاتجاهات اللاهوتية المتحررة • وتحت هذين الاسمين : « المحافظة • • • والمتحررة » نجد اتجاهات لاهوتية أخرى كثيرة • ولكى لا ندخل في التفاصيل ، لنكتفى إذا بهذين الاسمين (الاتجاهات المحافظة) و (الاتجاهات المتحررة) ومرفعهما من يسوع •

والاتجاهات اللاهوتية المتحررة كما تدعى لنفسها هذا الاسم ، ترى في يسوع إنسانا حكيما ومعلما عظيما ومصلحا إجتماعيا لايقارن • ولقد رفعت هذه الحركة إلى درجة لم يرتفع إليها أى إنسان في الوجود من قبله، على أنها لم ترتفع به إلى درجة أعلى من إنسان، فهو إنسان ومازال إنسانا بالرغم من سموه فوق كل إنسان • فهى لا ترى فيه إلا يسوع المثال الحى الحب والحنان والتضحية ، يسوع الذى كان يطوف كل الجليل يعلم ويكرز ببشارة الملكوت • لقد تزعم هذه الحركة البعض من الذين ذكرنا أسماءهم في مجال الحديث عن يسوع وحركة النقست التاريخى •

أما الاتجاهات اللاهوتية المحافظة فقد رأت في يسوع الناصرى مارأته

الاتجاهات اللاهوتية المتحررة من أن يسوع الناصرى إنسان حكيم ومعلم عظيم ومصلح إجتماعى لا يقارن ، ولكن كل هذه الأوصاف ليست هى كل أوصاف يسوع ، فإن يسوع الناصرى ابن مريم هو أيضا وقبل كل كل شئ ابن الله . ومن اللاهوتيين الذين تمسكوا بشدة بهذا الأمر ، كارل بارت ، فقد ظل يدافع طوال حياته ضد « حركة التحرر » . وستكون لنا الفرصة فيما بعد للرجوع إلى كتاباته العديدة ، فهو من الكثيرين الذين يعلنون أن يسوع الناصرى قبل أن يكون يسوع الناصرى هو المسيح ، ابن الله ، بل هو الله نفسه . فإن يسوع الناصرى لم يرتفع إلى درجة سامية وعالية وعظيمة لم يصل إليها إنسان ، لم يرتفع إلى درجة الألوهية أو منح صفة إلهية لم تكن من حقه ومن صفاته الطبيعية من قبل ، بل قبل أن يكون إنسانا محبا ، حنوناً ، وديعاً ، مضحياً ، عظيماً ، . الخ هو الله ، وكل الأعمال التى قام بها يسوع والمعجزات التى عملها : قام بها وعملها بصفته الله ، « اللوغس » الساكن فى يسوع الناصرى .

والله هو الذى يعن نفسه على مر العصور بطرق مختلفة متنوعة . فعندما يتقابل «يسوع الايمان» مع الإنسان فإن هذا الأخير (الإنسان) لا يستطيع ببحثه وتنقييه الوصول إلى يسوع التاريخ . وهذا يذكرنا بقول القديس انسلم: «أؤمن لكى أفهم ولست أفهم لكى أؤمن» . وأنا لا أريد أن أقول إنه لا داعى للبحث العلمى والنقد التاريخى ، ولكن ما أريد قوله هو أن المقابلة الشخصية مع الرب يسوع كالمخلص وكالمسيح بالإيمان ، هى الخطوة الأولى التى يجب على كل باحث ودارس القيام بها ، هى قبول المسيح الذى شهدت له الكتب المقدسة الصادقة ، قبل البحث عن الأدلة التاريخية سلبية كانت أم إيجابية عن وجوده ، فبدون المقابلة مع يسوع الإيمان ستكون أبحاثنا ودراستنا عبارة عن نقر آبار مشنقة لاتضبط ماء كما يقول النبى : « تركونى أنا ينبوع المياه الحية

لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشققة لاتضبط ماء (إر ٢ : ١٣) •
 فمسيح الايمان كان ومايزال وسيظل حجر غرة أمام الأجيال
 وأمام الشعوب على مر العصور فى كل مكان وستظل نبوة سمعان صادقة
 ومطبقة فى كل زمان ومكان ، النبوة القائلة : « إن هذا (يسوع) قد
 وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم » (لوقا ٢ : ٣٤) •
 « •• من له أذنان للسمع فليسمع ••• فانظروا كيف تسمعون » (لو
 ٨ : ٨ ، ١٨) إفتح أذهاننا يارب لكى نؤمن ونفهم ••

متى ولد يسوع ؟

رأينا فى الصفحات السابقة أن يسوع الناصرى حقيقة واقعية
 لاشك فيها ، فإن مرور يسوع على أرضنا لم تشهد به الكتب المقدسة
 فحسب ، حيث الشواهد فى العهد الجديد التى تشير إلى يسوع عديدة
 جدا ، بل إن التاريخ العالمى اليهودى والوثنى قدم لنا أدلة ووثائق
 تاريخية ، وإن كانت قليلة ومحدودة جدا ، إلا أن معظمها مؤكد وصحيح
 لا شك فيه ، فإن كان يسوع الناصرى الذى تشهد له الكتب المقدسة
 حقيقة تاريخية واقعية ، فأين ولد ، وما هو تاريخ ميلاده ؟

أين ولد يسوع ؟

إن الأنجيل تعلمنا بأن يسوع الناصرى ولد فى بيت لحم
 اليهودية ، « ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس
 الملك إذا مجوس من الشرق جاءوا إلى اورشليم » ، (متى ٢ : ١ ، ١ :
 ١٨ — ٢٤) ، فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى
 اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود
 وعشيرته ••• وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ••• (لو ٢ : ٤ — ٧) •

متى ولد يسوع ؟

لقد اعتقد ويعتقد الكثيرون بأن التقويم الحالى يحدد لنا سنة ميلاد يسوع . فعندما نقول على سبيل المثال سنة ١٩٧٩ يظن البعض أن هذا التاريخ يحدد لنا تاريخ الميلاد : ففى عرفهم أن يسوع ولد فى بيت لحم منذ ١٩٧٩ . وحقيقة الأمر تختلف عن ذلك ، إذ أن التقويم الحالى الذى نستعمله الآن لا يدل على ميلاد يسوع أو التاريخ الحقيقى لميلاده . ويرجع عدم انصواب فى ذلك أو بعبارة أصح عدم التأكد من حقيقة هذا التاريخ إلى الطريقة التى استعملها الراهب دينسيوس الصغير الأرمنى (DENIS LE PETIT) . بدأ الراهب دينسيوس الصغير فى وضع تقويمه فى بداية القرن السادس متخذاً التقويم الرومانى قاعدة لحسابه . ومن المعروف أن التقويم الرومانى يبدأ بسنة ٧٤٥ ق.م. (١) وعليه فقد ظن بأن عملية التجسد حدثت فى سنة واحد، وبذلك تصبح سنة واحد هى سنة التجسد ، والسنة الفاصلة بين التاريخ القديم والتاريخ الجديد .

ونعرف من التاريخ أن الكنيسة لم تبدأ فى الاحتفال بعيد الميلاد قبل القرن الثالث ، وكان يحتفل به فى السادس من يناير (٦ يناير) . على أن الآب هولز مشتين (HOLZ MEISTEN) حاول جمع بعض الوثائق التاريخية الدامغة بميلاد يسوع والتى يستنتج بأن الميلاد حدث فى الفترة ما بين سنتى ٥ ق.م — ٢ ب.م. (٢)

على أن البعض الآخر من المؤرخين يظن أن سنة الميلاد تقع بين سنتى ٧ ق.م وسنة ٣ ب.م.

(١) السنة التى تأسست فيها روما .

(٢) راجع كتاب ص ١٥٠ — ١٦٣

(Goguel. Jésus, Histoire de vies de Jeans)

ولكن عندما ندرس الأناجيل والتاريخ بطريقة واعية يمكننا الوصول إلى تحديد تاريخ تقريبي ليلاد يسوع • فان إنجيلي متى ولوقا يسجلان لنا أن حادثة التجسد وال ميلاد تمتا في آخر أيام هيودس الملك (متى ٢ : ١ ، لو ١ : ٥ ، ٢٦) • ونحن نعلم أن هيودس الملك (هيودس الكبير) مات حوالي سنة ٧٥٠ رومانية، أي بين سنتي ٤٦ ق.م • ويحتمل أنه مات بعد ميلاد المسيح بعدة شهور وقبل الفصح أي في حوالي شهرى مارس أو أبريل وهذا واضح من كلام الملك ليوسف في مصر •

فلما مات هيودس الملك إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلا : « قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل » لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي » • (متى ٢ : ١٩ - ٢٠) وبما أن تاريخ موت هيودس معروف لنا ، وهو حوالي سنة ٤ ق.م • حسب التقويم الرومانى فالذى نجهله هو تاريخ التجسد أو الميلاد ، وهو لا يمكن أن يتعدى السنتين قبل موت هيودس ، وهذا واضح من قصة المجوس : « حينئذ لما رأى هيودس أن المجوس سخرؤا به غضب جدا • فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس » (متى ٢ : ١٦) •

على أن لوقا من جانبه يعطى لنا بعض التفاصيل التى تساعدنا كثيرا على تحديد تاريخ الميلاد • ففى الأصحاح الثانى يقول : « وفى تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة ••• » (لو ٢ : ١ - ٦) • لقد ظل المؤرخون مدة طويلة يرفضون هذه الآية وحجتهم فى ذلك أن التاريخ الرومانى لم يسجل هذا الاكتتاب أو الإحصاء الذى يتكلم عنه الإنجيل ، وظنوا أن لوقا أخطأ خطأ تاريخيا شنيعا • ولكن علم الحفريات قدم لنا مؤخرا جوابا يؤيد قول لوقا ، فإن

الحفريات التي أجريت في بعض القرى وفي بعض المدن والصحاري المصرية كشفت لنا عن بعض أوراق البردي التي تحتوى على وثائق تاريخية يذكر فيها أمر الإحصاء في بلاد مصر وبلاد الغال وسوريا وبناء على ذلك يمكننا أن نقول بأن أمر الإحصاء نفذ أيضا في فلسطين. وكانت عملية الإحصاء كما تصفها لنا الأوراق البردية تجري كل أربعة عشر عاما. ولقد بدأت عمليات الإحصاء هذه من سنة ٢٠ ق.م. إلى سنة ٢٧٠ ب.م. (١) فلذا كان الإحصاء الأول تم في سنة ٢٠ فالإحصاء الثاني (٢) تم إذا في سنة ٦ ق.م. ويحتمل أن يكون في آخر السنة، وعلى ذلك يكون ميلاد المسيح بين سنتي ٦ و ٤ ق.م. (قبل الميلاد). وهناك شاهد آخر في إنجيل لوقا يساعدنا على تحديد ميلاد المسيح: « وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر، إذ كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع ٥٥٥٥ كانت كلمة الله على يوحنا ابن زكريا في البرية » (لو ٣ : ١ - ٢) ، ومن التاريخ الرومانى نعلم بأن طيباريوس قيصر كان ثانيا أباطرة الرومان، وكان الامبراطور الأول يدعى أغسطس ومات في يوم ١٩ أغسطس سنة ٧٦٧ أى سنة ١٤ ب.م. (بعد الميلاد) ومع أن طيباريوس كان يحكم مع الامبراطور أغسطس منذ سنة ١١ أو ١٢ ب.م. إلا أنه لم يصبح امبراطورا إلا سنة ١٤ ب.م. وبناء على ذلك يمكننا أن نستنتج الآتى :

امتد حكم أغسطس قيصر إلى سنة ١١ أو ١٤ ب.م. وهى بداية حكم طيباريوس الذى في السنة الخامسة عشرة من عهده ظهر يوحنا المعمدان فإذا جمعنا ١١ سنة تقريبا ب.م. قبل بداية حكم طيباريوس +

(١) راجع تفسير Lagrange لتجليل لوقا ص ٦٥ - ٦٦ (باللغة الفرنسية).

(٢) نقصد بالحصاء الثانى : أى الإحصاء الذى تم في أيام حكم أغسطس قيصر ولكنه الإحصاء الأول بالنسبة لحكم كرنيليوس والى سوريا.

١٥ سنة لغاية ظهور يوحنا فالمجموع = ٢٦ سنة ب.م. ونحن نعلم أن يوحنا ويسوع ولدا في نفس السنة ، وأن يسوع بدأ خدمته العلنية في سن الثلاثين ، « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة . . . » (لو ٣ : ٢٣) فميلاد المسيح تم إذا في حوالي السنة الرابعة قبل الميلاد أو السنة الخامسة قبل الميلاد (هذا من الناحية التاريخية) . ولكن السؤال الذي يعترضنا الآن هو : كيف ولد يسوع ؟

وهي مشكلة التجسد أو الميلاد العفراوي ، وهي مشكلة حيوية أثارت نقاشا حادا وجدلا طويلا على مر العصور ، ولذلك يحسن بنا أن نفرّد لهذا الموضوع فصلا خاصا به :

الفصل الثانى

الميلاد العذراوى

قبل أن ندخل فى تفاصيل هذا الموضوع الخاص بميلاد يسوع يحسن بنا أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى عدة نقاط هامة :

١ - إن المسيحى المؤمن الحقيقى عميق الايمان لا يستمد إيمانه أو يثبتته على مايقوله العلماء أو المؤرخون عن يسوع ،مع أن مايقوله العلماء والمؤرخون هام وفى بعض الأحيان فى غاية الأهمية ، ولكنه يستمد إيمانه من شخص المسيح الصخرة الحقيقية ، ولذلك فمرجع المسيحى الحقيقى ليس ما يقوله المؤرخون والعلماء عن يسوع ، بل ما يقوله يسوع نفسه عن نفسه ، وما تقوله الكتب المقدسة التى تشهد له .

٢ - فالمؤمن الحقيقى يشكر الله من أجل النتائج الايجابية والمؤيدة لبعض الحقائق ، التى يتوصل إليها العلم والعلماء ، ولكنه لا يخاف ولا يهتز إيمانه عندما تظهر بعض الآراء السلبية المضادة لبعض الحقائق الكتابية والمسيحية ، وذلك لأنه يعلم أن الكتاب المقدس ، كتاب الله ، ليس كتابا علميا أو موسوعة علمية كتبها مجموعة من المتخصصين فى مواد مختلفة ، وكل همهم تجنب الأخطاء العلمية فى مواد تخصصهم ، فى التاريخ ، أو الجغرافيا ، أو الطب أو الهندسة أو الميكانيكا أو

التكنولوجيا ... الخ • بل هو كتاب الله والوحى المقدس ، أو بالمعنى الأصح هو رسالة الله المحب للانسان الخاطيء • فالكتاب إذاً هو خطاب أو رسالة قبل أن يكون كتاباً علمياً ، وهدفه ليس شرح القواعد العلمية بطريقة صحيحة ، بل هدفه هو توصيل الرسالة للانسان • فالكتاب المقدس هو موحى به من الله (وهو ما يختلف عن التنزيل) •

٣ - من واجب المسيحي الذى يريد الدرس والتعمق ، ليس فقط أن يعرف ويدرس آراء الذين يؤيدون أفكاره ومعتقداته الشخصية ، بل أن يتعرف أيضاً على آراء المعارضين وما هى وجهة نظرهم • ولذلك فمن واجبنا أن ندرس آراء ومعتقدات الذين لايقبلون عقيدة الجبل العذراوى •

٤ - إن العصر الذى نعيش فيه الآن يتميز بسرعة الاتصال والمواصلات، فالسيارة والقطار والطائرة والتليفون والتلغراف والراديو والصاروخ والعقل الالكترونى ، كل هذه الوسائل ووسائل أخرى كثيرة سهلت على الانسان مهمة الدرس والبحث والأطلاع ، ليس فقط على ما يحدث وما يصل إليه العلماء محلياً بل عالمياً أيضاً • فمن المؤسف إذن عدم الاطلاع ودرس الآراء التى يطلع عليها فى الخارج ، العلمانى البسيط وليس فقط دارسو اللاهوت • فعلى دارس ومعلم اللاهوت المحافظ أن يدرس هذه الآراء ، محافظة كانت أو متطرفة ، وأن يحذر الشباب وغير الشباب من الأخطاء التى يدسها اللاهوتيون المتطرفون • وخصوصاً أنه ليس من السهل بل من المستحيل وغير المرغوب أن نضع أسواراً على كنائسنا أو على كليات اللاهوت حتى لا يدخل فيها المتطرفون بآرائهم ، لأنه حتى لو لم يستطع هؤلاء المتطرفون الدخول إلى كلياتنا فإننا نحن ندخل كلياتهم ومجتمعاتهم ولنا اتصالات عديدة ومتنوعة معهم •

ولهذا فقد فكرنا أنه من الواجب بل من المفيد أن نتعرض ولو جزئيا في دراستنا لهذا الموضوع الخاص بالتجسد، لبعض الأفكار والآراء التى ترفض هذه العقيدة ،وعلى أى أساس يضرب هؤلاء عرض الحائط بالعقائد المتعلقة بالتجسد وبالميلاد العذراوى أو بعبارة أصح ما هى العقبات أو الصعوبات التى وقفت فى وجه هذه الجماعة حتى ترفض هذه العقيدة ؟ ثم ما هو الأساس الذى عليه يرتكز الذين لايقبلون هذه العقيدة ، عقيدة التجسد والحبل بدون أى اتصال أو علاقة جنسية بين مريم ويوسف أو أى شخص آخر ؟

وعندما ندخل في دراسة هذا الموضوع (أى موضوع الميلاد العذراوى) يجب أن نعترف بعجزنا الكامل سواء في العلم أو التعبير ، لأنه ليس من السهل ، بل يكاد يكون مستحيلا ، إن لم يكن روح الله عاملا ، أن يتكلم الانسان عن الله ، لأن التكلم عن المسيح هو التكلم عن عمانوئيل الذى تقسيره الله معنا . فلنخلع نعالنا إذن لأن الأرض التى سنسير عليها هى أرض مقدسة ولا يمكن أن نسير عليها إلا بروح الصلاة والايمان والخشوع والتواضع ، وعندئذ يعلن لنا الرب نفسه : « أهيه الذى أهيه » .

الاسباب التى من أجلها رفض البعض الميلاد المعجزى أو الميلاد العذراوى

إن الذين يرفضون عقيدة الميلاد العذراوى أو الحبل بدون أى علاقة جنسية ، ينتمون إلى جماعة المتحررين والبروتستانتية الحديثة (المودرن) وطوائف أخرى والاسباب التى من أجلها يرفض هؤلاء عقيدة الميلاد العذراوى بدون أى علاقة جنسية هى :

١ - صعوبات علمية :

إن هذه الجماعة ترفض رفضا باتا كل ما هو خارق للطبيعة وكل ما لا يمكن تفسيره أو تحليله أو التأكد منه بطريقة علمية ، وبما أن الميلاد العذراوى ظاهرة لا يمكن تحليلها أو التأكد منها بطريقة علمية فلا يمكن قبولها . إن غياب العامل الذكرى هو استحالة بيولوجية لا يمكن بأى حال من الأحوال حلها ، إلا عن طريق الانجاب الصناعى ، الأمر الذى لم يكن معروفا فى ذلك الوقت . وحتى فى الانجاب الصناعى فعامل الذكر موجود ، وعن طريقه يتم الانجاب . وبرونر (BRUNNER) (١) يظن بأن الميلاد العذراوى ينفى عمل العامل الذكرى ، وبناء عليه فهو يقلل من ناسوت المسيح ، فوجود الرجل فى هذه العملية أمر هام جدا . لهذا السبب البيولوجى والطبيعى رفض هؤلاء الميلاد العذراوى .

ب - صعوبات كتابية :

إن الذين يرفضون الميلاد العذراوى لا يرفضونه لأنه ضد القواعد البيولوجية والطبيعية فحسب ، ولكنهم يعتقدون أن الكتاب لم يشدد عليه كثيرا . ولقد قالوا إن مرقس ويوحنا لا يذكرا شيئا عن قصة الميلاد العذراوى . فمع أن يوحنا يتكلم عن الكلمة الذى كان من البدء والذى كان عند الله ، إلا أنه لم يشرح لنا بوضوح أن هذا الكلمة جاء إلينا متجسدا فى بطن مريم بدون تدخل أى عامل ذكرى ، ويقول أصداد مكرة الحبل العذراوى المعجزى : إنه ممكن أن «تتم هذه العملية بطريقة طبيعية ، باتحاد رجل وامرأة ويكون المولود هو ابن الله (اللوغوس) » هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن بولس

(1) Emile Bruner. Tome 2 . p. 392 — 399.

الرسول فى كل رسائله لا يتكلم عن هذا الموضوع بتاتا إلا فى عدد واحد، قد يكون فى صالح أصداد هذه العقيدة أكثر مما هو ضدهم وهو : «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مرلودا من امرأة مولودا تحت الناموس » (غلاطية ٤ : ٤) •

كذلك سفر أعمال الرسل وباقي الرسائل لا تتكلم عن قصة الميلاد العذراوى • فإذا استثنينا قصتى (متى ١ : ١٨ — ٢٥ : ٢٦ : ٢٦ : ٤٥) • فالكتاب المقدس لا يتكلم عن ميلاد عذراوى فى كل الأسفار الباقية •

ج — مشكلة شجرة النسب :

عندما ندرس العهد الجديد بتدقيق نلاحظ أن كتابه أكدوا بشدة أن يسوع هو ابن داود • فالمسيا الموعود به والذى يجب أن ينقذ الشعب من خطاياهم وعبوديتهم يجب أن يكون من نسل داود • وهذا الأمر ، أى نسب المسيح لداود مهم جدا ليس فقط بالنسبة للعهد القديم بل بالنسبة للعهد الجديد أيضا • ففى المسيح ابن داود تتحقق للكنيسة المسيحية الوعود الروحية التى كان ينتظرها شعبه فى القديم ، كما يقول « هببت كل الجموع وقالوا العمل هذا هو ابن داود ؟ » (متى ٢١ : ٩ ، مر ١٠ : ٤٧ ، ١٢ : ٣٥ ، يو ٧ : ٤٢ ، رو ١ : ٣ ، ٢ تيمو ٢ : ٨) • فمن هذه الشواهد وشواهد أخرى كثيرة جدا يتضح أن نسب المسيح لداود فى غاية الأهمية ، والاعتراض الذى يقدمه الذين يرفضون الميلاد العذراوى هو الآتى :

سلسلتا النسب فى (متى ١ : ٢ — ١٦ : ١٦) و (لوقا ٣ : ٣٣ — ٣٨) يذكران شجرة نسب يوسف وليس شجرة نسب مريم • فحتى يصل حتى إلى هدفه

أى لكى يبين بأن المسيح هو من نسل داود ، يعطى لنا سلسلة طويلة من الأسماء التى تنتهى بالقول : « ويعقوب واد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح » (مت ١ : ١٦) • وأما لوقا فلكى يصل إلى نفس الهدف أى بأن يسوع هو ابن يوسف وابن داود فيقول : ولما ابتداء يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالى •••• بن داود •••• ابن آدم ابن الله » (لو ٣ : ٢٣ - ٣٨) •

وبناء على ذلك فإن لم يكن يوسف هو الآب الشرعى ليسوع فلا يمكن أن يكون يسوع هو ابن داود • فإن الهدف الذى من أجله سجلت هاتان السلسلتان هو اثبات بنوية يسوع لداود ، إن يسوع ابن يوسف ابن هالى : هو ابن داود • فإذا كان المسيح قد ولد بخريقة معجزية دون أى اتصال جنسى بين مريم ويوسف فإن يسوع يفقد نسبته لداود، الأمر الذى يتمسك به عدد كبير من كتاب العهد الجديد • ولكى يدعم هؤلاء نظريتهم هذه : أن يسوع هو ابن يوسف ، اقتبسوا بعض النصوص الكتابية مثل : « هوذا أبوك وإنا كنا نطلبك معذبين » (مت ٣ : ٥٥ ، لو ٢ : ٤٨) • « وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ويقولون أليس هذا ابن يوسف » (لو ٤ : ٢٢) • « وقالوا أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه » (يو ٦ : ٤٢) • من هذه الآيات ومن سلسلتى النسب اللتين تشيران إلى آباء وأجداد يوسف وليس آباء وأجداد مريم، استنتج البعض ممن يرفضون الميلاد العذراوى ، أن يسوع هو ابن يوسف وولد ولادة طبيعية •

د - صعوبة لفوية :

لقد ظن أيضا الذين يرفضون عقيدة الميلاد العذراوى أن هذه

الفكرة بنيت على مفهوم خاطئ وعلى ترجمة غير صحيحة للنص الكتابى القائل : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) ويقول الأحرار ، بحق ، بأن كلمة عذراء هنا فى هذا النص (اش ٧ : ١٤) ترجمة غير صحيحة مأخوذة من الترجمة السبعينية اليونانية التى ترجمت كلمة « علمه » العبرية الأصل والتى تعنى سيدة شابة إلى كلمة « بارثينوس » PARTHINOS اليونانية والتى تعنى عذراء فإن الاصطلاح العبرى الصحيح لكلمة عذراء أى فتاة لم تعرف رجلا ، هو « بتوله » ، (مثل الاصطلاح العبرى « بتول ») وفى هذا الصدد يقول (THE INTERPRETER'S BIBLE) إن كلمة « بارثينوس » المستعملة فى إشعياء (٧ : ١٤) تعنى عادة عذراء • والكلمة العبرية «علمه» تعنى شابة • وقد استعمل مترجمو السبعينية فى بعض الأحيان كلمة « بارثينوس » لكى يصفوا بها فتاة فقدت عذراويتها (تك ٣٤ : ٢) والتعبير سيدة شابة هو أصح ترجمة لكلمة « علمه » العبرية ••• فمتى اقتبس النص فى ١ : ٢٣ من الترجمة اليونانية السبعينية وليس من الأصل العبرى •••• (١) •

وبناء على ذلك ظنت جماعة المودرن أن المحافظين قد أخطأوا عندما تمسكوا بنص إشعياء ٧ : ١٤ وبنوا عليه (المحافظون) عقيدتهم فى مشكلة الميلاد العذراوى إذ أن هذا النص ترجم بطريقة غير صحيحة فى الترجمة السبعينية •

الرد على الاعتراضات الخاصة بالميلاد المعجزى :

رفض المصريون عقيدة الميلاد العذراوى للأسباب التى ذكرناها

(1) Interpreter's Bible. The Gospel According to St. Matthew Page 255.

آنفا وسنحاول أن نتناول هذه الصعوبات واحدة بعد الأخرى •

مما لا شك فيه أن عملية التنازل تتطلب ذكرا وأنثى صالحين للانجاب ، فمن الناحية البيولوجية والعلمية لا يمكن أن تتم عملية الانجاب إن لم تتوفر هذه الأسباب • هذا من الناحية العلمية ولكن ماذا حدث بالنسبة ليسوع ؟ سنجيب على هذه النقطة بعد السرد على الصعوبات الكتابية التى يتمسك بها الأحرار • فالاعتراض الثانى الذى يقدمه المصريون لكى ينفوا به الميلاد العذراوى هو أن الكتاب المقدس لم يشدد على الميلاد المعجزى •

إننا لا ننكر أن انفصول الخاصة بالميلاد العذراوى فى الكتاب المقدس قليلة رقليلة جدا ، وإننا لاننكر أيضا أن إنجيلى مرقس ويوحنا لم يذكرنا موضوع الميلاد العذراوى ، كما لا أثر له فى سفر أعمال الرسل ، وكذلك كل رسائل بولس ، والرسائل الأخرى بجملتها لا تشير إليه لا من بعيد أو من قريب • لهذه الأسباب توجد مجموعة من اللاهوتيين المصريين والمحررين ترفض عقيدة الميلاد العذراوى ، وعلى رأسهم هرنك وبونتمان وبرونر وساباتيه وآخرون كثيرون • ولكن توجد أيضا مجموعة أخرى تتمسك بهذه العقيدة وتدافع عنها بكل ما أوتيت من قوة ومعرفة ودراسة ، وعلى رأس هذه المجموعة اللاهوتى السويسرى كارل بارت (KARL BART) وآخرون •

وللرد على هذا الاعتراض الخاص بأن العهد الجديد لم يتكلم عن الميلاد المعجزى إلا فى متى ولوقا ، وبالتالى فإن هذا يقلل من قيمته وأهميته ، نقول : إننا نتفق تماما مع المصريين بأن معجزة الميلاد العذراوى لا توجد إلا فى متى ولوقا ، ولكن هذا لا يقلل بأى حال من الأحوال من قيمة هذه الحقيقة الواقعية ولا من صلاحيتها ،

فإن هذه الحادثة — الميلاد العذراوى — سجلهما الانجيلان بطريقة واضحة وصريحة ، ووضوح وصراحة هذين النصين تكفيان عن عدم تكرارهما فى الفصول الكتابية الأخرى . وكما يقول كارل بارت (١) : « باستثناء حادثتى الآلام والقيامة ، فأننا نتساءل فيما إذا كان من الضرورى أن كل حادثة ، مهما كانت أهميتها فى حياة يسوع المسيح ، تصبح عنصرا هاما يجب أن يكرره الرسل والوعاظ فى الكنيسة الأولى

(١) ولد كارل بارت فى ١٠ مايو سنة ١٨٨٦ فى مدينة بازل السويسرية ، وكان والد كارل أستاذا فى كلية اللاهوت ، وهو الطريق الذى سلكه فيما بعد كارل والبعض من أولاده أيضا . ومع أنه من بازل فقد درس اللاهوت فى مدينة برلين وفى عدة مدن ألمانية أخرى . وهناك عاملان هاما لعبا دورا أساسيا فى حياته فى دراساته فى ألمانيا :
١ — ألمانيا المضطربة المنزعجة القلقة تحت ثبج الحرب المخيف .
٢ — أساتذته العصريون الذين درس على أيديهم أمثال هرنك (A. HARNACK) وهرمان (HARMANN) وغيرهما .

تعين راعيا لكنيسة فى حنيف سنة ١٩٠٩ ، هى كنيسة سافونيل وبدأ بعد ذلك فى تدريس اللاهوت النظامى فى جامعات ألمانيا فى سنة ١٩٢٢ وعندئذ بدأ فى كتابة مجموعته اللاهوتية التى تريد على أكثر من خمسة وعشرين مجلدا عن اللاهوت النظامى أو العقائدى (DOGMATIQUE) وأكثر من عشرين كتابا آخر . تزعم بارت فى أثناء إقامته فى ألمانيا حركة الكنيسة المعترفة التى وقفت وقفة مشرفة ضد هتلر والنازية . وهو الذى كتب مع الكنيسة المعترفة « الاعتراف الكنسى » (L'Eglise Confessante) الذى قدمه ضد النازية ، وهو من القرارات الجريئة ضد هتلر والحكومة النازية . قام بارت أيضا بحرب شعواء ضد الحركة اللاهوتية التحررية الحديثة أو العصرية التى تهدف فى تعاليمها اللاهوتية الى رفع الإنسان وتهجيده على حساب الله ، فالإنسان هو كل شيء ، ويسوخ هو إنسان سام عظيم وكفى فمع أن بارت الشاب سلك سبيل العصريين فى بادىء الأمر إلا أنه غير اتجاهه بعد ذلك وترك العصريين لعصريتهم ، وبدأ يعلم ويكتب معلنا بأن يسوع الناصرى ولد بطريقة معجزية من العشاء مريم ، ثم (م ١٢ — تاريخ الفكر المسيحى)

بطريقة واضحة ومنظمة فى كل عظاتهم وكتاباتهم» (١) • وكارل بارت يعتقد بأن هدف الأنجيل الثلاثة الأولى هو الرد على السؤال الآتى :

١ - من هو يسوع الناصرى :

ولذلك فقد حاولت الأنجيل الثلاثة الأولى الرد على هذا السؤال وخاصة متى ولوقا ، بالتحدث عن الميلاد العذراوى • وهذا الأمر لم يشغل باقى كتاب العهد الجديد الذين كتبوا عن أشياء كثيرة أخرى لم يكتب عنها متى ولا لوقا • فإن كانت الكتب الأخرى فى العهد الجديد لم تتكلم عن هذا الميلاد العذراوى بوضوح أو لم تتكلم عنه بتاتا ، فإن هذا الصمت لا ينفى بأى حال من الأحوال الشهادتين الواضحتين والصريحتين عن الميلاد العذراوى فى متى ولوقا ، فإن كان العهد الجديد يقدم لنا شهادتين واضحتين وصريحتين تؤيدان الميلاد العذراوى فإنه على عكس ذلك لا يقدم نصا واحدا ينفى هذه المعجزة ، ولذلك فإن الميلاد العذراوى يعتبر جزءا هاما من الايمان المسيحى •

عاش فى الجليل ، وصنع المعجزات ، ثم صلب ومات ودفن وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، الأمر الذى أنكره الكثيرون من العصرين، وللأسف الشديد أن كارل بارت غير معروف فى العالم العربى • وكم نود أن كليات اللاهوت فى الشرق ، بروتستانتية أو غير بروتستانتية ، تهتم بتدريس أفكار هذا الرجل العظيم راللاهوتى الدارس المتعمق • إن دراسة تعاليم كارل بارت لاتعنى اقتباس بعض السطور أو صفحة من تعاليمه ، بل إن دراسة أفكار بارت تحتاج الى وقت طويل ودراسة عميقة ومعرفة كافية ، فإنه من الصعب الحكم على ١٠٠٠ صفحة كتبها بارت بقراءة صفحة واحدة من كتاباته ، وإن كان قد مات بارت فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٨ ولكنه يتكلم بعد •

(1) K. Barth. Dogmatique tome Deuxieme p. 162

(الترجمة الفرنسية)

ب - الرد على مشكلة شجرة النسب :

لقد قال العصريون ، وعن حق ، إن قائمتى النسب المذكورتين فى
حتى ١ : ٢ - ١٦ ولوقا ٣ : ٢٣ - ٣٨ لا يؤديان فى نهاية الأمر إلى
مريم بل إلى يوسف فهما يذكرا سلسلة نسب يوسف وليس سلسلة
نسب مريم . وبناء على ذلك فإن لم يكن يسوع هو ابن يوسف ، فلا
تصيب إذا هاتان الشجرتان الهدف الذى كتبتا من أجله وهو بيان أن
يسوع الناصرى من عائلة داود ومن النسل الملوكى ، ولقد شدد على
هذا الأمر عدد كبير من كتاب العهد الجديد .

وللرد على هذا الاعتراض يجدر بنا أن نلفت نظر القارئ إلى
حقيقة هامة : وهى أن الكاتبين الوحيديين اللذين كتبا عن الميلاد
العذراوى بطريقة واضحة وصريحة هما متى ولوقا وهما أيضا الكاتبان
الوحيدان اللذان سجلنا هاتين السلسلتين اللتين تؤديان فى النهاية
إلى يوسف وليس إلى مريم .

وهنا نسأل السؤال الآتى : كيف يمكن أن يرتكب متى ولوقا هذا
الخطأ الظاهر ؟

لقد أثار نفس المشكلة قديما أصدقاء المصلح الفرنسى فى جنيف
« جون كلفن » ، وكان رده على هؤلاء المعارضين هو : « فإذا كان متى
لا يعطى لنا جدولا بأسماء آباء وأجداد مريم بل جدولا بأسماء آباء
وأجداد يوسف ، فذلك لأنه كان يعالج مشكلة معروفة من الكبار والصغار
وهى أن يوسف من نسل داود ، ومريم هى أيضا من نسل داود لأنهما
من عائلة واحدة » . (١)

(١) ص ٢٣٥ . Jean Calvin. L'Institution Chrétienne. 2 Livre

ثم يتكلم عن شجرة النسب التى ذكرها لوقا فيقول : إن لوقا
يعين بهذا النسب أن الخلاص الذى يقدمه المسيح هو خلاص شامل
للكون كله ، ولذلك يصعد بشجرة النسب إلى آدم وهو أب للخليقة
كلها (١) . وإذا قبلنا رأى كلفن ، أى أن مريم ويوسف كانا من نفس
العائلة وبذلك فإن شجرة نسب يوسف هى نفس شجرة نسب مريم ،
فإن المشكلة تحل ، لأن يسوع ينتسب إلى عائلة داود عن طريق أمه
مريم ، وبذلك تتحقق به وفيه المواعيد (حتى ١٢ : ٢٣ : ٢١ : ٩ ،
مر ١٠ : ٤٧ ، ١٢ : ٣٥ ، يو ٧ : ٤٢ ، رو ١ : ٢ - ٣ ، تيمو
٢ : ٨) .

ومع أن هذا الحل الذى قدمه كلفن يبدو حلا سليما إلا أنه لم
ينج من الاعتراضات ، والسؤال الأول : هل كانت مريم فعلا من عائلة
يوسف وكيف نثبت ذلك ؟ وإن كانت مريم من نفس عائلة يوسف
فلماذا لم يشر إلى ذلك من قريب أو بعيد ، متى أو لوقا؟ وللإجابة على
هذين السؤالين نقول : إن انجيل متى ولوقا كتبوا فى فترة ما بين
٧٠ و ٨٥ ب.م ، وعلى ذلك فكان كل منهما يكتب حقائق معروفة للكبار
وللصغار كما يقول كلفن . والأمر واضح جدا من طريقة كتابة القصتين ،
فإن متى ولوقا ، باعطاءهما هاتين السلسلتين للكنيسة الأولى التى كان
بعض أعضائها ما زالوا على قيد الحياة وربما كانوا يعرفون جيدا نسبة
القربة التى تربط بين مريم ويوسف ، الأمر الذى كان من السهل التحقق
منه ، يريدان أن يبينوا أن يسوع الناصرى ابن مريم هو أيضا ابن داود ،
إذاً أن مريم ويوسف من عائلة واحدة . وإن لم يكن الأمر كذلك ، فكيف
إذن يشدد متى ولوقا على حقيقة الميلاد العذراوى ، وفى الوقت نفسه
أن يوسف هو الأب الشرعى ليسوع ؟

(١) Jean Calvin I. Institution Chrétienne. 2 Livre ٢٢٥ ص

وأما بارت فيعتقد بأن يوسف قد أصبح أباً ليسوع بالتبنى ويقول إن الاصطلاح اليونانى (EGGLENYSEN) «اجنسن» ولد يمكن أن يستخدم بمعنى آخر غير المعنى البيولوجى (١) : ومما لانسك فيه أن إنجيلى متى ولوقا لا يريدان بهاتين السلسلتين التشكيك في حقيقة نسب المسيح لداود بل العكس هو الصحيح • ثم إن القصتين ترويان لنا الميلاد المعجزى ، وتتمسكان بالميلاد العذراوى ويقدمان لنا يوسف كأب بالتبنى ليسوع •

مما تقدم يتضح أن يسوع الناصرى ابن مريم كان هو أيضا ابن يوسف أدبيا سواء عن طريق نسبة القرابة العائلية التى تربط مريم بيوسف أو عن طريق التبني • ومن حسن الحظ أن الكاتبين متى ولوقا اللذين سجلا لنا قصة الميلاد العذراوى هما اللذان ذكرا سلسلتى الأنساب ، فمن الواضح إذن أن المشكلة التى نثيرها الآن لم يفكرا فيها قط ، وكانت غائبة تماما عن أنظارهما ، وهذا يعنى أنها كانت غير موجودة وكان الأمر واضحا تماما بالنسبة لهما • وكما يقول كارل بارت : « إن فكرة أن نسب المسيح لداود تتضمن إلغاء المعجزة ، أو وجود المعجزة يتضمن إلغاء النسب الى داود ، كانت هذه الفكرة غائبة تماما عن ذهن متى » • ولكى يوضح بارت فكرة تبني يوسف ليسوع ، يظن أن الأمر قد أوحى ليوسف بأن يتحمل مسئولية الصبى « قم وخذ الصبى وأمه وأهرب الى أرض مصر » (متى ٢ : ١٣) •

هذا الأمر يعتبر وحيا من قبل الله ليوسف، وعن طريق هذا الوحي الأمر بأن يأخذ يوسف على عاتقه مسئولية العناية بالطفل ، أصبح أباً له بالتبنى • وبناء على هذا الاعلان الخاص الذى أوحى به الله

(١) الطبعة الفرنسية ص ١٦٣

K. Barth. Dogmatique tome 2 E.

ليوسف ، اندهج يسوع فى سلسلة العائلة الداودية ، وأصبح بهذا التبني ابنا لداود (١) . أليس هذا ما يريد أن يقوله بولس : « عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة التجسد » (رومية ١ : ٢) .

ومع أنه يوجد اختلاف بسيط بين المصنح الفرنسى جون كلفن وبين اللاهوتى السويسرى كارل بارت على مشكلة نسب المسيح لعائلة داود ، إذ أن الأول يعتقد بأن مريم ويوسف من عائلة واحدة وعلى ذلك فإن سلسلة نسب يوسف هى نفسها سلسلة نسب مريم فيسوع إذن من عائلة داود ، أما الثانى فيظن أن يوسف أصبح أبا ليسوع بالتبني وعن طريق وحى خاص من الله ، وبموجب هذا الوحي الخاص يصبح يوسف أبا ليسوع . بالرغم من هذا الاختلاف البسيط بينهما ، فإنهما يؤمنان إيماناً ثابتاً بعقيدة الميلاد العذراوى ، وقد علم به كلاهما وبوضوح وصراحة .

ملاحظة أخيرة بالنسبة لشجرة النسب : إن متى ولوقا يسجلان لنا سلسلة شجرة نسب يوسف ولايذكران بطريقة واضحة نسب مريم ، وذلك لأن هذا الأمر كان أمراً طبيعياً إذ أن العهد القديم لايعطى لنا فى أشجار النسب إلا التسلسل الذكري ، والنساء اللاتى يذكرن فى سلسلتى (متى ولوقا) يذكرن لسبب أهمية القصص التى حدثت معهن وليس لأهميتهن بالنسبة لشجرة النسب .

جـ - إرد عنى الاعتراض الخاص بالصعوبات اللفوية :

قال الذين يؤيدون نظرية أن المسيح ولد بطريقة - طبيعية ، إن عقيدة الميلاد العذراوى بنيت على مفهوم خاطئ ، وعلى ترجمة غير

(١) انظر نفس المجلد لبارت ص ١٦٣ - ١٦٤ .

صحيحة للنص الكتابى القائل : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية •
ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) •

صحيح أن النص العبرى القديم لإشعيا (٧ : ١٤) لا يذكر كلمة
عذراء « بارثينوس » ولكن « علمه » العبرية التى تعنى سيدة شابة •
صحيح أيضا أن الذى ترجم « علمه » العبرية (سيدة شابة) إلى
اليونانية بالكلمة « بارثينوس » هى الترجمة السبعينية ، وهى ترجمة
غير صحيحة لغويا • وعلى هذا الأساس فقد اتبع كثيرون فى الترجمات
الحديثة النسخة العبرية وبدل أن يقولوا ••• ها العذراء تحبل وتلد
ابنا ••• يقولون « ها السيدة الشابة تحبل ••• » وحتى الترجمة
المسكونية الحديثة التى قام بترجمتها الكاثوليك والبروتستانت ، وظهرت
فى سنة ١٩٧٥ تقول هى أيضا « ها السيدة » *LA JEUNE FEMME* •
الشابة^(١) وكما قيل فى تفسير *INTERPRETERS BIBLE* إن أحسن
ترجمة لكلمة « علمه » هى (سيدة شابة وليست عذراء) فإن العبرانيين
يستعملون كلمة أخرى لكى يصفوا بها العذراء التى لم تعرف رجلا • وهى
كلمة « بتوله » ، وهى نفس الاصطلاح أو الكلمة العربية « بتول » • كل هذا
صحيح ، فهل بنى المتمسكون بالميلاد العذراوى عقيدتهم هذه على خطأ
فى الترجمة وبالتالى لا يوجد ميلاد عذراوى ؟

إن الميلاد العذراوى حقيقة إنهم ثابتة ويتضح لنا ذلك من الآتى :

١ — إن إشعيا ٧ : ١٤ — كما يقول « BONNARD » — (٢) « ليس

(١) Traduction Oecumenique de la Bible A. T. (١)

Revised Standard Version تنظر أيضا الترجمة الإنجليزية

(٢) تفسير أنجيل متى باللغة الفرنسية ص ٢١ •

Kommentar. Zum N.T. Nach. Talmu und Midrasch Vol. I 1922.
P. 49. Bonnard.

ثم راجع كارل بارت مجلد ٢ ص ١٦٥ •

هو مصدر قصة الميلاد ولكنه شرح لها « • وهذا القول صحيح لأن متى لا يبحث عن مادة لكى يؤلف بها قصة غير واقعية فيرجع إلى إشعياء لكى يثبت روايته ويدعمها بهذا النص (اش ٧ : ١٤) ، ولكن عندما وجد متى نفسه أمام هذه الحقيقة الواقعية (أى الميلاد العذراوى) حاول تفسير أو شرح هذه الظاهرة الحقيقية بنص من النبوات •

ومن المسلم به أن متى كتب إنجيله إلى الكنيسة الأولى في فلسطين أى إلى كنيسة أغليبيتها من اليهود ، واليهود لم ينتظروا في كل تاريخ انتظاراتهم المختلفة المتنوعة مسيا فائقا للطبيعة بل كانوا يتوقعون ظهور المسيا وولادته كإنسان بطريقة طبيعية ، فقلوه « ••• لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس » (متى ١ : ١٨) يعتبر جديدا بل غريبا جدا على الفكر اليهودى • وبالرغم من غرابة هذا الأمر وبالرغم من أن الكنيسة الأولى التى كتب لها هذا الإنجيل كانت متأثرة تأثيرا كبيرا بالفكر اليهودى الذى خرجت منه ، بالرغم من هذا كله يكتب متى قصة الميلاد العذراوى لأنها حقيقة متأكد من صحتها وحدوثها •

٢ — هناك أمر آخر لا يجب إغفاله ، صحيح أن « علمه » تعنى سيدة شابة « وبارثينوس » تعنى عذراء لم تعرف رجلا ، وهنا نتساءل : من يستطيع أن يثبت لنا أن كل سيدة شابة عند عرفت بالضرورة رجلا ؟ فمع أنه يمكن القول (مع التحفظ •••) بأن العذراء هى الفتاة التى لم تعرف رجلا بالمعنى الذى يقصده سفر التكوين (٤ : ٢) « وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين » ، فإنه لا يمكن القول بأن كل سيدة شابة هى من عرفت رجلا • فهل يمكننا أن نجيب بالتأكيد بأن كل « العلمات » عرفن رجلا ؟

٣ - لقد اتفق المفسرون على أن كلمة « علمه » أنستعملت في إشعياء (٧ : ١٤) تعنى سيدة شابة ، وليست عذراء . على أن معظمهم بل الأغلبية الساحقة منهم اتفقت على أن مفتاح هذه الجملة وهدفها هو كلمة آية : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ... » . وكأنى بإشعياء النبى يقول إن السيد سيعمل معجزة بينكم ، سيصنع آية . والمعجزة هي أن سيدة شابة (عذراء) ستحمل وستلد ابنا ، أنه أمر غير طبيعى ، ولكن السيد نفسه هو الذى سيعمل هذا العمل ، هو نفسه مصدر هذه الآية ، وما دام الله هو العامل وهو المصدر فهو الذى يملك هذا السلطان بأن يقول للأشياء كن فيكون ... » وقال الله ليكن نور فكان نور ... » (تكوين ١ : ٣) .

بسبب هذه الصعوبات المذكورة سابقا وبسبب صعوبات أخرى تفسيرية ولاهوتية ، نادى بعض اللاهوتيين بالميلاد الطبيعى ، فانبعض من هؤلاء اللاهوتيين أعلنوا بصراحة ووضوح عدم موافقتهم على هذه العقيدة ، أما البعض الآخر فقد تبنى تقريبا نفس الآثار ونادى بها ولكن بخبر غير مباشر ومن بين هؤلاء الكاتب الانجليزى المعاصر وليم باركلى . ويبدو لنا أنه من المهم أن نلقى نظرة على مفهومه بخصوص هذه المسألة ، خصوصا أن باركلى أصبح مقروءا ومعروفا في مصر . ووليم باركلى لا يرفض بصراحة ووضوح الميلاد العذراوى ولكن في شرحه أتى ولوقا يشعرنا بأنه يفضل الميلاد الطبيعى وهذا واضح في شرحه لمتى (١ : ١٨ - ٢٠) . فهو يعطى لنا فكرة عن المفهوم اليهودى للروح القدس ، فاليهود يعتقدون بأن الروح هو الذى يعلم الناس الحق ، وهو الذى يلهم الأنبياء بما يقولونه وهو الذى يكلمنا عن قومه ، ويسوع هو الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يكلمنا عن الله . فقبل مجيئه كان وقت التخمين ، إذ كان الناس يخمنون

من هو الله ، أما الآن فهو وقت التأكيد لأن يسوع عرفنا من هو الله • •
 « من رآني فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) • فالروح يعطي أيضا
 الحياة ويسمع يعطي الحياة • ولكي تكون لدينا صورة متكاملة عن شرح
 باركلي لهذه المشكلة لنقرأ ما كتبه في شرحه لإنجيل لوقا فهو يعطي لنا
 الأسباب التي تؤيد الميلاد العذراوي والأسباب التي تدحضه • فهو
 يرى سببين يؤيدان الميلاد العذراوي •

١ - إن متى (١ : ١٦ - ٢٥) ولوقا (١ : ٢٦ - ٤٥) يثبتان
 حرجيا الميلاد العذراوي •

٢ - بما أن المسيح شخص فريد يجب أن يكون دخوله للعالم
 فريدا من نوعه •

أما الأسباب التي من أجلها لا يقبل الميلاد العذراوي فهي :

١ - مشكلة النسب التي تؤدي إلى يوسف ونيس إلى مريم •
 ٢ - ذكر يوسف كأب ليسوع (لو ٢ : ٤٨ ، متى ١٣ : ٥٥ ،
 يو ٦ : ٤٢) •

٣ - إن باقى العهد الجديد لا يذكر شيئا عن الميلاد العذراوي •
 وبعد أن سرد باركلي المفهوم اليهودي للروح في إنجيل متى ، وبعد أن
 عدد الأسباب التي تؤيد والأسباب التي ترفض الميلاد العذراوي ، يجهر
 بالقول : فماذا ينتج لو لم نأخذ قصة الميلاد العذراوي بطريقة حرفية؟

يوجد قول شائع عند اليهود يقول : هناك ثلاثة عوامل تعمل معا
 لولادة أى طفل : الأب ، الأم ، وروح الله • ولقد ظن اليهود بأنه
 لا يمكن أن يولد أى طفل بدون الروح ، ويحتمل بأن تخصص العهد الجديد
 التي تتكلم عن الميلاد العذراوي بطريقة شعرية ، هدفها أن تعلمنا بأنه
 حتى ولو كان المسيح أب بشري فإن الروح القدس كان يعمل في ميلاده
 بطريقة فريدة وخاصة • ويترك باركلي في النهاية كل منا يسلك الطريق

الذى يفضلُه (١) . وهنا نلاحظ عدم وضوح موقف باركلبي ، فى عدم اتخاذه قرارا واضحا وصريحا بخصوص هذه العقيدة .

وهنا نرى الفرق بين موقف باركلبي وبين موقف كارل بارت (٢) ، فبارت يسأل هذا السؤال : هل الايمان المسيحى يتطلب منا قبول الميلاد العذراوى ؟ ويواصل بارت شرحه فيقول : غد يجوز أن يكون للانسان ايمان صحيح دون الاعتقاد بالميلاد العذراوى . ولكن هذا الأمر يتوقف على الله وعلى مشيئته ، فإذا أراد الرب أن يعلن ذاته لأحد وأن يعرفه بسر يسوع المسيح ، فإن هذا الانسان يملك الايمان المسيحى الصحيح حتى ولو كان خارج الكنيسة المنظورة . ولكن هذا لايعنى أن للكنيسة الحرية أن تجعل من عقيدة الميلاد العذراوى تعليما يتفق مع أهواء الناس ، ضعفاء أو أقوياء . فالكنيسة تدرك جيدا معنى ما عملته عندما وضعت هذه العقيدة كحارس على عتبتها ، فهي لاتسمح إذا لأحد أن يدعى لنفسه هذا الحق وأن يعبر هذه العتبة على عجل دون أن يعرف بأنها محروسة ، وأن الذى يدعى لنفسه هذا الحق يخاطره بنفسه مخاطرة عظيمة . فواجبها إذا أن تدعو المؤمن لقبول هذه العقيدة والايمان بها (٣) .

وبهذا يحمل بارت الكنيسة مسئولية التعليم بهذه العقيدة ، فهي الحارس الذى يجب أن يعلن باستمرار وبلا ملل عقيدة الميلاد العذراوى . والفرق شاسع أيضا بين موقفه فيما يخص هذه العقيدة

(١) راجع تفسير وليم باركلبي انجيل متى ١ : ١٦ - ٢٥ ، لوقا ٢٦ : ١ - ٤٥ (الطبعة الانجليزية) .

(٢) انظر كارل بارت نفس المجلد المذكور أعلاه صفحة ١٦٨ - ١٦٩ (فرنسى) .

(٣) انظر كارل بارت نفس المجلد المذكور أعلاه صفحة ١٦٥ - ١٦٦ : (النص الفرنسى) .

وموقف كنيسة كنتربرى • فقد عين أساقفة كنتربرى • لجنة للبحث في بعض العقائد المسيحية ، وكانت اللجنة تضم رجالا مكرسين وقدمت هذه اللجنة في سنة ١٩٢٢ تقريرها الذى يحتوى على إتجاهين :

١ - إن كثيرين من أعضاء هذه اللجنة يرون في عبارة « الكلمة صار جسدا » ارتباطا بالميلاد العذراوى ويعترفون به ...

٢ - أما الآخرون فقد رأوا في التجسد عملية تاريخية قد حدثت بطريقة طبيعية • ونقد قبل هذان الاتجاهان من الكنيسة كما قدمتهما اللجنة (١) •

ونلاحظ أن هذين الاتجاهين موجودان عند عدد كبير من المفسرين واللاهوتيين • ومع أنه ليس من حق الكنيسة ولا في سلطانها أن ترغم أحدا على قبول أو رفض هذه العقيدة ، وبارت نفسه لا يريد أن الكنيسة ترغم المؤمنين على قبولها أو رفضها ، ولكن من واجبها أن تعلن عن هذه الحقيقة بوضوح • ولهذا السبب عينه فهو ينتقد اميل برونر (E. BRUNNER) ولا يتفق معه في كتاباته ضد الميلاذ العذراوى • ولقد أصيب بخيبة الأمل التى سيطرت أيضا على نفس بردياف BERDIAFF عندما بدأ في التهام كتب برونر بشغف واهتمام عظيمين ، ولكن عندما وصل إلى الفصل الذى يتكلم الكاتب (برونر) عن عقيدته في مسألة الميلاذ العذراوى أصبح كل شيء - فجأة - بالنسبة له بلا فائدة كما لو كان قد مسح كل ما قرأه سابقا (٢) •

والآن لنلق نظرة على مفهوم كارل بارت لمشكلة الميلاذ العذراوى

(١) راجع تفسير Interpreter's Bible انجيل لوقا صفحة ٣٩ •

(٢) راجع كارل بارت نفس المجلد المذكور أعلاه ص ١٧٢ •

وسيساعدنا ذلك على حل الاعتراض الأول الذى يعترض به الذين يرفضون هذه العقيدة : وهو الاعتراض الذى تركناه معلقا إلى الآن بدون جواب . إن جماعة المتحررين ترفض رفضا باتا كل ما هو خارق للطبيعة وكل ما لا يمكن تفسيره أو تحليله أو التأكد من صحته بطريقة علمية . وبما أن الميلاد العذراوى ظاهرة لا يمكن تحليلها أو التأكد منها بطريقة علمية فلا يمكن قبولها ، لأن غياب العامل الذكري هو إستحالة بيولوجية لا يمكن بأى حال من الأحوال حلها

يجيب بارت على هذا الاعتراض فيقول : إن عملية التجسد أو الميلاد العذراوى حقيقة واقعية حدثت فعلا فى عالمنا وفى أرضنا بالطريقة التى يصفها لنا الإنجيليون . ويرفض بشدة قول القائلين بأن النصوص الخاصة بالميلاد العذراوى ما هى إلا أساطير خلفتها لنا الديانات البوذية والمصرية واليونانية ، وديانات أخرى . ويعتقد بارت بأن الفصول الكتابية التى تتكلم عن الميلاد العذراوى تختلف كل الاختلاف عن هذه الأساطير القديمة ، لأن مصدرها وإتجاهها يختلفان إختلافا تاما عن هذه الأساطير . أما بخصوص إمكانية تحليل وقبول هذه العقيدة علميا ، فيقول : إن عقيدة الميلاد العذراوى مثلها مثل الوحي ، وهذه كلها حقائق روحية وليست حقائق عقلية منطقية وعلمية فى إمكاننا أن نشرحها شرحا علميا ومنطقيا وعن طريق هذا الشرح العقلى والمنطقى والعلمى يمكننا أن نفهمها ونقبلها بأذهاننا ، بل هذه حقائق روحية نقبلها بالإيمان فقط .

ولقد اتخذ بارت كأساس من الأسس التى بنى عليها عقيدة الميلاد العذراوى ، الجملة الثانية من قانون الايمان التى تقول : « المولود من العذراء . . . » فهذا القول (المولود من عذراء) يعنى بأن ميلاد يسوع تم بطريقة تختلف اختلافا كليا وجزئيا عن ميلاد أى طفل آخر . إلا أنه ولد كما يولد أى طفل آخر ، فقد كان طفلا مثل كل طفل ، وولد

من جسد ولحم ودم أمه مريم العذراء • وعلى هذا فقد كان إنسانا بما تحمله كلمة إنسان من معنى ، وكان ميلاده ميلادا بشريا صحيحا ، غنى أن هذا الميلاد البشرى الصحيح تم بدون اجتماع جنسى سابق بين رجل وامرأة ، وغياب الاتحاد الجنسى فى هذا الميلاد الفريد من نوعه يميز ميلاد المسيح يسوع عن كل ميلاد آخر • فإن هذا الميلاد يعتبر سرا من أسرار الله ، كسرا لقوانين الطبيعة ، وبداية جديدة فى البشرية (١) • وميلاده من عذراء يعنى أيضا ادخال أو ادماج يسوع المسيح الذى هو الله نفسه فى الوجود البشرى • فمع أن هذه المعجزة لا تقدم لنا برهانا على ضرورة وجودها إلا أنها يجب أن تفهم وتقبل هكذا كما هى ، لأنها آية تعلن لنا الله ، ولذلك يجب أن يكون دخول هذا المعلن إلى عالمنا مختلفا عن دخول الآخرين ، يجب أن تكون له طريقة خاصة تفردته وتميزه عن كل الذين سبقوه • وهذه الطريقة الخاصة التى تفردته فى دخوله إلى عالمنا هى أن المسيح المعلن يولد من عذراء بطريقة لا يمكن شرحها أو فهمها بطريقة علمية أو بيولوجية ، لأن المولود من عذراء هو الله ، الذى فى ملء حرите ومحبته أصبح طفلا رضيعا ، ولكنه ظل ما كان عليه قبل أن يوجد فى بطن مريم العذراء ، أى الله الذى ما زالت نوااميس الطبيعة خاضعة له وظوع أمره وليس العكس • وبهذا السلطان ولد المسيح من العذراء • والسؤال الذى يفرض نفسه فرضا الآن هو السؤال الآتى :

لماذا ولد المسيح بدون اجتماع جنسى ؟ وهل ولد يسوع بدون علاقة جنسية بين رجل وامرأة لأن الجنس خطية ؟ وهل ولد يسوع بهذه الطريقة المعجزية دون علاقة جنسية لكى يحرز من الخطية الأصلية ؟

فى عرف بارت أن الجنس فى حد ذاته ليس خطية وأن ما يقوله مزمور (٥١ : ٥) « .. هانذا بالاثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى »

(١) راجع كارل بارت نفس المجلد المذكور سابقا ص ١٧٣ •

لا يعنى بأى حال من الأحوال إدانة الجنس ، فحتى العصور الوسطى الكاثوليكية التى كانت ترى فى العذراوية قيمة كبيرة ، والتى كانت تميل إلى نسب الخطية للجنس ، لم تعلن قط بأن الجنس خطية . فإذا كان يسوع غير مدين للجنس فى تكوينه البشرى ، فليس لأن الجنس خطية يسبب ما فيه من أشياء طبيعية ، ولكن لأن الخطية أفسدته . فليس يسبب الجنس أصبح الانسان خاطئاً منذ ولادته ، ولكن لأن الانسان منذ ولادته خاطيء ويعيش فى العصيان والتمرد ، وبذلك فالحياة الجنسية ليست خطية بل هى مرتبطة بالخطية (١) .

وهنا نأتى للسؤال الذى سبق أن سألناه وهو : هل ولد يسوع بطريقة معجزية لكى يحرر من الخطية الأصلية ؟ إن عبارة « مولود من عذراء » تبين لنا أن يسوع ، مع أنه مولود من عذراء ، إلا أنه مولود مثلنا ، وفى مثل أجسادنا ، بل يمكن أن نقول فى جسد حلت عليه لعنة الخطية لدرجة أن هذا الجسد نفسه جعل خطية من أجلنا . فهو الذى فى حياته العلمية لم يعرف خطية فى موته النيابى خطية من أجلنا (رو ٨: ٣ ، ٢ كو ٥ : ٢١) . وصحيح أن الانسان عن طريق قانون التضامن والنيابة أصبح مسئولاً بتضامنه مع آدم عن غلطة (آدم) وبهذا التضامن أصبح الانسان عبداً « لا حرية له فى الاختيار (SERVUM ARBITRIUM) ولكن عبارة « مولود من عذراء » تعلن لنا شيئاً آخر جديداً ، فهى تعلن لنا وجود شخص مثلنا فى جسد مثل جسدنا ، تحت لعنة الخطية ، لكنه لم يسلم نفسه للخطية لأنه الله . ولذلك فإن « يتمتع بحرية الاختيار » (SERVUM LIBERUM) حلت فيه محل « لا حرية له فى الاختيار » (SERVUM ARBITRIUM).

(١) راجع نفس المجلد من كارل بارت ص ١٧٧ — ١٧٨ (النص الفرنسى) .

وهناك اعتراض يقول : ولو سلمنا بأن المسيح قد ولد من عذراء وبطريقة معجزية ، فإنه مرتبط ارتباطا مباشرا ووثيقا بالبشرية الساقطة بسبب أمه مريم . وبارت يجيب بأن هذا الكلام صحيح وقانوني . لأن العذراوية لم تعف من الخطية ، بل هي أيضا مشتركة فيها ، ولكن الأمر المهم جدا وهو أنه لا يجب أن يغيب عن بالنا أن عبارة « مولود من عذراء » تعن لنا بداية جديدة ، فيها كسرت قوانين الطبيعة ، وبها أيضا تغيرت طبيعة التضامن الذي أشرنا إليه سابقا . فإن كان يسوع المسيح ظاهرا وبدون خطية فلا يرجع الفضل في ذلك إني أنه ولد بدون أب بشري ، وأن غياب العامل الذكرى هو السبب الأساسي في خلوه من الخطية ، بل أن السبب الأساسي والجوهرى في عصمة السيد من الخطية هو أن « الكلمة صار جسدا » . فإن معجزة الميلاد العذراوى ما هي إلا المؤشر الذى يشير إلى أن حدثا خارقا للطبيعة وكاسرا لقوانينها قد حدث . فالمعجزة ليست هي « الكسر » ، وليست المعجزة هي الجوهر ، بل هي علامة أو إشارة تشير إلى شيء أهم وأسمى وأعظم . . . ولكى يكون الأمر واضحا فى أذهاننا فلننظر إلى معجزة شفاء المفلوج (مرقس ٢ : ١ - ١١) . فإن شفاء هذا المفلوج جسديا كان بمثابة المؤشر الذى يدل على حقيقة أخرى أكثر عظمة وأهمية وهي غفران الخطايا .

ويشير بارت إلى أمر قد غاب عن أذهان المعلمين فى الكنيسة القديمة وهو أن عبارة « مولود من عذراء » لايعتنى بأنه يوجد عامل فنى ساعد (١) يسوع على الانتصار على الخطية ، فإن الكتاب المقدس وقانون الايمان يعرفنا أن الميلاد العذراوى ما هو إلا علامة تظهر لنا طهارة المسيح وليس السبب فى طهارته وقداسته .

(١) راجع كتاب كارل بارت نفس المجلد المذكور املاه ص ١٧٧ .

وجدير بالذكر أن أصداد كلفن أثاروا نفس المشكلة. ولكن بطريقة أخرى . فلقد اعترض هؤلاء بالقول بأن يسوع كان طاهرا لأنه ولد من أمه فقط وزرعها غير مدنس . والمصلح الفرنسي يرفض هذا الكلام بالقول : « نحن لا نقول بأن المسيح معصوم من كل عيب وعدوى أصيلة لأنه ولد من أمه بدون اتصاد ذكر ، ولكن لأنه قدس من الروح القدس » (١) . ومن هذا الجواب نلاحظ اتفاق بارت مع كلفن ، فكلاهما يعتقد بأن قداسة يسوع لم تأت من الميلاد العذراوي أو من غياب الأب الجسدي ، ولكن هذه القداسة نابعة من يسوع نفسه ، من داخله . فمصدرها « الكلمة صار جسداً » . فلا يوجد إذا عامل فني أو نقص طبيعي في تكوين يسوع ، عن طريقهما كان يتجنب الخطية ، فلا الظروف التي وجد فيها ومر بها ، ولا تكوينه الطبيعي فيما يختص بغياب الأب الجسدي ، عملت على أن يكون يسوع باراً وقديساً ، بل إن هذه الظروف وهذا التكوين البيولوجي ما كانت إلا براهين ومؤشرات أظهرت قداسته فميلاده العذراوي ما هو إلا المؤشر الدال والمعلن على أنه آدم الثاني .

وفي مجال الكلام عن العذراوية يتعرض بارت لمشكلة مريم : هل اختار الله مريم لكي تكون أم يسوع بسبب قداستها وعذراويتها ؟ وهل يعتقد بأن الذي دفع الله لاختيار هذه السيدة لكي تكون أما ليسوع ولكي تحمل هذه المسئولية العظيمة ، مسئولية أم عمانوئيل هو لأنها عذراء أو لأن العذراوية أو البتولية مقبولة لدى الله ؟ إن الأساس الوحيد لاختيار هذه الفتاة لهذه المهمة هو مجرد نعمة الله ومحبته وحرите . لهذا ولهذا فقط اختار الله هذه الفتاة العذراء لكي تكون أم يسوع . والتبطل هو أبعد من أن يكون سبباً في الحصول

Jean Calvin. Institution Chrétienne Livre II p. 236.

(م ١٢ — تاريخ الفكر المسيحي)

على نعمة الله • ويحذرنا بارت من التطرف الذي وصلت إليه الكنيسة الكاثوليكية في اعتبارها أن العذراء مريم كانت تمثل النافذة أو الباب المفتوح أمام الله ، لأنها حفظت من السقوط الذي سقطت فيه البشرية كلها • وبارت يعتقد بأنه لا يوجد في البشرية كلها باب أو نافذة استطاع الله عن طريقها الدخول إلى العالم فكل الطبيعة البشرية محكوم عليها بالهلاك بسبب الخطية لأنه كما يقول الكتاب : « الجميع زاغوا وفسدوا معا ، ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد ... » (رومية ٣ : ١٢) • ولا يمكن استثناء أحد من هذا الحكم إلا شخص يسوع • ومع أن مريم كانت تحت الحكم عينه ، إلا أن الله ، في فرط محبته ، قد أنعم عليها ، وكما يقول لها الملك : « السلام عليك أيتها المنعم عليها » (لو ١ : ٢٨) ، فإن هذا الاختيار بأن تكون أما ليسوع ، ما هو إلا نعمة ، إنعام من الله عليها • فاختيار الله لها ليس مبنيا على قداستها وبرها الذاتي ، أو لأنها كانت بدون خطية ولذلك استحققت هذا الشرف العظيم ، بل سبب اختياره لها هو نعمته ومحبته • والعذراء مثلها مثل البشرية كلها • فالبشرية أمام الله بلا قوة وبلا ارادة وبدون أى سلطان خلاق ، وكل ما تستطيع أن تقوم بعمله هو أن تقبل ما يقدم لها • هكذا كان موقف مريم ، فاختيارها لم يكن إذن نتيجة قداستها ، أو لاستعداد طبيعي فيها ، أى لأنه جبل بها بطريقة معجزية كما جبل بالمسيح ، وهو ما تسميه الكنيسة الكاثوليكية : « الجبل بلا دنس » (١) ، بل كان اختيارها

(١) إن عقيدة الجبل بلا دنس كما تعلمها الكنيسة الرومانية تعنى بأنه ليس مريم وحدها التى جبلت بيسوع بطريقة معصومة من وصمة الخطية الأصلية ، بل هى (مريم) أيضا جبل بها بنفس الطريقة ، ولقد أصبحت هذه العقيدة قاعدة من قواعد الايمان الكاثوليكي بعد أن أصدر البابا بيوس التاسع فى ٨ ديسمبر ١٨٥٤ منشوره الخاص بالعصمة الباباوية . فهذا المنشور يقرر بأن مريم نجت من وصمة الخطية الأصلية عن طريق نعمة خاصة ، فلقد ضن البابا بيوس حيث أن مريم قد جبلت بيسوع بطريقة معجزية ولكونها أم يسوع ويسوع يعيش فى أحشائها ، يتغذى بما يتغذى به ، فيجب

وقفنا على حرية الله وارايدته • ولا نريد بهذا أن نقلل بأي حال من الأحوال من مكانة مريم عند الله فهي التي يقول لها الملاك : « لأنك وجدت نعمة عند الله » ، صحيح أن هذه النعمة التي وجدتتها مريم عند الله ما هي إلا هبة من لدنه لها ، ولكن هذه النعمة لا تنفى بأن مريم كانت العذراء الفاضلة القديسة ، التي ستكون فيما بعد موضوع تطويب الأجيال كلها : « فهذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني » (لوقا ١ : ٤٨) • على أن اختيار الله لها لكي تكون أما ليسوع لم يكن مؤسسا على قداستها أو على طهارتها بل على محبة الله وحرية • وعندما يختار الله إنسانا بناء على محبته ، فإن هذا الاختيار أضمن وأقوى من أن يختار هذا الانسان على أساس قداسته وفضائله وأعماله ، التي هي ضعيفة وغير ثابتة ، وعلى ذلك لاضمان فيها أو بها • وأما عندما يختار الله الانسان على أساس محبته لهذا الانسان فستظل هذه المحبة إلى الأبد لأنها مؤسسة على الله وأمانته ، وهو أمين وسيظل آمينا إلى الأبد ولا يمكن أن ينكر أمانته •

ولنرجع الآن إلى مفهوم بارت فيما يختص بالميلاد العذراوي ، فبعد شرح عبارة : « مولود من عذراء » • يتناول الجزء الأول من قانون الايمان القائل : « وحبل به من الروح القدس » ، إن الروح القدس ليس مجرد صفة من صفات الله كتأثيره أو لطفه أو محبته ولكن هو الله نفسه لأن الله مثلث الأقانيم : أب وابن وروح قدس ، هؤلاء الثلاثة الأقانيم ما هم إلا إله واحد •

أن تكون هي أيضا معصومة من الخطية الأصلية ومن اللعنة التي لحقت بآدم وبكل نسله ، وإلا لوصلت ليسوع من طريق أمومتها ، نفس اللعنة ونفس الوصية • فلكي تكون طبيعة يسوع طاهرة وخالية من كل خطية أصلية كان لا بد أن مريم نخلو هي أيضا من الخطية الأصلية ويحبل بها بطريقة معصومة من هذه الخطية الأصلية التي لحقت بآدم وجنسه •
أنظر الموسوعة الفرنسية المذكورة في قائمة الكتب — المجلد الخامس تحت عنوان : (Conception Immaculée).

فالأقنوم الثالث من الثالوث ، أى الروح القدس . حمل على مريم العذراء ، وبقوة الله صار مريم حاملا . ويحذر بارت من التفكير في وجود توافق أو تشابه بين ميلاد المسيح العذراوى وبين الأساطير التى تتحدث عن مواليد عذراوية أخرى في التاريخ ، لأن هذه الأخيرة ما هى إلا خيالات بشرية وأساطير منسوجة من خيوط العنكبوت . التى لا يمكن أن يكتسب بها إنسان ، ويؤكد بشدة أيضا على أنه ليس من حقنا أسطرة (MYTHOLOGISEN) هذه القصة لأن موضوعها هو الله نفسه ، وهو المصدر لصحتها . وما دام الله هو المصدر أو العامن فليس من حقنا أن نبحث عن بعض العوامل الطبيعية أو البيولوجية التى تؤيد هذه المعجزة ، لأن هذا التدخل : التدخل الإلهي — حلول الروح — حمل مريم بقوة ، أشياء لا يمكن أن نفهمها بعقولنا ، بل علينا أن نقبلها بالايمان الذى يمنحه لنا السيد . واعتقد بأن بارت مصيب كل الصواب عندما يشدد على حقيقة أن الميلاد العذراوى وقيامته المسيح من الأموات ، كل هذه المعجزات أشياء روحية ، ولا يمكن أن نفهمها بعقولنا ، لأن المتحررين لا يريدون التمسك إلا بما يمكن اختباره وتحليله والتأكد منه علميا . وفي هذه العملية — عملية حلول الروح القدس على مريم العذراء وحملها بقوة — أشياء لا يمكن اختبارها والتأكد منها علميا ، مهما كانت دقة مضابير معاملنا ، ومهما تقدم العلم في اكتشافاته العظيمة ، لأن هذه الحقائق روحية ولا يمكن أن تفهم الروحيات إلا بروحه القدس .

ويحذرنا بارت من خطر آخر خاص بمفهوم حلول الروح القدس على مريم العذراء لكى تتم عملية التجسد « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك » (لوقا ١ : ٣٥) . إن النصوص الكتابية في العهد الجديد التى تتكلم عن الميلاد العذراوى ، وعن التدخل الإلهي

بخصوص هذا الموضوع ، لاتشير من قريب أو بعيد عن زواج مقدس بين الله ومريم ، فهذه الفكرة لاتستحق إلا أن ترفض رفضا كلياً وجزئياً لأنها فكرة وثنية ، فالله يعمل كخالق وليس كعشيق (١) . والواضح كل الوضوح أن العهد الجديد والكنيسة لايشيران ، من قريب أو من بعيد ، إلى أن علاقة الروح القدس بمريم كانت علاقة زواج على طريقة الأساطير القديمة ، مثل الزواج المقدس ... كذلك لا يوجد أى لاهوتى مسيحى جاد علم بأن الروح القدس هو أب ليسوع بحسب هذا المفهوم . فعبرة : « جبل به من الروح القدس » تعنى بأن الله تدخل فعلاً ، ولكنه تدخل بطريقة الخاصة كخالق ، وليس بالطريقة البيولوجية ، أى أن المسيح ولد بيولوجياً من الروح القدس . « جبل به من الروح القدس » تعنى أيضاً بأن روح الله نفسه ، وليس أى روح آخر ، هو الذى عمل ، وليس أى انسان آخر ، وبأى طريقة كانت ، قام بهذا العمل .

مما سبق يتضح أن كارل بارت تمسك ودافع بشدة واصرار عن عقيدة الميلاد العذراوى ، فإنه بالرغم من أن النصوص الكتابية التى تتكلم عن الميلاد العذراوى قليلة جداً ، وهى موضوع نقاش كثير ، إلا أن الميلاد العذراوى أمر هام جداً ، لدرجة أنه لا يمكن اعتباره أسطورة أو قبول شرح غير الشرح الذى يقدمه لنا إنجيلا متى ولوقا بخصوص هذا الأمر .

ففى حياة المسيح نجد أمرين هامين جداً وفى غاية الخطورة ، وهما : الميلاد العذراوى فى بدء حياته ، فبهذا دخل المسيح إلى عالمنا بطريقة تختلف اختلافاً تاماً ، كلياً وجزئياً ، عن ميلاد أى إنسان آخر . فبميلاده العذراوى هذا أصبح عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا ،

(١) راجع كارل بارت نفس المجلد من ص ١٨٢ — ١٨٩ (النص الفرنسى)

حاضرا في عالمنا ، حاضرا معنا بطريقة ملموسة محسوسة ومرئية .
 إن الكلمة صار فعلا وعملا جسدا - صار الله جسدا - يمكن لأيدينا
 أن نلمسه ولأعيننا أن نراه . أما الأمر الثاني الهام فهو حادث القيامة
 الذي ستكون لنا الفرصة أن نتكلم عنه في حينه . فقط نقول هنا إن حادث
 القيامة الذي كمل في نهاية الأمر حياة المسيح ، حادث يفوق
 أيضا كل تفكير بشري ، ولا يمكن تفسيره أو قبوله علميا . وبالرغم
 من هذه الاستحالات العلمية فإن الكتاب المقدس يقدم لنا
 المسيح مواودا من عذراء بطريقة غير طبيعية ، كما يقدم لنا
 المسيح مقاما من الأموات بطريقة لا يمكن شرحها أو فهمها بعقولنا
 البشرية . وهكذا بدأت حياة المسيح الأرضية بطريقة معجزية ،
 وانتهت من الأرض أيضا بالقيامة بطريقة معجزية ، متخطية كل
 العوائق الطبيعية ، لأنه رب الطبيعة وسيدها . ومع أنه يحترم
 قوانينها لأنه هو واضع هذه القوانين ، إلا أنها خاضعة له ومنفذة
 لأوامره . فلا عجب إذن ، إذا كنا نرى أن قوانين الطبيعة تكسر
 في هذين الحادثين - الميلاد العذراوي والقيامة - وعلى ذلك
 فليس من حقنا بأي حال من الأحوال اعتبار هذين الحادثين كأساطير
 (MYTHES) كما ظن رودلف بولتمان وآخرون . بل إن حقيقة
 الميلاد العذراوي التي تبدأ بها حياة المسيح ، وحقيقة القيامة التي
 تختتم بها أيضا حياة المسيح ، هما حقيقتان هامتان لا يمكن انكارهما ،
 ولا يمكن أيضا قبولهما إلا بالإيمان . فأعن يارب ضعف إيماننا .

الفصل الثالث

طفولة يسوع وشبابه

لقد حاولنا في الفصول السابقة أن نبحث عن تاريخ ميلاد يسوع ، وعرفنا بأنه ولد فيما بين سنة ٤ وسنة ٥ قبل الميلاد . وبعد ذلك تعرضنا لمشكلة الميلاد العذراوى ورأينا أن يسوع الناصرى ابن مريم ، هو يسوع المسيح ابن الله ، « الكلمة صار جسدا » ، وهذا الكلمة الذى صار جسدا . هو الله نفسه . إذ أنه « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » . وهذا يعنى بأن الميلاد العذراوى هو ميلاد معجزى لا يدين بشيء ، لا للجنس ولا للطبيعة . فقد كان الميلاد العذراوى خرقا لقوانين الطبيعة لأن الطفل ، الذى ولد فى بيت لحم اليهودية فى حوالى سنة ٤ ق.م . ، هو « عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » . الله الذى يملأ بجلاله وعظمته السموات والأرض ، الله المعبود من الملائكة ، يصبح إنسانا لا بل طفلا صغيرا يولد فى بيت لحم فى مزود . ومن هنا نريد أن نتقدم فى بحثنا خطوة أخرى ، والخطوة التى نريد أن نخطوها الآن تختص بطفولة وشباب يسوع الناصرى . لقد رأينا فيما سبق أن ميلاد يسوع تم فى نهاية حكم هيرودى الكبير ، وأن متى ولوقا ، بذكرهما أسماء الحكام ، ساعدا المؤرخين كثيرا على

تحديد بعض التواريخ الهامة المختصة بميلاد وموت يسوع المسيح •
 فلو لم يذكر كتاب العهد الجديد أسماء بعض الأباطرة والحكام ، الذين
 كانوا يحكمون فى ذلك العصر ، لأصبح أمر تحديد تواريخ الميلاد
 والقيامة أمراً عسيراً • على أن هؤلاء الكتاب الذين كتبوا لنا عن ميلاد
 يسوع وموته وقيامته ، لا يتكلمون عن حياة يسوع كطفل وشاب •
 فحتى كتاب الأنجيل الذين يسردون بعض القصص الخاصة بميلاده
 ومعجزاته وأعماله ، يسدلون ستاراً ، يكاد يكون ستاراً كثيفاً لا نرى
 من خلفه إلا خيوطاً باهتة جداً ، على طفولة وشباب يسوع • فالفصول
 الكتابية التى تتكلم عن هذه الفترة من حياته قليلة جداً لدرجة أنه من
 الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، أن نرسم عن طريقها صورة متكاملة
 ولو نسبياً لطفولة وشباب يسوع •

إن الأنجيل لا تذكر لنا عن طفولة يسوع إلا حادثتين : أولاً —
 الذين جاءوا من المشرق ليسجدوا له • ويمكننا أن نقول بأن زيارة
 المجوس ليسوع يحتمل أن تكون قد تمت فى السنة الأولى أو الثانية بعد
 ولادته حوالى سنة ٥ أو ٤ ق.م • ، أى قبل موت الملك هيرودىس •
 « حينئذ لما رأى هيرودىس أن المجوس سخرُوا به غضب جداً ، فأرسل
 وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين
 فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس » (مت ٢ : ١٦) •
 أما الحادثة الثانية التى يتكلم فيها متى عن طفولة يسوع ، فهو الحلم
 الذى أوحى فيه الرب لـ يوسف قائلًا : « قم خذ الصبى وأمه واهرب
 إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك ... فقام وأخذ الصبى وأمه ليلاً
 وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودىس ... » (متى ٢ :
 ١٣ — ١٤) •

غير هاتين الحادثتين ، لا تذكر الأنجيل شيئاً عن طفولة يسوع •

وحتى في هاتين الحادثتين ، فإن متى لا يتكلم عن الطفل يسوع بل يصف الجو الذي وجد فيه هذا الطفل ، وما يدور حوله ، وما يحاك ضده ، وما تدبره العناية الإلهية لخلاصه من مؤامرات هيرودس .

أما لوقا فقد كتب عن طفولة يسوع بطريقة مباشرة تلمس حياته نفسها ، وليس كما فعل متى ، الذي يصف الأحداث التي تدور حوله ، دون أن يكلمنا عن الطفل يسوع نفسه . فإن الأصحاح الثاني من إنجيله يسجل لنا عدة حوادث : أولا عن ميلاد يسوع (لو ٢ : ٨ - ٢٠) ، ثم يسجل لنا الإنجيل حادثة الختان التي تتم بحسب الناموس الموسوي في اليوم الثامن (لو ٢ : ١ ، تك ١٧ : ١٢) كما أن الإنجيل لا يهمل أيضا عملية تطهير الأم التي تعد من الطقوس اليهودية الموسوية الهامة (لو ٢ : ٢٢ - ٤٠) وبعد اتمام هذه النواميس يقول لوقا : « وأما أكلوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة ، وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممثلا حكمة وكانت نعمة الله عليه » (لوقا ٢ : ٣٩ - ٤٠) .

وفي نفس الأصحاح يقص لنا لوقا قصة لم ترد في أي إنجيل آخر ، وهو النافذة الوحيدة التي فتحت لنا في الأنجيل ، والتي من خلالها يمكننا أن نلقى نظرة على شباب يسوع . فلوقا هو الوحيد الذي يسجل لنا قصة الشاب يسوع الذي صعد مع مريم ويوسف إلى اورشليم لكي يؤدي فريضة الفصح التي كان على كل شاب يهودي متدين تجاوز الثانية عشرة من عمره أن يؤديها . وفي نهاية هذه القصة يختم لوقا الأصحاح اثنائي بهذا القول : « ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها ، وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لوقا ٢ : ٥١ - ٥٢) .

من هذه الأعداد التى سبق أن أشرنا إليها (لوقا ٢ : ٤٠ ، ٥١ ، ٥٢) نلاحظ أن الطفل يسوع كان ينمو نموا عاديا متقويا بالروح وممثلةا حكمة ، ونعمة الله كانت عليه . وفى سن الثانية عشرة يقدم لنا لوقا صورة عن تصرفات الشاب يسوع : فى تلك السن يشعر الشاب بنزعة الاستقلال عن الأبوين وعدم الخضوع لهما ، فيقول لوقا : وكان خاضعا لهما . وكان الشاب يسوع « يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » .

إن لوقا هو الوحيد الذى استطاع بهذه الأعداد القليلة جدا أن يقدم لنا الشاب يسوع بهذه الصورة التى سيكون لنا فيما بعد مجال للحديث عنها .

خارجا عن هذه الشواهد التى سبق أن أشرنا إليها ، لا نجد فى العهد الجديد أية إشارة أو قصة تصف لنا حياة يسوع من طفولته إلى أن بدأ ما نسميه الخدمة العلنية . صحيح أن اليهود قالوا عنه « أليس هذا ابن النجار » (متى ١٣ : ٢٣) ، وصحيح أيضا أن كاتب رسالة العبرانيين أراد أن يؤكد بشدة على ناسوته فقال : « من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شيء » (عب ٢ : ١٧ ، ١٨) إن هذه الأعداد المبعثرة والمتناثرة لا تسمح لنا بأن نؤلف قصة حياة يسوع منذ ولادته إلى أن بدأ خدمته ، ولذلك فإن هذه الفترة أى من ولادته إلى أن بدأ التبشير ، تعد فترة مجهولة وغير معروفة لدينا ، ولولا وجود هذه الأعداد القليلة جدا التى ذكرناها ، لأصبح العهد الجديد كله خاليا تماما ، جزئيا وكليا ، من كل ما يخص طفولة يسوع وشبابه .

ولقد اندهش كثير من الكتاب لصمت العهد الجديد عن الإفضاء لنا بالمزيد عن حياة يسوع الداخلية والخارجية فى هذه الفترة ، وسأنا

البعض أسئلة كثيرة وعديدة عن طفولة يسوع ، كيف كان يعمل ويتصرف ويحيا ؟ هل كان يذهب إلى المدرسة ويتعلم كباقي الناصريين ؟ وما هى تصرفاته كطفل وكلميذ وكشاب ثم كرجل نجار ، وما هى تصرفاته كعامل ؟

إن العهد الجديد لا يعطى لنا جوابا على هذه الأسئلة وعلى أسئلة كثيرة أخرى يمكن أن تطرح . إن كتاب العهد الجديد لم يحاولوا أن يكتبوا لنا قصة مفصلة عن حياة يسوع وعن ولادته إلى بداية التبشير . وذلك يرجع إلى أن الرسل لم يكن مهم كتابة قصة عن حياة يسوع الأرضية يصفون فيها كيف كان الطفل يسوع يأكل ويشرب وينمو وينام ، ويلعب ويدرس ويتصرف مع رفقاءه ... الخ ، بل كان هدف كتاب العهد الجديد هو أن يشرحوا لنا أن يسوع الناصرى الذى ولد من مريم العذراء هو يسوع المسيح ، المسيا المنتظر ، المخلص الذى يخلص العالم من خطاياه .

إن هدف الأناجيل والرسائل هو تبيان حقيقة روحية هامة : هى أن يسوع الناصرى ابن مريم ، هو المسيح ، المسيا الذى تنبأت عنه الكتب المقدسة . ولهذا السبب لم يحاول كتاب العهد الجديد وصف حياة يسوع الداخلية والخارجية ، هذه الأمور التى تهم عالم النفس والاجتماع والجنس ... الخ ولكنها لا تشغل عند كتاب العهد الجديد إلا حيزا صغيرا جدا على الهامش . ولذلك لم يسجل لنا هؤلاء الكتاب عن حياة يسوع فى فترة الثلاثين السنة الأولى إلا أعدادا قليلة جدا . ولهذا السبب حاولت الكتب الأبوكريفية ، أو بعبارة أصح الأناجيل المزيفة ، أن تتسجج من الخيال قصة بل قصصا عن حياة يسوع . فمنذ القرن الثانى الميلادى إلى القرن الخامس ظهرت عدة أناجيل ورسائل مزيفة نسبوها إلى بعض التلاميذ والرسل . ولقد حاولوا أن يقصوا

فى هذه الرسائل والأناجيل بعض القصص والحوادث التى يدعى هؤلاء أنها حدثت مع المسيح ومع أمه ويوسف . ومن هذه الكتابات على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر : إنجيل توما ، إنجيل يعقوب ، إنجيل المصريين ، تاريخ يوسف النجار ، الإنجيل العربى ، وإنجيل بطرس . الخ .

وكل هذه الأناجيل مزيفة ، ونسب معظمها إلى بعض الرسل والتلاميذ لكى يسهل توزيعها وانتشارها . ولقد حاول كتابها أن يصفوا حياة يسوع ومعجزاته ، ليس فقط المعجزات التى سجلتها لنا الأناجيل الأربعة المعروفة والمعترف بها ، بل معجزات أخرى كثيرة تلونت بالطابع الخرافى . وكان هدفهم من ذلك ، ملء الفراغ الذى تركه العهد الجديد بصمته عن التكلم عن طفولة وشباب يسوع .

ولقد انتشرت هذه الأناجيل فى كنيسة القرون الأولى بطريقة سريعة وعلى نطاق واسع . بل أن بعضا من هذه القصص الخيالية الخرافية المذكورة فى هذه الأناجيل أصبح تسلية المسافرين للأغراض التجارية والسياسية والحربية ، فإن المسافرين على ظهور جمالهم وخييلهم وعرباتهم القديمة البطيئة السير ، كانوا يقصون على بعضهم فى أثناء هذه السفريات الطويلة ، قصصا مسلية يميل معظمها إلى الخيال الخصب المشوق ، إلى ما هو خارق للطبيعة . ولقد جذبت هذه الأناجيل المزيفة الكثيرين ، ليس فقط المسافرين فى رحلات طويلة ، بل الآخرين أيضا إذ أنها تحتوى على قصص مسلية ، خصوصا القصص التى تتكلم عن طفولة يسوع والمعجزات التى كان يقوم بعملها وهو بحد ولد صغير . وخلط البعض قصص هذه الأناجيل المزيفة مع قصص الأناجيل القانونية (الأناجيل المعترف بصحتها وقانونيتها وهى الأربعة الأناجيل الأولى) (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) ، ظنوا أن هذه الأناجيل والكتابات

المدسوسة وسط الأناجيل وكتابات العهد الجديد القانونية ، هى أيضا جزء من العهد الجديد • وكان تفكيرهم : كيف لا تكون جزءا من العهد الجديد وهى تصف لنا طفولة يسوع الطفل ، ثم تحكى أيضا المعجزات والخوارق التى عملها هذا الطفل ؟ فبعض هذه الأناجيل حاول أن يصف لنا طفولة يسوع وكيف كان يعمل ويتصرف فى طفولته ، فالمعجزات كانت تصحبه أينما حل ، وتخرج من بين يديه أينما امتدنا • وتحكى لنا هذه الأناجيل أن يسوع عندما كان ولدا صغيرا كان يأخذ من الطين الذى يلهو فيه وبه رفاقؤه ، ويصنع منه شكلا لعصفور وينفخ فى هذه القطعة التى صنعها من الطين فتصبح عصفورا يطير • وكان فى استطاعته أيضا أن يخبر أصدقاءه بما أكلوا وشربوا دون أن يراهم يأكلون أو يشربون •

هذه القصص انتشرت وزادت بين الناس ، وظن البعض أنها جزء من الأناجيل • وفى حقيقة الأمر ما هى إلا قصص وردت فى الأناجيل المزيفة (١) مثل إنجيل توما ، والانجيل العربى وإنجيل الطفولة ، وإنجيل المصريين • (٢)

من هذا يتضح لنا أن هذه الأناجيل كانت مقروءة ومعروفة فى بعض الأوساط التى كانت تعيش فيها الكنيسة ، ولقد حاول كتاب هذه الأناجيل كما سبق القول ، بأن يكتبوا قصة عن طفولة وحياة يسوع ، الأمر الذى لم يعره كتاب العهد الجديد اهتماما خاصا • لأن هدف العهد الجديد ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، هو أن يقدم لنا يسوع

(١) Jesus Selon le Coran. H. Michard Cahier. ص ٣٠ — ٣٢ .
Theologiques 46 Edition De Cachaux et Niestlé, Suisse. p. 30-32.
(٢) راجع كتاب الأب بولس الياس اليسوعى : يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص ٣٥ — ٤٢ .

الناصرى ابن مريم كالمسيح وكالمسيا وكالسيد ، يسوع الناصرى هو الله نفسه . هذه هى رسالة العهد الجديد والموضوع الأساسى الذى تحدث عنه الانجيليون وكتاب الرسائل . أما ما يخص حياة يسوع الأرضية فى طفولته وشبابه وعلاقته مع أطفال قريته وعصره ، كل هذه اعتبرها الانجيليون وكتاب العهد الجديد أمورا ثانوية . بل إن معظمهم فضل الصمت بل الصمت المطلق فيما يختص بطفولة وشباب يسوع . لهذا السبب لانجد شيئا فى العهد الجديد يكلمنا عن طفولته غير بعض الشواهد القليلة جدا المذكورة آنفا . ولهذا السبب كتب المبتدعون بعض الكتب التى تتكلم عن طفولة يسوع وشبابه ونسبوها إلى التلاميذ والرسل ، حتى تستطيع عن طريق هذه العناوين والأسماء المزيفة ، مثل إنجيل توما ، وإنجيل المصريين ، إنجيل بطرس .. الخ ، أن تدخل إلى الكنيسة . فنتقرا وتدرس وتقبل كأنناجيل قانونية رسولية ، ولكن الكنيسة علمت بأن هذه الأناجيل لا تمت بصلة للرسل إذ أن معظم تعاليمها يختلف بروح أسفار العهد الجديد . فالتعاليم الغنوسية تسيطر على كثير من هذه الأناجيل ، وكما هو معروف فإن التعاليم الغنوسية تنكر ناسوت المسيح ولذلك فهى لا ترى فى يسوع إنسانا حقيقيا بل هيئة إنسان يأكل ويشرب وينام ، ونيس إنسانا حقيقيا يجوع ويعطش ويحتاج إلى النوم ، بل كان يأكل ويشرب وينام متظاهرا تحت هيئة بشرية غير حقيقية . ولقد شبهوا جسد يسوع بالنور أو شعاع الشمس ، فإن النور وشعاع الشمس يمكن لهما أن يخرقا لوحا من الزجاج دون أن يكسرا هذا اللوح . وهذا ما حدث (بحسب تفسيرهم) لريم العذراء التى احتفظت بعذراويتها (بالمعنى الحرفى للكلمة) ، وهذا ما حدث أيضا ليسوع فى حادثة موته . فالمسيح لا يمكن أن يموت لأنه غير قابل بأى حال من الأحوال للآلام .

وإنجيل بطرس (إنجيل مزيف) يصف لنا حادثة موت المسيح

فيقول! «فجاءوا بلصين وصلبوا السيد بينهما مولكن السيد كان صامتا! كانسان لايشعر بأى ألم .. (١) . فقد رفض الغنوسيون عقيدة الصليب لأنها لا تتفق ولاهوت المسيح . ولكى يفسروا عقيدتهم هذه إزاء مشكلة صلب المسيح ، يقتبس الكثيرون منهم قصة سمعان القيروانى ، ليس كما يذكرها الانجيليون (متى ٢٧ : ٣٢ ، مرقس ١٥ : ٢١ ، لوقا ٢٣ : ٢٦) ، فلوقا يقول : «ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلا قيروانيا: كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع » (لوقا ٢٣ : ٢٦) ، بل يقتبس الغنوسيون الأناجيل المزيفة التى تجعل من سمعان القيروانى الشخص الذى أخذ مظهر يسوع الناصرى وهيئته ، ولذلك وضع اليهود أيديهم عليه وصلبوه بدلا من المسيح لأنه شبه لهم بأنه المسيح (٢) . ويوحنا فى أعماله (٣) يصف لنا الشخص المعلق على الصليب والذى قال : « لست أنا يسوع المعلق على الصليب » (٤) . ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحادثة بالقول : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا بل الله رفعه إليه وكان الله عزيزا حكيما » (سورة النساء ١٥٦ - ١٥٧) .

على أية حال لا نريد أن ندخل فى تفاصيل هذه المشكلة ، بل نود فقط أن نقول إن هذه الأناجيل المزيفة كانت معروفة ومقروءة فى بعض المجتمعات التى كانت تعيش فيها الكنيسة . ولكن البعض من

(١) راجع كتاب Jèsus Selon le Coran ص ٦٨ - ٧٠ (النص

الفرنسى) .

(٢) راجع كتاب Jèsus Selon le Coran ص ٦٧ - ٧٠ (النص

الفرنسى) .

(٣) كتاب مزيف منسوب ليوحنا .

(٤) راجع كتاب ألأب بولس الياس اليسوعى ٣٦ - ٤٢ .

الذين سمعوا قصص هذه الأناجيل المزيفة واطلعوا عليها لم يميزوا بينها وبين الكتب القانونية المعترف بها ، ولذلك استندوا عليها كجزء صحيح من الإنجيل . وفى حقيقة الأمر فإن كل هذه الكتب والأناجيل ، ما هى إلا كتباً وأناجيل مزيفة أدخلها المبتدعون تحت أسماء التلاميذ والرسل ، لكي يشيعوا تعليماً أو عقيدة خاصة . ويعوزنا الوقت لو تكلمنا عن كل هذه الأناجيل والكتب بالتفصيل وعن محتوياتها . وفى القرن الخامس عشر والسادس عشر ظهر إنجيل جديد من صنع هذين العصريين « يدعى إنجيل برنابا » . (١)

فإن كانت الأناجيل الأربعة وبقية كتب العهد الجديد لم تحاول أن تعطى لنا وصفاً تاريخياً كاملاً أو حتى جزئياً ، عن طفولة يسوع وشبابه ، فذلك لأن رسالة هذه الكتب كانت مركزة على إعلان حقيقة أن يسوع ابن مريم : هو ابن الله . إن هذه الكتب أرادت أن تعرفنا كما سبق القول بأن يسوع الناصرى هو نفسه يسوع المسيح ابن الله ، ولذلك لم يحاول كتابها أن يبحثوا عن البيئة التى نشأ فيها يسوع ولا عما كان يعمل فى طفولته وشبابه ، بل كان همهم هو أن يعلنوا أن يسوع هو المسيح ، غير باحثين عن معرفة يسوع حسب الجسد كما يقول الرسول بولس : « اذاً نحن من الآن لانعرف أحداً حسب الجسد ، وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لانعرفه بعد » (٢ كو ٢٥ : ١٦) .

وفى نهاية هذا الفصل نحب أن نلفت نظر القارئ إلى نقطتين :

(١) راجع كتاب Jésus Selon le Coran ص ٦٦ — ٦٧ ثم راجع أيضاً كتاب

ص ٢٢٤ — ٢٣٠. M. Hayek Le Christ de L'Islame. Paris, 1959. ثم كتاب الاب بولس الياس اليسوعى ص ٣٦ — ٤٢ .

١ — ما سبق أن قلناه لايبنى بأى حال من الأحوال عدم البحث والتنقيب فى التاريخ وفى العلوم المختلفة عما يقوله التاريخ والعلوم عن يسوع •

٢ — إن ما قلناه أيضا عن الأناجيل والكتب المزيفة لايبنى أنها لازمة وضرورية وموحى بها ، لأنها تتكلم عن طفولة وحياة يسوع وعن أشياء أخرى كثيرة لم تتكلم عنها الكتب القانونية • بل إن هذه الكتب، كتب مزيفة قد نسبت إلى بعض التلاميذ وإلى بعض الرسل ، والتلاميذ أبرياء منها • إلا أن هذه الكتب بالرغم من الأخطاء الكثيرة التى تنتشر فى معظم صفحاتها والتى تذل على أنها من صنع البشر ، مفيدة لفهم التيارات المختلفة التى كانت تحاربها كنيسة المسيح •

هذه لمحة خاطفة سريعة عن حياة يسوع عندما كان طفلا وشابا ، ولننتقدم الآن إلى بحث نقطة هامة أخرى فى حياة يسوع على الأرض وهى فترة خدمته العلنية •

الفصل الرابع

يسوع ومعاصروه

(خدمة المسيح العلنية)

في الفصل السابق اتضح لنا أنه من الصعب ، بل من المستحيل كتابة تاريخ عن طفولة وشباب يسوع بما تعنى كلمة تاريخ من معنى علمي ، وذلك لأن الأناجيل القانونية الأربعة وأعمال الرسل ، والرسائل كلها ، قد أسدلت ستارا كثيفا جدا على مدة الثلاثين السنة الأولى من حياته . فالمراجع الانجيلية القليلة جدا التي تتكلم عن طفولته وشبابه هي عبارة عن ثقب صغيرة وضيقة في ستارة ، لا تسمح لنا أن نكتب قصة كاملة عن طفولة يسوع وشبابه لأن هذه الآيات القليلة جدا ، أو الثقب الضيقة جدا والتي ننظر من خلالها إلى حياة المسيح ، لا تسمح لنا . لقلتها أو لضيقها ، بأن نكون صورة كاملة واضحة عن المسيح كطفل وكشباب . ولهذا السبب فإننا نجهل الكثير عن يسوع ، من طفولته إلى سن الثلاثين . فلما بلغ يسوع سن الثلاثين ، أزيح جزئيا الستار الذي كان يخفى خلفه يسوع . ويعطى لنا الانجيليون وكتاب الرسائل ، عن الفترة الثانية من حياته ، أي من سن الثلاثين إلى موته على الصليب ، بعض التفصيلات التي

يمكن أن نعتبرها كثيرة ووافرة بالنسبة لما كتبوه عن الفترة الأولى من حياته ، إذ أننا نلاحظ هذا الصمت الكامل وكأنه صمت متفق عليه من كل كتاب العهد الجديد عن الفترة الأولى من حياة يسوع . أما في الفترة الثانية فالانجيليون يقدمون لنا السيد ، ليس كالشخص الغير المعروف والذي يقضى اليوم كله في حانوت نجارته أو عمله اليومي ، أيا كان هذا العمل ، دون شهرة أو صيت ، بل يقدمونه لنا كالشخص الذي ذاع صيته وطارته شهرته إلى أماكن بعيدة . ومتى يقول : « وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف في الشعب » فذاع خبره في جميع سورية . . . فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن » (متى ٤ : ٢٣ - ٢٥) .

والفترة الثانية من حياة السيد أو خدمته العلنية تبدأ عندما بلغ الثلاثين من عمره كما يقول القديس لوقا : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة » (لوقا ٣ : ٢٣) . ونلاحظ هنا اتفاق التاريخ العالمى مع ما سجله لنا الوحي المقدس عن سن المسيح عندما بدأ خدمته العلنية . والتاريخ يعلمنا بأن حكم الامبراطور أغسطس أول أباطرة روما امتد إلى سنة ١١ ب.م ، وبعد ذلك تولى الحكم بطريقة رسمية وفعالة الامبراطور طيباريوس الذى فى السنة الخامسة عشرة من سلطنته ظهر كل من يوحنا ويسوع (لو ٣ : ١) . ولكى نعرف سن المسيح بطريقة صحيحة بحسب التواريخ العالمية نقول : امتد حكم أغسطس إلى سنة ١١ ب.م + ١٥ سنة من حكم طيباريوس = ٢٦ سنة ، وبما أن المسيح ولد سنة ٤ تقريبا قبل الميلاد فيكون سن المسيح عندما بدأ خدمته العلنية هو حوالى ٣٠ سنة كما يسجله لنا لوقا البشير . (١)

(١) فى الجزء الثانى والفصل الاول راجع ما كتبناه بخصوص هذا الموضوع ص ١٦١ - ١٦٨ .

وقبل أن يظهر يسوع ، جاء الذي قيل عنه بإشعيا النبي القائل :
« صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب : أصنعوا سبيله مستقيمة »
(اش ٤٠ : ٣ ، ٥٧ : ١٤ ، ٦٢ : ١٠ ، متى ٣ : ٣ : مر ١ : ٢ : ٥ ،
لو ٣ : ٤ - ٦ ، يو ١ : ٢٣) ، فإن مهمة يوحنا كانت اعداد الطريق أمام
المسيا ، ولذلك فقد قال هو نفسه عندما سأله عن شخصيته الفريسيون
قائلين : « من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ، ماذا تقول عن نفسك ؟
قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال إشعيا النبي .
ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه ، هو الذي يأتي بعدى الذي
صار قدامى الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » (يو ١ : ٢٢ -
٢٨) وفي هذا الاعلان الذي أعلن فيه يوحنا عن نفسه بأنه ليس
هو المسيا المنتظر ، وما هو إلا ذاك الذي يعد الطريق أمام المنتظر ،
يقدم لنا المسيا الذي انتظرته الأجيال : « وفي الغد نظار يوحنا يسوع
مقبلا إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) .
وهنا يتقابل صاحب الصوت الصارخ في صحراء اليهودية والمطن عن
قدوم المسيا القريب ، مع المسيا نفسه . إن هذه اللحظة ، لحظة مقابلة
يوحنا للمسيا يسوع ، تعد من أعظم وأمجد اللحظات في تاريخ البشرية .
ذلك لأنه فيها قد تقابل ذاك الذي كان يعلن مجىء الأعظم ، والأعظم
نفسه : يوحنا الذي يمثل أنبياء العهد القديم وخاتمهم ، الذين تنبأوا
وانتظروا أجيالا طويلة مجىء المسيا ولم يروه ، والمسيا نفسه . ففي
لقاء يسوع ويوحنا يتقابل وجهها لوجه الصوت الصارخ والموعود به ،
النبي والمقتبأ عنه : يوحنا ويسوع . وعندما تقابل آخر نبي من أنبياء
العهد القديم وأعظمهم ، كما يقول عنه يسوع نفسه : « لأنى أقول
لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان . »
(لو ٧ : ٢٨) . مع المسيا المنتظر والموعود به ، لم يسمع هذا النبي إلا
أن يقول بسرور عظيم : « إذا فرحى هذا قد كمل ، ينبغي أن ذاك
يزيد وأنى أنا أنقص » (يو ٣ : ٢٩ - ٣٠) .

لقد حدثت هذه اللحظة التاريخية العظيمة بين رب الأنبياء يسوع، وأعظم الأنبياء وخاتمهم في العهد القديم يوحنا ، في اليهودية • وكانت اليهودية كبقية بلاد فلسطين قد وقعت تحت الحكم الروماني وسيطرته سنة ٦٣ ق م ، التاريخ الذي فتح فيه بومبي هذه البلاد واستولى عليها • ولقد سبق أن رأينا أنه عند ميلاد السيد كان هيروُدس ملكا على اليهودية (متى ٢ : ١) ، وترك الملك هيروُدس وصية للامبراطور أغسطس بأن تقسم مملكته بعد موته على أولاده الثلاثة ، وفعلًا نفذ الامبراطور وصيته ، فأعطى لأرخيلاوس اليهودية والسامرة كما أنه منح الجزء الثاني من المملكة وهو الجليل لهيرونس أنتيباس مع لقب رئيس ربع أما الجزء الثالث من المملكة والذي كان تابعا لسوريا فقد أسنده إلى الابن الثالث وهو فيليبس ابن كليوباترا •

وعندما بدأ المسيح في خدمته العلنية ، كان باقيا من أولاد هيروُدس في مناصبهم كحكام ، فيليبس كرئيس ربع على أيطورية وكورة تراخونيتس ثم هيروُدس أنتيباس كرئيس ربع على الجليل (لو ٣ : ١) •

وعندما نرجع إلى تاريخ الأمة اليهودية نرى أن الفترة التي بدأ فيها يسوع التبشير ، كانت فترة اضطراب وقلق وعدم استقرار من الناحية السياسية والدينية ، فاذا رجعنا إلى الوراء نرى أنه بعد موت هيروُدس الكبير (سنة ٤ ق م) تعرضت البلاد لعدة ثورات وهيجان شعبي ضد السلطات الرومانية ، وخاصة الثورة التي قام بها يهوذا الجليلي في سنة ٦ ب م ، فبالرغم من أن تاسيت يقول بأنه في أيام طيباريوس كان كل شيء هادئا ، فاننا نعتقد بأن هذا الهدوء لم يكن إلا نسبيا • ومع أن هذه الثورة أخمدت إلا أنها كانت الأم لثورات أخرى قامت بعدها أقوى منها وأشد فتكا وخرابا ودمارا ، لأن الثورات التي قام بها المتعصبون دينيا ومعظمهم من الغيورين ، قد أطلحت في

نهاية الأمر بأورشليم فى سنة ٧٠ ب م (١) .
 وفى الفترة التى بدأ المسيح تبشيره ، كان الصراع بين الرومان ،
 الدولة الحاكمة المستعمرة ، وبين اليهود ، الدولة المحكومة المستعمرة ،
 صراعا قويا وحريا شعواء لا هوادة فيها . ونتيجة لهذا الصراع المسلح
 العنيف بين السلطات الرومانية المستعمرة وبين الشعب المستعمر المغلوب
 على أمره ، تجددت الأحلام المسيانية ، ونشطت الأحزاب الدينية
 والسياسية القديمة والحديثة ، فكلما كان يزداد الضغط والظلم الرومانى
 على هذا الشعب كلما كان يزداد اشتياقه لظهور المسيا . وتكثر أحلامه
 بمخلص لتخليصه من قبضة هذا الرومانى العاتى الظالم . فإذا استثنينا
 شيعة الصدوقيين التى كانت تضم عددا كبيرا جدا من طبقة الكهنة
 الارستقراطية ، والتى كانت متعاونة مع المستعمر ومؤيدة لسياسته التى
 ترمى مصالحهم إذا استثنينا هذا الحزب ، يمكننا أن نقول بأن كل الأحزاب
 والشيع الأخرى كانت ضد الحكم الرومانى . وكانت تنتظر بفارغ الصبر
 مخلصا على مثال موسى ويشوع ودبورة وجدعون ويفتاح وشمشون
 وماتاتياس ويهوذا وناثان سمعان . . . الخ ، فان حزب الفريسيين وحزب
 الغيورين بنوعيه معتدل ومتطرف ، كانا ضد الرومان وكانا ينتظران ظهور
 المسيا . كذلك جماعة الأسينيين التى كانت تعيش فى منطقة قمران ، كانت
 هى أيضا تنتظر بدورها تغييرا فى الحياة الدينية . فان
 حركة الغيورين ، التى بدأت سنة ٦ ب م على يد يهوذا الجليلي ،
 عرفت فى أيام المسيح نجاحا عظيما ، وقد اتخذت من الجليل
 مركزا لنشاطها ، وعو مسقط رأس يهوذا المؤسس لهذا
 الحزب . فمن الجليل كان يرسل المخربون والمدمرون الى نواحي
 الجليل واليهودية والسامرة ملكي يقوموا بعمليات الهجوم والتدمير والقتل

(١) David M. Rhoads. Israel. In Revolution. 6 - 74 C.E.A.
 Political History Based Writing of Josephus. Fortress Press
 P. 65.

والتخريب . والعمليات التخريبية التي قام بها الغيورون كانت موجهة ضد الرومان الذين يحتلون البلاد وضد أعوان المستعمرين ، خصوصا الطبقة الارستقراطية الكهنوتية التي تواطأت ، بل ومدت يد المساعدة والتعاون للمستعمر الروماني الوثني . على أنه يجب التمييز كما سبقت الاشارة الى ذلك بين الحزب الغيوري المتطرف والحزب الغيوري المعتدل . فان الأول (انحزب المتطرف) قد أباح لنفسه استعمال كل الوسائل من غدر وقتل وسرقة للوصول الى هدفه المنشود وهو الوصول الى طرد الرومان من البلاد والحصول على الاستقلال الكامل لتأسيس المملكة أو الأمة النيوقراطية - أي التي يحكم فيها الله بحسب المكتوب . أما الحزب الثاني (الحزب المعتدل) فكان يعمل هو الآخر على تحرير البلاد وحكمها حكما نيوقراطيا ، الا أنه لم يتفق ولم يشترك مع الحزب الأول في استعمال كل الوسائل الاجرامية وخاصة ضد اليهود الذين كانوا يتعاونون مع المستعمر (عملاء الاستعمار) ، وعلى هذه النقطة انقسم حزب الغيورين الى قسمين : الحزب المتطرف والحزب المعتدل وهذا الأخير كان قريبا في بعض اتجاهاته السياسية من حزب الفريسيين .

وبما أن حزب الغيورين المتطرف استعمل في سياسته أسلوب القتل والغدر والهجوم ضد الرومان وأعوانهم ، فان المستعمر لم يقف مكتوف الأيدي ازاء هذه السياسة والذين يتزعمونها ، ولذلك قام الرومان بقمع هذه الحركات بكل الوسائل الممكنة ، ولم يترددوا في ضربها بقوة ووحشية أينما وجدت . ويوسيفوس بن فلافيوس ، المؤرخ اليهودي ، يتكلم كثيرا عن الغيورين وعن الصراع المستمر بين الغيورين والرومان ، ومن الطبيعي أن يوسيفوس كان يلقي دائما المسؤولية على الغيورين في عمليات الهجوم التي كان يقوم بها الرومان ضد هذا الحزب ، لأنه كان من أعوان وأتباع المستعمر الروماني . ومع أن كتاب العهد الجديد تحاشوا أن يتكلموا بإسهاب عن هذا الحزب ، الا أنهم تكلموا عنه بطريقة موجزة ، وستكون

لنا فيما بعد الفرصة للتحدث عن ذلك • ولكن المهم هو أن نعرف أن هذا الحزب كان يحارب ويصارع ليس بدافع وطنى فقط بل بدافع دينى أيضا، ولهذا فان كثيرين من هذا الحزب قد ادعوا أنهم المسيا المنتظر ، وبهذه الصفة حاربوا الرومان وغدروا ببعض اليهود العملاء للرومان • ولقد ظن هؤلاء المسايا الكذبة بأن مجيء ملكوت الله متوقف على سيوفهم وخناجرهم ومكرهم ، فأمعنوا فى استعمالها باسم المسيا والملكوت ، كما فعل يهوذا الجليلى وأتباعه (اع ٥ : ٣٦ ، ٢١ : ٣٨) •

ولذلك فان السلطة الرومانية كانت تضرب بيد من حديد وبلا رحمة كل الحركات الوطنية والحركات المسيانية التى كانت تعتبرها عدوها الأول • ومن هذا الموقف السياسى الذى اتخذته روما ضد الحركات المنيانية ، سنفهم أيضا فيما بعد لماذا لم يتكلم المسيح كثيرا عن مسيانيته ، بل وفى بعض الأحيان كان يمنع تلاميذه من أن يتكلموا عن ذلك (مر ١ : ٢٤ - ٢٥ ، ٣٤ ، ٣ : ١١ - ١٢ ، ٩ : ٨) وهذه السياسة الرومانية تشرح لنا أيضا موقف المؤرخ يوسيفوس فلافيوس (فيما بعد) • وكيف أنه لم يتكلم عن المسيح كثيرا حتى لا تخط السلطات الرومانية بعد سقوط أورشليم بينه وبين المسايا الذين ظهروا فى تلك الفترة •

مما سبق يتضح لنا أمران هامان جدا : الأمر الأول ، هو أنه عندما بدأ المسيح فى الخدمة كان معظم الشعب اليهودى ينتظر بفارغ الصبر ظهور المسيا • والأمر الثانى : أن السلطات الرومانية كانت تعتبر أن كل حركة مسيانية حركة معادية للسلطات الرومانية وللإمبراطورية كلها • ولذلك استعمل الرومان كل الوسائل فى محاربتها والقضاء عليها أينما وجدت • فمن الأمر الأول ، نلاحظ أن الشعب اليهودى كان معدا ومهيئا لمجيء المسيا ، فالقصص الشعبية التى كانت تتكلم عن المسيا وأعماله وكيف أنه سوف لا يخلص شعبه من الاستعمار والاستعباد الرومانى فحسب ، بل بتوّه يهوّه ستصبح الأهم الوثنية مستعبدة للشعب اليهودى

ومتعبدة لاله ، وأن هذا سيتم عند مجئ المسيا الذى سيقوم بعمل المحزات فتحل المشككت السياسية والاقتصادية والدينية • ونستطيع أن نلاحظ هذا المفهوم ، الذى كان منتشرا بين الشعب اليهودى ومسيطرا عليه ، فى الحوار الذى دار بين السيد والشيطان فى التجربة على الجبل • فالإنجيل الثلاثة تسجل لنا هذه القصة التى تشرح لنا بطريقة دقيقة المفهوم الشعبى السائد فى ذلك العصر بخصوص المسيا والانتظارات التى كان يحلم بها الحالمون من اليهود • فليس عن طريق الصدفة أن الإنجيل الثلاثة تسجل لنا قصة التجربة (متى ٤ : ١ - ١١ ، مر ١ : ١٢ - ١٣ ، لوقا ٤ : ١ - ١٣) ، بل وتفرد لها المكان الأول بعد حادثة العماد فى حياة المسيح • وطريقة الحوار التى دارت بين يسوع وبين الشيطان تصور لنا بدقة آمال اليهود وأحلامهم فى المسيا الذى سيأتى ليحرر شعبه • وأنقصه كما سجلها لنا القديس لوقا تحتوى على ثلاث تجارب حاول بها إيليس أن يجرب يسوع ، والتجربة الأولى هى •••• « إن كنت ابن الله غقل لهذا الحجر أن يصير خبزا » (لو ٤ : ٣) كان يسوع ناصريا أى من منطقة الجليل (لو ٤ : ١٦) ، وهى المنطقة التى ولدت فيها الحركة المسيانية ، بل وكانت تعتبر مركزا من المراكز المسيانية الهامة • فلا بد أن يسوع فى أيام شبابه وفى أثناء عمله اليومى فى هذه المدينة كان يتناقش مع شعبها ، فهو يعرف كانسان انتظارات هذا الشعب فى المسيا وأحلامهم ، ولا بد أنه سمع بأخبار الثورات التى قامت فى الجليل وفى أماكن أخرى ، فعندما قام يهوذا الجليلى بثورته ضد الرومان وحث اليهود على عدم دفع الجزية ، كان المسيح قد بلغ العاشرة أو الحادية عشرة من عمره • ولقد اعتبر البعض يهوذا الجليلى أنه مسيا أو على الأقل المهيء لطريق المسيا •

ومن الأعمال التى كان لا بد أن يقوم بها المسيا المنتظر ، حل المشاكل الاقتصادية • فهوذا السيد الذى عاش فى زمن طفولته فى

منطقة معروفة بانتشار النشاط الغيوري فيها يوجد الآن في الصحراء وجهها لوجه أمام هذه التجربة التي يجتاز فيها الشعب ، المسيا المنتظر والمشكلة الاقتصادية . ومما لا شك فيه أنه كان يعرف بل كان متأكدا من مسيانيته ، أنه هو ابن الله ، فماذا يعمل ، كمسيا وكابن الله الوحيد ، ازاء هذا المفهوم السائد بأن المسيا يستطيع أن يحل المشاكل الاقتصادية بمعجزة عند مجيئه . مما لا شك فيه أن السؤال كان هدفه أن يزعم إيمان يسوع في أبيه : « إن كنت ابن الله . . . » ولكن عندما ندرس الظروف التي كان يمر بها الشعب اليهودي في ذلك العصر نلاحظ أن السؤال هدفاً آخر ، وهو الانتظارات اليهودية التي كان ينتظرها هذا الشعب من المسيا المنتظر . كان الشعب المغلوب على أمره ينتظر حلاً اقتصادياً لشعبه ولو بطريقة معجزية ، إن المسيا لا يقل بأي حال من الأحوال عن موسى الذي استطاع أن يحل مشاكل الشعب الاقتصادية والمادية في الصحراء ، ألم يعط موسى ، بقوة الله وتدخله لهذا الشعب ، طعاماً في الصحراء القفر ؟ فقد أرسل لهم السلوى التي صعدت وغطت المحلة فأكل الشعب وشبع (خر : ١٦ : ١ - ٣٦) . ألم يعمل موسى معجزة إرواء هذا الشعب العطشان ؟ (خر ١٧ : ١ - ٧) . ألم يعمل موسى هذه المعجزات ومعجزات أخرى كثيرة حلت بعض مشاكل هذا الشعب ، من الناحية الاقتصادية المادية ؟ (خر ١٥ : ٢٢ - ٢٧) .

فالمسيا هو أعظم من موسى وحلوله للمشكلة حلول صحيحة جذرية ، وإنجيل يوحنا يذخر لنا حادثة ، بعد أن أجرى المسيح معجزة الخمسة أرغفة والسمنتين تعبر بطريقة واضحة ودقيقة عن الآمال التي كانت تجرل في خواطر هذا الشعب بخصوص المسيا المنتظر : « فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التي فضلت عن الآكلين ، فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتى إلى العالم ، وأما يسوع فاذا علم أنهم مزعمون

أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده «
(يو ٦ : ١٣ - ٢٥) •

كان الشعب اليهودى فى ثورة وغليان ، وفى ثورته وغليانه كان يبحث عن الماسيا ليحل لهم المشكلة المادية الاقتصادية • وهنا يتقدم المجرب من السيد قائلاً له : «إن كنت أنت فعلاً ذلك الذى يجب أن يحرر هذا الشعب ويخلصه ، إن كنت أنت الماسيا ، فاثبت مسيانيتك بأن تحل لهم هذه المشكلة الاقتصادية ، فهم فى حاجة ماسة لحل هذه المشكلة ، وظروفهم تشبه الظرف الذى تجتاز أنت فيه الآن ، فإن كنت أنت الماسيا فقل لهذا الحجر الذى يشبه فى شكله قطع الخبز بأن يصير خبزاً ، وبذلك تعرف أن أباك السماوى معك ويسمع لك وبذلك أيضاً تستطيع أن تخدم هذا الشعب وتحل مشاكله المادية والاقتصادية » • والمسيح الذى يعرف خطورة هذا الحل المادى وخبث المجرب يقول له : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من الله » (لو ٤ : ٤) •

أما التجربة الثانية ، أو الانتظار الثانى الذى كان يتوقعه كثيرون من اليهود عند مجيء الماسيا ، فهو عمل المعجزات الخارقة للطبيعة ، وهنا أريد أن أتبع النظام الذى اتبعه حتى ، فهو يسجل لنا التجربة الثانية بدلاً من الثالثة فى إنجيل لوقا ، فيقول : « ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل • وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل » (متى ٤ : ٥ - ٧) •

إن الماسيا الذين جاءوا قبل وفى أثناء وبعد زمن يسوع ، كان معظمهم يدعى عمل ما يبهز العين وما يستولى على المشاعر ، ألم يحاول ثوداس نفس المحاولة عندما خرج على رأس عدد كبير من اليهود واعدأ إياهم بأنه بكلمة واحدة من فمه شيشق نهر الأردن إلى شطرين ؟ (١)

(١) راجع تفسير انجيل متى لوليم باركلى : ٤ : ٥ - ٧ •

ألم يحاول أيضا الغيورى المصرى النائر نفس المحاولة عندما وعد الشعب بأن أسوار اورشليم الشامخة ستسقط سجودا تحت أقدامهم ، عندما يعطى أمره بذلك ؟ وماذا أقول عن سمعان ماجوس الذى حاول أن يطير فى الهواء ، طارحا نفسه من على الهيكل ، فسقط ومات فى أثناء التجربة ؟ فان كثيرين من المسايا الكذبة اتبعوا هذا الطريق الذى يستحوذ على الباب الناس ومشاعرهم .

ويسبوع كان يعرف قصصا كثيرة مماثلة لهذه الحوادث ، ويعرف المفهوم الذى كان سائدا ومسيطر على عقول الناس ، ولذلك يتقدم اليه المجرب قائلا : « إن كنت أنت فعلا هذا المسيا المنتظر ، فألق الآن بنفسك من على جناح الهيكل » . ففى جناح الهيكل كانت توجد زاوية تطل على وادى قدرون وأرتفاعها أربعمائة وخمسون قدما عن الأرض ، وكأنى بالمجرب يقول نه : « إذا كنت أنت ذلك المسيا المنتظر ، فلماذا لا تنتهز هذه الفرصة ؟ وبما أنه مكتوب يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك .. » فلن يصيبك شئ من الضرر ، بل عندما يراك الشعب نازلا عليهم طائرا سوف يهللون لك وتصبح أنت المسيا المنتظر . فان كنت المسيا الحقيقى ، فلماذا لا تلقى بنفسك لكى يؤمن بك هذا الشعب ، فأنت تختلف تماما عن سمعان ماجوس » . وكان جواب المسيح على هذه التجربة التى كان يريد بها إبليس والشعب اليهودى : « لا تجرب الرب إلهك » ، فان الشعب اليهودى كن ينتظر مسيا قويا يبير العقل والعين بأعماله ومعجزاته : الأمر الذى تجنبه المسيح فى كل حياته . فكم من المرات عمل فيها المعجزات الخارقة للطبيعة ! « نراه يقف أمام إنسان مفلوج مريض ، فيقول له مغفورة لك خطاياك ، قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك (مر ٢ : ٥ ، ١١) ، ثم أمام أعمى فيعطى له البصر ، فيبصر (يو ٩ : ٦ - ٧) ، وهكذا كان المسيح يعمل المعجزات بسخاء عظيم لمن كانوا فعلا فى حاجة لهذه

المعجزات ، ولكن كم من المرات رفض المسيح أن يعمل المعجزات للذين كانوا يريدون أن يجربوه ، لأنهم لم يكونوا في حاجة لهذه المعجزات ، بل أرادوا أن يعرفوا: هل هذا الشخص ، يسوع الناصرى ، هو المسيح المنتظر الذى يجب أن يضع إسرائيل رجاءه الاقتصادى والسياسى فيه؟ فكم من المرات سأله الكتبة والفريسيون هذا السؤال : « يا معلم نريد أن نرى منك آية » ، فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية » (متى ١٢ : ٣٨ ، متى ١٦ : ١ ، لو ١٢ : ٢٩) . وكان جواب المسيح انقطاع المانع على هذه الأسئلة التى سألها الشيطان واليهود لكى يروا قوته : « لا تجرب الرب إلهك » .

أما التجربة الثالثة أو الانتظار الشعبى الذى كان يتوقعه اليهودى عند مجيء المسيح فهو أن هذا الشعب المضطهد المغلوب على أمره ، لن ينال الاستقلال والحرية فقط بمجىء المسيح ، بل سيتسلط بدوره على أمم وشعوب . ولقد رجس الكثيرون من اليهود الى بعض الفصائل الكتابية التى تتكلم عن سلطان المسيح الروحى وفسروها تفسيراً حرفياً مادياً ، مثل نزمور ٧٢ : « أمامه تجثوا أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب . . . ويسجد له كل الملوك ، كل الأمم تتعبد له . . . » (٧٢ : ١ - ٩ ، أش ٤٩ : ٢٣ ، ٤٠ : ١ - ٢ ، ٥٥ : ٥ ، ٦١ : ١) . بهذا المفهوم الذى كان سائداً في وسط الشعب في تلك الفترة عن المسيح وعن عمله وعن مجيئه ، يتقدم المجرى بهذه التجربة للسيد وهى أن يعطى له ممالك العالم ومجدها على شرط أن يسجد له .

والتجربة فى حقيقة الأمر مغرية جداً لمسيح غيورى (من حزب الغيورين) ، فإن هدف الغيورى هو أن يحرر البلاد من المستعمر الأجنبى بأية وسيلة ، حتى باستعمال القوة والعنف والذبح والقتل والكذب والخداع . . . كل هذا جائز فى تحرير الوطن . وهنا يتقدم الشيطان

للسيد عارضا عليه عرضا يختلف تمام الاختلاف عن طريق عمل المعجزات لحل بعض المشاكل الاقتصادية : « إن كنت ترفض أيضا عمل بعض الخوارق للطبيعة ، التي عن طريقها يمكنك أن تظهر مسيانيتك ، بقى أمامك أمر واحد ، به تصبح مسيا بل وعن طريقه تحصل على المجد والعظمة والقدرة ، هو السجود لى . فلنكني تخضع هذه الممالك والسلطات تحت قدميك ، يجب عليك أن تستعمل العنف والقوة والسيف والحرب وسفك الدماء ، كما فعل الذين قاموا ويقومون وسيقومون باحثين عن المجد والعظمة والسلطان ، إنه لا تحرير لهذه البلاد إن لم تستعمل السيف وكل وسائل الحرب الحديثة ، عليك إذن أن تتضمن لحزب الغيورين المتطرف ، لجمع شملهم حولك وكون منهم جيشا حربيا قويا » .

والمسيح ، الذى تربى في مدينة الناصرة، يعرف بلا شك مراكز التدريب التى كانت تدرب الشباب وغير الشباب في مدن الجليل لى يستطيعوا في يوم ما أن يحرروا الأراضي المحتلة وأن يمتد سلطان هذا الشعب ، ليسيطر على شعوب أخرى كثيرة . وهنا يقترح المجرب على المسيح السجود له ، أى طريق العنف والقتل والتخريب وإسالة الدماء للوصول الى المجد وأى مجد ! !

إن معاصري يسوع كانوا يعرفون هذه الأفكار المنتشرة والمعروفة عن المسيا ، المسيا الذى سيسحق الأعداء ويديرر البلاد ، أما المسيا الحقيقي فينظر الى هذه ائوعد الكاذبة العاشة ، فلا يرى فيها إلا سما قاتلا لكل من اتبعها وأغوى بها ، ولا ينخدع بها إلا ضعفاء النفوس الذين يبحثون عن المجد الأرضي بأية وسيلة ، ولذلك فهو يقول للمجرب : « للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » . فلو أطاع المسيح الشيطان في هذه التجربة ، وسلك طريق العنف والسيف لتحرير هذا الشعب من قبضة

المستعمر الروماني ، فكيف كان يمكنه في المستقبل أن يحرر العالم كله من قبضة العدو العام — أى إبليس — الذي يريد أن يسجد المسيح له .
 أى أن يصير عبدا له يخضع لسلطته وينفذ أمره ؟ إن إبليس كان يريد بتجربته الأخيرة هذه أن يسلك المسيح كما سلك في الماضي كل الذين يضعون المجد الذاتي والملك الأرضي والنجاح والعظمة ... الخ في المكانة الأولى . فالذين يضعون في المكانة الأولى المجد الذاتي والملك الأرضي والنجاح ، لا يتورعون عن استعمال كل الوسائل الشريفة وغير الشريفة ، والكريمة وغير الكريمة ، للوصول الى المكانة المرموقة . فلو سجد المسيح لابليس ، أى أو أطاع التجربة باستعماله القوة والعنف ، فكيف كان يمكنه فيما بعد أن يقول لبطرس : « رد سيفك الى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » (متى ٢٦ : ٥٢) .

إن المسايا الكاذبة ظهروا في هذه الحقبة من الزمان ، أى قبل وفي أثناء وبعد ظهور يسوع ، كان معظمهم إن لم تكن أغلبيتهم الساحقة من الذين استعملوا السيف لكي يحرروا به البلاد المستعمرة . واستعمال السيف والقوة تجربة قديمة كقدم الانسان . ففي كل عصر وفي كل مكان يتقدم إبليس إلى الانسان مجربا إياه بنفس التجربة التي جرب بها السيد ، وهي استعمال العنف « ... اسجد لي ... فأعطيك جميع ممالك العالم ومجدها ... » أليست هذه هي التجربة التي تجرب بها الدول الصغيرة والضعيفة والفقيرة من الدول الكبيرة والقوية والغنية ؟ ألا تقترح هذه الدول الكبيرة التي تملك أسلحة فتاكة وحديثة وقنابل ذرية ونووية وهيدروجينية وبلأثرات حربية أسرع من الصوت ، على الدول الصغيرة الفقيرة بأن تمنحها على شكل قروض أو هبات ، أدوات الموت هذه إذا سجدت لها ... ؟ وبهذا الاقتراح السخي الغني « فأعطيك ممالك العالم ومجدها » ، انقاد كثيرون من المسايا الكاذبة في العالم الحاضر ، وخرروا وسجدوا تكبيرا عند أقدام هذه الدول الكبيرة الغنية القوية ،

فأصبحوا ياتهمرون بأمرها ويخضعون لسلطانها • إن هذه التجربة أنتى تجرب الدول الفقيرة والصغيرة فى وقتنا الحالى ، أى الحصول على الأسلحة وعلى الطائرات والمعدات الحربية ، جرب بها السيد كمسيا : « فأعطيك جميع ممالك العالم ومجدها » •

فالمسيح على جبل التجربة كان فى صراع عنيف مع الشيطان ، لأن الأفكار المسيانية أنتى سبقت الإشارة إليها ، والتي كانت منتشرة ومعروفة فى ذلك الوقت ، تقدم لنا المسيا كالشخص الذى سيحرر اسرائيل من الأزمات الاقتصادية والسياسية ، ولهذا السبب نرى المسيح على جبل التجربة وجها لوجه أمام هذه الأفكار والمعتقدات والانتظارات اليهودية الخاصة بالمسيا • إن هذه التجارب الثلاث تعكس لنا بطريقة واضحة الانتظارات التى كان اليهود يتوقعون تحقيقها عند مجىء المسيا • ويسوع الناصرى ، المسيا الحقيقى ، كان واعيا كل الوعى بهذه المعتقدات والأفكار والانتظارات اليهودية ، ولقد رفضها رفضا باتا كما هو واضح من إجابته على تجربة الشيطان •

وبما أننا رأينا التجربة التى واجهت المسيا على جبل التجربة قبل أن يبدأ خدمته العلنية ، يحسن بنا أيضا ، لكى تكتمل الصورة فى أذهاننا ، أن نلقى نظرة سريعة على أول عظة ألقاها يسوع • والانجيل يعرفنا بأن يسوع جاء بعد هذه الفترة التى قضاهما على الجبل فى التجربة الى الناصرة حيث كان قد تربى (لو ٤ : ١٦) ، وهناك فى المجمع ألقى عظته الأولى • والنص الكتابى الذى قرأه يسوع وعلق عليه ، كان من سفر إشعياء النبى الاصحاح (٦١ : ١ - ٣) • ومما لا شك فيه ، أن هذا النص كتب لكن يحيى الرجاء فى قلوب البقية الباقية من المسبيين بعيدا عن بلادهم ، ولكى يبعث فى قلوبهم المنكسرة والحزينة المتألمة ، بسبب النسبى المرير ، الأمل الذى سيحققه المسيا بمجيئه • والمسيا الذى يتكلم عنه

هو المسيا الحقيقى • وذلك الشخص الذى كان يقرأ فى المجمع هذا الفصل المذكور (اش ٦١ : ١ - ٣) كان هو نفسه ذلك المسيا الحقيقى ، والذى يختلف جزئيا وكليا عن المسايا الذين يتصورهم كثيرون من اليهود • فان هذا المسيا يتميز بصفاته الفردية عن كل المسايا الكذبة الذين سبقوه ، وعن كل المسايا الذين سيأتون بعده ، مفتصبين ، لأنفسهم هذا الشرف • وكيف لا ينفرد المسيا الحقيقى ، يسوع ، بهذا الامتياز !! ولوقا يقدمه لنا قبل التجربة ، وبالتحديد فى لحظة العماد ، كالشخص الذى نزل عليه الروح القدس بطريقة وحيدة وفريدة ، والآب نفسه يشهد له بالقول : « أنت ابنى الحبيب بك سررت » (لو ٣ : ١٥ - ٢٢) • فهنا يؤكد لوقا نزول الروح القدس بطريقة مرئية وملموسة : « ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة » • ثم يقتبس لوقا الفصل الذى يتكلم عن المسيا والذى يبدأ بهذه الكلمات : « روح الرب على » ، فهذا الروح الذى نزل عليه بهيئة مرئية وملموسة ، هو نفسه الروح الموعود به فى إشعياء • فرسالة المسيا الحقيقى هى رسالة بشارة للمساكين ، رسالة شفاء لمنكرى القلوب ، رسالة انطلاق وتحرير للمأسورين والمنسحقين ، رسالة بصر للعمى • وملخص رسالة المسيا الحقيقى هو اعلان سنة الرب المقبولة ، أى اعلان عهد جديد ، عالم جديد • ويستعمل اليونانيون للتعبير عن هذه الحالة كلمة « أو » (عالم) ، فان العالم القديم مضى ويبدأ الآن عالم جديد • إن المسيا الحقيقى جاء وبمجيئه حل عالم جديد ، فالانسان يدخل الآن فى عصر جديد • وهذا العصر هو سنة الرب المقبولة التى يبدأ بها عصر المسيا • وسنة الرب المقبولة التى يتكلم عنها سفر اللاويين ، هى سنة الغفران والتحرير من الديون ومن العبودية (لا ٢٥ : ٩ - ٢٢) • فبهذا العصر ، أى سنة الرب المقبولة ، ليس فقط الأشياء القديمة قد مضت وتلاشت ، ولكن « هوذا الكل قد صار جديدا » • وكيف لا يصير الكل جديدا وقد فتح المسيا أبوابا جديدة بمجيئه ، وبعض هذه الأبواب (م ١٥ - تاريخ الفكر المسيحى)

الجديدة التى فتحها المسيا الحقيقى هى : « أن الخلاص يقدم للجميع » .
 صحيح أن المسيح فى بداية رسالته وارساله للتلاميذ الى اسرائيل أعطى الأولوية لليهود ، حيث قال لهم هذه الكلمات : « الى طريق الأمم لا تمضوا
 والى مدينة السامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت
 اسرائيل 'الضالة' » (متى ١٠ : ٥ - ٦) . إن متى الكاتب اليهودى يشدد
 كثيرا على أهمية شعب الله ، وهذا لا يعنى إقصاء الشعوب الأخرى عن
 الخلاص ، فإن الأمر الذى أعطاه السيد هنا لتلاميذه إنما يبين الأولوية
 المعطاة لهذا الشعب ، فإن المسيح أراد فى بداية خدمته أن يهتم التلاميذ
 فى تبشيرهم بشعب الله وذلك لعدة أسباب :

١ - إن التلاميذ يهود ، فمن السهل عليهم فى بداية خدمتهم - لأن
 هذه الحملة التبشيرية التى أرسلوا فيها كانت الحملة الأولى - أن يبشروا
 يهودا مثلهم .

٢ - إن المسيح جاء أولا إلى خاصته ، لكى يمنح هذه الخاصة
 الخلاص ولكى تكون هى أيضا بدورها مبشرة بهذا الخلاص للأمم ، كما
 يقول لوقا : « نور اعلان للأمم ومجدا لشعبك إسرائيل » (لو ٢ : ٣٣) .
 ولكن مجيئه الى خاصته لا يعنى أنه لم يأت إلا لخاصته ، بل يريد متى
 أن يثقل المسؤولية على هذا الشعب الذى منه جاء المسيح ، وكأنى به
 يقول : « المسيح جاء إليكم وإليكُم أولا لكى تكونوا أنتم أيضا السابقين
 فى قبوله وقبول رسالته واعلانها للأمم التى تحيط بكم » .

ولكن للأسف الشديد ، أن هذا الشعب الذى منه جاء المسيا لم
 يقبله . ويوحنا يقول : « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله ، وأما كل
 الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه »
 (يو ١ : ١١ ، ١٢) .

فمجيء المسيا فتح الباب أمام الشعوب ، وهذا واضح كل الوضوح
 من طريقة كتابة إنجيل لوقا ، الانجيل الذى يقدم لنا المسيا « المسيح »

مخلصا لكل الشعوب « ابن آدم » (لو ٣ : ٣٨) . والجدير بالذكر أن لوقا عندما يقتبس النص المذكور في إشعياء ، يسقط بطريقة اختيارية وعمدا جملة لها معناها ، فنص إشعياء يقول : « لأنادي بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لالهنا ... » أما لوقا فيقول : « واكرز بسنة الرب المقبولة ! » . لأن يوم الانتقام لالهنا ، كان في مفهوم اليهود هو اليوم الذي ينتقم فيه الرب من أعداء شعبه ، وأعداء شعب إسرائيل هم أولا الذبن سبوا هذا الشعب ، ثم كل الشعوب التي لا تقبل يهوه كإله . من هذه الشعوب سينتقم الله لشعبه ، أي من الأمم ، الأمر الذي يمكن تطبيقه على الرومان واليونان . ولهذا السبب يحذف لوقا هذه الجملة من النص المقتبس لكي لا يقفل الباب أمام الأمم ، ومما يؤيد قولنا هذا ، موقف اليهود من أول عظة ألقاها السيد في مجمعهم . فماذا كان موقفهم من هذا الشخص ومن عظته ؟ : « فامتلا غضبا جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا فقادوا وأخرجوه خارج المدينة وجاعوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل » (لو ٤ : ٢٨ - ٢٩) . والسؤال الذي يخرج نفسه أمام هذا الموقف الغريب هو لماذا هذا الشعب وهذه الثورة ؟ ماذا قال المسيح في عظته الأولى حتى ثار شعب مدينته ومسقط رأسه ضده ؟ إن ما أثار غضب هذا الشعب هو أن المسيح فتح الباب أمام الأمم . بل والأكثر من ذلك ، أنه قد بين لهم أنه بينما كان إسرائيل كله يئن من انجوع والعطش بسبب إغلاق السماء ثلاث سنرات ونصا ، لغضب الله على هذا الشعب ، أرسل الله نبيه إلى امرأة أجنبية بعيدة عن رعوية إسرائيل لكي تعوله وتقوته ، وهذا يعني أنه في الوقت الذي كان غضب الله معلنا على إسرائيل ، قد فتح نعمته لأرملة صرفة صيداء لكي تكون مثلا لنعمة الله المجانية المقدمة ليس فقط لإسرائيل بل للأمم أيضا . ويواصل السيد عظته فيقتبس مثلا آخر وهو مثل نعمان السرياني ، ونعمان السرياني لم يكن أجنبيا عن رعوية إسرائيل فحسب ، بل كان من قواد الجيوش التي تهاجم إسرائيل (ألم يتخذ نفس

الشعب نفس الوقت تجاه عذات عاموس ١ : ١ - ١٥ ، ٢ : ١ - ١٦) •

وبهذين المثليين أراد المسيح أن يفتح الباب على مصراعيه أمام الأمم ، ولهذا السبب حذف لوقا عمداً من الاقتباس الذي سبقت الإشارة إليه عبارة : « بيوم انتقام لالهنا » ، كما أنه سجل لنا بتدقيق مثل أرماة صرفة صيداء (١ مل ١٧ : ٨ - ١٦) ، ومثل نعمان السرياني (٢ مل ٥ : ١ - ١٩) لكي يعرفنا أن سنة الرب المقبولة هي سنة جديدة وأن المسيا الحقيقي هو مسيا عالمي ، رسالته موجهة الى كل شعب وكل جنس وكل أمة وكل إنسان • فمع أنه يهودي ، وولد في بيت لحم اليهودية ، لكنه لم يأت لليهود ولليهودية فقط بل جاء الى العالم كله ، وهو نفسه الذي يقول فيما بعد : « ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد » (يو ١٠ : ١٦) • ومن الغريب العجيب أن لوقا ويوحنا يسجلان لنا رد فعل متشابه بعد أن سمع الشعب هذا الاعلان بخصوص فتح الباب للأمم ، فلوقا يعرفنا بأن انذين كانوا في المجمع أرادوا أن يطرحوه من حافة الجبل ، ويوحنا يتول : « فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه » (يو ١٠ : ٣١) • وكيف لا يثور هؤلاء اليهود الذين كانوا يسمعون ، عندما يدركون أن يسوع يعلم بأن الله ينظر بعين الرضا الى مثل هذه التعاليم في مجتمعهم الذي كانت تسيطر عليه القوات الرومانية ؟ ألا تعتبر هذه خيانة لاسرائيل وتعاوناً مع العدو ؟ ولهذا فقد ثار اليهود عند سماعهم لأول عظة له لم الناصرة ، وأرادوا أن يتخلصوا منه محاولين أكثر من مرة أن يقتلوه (مر ٨ : ٥٩ ، ١٠ : ٣١ ، لو ٤ : ٢٨ ، ٢٩) •

ومما لا شك فيه أنه توجد أسباب كثيرة أخرى عقائدية لم يتفق فيها يسوع واليهود ، دفعت هؤلاء لئلاصبته العداة والبحث عن طريقة لقتله والتخلص منه • فلا يمكننا القول بأن السبب الوحيد الذي دفع اليهود الى مقاومة يسوع وصلبه في نهاية الأمر أنه لم يكن مسيا على

مثال الغيورين ، ولهذا السبب وحده ناصبه اليهود العداء . ولكن هذا السبب مهم جدا ومن الأسباب التى دفعت كثيرين من اليهود أن يقفوا ضده ، بل أن بعضهم خيم صوته مع رؤساء الكهنة عندما صرخوا قائلين : « اصابه ، اصابه » .

إن الأناجيل ركزت كثيرا على أن العداء الذى كان قائما بين يسوع واليهود يرجع سببه الى أن السيد نادى بتحرير الانسان من حرفية الناموس (لو ٦ : ١ - ١٦) والطقوس البالية القديمة التى هى من صنع الانسان والتى أصبحت قيودا ثقيلة عليه . والأناجيل تكلمنا عن الويلات التى صبها المسيح على رياء الكتبة والفريسيين (متى ٢٣ : ١ - ٣٧) ، وتكلمنا أيضا عن مقاومته لسياسة الصدوقيين ومعتقداتهم . ولكن هذه الأناجيل لا تذكر لنا الا القليل جدا ، وبلا تفصيل، عن جماعة الغيورين، كما أن هذه الأناجيل لا تذكر لنا ولا كلمة واحدة عن جماعة قمران ولا عن معتقداتها وطريقة عبادتها ونظامها ، ومع ذلك فإن هذه الجماعة كانت معروفة فى ذلك الوقت . صحيح أن أعضاء هذه الجماعة لم يتعدوا الأربعة آلاف عضو فى أيام المسيح ، إلا أن أربعة آلاف عضو يمكن أن تكون جماعة لها تأثيرها وكيانها وقوتها ودستورها ، الأمر الذى كنا نجهل الكثير عنه الى سنة ١٩٤٧ ، فكل ما كنا نعرفه عن جماعة الأسينيين هى بعض الكتابات الموجزة جدا التى كتبها فيلو الاسكندري (٥٤ ب م) وفلافيوس يوسيفوس المؤرخ اليهودى الشهير (٣٧ - ٩٥ م) عن هذه الجماعة^(١) .

هذه هى المعلومات الضحلة التى كنا نملكها عن جماعة قمران من الناحية التاريخية والتى لم يتكلم عنها الانجيليون ، لا من قريب ولا من

(١) لقد ظهرت جماعة الأسينيين فى حوالى ما بين سنة ١٦٠ وسنة ١٣٠ ق م ومؤسسها «معلم الحق» ، ولقد حاول القيام باصلاح اخلاقي اجتماعى عن طريق التمسك بالشرعية . ولقد حاولوا مع الفريسيين تحرير

بعيد ، كما لو كانت هذه الجماعة غير موجودة ، إلى أن ضل خروف من قطيع الراعى الشاب محدد الديب ، فأخذ في البحث عن هذا الخروف الضال ، وفي بحثه عنه وجد فتحة في الجبل فبدأ يلهو بالقاء بعض الأحجار فيها ، ولكنه فوجئ بسماع صوت تكسر إناء في الداخل ، فأسرع إلى داخل الكهف حيث وجد هناك هذه المخطوطات العظيمة . حوالى ٥٠٠ مخطوطة تضم عددا كبيرا من أسفار العهد القديم . ويحتمل أن كتابة هذه المخطوطات يرجع تاريخها الى القرن الثاني قبل الميلاد (فيما بين ١٦٠ - ١٣٠ ق م) منذ هذا التاريخ أى سنة ١٩٤٧ والعلماء يحاولون دراسة هذه المخطوطات وتفسيرها . فكما أن الأنجيل لا تذكر لنا شيئا عن هذه الجماعة اليهودية التى كانت معاصرة ليسوع ، فإنها لا تذكر أيضا إلا القليل جدا عن الغيورين ، وهم جماعة أخرى سبق أن ألقينا نظرة سريعة على نشاطها ومعتقداتها الدينية واتجاهاتها السياسية . وجماعة الغيورين كانت معاصرة ليسوع ومنشرة في بلاد كثيرة في فلسطين وخاصة في الجليل . ولكن الفرق واسع وشاسع بين هاتين الجماعتين ، فإن جماعة قمران كانت تنتظر في صمت وصلاة وتأمل مجيء «معلم البر» . أما جماعة الغيورين ، خصوصا الغيورين المتطرفين الذين كان هدفهم تحرير البلاد من المستعمر الرومانى ، فقد أباحوا لأنفسهم كل الوسائل

البلاد من قبضة المستعمر الهلنسى ، ولكنهم فشلوا في تحقيق هذا الأمر . ولذلك فقد لجأوا الى دير قمران وأسسوا هناك جماعة تنتظر في صلاة وصبر ظهور «معلم البر» . كان يعيش الأسينيون في جماعات صغيرة أو كبيرة في المدن والقرى ، وكان كل شئ بينهم مشتركا ، كان يمكن للعضو في الجماعة أن يكون متزوجا أو أن يظل بتولا إن رغب في ذلك . كان أيضا على العضو أن يظل عامين تحت الاختبار فإذا نجح بعدها يسمح له بالاشتراك مع الآخرين في بعض الفرائض والشعائر الدينية . وبعد الامتحان والقسم كان يسمح له أن يتناول الطعام على المائدة مع الاخوة . تمسك الاسينيون كثيرا بحفظ السبت والطهارة الخارجية ، الايمان بالثواب والعقاب ، ثم الامتناع عن تقديم الذبائح الدموية .

(راجع كتاب الأب بولس الياس اليسوعى ص ١٤٠ - ١٤٥) .

المتاحة المشروعة وغير المشروعة من قتل وسرقة واغتيال فى سبيل تحرير البلاد من يد الرومان • ولهذا السبب ، كان هذا الحزب — حزب الغيورين المتطرف — فى صراع مستمر ودام مع السلطات الرومانية التى كانت تطاردهم وتريد القضاء عليهم قضاء نهائيا ، لأنها كانت تدرك جيدا بأن هذا الحزب منبع الاضطرابات السياسية والدينية والاجتماعية • ومع أن حزب الغيورين المتطرف كان ، على ما يبدو ، فى أهميته العددية أقل من حزب الفريسيين وأقل أيضا من حزب الصدوقيين ، إلا أنه استطاع أن يحتل مكانة هامة فى الحياة اليومية للرومان واليهود الذين كانوا يتعاونون معهم ، بسبب هجماتهم المسلحة المفاجئة ، فردية كانت أم جماعية • وكانت انقوات الرومانية دائما على أهبة الاستعداد لقمع وضرب الغيورين أينما وجدوا فكم من المرات هجم الجيش الرومانى على البيوت والأماكن التى لجأ إليها هؤلاء الغيوريون بعد قيامهم بوثبات هجومية على الرومان • وكم من المرات أيضا طلب فيها الرومانيون أعدادا كبيرة من الغيورين الثوار • وفلانيوس يوسيفوس المؤرخ اليهودى كتب بإفاضة عن هذا الموضوع (١) •

من هذا يتضح أن حزب الغيورين لم يكن حزبا مجهولا غير معروف، بل على العكس كان هذا الحزب موضوع الأحاديث اليومية فى أيام المسيح ولكن بالرغم من شهرته وبالرغم من الثورات التى قام بها تحت اسم الدين ولأجل الدين اليهودى ، نلاحظ صمت يسوع عن هذه الجماعة • ألم يوجه بعض النقود والويلات الى جماعة الكتبة والفريسيين والصدوقيين ولكنه لم يتكلم عن الغيورين • ومع ذلك فقد قبل المسيح بعضا من الغيورين كتلاميذ له • وهنا أمام صمت يسوع والانجيليين على هذه الجماعة نتساءل : لماذا هذا الصمت ؟ هل كان يسوع ضد هذا الحزب أو مؤيدا له ؟

(١) انظر كتاب S. G. Brandon بعنوان Jésus et le Zelotes

الفصل الخامس

يسوع والغيورون

قبل أن نبدأ البحث في السؤال الخاص بموقف يسوع إزاء الغيورين، نود أن نذكر القارئ الكريم بأن هذا الحزب كان يحتوى على حزبين أو أكثر كما سبق أن أشرنا • ويمكن تلخيص الكلام عنهم في الآتى :

(١) الحزب الشمالى (٢) الحزب الشمالى المتطرف جدا (٣) الحزب الشمالى المعتدل ، وهو الحزب الذى كان يتفق على طول الخط ، من الناحية الدينية والعقائدية ، مع جماعة الكتبة والفريسيين فيما يختص بالعقيدة الدينية والانتظارات المسيانية ، إلا أنه لم يتفق مع المتطرفين فى استعمالهم العنف والقوة وخاصة ضد اليهود الذين يتعاونون مع الرومان ، ومع أن هذا الحزب المعتدل كان يساند ويدافع عن المتطرفين إلا أنه لم يشترك معهم فى عملياتهم الهجومية •

أما الحزب الغيورى المتطرف أو حزب السيكر (SICAIRE) فهو حزب دينى وطنى اتخذ كمثال له فى نضاله وحربه ضد العدو الرومانى ، فينحاس (عد ٢٥ : ٦ - ١٣) وماتاتياس الكاهن الميكابى (١ ميكا ٢ : ١ - ٧٠) • وكان برنامجهم يحتوى على عدة نقاط يمكن تلخيصها فى الآتى :

- (١) جلاء المستعمر جلاء كاملا وعاجلا عن الأراضى المحتلة .
 (٢) جعل الأمة اليهودية أمة ثيوقراطية (أى دولة ، الحاكم فيها هو الله) .

(٣) الإصلاح الدينى اصلاحا جذريا بتغيير الأوضاع القائمة ، وخاصة تغيير طبقة الكهنة الارستقراطية المتعاونة مع المستعمر . وهنا يتفق الغيورون مع جماعة الأسينيين (جماعة قمران) التى انفصلت عن بقية اليهود ولم تقبل الاشتراك فى الخدمات الدينية ، التى كانت تقام فى الهيكل ، ولا فى تقديم الذبائح ، بل ومنعت تقديم الذبائح لأنها كانت تعتقد بأن الذين يقومون بممارسة هذه الفرائض غير أكفاء من الناحية الروحية والقانونية ولا ينتسبون الى سبط الكهنوت الحقيقى ، ولذلك فقد انعزلت جماعة تيمران فى ذلك الوادى منتظرة قلب الأوضاع الراهنة .

وحملة الحفريات التى قامت بها جماعة من العلماء الاسرائيليين فى سنة ١٩٧٣ كشفت لنا عن أنه كانت توجد علاقة وثيقة بين الغيورين وبين الأسينيين . كما أن بعض العلماء يعتقدون بأنه كانت توجد أيضا علاقة بين الغيورين والمسيحية فى نشأتها الأولى (١) ، وسنرجع الى هذا الأمر فى حينه . واكن الذى يهمنا هو أن نبين أن حزب الغيورين حاول استعمال الثورة والسيف فى آن واحد لمحاربة اليهود الفاترين أو المسلمين ثم الرومان المستعمرين (٢) .

(١) راجع كتاب

Le Judaisme et le Christianisme — M. Simon et A. Beniot.

ص ٢١٢ — ٢١٥ .

(٢) Jésus et les Revolutionnaires de son Temps Oscar

Cullmann 2. Mythe : Guignebert.

ص ١٧١ — ٢٠١ .

كانت هذه الأحزاب كلها: حزب الفريسيين وحزب الأسينيين وحزب
الغيورين ، معتدلين ومتطرفين ، ينتظر تغييرا دينيا وسياسيا
المجتمع . وكانت هذه الأحزاب خصوصا حزب الفريسيين وأحزاب
الغيورين تنتظر مسيا، المسيا الذي سيخلص إسرائيل من هذا النذل
والاستعمار . فالغيورون خصوصا الغيورون المتطرفون كانوا ينتظرون
المسيا ، ولم يكونوا ينتظرونه وهم مكتوفو الأيدي ، بل استعملوا قوتهم
وخططهم السياسية والهجومية لكي يعجلوا بمجيئه .

من هذا يتضح لنا أن حزب الغيورين كان حزبا معروفا وله أهميته
وثقله وتأثيره على الرومان وعلى اليهود أنفسهم ، ليس فقط من الناحية
السياسية بل أيضا من الناحية الدينية ، بل أن الذي دفع هذا الحزب
إلى الوجود ، كان الرغبة القوية في الدفاع عن الدين . ألم يكن المؤسس
له هو يهوذا الجليلي الذي رفض أن يدفع للرومان الجزية وجمال في
طول البلاد وعرضها مناديا بأن دفع الجزية للأجنبي المستعمر يعتبر
كسرا لناموس موسى ، لأن الخضوع للأجنبي يعتبر خيانة ليهوه ؟ فلكي
تظن الأمة اليهودية خائسة ومتعبدة ليهوه وحده صاحب السلطان
المطلق على إسرائيل يجب ألا تدفع هذه الجزية . وهكذا تبع هذا الحزب،
منذ ولادته سنة ٦ ب م الى يوم القضاء عليه في خراب اورشليم سنة
٧٠ وفي ماسادا ، سياسة عدم الخضوع للأمة الرومانية وعدم إطاعتها .

وعندما نتكلم عن الغيورين يعترضنا هذا السؤال : ما هو سبب
صمت يسوع عن التكلم عن الغيورين بطريقة واضحة وصريحة كما
تكلم عن الكتبة والفريسيين ؟

إن الأناجيل الثلاثة الأولى تذكر لنا اسم سمعان الذي يلقبه متى
ومرقس باسم سمعان القانوني (متى ١٠ : ٤ ، مرقس ٣ : ١٨) ولوقا يعطى
له لقب سمعان الغيور « وسمعان الذي يدعى الغيور » ، وأعمال الرسل

الذى كتبه لوقا الانجيلي يقول أيضا « وسمعان الغيور » (لو ٦ : ١٥ ،
 أع ١ : ١٣) • إن بعض المفسرين ، وهم قلة قليلة جدا ، يظن بأن كلمة
 غيور لا تعنى بأنه كان من حزب الغيورين ، بل هى صفة أضيفت إلى
 سمعان لكى تصف غيخته هو وحماسته لعمل الرب ، كما يقول بولس
 الرسول واصفا نفسه وغيخته للرب « وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية
 على كثيرين من أتربى فى جنسى إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى »
 (غلا ١ : ١٤) « وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم » (أع ٢١ :
 ٢٠ ، ٢٢ : ٣) • والذين يتمسكون بهذا الرأى يظنون أن حركة الغيورين
 الثورية لم تعرف فى فلسطين إلا فى سنة ٦٦ ب م (١) • وهذا الفكر
 غير صحيح من الناحية التاريخية لأن لقب غيور قد أعطى ليهوذا
 الجليلي • صحيح أن الثورة الكبرى التى قام بها الغيرون اندلعت فى
 سنة ٦٦ ب م ، ولكن : ام تكن هذه الثورة هى السبب فى إطلاق اسم
 « غيور » على الثوار بل ان الغيورين ، وهم أحفاد وأتباع يهوذا
 الجليلي الغيور ، قد لقبوا بهذا اللقب من سنة ٦ ب م • ولذلك يرى
 الكثيرون من المفسرين أن سمعان الغيور الذى يذكره لوقا فى انجيله
 (٦ : ١٥) كان فعلا من حزب الغيورين ، بل يحتمل ، كما ظن هؤلاء
 المفسرون ، أن سمعان الغيور الذى كان قبلا عضوا فى هذا الحزب • • •
 قد رأى فى يسوع المسيا الروحي وفى الوقت نفسه المسيا السياسى الذى
 سيخلص اسرائيل من الاستعمار الأجنبى • وبما أن كثيرين من اليهود
 كانوا ينتظرون مجيء المسيا فى ذلك الوقت فقد ظن سمعان أنه وجد فى
 يسوع المسيا الذى يبحث عنه • والذين ينادون بهذا الرأى ، يعتقدون
 بأن سمعان لم يكن التلميذ الوحيد الغيور ، بل رأوا فى يهوذا غيورا
 قد خابت آماله فى سيده • على أية حال سنرجع إلى هذه النقطة فيما
 بعد • والسؤال الذى يجب أن نطرحه الآن هو الآتى :

ما هو موقف الغيورين من يسوع ؟

(١) The Interpreter's Bible, Luke 6, 15.

عند دراستنا لتاريخ الفكر المسيحى ، نلاحظ أن البعض من الكتاب اعتقد بأن كثيرين من الغيورين رأوا فى يسوع الناصرى شخص المسيا السياسى المنتظر . والذين يتبعون هذه النظرية يرون فى سمعان الغيور واحدا من هذا الحزب ، انضم إلى تلاميذ يسوع . كما أن هؤلاء رأوا أيضا فى يهوذا الاسخريوطى غيورا من الحزب المتطرف . ولقد حاولوا أن يقدموا لنا صورة سوداء جدا. ليهوذا ، حتى يجعلوا هذه الصورة مطابقة لصورة غير متطرف . ولكى يثبتوا نظريتهم هذه رجعوا كثيرا إلى إنجيل يوحنا الذى يقدم لنا صورة أكثر سوادا ليهوذا من الأناجيل الثلاثة الأولى ، لأن يوحنا ، فى كل مرة تقريبا يذكر اسم يهوذا ، يذكره بتعليق سىء مشين . ونلاحظ هذا بعد عظة السيد فى مجمع كفر ناحوم وكيف أن يسوع أشار إلى قوم لا يؤمنون بكلامه : « ولكن منكم قوم لا يؤمنون » ويفسر يوحنا قصد يسوع بالقول : « لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذى يسلمه . . . أجابهم يسوع أليس أنى أنا اخترتكم الاثنى عشر وواحد منكم شيطان . قال عن يهوذا سمعان الاسخريوطى . لأن هذا كان مزما أن يسلمه وهو واحد من الاثنى عشر » (يو ٦ : ٦٤ - ٧١) . وعلى ما يبدو ، كما يعتقد البعض ، أن الشكوك فى مسيانية يسوع الناصرى ، الذى حلم به كثيرون من اليهود خصوصا الغيورين . بدأت تساور يهوذا الاسخريوطى بعد أن سمع فى كفر ناحوم عظة السيد عن خبز الحياة الذى سيكون طعاما للآخرين . فكيف يمكن أن يكون المسيا ذبيحة ، ونحن نريد مسيا عسكريا قويا يحرر من العدو ؟ واقد ازدادت شكوكه فى مسيانية يسوع عندما سمعه يأمر بطرس بدفع الجزية للمستعمر (متى ١٧ : ٢٤ - ٢٧) ، ومن هذا الوقت بدأ يفكر يهوذا. فى هجرة يسوع . ويوحنا يقول لنا عنه عند مناسبة العشاء : « فبعد اللقمة دخله الشيطان » (يو ١٣ : ٢٧) ، فبالرغم من وجوده مع يسوع ، ظل على ما كان عليه قبل مقابلته ، فقد ظل ذلك الشخص السارق واللص ، وتظهر هذه الروح فى حادثة مريم

عندما دهنت غدى الرب بالطيب ، « فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الاسخريوطى المزعج أن يسلمه لماذا لم يبيع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء » قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه » (يو ١٢ : ٥ - ٦)

فعندما أدرك يهوذا أن يسوع ليس هو المسيا السياسى المنتظر بحسب المفهوم الغيورى ، أى ذلك الذى يتزعم حزب الغيورين حاملا سلاحه وقائدا جيشه لتحرير البلاد من الاستعمار ، بدأ يفكر فى طريقة أخرى يحصل بها ، على الأقل ، على مبلغ من المال لمساعدة حزبه السياسى أو لنفسه . وكان ينامع فى مبلغ كبير .

لذلك عندما عرف بأن الكهنة يتصيدون الفرص لكى يلقوا أيديهم على يسوع ، ذهب هو نفسه وعرفهم بأنه على استعداد بأن يسلمه لهم . وقال لهم : « ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه اليكم . فجعلوا له ثلاثين من الفضة . » (متى ٢٦ : ١٤ - ١٦) . فبعد أن خابت آمال يهوذا فى يسوع المسيا السياسى ، أراد أن ينتهز هذه الفرصة عينها ليحصل على المال . ولكن عندما سمع بالمبلغ الذى اقترحه عليه رؤساء الكهنة ، زادت خيبة أمله وأصبحت الصدمة عارمة وقوية ، فإن الثلاثين من الفضة التى يقترحها رؤساء الكهنة كانت المبلغ الذى يدفعه اليهودى فى شراء عبد بحسب ناموس موسى (خر ٢١ : ٣٢) . ولما وجد نفسه أمام الأمر الواقع ، لم يستطع يهوذا إلا أن يسير فى الطريق الذى اختاره هو بنفسه لنفسه ، وأسلم سيده ليدهم (مرقس ١٤ : ٤٣ - ٤٦) . وبعد أن أسلم يسوع ، شعر بخطيته وجرمه العظيمين ، وبدل أن يمضى كما فعل بطرس باكيا معترفا بخطيته ، ذهب وشنق نفسه (مت ٢٧ : ٣ - ٥ ، أ ١٤ : ١٦ - ١٩) .

ما لا شك فيه أننا • عندما نتأمل الصورة التى رسمها يوحنا ليهوذا ، نجد مازدج كثيرة من هذه الصورة فى كثيرين من الغيورين المتطرفين (يو ٦ : ٦٤ - ٧١ ، ١٢ : ٥ - ١٣ ، ٨ : ١٠ - ١١ ، ٢١ - ٢٦ ، ٢٧ - ٣٠ ، ١١ : ٢) •

وعلى ما يظن ، أن كثيرين من الغيورين قد رأوا فى يسوع عند ظهوره ، المسيا السياسى المنتظر ، خصوصا عندما سمعوا عظاته عن ملكوت الله ، لأنهم نادوا هم أيضا بملكوت الله ، وكانوا يؤمنون بأن ملكوت الله قريب وقريب جدا • إلا أن الملكوت الذى نادى به الغيرون هو ملكوت ثيوقراطى لأمة اسرائيل ، بينما الملكوت الذى علم به السيد هو ملكوت الله فى قلوب الناس ، فى قلوب الذين يتجددون من كل أمة ومن كل شعب ومن كل لسان ، لأن هذا الملكوت لا يعرف حدودا ولا جنسا •

ولقد ظن البعض بأن الذين جاءوا بعد حادثة كسر الخبز لإشباع الجوع ليختطفوا يسوع ويجعلوه ملكا ، لم يكونوا إلا جماعة من الغيورين : « وأما يسوع فإذا علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا إلى الجبل وحده » (يو ٦ : ١٥) ، فاننا نشتم من أسلوب يوحنا هنا (فى هذه الآية) رائحة الهجوم والخطف ، وليس طريقة التفكير السليم والنقاش • فإن جماعة الغيورين كانت تنتظر المسيا السياسى ، وعندما رأت يسوع الذى يعظ بملكوت الله القريب ، ظنت أنه هو فعلا ذلك المسيا السياسى ، ولذلك أرادت أن تختطفه وتتصبه ملكا على حزب الغيورين لكى يكون زعيما لهم فيجمع شملهم ويدعم صفوفهم • ولكن المسيا يسوع ينصرف وحده إلى الجبل ، لأن ملكوته ليس من هذا العالم ، ولا يريد هذا الملك الذى يتقاتل ويتحارب عليه الناس •

وهنا نطرح السؤال الذي سألته كثيرون من المؤرخين واللاهوتيين :
لماذا صمت الأناجيل عن التحدث عن الغيورين ؟ وهل صمتت فعلا
الأناجيل عن ذكر الغيورين ؟
وهذا ما سنحاول شرحه في الفصل التالي ...

الفصل السادس

موقف يسوع من الغيورين

سبق أن رأينا في الصفحات السابقة شيئاً عن موقف الغيورين من يسوع ، وما كانوا يأملون فيه وما يرجونه منه . فعندما ظهر يسوع الناصري وبدأ ينادى بملكوت الله العتيد ، وأن ملكوت الله قريب جداً على الأبواب : عدتئذ ظن فيه الغيورون مسيحاً سياسياً يخلص إسرائيل من الاستعمار الروماني القاسي ، وخاصة أن رسالة قرب ملكوت الله ، التي نادى بها السيد ، تشبه إلى حد كبير بعض الشعارات التي تمسك بها الغيورون ، ولهذا السبب عينه جاء بعضهم لكي يختطفوه وينصبوه ملكاً عليهم » (يو ٦ : ١٥) . فيحتمل أن بعض الغيورين رأى في المسيح غيورا أو على الأقل قائدا روحيا سياسيا يمكن كسبه لجانب الغيورين . والسؤال الذي يعترض بحثنا الآن هو الآتي : ما هو موقف يسوع من الغيورين ؟ وهل تكلم المسيح عنهم ، وأين وكيف ؟

عندما نرجع إلى تاريخ الأمة اليهودية ، في الفترة التي عاش فيها السيد على الأرض ثم الحفبة التي لحقتها بعد موته وقيامته الى سنة ٧٣ - ٧٤ ب م ، نلاحظ ظاهرة هامة جدا في تاريخ هذه الأمة ، وهي النشاط الضخم الذي قام به الغيورون ضد القوات الرومانية . ولقد

استعملت هذه الحركات الوطنية التحررية كل الوسائل الممكنة والارهابية لطرده المستعمر وتحرير البلاد منه . فقاموا بعمليات هجوم وقتل وتخريب فى معسكرات العدو الرومانى وفى أملاك اليهود الذين كانوا يتواطئون معه . ولذلك فقد نشروا الذعر والخوف والاضطراب ، ليس فقط فى قلوب الرومان العدو الأول الذى يجب طرده وتطهير البلاد منه ، بل وفى قلوب بعض اليهود أيضا الذين تعاونوا مع المستعمر وخاصة البعض من طبقة الكهنوت الارستقراطية . وحركة الغيورين الوطنية التحررية تشبه إلى حد كبير — مع أنه توجد أيضا بعض الاختلافات الجوهرية — الحركات الغدائية فى حركات المقاومة الوطنية . فحركات المقاومة الغيورية استعملت وسائل البطش والارهاب والقتل . . . الخ فى سبيل تحرير البلاد . ولهذا السبب كانت هذه الحركة موضوع أحاديث الناس ونقاشهم لأنها كانت تحاول جذب أنظار المواطنين وغير المواطنين إلى حقيقة وجودها ، وإلى ضرورة اجلاء القوات المستعمرة عن البلاد التى يجب أن يحكمها أصحابها وليس الأجانب . وكما سبقت الإشارة فإن جماعة الغيورين ، بجميع أحزابها الفرعية ، كانت تعمل على تحرير البلاد باسم الدين ، وباسم يهوه ، وهدفها الأسمى وغايتها العظمى هما الوصول إلى تكوين حكومة ثيوقراطية تحكم بحسب الناموس الموسوى .

ومع أن معظم قادة وأعضاء هذه الحركات كانوا يعيشون ويعملون فى الخفاء خوفا من أن تبطش القوات الرومانية بهم ، إلا أن أعمالهم الهجومية والتخريبية كانت كئارا على علم ، لا يمكن إخفاؤها . فحركات التحرير الوطنية (أى الغيورون) كانت معروفة ، على الأقل بأعمالها التى اتخذت طابع الهجوم والعنف الشديد والتخريب والتدمير . ولقد تكلم المؤرخون عنهم ، ومع أن البعض يظن أن طائفة أو حزب الغيورين (م ١٦ — تاريخ الفكر المسيحى)

لم يظهر إلا بعد سنة ٦٦ ، أى السنة التى اندلعت فيها الثورة اليهودية ، وقد سبق أن رأينا خطأ هذه النظرية ، وكيف أن حزب الغيورين المتطرف ظهر إلى حيز الوجود بظهور يهوذا الجليلي في سنة ٦ ب م . وبعد القضاء على هذا الزعيم الثورى تشتت أعضاء هذا الحزب في كل البلاد بسبب الضغط ومطاردة الرومان له ، لأنهم أرادوا ملاحشة جماعة الغيورين من الوجود ملاحشة كلية وجزئية . ولذلك فقد اضطر الغيرون إلى أن يهربوا إلى الجبال والمغائر والكهوف والصحارى والأماكن البعيدة عن القوات الرومانية حتى يستطيعوا مواصلة جهادهم في مقاومة الرومان . فإن الهجوم الرومانى على حركة المقاومة الغيورية في سنة ٧ ب م ، لم يقض عليها تماما . وبقيت لهم بقية استطاعت استئناف المقاومة ضد الرومان . وهذه البقية كبرت وعظم شأنها واتسع نشاطها ، وفي أيام المسيح أصبحت حركة مقاومة عظيمة وضخمة ، كان الرومان يحسبون لها ألف حساب .

إن الشيء الغريب العجيب ، بل المدهش هو صمت الأناجيل الظاهري عن الغيورين . والغيورون كما سبق أن أشرنا كانوا يشكلون ليس فقط جماعة المقاومة ضد المستعمر الأجنبى ، بل وكانوا يكونون حزبا دينيا ينادى بسيادة يهوه المطلقة وعدم الخضوع لأى سلطان آخر ، أو لأية قوة أخرى مهما عظمت وقويت . إن الغيرة الدينية لهذا الحزب الوطنى التحررى (الغيورين) كانت تفوق كثيرا غيرة الكثيرين من الفريسيين وانكتبة ، فقد كانوا ينتظرون بفارغ الصبر ظهور ملكوت يهوه وانتشاره (طبعا ظهور ملكوت يهوه بحسب مفهومهم الخاص لهذا الملكوت ...) .

ومن المحتمل أن الناس قد تكلموا كثيرا في عهد المسيح عن الغيورين بسبب الأعمال الهجومية التى كانوا يقومون بها ، أكثر مما تكلموا عن

الفريسيين والكتبة • والأمر المدهش والغريب هو أن المؤرخين تكلموا عن هذه الجماعة ، وأن معاصرى السيد تكلموا عنها أيضا ، وأما المسيح والأنجيل فقد ائتمروا ، بحسب الظاهر ، الصمت عن التكلم عن هذا الحزب • ومع ذلك فإن المسيح والأنجيل لم يلتزموا الصمت بخصوص الأحزاب الأخرى الموجودة فى اليهودية فى ذلك الوقت مثل حزب الفريسيين ، وحزب الصدوقيين ، وحزب الهيروديسيين • الخ •

ألم ينطق المسيح نفسه بالويلات على الكتبة والفريسيين ، ثم حذر انجماهير من مكرهم وخبثهم ؟ (متى ٢٣ : ١٣ — ٣٩ ، مر ١٢ : ٤٠ ، لو ١١ : ٣٨ — ٥٢) «ولكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون •» •

وهنا نطرح نفس السؤال الذى سألناه سابقا : لماذا لم يتكلم إذا المسيح عن هذه الطائفة ، التى وإن كانت تقوم بأنشطة سياسية لتحرر البلاد ، فهى أولا وقبل كل شىء طائفة دينية ، حزب دينى ؟ ولماذا لا تتكلم الأنجيل عن مقابلة المسيح لبعض قادة هذا الحزب ، مثل مقابله لبعض معنمى الناموس ، التى تكلم عنها الإنجيليون كثيرا ، مثل مقابله لرئيس المجمع الذى أقام ابنته من الموت (لو ٨ : ٤١) أو مقابله السرية لنيقودييموس رئيس اليهود ، أو نقاشه مع رئيس شاب (متى ١٩ : ١٦ — ٣٠) •

فالمسيح والإنجيليون يتكلمون عن هذه الأحزاب ، أى حزب الفريسيين ، والصدوقيين ، والهيروديسيين والكتبة بدون أى تردد • ومع ذلك فإن الأنجيل لا تذكر لنا ولا مرة واحدة أن غيورا قام ليخرجه ، أو جاء إليه غيبور لا فى العلانية ولا فى الخفاء • • فلماذا إذن هذا الصمت ؟ ولماذا لم يتكلم المسيح ولا الإنجيليون عن الفيورين بطريقة

واضحة وصريحة كما تكلم عن الطوائف الأخرى الموجودة في فلسطين في ذلك الوقت ؟

إن بعض المفسرين ظنوا أن المسيح والأنجيل لم يتكلموا عن هذه الطائفة ، لأنها لم تظهر إلى حيز الوجود إلا بعد سنة ٦٦ ب م . ولكن الأبحاث الحديثة تعرفنا كما أشرنا إلى ذلك سابقا بأن جماعة الغيورين ظهرت في سنة ٦ ب م لا بل تجسدت في حركة غيورى العهد القديم . فلماذا إذن لم تتكلم عنها الأنجيل ولماذا هذا الصمت ؟

إن صمت الأنجيل عن طائفة أو حزب دينى أو سياسى ليس بالدليل القاطع على عدم وجوده . فالأنجيل لا تذكر كلمة واحدة عن جماعة قمران التى ظلت أخبارها مخفية عنا إلى سنة ١٩٤٧ . ومع أن يوسيفوس فلافيوس المؤرخ اليهودى العظيم وفيلو الاسكندرى وبلينوس العجوز يعطون لنا فكرة محددة عن جماعة الأسينيين ، إلا أن هذه الفكرة كانت محدودة وموجزة جدا . ومما لا شك فيه أن مخطوطات قمران ستفتح الباب أمام الباحثين لمعرفة الكثير عن هذه الجماعة التى كانت معاصرة للمسيح ، ومع ذلك فالمسيح لم يتكلم عنها . والسبب الأساسى في صمت المسيح والأنجيليين عن الكلام عن جماعة الأسينيين هو أن هذه الجماعة كانت تعيش في الخفاء والمسيح لم يتكلم عنها لكى لا يلفت الأنظار إليها^(١) . فكل هذه الجماعات الأسينية : جماعة قمران ، حزب الغيورين ، خصوصا هذه الجماعة الأخيرة ، كانت تعيش بطريقة خفية وبعيدة عن الأنظار ، بل كانت مطاردة ومراقبة من السلطات الرومانية المستعمرة للبلاد ، على عكس أحزاب الفريسيين والكتبة ،

(١) Constantin Daniel (Esséniens, Zelotes Et Sicares Et leur. Par Parony Mie dans le Nooveau Testament in Numene 1966, pp. 88 - 115.

والصدوقيين والهيروديسين المعترف بهم من السلطات اليهودية والرومانية . ولهذا السبب فقد تكلم السيد عن هذه الطوائف دون أن يعرضها لأى مشكلة سياسية . ولكنه تجنب ، فى بعض الأحيان ، الكلام عن بعض الطوائف والأحزاب الدينية السياسية التى كان يمكن أن تتعرض بسبب إشارته إليها بطريقة صريحة ، الى أخطار عظيمة من قبل الرومان .

وبالرغم من هذه الحقيقة فإن السيد تكلم مرات عديدة جداً عن الغيورين خصوصاً الحزب المتطرف فيه والذي يسمى حزب « السيكير » (SICAIRE) ، ولكن لكى لا يعرض هذا الحزب لخطر الهجوم الرومانى أو لبعض المتاعب والمشاكل السياسية الأخرى فقد استعمل فى أحيان كثيرة ، فى الإشارة إلى جماعة الغيورين ، ألغازاً وبعض الكلمات التى تحمل عدة معانٍ ، وفى حقيقة الأمر ، إن العهد الجديد يحتوى على شواهد كثيرة تشير إلى الغيورين والدليل الأول :

١ - إن المسيح قبل فى جماعته بعضاً من الغيورين كتلاميذ ، فإن اسم يهوذا وأعماله وتصرفاته تدل ، بطريقة تكاد تكون مؤكدة ، على أنه كان من جماعة الغيورين ، فأولاً اسمه الاسخريوطى ، ولقد ظن البعض أن كلمة الاسخريوطى هى نسب لاسخريوط ، أى يهوذا الذى هو من بلدة اسخريوط . وهذا التفسير غير صحيح . وأما التفسير المحتمل الذى يمكن استنتاجه بعد التحليل اللغوى لهذا الاسم : « اسخريوط » فهو أن كلمة « سيكر » أو « سيكرى » التى تعنى فى اليونانية سكن أو خنجر أو حامل السكين أو الخنجر ، تشبه إلى حد كبير كلمة اسخريوط ، لا بل يبدو أن كلمة اسخريوط أو اسخريوطى مشتقة منها . وعلى هذا يمكن القول بأن عبارة يهوذا الاسخريوطى لا تعنى نسبة يهوذا إلى بلدة اسخريوط بل تدل على نسبته لجماعة

حاملى الخناجر أو السكاكين (١) أى أنه كان عضوا فى حزب الغيورين المتطرف الذى كان يستعمل السيف والقسوة والعنف لتحرير البلاد . هذا فيما يختص باسمه .

٢ — إن تصرفات وحياة يهوذا ونهايته تدل كلها على أنه كان عضوا فى هذه الجماعة ويحتمل أنه عندما أدرك تمام الإدراك وفهم كل الفهم أن يسوع ليس هو المسيا السياسى الذى سيقود جيوش الغيورين لتحرير البلاد ، بل وخن أن المسيح يتعاون مع المستعمر فى قبوله دفع الجزية التى يرفضها كل غيور (متى ١٧ : ٢٤ — ٢٧ ، يو ١٣ : ٢٧) ، عندئذ دخل الشيطان فى قلبه ، فسلم سيده إلى أيدي الأعداء (يو ١٣ : ٢٧ ، متى ٢٦ : ١٤ — ١٦ ، ٤٧ — ٥٠) .

هناك شواهد أخرى يحتمل أنها تشير إلى أن بعض تلاميذ المسيح كانوا أيضا غيورين ، فإن قائمة أسماء التلاميذ (مت ١٠ : ٢ — ٤) لا تحتوى على يهوذا الاسخريوطى فقط بل تحتوى على اسم سمعان القانونى أيضا (سمعان القانونى غير سمعان بطرس) فمن هو سمعان القانونى ؟ (مت ١٠ : ٤ ، مرقس ٣ : ١٨) يقولان سمعان القانونى ، أما لوقا فيقول : « سمعان الذى يدعى الغيور » (لو ٦ : ١٥) وكاتب سفر الأعمال (لوقا) عندما يذكر جدولا بأسماء التلاميذ يقول أيضا : « سمعان الغيور » (أعمال ١ : ١٣) . وفى حقيقة الأمر إننا عندما نرجع إلى أصل الاصطلاح الذى استعمله كل من متى ومرقس : « القانونى » — فهو لا يعنى أنه كان من « قانا » والكتابة الصحيحة لهذه الكلمة الأرامية هي « سمعان الكانانى أو الكانونى » وليس « سمعان

(١) Constantin Daniel (Esséniens, Zelotes Et Sicaires Et leur Par Parony Mie dans le Nooveau Testament in Numene 1966, pp. 88 — 115.

القانوني » ، فالكتابة الصحيحة إذن لهذه الكلمة الأرامية هي الكاناني ، أو الكانوني ، ومعنى هذا الاصطلاح في اللغة الأرامية « غيور » ، كما ترجمها لوقا في (٦ : ١٥ ، أع ١ : ١٣) • ومن المحتمل بأن متى ومرقس قد حاولا نسخ الكلمة الأرامية كما هي من اللغة الأصلية وهي (QANA) حتى لا يعرضا التلميذ سمعان لبعض المشاكل والمضايقات السياسية ، كما أنهما لا يريدان تذكير شريكهما في الخدمة بانتسابه القديس لجماعة الغيورين ، وأما لوقا فحرص على الأمانة العلمية فذكر لنا الاسم مترجما ترجمة صحيحة (١) •

مما سبق يتضح لنا أن السيد قد قبل بعض الغيورين كتلاميذ له • ومن هنا ننقل إلى سؤال مهم وهو السؤال الذي طرحناه سابقا : لماذا لم يتكلم المسيح بطريقة واضحة وصريحة عن الغيورين • لقد سبق أن قلنا بأن السيد كان مضطرا إلى أن لا يتكلم بطريقة واضحة وصريحة عن الغيورين لكي لا يعرضهم لبعض المشاكل والمضايقات السياسية • وبالرغم من ذلك ، فإن السيد قد تكلم في مناسبات عديدة عن الغيورين بل وجه إلى بعضهم تعنيفا قويا شديدا لا يقل في صرامته عن الويلات التي وجهها إلى الفريسيين والكتبة •

إن السيد تكلم في مناسبات كثيرة عن حزب الغيورين ، ولكن بما أن هذا الحزب لم يكن معترفا به ومقبولا لدى السلطات الرومانية الحاكمة ، مثل حزب الفريسيين والصدوقيين واليهودسيين ، كان المسيح مضطرا أن يتكلم عنه بطريقة غير مباشرة باستعمال الألفاظ أو الكلمات ذات المعاني الكثيرة •

(١) انظر الترجمة المسكونية للكتاب المقدس باللغة الفرنسية وتفسيره لتجيل متى ١٠ : ٤ ثم ١٧ : ٢٤ — ٢٧ ، لوقا ١٥ : ١٥ ، مرقس ٣ : ١٩ •

ولنتقدم الآن لكي نرى أين ومتى تكلم السيد عن الغيورين ، فمثلا في كلامه للجماهير يقول : « ماذا خرجتم إلى البرية لتتنظروا ، أقصبة تحركها الريح ؟ » (مت ١١ : ٧ - ٩) . ماذا يقصد المسيح بهذا الكلام . . . « قصبة تحركها الريح » ؟ إن القصب لا ينمو في الصحراء لأنه يحتاج إلى كميات كبيرة من المياه وبصفة مستمرة ، والقصب (ليس قصب السكر الموجود في مصر) ينمو ويكبر على جانبي الأردن وليس في الصحراء ، وعادة لا يوجد قصب في الصحراء ، ولكن بالرجوع إلى الظروف السياسية التي كانت تحيط بهذه البلاد - اليهودية - وبتحليل هذا الاصطلاح الذي استعمله السيد في مخاطبته للجماهير يتضح لنا معنى هذه الآية . فمن ناحية الظروف السياسية كان الغيورون الذين يشكلون هيئة المقاومة ضد المستعمر يستعملون كل وسائل العنف والغدر والقتل ضد الرومان . ولذلك فقد طاردتهم هذه السلطات أينما وجدوا ، فاضطروا إلى الهروب إلى الصحاري وإلى البراري وإلى الجبال ، فاتخذوا منها مسكنا وملجأ لهم للاختفاء بعيدا عن الجنود الرومانية التي كانت تتعقب آثارهم . هذا من الناحية السياسية ، وأما من الناحية اللغوية فإن الاصطلاح الذي استعمله السيد « قصبة » وباللغة العبرية (QANE) من الكلمات التي تسمى HOMOPHONE أو PARONYME أو HOMONYMES أي أن الكلمة الواحدة تنطق نطقاً واحداً ولكنها تحمل عدة معان ، كأسلوب التورية في اللغة العربية . فمثلا عندما نقول : « أكلت الخبز بالجبن » ، فإن هذه الجملة أو بعبارة أصح كلمة « جبن » تحمل المعنى القريب وهو الجبن نتاج اللبن ، وأما المعنى البعيد فهو الذل أو العار . الخ . فإن نفس الكلمة « جبن » تحمل عدة معان ، والاصطلاح الذي استعمله السيد هو (QANE) « كان » « قصبة » تحمل عدة معان مثل كلمة جبن ، فإن « كان » (QANE) تعني قصبة ثم تعني أيضا « غيورا » وتلفظ بنفس الطريقة ، فالاختلاف ليس في اللفظ بل في المعاني

التي تكمن تحت هذا اللفظ . فالمعنى الظاهر لكلمة « كان » هو « قصبة » تحركها الرياح وأما المعنى الخفى والمقصود ، فهو « غيور » . وكما سبقنا الإشارة فإن الغيورين كانوا يسكنون الصحارى لأنهم كانوا مطاردين من الرومان . وهنا يجب البحث عن المعنى الذى أراده المسيح بهذه الآية : « ماذا خرجتم إلى البرية لتتظروا ، أقصبة تحركها الريح » . وكأنى بالسيد يقول للجماهير التي خرجت لتسمع يوحنا المعمدان ماذا خرجتم لتتظروا في البرية ؟ أخرجتم لتتظروا « كانا » شخصا غيورا قد اتخذ من الصحراء مسكنا له ومجالا لعملياته الاجرامية من قتل وذبح واغتيال ؟ كلا ، فان هذا النبی يوحنا الذى كان يسكن في الصحراء يختلف اختلافا كبيرا جزئيا عن كل الغيورين (QANES) . فإن كان المسيح لا يشير هنا بكلمة « قصبة » (التي تعنى في العبرية غيور) إلى الغيورين ، والمقارنة بينهم وبين يوحنا ، لما أصبح لهذه الآية معنى أو مغزى . والمسيح يواصل كلامه ذاكرة طرفى النزاع ، أى السلطة الحاكمة من ناحية والغيورين الذين كانوا يقاومون هذه السلطة من ناحية أخرى ، فيقول : « لكن ماذا خرجتم لتتظروا إنسانا لابسا ثيابا ناعمة . هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك ... » .

فمن الواضح البين أن المسيح استعمل إذن هذا الاصطلاح « كان » الذى يحمل معنيين لكى يشير به إلى جماعة الغيورين . وهذه الآية التي استعملها المسيح بهذا الأسلوب ليست يتيمة فريدة في الكتاب . فلقد استخدم المسيح مرة أخرى الكلمات ذات المعنيين (PARONYMES) للإشارة إلى الغيورين في حديثه مع نثنائيل : « ورأى يسوع نثنائيل مقبلا إليه فقال عنه هوذا اسرائيلى حقا لا غش فيه . قال له نثنائيل من أين تعرفنى ؟ أجاب يسوع وقال له : قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيته . أجاب نثنائيل وقال له : يا معلم أنت ابن الله . أنت ملك اسرائيل ... » (يو ١ : ٤٧ - ٥١) .

عندما نقرأ بطريقة سطحية الكلمات التى وجهها السيد لنثنائيل قائلاً : « هوذا إسرائيلى حقا لا غش فيه ... قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيته » . نشعر بأن هذه الكلمات غامضة ، بل لا تستحق هذا الاعتراف العظيم الذى يشبه الى حد كبير اعتراف بطرس «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (متى ٦ : ١٦) فما هى المعجزة أو الغرابة فى أن السيد رأى نثنائيل تحت التينة ، حتى أنه (نثنائيل) يندهش ويستغرب استغراباً عظيماً فيقول : « أنت ابن الله ، أنت ملك اسرائيل » .

إن المسيح يبدأ حديثه مع هذا الرجل الوطنى المتحمس بالقول : « هوذا إسرائيلى حقا لا غش فيه » . ويندهش نثنائيل لهذا الاعلان ، لأنه لم يتقابل قبل ذلك مع المسيح ولم تتح له الفرصة بأن يتناقش معه لكي يعرفه بأفكاره واتجاهاته السياسية . ولذلك يسأل نثنائيل السيد قائلاً له من أين تعرف أنى رجل وطنى ومتحمس لوطنيى ؟ وهنا يستعمل المسيح كلمة ذات معنيين لكى يعلن بها لهذا الرجل الوطنى المتحمس ، بل لهذا الغيور بأنه يعرف عنه أكثر مما يظن . فقال له : « قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيته » ، وهنا يستعمل المسيح نفس الأسلوب الذى استعمله فى مخاطبته للجماهير بخصوص يوحنا وغيورى الصحراء ، أى أنه يختار كلمة تحمل معنيين ، فكلمة « تين » باللغة الأرامية التى يتكلمها المسيح « سوكو » (SUKO) وباليونانية « سيكا أو سيكة » SIKAH أو SIKAH . فالمعنى القريب لهذه الكلمة هو « تين » ، ولكن المعنى البعيد أو المعنى الثانى هو « سكين » أو خنجر أو حامل الخنجر .

وكأنى بالمسيح يقول لهذا الرجل الغيور : يا نثنائيل أنا أعرفك قبل أن يدعوك فيلبس عندما كنت تحت « التينة » ، أى عندما كنت تحت « السيكو » ، يعنى عندما كنت فى خدمة جيش السيكر الارهابى . وهنا يستعمل المسيح كلمة مغطاة ذات معنيين لكى يعلن لنثنائيل أنه ينتمى

إلى جيش السيكر جيش الارهابيين • فإن انتساب نثنائيل إلى حزب السيكر كان خفيا وسريا ، ولكن المسيح استطاع أن يعلنه له بطريقة غير مباشرة ، لهذا السبب اذهش نثنائيل ووجد نفسه في حضرة شخص خارق للطبيعة ، ولذلك قال للمسيح : « يا معلم أنت ابن الله ، أنت ملك اسرائيل » • لأنه استطاع أن يعرف ما هو خفى وما هو سرى •

وكما أن المسيح وجه توبيخا مكشوفاً وانذاراً واضحاً وصريحاً للأحزاب المعترف بها من السلطات القائمة وقتئذ مثل الكتبة والفريسيين والصدوقيين والهيروودسيين ، فهكذا فعل أيضاً مع حزب الغيورين المتطرف جداً ، حزب « السيكر أو السيكرين » ، أى حزب الارهابيين الذى كان يحمل أعضاؤه خنجراً أو سكيناً للهجوم على الرومان وأعوان الرومان ، ولقد وجه إليهم ويلاته وتوبيخاته بطريقة خفية وغير مكشوفة • وهذا واضح فى مثل التينة التى لم تعنت ثمرأ (لو ١٣ : ٦ - ٩) ، فالمسيح يوجه انذاره إلى هذا الحزب (التينة غير المثمرة) أى حاملى الخناجر ، مبيناً لهم بهذا ائبل أن الله فى لطفه ينتظر سنة بعد سنة توبة هذه الجماعة ورجوعها عن القتل والغدر وإسالة الدماء ، لأن الله يريد أن تثمر هذه الشجرة أثماراً تليق بالتوبة • وهنا أيضاً يستعمل المسيح كلمة « تين » التى تعنى تين أو سكين أو خنجر لكى يوبخ بها أولئك الذين سلكوا فى هذا الطريق •

والمسيح الذى حذر وأنذر الأحزاب المعترف بها من الهيئات الحاكمة وأنزل بهم الويلات علناً وبطريقة واضحة ومباشرة (متى ٢١ : ٣٣ - ٤٤ ، ٢٣ : ١٣ - ٣٩ ، لو ١٢ : ١ - ٢) ، استعمل نفس الطريقة مع حزب الغيورين المتطرفين حاملى الخناجر أو السكاكين ، بطريقة غير مباشرة أو عن طريق كلمة تحمل معنيين HOMONYME) ولقد ظن العارفون باللغة الأرامية والذين يؤيدون هذه النظرية ، أن كلمات

السيد فى (مت ٢١ : ١٨ — ٢٠ ، مر ١١ : ١٢ — ١٤) موجهة إلى جماعة الغيورين وليس لشجرة التين الطبيعية ، وخاصة هذه الكلمات : « فنظر شجرة تين . . . فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد . وكان تلاميذه يسمعون » (مر ١١ : ١٣ — ١٤) .

فكما سبق أن أشرنا بأن كلمة « تين » من الكلمات التى تحمل فى اللغة الأرامية معنيين ، المعنى القريب المعروف والظاهر هو ثمرة «التين» التى تؤكل ، والمعنى البعيد الذى قصده السيد وهو خنجر أو سكين أو حامل الخناجر . وبناء على ذلك فلقد ظن كثيرون من العلماء أن هذه الفصول (مت ٢١ : ١٨ — ٢٠ ، مر ١١ : ١٢ — ١٤) تحتوى على إنذار للغيورين بوجه عام ، وإيهودا ، الذى يحتمل أنه كان عضوا عاملا فى هذه الجماعة ، بوجه خاص . ولقد سبق أن عرفنا أن يهوذا كان من حزب الغيورين ، الحزب المتطرف . ولهذا السبب فإن الرب يوجه له هذا الانذار كعضو فى هذه الجماعة الارهابية (سيكر ، حاملى الخناجر) ، فإن اللعنة التى نطق بها السيد كانت موجهة للغيورين بوجه عام وليهوذا الاسخريوطى بوجه خاص ، وليست للتينة . والجدير بالذكر أن مرقس يضيف إلى هذه القصة المذكورة فى متى ، جملة تعتبر فى غاية الأهمية بالنسبة لهذا الموضوع ، فهو يقول : « لأنه لم يكن وقت التين » (مر ١١ : ١٣) . والمسيح ليس بالشخص المتطرس المتجبر الذى يطلب تينا من شجرة التين فى الوقت الذى لا يثمر فيه التين . وكل ما فى الأمر هو أن السيد انتهر هذه الفرصة لكى يستخدم كلمة التين التى تعنى « تينا أو حاملى الخناجر » لكى ينذر جماعة الغيورين ويهوذا ، الذى أعطى له السيد فرصا عديدة للتوبة وللرجوع ولكنه لم ينتهر هذه الفرص الثمينة ، ولهذا السبب عينه فإن المسيح يستعمل نفس الطريقة المغطاة مستخدما كلمة تينة — سيكر أو سيكو — لكى ينذريها يهوذا وكل الغيورين (مت ٢١ : ١٨ — ٢٠ ، ٢٦ : ٢٤ ، مر ١١ : ١٢ — ١٤ ، ٢١ : ٢١ ،

لو ٢٢ : ٢٢) • فهل سمعوا صوته وقبلوا دعوته للتوبة ١١٩

ويوجد نص آخر يشير إلى الغيورين وهو (لوقا ٢٣ : ٥ ، ١٤) •
وحقيقة الأمر أن هذين النصين يشيران إلى يسوع كغيور ، فلا يفوتنا
أن السيد قد قدم للمحاكمة وحكم عليه كواحد من الثوار ، أو كواحد
من الغيورين • فإن اليهود قدموه إلى الحاكم الرومانى كمتهم بإثارة
الشعب ، لأنهم كانوا يعلمون تمام ما هو موقف الحكام الرومان من
الغيورين ، ولذلك كانوا يشددون قائلين : « إنه يهيج الشعب ... »
(٥ : ٢٣) ، « قد قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب » (١٤ : ٢٣) •
والعادة التى اتبعها الرومان فى حكمهم على أحد هؤلاء الثوار الغيورين ،
أنهم كانوا يضعون قصبه فى يده ، وكانت القصبه كما سبق أن أشرنا
تعنى « الغيور » • وكان اثبات هذه التهمة ، أى تهمة انتساب أى شخص
إلى حزب الغيورين المتطرف ، كافيا لأن يحكم عليه بالموت • فمع أن
بيلاطس كان مقتنعا ببراءة يسوع من كل التهم التى ألصقها اليهوديه ، فإن
الجند ظنوه واحداً من هؤلاء الثوار الذين يحاكمون كل يوم بتهمة إثارة
الشعب وادعاءاتهم المسيانية • ولذلك فقد وضعوا فى يمينه « قصبه »
لكى يدلوا بها على نوع الجريمة التى يحاكم من أجلها ، أى أنه « غيور » ،
« وضفروا إكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه وقصبه فى يمينه وكانوا
يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود » (مت ٢٧ :
٢٩) • من هذا يتضح أن الجند عاملوا يسوع كما لو كان غيورا ، ولهذا
السبب فقد صلب أيضا بين إثنين من اللصوص (QANAS) (١) •

من النصوص التى سبق أن أشرنا إليها يمكننا أن نستنتج أن السيد
تكلم عن هذه الجماعة (جماعة الغيورين) ، التى كان لها نشاطها
السياسى والدينى ، وإن كان المسيح قد تكلم عنها بهذه الطريقة الغير

(١) للتوسع فى دراسة هذا الموضوع ارجع الى المصدر المذكور سابقا وهو
C. Daniel Numene. Vol. 13 Fasc. 2 August 1966 P 80 - 100

المباشرة ، فذلك يرجع إلى حقيقة أنها كانت تعيش في الخفاء بعيدا عن أعين السلطات الرومانية .

فإن كانت هذه النصوص التي أشرنا إليها سابقا ، تدل على وجود هذا الحزب الغيور فما هو موقف يسوع منه ؟ هل كان مؤيدا لهذا الحزب أم معارضا ؟ هل كان المسيح في صراع مستمر مع هذا الحزب كما كان في صراع مستمر مع حزب الكتبة والفريسيين والصدوقيين... الخ ؟ ما هو موقفه منهم ؟

لقد حاول كولمان (O. CULLMANN) أن يقدم لنا تلخيصا لما سجلته الأناجيل عن موقف يسوع من الغيورين فيقول : إن الأناجيل تحتوي على نوعين من الشهادة بخصوص هذه المشكلة ، فإذا حاولنا جمع كل الشواهد الكتابية التي تتكلم عن موقف يسوع الإيجابي من الغيورين لرأينا فيه غيوريا . ولكن لو حاولنا جمع الشواهد التي تتكلم عن موقف يسوع السلبي إزاء الغيورين لوجدنا أنه لا يتفق وتعاليمهم . وإن علم التفسير وأبسط قواعده لا تسمح لنا بأي حال من الأحوال الاستناد على بعض الآيات التي تؤيد وجهة نظر معينة دون الأخذ في الاعتبار للآيات الأخرى التي تؤيد وجهة النظر المعارضة ، وليس من حقنا فصل هذه الآيات عن قرينتها (١) .

ويواصل كولمان (O. CULLMANN) شرحه بالقول : مثلا الذين يرون في يسوع مسيا سياسيا غيورا ، يرجعون إلى عظاته الخاصة بملكوت الله ، وكيف أنه علم كما علم الغيرون بأن ملكوت الله على الأبواب وقريب جدا ، وأنه مرسل من قبل الآب لكي يتم رسالة إلهية قد كلف بها من قبل الله . وهذا أيضا ما كان يعلمه الغيرون ، وهو بأن

(١) راجع كتاب كولمان (الطبعة الفرنسية)

المسيا سيأتى حاملا رسالة دينية وسياسية . فهنا نرى أن يسوع يؤيد موقف الغيورين ، بل أكثر من ذلك ، ألم يعلم المسيح بطريقة واضحة وصريحة بأنه ضد هيودس معطيا له لقب ثعلب : « فقال لهم امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغدا وفي اليوم الثالث أكمل » (لو ١٣ : ٣١ - ٣٥) ، وهيودس كان يمثل السلطة الرومانية الحاكمة التي يقاومها الغيورون بكل ما أوتوا من قوة ووسيلة .

إن هذا التصريح يعتبر إذاً ضد هيودس وضد السلطات الرومانية التي تسيطر على البلاد ، وبناء عليه يمكن القول بأن المسيح كان مؤيدا ومسانداً للغيورين ، بل كانت له ميول واتجاهات وتصرفات غيورية . والذين يظنون بأن المسيح كانت تسيطر عليه نفس الميول التي كانت تسيطر على الغيورين ، يقتبسون هذه الكلمات : « فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترى سيفاً » (لو ٢٢ : ٣٦) . إن السيف أو الخنجر أو الـ «SICAIRE» كان له الفعل القوى والعملى في نشاط الغيورين . من هذه الآية استنبط الذين يظنون أن المسيح كان غيوريا ، بل وكان مسيا سياسيا ، إنه في تلك اللحظة الحاسمة طلب من تلاميذه أن يتسلحوا وأن يدافعوا حتى يحصلوا على النصر ضد العدو . فإن كان دخوله إلى اورشليم لتطهير الهيكل ، وهتاف الذين كانوا يهتفون له ، لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة أى تمليك ماكا ، فإنه يحاول الآن من جديد أن يسلمح تلاميذه لكي يصل إلى هدفه ، أى الهجوم على الرومان وتحرير الأمة اليهودية فتصبح أمة ثيوقراطية .

من هذه الآيات السابقة الذكر ، ظن البعض أن موقف المسيح كان موقفا ايجابيا بالنسبة للغيورين ، بل كان هو نفسه غيوراً . وهذا بلا شك هو الخطر انداهم في علم التفسير ، عندما يتخذ الانسان بعض

الآيات منفردة ومنعزلة ويسلخها من قرينتها لكى يدعم بها نظريته وفكره ، لأنه ما أكثَر الآيات التى يمكن أن نحملها ما لا تحتمله وأن نقولها ما لا تقوله ، عندما نفصلها عن قرينتها ، وعندما لا ندرس الظروف والأماكن التى قيلت لأجلها وفيها • على سبيل المثال ، الظرف الذى قيلت فيه الآية الآتية : « فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك • ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشترسيفا » • لكى نشرح هذه الآية يجب معرفة الظروف التى قيلت فيها ولأجلها • فعندما قال الرب هذه الآية كان لا يفصل بينه وبين الموت إلا خطوة واحدة قصيرة ، يوم واحد • ولذلك فهو ينظر إلى الفلاميذ الذين سيكونون ، بعد أن يتركهم بالجسد ، كنهم فى وسط ذئاب خادفة (مت ١٠ : ١٦) • وكأنى به يقول لهم : يا أولادى « أنا معكم زمانا قليلا بعد » (يو ١٣ : ٣٣) • فأنا الآن أهتم بأموركم وأحل مشاكلكم وأدافع عنكم عندما يحاجكم اليهود فى مستقدراتهم • ولكن حضورى الجسدى هذا معكم ما هو إلا لوقت قصير ومحدود ، وبعد قليل لا تروننى (يو ١٦ : ١٩) • صحيح أنى سوف « لا أترككم يتامى • إنى آتى اليكم » (يو ١٤ : ١٨) ، سأرسل لكم الروح المعزى من عند الآب • ولكن غدا ستشعرون بالوحدة عندما أرتفع عنكم • ستتجمع عليكم قوات الظلام ، ستدخلون فى حرب فاسنعدوا الآن لكى تحملوا المشغن والمسئولية التى ألقيت الآن على أكتافكم • « من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدرُوا أن تقاوموا فى اليوم الشرير ••• » (أف ٦ : ١٣ - ٢٠) •

فالمسيح لا يحض تلاميذه هنا على حمل السيف والحرب لتخليصه من أعدائه ، وإنقاذه من الموت إذ أنه يقول فى الآية التالية للآية التى تتكلم عن حمل السيف : « لأنى أقول لكم إنه ينبغى أن يتم فى أيضا هذا المكتوب وأحصى مع أئمة ، لأن ما هو من جهتى له انقضاء » (لو ٢٢ : ٣٧) •

فالأمانة فى التفسير ليست هى البحث عن الآيات والنصوص التى نظن أنها تؤيد رأينا وعقيدتنا أو بالمعنى الأصح والأدق ، التى نريدها أن تؤيد رأينا وعقيدتنا ، بل الأمانة فى التفسير تتطلب أن نأتى إلى النص الكتابى لكى نتعلم منه ما يريد أن يعلمه لنا • فهو إذن الذى يعلمنا العقيدة ، ومنه العقيدة ولدت وبه تتغذى وتكبر وليس العكس •

ففى مشكلة موقف يسوع من الغيورين ، لو أخذنا هذه الآيات السابقة ! اذكر منفصلة عن الظروف التى قيلت فيها ولأجلها ، فإنها توحى للقارئ كما لو كان يسوع واحدا من الغيورين أو على الأقل كان يتوخى موقفا إيجابيا ازاءهم • فإن كانت الأمانة فى التفسير تتطلب دراسة الظروف التى فيها ولأجلها قيل النص ، فإنها تتطلب شيئا آخر لا يقل أهمية عن الأول ، وهو الأخذ فى الاعتبار ، النصوص الأخرى التى تتكلم عن نفس الموضوع • ومن هنا نرجع مرة ثانية إلى كولمان (O. CULLMANN) الذى يتابع شرحه بخصوص مشكلة موقف يسوع من الغيورين ، فيقول بالرجوع إلى تعاليم المسيح ، نلاحظ أنه شدد كثيرا على عدم الهجوم وعلى عدم استعمال السيف ، ألم يقل لتلميذه بطرس « ... رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » (متى ٢٦ : ٥٢) •

وكيف يمكن أن نوفق بين هذا الفكر وبين تعاليم السيد فى التطريبات التى تحت ليس فقط على محبة الأصدقاء بل الأعداء أيضا (متى ٥ : ٣٨ - ٤٤) • فإنه بحياته ومثاله أعطى لنا وصية جديدة ، وصية المحبة (يو ١٣ : ٣٤ ، ٣٥ ، ١٥ : ١٢ ، ١٧ ، ١ ، يو ٢ : ٧ - ١٠) • والنصوص التى تتكلم عن تعاليم المسيح المختصة بالمحبة والتضحية كثيرة جدا فى الأناجيل ، ولكن المهم فى كل هذا ليس فقط هذه الفصول (م ١٧ - تاريخ الفكر المسيحى)

التي تتكلم عن تعليم المسيح بخصوص المحبة والتضحية ومقاومته للعنف بل حياة المسيح نفسه ومثاله ، فقد أحب الانسان محبة ليس لها مثيل ، والرسول يقول : « ولكن الله بين محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٨ ، ١ يو ١٣ : ١٠ - ٤ ، ٢٠ : ٧ - ١٢ ، يو ٣ : ١٦) .

مما لاشك فيه أن تعاليم يسوع وحياته لا تسمح لنا بأى حال من الأحوال بأن نقول بأنه كان غيورا أو مشجعا لحركة الغيورين المتطرفة التي كانت تستعمل العنف والقوة للوصول إلى أهدافها الدينية والسياسية وكيف يمكن للمسيح أن يكون غيورا ، يشترك أو على الأقل يشجع عملياتهم الهجومية لسفك الدماء وتيتيم الأطفال وترمل النساء وإثكالهن ، وهو الذى يقول عن نفسه « وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يو ١٠ : ١٠) ويقول عنه الكتاب : « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . « لأن ابن الانسان أيضا لم يأت لىخدم بل لىخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (يو ١٠ : ٤٥) .

فإن الذين يدافعون عن فكرة أن يسوع كان غيورا ، أو على الأقل اتخذ موقفا ايجابيا منهم ، يتمسكون بفكرة أن سمعان أحد تلاميذ المسيح كان غيورا ويدعى سمعان الغيور (لو ٦ : ١٥) . كذلك أيضا يهوذا الاسخريوطى ، فمع أنه لم يلقب باسم غيور ولكن تصرفاته وسلوكه ونهايته تدل على غيوريته . وأما بخصوص سمعان الغيور ويهوذا الاسخريوطى فيحتمل أنهما كانا من حزب الغيورين كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وهذا لا يغير شيئا في موقف يسوع من ناحية هذا الحزب ، فالمسيح في محبته قدم الدعوة للجميع دون النظر إلى الأحزاب السياسية والطوائف العقائدية ، وكل الذين قبلوا دعوته هذه التي تتضمن انكار

الذات وحمل الصليب واتباعه أينما يذهب صاروا تلاميذاً له (متى ١٦ : ٢٤ - ٢٦) ولهذا السبب عينه ، فإن جماعة التلاميذ لا تشمل سسمعان الغيور ويهوذا الاسخريوطى فحسب ، بل تشمل أيضاً عشاراً يدعى متى (٩ : ٩ ، ١٤ : ٢ ، لو ٥ : ٢٧) ، فإن كان الغيور المتطرف يمثل فى تلك الحقبة من الزمان ما نسميه نحن الآن باليسارى المتطرف ، فإن العشار كان يمثل الطبقة اليمينية والحاكمة ، مما يعنى قبول السلطة الحاكمة القائمة . ومن هذا يتضح لنا أن اختيار السيد لتلاميذه لم يكن وقفاً على انتسابهم إلى حزب سياسى معين أو إلى طائفة عقائدية معينة ، بل كان وقفاً على مدى استجابة كل شخص بطريقة واعية وحررة لهذه الدعوة المقدمة له . وإن الدعوة التى قدمها المسيح لتلاميذه وللجميع تحتوى ، ليس فقط على إنكار الذات وحمل الصليب واتباعه أينما يذهب ، بل كانت تحتوى أيضاً على أن يصبح الانسان خليفة جديدة ، أو بتعبير آخر أن يولد من فوق (يو ٣ : ٣) ، أى أن تتم عملية التجديد فى الداخل أولاً ، فى داخل الانسان ، وعندئذ تظهر ثمار هذا التجديد فى الخارج ، فى عمل وتصرفات وحياة الانسان المولود من فوق .

وهنا نرى أن المسيح لم يرد قلب الأوضاع القائمة رأساً على عقب كما حاول الغيورون المتطرفون قلبها وملاشاتها تماماً من الوجود ، بل كانت رغبة قلبه أن هذه الأوضاع القائمة تتغير وتصلح ، فالمسيح لم يرد إذا القضاء على العبادة كما ظن الغيورون بتفسيرهم لقوله فى مرقس (١٣ : ٢ ، ١٤ : ٥٨) ، بل أن يولد الانسان من فوق . وعندئذ ، وعندئذ فقط يستطيع أن يحقق العدل الاجتماعى الذى نادى به الغيورون وعلم به المسيح (لو ٦ : ٢٤ ، ١٦ : ١٩ ، ١٢ : ٧ ، ١٦ : ١٦) . إن هدف المسيح هو أن يصبح قلب الانسان خالياً من الأنانية ومن الكره ومن الكذب ومن الظلم بكل أنواعه ، وهذا لا يتم بالسيف ولا بالقانون ولكن بتغيير علاقة الانسان بالله ، وعندئذ تتغير علاقة الانسان بأخيه الانسان ، فيستطيع

بنعمته أن ينفذ أمره القائل : « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن قدرتك ومن كل فكرك وقريبك كنفسك » (لو ١٠ : ٢٧) •

هذه هي الأوضاح التي كان يريد السيد تغييرها ، تغيير القلب والحياة^(١) وليس الانتماء إلى حزب سياسي أو خلق حزب سياسي جديد • هذا هو موقف المسيح من الغيورين وموقف الغيورين منه كما بدا لكثيرين من الباحثين •

ومما لا شك فيه أن الذين يريدون البحث لتوضيح موقف يسوع ازاء الغيورين أو موقف الغيورين بالنسبة ليسوع ، سيجدون صعوبات كثيرة لا تحصى ولا تعد : وذلك يرجع إلى صمت الأناجيل الظاهر عن هذا الموضوع ، على العكس تماما فيما يخص علاقة يسوع وموقفه من جماعة الكتبة والفريسيين والصدوقيين الذين ناصبوه العداء وقاموا ضده بحرب شعواء منذ بداية رسالته ، فلقد هب البعض من هذه الطوائف اليهودية يحاربون يسوع ورسالته ، وحاولوا في مرات كثيرة أن يمدوا له شراكا شائكة لاصطياده في حبالها • وكانت هذه الشراك التي نصبها له هؤلاء القوم خبيثة كل الخبث وخطيرة كل الخطر ، طعمت بالسم الذي ظنوا نتيجته الموت المحتم مهما كانت براعة الجواب وقوة المنطق والحجة • وتسجل لنا الأناجيل عددا كبيرا من هذه الشراك ، ومنها ذلك الشرك الديني السياسي • ففي الأسبوع الأخير من حياة السيد أرسل الفريسيون تلاميذهم مع الهيروديسين قائلين « يا معلم نعلم أنك صادق وتعظم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس • فقل لنا ماذا تظن • أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ••• » (متى ٢٢ : ١٥ — ٢٢ ، مر ١٢ : ١٣ — ١٧ ، لو ٢٠ : ٢٠ — ٢٥) •

(١) لمعرفة رأى OSCAR CULLMANN الرجا الرجوع الى كتابه المذكور سابقا ص ١ — ٦٠ •

إن القارئ المدقق يلاحظ خطورة السؤال والموقف ، فلقد جاء الفريسيون مع الهيروديسين لكي ينصبوا له الشبكة • ومن الغريب والعجيب أن نرى الفريسيين جنبا إلى جنب مع الهيروديسين لكي يحيكوا معا مؤامرتهم السوداء ضد المسيح • ودارس التاريخ اليهودى يعرف أن الفريسيين انفصلوا عن بقية الشعب اليهودى عندما اندمج هذا الشعب فى الأمور السياسية العالمية ونصب رؤساء للكهنة أشخاصا لم يكن لهم الحق فى الارتقاء إلى هذه المرتبة ، ولذلك انفصلوا عن بقية الشعب وأعطوا لأنفسهم اسم « حاسيديم » أى الأتقياء • وهنا نرى هؤلاء الاخوة الذين يدعون التقوى ، يدبرون ضد يسوع ، مؤامرة مع فريق آخر من الشعب كان يعتبر عدوا لهم وهم الهيروديسيون ، ولكن هذين الفريقين وجدا فى يسوع عدوا مشتركا يجب الاتحاد ضده • ولقد جاء الفريقان إلى يسوع بسؤال فى غاية الخطورة من الناحية السياسية وهو : « أيجوز لنا أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ » • ولكى نعرف خطورة هذا السؤال الذى يشبه السيف ذا الحدين ، يجب أن نتذكر موقف الغيورين من دفع الجزية ، وكيف أن بهوذا الجليلى الذى قام بثورة سنة ٦ ب م ، قام بها لأنه لم يرد أن يدفع الجزية للدولة المحتلة ، وأصبح — من هذا التاريخ — دفع الجزية أمرا مهينا للغاية فى أعين اليهود الأتقياء وأمرأ مرفوضا لا نقاش فيه بالنسبة للغيورين الذين كانوا يقومون بتحصيلها ، ويقتلونهم معا لأن دفع الجزية إلى خزينة أخرى غير خزينة الهيكل يعتبر كسرا لنساموس يهو •

وكما سبق أن عرفنا ، أن الغيورين أخذوا كمثال لهم فى نضالهم وحروبهم فينحاس وماتاتياس اللذين استعملتا السيف عندما غارا غيرة للرب • وعلى ذلك كان الغيرون المتطرفون دائما على استعداد لقتل ، ليس فقط من يعلم أو ينادى بدفع الجزية ، بل إن الشخص الذى يدفع الجزية كان معرضا لضياح حياته إذا تقابل مع غيور متطرف متعصب •

فالخطر إذن لم يكن كامناً فى سخط اليهود وغضبهم على المسيح إذا أجاب
 اجابة مرضية للسلطات الحاكمة ، بل كانت خطورة السؤال كامنة فى رد
 الفعل الذى سيقوم به الغيورون ضد المسيح . ومن هو الغيور المتطرف
 الذى يسمع بأن يسوع يعلم بأن تعطى الجزية لقيصر ويتركه يعيش يوماً
 واحداً بعد هذا التصريح ؟ . فالمؤامرة التى دبرها الفريسيون مع
 الهيروديسين بسؤالهم هذا السؤال ليسوع لم تكن لاثارة اليهود عامة ضد
 المسيح لمصعب ، بل دفع الغيورين لاغتياله إذا كان جوابه يحرض على
 دفع الجزية للرومان . وأما إذا كان جواب السيد على هذا السؤال بالنفى
 (أى أنه يمنع دفع الجزية للرومان) فالخطر الذى كان يحدق بيسوع
 هو أن تتهمه السلطات الرومانية بأنه ليس فقط غيورا ثائرا ، بل هو ضد
 قيصر نفسه وضد السلطات الرومانية بتحريضه للشعب على عدم دفع
 الجزية . وتهمته بتحريض وحث الشعب على عدم دفع الجزية هى تهمة
 كبيرة وخطيرة عقابها الموت . لقد كانت المؤامرة ، مؤامرة « محبوكة
 حبكة » جيدة ، ولذلك فقد أتوا بشهود معينين أى الهيروديسين الذين
 يسهرون على سلامة الدولة الرومانية ومصالحها ونجاحها ، ثم الفريسيين
 الذين يسهرون على سلامة الدين اليهودى وعلى سلطان يهوه . وكان كل
 من الفريقين يتوقع أن المسيح لا بد وأن يسقط فى هذا الشرك على أى حال
 سواء من ناحية أو من الأخرى .

هذا المثل يوضح لنا جانبا واحداً من الصراع الذى عاشه يسوع مع
 الفريسيين والصدوقيين والهيروديسين ، وموقف يسوع من هذه الطوائف
 معروف جيداً ، كما أن موقف هذه الطوائف ازاء يسوع معروف أيضاً فى
 الأناجيل ، فلقد سجل لنا الإنجيليون أسئلة الكتبة والفريسيين والصدوقيين
 والهيروديسين التى كانت تحتوى على شرك لكى يصطادوا بها يسوع
 لمحاكمته ، كما أنها سجلت لنا أيضاً ردود يسوع على هذه الشرك
 المنصوبة ، وصب الويلات على هذه الطوائف . فلا داعى إذن بأن نطيل

الوقوف عند هذه النقطة الواضحة والمعروفة فى الانجيل • ولكن قبل أن نتقدم لنبحث نقطة أخرى ، نحب أن نلفت نظر القارئ إلى أمر يستحق أن نقف عنده ولو قليلا ، وهو أن الكنيسة الأولى بالغت فى عداوة ومقاومة الفريسيين ليسوع • فمما لا شك فيه أن الفريسيين والكتبة قاوموا السيد ووقفوا وقفه العداوة من تعاليمه ، ولكننا لا يمكن أن نعمم هذا الموقف السلبي الذى تبناه الكثيرون من الكتبة والفريسيين على الجميع • فإن كان إنجيل متى ومرقس يقدمان لنا صورة سوداء عن موقف هذا الحزب من يسوع ، فإن لوقا ويوحنا يقدمان فى بعض الأحيان صورة أخرى عن بعض الكتبة والفريسيين الذين أظهروا فى بعض الأحيان روح التعاطف بل المحبة ليسوع • فلوقا هو الوحيد الذى يكلمنا عن دعوة الفريسيين ليسوع لتناول الطعام على مائدتهم (لو ٧ : ٣٦ ، ١١ : ٣٧ ، ١٤ : ١) . ولوقا أيضا هو الوحيد الذى يسجل لنا بعض الكلمات التى تدل على محبة بعض الفريسيين ليسوع وحرصهم على نجاته من الموت : « فى ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له اخرج واذهب من هنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك » (لوقا ١٣ : ٣١) (١) • وهنا نلاحظ تأثير بولس على لوقا ، فإن بولس بالرغم من تجديده وقبوله المسيح ، ظل يفخر بنسبته للفريسيين (أع ٢٣ : ٦ ، ٢٦ : ٥ ، فى ٣ : ٥) • ويوحنا يسجل لنا قصة نيقوديموس الذى جاء إلى السيد ليلا وتحدث معه طويلا ولم تكن هذه المقابلة مع الرب المقابلة الوحيدة لهذا الرجل ، بل نفس الانجيل يعرفنا بأنه جاء مع يوسف الرامى لأخذ جسد يسوع (يو ٣ : ١ - ١٣ ، ٧ : ٥٠ ، ١٩ : ٣٨ - ٤٢) • من هذا يتضح بأن بعضا من الفريسيين كانوا يميلون إلى يسوع ويؤيدونه بالرغم من مقاومة الكثيرين منهم لتعاليمه •

(١) بخصوص موقف بعض الفريسيين من يسوع راجع الترجمة المسكونية وملاحظاتها باللغة الفرنسية لانجيل لوقا (٧ : ٣٦ ، ١١ : ٣٧ ، ١٤ : ١) .

وإن كنا نرى من هذه الصورة أن البعض والبعض القليل من الكتبة والفريسيين كانوا ينظرون إلى يسوع وجماعة التلاميذ بعين العطف بل حاولوا مساعدة يسوع ، فإن الأغلبية الساحقة من الكتبة والفريسيين كانوا يقاومون السيد كل المقاومة . وذلك يرجع إلى حقيقة أن هذه الطائفة كانت تنتظر هي الأخرى مثل الغيورين مسيا سياسيا ، ويسوع الناصري لم يستطع أن يحقق لهم أحلامهم وأمانهم المسيانية . وبما أن جماعة الفريسيين كانت تعتبر الجماعة الكتابية للكتب المقدسة ، فقد حاول البعض تقديم المسيا في صورة مشوقة جذابة لليهودى الذى كان يرى الجنود الرومان منتشرين في طول البلاد وعرضها ، يحتلون السلطة الوثنية النجسة المحتلة للبلاد المقدسة ، ولذلك فقد قدمه بعضهم تحت الصور الآتية :

١ — المحرر ، فهو المحرر لهذا الشعب اليهودى المظلوم المسحوق المضروب ، فالمسيا سوف يحرر لا شعبه فقط من الاحتلال الأجنبى كما تنبأ به الأنبياء ، بل إنه سيسحق أعداء إسرائيل تحت أقدامهم ويملكهم عليهم فيصبح إسرائيل هو السيد المتسلط على العالم (مز ٢ : ٤ — ١٢ ، ٢٠ : ٦ — ٢١ ، ٨ : ١٣ — ٤٥ : ٤ — ٧٢ : ٩ — ١٩ ، ١٠١ ، ١١٠ ، اش ١١ : ٣ — ٥ ، زكريا ٩ : ٩ ، اش ٣٣ : ١ — ٥ ، صفيان ٣ : ١٧ — ٢٠ ، إر ٢٣ : ٥ ، ٣٠ : ٩ — ١١ ، ٢٤ : ٢٨ ، خر ٢١ : ٢٧ ، ٢٤ ، ٣٧ : ٢٤ ، ٢٥ ، اش ٦٣ : ٦ ، ١٥ : ١٤ ، ٢ : ٢ — ٣ ، ٤٥ : ٢٠ — ٢٣ ، ٤٩ : ٦ ، ٥١ : ٥٠ ، ٥٥ : ٥) .

(١) وقد رأى كثيرون من الكتبة والفريسيين الذين كانوا معاصرين للسيد ، في الفصول المذكورة آنفا ، اشارات إلى المسيا الذى سيحرر الشعب من الاحتلال بعد أن يسحق أعدائه ويحطم قواهم ، بل إن إسرائيل نفسه سيصبح سيذا ومتسلطا على الشعوب ، هذا ما سيتم في عصر المسيا . بل إنهم رأوا فيه ليس فقط المحرر من المحتل والذى سيقود

شعبه ليسيطر بدوره على الشعوب والأمم ، بل رأوا فيه أيضا المسيا الذى فى عهده يتحقق وعد الرخاء والرفاهية .

(ب) مسيا الرخاء والرفاهية : اعتقد بعض الفريسيين بأن المسيا سيحقق وعد يهوه الذى وعد به شعبه فى القديم ، الوعد الذى يتضمن عصر الرفاهية والعز ، (خر ٣ : ٨ ، ١٧ ، ١٣ : ٥ ، ٢٣ : ٣ ، لاو ٢٠ : ٢٤ ، عد ١٣ : ٢٧ ، ١٤ : ٨ ، ١٦ : ١٤ ، تث ٢٦ : ٩ ، ١٥ : ٢٧ ، ٣ : ٥ ، يش ٦ : ١١ ، ١١ : ٥ ، ٣٣ : ٢٢ ، حز ٢٠ : ٦ ، ١٥ : ٠) .

فعندما يأتى المسيا الذى تتبأ عنه الأنبياء ، ستعطى الأرض كل قوتها (أى تفيض لبنًا وعسلا) ، وستكون السماء سخية فى أمطارها ، والطبيعة غنية فى إنتاجها لدرجة أنه : « يكون فى ذلك اليوم أن الانسان يربى عجلة بقر وشاتين : ويكون أنه من كثرة صنعها اللبن يأكل زبدا ، فإن كل من أبقى فى الأرض يأكل زبدا وعسلا » (اش ٧ : ٢١ - ٢٢) بل أكثر من ذلك ، فعند مجىء المسيا « سيجلس كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ، ولا يكون من يرعب ٠٠٠ » (ميخا ٤ : ١ - ٥) . فالأشجار والكروم ستنتج فى عصر المسيا كمبات لا يمكن للعقل أن يتخيلها . ولقد تركت تعاليم بعض الفريسيين الذين كانوا يحلمون بعصر مسياني ذهبي تأسييرا عميقا فى الكنيسة الأولى بخصوص المجىء الثانى للمسيح ، إذ أن البعض من أعضاء الكنيسة المسيحية الأولى كان ينتظر بفارغ الصبر رجوع السيد السريع إلى الأرض ، ويرجوه يسود الرخاء والرفاهية والعز . وبما أنهم كانوا ينتظرون هذا الرجوع بطريقة سريعة ومباشرة ، فقد امتنع البعض منهم عن العمل مما اضطر الرسول بولس معه أن يكتب لهم موبخا على بطالتهم وحائا إياهم على العمل (٢ تس ١ : ٢ - ٣ ، ٢ : ١٠ - ١٧) . ولقد انتشرت فى الكنيسة الأولى بعض التعاليم الأبوكريفية الموروثة عن الأحلام المسيانية اليهودية ، ومنها أن السيد نفسه علم قائلا :

« ستأتى أيام تنتج فيها الكرمة عشرة آلاف فرع ، وكل فرع يحمل عشرة آلاف غصن ، وكل غصن يحمل عشرة آلاف عنقود من العنب ، وكل عنقود به عشرة آلاف حبة ، وكل حبة عنب تعطى (25 METRETES) (١) خمسة وعشرين رزقا » .

(ج) مسيا السلام : إن الأحلام المسيانية التى انتشرت قبل وفى أثناء مجىء السيد إلى الأرض ، فى الأوساط اليهودية وفى بعض الأوساط المسيحية فى الكنيسة الأولى ، كانت أحلاما حلوة لذيدة . لأنها لم تبعث فى قلوب اليهود المستعمرين المضطهدين الرجاء فى تحرير بلادهم واسترجاع سيادتهم عليها فحسب ، بل إن إسرائيل نفسه سيكون مسيطرا . وسيدا على العالم فى العصر المسيانى الذى سيعم فيه السلام ، ليس الجنس البشرى فحسب ، بل أيضا الطبيعة كلها ستتخلص من طبائعها وغرائزها الوحشية . فالإنسان المولع بالحروب وبصناعة الأسلحة لى يقتل ويهلك ويفنى أخاه الإنسان ، سيحول معداته الحربية إلى أدوات زراعية وصناعية نافعة لبناء المجتمع فى عصر المسيا . عصر السلام التام . وإشعيا يقول : « ويكون فى آخر الأيام ... فيقضى بين الأمم وينصف لشعرب كثيرين فيطبعون سيوفهم سكا . ورماحهم مناجل . لا ترفع أمة على أمة سيفاً ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد » . (اش ٢ : ١ - ٤ ، مز ٤٦ : ٨ - ١١ ، ٧٣ : ٦ - ٧ ، ميخا ٤ : ١ - ٥) لأن المسيا المنتظر يدعى « رئيس السلام » ، ففى عصره لا يسمح بأن تتدلع الحروب وتسفك الدماء (اش ٩ : ٥ ، أف ٢ : ١٧ ، كو ١ : ١٥) . وهذا السلام الذى كانوا يحلمون به ، لن يكون قاصراً على الجنس البشرى فقط بل سيكون سلاما عاما يسود ويسيطر على الطبيعة كلها .

(١) Metretes = اناء تكال به السوائل ويسع حوالى ٤ لتر من السوائل .
اقتبس عن H. Causse ص ٢٢٤ (راجع قائمة الكتب) .

فالذئب لا يهجم فيما بعد على الخروف بل « يسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسن معا وصبى صغير يسوقها : والبقرة والدبة ترعيان ، تربض أولادهما معا والأسد كالبقرة يأكل تبنا ، ويلعب الرضيع على سرب الصل ، ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان ٥٠٠ (اش ١١ : ٦ — ١٠ ، ٦٥ : ٢٥) .

لقد فسر بعض الفريسيين هذه النبوات الروحية تفسيرا حرفيا ، فانتظروا مسيا سياسيا يعطى لهم كل هذه الامتيازات المادية ، كما فسر ويغسر أيضا الكثيرون الآن هذه الأقوال وأقوالا أخرى من الكتاب المقدس (رؤ ٢٠ : ٥ — ٧) تفسيرا حرفيا ماديا . وبناء على هذا التفسير الحرفى المادى ، تمسك البعض بفكرة أن المسيح سيأتى وسيملك ألف سنة بطريقة حرفية حقيقية .

إن حقيقة مجيء المسيح الثانى إلى الأرض أمر لا شك فيه ، لأن الكتاب المقدس يكلمنا عنه بوضوح وفى أماكن مختلفة ، أما موضوع ملكه الألفى على الأرض ، فإن الآيات القليلة التى سجلها الكتاب بخصوصه لا تسمح لنا بأن نحس إلى هذا الاستنتاج . وهذا يوضح لنا خطورة التفسير الحرفى الذى اتبعه الفريسيون فى تفسير العهد القديم وبعض تقاليد الآباء . وبما أنهم تشبعوا بهذه الفكرة ، فكرة أن المسيا الحقيقى له السلطان أن يمنح فعلا السلام الحقيقى والروحى ، لم يقبلوه لأنهم نظروا إليه من خلال عقائدهم الشخصية ، فلم يروا فيه اللون الذى كانوا يبحثون عنه — أى ! تحرير من المستعمر والسيادة على الشعوب الأخرى ، والرخاء والرفاهية ، ولذلك فقد ضموأ صوتهم إلى الأصوات الأخرى مع الصدوقيين والهيرواحيين قائلين : « اصلبه ، اصلبه ٥٥٥ »

لدراسة هذا الموضوع الخاص بالغيورين والحركات السياسية ، الرجاء الرجوع إلى المراجع التى ذكرناها فى الصفحات ١٧٨ — ١٨٥ .

الفصل السابع

مفهوم التلاميذ عن يسوع

بعد دراستنا لشخصية المسيح ، رأينا ماذا كانت عقيدة الغيورين وعقيدة الفريسيين في شخص يسوع ، وماذا كان موقف يسوع من هذه الطوائف المعاصرة له ، والآن يجب أن نسأل هذا السؤال : ماذا كانت عقيدة التلاميذ في المسيح ؟ هل كان للتلاميذ نفس الآمال والأحلام والانتظارات الروحية والسياسية التي كانت تملأ عقول اليهود الذين كانوا معاصرين ليسوع ؟ أم أن التلاميذ فهموا من أول الأمر أن يسوع الناصري هو المسيا المنتظر ، المسيا الذي سيخلص الشعب من خطاياهم ، أى أن رسالته رسالة روحية وليست رسالة سياسية ؟ أو بعبارة أصح : هل فهم التلاميذ من أول مقابلة لهم مع يسوع أو في أثناء المدة التي عاشوا معهم ، بأنه « المسيح » . . . لم يأت ليقدم بل ليقدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين ؟ (مر . ١٠ : ٤٥) ماذا رأى التلاميذ في يسوع ؟ عندما ندرس الفصول الكتابية التي تكلمنا عن عقيدة التلاميذ في يسوع ، نلاحظ أنهم في بادئ الأمر وفي أثناء الفترة التي قضاها السيد معهم على الأرض ، بل وبعد موت المسيح وقبل صعوده إلى السماء ، لم يختلفوا كثيرا في معتقداتهم وآرائهم عن معتقدات وآراء الكثيرين من

اليهود معاصريهم • وذلك لأن هؤلاء التلاميذ كانوا يهودا ، شاركوا اليهود فى كثير من الأحيان فى آمالهم وأحلامهم ومعتقداتهم • وكم من المرات سأل التلاميذ المسيح أسئلة تدل على أن المفاهيم اللاهوتية اليهودية ، بل والمفاهيم الشعبية كانت تسيطر عليهم كما كانت تسيطر أيضا على بقية أنبياء اليهود : « فسأله تلاميذه قائلين يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ » (يو ٩ : ٢) •

وعندما يقول أندراوس لسمعان أخيه : « وجدنا مسيا الذى تفسيره المسيح » (يو ١ : ٤١) ، فإنه لا يقصد بهذه العبارة إلا ما كان يقصده اليهودى المتدين الذى كان ينتظر مجيء المسيا الذى سيخلص ويحرر إسرائيل من العبودية الأجنبية ثم ينعش الحياة الروحية •

مما لا شك فيه أننا لا يمكن أن ننسى الاعلان العظيم الذى نطق به بطرس فى قيصرية فيلبس عندما سأل السيد قائلا : « من يقول الناس إني أنا ابن الانسان ؟ فأجاب بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى ••• » (متى ١٦ : ١٣ - ٢٠) • إن هذا الاعلان العظيم السامى يعد أساسا عتيلا للكنيسة ، ولكننا لا ننسى أيضا أن هذا الاعلان الذى نطق به بطرس لم يكن نتيجة لتفكيره الشخصى ، بل هو إعلان الآب لبطرس : « طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات ••• » (متى ١٦ : ١٧) • إن هذا الاعتراف أو قانون الإيمان الذى نطق به بطرس هنا لم يكن إلا وحيا خاصا من الله الآب لبطرس • إن بطرس الذى نطق بهذا الاعلان العظيم كان هو أيضا كبقية التلاميذ تسيطر عليه نفس الأفكار ونفس المعتقدات التى كانت تسيطر على كثيرين من اليهود • بل وفى كثير من الأحيان استحوذت الأحلام والأعاني المسيانية على التلاميذ ، الأحلام والأعاني المسيانية التى كان يحلم بها ويشتهق إليها كثيرون من اليهود • ولكى تكون هذه

الفكرة واضحة في أذهاننا لنرجع إلى هذا الاعلان الذى نطق به بطرس كما سجله لنا القديس مرقس ، إن هذا الاعلان كان إعلانا سماويا من قبل الآب ، الآب نفسه هو الذى أعلن لبطرس هذه الحقيقة . والفرق شاسع واسع بين هذا الاعلان الموحى به من الآب لبطرس وبين عقيدة وإيمان بطرس الشخصى فى يسوع الناصرى . فإن إيمان بطرس الشخصى فى يسوع كان شبيها بمعتقدات كثيرين من اليهود فى عصره الذين كانوا يؤمنون بأن المسيا سيأتى ، لا لكى يتألم ويموت بل لكى يخلص شعبه عن الذل ويمجدهم . ولقد قال الدكتور فهم عزيز عن حق : « بالتلاميذ لم يكونوا مستعدين أن يتقبلوا هذا الاعلان . إنهم كانوا ينتظرون ابن الانسان صاحب السلطان ، أما عبد الرب الذى يموت ، فلم يحلموا به » (١) . ولهذا السبب عينه فإن بطرس الذى يعترف بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى ، هو نفسه الذى ينتهر المسيح بشدة عندما يتكلم عن آلامه وموته . وعندما نقرأ هذا الفصل (مرقس ٨ : ٢٧ - ٣٨) بشىء من التدقيق نلاحظ تحولا عظيما وعجيبا فى تعليم السيد ، ، فيسوع يصل إلى قيصرية فيلبس حيث شيد أربعة عشر مذبحا للالهة المختلفة ، وهنا يسأل السيد سؤاله العظيم : « من يقول الناس إنى أنا ؟ » . هل أشبه واحدا من هذه الالهة التى نصبت تماثيلها فى هذه المدينة ؟ . وكان جواب بطرس الذى أوحاه إليه الآب : « أنت المسيح ابن الله الحى » . فبعد هذا الاعلان الذى أعلنه الآب لبطرس ، نلاحظ هذا التحول الغريب العجيب فى تعليم المسيح ، فقبل هذا الاعلان لم يتكلم المسيح كثيرا عن آلامه وموته . وأما الآن ، أى بعد هذا الاعلان ، فإن السيد بدأ يتكلم بوضوح وصراحة عن موته . ومتى يقول : « من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة

(١) راجع كتاب ملكوت الله للدكتور فهم عزيز ص ١٧٤ . (صدر عن دار الثقافة المسيحية) سنة ١٩٧٠ هـ .

ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم ٠٠٠ « (متى ١٦ : ٢١) » من ذلك الوقت « ، أى من الوقت الذى فيه أعلن الآب على فم بطرس هذه الحقيقة العظيمة ، حقيقة أن يسوع هو ابن الله الحى ، بدأ يسوع يعلن لهم طريقا آخر وهو أن هذا الاعلان الذى نطق به بطرس هو إعلان صحيح ، وأنه فعلا ابن الله الحى ، ولأنه فعلا ابن الله الحى ، سيقبل أن يتألم ويموت بدلا من شعبه • والسيد له المجد كان يرى الخطر الكامن والتجربة القاسية وراء هذا الاعتراف • فلقد عرف أن التلاميذ ، وعلى رأسهم بطرس نفسه الذى نطق بهذا الاعلان ، سوف يفسرون هذا الاعلان تفسيراً جسدياً مادياً مثلما فعل الفريسيون ، ولهذا السبب عينه بدأ من هذا الوقت يظهر لهم أنه ينبغى أن يتألم ويموت • وهنا يعلن يسوع بدوره أيضاً إعلاناً هاماً لا يقل أهمية عن إعلان الآب لبطرس ، وإعلان المسيح هذا يتضمن أنه لا بد أن يتألم ويموت • وكأنى بهذا الإعلان يقطع عليهم الطريق الذى يوصلهم إلى مسيا سياسى • وهنا نلاحظ رد فعل بطرس ، الشخص الذى أعلن من لحظات فقط بأن يسوع هو المسيح : « فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره » (مر ٨ : ٣٢) • وهناك سببان دفعا بطرس لانتهاز المسيح :

١ - مع أن بطرس هو الذى نطق بهذه الحقيقة العظيمة التى أوحى له بها الآب إلا أنه لم يفهمها فى بادئ الأمر، إلا بطريقة جسدية مادية ، أى أنه ابن الله الحى الذى يمكن أن يخلص إسرائيل من الاستعمار ويرد له حريته •

٢ - إن الذى دفع بطرس لانتهاز المسيح هو أن يسوع تكلم علانية عن موته : « وقال القول علانية » (مر ٨ : ٣٢) ، وكأنى ببطرس يقول للمسيح منتهراً إياه : « يا يسوع ألا تظلم أنك تعثر الشعب ؟ بل أنك

تحطم آمالهم عندما تقول هذا الكلام أمام الجميع الذين ينتظرون أنك تخلصهم وترد لهم الملك وترجع لهم السلطان والسيادة على بلادهم ؟ » ومرقس يواصل قصته بالقول : « فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلاً : اذهب عنى يا شيطان » (مر ٨ : ٣٣) . والتلاميذ كلهم كانوا يشاركون بطرس في هذا اللوم الموجه للسيد لأنهم كانوا يشاركونه نفس الآمال والأحلام . ولهذا السبب يوجه السيد هذه الكلمات القاسية على مسمع ومشهد منهم ، وهى نفس الكلمات التى وجهها للشيطان الذى جاء إليه مجرباً على الجبل . فإن التجربة التى جرب بها الشيطان السيد هى بأن يكون مسياً سياسياً ، ولقد رفض يسوع هذا الطريق ، ولكن الشيطان لم يفتل فبالرغم من أنه حاول تجربة السيد بثلاث تجارب ، إلا أنه بعد آخر تجربة يقول القديس لوقا : « ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين » (لو ٤ : ١٣) . فإن إبليس لم يترك السيد بعد التجربة على الجبل إلا إلى حين . وهنا نراه الآن وقد رجع إليه فى شخص بطرس ، وسيرجع إليه فيما بعد فى ظروف مختلفة متنوعة وفى أشخاص كثيرين .

والجدير بالذكر أن سؤال المسيح : « من تقول الجموع إنى أنا » وإعلان الآب لبطرس : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » ، هذا السؤال وهذا الاعلان قد حدثا بين التلاميذ والمسيح ، ولم تسمع الجموع السؤال والجواب . فلوقا يسجل لنا هذا الأمر بالقول : « وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه ، فسألهم قائلاً من تقول ... » (لو ٩ : ١٨) . وهذا الأمر يلفت أنظارنا الى حقيقة فى غاية الأهمية ، وهى أن يسوع كان يحاول جاهداً أن يخفى نفسه كمسياً عن الجماهير ، لذلك عندما كان يلاحظ وجود بعض الثغرات التى من خلالها كان يمكن للجماهير أن تراه كمسياً ، كان يسرع لإغلاقها ، ولهذا السبب فقد سأل المسيح تلاميذه على انفراد حتى لا تسمع الجماهير إجابة بطرس بأنه

ابن الله ، ولهذا السبب أيضا يعلن المسيح ليس على انفراد لتلاميذه فقط بل للجميع : « وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتى ورأى فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى » (لو ٩ : ٢٣ - ٢٧) . وكان السيد يريد بهذا التصريح أن يحول أنظار تلاميذه أولا ، وأنظار الجماهير ثانيا إلى حقيقة هامة : وهى أنه ليس هو المسيا الذى تسججه خيال وأحلام اليهود : أى المسيا السياسى ، وأن الطريق الذى يريد لشعبه أن يسلك فيه ، طريق وعر صعب ، يختلف تمام الاختلاف عن كل الطرق التى نادى بها المسايا الكذبة الذين جاءوا قبله . فإن المسايا الكذبة الذين بنعوا قبله وعدوا الشعب بالاستقلال والحرية وإرجاع الملك لاسرائيل ، وأما يسوع فمن أول الطريق يعلن للذين يريدون أن يتبعوه بأن الطريق الذى سيسيرون فيه طريق ضيق وكرب (متى ٧ : ١٤) بل وطريق حمل الصليب وإنكار الذات ، بل أكثر من ذلك أنه طريق الموت . إن هذا الاعلان الذى أعلنه يسوع علانية للتلاميذ وللجماهير أيضا كان سبب عثرة ليس فقط للجماهير بل للتلاميذ أيضا . لأن الجماهير كانت تتوقع ظهور المسيا قريبا . وأما التلاميذ فقد رأوا فيه المسيا الذى حلموا به ، أى المسيا الذى سيحطم قوة العدو ويرجع السلطان لأمة إسرائيل ، وليس المسيا الذى يتكلم عن ضعفه وصلبه (يو ١٢ : ٣٤) . ولهذا السبب أيضا يفتخر بطرس يسوع عندما يتكلم عن ضعفه وعن موته ، لأن التلاميذ فى أحيان كثيرة كانوا ينظرون إلى يسوع كالمسيا الذى توقعته الجماهير ، وبمجيئه سيأتى ملكوت الله ، وفى هذا الملكوت سيحتلون مراكز القيادة والعظمة ، لدرجة أنه فى بعض الأحيان كانوا يتشاجرون عندما كانوا يثيرون مشكلة القيادة والعظمة واحتلال المركز الأول فى ملكوت الله : « وكانت بينهم أيضا مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر » (لو ٢٢ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ : ٤٨ ، مر ٩ : ٣٣ - ٣٧) . ألم تطلب أيضا أم يعقوب ويوحنا من السيد بأن يكون أبناها فى صدارة (م ١٨ - تاريخ الفكر المسيحى)

مكان العظمة والقيادة في ملكوته ؟ : « قل أن يجلس ابنائى هذان واحد
عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك ٠٠٠ » (متى ٢٠ : ٢٠ - ٢٨) .

وهذا الأمر واضح جلى في النقاش الذى دار بين تلميذى عمواس
وبين السيد نفسه ، عندما قالوا له : « ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن
يفدى اسرائيل ٠٠٠ » (لو ٢٤ : ١٣ - ٢٧) فلقد كانت آمال الرسل
في يسوع تشبه إلى حد كبير آمال اليهود في المسيا السياسى . ولهذا
فعندما مات يسوع على الصليب ولم يصل إلى تحقيق هذه الآمال التى
كان يحلم بها اليهود (لو ٢٤ : ٢١) خابت آمالهم وتحطمت نفسيتهم
لدرجة أن أشجعهم قال : « أنا ذاهب لأتصيد ، قالوا له نذهب نحن
أيضا معك ٠٠٠ » (يو ٢١ : ٣ - ٦) . ومن هذا يتضح كيف أن بعض
التلاميذ قرروا الرجوع إلى بعض الحرف القديمة مثل الصيد ، بعد
أن تحطمت آمالهم على خشبة صليب الجلجثة (لو ٢٤ : ٢١ ، ١٠ : ٦٨ -
٦٩) . ومن العجيب أن هذا المفهوم الخاص بمسيانية المسيح وإرجاعه
الملك لاسرائيل ، كان متسلطا ومسيطرًا على التلاميذ بعد موته وقيامته ،
ويمكننا أن نستنتج ذلك من سؤالهم الذى طرحوه على يسوع بعد
قيامته وقبل صعوده : « أما هم المجتمعون فسألوه قائلين يا رب هل في
هذا الوقت ترد الملك إلى اسرائيل ؟ » (أع ١ : ٦) .

مما سبق يتضح لنا مفهوم التلاميذ الخاص عن يسوع كان يشبه
إلى حد كبير مفهوم كثيرين من اليهود معاصريهم . والسؤال الذى يجب
أن نسأله الآن هو : « هل تمسك التلاميذ بهذا المفهوم وعلموا به على
طول الخط ؟ »

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نلاحظ ثلاث مراحل في حياة
التلاميذ والرسول :

المرحلة الأولى : هى التى فيها تقابلوا وعاشوا وتناقشوا مع الرب
فى أثناء وجوده على الأرض •

المرحلة الثانية : هى الفترة التى نسميها فترة التيقم ، أى فترة
الخمسين يوما التى قضاها التلاميذ من بعد قيامة المسيح إلى حلول
الروح القدس •

المرحلة الثالثة : هى فترة الامتلاء والاعلان ، فترة القوة •

لقد سبق أن رأينا مفهوم التلاميذ فى المرحلة الأولى أما فى المرحلة
الثانية ، مرحلة التيقم ، فهى الفترة التى استطاع خلالها التلاميذ أن
يفكروا ويتأملوا جديا فى كلمات يسوع وعظاته وتعاليمه التى نطق بها
والتي سمعوها • لقد كانت الفترة ما بين صلبه وحلول الروح القدس ،
هى فترة صلاة ، وتأمل وتفكير فى العلية • إنها فترة الاجترار • وفى
هذه الفترة التى شعروا فيها بأنهم أيتام فعلا بعد صعود المسيح وقبله
حلول الروح القدس ، استطاعوا أن يفكروا بتعمق فى شخصية يسوع
الناصرى • وتختتم هذه الفترة بالحادثة العظيمة المجيدة — أى باتمام
الوعد الذى وعد به السيد تلاميذه ، بأنه لن يتركهم يتامى (يو : ١٤ :
١٨) بل سيرسل لهم روح الحق ، الروح الذى يسكن فيهم ، ويبكت
العالم أيضا على خطية وعلى بر وعلى دينونة (يو ١٦ : ٨) فهو الذى
سيعلمهم الحق وكل الحق (يو ١٥ : ٢٦ ، ٢٧ ، يو ١٦ : ٥ — ١١) •
فعندما حل الروح القدس على الرسل يوم الخمسين ، غير ونظف عقول
الرسل من المفاهيم العتيقة الخاصة بالمسيا الأرضى • هذه المفاهيم التى
كانت تسيطر على عقول اليهود وعلى عقول الرسل ، تغيرت تماما ، كليا
وجزئيا ، عندما نزل الروح القدس عليهم : « ولما حضر يوم الخمسين كان
الجميع معا بنفس واحدة ••• وامتلا الجميع من الروح القدس ••• »

(أع ٢ : ١ - ٤) • ولم يحدث هذا التغيير الشامل إلا بعد حلوله الروح القدس •

رهن الغريب المدهش أن هذا التغيير لم يشمل فقط الناحية التعليمية، أى أن مفهوم الرسل الخاص بالسيد هو الذى قد تغير فحسب ، بل أن سلوك التلاميذ نفسه قد تغير أيضا • فبعد نزول الروح القدس عليهم بدأوا فى المرحلة الثالثة ، مرحلة الامتلاء والاعلان ، أو مرحلة القوة والنشاط العظمى • والتغيير الذى حدث فى تعاليمهم عن المسيح وفى مفهومهم ، له مظاهر واضحة ، فهم لا يعلمون بعد بمسيا سياسى سيخلص إسرائيل من الاستعمار ، بل بمسيا حقيقى سيخلص الشعب من خطاياهم وأحمالهم الثقيلة : « فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا » (أع ٢ : ٣٦ ، فى ٢ : ١١ ، أف ١ : ٢١) « هذا رفعه الله بيمينه رئيسا ومخلصا ليعطى إسرائيل التوبة وغفران الخطايا ، ونحن نشهد له بهذه الأمور والروح القدس أيضا الذى أعطاه الله للذين يطيعونه » (أع ٥ : ٣٠ - ٣٢) • ما أعظم هذا التغيير الذى حدث فى حياة الرسل بعد حلول الروح القدس ! فقبل أن يحل الروح القدس عليهم نسمع أشجعهم يقول مرتعا أمام جارية وهو « يلعن ويحلف أنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه » (مر ١٤ : ٦٦ - ٧٢) بل إن التلاميذ كلهم تركوه وهربوا (مر ١٤ : ٤٨ - ٥٢) • وبعد موته بحثوا لأنفسهم عن مكان آمن يختبئون خلف أبوابه التى كانوا يغلقونها بإحكام لسبب الخوف من اليهود (يو ٢٠ : ١٩) ، أما بعد نزول الروح القدس فقد تحول ضعفهم إلى قوة ، وجبنهم إلى شجاعة وخوفهم إلى ثبات ، وشكوكهم إلى إيمان عميق وشهادة لامة • فبطرس الذى أنكر سيده أمام جارية ، يعلن أمام الرؤساء والأشيوخ بأن يسوع الذى صلبوه هو رب ومسيح (أع ٤ : ١٠ - ١٢ ، ٥ : ٣٠ - ٣٢) • فليس هو المسيا الذى ابتدعه الخيال

اليهودى ، بل هو ابن الله الحى مخلص العالم • هو حجب الأساس
الذى يجب أن يوضع عليه كل أساس (أع ٤ : ١٠ - ١٢ ، رو ٩ : ٣٣ ،
أف ٤ : ١ ، ١ بط ٢ : ٥ - ١٠ ، لو ٢٠ : ١٧) •

مما سبق يظهر، واضحا أن مفهوم التلاميذ تغير تغيرا كليا وجزئيا،
بعد حلول الروح القدس • وستكون لنا الفرصة بأن نرجع إلى هذا
الموضوع عندما نتكلم عن مفهوم الرسل لشخص المسيح يسوع وماذا
رأوا فيه •

الفصل الثامن

مفهوم يسوع عن نفسه

عندما جاء المسيح مع تلاميذه إلى قيصرية فيلبس سألهم السؤال الآتي : « من يقول الناس إنى أنا ؟ فأجابوا يوحنا المعمدان وآخرون إيليا ... فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح » (مر ٨ : ٢٧ - ٢٩) . في الصفحات السابقة حاولنا أن نبين أن هذا السؤال الذى طرحه السيد على تلاميذه على انفراد في قيصرية فيلبس ، كان مطروحا أيضا على الجماهير بطريقة غير مباشرة ، لأنها عندما وجدت وجهها لوجه أمام المسيح ، حاولت هى أيضا بدورها أن تتجيب على هذا السؤال . ولقد سبق أن رأينا جواب الغيورين وموقفهم من يسوع ، فإن هؤلاء رأوا في المسيح في بادئ الأمر المسيا السياسى الذى سيحرر الأرض المحتلة ، الذى رفشه في يده وسينقى بيده ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما القبن فيحرقه بنار لا تطفأ (متى ٣ : ١٢) . ثم رأينا جواب الكتبة والفريسيين والصدوقيين والهيروديسين على سؤال يسوع السابق . وبما أننا ندرس تاريخ الفكر المسيحى وتطوره أو بالمعنى الأصح ، تاريخ العقيدة المسيحية بخصوص شخص الرب يسوع المسيح ، وبما أننا وصلنا أيضا إلى هذه الحقبة من الزمان ، أى الوقت الذى ظهر فيه السيد

على الأرض ، وبعد أن عرفنا شيئاً عن التيارات السياسية والدينية التي كانت تسيطر على المجتمع حينذاك وما هي الطوائف الدينية والسياسية المنتشرة في فلسطين في تلك الفترة وما هو جوابها على سؤال يسوع الناصري في تمصرية فيلبس ، وبعد أن درسنا أيضاً مفهوم التلاميذ أنفسهم عن المسيا ، نجد من الضروري أن نردد السؤال الذي أثاره كثيرون من اللاهوتيين : « ما هو مفهوم يسوع الناصري عن المسيا ؟ وهذا السؤال يقودنا إلى عدة أسئلة أخرى :

(أ) هل كان يسوع يشارك اليهود في المفهوم العام والمنتشر عن المسيا ؟

(ب) هل كان يسوع يعرف بأنه هو نفسه المسيا ؟

(ج) ومتى أدرك هذا الأمر ، أى هل توجد لحظة معينة استطاع فيها أن يتأكد من حقيقة مسيانيته ؟

(د) وهل حاول أن يعلن مسيانيته للشعب أم أن يخفيها عنه ولماذا ؟

هذه الأسئلة وأسئلة كثيرة أخرى يثيرها الذين يدرسون حياة وتعاليم المسيح .

ويمكننا أن ننخص هذه الأسئلة في هذا السؤال : « ماذا يقول يسوع الناصري عن المسيح ، المسيا ؟ » .

ولكن قبل أن نحاول الإجابة على هذه الأسئلة وخصوصاً السؤال الأخير ، يحسن بنا أن نلقى نظرة ولو سريعة على التيارات اللاهوتية المختلفة وموقفها من شخصية يسوع الناصري . أو بعبارة أخرى ، ما هو جواب التيارات اللاهوتية على هذا السؤال : « من يقول الناس إنى أنا ؟ » . إن هذا السؤال احتله المكانة الأولى في حياة الكنيسة وتعاليمها على مر

العصور ، ولذا فقد ظلت تردده على الذين انتموا إليها • ولكن أجوبة هؤلاء تنوعت واختلفت باختلاف وتنوع التيارات اللاهوتية التى انضموا إليها وساروا فى مجراها • ولكى نتحاشى الدخول فى التفاصيل الصغيرة والبسيطة ، يمكننا أن نلخص الاتجاهات اللاهوتية المختصة بمسيانية يسوع فى ثلاث اتجاهات لاهوتية :

١ - العصريون المتطرفون :

فى الفصل أنذى تكلمنا فيه عن حركة النقد التاريخى ، رأينا موقف بعض اللاهوتيين المتطرفين الذين يظنون بأن يسوع كان يهوديا وظل يهوديا ، ولم يفكر فى أن يخلق ديانة جديدة ، وكل ما كان يسعى إليه هو الحصول على تحرير فلسطين من الاستعمار الرومانى • ولقد حاول جاهدا أن يفهم الشعب بأنه ابن الله ، أى المسيا ، ولكن خطته فشلت ، بل أودت به إلى الموت (رأى ريمارس (REIMARUS) ولقد سلك هذا الطريق أيضا رينان الذى قدم لنا يسوع كالثاب الحلو الحالم الذى كان يجول فى قرى الجليل وهو باسم للحياة ، وقد خلق منه أتباعه صانع المعجزات ، أى المسيا : الأمر الذى قاده فى نهاية المطاف إلى الموت • ثم جاءت طائفة ، بلطوائف أخرى حاولت الاجابة على سؤال يسوع : « من يقول الناس إنى أنا » فقالوا : إن يسوع يعتبر مصلحا اجتماعيا عظيما ، بل حكيما ومعنما قديرا ، يفوق كل المعلمين والحكماء الذين سبقوه (رأى GOTTOL POULUS) •

ويقول بولتمان فى كتابه (يسوع (JESUS)) ص ٣٣ - ٣٦ : « إن يسوع لم يعتبر نفسه المسيا ... » • إلا أنه يتساءل فى كتاب آخر (١)

(١) نرجو ملاحظة أن بولتمان يستعمل هنا كلمة Legende وليس كلمة Mythe ص ٢٦ بنفس الكتاب Theology of the N. T. V.I P. 25-32

قائلا : « هل كان يسوع يعلم بأنه هو المسيح ؟ » ثم يواصل بولتمان شرحه بالقول : « يمكننا أن نقبل عقيدة الكنيسة الأولى المختصة بمسيانية يسوع إذا كان يسوع نفسه دعا إلى ذلك وعلم به ، أو على الأقل أعلن مسيانيته لتلاميذه » . ولكن هل هذه الحجة صحيحة ؟ لأنه يحتمل أن مفهوم التلاميذ لمسيانية يسوع يشبه مفهومهم لقيامته . وبولتمان يظن أن كلا من اعتراف بطرس : « أنت المسيح » ، وحادثة التجلى والعماد والتجربة فى الصحراء ما هى إلا قصصا فيها نوع من الخرافة (١) . ولكى نوضح النص السابق الذى يتكلم فيه بولتمان عن عدم التأكد مما إذا كان يسوع قد علم بمسيانيته أم لا ، نقتبس نصا آخر لنفس الكاتب : « إنه ليس فى استطاعتنا أن نعرف سمات يسوع وحياته وشخصيته . . . إذ أنه لا يمكن أن نثبت صحة أى كلمة من كلامه . وكل ما يمكن لنا أن نقوله عن حياة يسوع وعن شخصيته هو ألا نقول شيئا . . . وذلك يرجع إلى عدم التأكد مما إذا كانت هذه الأقوال هى فعلا أقوال المسيح أم هى إضافات من الكنيسة الأولى » .

والذين درسوا حركة النقد التاريخى يعرفون أن كثيرين من العصرين يقولون بأن الأناجيل الأربعة التى بين أيدينا الآن ، تحتوى على إضافات كثيرة أضافها الرسل من عندياتهم ، ونسبوها للمسيح ولا يوجد لها أصل حقيقى فى أقوال يسوع . وقد أضاف الرسل أنفسهم هذه الأتساء من معجزات وأحداث وقصص . . . الخ . لكى يشرحوا بها وعن طريقها عقيدة الكنيسة الأولى فى المسيح وسلطانه المطلق . فالعصرى (المودرن) عندما يقرأ فصلا من الفصول الإنجيلية ، يسأل هذا السؤال : « هل هذا الفصل هو فعلا وحقيقة أقوال المسيح التى نطق بها فى حياته على الأرض ، أم هو فصل من صنع الكنيسة الأولى التى أرادت أن تعبّر

به عن إيمانها وعقيدها في المسيح ؟ » لذلك ظن كثيرون من العصريين ، كما يشير إلى ذلك الأسقف برنار بارثمان ، بأن يسوع لم يعتبر نفسه المسيح بل أن التلاميذ هم الذين أعطوه هذا اللقب بعد موته وقيامته من الأموات ، الأمر الذي كان يرفضه بشدة أثناء حياته على الأرض (١) .

مما سبق يتضح لنا أن العصريين يرفضون حقيقة أن يسوع كان يعتبر نفسه مسيحاً ، وذلك لعدم التأكد مما إذا كانت هذه النصوص الخاصة بمسيانيته ، هي نصوص قد نطق بها فعلاً السيد أم نسبت إليه من الكنيسة الأولى .

٣ - الوسطيون :

أما الاتجاه اللاهوتي الثاني فيمكننا أن نسميه موقف الوسطيين . فما هو جواب الوسطيين على سؤال يسوع السابق : « من يقول الناس إنني أنا ؟ » .

إن الوسطيين يقدمون لنا يسوع كإنسان كامل في تكوينه البيولوجي والنفسي ، كان ينمو نمواً طبيعياً بعد ميلاده الطبيعي . ولوقا يقبل : « كان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) . وهناك شواهد كثيرة تدل على ناسوت المسيح مثل (لو ١٠ : ٢١ ، يو ١٢ : ٢٧ ، مر ١٤ : ٣٤ ، عب ٢ : ١٧ ، ١٨ ، عب ٥ : ٧) . ويعترف هذا الفريق من اللاهوتيين بأن يسوع قد قام بأعمال عظيمة وسامية جداً ، وقد عاش في حياته حياة البر والقداسة ، بل حياة الطاعة الكاملة لله . وبهذه الروح ، روح الطاعة الكاملة والخضوع المطلق لله ذهب المسيح ليس فقط إلى أورشليم ثم إلى الصليب ، بل قبل بشجاعة منقطة النخيل

(١) MGR. Barthmann Précis de Theologie Dogmatique. pp. 352 -- 354.

الموت ، ولهذا السبب قد رفعه الله إلى منصبه كإله • ويقتبس الوسيطون (في ٢ : ٥ - ١١) • ومما لا شك فيه أن الوسيطيين يرتكبون خطأ شنيعاً في تعليمهم بأن يسوع رفع إلى درجة إله ، وستكون لنا الفرصة لنتحدث عن ذلك عندما نتكلم عن طبيعتى المسيح •

أما بخصوص مسيانيته ، فهم يقولون بأن يسوع كان يشعر بدعوة داخلية تدفعه للعمل • ولقد رافقه هذا الشعور وهو صبي صغير في الثانية عشرة من عمره ، ألم يقل لمريم ويوسف في عيد الفصح عندما صعدوا إلى أورشليم : « لماذا كنتما تطلباننى ألم تعلمتا أنه ينبغي أن أكون فيما لأبى » (لو ٢ : ٤٩) • ويقول المتمسكون بهذه النظرية بأن هذا الشعور كان ينمو ويزداد عند يسوع كل يوم إلى أن جاءه الصوت الذى أعلن له هذا الأمر في حادثة العماد ، فإن هذا الصوت الذى جاء من السماء كان غرضه أن يؤكد ليسوع أنه ابنه الحبيب : « أنت ابنى الحبيب » (لو ٣ : ٢١) • وفى هذه اللحظة أعلن الله ليسوع أنه هو الشخص الذى سيقوم بتأدية الرسالة الخطيرة والسامية التى يشعر بعظمتها في داخله • فإن الصوت الذى كان يتكلم داخل يسوع هو البرهان المرسل من الله لكى يقضيه بصلاحيته وحقيقة هذا الشعور بأنه ابن الله ، المسيا • وتنزول الروح القدس على هيئة حمامة (أى بصورة منظورة) كان برهاناً محسوساً منظوراً وعملياً نكى يبرهن بطريقة واضحة على مسيانيته ، ليس فقط له بل وللذين كانوا ينظرون الروح نازلاً عليه في هيئة حمامة • وهنا في حادثة العماد ، يتحقق يسوع من الأمر الذى لم يكن متأكداً منه من قبل وهو مسيانيته وبنويته لله • فبحسب هذه النظرية ، فإن يسوع تأكد بطريقة واضحة من رسالته التى سيقوم بها كمسيا وكابن لله ، بعد العماد فقط •

٣ - المصافون :

ولقد أجاب المصافون بدورهم على هذا السؤال : « من يقوله الناس

إبنى أنا « باقتباس اعتراف بطرس : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » (متى ١٦ : ١٦) إن جماعة المحافظين تعتقد بأن يسوع الناصرى ابن مريم هو أيضا المسيح ابن الله . وهذا يعنى بالنسبة لهم أن يسوع لم يكن بطلا أو عالما أو مصلحا اجتماعيا ، أو معلما عظيما فاق كل أقطاب عصره ، بل هو أعظم من ذلك بكثير . ويمكننا أن نقول بأن يسوع كان معلما عظيما ، مصلحا اجتماعيا ... الخ . ولكن لا يمكننا أن نقول إن يسوع قد ارتفع إلى درجة العظمة والألوهية لأنه كان رجلا عظيما حكيما عالما ، مطيعا لله ، كما يعتقد الوسيطيون . بل إذا كان يسوع حكيما ومعلما ممتازا ومصلحا اجتماعيا ... فذلك يرجع إلى حقيقة أنه كان أولا وقبل كل شيء الله الذى ظهر فى الجسد : « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١ تيمو ٣ : ١٦) . عمانوئيل « الذى تفسيره الله معنا » حل بمجده ولاهوته فى أرضنا ، لأنه فيه « يحل كل ملء اللاهوت جسديا » لأن « الكلمة صار جسدا » . (كو ٢ : ٩ ، يو ١ : ١٤ - ١٦) . وهنا يظهر الاختلاف الشاسع بين فكرة العصريين والمحافظين ، فالعصريون يظنون أن يسوع كان إنسانا عظيما ساميا ومصلحا اجتماعيا ، أما المحافظون فيؤمنون بأن يسوع المسيح هو الله الذى حل فى الجسد . كذلك أيضا يظهر الفرق العظيم بين ما يعتقد الوسيطيون وما يؤمن به المحافظون . فالوسطيون يظنون أن يسوع ارتفع إلى درجة الألوهية ، بينما يؤمن المحافظون بأن الله نفسه حل بملء لاهوته فى الإنسان يسوع الناصرى ، كما يعلم الكتاب المقدس ، الدستور الوحيد للإيمان والأعمال .

ومع أن التيارات اللاهوتية الثلاثة التى ذكرناها آنفا تمثل بصفة عامة الاتجاهات اللاهوتية المختلفة الموجودة حاليا فى العالم ، إلا أن كل تيار من هذه التيارات اللاهوتية يضم تحته أيضا تيارات أخرى فرعية ، ويعوزنا الوقت لو دخلنا فى تفاصيلها الدقيقة . وفى هذه المذاهب اللاهوتية الثلاثة ، رأينا كيف أجاب ويجاوب كل مذهب لاهوتى على

سؤال يسوع الناصري في قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إنني أنا » .
 ومما لا شك فيه أن كل مذهب من هذه المذاهب اللاهوتية المختلفة حاول
 بقدر الإمكان الرجوع إلى المکتوب لكي يؤيد نظريته . فالعصريون
 أنفسهم ، الذين يظنون بأن التلاميذ نسبوا أقوالا كثيرة إلى يسوع ،
 قد رجعوا هم أيضا إلى الكتاب لكي يؤيدوا فكرتهم . وعلى أية حال
 إن مشكلة النصوص التي نطق بها السيد والنصوص التي نسبت إليه
 مشكلة معقدة نسائكة : حتى أن علماءهم لا يستطيعون أن يبتوا بكيفية
 صحيحة وأكيدة في الفصول التي نطق بها السيد ، والفصول التي لم
 ينطق بها . وذن هذا يتضح أن العلماء العصريين غير متأكدين هم أيضا
 من صحة حكمهم هذا . وهنا يتساءل بينبرج (C. PIEPENBRING)
 قائلا : « هل يجب أن نقبل ما يقوله مرقس (٨ : ٢٧ - ٣٠) والفصول
 الأخرى الإنجيلية التي تعلمنا بأن يسوع كان يعتقد في مسيانيته ، أو
 نقبل النقد الحديث الذي يقدم لنا حالا آخر ، وهو أن كل التصريحات
 الخاصة بمسيانية يسوع قد نسبت إليه عن طريق الكنيسة الأولى ؟ (١) »
 ثم يحث الكاتب على بحث هذه المشكلة مع التمسك حاليا بما هو
 لدينا .

بعد هذه المقدمة السريعة عما يقوله الناس عن يسوع ، لنرجع إلى
 سؤالنا الرئيسي وهو « هل كان يعرف يسوع الناصري أنه المسيح ؟ » .
 إن هذا السؤال في صيغته هذه ، يخفى لنا تيارا عصريا أو وسطيا ،
 وفي حقيقة الأمر إن كثيرين من العصريين والوسطيين يطرحون هذا
 السؤال بهذه الصورة ، ولذلك فمن الضروري قبل أن نتقدم في بحث هذا
 السؤال يجب أن نغير صيغته فنقول : « كيف يمكننا أن نعرف أن يسوع
 الناصري هو المسيح ؟ ثم ماذا يقول يسوع الناصري عن يسوع المسيح ؟ »

(١) C. Pieperbring. Jésus Historique.

وإذا كتبنا قبد غيرنا صيغة هذا السؤال الذى يسأله العصريون والوسطيون ، فذلك لأنه لا ينطبق إلا على إنسان يبحث عن شخصيته ، فالإنسان طوال حياته يبحث وينقب لى يعرف نفسه على حقيقتها ، ولكى يعرف أيضا بعض الشخصيات التى تحيط به وتتعامل معه ، أما يسوع فلا ينطبق عليه هذا القول لأنه كان يعرف نفسه جيدا ، يعرف من أين أتى وإلى أين يذهب كما يقول هو نفسه للفريسيين : « ... وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب ... » (يو ٨ : ١٤) •

ولكى يكون الأمر واضحا فى أذهاننا يجب أن نميز بين يسوع المسيح الحقيقى والمسيا الذى كان ينتظره اليهود ، فإن المسيا الذى كان ينتظره اليهود هو مسيا سياسى دينى يخلص الشعب من الاستعمار الرومانى ويصبح قائدا سياسيا على رأس دولة ثيوقراطية مستقلة • الأمر الذى رفضه يسوع رفضا باتا فى كل حياته وتصرفاته (يو ٦ : ١٥) • ومن هذا يظهر بأن يسوع لم يشارك معاصريه فى مفهومهم للمسيا ، فإن هؤلاء كانوا ينتظرون مسيا يحطم أعداء شعب الله ويسحقهم سحقا ، كما أنه لم يشارك معاصريه أيضا فى تخيلاتهم المسيانية بخصوص سلطان شعب الله على الأمم واتساع ملك داود ... الخ (١) •

وهنا نرى الفرق الشاسع بين مفهوم الشعب اليهودى وانتظاراته الخاصة بالمسيا ، وبين مفهوم المسيح يسوع نفسه عن المسيا ، أى عن نفسه • ولا يليق بنا أن نسأل فيما إذا كان يسوع الناصرى يعرف أم لا بأنه المسيا ، وذلك لأن العهد الجديد يقدم لنا شهادات وشواهد عديدة تثبت حقيقة هذا الأمر •

المسيا :

(١) ومن هذه الشهادات التى تعترف بمسيانية يسوع ، قول

(١) انظر كتاب يولتجان بعنوان Jesus من ١٧ - ٢٦. الطبعة الفرنسية

أندراوس : « قد وجدنا مسيا الذي تفسيره المسيح . فجاء به الى يسوع ، فنظر إليه يسوع وقال أنت سمعان بن يونا ، أنت تدعى « صفا . الذي تفسيره بطرس » (يو ١ : ٤٢) . « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر . » (متى ١١ : ٣) . « فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي » (متى ١٦ : ١٦) . هذه الاعترافات والتساؤلات توضح لنسا حقيقة هامة جدا ، فبغض النظر عن مفهوم السائل فيما يخص المسيا ، فإن النقط الهامة والأساسية التي يجب أن نبنى عليها عقيدتنا المسيحية هي جواب المسيح على السائل . ولقد أجاب السيد بطريقة إيجابية على هذه الأسئلة وعلى أسئلة أخرى في أماكن أخرى بخصوص شخصيته ومسيانيته . فعندما جاء بطرس مع أخيه أندراوس إلى السيد لم يوبخه ولم ينتهره يسوع على اعترافه هذا ، مما يدل على أنه قبل هذا اللقب حتى وإن كان أندراوس في هذا الوقت لم يكن يفهم بالضبط الأبعاد الشاملة لهذا اللقب . وفي إجابته على التلميذين المرسلين من قبل يوحنا ، شرح لهما بطريقة واضحة وصريحة دون أن يذكر كلمة مسيا ، بأنه هو فصلا ذلك المسيا . بل أكثر من ذلك ، فإن يسوع طوب بطرس عندما اعترف بوحى من الآب بمسيانيته وقال له : « طوبى لك يا سمعان بن يونا . . . » . فإن دلت هذه الكلمات الموجهة إلى بطرس على شيء فإنها تدل على مسرة قلب يسوع بهذا الاعتراف العظيم وقبوله له . فالمسيح لم يقبل فقط هذا اللقب . بل قبله بسرور عظيم . وإن كنا نلاحظ في دراستنا للكتاب المقدس بأن السيد منع التلاميذ والجمهير والشياطين من أن يتكلموا عن مسيانيته علانية ، فهذا لا يعنى أنه رفض لقب المسيا .

وبما أننا ندرس موضوع مسيانية يسوع ، يحسن بنا أن نرجع إلى ثلاثة فصول تعتبر من الفصول الهامة جدا بخصوص هذه المشكلة (متى ٢٦ : ٥٩ — ٦٨ ، مرقس ١٤ : ٥٣ — ٦٥ ، لوقا ٢٢ : ٦٦ — ٧٠) . ويمكننا أن نضيف إلى هذه الفصول (مر ١٥ : ٢ — ١٥) والذي يهمننا

من هذه النصوص المذكورة أعلاه هو سؤال رئيس الكهنة وجواب يسوع عليه . وهذا هو السؤال الذى طرحه قيافا على يسوع : « أنت المسيح ابن المبارك » (مر ٤ : ١ : ٦١) .

إن هذا السؤال سؤال خبيث شيطانى ، يحمل فى طياته شركا لا مفر منه سواء أكانت إجابة يسوع عليه بالإيجاب أو بالنفى ، وهو يذكرنا بالسؤال الذى قدمه له الهيروديسيون والفريسيون ، عندما سألوه قائلين : « أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا » (متى ٢٢ : ١٧) . وهنا يمد رئيس الكهنة نفس الشرك الذى مده الهيروديسيون والفريسيون للإيقاع بيسوع : « أنت المسيح ابن الله المبارك » .

ولقد ذكر الإنجيليون الثلاثة (متى ٢٦ : ٦٣ ، مر ١٤ : ٦١ ، لو ٢٢ : ٦٧) كلمة المسيح أى المسيا . ففى هذه الكلمة (المسيح أو المسيا) يخفى رئيس الكهنة سمه القاتل ، فلو أجاب المسيح بنعم ، لأصبح متهما أمام السلطات الرومانية بأنه مثير شغب ، يسعى لتأسيس مملكة يهودية لا تخضع لسلطان قيصر ، وهذا ما كان يرمى إليه قيافا من سؤاله : « أنت المسيح . . » . فإذا ثبتت هذه التهمة على يسوع ، لتولى الرومان محاكمته وصلبه . ويحتل عندئذ رئيس الكهنة نفس المكانة التى احتلها بيلاطس عندما أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : « إني برىء من دم هذا البار . » (متى ٢٧ : ٤) . ثم لو أجاب المسيح بالنفى أى بأنه ليس المسيا فإنه بهذا الجواب يخيب آمال اليهود الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر إعلانا من هذا القبيل . وبهذا الاعتراف يصبح يسوع فى أعين الشعب مسيا كاذبا لا أمل فيه ولا رجاء منه فى أن يخلص الشعب من الاستعمار ، بل لأصبح عثرة للجماهير ، يجب التخلص منه والقضاء عليه . هذا هو الهدف الذى كان رئيس الكهنة يريد إصابته بسؤاله هذا

السؤال .

ولقد رأى بعض المفسرين فى النص الذى يسجله لنا متى نوعا من الغموض والابهام وعدم الوضوح فى إجابة يسوع لرئيس الكهنة فسؤال رئيس الكهنة ليسوع هو : « هل أنت المسيح ابن الله ، قال له يسوع أنت قلت » (متى ٢٦ : ٦٣ - ٦٤) •

ويقول العارفون باللغة الأرامية ، إن جواب المسيح يحتل ! لايجاب والنفى • فكأن المسيح يجاوب رئيس الكهنة على هذا السؤال بالقول : أنت الذى تقول إني المسيح ، ولست أنا الذى يقول ذلك • ومن هذا يتضح كما يعتقد هؤلاء المفسرون أن جواب المسيح كان جوابا ملتبسا •

ولكن عندما نرجع إلى النص الذى سجله لنا القديس مرقس نرى أن إجابة المسيح واضحة صريحة لا تحتل أى نوع من اللبس أو الغموض : « فقال يسوع أنا هو » (مر ١٤ : ٦٢) • فهذا الجواب واضح كل الوضوح ، ففى هذه الساعات الأخيرة يعلن يسوع لليهود بأنه هو المسيح « المسيا » ولكن لكى يميز نفسه عن المسايا السياسيين الذين يدعون بأنهم سيحررون إسرائيل من الاستعمار الرومانى ، يقول : « وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء » ، فانه هو المسيا الذى جاء من فوق والذى سيصعد أيضا إلى فوق ، وكما يقول فى حديثه إلى نيقوديموس : « وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يو ٣ : ١٣) • وكأنى بالمسيح يجاوب رئيس الكهنة على سؤاله المسموم الذى يريد به أن يلقي المسيح بحقه ، سواء على أيدى أمته أو على أيدى الرومان : « أنا هو المسيا » ، ولكنى أختلف كل الاختلاف عن المسايا الكذبة الذين انتحلوا لأنفسهم هذا اللقب ، لأنى جئت من فوق وسأذهب أيضا إلى فوق ، فإن الذين اغتصبوا لأنفسهم (م ١٩ - تاريخ الفكر المسيحى)

هذا اللقب ، ما هم إلا سراقا ولصوصا : « جميع الذين أتو قبلى هم سراق ولصوص » فى هذا الاتجاه .

يجب فهم نص يوحنا (١٠ : ٨) ، كما يجب أيضا فهم مرقس (١٤ : ٦٢) لأن يسوع يريد بهذا القول أن يعلن لرئيس الكهنة وللسلطات الرومانية بأنه فعلا المسيا ، إلا أن ارساليته ومسيانيته تختلفان كل الاختلاف عن المسيانيات السابقة ، فإنه جاء لا لكى يسرق ويخطف ويحمل سيفاً ويقتل كل من يخالفه فى الرأى والعقيدة كما كان يفعل الغيورون ، بل على النقيض من ذلك : « لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت لىخدم بل لىخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مر ١٠ : ٤٥) « وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يو ١٠ : ١٠) . فبهذا القول أراد يسوع أن يبين لرئيس الكهنة أنه فعلا المسيا ، ولكنه ليس المسيا السياسى الذى يريد أن يسلمه مقيدا ليد الرومان . وإعذا السبب عينه تتدهش كل الاندهاش من موقف بيلاطس وإعلانه الصريح بالقول : « إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان » (لو ٢٣ : ٤) .

ولقد كان من واجب بيلاطس كحاكم رومانى أن يسهر على مصالح روما وإخماد الثورات والضرب بشدة على كل الادعاءات المسيانية . وبالرغم من ذلك نراه يقف مكتوف الأيدى ، بل ويعلم براءة يسوع ، فهل كان بيلاطس يرى فى يسوع شيئا آخر ، لم يستطع رؤساء الكهنة أو الكهنة أن يدركوه ؟ هل فهم بيلاطس بأن هذا الشخص ، يسوع الناصرى ، يختلف اختلافا كليا وجزئيا عن كل المسايا الذين ادعوا ذلك ؟ هل فهم بأن يسوع هو المسيا ، هو الشخص البار كما حلمت به زوجته : « إيساك وذاك البار لأنى تأملت اليوم كثيرا فى حلم من أجله » (متى ٢٧ : ١٩) إن موقف بيلاطس ، الرجل الذى كان مكلفا من قبل السلطات الرومانية بقمع كل ثورة أو مظاهرة أو إدعاءات مسيانية ،

يدفعنا لطرح الأسئلة التى سبق أن طرحناها • إننا لا نعرف بالضبط لماذا تبنى بيلاطس هذا الموقف ؟ ولكننا نعرف بأنه لو كان متأكداً من أن يسوع كان مسيا سياسيا على نمط المسايا السابقين كما أمكن له أن يعطى براءته علانية •

على أية حال ، إن يسوع أعلن بصراحة ووضوح أنه هو المسيا ، ولكنه مسيا يختلف اختلافا جزئيا وكليا عن المسيا الذى انتظره الكثيرون من اليهود ، وخاصة الغيورون • والألقاب أو الأسماء التى أعطاها يسوع لنفسه أو التى لقبه بها الشعب ، تدل أيضا على مسيانيته • ومن هذه الألقاب •

ابن الانسان (لقد ذكرت فى الأنجيل الثلاثة الأولى ٦٩ مرة ثم ذكرت ١٢ مرة فى الإنجيل الرابع) •

ابن الله — ابن داود — النبى — المسيح — الكاهن — الملك — السيد — العبد — حمل الله ... الخ •

ونحن لا نريد أن ندخل فى تفاصيل وشرح كل لقب من هذه الألقاب ، ولكننا نود أن نقول : إن هذه الألقاب والصفات التى نعت بها السيد فى العهد الجديد ، ليست هى التى جعلت من يسوع الناصرى ابن مريم ربا ومسيحا ، بل العكس فإن يسوع الناصرى ، ابن مريم ، هو أولا وقبل كل شيء ، وقبل أن يكون ابن مريم ، كان ربا وسيدا ، الله الذى ظهر فى الجسد. ولهذا السبب عينه فإن هذه الألقاب والصفات التى لقب بها السيد تستمد قوتها وسلطانها من الشخص الذى نسبت إليه ، « اللوجوس » أو « المسيح » •

ونلاحظ أن الأمر هنا يختلف تماما عما يحدث عادة فى الحياة

العملية ، فإن الحاكم يستمد قوته وسلطانه من الدرجة أو الركن أو الوظيفة التى أسندت إليه ، والأمير يمنح سلطانا أعظم بعد أن يصبح أميرا ، والملك يزداد نفوذه وسلطانه بعد أن يصبح ملكا ، كذلك الامبراطور يتسع سلطانه أكثر ويعظم مجده ، ويكبر نفوذه عندما يجلس على عرش الامبراطورية • كل هؤلاء يستمدون سلطانهم ونفوذهم وقوتهم من الدرجة أو اللقب الذى يحصلون عليه ، اكن فى حالة يسوع فإن هذه الألقاب : « ابن الانسان » ، « ابن داود » ، « ابن الله » ، « الملك الكاهن » ، « السيد » ، « العبد » ... الخ •

تمجدت • بل حصلت على شرف عظيم عندما نسبت إلى يسوع • فبانتسابها إليه أصبح لهذه الألقاب والصفات معنى خاص وممتاز • فلم تكن هذه الألقاب بأى حال من الأحوال هى السبب فى مجد ويسوع ورفعته يسوع الناصرى ، والتى عن طريقها وبها أصبح ما هو عليه الآن • فقبل أن يعطى لنفسه بعضا من هذه الألقاب ، وقبل أن يمنحه الآخرون ألقابا أخرى ، كما أولا وقبل كل شيء هو « الله الذى ظهر فى الجسد » ، وأمام هذا الأمر العظيم السامى تتصاغر كل الألقاب مهما كان شأنها وعظمتها وشرفها ونفوذها •

من هذا يتضح جليا أن يسوع الناصرى كان يعرف جيدا أنه هو المسيح • ومع أننا قلنا سابقا بأن هذه الصيغة لا تتفق وتعليم الكتاب المقدس ولكننا نستعملها لكى نبين للعصرين أن يسوع كان واعيا ومدركا تماما لمسيانته • فيسوع كان يعرف ذلك تمام المعرفة وكان هذا الإدراك ينمو ويكبر فيه كلما كبر ونما • ألم يرد يسوع على مريم ويوسف اللذين كانا يبحثان عنه فى اورشليم : « فقال لهما لماذا كنتما تطلباننى ألم تعلمتا أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى » (لو ٢ : ٤٩) •

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو :

لماذا لم يؤكد يسوع بشدة مسيانيته ، بل فى كثير من الأحيان منع تلاميذه والجمهور وكذلك الشياطين من أن تعلن ذلك ؟

وعندما ندرس الأناجيل بالتدقيق نلاحظ أن يسوع أمر تلاميذه والجمهير وحتى الشياطين بأن لا تظهره • وهذا لايعنى أنه رفض لقب المسيا لأنه لم يكن المسيا الحقيقي ، بل لأنه أصر على أن يكون أمر مسيانيته خفيا • « آه مالنا ولك يايسوع الناصرى ، أتيت لتهلكنا ، أنا أعزك من أنت قدوس الله • فانتهره يسوع قائلا : اخرج واخرج منه • فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه » (مر ١ : ٢٥ ، ٣٤ ، ٣ : ١٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥ : ٤٣ ، ٧ : ٣٦ ، ٨ : ٣٠) • وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح » (لو ٤ : ٤١ ، متى ٨ : ٤ ، ٩ : ٣٠ ، ١٢ : ١٦ ، ١٦ : ٢٠ ، مر ٩ : ٩ - ١٠ ، لو ٩ : ٣٦) •

وهنا نسأل لماذا كان يسوع فى أحيان كثيرة ، بل فى معظمها ، يحاول بلا تردد ، بل فى اصرار وعزم ، أن يسكت الأصوات التى كانت تنادى بمسيانيته وأن يخرس الشياطين الذين كانوا يريدون أن يظهروه ؟ ألم يقل لبيلاطس فى يوم محاكمته عندما سأله هذا السؤال : « أفأنت اذا ملك •••• » فأجاب : « لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق ، كل من هو من الحق يسمع صوتى » (يو ١٨ : ٣٧) • فإذا كان يسوع قد جاء لهذا الغرض ، أى لكى يكون المسيا ، الملك المنتظر ، لماذا كان يحاول اذن فى فترة خدمته العلنية أن يخفى حقيقته عن التلاميذ فى بعض الأحيان وعن الجمهير فى معظمها ••• ؟ ألم يقبل

اعتراف بطرس بسرور ورضى ؟ الاعتراف الذى جاء بوحى من الآب والخاص بمسيانيته : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » • ألم يقل له مشجعا ومهنتا على هذا الاعلان العظيم : « طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » (متى ١٦ : ١٧) •

من الواضح الجلى أن يسوع لم يرفض لقب المسيا ، فهو لهذا قد جاء ولهذا ولد • ولكن إذا كنا نرى يسوع يرفض فى أحيان كثيرة بل فى معظمها المظاهرات والاعلانات والتهافتات التى تهدف إلى إعلان مسيانيته ، فذلك يرجع إلى بعض الحقائق الهامة • وأولى هذه الحقائق هى :

١ - التمييز :

فعندما تبني يسوع هذا الموقف — أى موقف السرية والخفاء — أراد بذلك أن يميز نفسه عن كل الذين ادعوا لأنفسهم هذا الشرف • فكل الذين سبقوه فى هذا المضمار ، أى الذين نادوا بمسيانيتهم والذين وعدوا الشعب بتحريره من الاستعمار الأجنبى الذى كان جاثما على صدر الأمة اليهودية ، لم يكونوا إلا سراقا ولصوصا (يو ١٠ : ٧ — ٨) • ولذلك فقد أراد يسوع أن يميز الشعب بينه (المسيا الحقيقى) وبين كل الحركات والأحزاب السياسية وخاصة الحركات المسيانية المنتشرة فى ذلك الوقت ، والتى منها خرج عدد لا بأس به ، يدعى بأنه المسيا المنتظر • والمسيا الذى كان ينتظره الشعب فى ذلك الوقت يختلف كل الاختلاف عن شخص الرب يسوع وعن مفهومه للمسيا الحقيقى ، المسيا المخلص للشعب من خطاياهم •

فالشعب اليهودى المستعمر كان ينتظر مسيا سياسيا وعسكريا يستطيع بسيفه وقوته أن يخلص الشعب من براثن الرومان ، ويقود

الأمة اليهودية كلها لا إلى الاستقلال الوطنى والحكم الذاتى فحسب، بل إلى نصر عظيم شامل ، أى أن الأمم التى كانت تستعبد وتحكم وتسيطر على الأمة اليهودية ، تصبح هى بدورها وبفضل المسيا مستعبدة لأمة إسرائيل ، إن كثيرين من اليهود كانوا ينتظرون مسيا من هذا النوع، مسيا سياسيا وعسكريا . وهذا الاعتقاد لم يسيطر على اليهودى العامى فقط ، بل سيطر أيضا على كثيرين من علماء اليهود ، بل سيطر أيضا على كثيرين من التلاميذ . ولهذا السبب كان سؤال رئيس الكهنة ليسوع : « أنت المسيح ابن المبارك ؟ » شركا أراد به أن يخيب آمال اليهود الذين وضعوا آمانهم فيه كمسيا وكمحرر لهذه الأمة . وهذا ما أراد يسوع أن يتجنبه ، ذمّع أن يسوع كان واعيا ومدركا تمام الوعي والادراك بمسيانيته ورسالته الخطيرة ، إلا أنه كان يحاول جاهدا أن يخفى هذا الأمر عن الجماهير وعن التلاميذ فى بعض الأحيان ، لأنه كان يدرك ويعرف الفرق الشاسع والهوة العميقة بين شخصيته (المسيا الحقيقى) وبين مفهوم الجماهير للمسيا المنتظر . وإنا نرى هذا الأمر واضحا كل الوضوح فى الحوار الذى بين يسوع وبطرس بعد أن اعترف هذا الأخير بمسيانية يسوع (متى ١٦ : ١٣ - ٢٨ ، مر ٨ : ٢٧ - ٣٨ ، لو ١٩ : ١٨ - ٢٧) .

إن الدارس المدقق لهذه الفصول المذكورة أعلاه ، يلاحظ تحولا جوهريا وظاهرا فى تعليم يسوع ، فقبل هذا الاعتراف لم يتكلم يسوع بطريقة واضحة وصريحة عن آلامه وصلبه وموته . ولكن بعد أن اعترف بطرس بوحي من الآب بأن يسوع هو المسيح « المسيا » ، يأمر تلاميذه بأن لا يكلموا أحدا عن مسيانيته ، « حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح » (متى ١٦ : ٢٠) فيسوع يأمر تلاميذه باخفاء هذا الأمر .

« من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه ، أنه ينبغى أن

يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ، وفى اليوم الثالث يقوم • فأخذه بطرس إليه وأبتدا ينتهره قائلا حاشاك يارب ، لا يكون لك هذا • فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى يا شيطان • أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس • (متى ١٦ : ٢١ — ٢٣) •

فبعد أن أعلن بطرس هذا الإعلان : أى أن يسوع هو المسيح « المسيا » • « من ذلك الوقت •• » أى من تلك اللحظة التى فيها أوحى الآب لبطرس هذا الوحي الخاص بمسيانية يسوع ، وبعد أن قبل يسوع برضى وسرور هذا الاعتراف مطوبا بطرس من أجله ، بدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ، لا لى يكون ملكا بل لى يتألم ويموت • هذا التعليم يعد جديدا على التلاميذ ، فيسوع قد عمل المعجزات أمام أعينهم ، شفى المرضى وحمل رسالة تعزية وتشجيع للمتألمين والحزانى ، بشر بالإنجيل ، ولكنه لم يتكلم قبل ذلك بطريقة واضحة وصريحة عن آلامه وصلبه وموته •

ولقد اندهش ، بل غضب التلاميذ كلهم لهذا التعليم الجديد ، وعلى رأسهم بطرس نفسه الذى اعترف بمسيانية يسوع ، ولذلك فقد « أخذه إليه وأبتدا ينتهره قائلا حاشاك يارب ، لا يكون لك هذا » •

إن بطرس يترجم هنا بسلوكه هذا ، المفهوم العام والمنتشر فى تلك الفترة ، الخاص بالمسيا • فلقد رأى التلاميذ ، كما رأى كثيرون من اليهود ، فى المسيح ، المسيا الذى سيخلص إسرائيل من الاستعمار الرومانى (او ٢٤ : ٢١ ، يو ٦ : ١٥) • أما يسوع — المسيا الحقيقى — فكان يحاول بصبر وطول أناة أن يعلن لهم هذه الحقيقة بطريقة صحيحة ومختلفة عن المفهوم الشعبى الخاص بالمسيا • وعندما أوحى الآب

لبطرس هذه الحقيقة ، حقيقة مسيانية يسوع ، « من ذلك الوقت ... »
 بدأ يسوع يعلن لتلاميذه أمر آلامه وصلبه وموته .
 ولقد كان هذا الأمر غريبا كل الغرابة على التلاميذ لأنهم
 كانوا لا ينتظرون موت المسيح بل انتصاره وملكه ، فكم من
 المرات حلم بعض التلاميذ بأن يحتل أحدهم الكرسي الذى على
 يمينه وأن يحتل الآخر الكرسي الذى على يساره فى ملكوته العتيق
 (متى ٢٠ : ٢١) . ألم يتشاجر أيضا التلاميذ فيما بينهم لكى يعرفوا
 من هو الأكبر ؟ (لو ٢٢ : ٢٤ - ٣٠) . لأجل هذه الأسباب أراد
 المسيح أن يحول أنظار التلاميذ بل الجماهير أيضا ، بعد
 اعتراف بطرس ، إلى حقيقة سامية عظيمة غابت عن أذهان التلاميذ
 والجماهير وهى أنه فعلا المسيا ، ولكنه مسيا يختلف الاختلاف كله عن
 كل الذين سبقوه من المسايا الكذبة ، إنه يتميز عن هؤلاء جميعا بأنه
 هو الذى سيتألم بدل الشعب ، بل أكثر من ذلك إنه سيموت . وإنجيل
 مرقس يوضح لنا هذه الحقيقة بالقول : « ودعا الجمع مع تلاميذه وقال
 لهم من أراد أن يأتى ورأى فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى ... »
 (مر ٨ : ٣١ - ٣٨) .

إن اعتراف بطرس بمسيانية المسيح ، يبدو أنه كان فى حيز ضيق
 واطار محدود وهو دائرة التلاميذ ، ولكن إعلان يسوع عن موته كان
 علانية ، « ودعا الجمع مع تلاميذه » . وهذا الأمر أى إعلان يسوع
 عن آلامه وصلبه وموته ، بطريقة جهارية أمام الجمهور ، أثار غضب
 بطرس ، « فأخذه إليه وأبتدا ينتهره » أى أن بطرس أخذ المسيح على
 انفراد وبدأ ينتهره على هذا الاعلان الذى لا يتفق مع المسيانية ومع
 مستقبله الشخصى ومستقبل ملكوت الله . وكأنى به يقول للمسيح :
 « ياسيد إن كلامك هذا عثرة عظيمة جدا فى نظر اليهود ، لأن هذا الشعب

المستعمر المذل لا يريد ملكا ضعيفا يحمل صليبه ويدعو الجمهور لقبول الصليب وحمله ، بل يريد مخلصا سياسيا وعسكريا ودينيا .

وينظر المسيح إلى بطرس ويرى كل الأحلام المسيانية وأمجادها التى كانت تجول بخاطره (بطرس) وعندئذ يقول : « اذهب عنى يا شيطان ، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (مر ٨ : ٣٣) ، فالمسيح بدوره ينتهر بطرس واصفا إياه بشيطان ، لأنه لا يهتم بما لله ولكن بما للناس .

وماذا يعنى المسيح بهذه الجملة ؟ ما هو عدم الاهتمام بما لله والاهتمام بما للناس ؟ لقد عرف المسيح أن بطرس ، حتى بعد اعترافه بمسيانيته ، كان يشارك معاصريه فى أفكارهم ومفهومهم الخاص بالمسيا ، أى أن المسيح أو المسيا يجب أن يكون قويا جبارا محاربا محنكا يناضل لتحرير البلاد من الاستعمار ، لكى ترجع السلطة والسيادة إلى إسرائيل (إرجاع الملك الى إسرائيل) (ا. ع ٤:١ - ٦) . وهذا يعنى أن أفكاره وأفكار الشعب الخاصة بالمسيا لا تهتم بما لله ولكن بما للناس ، لأن كل هم إسرائيل كان منصبا فى ذلك الوقت ليس فقط على تحرير بلادهم من العدو المستعمر الرومانى ، بل أيضا على اتساع ملك إسرائيل وسيطرته على الأمم المحيطة به . هذه هى الطموحات والآمال والأحلام التى كانت تسيطر على الشعب اليهودى فى ذلك الوقت . إنها أحلام مادية جسدية وسياسية ، أحلام أنانية لا تبحث إلا عن الفائدة الشخصية : تحطيم وإزالة أعداء إسرائيل ، ثم البحث عن مجد وعظمة واتساع ملك إسرائيل . والمسيح يرى بعينيه الثاقبة ، فى موقف اليهود عامة وموقف بطرس خاصة نفس التجربة التى حاول المجرب أن يوقع فيها السيد عندما أراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها والمسيح ينظر إلى بطرس ويرى فيه نفس المجرب الذى جربه فى الصحراء بتجربة العظمة والغنى

والجاء والسلطان ، وهنا نرى بطرس يقوم بنفس الدور الذى قام به مجرب الصحراء ، فلقد جاء هذا المجرب بعد تجربة الصحراء إلى السيد لكى يجربه بطرق مختلفة عديدة ، ألم يقل لوقا فى نهاية قصة التجربة : « ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين » • فلم يكن فراق الشيطان للمسيح إلا إلى حين • وهنا نراه وقد عاد إليه بأساليب مختلفة لكى يمد له شراكا جديدة • لهذا السبب رفض السيد اقتراح الشيطان (متى ٤: ١٠) واقتراح بطرس والأمة اليهودية كلها (مر ٨ : ٣٣) بقوله لكليهما : « اذهب عنى يا شيطان » • فالغرض الأساسى والمهم من الطريقة التى اتبعها يسوع فى إخفاء حقيقته ومسيانيته ، فى بعض الأحيان وفى أغلبها ، عن الشعب يرجع إلى حقيقة أن المسيح أراد أن يميز نفسه أو بعبارة أصح أن يعزل نفسه عن المسايا الكذبة ، حتى لا يخلط الجمهور بينه — المسيا الحقيقى — وبين المسايا الكذبة الكثيرين الذين ظهروا على مر العصور ، والذين كانوا معاصرين أيضا له ، أراد يسوع أن يخفى نفسه وأن يظل غير معروف إلى أن يأتى الوقت بعد قيامته من الأموات ، حيث يتعين « ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات ، يسوع المسيح ربنا ٠٠٠٠ » (رو ١ : ٣ ، ٤) •

٢ — لقد أخفى يسوع مسيانيته لكى يتجنب ثورة الجماهير والاضطرابات السياسية :

فإن كان السبب الأول الذى دفع يسوع إلى أن يخفى مسيانيته عن الجماهير كما يبدو لنا هو أنه كان يخشى أن يخلط الشعب بين المسيا الحقيقى والذين يدعون المسيانية ، فإن هناك سببا مهما آخر ، وهو أن السيد كان يخشى قيام ثورة بين اليهود ضد الرومان • فأننا نتفق تماما مع الزميل المحبوب والدارس العالم المنقب الدكتور القس فهمى عزيز فى قوله : « إن يسوع طلب من تلاميذه ومن غيرهم أن لا يظهروه لوجود

الفرق والهوة السحيقة بين ما كان يعتقد اليهود عن المسيح وبين ما يعلمه هو

هذا صحيح ، لأن مفهوم اليهود الخاص عن المسيح يختلف اختلافا كبيرا وجزئيا عن حقيقة يسوع الناصرى . إذ أن آمال اليهود وانتظاراتهم كانت محدودة نحو مسيا سياسى وطنى يحرر إسرائيل من الاستعمار محطما قوى القوى . أما يسوع فقد جاء لا لى يحطم ويكسر ويهدم ، بل لى يحرر من عبودية الخطية ، ولكى يبنى ملكوتا جديدا يسود فيه السلام والبر الروحى والمعدل الاجتماعى أيضا . هذا هو المسيح الحقيقى .

والفرق بين هذا المسيح وبين الأنبياء والرسل واسع ، شاسع . فإن الأنبياء والرسل كانوا يعملون ويتصرفون بطريقة وسطية ، وكانوا يطلبون بصلاة ودموع أن تستجاب صلواتهم وتضرعاتهم لأن العمل الذى كانوا يقومون به عمل مرسل ، أى أن يهوه نفسه قد وشحهم بقوة من لدنه ، ولذلك فإن القوات والمعجزات التى كانوا يقومون بعملها وإجرائها ، كانوا يقومون بها باسم يهوه وبقوته ، وليس باسمهم أو بقوتهم أو بسلطانهم « كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى » (أع ١٣ : ١٢) . والفرق بين المسيح الحقيقى والذين سبقوه والذين جاءوا بعده أيضا ، هو أن هؤلاء كانوا يطلبون من الله أن يمنحهم القوة والنعمة والسلطان لعمل المعجزات ، أما يسوع ، فمع أنه كان يصلى قبل أن يقوم بعمل المعجزات والآيات التى كان يقوم بعملها ، إلا أنه كان يقوم بهذه الأعمال من معجزات ، شفاء المرضى وإقامة الموتى . . . ، بقوة داخلية نابعة منه ، فهو الوحيد الذى يستطيع أن يقول للطفلة التى لفظت أنفاسها الأخيرة : « يا صبية قومى » (لو ٨ : ٥٤) ثم للمازر : « لمازر هلم خارجا » (يو ١١ : ٤٣) .

والدكتور فهميم لا يتفق مع الرأى القائل ، بأن المسيح كان يخشى ثورة الجماهير ، ونحن نأسف لعدم اتفاقنا مع الزميل المحبوب فى هذه النقطة والتي سنرجع إليها فيما بعد (١) ، على أننا نكتفى هنا بالقول بأن المسيا قد قام بأعمال المسيا لأنه كان فعلا المسيا ، وكان مدركا كل الادراك لهذه الحقيقة الهامة . فإن كان يسوع قد قام بأعمال مسيانية، فذلك لأنه أولا وقبل أن يقوم بهذه الأعمال ، كان المسيا ، صحيح أن العمل مهم ومهم جدا لظهور مسيانية يسوع ، ولكن الأهم من ذلك كله هو أن، هذا الشخص يسوع ، كان يعمل هذه الأعمال (من المعجزات الخارقة للطبيعة وعمل قوات) لأنه كان المسيا ولأنه لهذا قد ولد ، ولهذا قد جاء إلى العالم .

وكما سبق القول إن الأنبياء والرسل كانوا يعملون هذه المعجزات بطريقة وساطية ، أما يسوع فكان يعملها بسلطان منه ، فقد كانت معجزاته وتصرفاته وأعماله بسلطان داخلى نابع منه ، وليس عن طريق هبة خاصة أو نعمة قد منحت له . ولهذا فقد اندمشت الجماهير من طريقة تعليمه قائلا : « ما هو هذا التعليم الجديد ، لأنه سلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه » (مر ١ : ٢٧) . فقد كان يسوع هو المسيا لأنه لهذا قد جاء ولهذا قد ولد .

ولذلك فقد قام بهذه الأعمال المسيانية ، وهو الوحيد الذى استطاع أن يقول : « قد سمعتم أنه قيل للقديسين لا تقتل وأما أنا فأقول لكم » ، وهنا يوضح يسوع سلطانه ، بأنه سلطان نابع من الداخل ، أنه مساو تماما لذلك الذى قال لا تقتل ، فإن سلطان يسوع سابق لأعماله وكما يقول المثل الفرنسى : « ليس الأعمال الصالحة هي التي تصنع قديسين ، بل إن القديسين يعملون الأعمال الصالحة » . فليست

(١) انظر كتاب الدكتور فهميم عزيز - ملكوت الله ص ١٦٨ .

الأعمال التي قام بها يسوع هي التي جعلته مسيحا ، بل لأن يسوع ، قبل أن يقوم بهذه الأعمال ، كان المسيا الذي تنبأ عنه الأنبياء والذي هو في جفن الآب ، ولذلك فقد عمل هذه الأعمال المسيانية .

ولنرجع الآن إلى النقطة التي تركناها معلقة آنفا ، وهي أن يسوع كان يخفي مسيانيته لكي يتجنب ثورات الجماهير والاضطرابات السياسية . لقد سبق أن أشرنا إلى أن يسوع حاول أن يخفي مسيانيته لكي لا تخط الجماهير بينه هو المسيا الحقيقي والمسايا الآخرين ، ولكن يسوع أخفى مسيانيته عن الجماهير لسبب آخر ، لتجنب الاضطرابات السياسية التي كان يمكن أن تحدث نتيجة لهذا الخط وعدم التمييز بين المسيا الحقيقي والمسايا الكذبة .

لقد سبق أن أشرنا أكثر من مرة في الفصول السابقة إلى الصراع العنيف والدامي الذي شنته الحركات اليهودية وخاصة المسيانية ضد القوات الرومانية المستعمرة ، ولقد رأينا أيضا كيف ردت القسوات الرومانية على الهجمات التي قام بها بعض اليهود ضدهم . فقد قام يهوذا الجليلي بثورة دامية في سنة ٦ ب.م بسبب الاحصاء الذي قامت به روما والتي كانت تتوى من ورائه فرض ضرائب على اليهود . ولقد رأى يهوذا الجليلي مع جماعة من أصحابه أن قبول هذه الضرائب ودفعها لأمة وثنية مثل روما ، إهانة عظمى وخيانة شنيعة في حق يهوه . ولذلك فقد نظم حملات توعية ومقاومة ضد الرومان وضد عملية الاحصاء ، وحاولت روما اخماد هذه الثورة بالعنف والقتل والتشريد . وبذلك اتسعت الفجوة وازداد الخلاف حتى وصل أشده بين اليهود والرومان ، خصوصا الذين كانوا يتزعمون أو ينتمون إلى حركات وطنية تحريرية استقلالية . ولا يمكننا أن نقول بأن اليهودية كلها ثارت ضد الرومان ، بل إن الذي حدث هو ما يحدث عادة كما نلاحظ في تواريخ الاستعمار ، أي أن جماعة من

الوطنيين تنضم إلى المستعمر وتتعاون معه لحساب مصالحها الشخصية، وقد انضمت إلى القوات المستعمرة الرومانية ، بعض الطبقات الغنية التي كان لها تأثيرها مثل جماعة الكهنة الارستقراطية . على عكس ذلك فقد ازدادت الحركات التحررية الاستقلالية الوطنية التي كانت تهدف إلى تحرير البلاد بطرد المحتل الروماني وقلب النظام الراهن في الهيكل . ومن هذه المنظمات التحريرية منظمة أو جماعة الغيورين . وجماعة الغيورين هذه تنقسم إلى حزبين كما سبقت الإشارة إلى ذلك : حزب الغيورين المعتدلين والحزب المتطرف (SICARI) (SICAIRE) وهذا الحزب الأخير كان في صراع وحرب مستمرة ، ليس فقط مع الرومان المستعمرين بل أيضا مع أي يهودي يمد يد المساعد والتعاون إلى أعوان الاستعمار ، ولقد استعمل هذا الحزب كل وسائل العنف من سرقة ونهب وقتل ، للوصول إلى الغاية المنشودة وهي تحرير البلاد من الاستعمار .

ولقد قام هذا الحزب بالحملات الهجومية والقتل ضد الرومان وأعوانهم باسم يهوه ، وكان أتباع هذه الحركة ينتظرون ظهور المسيا ، وأنه ربما يظهر المسيا المنتظر والمحرر في وسطهم . وبهذه الغيرة أي الغيرة المسيانية - حاربوا وناضلوا ضد الرومان وأعوانهم . أما الرومان فلم يوقفوا مكتوفي الأيدي إزاء هذه الحركات المسيانية ، بل تتبعوها أينما وجدت ، وحاربوها بكل قوتهم وجيوشهم . ولقد ظهرت في أيام المسيح عدة حركات مسيانية قامت كالعبادة ضد الرومان . وازدادت هذه الحركات المسيانية في العدد وفي القوة في أيام السيد وبعده وخصوصا في سنة ٦٦ ، السنة التي اندلعت فيها الثورة المفتوحة والاضطرابات العامة الموجهة ضد الرومان واستمرت إلى سنة ٧٠ عندما قضى على أورشليم بسقوطها وحرثها بمحراث .

ودارس التاريخ اليهودى يلاحظ كم كان لهذه الحركات المسيانية الغيورية من تأثير على الرومان ، لأنها كانت منظمات فدائية ، تهجم على العدو الرومانى ببسالة وشجاعة . ومعظم هذه المنظمات كانت تقوم بهذه الأعمال الهجومية التخريبية باسم يهوه . ولأنها حركات مسيانية، فإنها كانت تحلم ليس فقط بالاستقلال والتحرير بل بالسيطرة أيضا . ولهذا السبب كانت السلطات الرومانية يقظة واعية مفتوحة العينين على كل حركة مسيانية . فعند ظهور أى شخص أو أى منظمة أو حركة من هذا النوع ، لم تتأخر عن الضرب بشدة ، والقضاء على هذا الشخص أو هذه المنظمة أو الحركة ، لأنها كانت تعلم الخطر الداهم الذى يمثله هذا الحزب على سلامة روما واستمرارها فى المنطقة .

ولقد سجل لنا يوسيفوس المؤرخ اليهودى الكثير من الخواث التى جرت فى هذه الحقبة من الزمن خصوصا الأحداث التى دارت بين الحركات المسيانية وبين السلطات الرومانية ، وكيف أن هيرودس قد حاول أن يخمدّها بل أن يسحقها سحقا نهائيا عندما أمر بأشد العقوبات وأقساها على الشباب الذين تجرأوا وأنزلوا النسر الرومانى من على مقدمة الهيكل وسحقوه . ولقد كان هذا التدخل المسلح سببا فى إثارة سلسلة طويلة من الاشتباكات المسلحة بين القوات الوطنية والقوات الرومانية ثم يقص لنا قصة الجماعة المسيانية التى قسامت فى أيام أرخيلائوس (ARCHELAUS) والتى حاولت هى بدورها أن تنتقم لدماء الذين حكم عليهم بالموت لثورتهم ضد الطبقة الحاكمة ، ولكن لم يكتب لهذه الحركة أى نوع من الفلاح . وجاء بعد ذلك يهوذا الجليلى وسيمون (سمعان) ثم الغيورون .

وفى ذلك العصر المضطرب سياسيا واجتماعيا ودينيا ، ظهر على جانب الأردن نبى يدعى يوحنا المعمدان وقد تبعه الكثيرون وكانوا

يطلبون الاعتماد بمعموديته • ومع أن يوحنا المعمدان لم يصطبغ بالصبغة السياسية التى اصطبغ بها الكثيرون من أتباع الحركات المسيانية السابقة الذكر ، إلا أن كثيرين من اليهود والسلطات الرومانية اعتبروه واحداً من هؤلاء القادة المسيانيين « وقام هيودس باعدامه كواحد من هؤلاء الثوار العديدين الذين قاموا ضد الحكم الرومانى » (١) •

وهنا نرى الخطر العظيم ، بل الموت المؤكد الذى كان يتهدد كل من يدعى بأنه مسيا • والآن يمكننا أن نفهم لماذا كان يسوع يحاول دائماً أن يخفى مسيانيته • فيسوع لم يحاول أن يخفى مسيانيته خوفاً من العذاب أو الموت ، بل كان يخفى مسيانيته لأنه لم يكن هو المسيا الثورى المثير للشغب والفوضى فى وسط الشعب • هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان يعرف جيداً أن كلامه عن مسيانيته سيجد تربة جيدة صالحة ومهيأة ، ليس لقبول المسيا المخلص من الخطايا ، بل للتخريب والتهافت ! تحسب الحربى الذى سيطرد المستعمر الرومانى من البلاد • ألم يحاول هذا الشعب أن يختطفه لكى يجعله ملكاً ؟ (يو ٦ : ١٥) • فلو نادى المسيح علانية بمسيانيته لفهم الجمهور كلامه هذا على أنه المسيا السياسى ! المحرر لاسرائيل والمعادى لروما ، أى أنه يصبح فى أعينهم محرراً سياسياً وحربياً على مثال ماتاتياس وأبنائه ويهوذا الجليلى وآخرين •

كان هذا الأمر لا بد وأن يدفع الرومان إلى اخماد هذه الثورة ، كما فعلت بلا تردد مع ثورات شعبية عديدة فى فلسطين • ولأجل هذا تحاشى السيد بكل وسيلة ، الاحتكاك بهذه القوات الحاكمة وعدم

(١) هذه النصوص مقتبسة من كتاب R. Bultmann. Jésus Mythologie Et Démythologisation ص ٣٦ - ٤٧ . م ٢٠ - تاريخ الفكر المسيحى

الاصطدام بها ، ليس لأنه كان يخشى قوتها وبأسها وبطشها ، بل لأنه كان لا يريد أولا وقبل كل شيء ، أن تخلط القوات الرومانية أو أن يخلط أيضا الشعب اليهودى بينه — المسيح الحقيقى — وبين المسايا الكذبة . كما كان لا يريد بأى حال من الأحوال أن تكون مسيانيته وإعلانها سببا فى إثارة الثورات والهجانات وإسالة الدماء .

وكم من المرات حاول اليهود المضادين ليسوع الايقاع به فى يد الرومان وتقديمه لهم كمسيا على نمط يهوذا الجليلى الذى قام بثورته ضد الرومان حاثا اليهود على عدم دفع الجزية لقيصر . ألم يتقدم إليه فى يوم من الأيام الفريسيون والهيروودسيون وسألوه هذا السؤال : « يامعلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنتظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن . أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ » فعلم يسوع خبتهم وقال لماذا تجربوننى يامراؤون . أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (متى ٢٢ : ١٥ - ٢٢) . لقد سبق أن شرحنا هذا الفصل فى صفحات سابقة ولكننا نريد أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى تصرف يسوع إزاء هذا السؤال الخطير .

فالشرك الذى نصبه هؤلاء لاصطياد يسوع مكشوف معروف ، ولكنه كسيف ذو حدين ، ومن المقدمة نشتم رائحة الكذب والخبث والمكر والدهاء ، وأن الهدف منه هو دفع يسوع إلى أن يجاوب بالنفى . فقولهم له : « يامعلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنتظر إلى وجوه الناس » ، أى إنك تستطيع أن تقول الحق حتى ولو كان هذا الحق ضد السلطات الرومانية نفسها . لأنك تعلم الحق ، فأنت ابن الله الذى لا يخشى ولا يخاف السلطات الأرضية الزمنية مهما كانت قوتها وعظمتها . ومع أن الذين سألوا هذا السؤال — أى الهيروودسيون والفريسيون — كانوا لا ينتظرون من الإجابة إلا

نتيجتها وآثارها على يسوع ، فإن الغيورين كانوا يتوقعون اجابة واضحة صريحة وثورية ، أى بالنفى • أما الهيودسيون والفريسيون ، فقد خططوا بسؤالهم هذا لتسليم يسوع إلى الموت • فلو أجاب يسوع على هذا السؤال بأنه لا يجب دفع الجزية لقيصر ، لاعتبرته السلطات الرومانية زعيما من زعماء حزب الغيورين الذين كانت تطاردهم الجيوش الرومانية وتقاتلهم أينما وجدوا • ولو أجاب المسيح بأنه يجب دفع الجزية لقيصر ، لطارده الغيرون وقتلوه • هذه هى النتيجة التى كان يسعى الهيودسيون والفريسيون للوصول إليها • أما يسوع فكان يرى خطرا أهم وأشمل : فإن اجابته بالنفى أو بالاجاب كانت لابد وأن تثير اشتباكات حربية بين الغيورين وبين الرومان • إن السؤال شرك سياسى خبيث •

ولوقا يقول : « فعلم يسوع خبيثهم وقال لماذا تجربوننى يا مراؤون • • • أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله • • • » وبهذه الاجابة استطاع يسوع أن يتجنب الثورات الشعبية التى كان يمكن أن تنتج من اجابة أخرى • • • ولقد ظن الذين سألوا هذا السؤال بأن اجابة يسوع ستكون بالنفى ، أى عدم دفع الجزية لقيصر ، لأنهم ظنوا بأنه سيدعى بأنه المسيا •

حاول يسوع هنا أيضا أن يخفى مسيانيته للأسباب السابقة الذكر ، أولا : لأنه ليس هو المسيا الذى نسجته المخيلة اليهودية والغيورية • وثانيا : ليس هو المسيا الذى يسبب الاضطرابات السياسية والاجتماعية والدينية ، بل هو المسيا الذى يمنح السلام للنفوس المضطربة سياسيا واجتماعيا ودينيا •

وقبل أن نترك هذه المشكلة نود أن نلفت نظر القارئ إلى نقطة هامة فى اجابة السيد على هذا السؤال المسموم ، فإنه بهذه الاجابة :

« أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » أراد السيد أن يوضح علاقة الانسان بالدولة التى ينتمى إليها ، فإن كان المؤمن ليس من العالم إلا أنه يعيش فى العالم . والمسيح فى صلاته الوداعية يقول : « لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير » (يو ١٧ : ١٥ - ١٦) . فالمؤمن بعد قبوله المسيح يصبح مواطناً سماوياً وتابعاً ملكوت الله . وهذه العضوية الجديدة تتطلب بأن يسلك الانسان بحسب الدعوة التى دعى بها ، أى بتدقيق وأمانة ، مالمكا فى حياة البر والقداسة ، القداسة التى بدونها لا يرى إنسان الله . ولكن هذه الحالة الجديدة ، أى انتسابه إلى الملكوت الجديد ، ملكوت الله ، لا تتطلب منه بأى حال من الأحوال أن يترك العالم الذى يعيش فيه ، ولا أن يثور ضد السلطات الحاكمة القائمة مادامت لا تعترض طريقه ولا تمنعه عن عبادة الله . « أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . يعنى أن المسيح يريد من المؤمن ، الذى يعيش فى العالم والذى يجبر على أن يعيش فى العالم لكى يكون نورا للعالم ، أن يؤدى واجبه نحو الوطن كأى مواطن صالح يسعى دائماً لتقدم وطنه ، والقيام بالتزاماته المادية والأدبية وأن يكون خاضعاً لعادته ولرؤسائه (رو ١٣ : ١ - ٢) . فمع أن المسيحى مواطن سماوى « لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » (عب ١٣ : ١٤ ، فى ٣ : ٢٠) فهو مازال مواطناً أرضياً أيضاً ، يعيش فى العالم ويتعامل معه . ولهذا يجب أن يخضع لقوانينه وأحكامه وقادته الذين من واجبهم أن يحكموا الشعوب بعدل وحكمة . فواجب المؤمن المسيحى ازاء الحكام فى المجتمع ، هو الخضوع والطاعة للحكام ، الذين يحكمون البلاد بالعدل والاستقامة . أما إذا ابتعد الحاكم عن قوانين العدل ولجأ إلى للظلمة والظلم وعدم المساواة بين المواطنين ، فعلى المسيحى المؤمن فى هذه الحالة الالتجاء إلى الله بالصلاة والصوم ، لأن الله فى محبته وحكمته ، يستطيع أن يرشد المؤمن فى هذه الظروف حتى يكون مواطناً عاملاً نشيطاً يسعى لبنیان وتقدم الوطن . فالمسيح لا يريد أن يكون

المؤمن سلبيا: بل ايجابيا • والايجابية تتطلب الحركة والعمل والاشتراك
 فى المشاريع السماوية والوطنية • فلا خوف إذا من الاشتراك فى مشاريع
 الوطن الذى نعيش فيه ، ولكن الخوف هو أن يصبح المؤمن مواطنا
 أرضيا ، ومواطننا أرضيا فقط • إن المؤمن ملزم بأن يعطى ما لقيصر لقيصر
 وما لله لله ... أى أنه ملزم أن يعيش فى هذا العالم ولكنه كتور للعالم •
 ويعطينا التقدير الحكمة والشجاعة لكى لا ننفلت عن هذا العالم • ونعيش
 فى الصحارى ، بل لنعيش فى هذا العالم لكى نؤدى له الرسالة التى وضعها
 السيد علينا ، لأنه عندما جاء إلى عالمنا لم يكن منعزلا عن الناس ، فى
 صحارى وقفار بعيدا عن العالم وما فيه ، بل عاش وسط الناس ، صار
 مثنا تماما مجربا فى كل شيء ماعدا الخطية •

بعض المراجع الخاصة بمسيانية يسوع

١ — الدكتور القس فهم عزيز — ملكوت الله — صدر عن دار الثقافة المسيحية .

2. R. Bultmann : Jesus. Mythologie et demythologisation. Ed. du Seuil.
3. R. Bultmann : Theology of the N. T. Volume 1. & Vol. 2
4. W. Bousset : Jesus Tr. by Janet P. Trevelyan, 1906.
5. R. Bultmann : Jesus and the Word, Tr. by Louise p. Smith and Erminie Huntress. 1934.
6. F. C. Burkitt : Jesus Christ, 1932.
7. Maurice Goguel : The Life of Jesus. Tr. by Olive Wyon 1933.
8. A.C. Headlam : Jesus Christ in History and Faith 1929.
9. A. Schweitzer : The Quest of the historical Jesus 1910.
10. G. Bornkamm : Qui est Jesus de Nazareth ? Ed. du Seuil.
11. Rend Marie Bultmann et P, interpretation du N. T. Aubies Ed. Montagne.
12. MGR. Barthmann : Precis de Theologie Dogmatique.
13. O'cuimann : Christologie du N. T. Neuchatel, 1958 (sur-tout p. 97 — 117).
14. O'Culmann : Dieu Et Cesar.
15. Taylor : The Names of Jesus 1953.
16. A Causse : L'Evolution de L'Esperance Messianique dans Le Chrestianisme Primitive.
17. C. Piepenbring : Jesus Historique.
18. O. Cullmann : Jesus Et Les Revolutionnaires de Son Temps (dela chaux & Niestle).
19. Emile Brunner : Dogmatique Tome 2 pp. 305 - 424.
20. Karl Bart : Dogmatique Premier Vol. La Doctrine de La Parole de Dieu : Prolegmene a la Dogmatique. Tome Deuxieme. Ed. Labor Et Fides. Geneva).

الفصل التاسع

الفصح والعشاء الرباني

في هذا الفصل الذي سنتحدث فيه عن آلام المسيح وصلبه وموته ثم قيامته ، ستعترضنا أسئلة كثيرة مختلفة ومتنوعة . والسؤال الأول الذي يطرح نفسه هو : كيف يمكن القول بأن المسيح تألم ومات ، كما يتألم ويموت أى إنسان آخر ، وهو الله الذى ظهر فى الجسد . وهل الله يشعر بالآلام ويموت ؟ والسؤال الثانى هو : لماذا هذه الآلام ؟ ما هو موقف العصريين من آلام وموت المسيح ؟ هل موت المسيح كان ضرورياً ، وهل جاء لكى يموت ؟ وأمام مشكلة القيامة فقد تساءل أيضاً اللاهوتيون وغير اللاهوتيين . فالأسئلة لا يمكن حصرها أو عدها ، ولذلك فسنكتفى ببعض الأسئلة ليس على سبيل الحصر بل على سبيل المثال فقط .

هل الإيمان بقيامة المسيح المصلوب عرف طريقه إلى أذهان وأفكار التلاميذ قبل أن تحدث حادثة القيامة ، أم أن القيامة حدثت قبل أن يعرف الإيمان بقيامة المسيح طريقه إلى أذهان التلاميذ وعقولهم ؟ هل قيامة المسيح حادث تاريخى حقيقى كأي حقيقة تاريخية أخرى قد حدثت فى زمان ومكان معينين ؟

هل الأناجيل والرسائل التى تتكلم عن قيامة المسيح من الأموات،

نتكلم عن قصة حقيقية واقعية أم نتحدث عن قصة خرافية أو أسطورة؟

وقبل أن نحاول الإجابة على هذه الأسئلة أو على بعضها ، وقبل أن ندخل إلى بستان جثسيمانى حيث صارع المسيح صراعا عنيفا فتحول عرقه إلى دم ، وقبل أن نتحدث عن مثوله أمام قيافا فبيلاطس ، فهيرودس فبيلاطس مرة أخرى ، وقبل أن يخوض المسيح فى التيارات الجارفة ، وقبل أن يقاسى الآلام المبرحة العنيفة ، قبل هذا كله نود أن نلبى رغبة له قد رغبها هو نفسه عندما قال لتلاميذه معبرا عن هذه الرغبة التى كان يريد أن ينفذها قبل موته : « وقال لهم شهوة اشتهيت أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم » (لو ٢٢ : ١٥) •

أود إذن أن نقف ولو قليلا أمام حادثة الفصح التى أصبح فيها المسيح الكاهن المقدم للذبيحة ، وفى نفس الوقت كان هو الذبيحة نفسها • بهذه « الشهوة » أراد المسيح أن يذشن فصحا جديدا يختلف اختلافا كليا عن الفصح الذى أمر به يهوه شعبه فى مصر (خر ١٢ : ١ - ٥١) ، والذى كان اليهود وما يزالون يحتفلون بممارسته • وفى نهاية حياة السيد على الأرض أمر إثنين من تلاميذه بإعداد ما يلزم لعمل الفصح (لو ٢٢ : ١ - ١٣) وعلى ما يظهر فإن السيد قد سبق واتفق مع واحد من أصدقائه أو أتباعه ، قد يكون نيقوديموس أو يوسف الرامى أو يوحنا مرقس بأن يدعوهم عنده لممارسة فريضة الفصح • وينطلق بطرس ويوحنا إلى المدينة وعند اقترابهما منها يجدان رجلا يحمل جرة ، وعلى ما يبدو كان خادما لصاحب البيت الذى سيجرى فيه السيد الفصح ، ويقودهما الخادم إليه ، وعندئذ يصعد صاحب البيت معهما ويريهما علىة كبيرة مفروشة ، وهناك أعدا الفصح • وإن كنا نلاحظ فى هذه القصة نوعا من السرية والتكتم فى حديث الرب عن الرجل المضيف وعن مكان الضيافة ، فذلك يرجع إلى أن السيد كان يريد أن

يظل الأمر خفيا غير معروف حتى لا يتمكن اليهود أن يلقوا عليه الأيادي قبل أن تأتي ساعته وقبل أن يتم هذه الشهوة التي اشتهاها ، ألا وهي أن يأكل هذا الفصح الأخير مع تلاميذه قبل آلامه وموته .

وعند التحدث عن العشاء الأخير تعترض سبيلنا مشكلة تاريخية خاصة ، هي سنة موت المسيح ويوم هذا العشاء الأخير . وعلى ما يعتقد فإن يسوع قد مات في سنة ٢٨ ب.م. ولقد سبق أن رأينا أن يسوع ولد حوالي سنة ٥ أو ٤ ب.م. فتكون المدة التي قضاها الرب يسوع على أرضنا هي حوالي ٣٢ أو ٣٣ سنة .

أما المشكلة الثانية التي نواجهها في بحثنا لهذا الموضوع فهي : هل العشاء الأخير أو العشاء الوداعي يعتبر فصحا ؟ أي هل عشاء تناول السيد هذا العشاء الأخير مع تلاميذه ، كان يعتبر أن هذا الطعام الذي يتناونه في هذا الوقت بالذات هو احتفال بعيد الفصح ؟ قوله : « وقال لهم شهوة اشتهيت أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتالم ؟ » (لو ٢٢ : ١٥) .

Digitized by the Alexandria Library

وقبل الخوض في بحث هذه المشكلة يحسن بنا أن نلقى نظرة سريعة على هذا العيد اليهودي . فعيد الفصح عيد عظيم عند اليهود ، فيه يتذكرون ذلك اليوم الذي فيه أنقذهم الرب ليس فقط من ضربة الملاك المهلك الذي ضرب كل ذكر من أبكار المصريين (خر ١٣ : ١ - ٥١) ، بل أنقذهم أيضا من العبودية وحررهم تحريرا كاملا . ولقد كان أمر الرب في تلك الليلة التاريخية التذكارية ، بأن كل عائلة إسرائيلية تريد النجاة من ضربة المهلك ، يجب أن تتحر خروفا وتأكل لحمه مشويا على أعشاب مرة بعد أن تضع من دمه علامة على البيوت . ولقد عيد الاسرائيليون أول عيد فصح في أرض مصر . ومن هذا التاريخ أصبح عيد الفصح عيدا دينيا يحتفل به الاسرائيليون .

كيف كان يحتفل اليهود (ويحتفلون حتى الآن) بعيد الفصح ؟
 إن كل يهودى كان يقوم فى آخر يوم ١٣ وأول يوم ١٤ نيسان بتنظيف
 منزله من كل خبز مخمر بخميرة (تث ١٦ : ٤) وبعد عملية تطهير
 البيت من الخبز المخمر ، تأتي عملية أخرى ، وهى القيام بذبح خروف
 الفصح ، ولكن هذه العملية لا تتم إلا قبل غروب شمس يوم ١٤ .
 (تث ١٦ : ٦) • فهاتان العمليتان (عزل الخبز العادى المخمر وذبح
 الخروف) ، كانتا تتمان فى يوم ١٤ نيسان ، ثم تتبع هاتين الفريضتين
 فريضة أخرى وهى أكل الفصح • ولكن هذه العملية لا تبدأ إلا فى اليوم
 الخامس عشر من نيسان ، يعنى فى مساء يوم ذبح الخروف ، فالخروف
 كان يذبح عادة يوم ١٤ قبل غروب الشمس فيما بين الساعة الثالثة
 والساعة السادسة ، ويؤكل خروف الفصح فى نفس المساء عند ظهور
 القمر الذى يعلن بداية اليوم الخامس عشر من الشهر (١) • وفى الليلة
 التى كان يأكل فيها اليهود خروف الفصح يبدأ عيد الفطير ، الذى
 يستمر سبعة أيام (خر ١٢ : ١٤ - ٢٠) والذى فى خلاله لا يأكل اليهود
 إلا فطيرا لأن الخمير قد عزل من بيوتهم فى نهاية اليوم الثالث عشر
 وبداية اليوم الرابع عشر • ولهذا السبب سمي بعيد الفطير •

كيف كان يعيد بعيد الفصح

يمكننا أن نسمى هذا العيد بعيد العائلة أو الخدمة التعبدية
 العائلية ، لأن العائلة كلها كانت تجتمع لكى تحتفل بهذه المناسبة التاريخية
 العظيمة ، التى فيها يذكرون عمل الرب معهم وكيف أخرجهم بذراع
 قوية ويد ممدودة من أرض مصر ، أرض العبودية والذل والهوان •

(١) فى الحساب اليهودى ينتهى اليوم فى الساعة السادسة مساء • فمثلا
 يوم ١٣ نيسان يستمر الى الساعة السادسة بعد الظهر ، ومن بعد السادسة
 مساء يبدأ يوم ١٤ نيسان •

والذى كان يرأس الخدمة التعبدية فى ذلك اليوم ليس الكاهن بل رب العائلة • فيجلس على المائدة ويحيط به أفراد عائلته وأمامه على هذه المائدة خروف مشوى على أعشاب مرة وفطير • فيبدأ رب العائلة بصلاة فيها يشكر الله على إحساناته وبركاته ، وبعدها يأخذ كأساً من الخمر ويجيزها على الحاضرين ، وعندئذ يشرح للعائلة تاريخ العيد وما يرمز إليه • وبعد أن ينتهى من شرح رمز العيد ، يرنموا معاً مزمورى ١١٣ ، ١١٤ • وبعد الترنيم يوزع عليهم الأعشاب المرة لكى يذكروهم بالأيام القاسية المرة التى كانوا فيها عبيداً فى أرض مصر ، وعندما ينتهى من توزيع الأعشاب المرة يقدم لهم الكأس الثانية ، وهنا يبدأ فى الأكل من خروف الفصح ، ثم يتناول فطيرتين ويغمس نصف إحداهما فى عصير الفواكه ويأكل ، وهكذا يفعل كل أفراد العائلة • بعد ذلك يشربون الكأس الثالثة التى تسمى كأس البركة ، وتتلو هذه الكأس ، كأس أخرى رابعة بعدها تسبح العائلة بترنيم الزامير ١١٥ — ١١٨ • هذا هو النظام الذى كانت تقوم به العائلة اليهودية فى احتفالها بعيد الفصح •

بعد أن رأينا ما هو الفصح اليهودى وكيف كان يمارس ، نطرح الآن من جديد السؤال الذى سبق أن سألناه ، وهو : هل عندما تناول السيد طعام العشاء الأخير مع تلاميذه كان يعتبر أن هذا الذى يقوم فى ذلك الوقت بالذات هو احتفال بعيد الفصح اليهودى ؟ لقد حاول كثيرون من المؤرخين واللاهوتيين الإجابة على هذا السؤال ولكنهم وجدوا كثيراً من الصعوبات • ومنها :

١ — إن الأناجيل الأربعة متفقة كلها على أن يوم موت المسيح كان يوم الجمعة (متى ٢٧ : ٦٢ ، مر ١٥ : ٤٢ ، لو ٢٣ : ٥٤ ، ١٩ : ٣١ ، ٤٢) • ولكن هذه الأناجيل تختلف فى تحديد اليوم الذى احتفل فيه المسيح بعيد الفصح •

فمتى يستعمل عبارة غامضة وغير واضحة وغير محددة لليوم :
 « وفى أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد
 أن نعد لك لتأكل الفصح » (متى ٢٦ : ١٧) • أما مرقس ولوقا
 فيحددان بدقة اليوم الذى قام فيه السيد بالاشتراك فى هذا العشاء
 الأخير وهو يوم الفصح • « وفى اليوم الأول من الفطير حين كانوا
 يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن نمضى ونعد لتأكل الفصح »
 (مر ١٤ : ١٢) • ولوقا يقول : « وجاء يوم الفطير الذى كان ينبغى
 أن يذبح فيه الفصح » (لو ٢٢ : ٧) •

ولكى تكون المشكلة واضحة فى أذهاننا نسأل هذا السؤال : هل
 المسيح تناول مع تلاميذه العشاء الأخير يوم الخميس أم يوم الجمعة ؟

مما لا شك فيه أن السيد لم يتناول هذا الطعام الأخير يوم الجمعة
 لأنه كان معلقا على الصليب • فالعشاء الأخير تم يوم الخميس ، كما
 هو واضح من الاقتباسات السابقة الذكر • فبالرجوع إلى النصوص
 الكتابية فى الأناجيل نلاحظ بأن السيد أرسل يوم ١٣ نيسان إثنين من
 تلاميذه (بطرس ويوحنا) إلى أحد أصدقائه الذى عنده كان يريد أن
 يتناول العشاء الأخير ، لأن الاستعدادات للفصح تبدأ من أول اليوم
 الرابع عشر وخروف الفصح لا يذبح إلا فى نهاية يوم ١٤ نيسان •
 فالمسيح وصل إلى بيت صديقه مع تلاميذه لتناول هذا العشاء الأخير
 فى مساء يوم ١٤ نيسان •

وهنا نسأل هل كان المسيح يعتبر هذا العشاء الوداعى فصحا ؟

إن مرقس ولوقا يشددان على أن هذا العشاء الذى قام به
 المسيح مع تلاميذه هو الفصح (مر ١٤ : ١٢ ، لو ٢٢ : ٧ ، ١٥) • وهنا
 تبدأ المشكلة ، فكيف يمكن أن يعتبر العشاء الوداعى فصحا والفصح لم

يكن قد بدأ من الناحية القانونية • فإن الفصح الذى عمله السيد يسبق الفصح اليهودى بأربع وعشرين ساعة • وربما يسأل سائل : لماذا لا يكون اليوم الذى عمل فيه المسيح كان فعلا هو اليوم الرسمى للفصح • إذ أن مرقس يقول : « وفى اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن نمضي ونعمد لتأكل الفصح » (مر ١٤ : ١٢) ، « وجاء يوم الفطير الذى كان ينبغى أن يذبح فيه الفصح » (لو ٢٢ : ٧) • إن هذه المحادثة دارت بين المسيح وبين تلاميذه فى نهاية يوم ١٣ نيسان وجلس المسيح على المائدة فى بداية يوم ١٤ نيسان ، وبداية يوم ١٤ نيسان يعتبر الاستعداد للفصح • وهذا ما يوضحه إنجيل يوحنا بقوله عن يوم الفصح : « وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة • فقال لليهود هوذا ملككم » (يو ١٩ : ١٤ ، ١٨ : ٢٨ ، ١٩ : ٣١ ، ٤٢) •

وهنا نجد أنفسنا بين مجموعتين من الشهادات الإنجيلية • المجموعة الأولى هى شهادات ما نسميه (بتوافق الاناجيل) أو على الأقل شهادة مرقس ولوقا اللذين يشددان على أن العشاء الذى قام به السيد فى تلك العشية كان فصحا • ثم شهادة يوحنا الذى يسجل لنا بأن اليهود لم يكونوا بعد قد أكلوا خروف الفصح عند صلب المسيح (يو ١٨ : ٢٨ ، ١٩ : ٣١ ، ١٤ : ٤٢) •

فإن كان اليهود لم يكونوا بعد قد أكلوا الفصح يوم الخميس ١٤ نيسان فى المساء وهذا ما قد سجله لنا بطريرقة واضحة وصريحة إنجيل يوحنا ، وما تشير إليه الاناجيل الثلاثة الأخرى ، السبب الذى من أجله سيضطر اليهود أيضا إلى تعجيل الأمور للقبض على يسوع ومحاكمته قبل حلول عيد الفصح وقبل أن تثل الحركة القضائية • هذا يعنى بأن الفصح الذى عمله يسوع غير قانونى لأنه يسبق ميعاد الفصح

الرسمى بيوم كامل • ولهذا السبب فإن معظم المفسرين والمؤرخين متفقون على وجود هذا اليوم الكامل بين ما يقوله كتاب الأناجيل الثلاثة الأولى وبين ما يقوله يوحنا • ولقد حاول كثيرون إيجاد حل لهذه المشكلة • ومن الدراسة التى قام بها كل من (بيلربيك وشودسن) (BILLERBECK & CHWDSÓN) تبين أنه عندما كان

يوم ١٥ نيسان (أى يوم أكل الفصح) يقع يوم سبت ، أو عند وجود اختلاف جدى فى تقدير اليوم الذى بدأ به الشهر ، ففى هذه الحالة كان الفريسيون والصدوقيون لا يعيدون عيد الفصح فى يوم واحد ، بل كان كل فريق من هذين الفريقين يعيد عيد الفصح فى اليوم الذى يظن أنه هو اليوم الصحيح ، ويحتمل أن الفريسيين والصدوقيين اختلفوا فى ذلك العام على تحديد يوم الاحتفال بعيد الفصح مما اضطر الفريسيون معه الى الاحتفال به مثلاً يوم الخميس • وهنا يحتفل المسيح بهذا الفصح الفريسي ، وفى الغد احتفل الصدوقيون بنفس العيد الذى يتكلم عنه يوحنا (١) •

والمفسر العالم الكاثوليكي لاجرانج (LAGRANGE)

يقول إن المشكلة واضحة فيوحنا يعرفنا بأن يوم موت المسيح (أى يوم الجمعة) كان يوم الاستعداد للفصح ، واليهود لم يكونوا قد أكلوا الفصح بعد (يو ١٨ : ٢٨ ، ١٩ : ١٤ ، ٣١ ، ٤٢) • وبينما كتاب الأناجيل الثلاثة يقولون بأن المسيح كان قد أكل الفصح فى عشية موته فإذا اتخذنا إنجيل يوحنا كأساس للرجوع إليه فى هذا الموضوع ، وهذا ما يجب عمله ، لا يوجد أمامنا إلا حل من إثنين :

١ - إما أن (توافق الأناجيل) أى الأناجيل الثلاثة الأولى لا تعلم

(١) انظر الكتاب Mawrice Goguel. La Vie de Jésus

ص ٤١٧ - ٤٢٢ •

بأن يسوع أكل الفصح ، الأمر الذى لا يمكن انكاره .

٢ — إما أن يسوع عمل فصحا مسبقا .

وهنا يتساءل الآب لاجرانج ، لماذا إذن تشدد هذه الأناجيل الثلاثة على أن اليوم الذى عمل فيه المسيح الفصح كان فعلا يوم الفصح أى اليوم القانونى ، بالرغم من أن الأمر واضح بأن اليوم الذى قام فيه المسيح بهذا العمل لم يكن يوم الفصح ، وبالتالي فالفصح الذى عمله المسيح لم يكن فصحا قانونيا ، والانجيليون الثلاثة يعتبرونه يوم الفصح ؟

ويضيف الآب لاجرانج قائلا : يجب أن نعترف بجهلنا ، لعدم معرفة السبب الذى من أجله اعتبر توافق الأناجيل أن اليوم الذى فيه عمل المسيح الفصح ، كان فعلا يوما قانونيا لعمل الفصح . . . ثم يشير إلى مشكلة مهمة وهى تحديد اليوم ، فلوقا يقول « وجاء يوم الفطير . . . » فلوقا كتب لغير اليهود ، فعندما يقول « وجاء يوم الفطير » ، هل جاء يوم الفطير بحسب التوقيت اليهودى أم بحسب التوقيت اليونانى — الرومانى الذى يختلف عن التوقيت الأول ؟ فبحسب التوقيت اليهودى كان غروب شمس ١٣ نيسان هو بداية يوم ١٤ نيسان أى الفصح ، ولكن بحسب التوقيت اليونانى الرومانى لا يمكن بأن نعتبر غروب شمس يوم ١٣ نيسان هو يوم الفصح (١) .

وبما أننا فى معرض الحديث عما يظنه بعض اللاهوتيين والباحثين عن هذا الموضوع ، يليق بنا أن نذكر رأى الأنسة جوبرت (A. JAUBERT) التى قامت بدراسة بعض المستندات

(١) Evangile Selon St. Luc. Par Le P.M.J. Lagrange.
Librairie Lecoffre P. 538 — 544.

والوثائق التى اكتشفت فى خرائب قمران (سنة ١٩٤٧) والتى تقدم لنا حلا آخر لهذه المشكلة • فمن دراساتها لهذه الوثائق ، تظن بأنه من المحتمل بأن يسوع وتلاميذه كانوا يتبعون التقويم الأسينى (ESSENIENS) حسب هذا التقويم كانت السنة تحتوى على ٥٢ أسبوعا ، وكانت الأعياد تقع اضطراريا فى نفس اليوم من الشهر ونفس اليوم من الأسبوع • ولقد نظم هذا التقويم على أن يقع عيد الفصح دائما يوم الأربعاء • وبناء على ذلك فالمسيح تناول العشاء الأخير مع تلاميذه فى مساء يوم الأربعاء ، ثم صلب عشية الفصح الرسمى اليهودى الذى كان يقع فى هذه السنة يوم السبت (أى الجمعة بعد الظهر) • وفى هذه الفترة أى من يوم الأربعاء مساء إلى يوم الجمعة صباحا دارت الأحداث المؤلمة : خيانة يهوذا والقبض على السيد فى جثسيماني ، والمثول أمام حنان ، قيافا ، بيلاطس ، هيودس ، ثم بيلاطس (١) ثم الصلب فى نهاية المطاف •

هذه هى بعض الآراء التى أثبتت والافتراضات التى قدمت كحلول لهذه المشكلة التى ما زالت إلى الآن مفتوحة للنقاش والبحث • ويبدو لنا أن الذين ناقشوا ودرسوا هذه المشكلة ناقشوها ودرسوها من الناحية التاريخية والفنية والقانونية ، من حق ومن واجب كل باحث مدقق ، أن يتسائل عن صحة اليوم الذى تم فيه الفصح وعن قانونيته ، وعن توافقه التقويمى ... الخ • ولكنهم أهملوا نقطة هامة جدا ، وهى التحدث عن الذبيح نفسه : خروف الفصح • أى عن يسوع • ومما

(١) انظر بخصوص هذه النظرية Bonnard انجيل متى ص ٢٧٥

A. Jaubert. La date de la Cène. 1961.

ولدراسة هذا الموضوع انظر (الطبعة الفرنسية) من

Dictionnaire Biblique P. 852.

لاشك فيه أن السيد نفسه قال : « لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل ... » (متى ٥ : ١٧ — ٢٠ : ٣ : ١٥ ، رو ٣ : ٣١) • وهنا نسأل ما هو دور المكمل ؟ إن الدور الذى قام به المسيح كمكمل يعتبر دورا عظيما جدا لا يمكن مقارنته بالدور الذى قام به الأنبياء الذين كمل أحدهم الآخر • بل إن الدور الذى قام به يسوع ، وإن كان يعتبر دورا مكملا ، فإنه دور أساسى ولازم وحتمى • والأهمية الكبرى والعظمى لا تنتج فقط من حقيقة أن هذا الدور ، دور المكمل ، هو دور عظيم وهام ، بل تنتج أيضا من حقيقة أن الشخص الذى سيقوم بتنفيذ هذا الأمر هو أهم وأعظم من كل الأنبياء الذين سبقوه • فهو ليس واحدا من الأنبياء والمصافين على الناموس ، بل هو نفسه رب الأنبياء • ولهذا السبب عينه فهو الوحيد فى كل تاريخ اليهودية الذى استطاع أن يقول ، وأن يقول عن حق وجدارة : « قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تقتل ... لا تزنى ... وأما أنا فأقول لكم ... » وبهذه «الأنا» يضع المسيح ، له المجد ، نفسه ليس فى مقام السابقين « قيل للقديماء » أى قال موسى بوحي من الله للقديماء بل فى مقام أعظم : وأما أنا الذى له السلطان المعادل لسلطان الذى أوحى لموسى فأقول لكم ...

ولقد برهن المسيح على أنه كان يتمتع بسلطان سام وعظيم مثل سلطان الله نفسه عندما قال : « ... إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا » (لو ٦ : ٤ ، مرقس ٢ : ٢٨) • ومن هذا يتضح بأن دور — بل سلطان « المكمل » (أى يسوع) لا ينجصر فى الخضوع لبعض القوانين البالية الجامدة ، بل أن يتخطاها ، لأن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا ويستطيع أن يقول : « وأما أنا فأقول لكم ... » بهذا السلطان عينه يستطيع المسيح أن يأمر تلاميذه بأن يعدوا له الفصح مسبقا قبل (م ٢١ — تاريخ الفكر المسيحى)

أن يحل قانونا يوم تقديم الخروف لأنه هو رب الفصح أيضا • بل هو نفسه الخروف الذي قدم نفسه عن كثيرين • فمن المفيد ومن المهم أن نبحث من الناحية التاريخية عن متى وكيف تم فصح المسيح الأخير ولكن الأفيد والأهم هو البحث عن من هو المسيح الذي قام بهذا الفصح الأخير الذي صنع يوم صليبه خلاصا أبديا لكل الذين يقبلونه سييدا ومخلصا •

العشاء الرباني :

يحتمل أن يسوع اتبع في أثناء العشاء الرباني نفس نظام العبادة (RITE) الذي كان يتبعه رب العائلة اليهودية عندما كان يقوم بنفسه بخدمة العبادة الفصحية ، ولهذا السبب نجد بعض العبارات والكلمات التي كانت تستعمل في الخدمة التذكارية لذبيحة الفصح مثل ، كأس ، بارك ، خبز • الخ • ولقد ظن بعض اللاهوتيين بأن الخبز الذي استعمله المسيح في العشاء هو الخبز العادي (ARTON) ، وليس الفطير الذي كان لا يؤكل إلا في اليوم الخامس عشر من نيسان^(١) •

على أية حال وسواء أكان خبزا عاديا (ARTON) أم فطيرا (AZYME) ذلك الخبز الذي تناوله السيد مع تلاميذه ، فأهم من هذا كله هو أن يسوع في آخر حياته على أرضنا قال لتلاميذه : « ••• شهوة انتهيت أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتالم » (لو ٢٢ : ١٥) • وبهذا الفصح أراد المسيح قبل أن يترك عالمنا أن يرسم لنا فصحا جديدا ، لأنه عندما قام بهذا العشاء الأخير مع تلاميذه أراد أن يعبر لنا عن هذه الرغبة الشديدة : « شهوة انتهيت أن أكل هذا الفصح » ، بتأسيسه فصحا

Piepenbring. Jésus Historique.

(١) انظر كتاب

ص ١٥١ - ١٥٨ •

جديداً يصبح فيه هو الكاهن (رب العائلة) المقدم لهذا الذبيح والخروف نفسه ، فهو المقدم والمقدم فى نفس الوقت • وكما يقول الرسول : « لأن نصحننا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا » (١ كو ٥ : ٧) • وبهذه العملية ، أى عملية الذبح على الصليب ، استطاع المسيح بدمه أن يقطع عهداً جديداً مع الناس والله ، إذ أنه دخل إلى الآب بدم صليبه لكى يكفر عن العالم وعن خطايا العالم (عب ٩ : ١٢ - ٢٧) •

إن العهد الجديد الذى قطعه السيد مع العالم بموته على الصليب يختلف اختلافاً كبيراً عن العهد القديم ، فإن هذا الأخير كان يحتوى على طقوس وفرائض كلها ناقصة ومعمول بها لوقت معين (عب ٩ : ١ ، ١٠) ، أما المسيح « فليس بدم تىوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً » (عب ٩ : ١٢ ، ١٤) • ففى تلك الليلة يظهر المسيح رغبة قوية فى القيام بعمل هذا العهد الجديد ، فهو الشخص الذى جاء لا لكى يلغى الناموس بل ليكمّله • وهنا نرى الكمال الذى يصل إلى قمته عندما يقدم نفسه كخروف بلا عيب وبلا دنس • إنه حمل الله الذى رآه يوحنا فقال : « هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) • أليس لهذا السبب أراد يوحنا أن يكتب مشدداً على أن يوم الفصح كان يوم الجمعة الذى رفع فيه المسيح على الصليب ، ففى الساعة التى كان يذبح فيها عادة الخروف وهى بين الساعة الثالثة والساعة الخامسة بعد الظهر من يوم ١٤ نيسان ، ففى ذلك الوقت أى من الساعة الثالثة كان المسيح معلقاً على الصليب « وكانت الساعة الثالثة فصلبوه » (مر ١٥ : ٢٥) •

فإن كنا قد لاحظنا فى دراستنا لمشكلة يوم صلب المسيح والعشاء الربانى أن الأناجيل الثلاثة الأولى حاولت أن تبين أن السيد قام بفريضة العشاء الربانى فى أثناء عيد الفصح ، بينما حاول يوحنا توفيق حادثة موت

المسيح على الصليب مع تقديم خروف الفصح ، فإن يوحنا يريد أن يبرز هذه الحقيقة السامية العظيمة وهى أن المسيح الرموز إليه بهذا الحمل الذى كان يقدمه الاسرائيليون كل عام ، قد أصبح هو نفسه ذلك الحمل ، فالحقيقة قد حل محل الرموز ، ولهذا السبب فقد أشار يوحنا فى إنجيله إلى أن المسيح مات يوم الفصح ١٤ نيسان ، أى اليوم الذى كان يقدم فيه خروف الفصح . ومع أن يوحنا يتكلم عن «العشاء» لكنه لا يعطى له نفس الصبغة الطقسية والأهمية الفصحية التقليدية التى وصفه بها الإنجيليون الثلاثة (يو ١٣ : ١ - ١١) . ففى هذا العشاء لا يتكلم عن خبز أو عن كأس كما فعل كتاب الأناجيل الثلاثة ، وربما يرجع ذلك إلى حقيقة أن يسوع تكلم عن الخبز الحى النازل من السماء عندما قال لهم : « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦ : ٤١ - ٥٩) .

فبالرغم من سمو كلمات المسيح وعمقها فى كل من الفصلين المذكورين (٦ : ٤١ - ٧١ ، ١٣ : ١ - ١١) . فإنهما لا يشيران بطريقة واضحة وحريجة الى ممارسة طقسية ورسمية لفريضة العشاء الربانى ، على غنى ما نلاحظه فى الأناجيل الثلاثة الأولى عندما نتكلم عن العشاء الربانى فإنها تصبغه بصبغة طقسية فريضية ، فهناك الخبز والكأس ، وكأس البركة ...

ومن هذه الفصول نستنتج أن المسيح أسس فعلا تلك العشية ، فى أثناء هذا العشاء الوداعى لفريضة العشاء الربانى ، فإن كان الإنجيليون الثلاثة (متى ، مرقس ، لوقا) قد ذكروا أن هذا العشاء تم فى يوم ١٤ نيسان أى فى يوم الفصح ، فإنهم أرادوا بذلك بأن يحل العشاء الربانى محل الفصح ، لأنه الفصح الجديد ، لعمل عهد جديد مع المفدين ، كما

يقول هو نفسه : « لأن هذا هو دمي الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك من أجل كثيرين لغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٨) •

الافخارستيا أو العشاء الربانى :

وبما أننا نتكلم عن العشاء الأخير الذى نسميه نحن الإنجيليون بالعشاء الربانى والذى يسميه الاخوة الكاثوليك بالافخارستيا ، يحسن بنا أن نلقى نظرة سريعة على عقائد بعض الطوائف الرئيسية فى الافخارستيا أى العشاء الربانى •

والغرض من تعرضنا لهذه المشكلة الحساسة ، هو أولا وقبل كل شيء ، أن الكتاب يذكرها ويتكلم عنها • وثانيها لا نهدف من ذلك بأى حال من الأحوال إلى تجريح الاخوة الذين لا يشتركون معنا فى نفس الفكر والعقيدة • وثالثا هى فرصة ذهبية فيها نستطيع بروح الصلاة والايمان ، ثم بروح التفهم الذكى المعقول وغير المتعصب أن نناقش المكتوب ، الأمور التى كنا نخشى قبلا مناقشتها والتحدث فيها •

فإن الشخص الذى تشبع بالروح المسكونية الحقيقية لا يسعى إلى كيف يمكنه أن يقنع الآخرين بمذهبه وأفكاره ومعتقداته ، بل عليه أن يحاول جاهدا أن يفهم أولا مذهب وأفكار ومعتقدات الآخرين ، وعندما تحاول المذاهب كلها مخلصا أن تفهم معتقدات بعضها بعضا ، وتضعها أمام المكتوب بنفس الروح ، تاركة لروح الله الفرصة للعمل والإقناع بالحقيقة الكاملة التى لا يملكها إلا روح الله لأنه روح الحق ، فعندئذ ، وعندئذ فقط نستطيع أن نقول : « يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ » (اع ٩ : ٦) « قد أقنعتنى يا رب فاقنعت » (إر ٢٠ : ٧) •

وبما أن هذا الموضوع واسع وشائك ، ويعوزنا الوقت إذا أردنا

الدخول فى تفصيلاته الدقيقة ، فسنكتفى بالإشارة إلى بعض المعتقدات الرئيسية فقط .

مفهوم الكنيسة الكاثوليكية :

إن الكنيسة الكاثوليكية ، وتشاركها فى نفس العقيدة — مع اختلاف بسيط — الكنيسة الأرثوذكسية ، تؤمن بأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح الحقيقى وإلى دمه الحقيقى ، بعد أن ينطق الكاهن بالعبارات الخاصة بالاستحالة . فإن الخبز والخمر اللذين كانا خبزا وخمرا قبل الصلاة التى تدعى الصلاة الجوهرية ، تحولوا بطريقة معجزية وسرية إلى جسد المسيح (دمه ولحمه) وهذه العملية تسمى بعملية الاستحالة (TRANSSUBSTANTIATION) . وهذا الاصطلاح يمكن ترجمته إلى العربية بالآتى : «استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم يسوع المسيح» . وبتحليل هذا الاصطلاح تحليلا لغويا يمكننا أن نقول بأن مادة الخبز والخمر تحولتا جزئيا وكليا إلى جسد يسوع . فمع أن الخبز والخمر يظلان حسب الظاهر خبزا وخمرا ولا يفقدان أى شئ من خواصهما الطبيعية ، لا فى الطعم ولا فى اللون ، إلا أنهما استحالا بطريقة سرية معجزية إلى دم ولحم يسوع المسيح . فالاستحالة التى حدثت هنا هى استحالة كلية ، فإن عقيدة الاستحالة (TRANSSUBSTANTIATION) لا تعنى أن يسوع حاضر بطريقة ما فى هذا الخبز وهذا الخمر ، ولا تعنى أيضا أن يسوع حاضر بطريقة حقيقية واضحة وفعلية فقط فى الخبز والخمر ، بل أن هذا الخبز وهذا الخمر قد تحولوا فعليا وحرفيا إلى جسد المسيح . فجسد المسيح كله حل محل هذا الخبز وهذا الخمر . فبعد أن ينطق الكاهن بالكلمات الجوهرية ، لا يعد الخبز خبزا ولا الخمر خمرا ، بل إن هاتين المادتين أصبحتا فعلا وعملا جسد المسيح يسوع . فالشخص المشترك يتناول أو بالمعنى الأصح يأكل بطريقة فعلية وحقيقية جسد

المسيح فى شكل الخبز والخمر • هذا هو المفهوم الكاثوليكي لعقيدة « الافخارستيا » •

المفهوم اللوثرى :

يقول لوثر : « بما أنه لا توجد نصوص كتابية تقول بأن الخبز ليس جسد المسيح ، يجب علينا إذن قبول كلام السيد بطريقة بسيطة كما نطق به : فلا يجب إذن تغيير هذا الكلام بل قبول حقيقة أن الخبز هو جسد المسيح » • ويواصل كلامه فيقول •• « إننى واثق تماما بأن الله لا يكذب وبما أن كلمته تعرفنا بأن جسد ودم يسوع موجودان فى هذا السر(١) • فيجب تصديقها » • وفى معاهدة سنة ١٥٢٧ يقول لوثر : إن كلمات السيد : « هذا هو جسدى » كلمات صحيحة لأنها تبرهن على أن يسوع يريد أن يثبت بطريقة واضحة وصريحة عندما قدم الخبز ، أنه أعطى جسده للأكل • وعلى هذا الأساس فنحن نؤمن ونعترف بأننا نأكل ونشرب بطريقة حقيقية وحرفية جسد المسيح فى أثناء تناول العشاء الربانى •

من هذه الاقتباسات السابقة ومن نصوص كثيرة أخرى كتبها لوثر فى هذا الموضوع نرى بطريقة لا تدع مجالا للشك ، بأن المصلح الراهب الأغسطينى الألمانى كان يؤمن إيماناً ثابتاً بحضور جسد المسيح الحقيقى فى الخبز والخمر ، وهذا الحلول أو حضور المسيح فى الخبز والخمر ليس حضوراً روحياً كما سترى فيما بعد فى عقيدة كلفن ، بل هو حضور حقيقى وفعلى •

(١) انظر كتاب Suss بعنوان La Communion au Corps du Christ ص ١٤٨ - ١٥١ •

والسؤال الذى يتسلل إلى ذهن القارئ هو : ما هو الفرق إذن بين عقيدة لوثر وعقيدة الكنيسة الكاثوليكية إذا كان الاثنان يؤمنان بحضور المسيح الحقيقى فى الخبز والخمر ؟ وبالرغم من التشابه الكبير بين العقيدتين ، لكنه يوجد اختلاف وهو أن لوثر رفض رفضا باتا استعمال الاصطلاح الكاثوليكي الاستحالة (La Transsubstantiation) واستعمال بعض الاصطلاحات الأخرى مثل « الوجود المزدوج » (CONSUBSTANTIATION, IMPANATION) فهذه الاصطلاحات لا تعنى استحالة الخبز والخمر إلى جسد يسوع المسيح ، بل حضور يسوع المسيح بطريقة حرفية وصحيحة فى هذا الخبز وهذا الخمر .

فحلون المسيح فى الخمر وفى الخبز لا يلغى وجودهما ، كما تعتقد الكنيسة الكاثوليكية ، بل هو حضور مزدوج . ويمكننا أن نشرح فكرة لوثر والأفخارستيا بالرجوع إلى عقيدة التجسد مع بعض الاختلاف . فإله قد حل فى جسد الانسان يسوع ، فالله الحال بملء لاهوته فى جسد يسوع ، لم يلاش أحدهما الآخر ، بل كان الله الانسان يسوع ، الاثنان معا ، وكل منهما احتفظ بميزاته اللاهوتية والبشرية .

وهذا ما يحدث فى سر الافخارستيا ، فإن الخبز يظل خبزا والخمر يظل خمرا ، ولكن فى هذا الخبز وفى هذا الخمر يحل يسوع بجسده كاملا . فالذى يفرق عقيدة لوثر عن عقيدة الكنيسة الكاثوليكية هو أن لوثر يؤمن بالوجود المزدوج ، بينما الكنيسة الكاثوليكية تؤمن بأن حلول يسوع فى الخمر والخبز بعد صلاة التقديس ، يزيل العناصر المادية . ويحل جسد المسيح كله محل هذه العناصر . وهذا ما نلاحظه فى قرارات مجمع « ترانت » : عندما قال المسيح فادينا بأن ما يقدمه فى شكل الخبز كان فعلا جسده الحقيقى . فعند تقديس العناصر الافخارستية تفصل مادتى الخبز والخمر عن خواصهما المحسوسة ويحل محلها جسد

المسيح • فبعد التقديس لم يعد عنصرا الخبز والخمر خبزا وخمرا لكنهما يصبحان جسد ودم المسيح تحت مظهر الخبز والخمر (راجع كتاب SUSS ص ١٨٦ - ١٩٠ - النص الفرنسى) •

لقد حاول لوثر أن يتخلص من عقيدة الاستحالة ، فقبل عقيدة الحلول أو الوجود المزدوج ، لأنه كان يؤمن فعلا بالحضور الحرقى للمسيح فى الافخارستيا • وقبل أن نتترك لوثر نلخص عقيدته فى الآتى :

١ - إن عقيدة الوجود المزدوج اللوثرية هى تخفيف لعقيدة الاستحالة الكاثوليكية •

٢ - وجود العناصر المادية بدون تغيير •

٣ - حلول المسيح فعليا فى هاتين المادتين •

مفهوم كلفن :

لقد حاول كلفن أن يقوم بدور الموفق العقائدى بين لوثر وزوينكلى ، فهو يعتقد بأن المسيح يحضر فعلا فى العشاء الربانى ولكن حضوره حضور روحى ، ولقد شدد كثيرا على حضور المسيح الروحى فى العشاء الربانى ، ثم شدد أيضا على عملية الروح القدس ، فالروح القدس هو الذى يعمل فى الانسان المشترك لكى يقنعه بأن المسيح موجود فعلا ولكن بطريقة روحية ، غير ملموسة أو محسوسة ، فى العشاء الربانى • فوجود السيد فى هذا العشاء حقيقة روحية لا يمكن إنكارها ، فالخبز الذى نكسره والخمر الذى نشربه عند الاشتراك فى المائدة ، هما علامة ملموسة محسوسة يشيران إلى وجود يسوع بالروح • وهما يمثلان أيضا جسد المسيح المكسور ودمه الذى سال • أى أن المسيح يقدم نفسه

كالطعام الحقيقى الذى يجب أن نأكله بطريقة روحية • فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه لا يعنيان الأكل والشرب بطريقة ملموسة ومادية وجسدية ، بل المسيح يصبح الطعام الروحى • هذا ما يعنيه بقوله : « لأن جسدى مأكلا حق ودمى مشرب حق ٠٠٠ » (يو ٦ : ٥٥ — ٥٩) • وهنا ينتحى كل من ناحية التفسير المجازى وليس التفسير الحرفى لكلمة الله ، وفى حقيقة الأمر لا توجد أية علاقة بين جسده الحقيقى وبين العشاء الربانى ، ففى العشاء الربانى يجب أن نتذكر موت وقيامة السيد ، ولكن لا نأكل فى أثناء العشاء الربانى جسد السيد إلا بطريقة روحية رمزية • ولقد شدد كل من كثيرا على حقيقة وجود المسيح بطريقة روحية فى العشاء الربانى ، وبهذا أراد أن يتجنب الخطأ الذى وقع فيه لوثر وهو اعتقاده بأن المسيح يحضر فعلا بطريقة حقيقية فى الخبز والخمر • ثم أراد أيضا أن يتجنب مسلك زوينكلى الذى بدا له خطيرا • ولذلك فقد تبنى هذا الطريق الوسط • ومما لا شك فيه أن كل من قد انتقد بشدة عقيدة الكنيسة الكاثوليكية وتمسكها الشديد بحرفية بعض النصوص الكتابية ثم تهاونها فى بعض نصوص أخرى كان يجب عليها أن تتمسك بها بأكثر شدة وأن تسهر على تطبيقها بأكثر أمانة (١) •

مفهوم زوينكلى :

إن زوينكلى يرفض رفضا كليا وجزئيا مفهوم الكنيسة الكاثوليكية ، كذلك مفهوم لوثر وكل من بخصوص حضور المسيح فى العشاء الربانى ، سواء بطريقة حقيقية أو بطريقة روحية • إن ممارسة العشاء الربانى تعنى بالنسبة للمصلح السويسرى ، ذكرى موت وقيامة المسيح • فإن

(١) لدراسة هذا الموضوع راجع كتاب

Jean Calvin. L'Institution Chrétienne. Livre 4.

ص ٢٤٧ — ٤٠٢ ثم كتاب Susa وكتاب Max. Thurain

• زوينكلى وأتباعه ، مثل كار لوستاد بيتر وأكولاميا ، لا يرون فى العشاء الربانى إلا مجرد ذكرى ، فإن الخبز المكسور والخمر المصبوب يذكران بموت الرب الذى قدم نفسه لأجلنا . وفى كل مرة يجتمع الاخوة لممارسة هذه الفريضة يتذكرون هذه الحادثة التاريخية العظيمة وينادون بها .

هذه هى المذاهب الأربعة الرئيسية وعقائدها فيما يختص بموضوع العشاء الربانى . ولقد حاول أتباع كل مذهب من هذه المذاهب أن يجدوا نصوصا كتابية تؤيد قولهم ومذهبهم ، وفعلوا وجد كل مذهب من هذه المذاهب بعض الآيات التى إذا نظرنا إليها منفردة ومنفصلة عن قرينتها ، لأيدت الغرض الذى من أجله أقتبست . ولهذا السبب يجب الرجوع إلى الكتاب بجمته وليس إلى آية منفردة هنا وإلى آية منفردة هناك . ولقد ذكر العشاء الربانى فى الفصول الآتية : (متى ٢٦ : ٢٦ ، ٢٩ ، مر ١٤ : ٢٢ - ٢٥ ، لوقا ٢٢ : ١٥ - ٢٠ ، ١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٦ كما يجب دراسة يوحنا ٦ : ٣٣ - ٧١) .

إن أقدم فصل من هذه الفصول المذكورة أعلاه قد كتب فى حوالى سنة ٥٥ ب م . (رسالة كورنثوس) وأحدثها كتب حوالى سنة ١٠٠ ب م (انجيل يوحنا) . فمعظم هذه الفصول تعبر إذن عن عقيدة الكنيسة الأولى فى موضوع فريضة العشاء الربانى ، ونقول بأن معظم هذه الفصول ، وليس كلها ، لأن يوحنا ٦ لا يتفق أسلوبه وطريقته ممارسة الفصح فى الأنجيل الثلاثة الأولى . ولقد سبق أن رأينا فى دراستنا لعيد الفصح ، أن الأنجيل الثلاثة الأولى توفق يوم تأسيس العشاء الربانى مع هذا العيد ، وهنا نسأل هذا السؤال : هل أراد كتاب هذه الأنجيل الثلاثة التوفيق بين عيد الفصح وبين العشاء الربانى حتى يحل العشاء الربانى محل عيد الفصح ؟ . . .

تتفق معظم الطوائف المسيحية وأقدمها ، على أن العشاء الربانى حل محل الفصح ، كما أن العماد حل محل الختان • إننا نتفق أيضا مع هذه الأغلبية من الطوائف فى هذا الأمر ، واتفاقنا معها لا يرجع سببه إلى أغنبيتها وأقدميتها ، لأن التاريخ يعلمنا غير ذلك ، ولكن إن كنا نتفق معها فى هذا الأمر ، فلأننا نعتقد بأنها على حق فى هذا الأمر • فكما يبدو لنا أن محاولة كتاب الأناجيل الثلاثة لتوفيق الفصح اليهودى مع العشاء الربانى كانت تهدف إلى الوصول إلى هذه النتيجة : وهى أن المسيح الذى حل محل خروف الفصح أسس لنا ليلة العشاء الربانى فصحا جديدا ، قطع عهدا جديدا مع شعب جديد •••

وهنا ينتهز هذه الفرصة الاخوة الذين يؤمنون سواء بالاستحالة أو بالحلول المزدوج ، فيقولون إذا كان العشاء الربانى حل فعلا محل الفصح ، فالمسيح يقدم نفسه فى كل مرة نقيم فيها فريضة العشاء الربانى لأن « المسيح هو فصحننا الذى ذبح لأجلنا » (١ كو ٥ : ٧) ، أو على الأقل بما أن الأفغارستيا حلت محل خروف الفصح ، وبما أن يسوع نفسه قال : « خذوا كلوا هذا هو جسدى ••• اشربوا منها كلكم ••• » (مت ٢٦ : ٢٦ - ٢٨) ، فإن الاستحالة أو على الأقل الحضور المزدوج فى الافغارستيا أمر يجب قبوله والإيمان به •

ويقتبس الذين يؤمنون بالاستحالة والحضور المزدوج بعض الفصول التى تبدو للقارىء لأول وهلة بأنها تؤيد هذا الرأى ، وخاصة أقوال يوحنا التى لا تمت بأية صلة فى حقيقة الأمر إلى العشاء الربانى ، إذ أن هذه الأقوال التى سجلها يوحنا هى عبارة عن عظة ألقاها السيد على الجماهير لكى يبين فيها الفرق بين المن الذى أكله الإسرائيليون فى الصحراء وماتوا ، وبين الخبز الحى ، شخصه الكريم : « أنا هو الخبز »

الحى الذى نزل من السماء • إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد •
والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو
٦ : ٥١) • إن يوحنا يسجل لنا عبارات كثيرة من هذا النوع : « من يأكل
جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية ••• لأن جسدى مأكّل حق ودمى
مشرب حق ••• » (يو ٦ : ٣٢ - ٧١) • على هذه العبارات التى تدل
فى ظاهرها على أن المسيح يتكلم عن الاستحالة أو الحلول المزدوج ، بنى
الكثيرون عقيدتهم فى موضوع العشاء الربانى •

وهنا نريد أن نلفت نظر القارىء إلى أمر هام ، وهو أن المسيح لم
ينطق بهذه الأقوال التى اقتبسناها من يوحنا ، فى أثناء العشاء الربانى ،
بل كما سبق أن أشرنا ، أن السيد تكلم بهذه الكلمات فى مسامع الجماهير
كعظة ، وليس لممارسة فريضة العشاء ، ومن الغريب والعجيب أن يوحنا
لا يذكر شيئا ، لا من قريب ولا من بعيد ، عن جسد الرب المكسور أو دمه
الذى سأل على الصليب ، عند تناول الطعام الذى يمكننا أن نعتبره عشاء
وداعيا (يو ١٣ : ١ - ١١) • فلو كان المسيح يريد أن يعلمنا بأن جسده
ودمه سيتحولان أو يحلان فى الخبز والخمر ، لكان لا بد له أن يشير إلى
هذا الأمر عند تناول العشاء الذى يتكلم عنه القديس يوحنا (فى ١٣ :
١ - ١١) ، والذى يشير فيه أيضا إلى أن ساعته قد جاءت لينتقل إلى
الآب • ولكن كل أقوال المسيح الواردة فى الأصحاح السادس من إنجيل
يوحنا والتى يستخدمها المؤيدون لنظريتي الاستحالة والحلول المزدوج ،
قد نطق بها قبل عيد الفصح بمدة لا بأس بها •

ولقد كان الغرض من هذه الأقوال هو إظهار الفرق الشاسع بين
الخبز الذى أعطاه الله لإسرائيل والخبز الحى أى يسوع نفسه • وإنجيل
يوحنا يمتاز بالاستعارات والتشبيهات ، فكم من الصفات والألقاب التى

أعطاهما المسيح لنفسه والتي لقبه بها الآخرون ، فيوحنا قد أشار إليه
 بالقول : « هوذا حمل الله » (يو ١ : ٢٩ ، ٣٩) • وكانت الرؤيا يقول :
 « مستلحق هو الخروف المذبوح » (رؤيا ٥ : ١٢) • ولقد قال السيد
 عن نفسه : « أنا هو خبز الحياة » (يو ٦ : ٣٥ ، ٤٨) ، « أنا هو الباب »
 (يو ١٠ : ٩) ، « أنا هو الطريق » (يو ١٤ : ٦) ، « أنا هو الراعى
 الصالح » (يو ١٠ : ١١) ، « أنا هو نور العالم » (يو ٨ : ١٢) ، « أنا
 هو الحق » (يو ١٤ : ٦) ، « أنا هو الكرمة » (يو ١٥ : ١) • الخ •
 فهل يمكننا القول بأن السيد قد تحول إلى هذه المواد التي وصف نفسه
 بها ؟ ١١ ؟ هل يمكننا القول بأن السيد بعد أن قال : « أنا هو الطريق » ،
 أصبح فعلا طريقا ماديا ملموسا محسوسا ، أو أصبح بابا ، أو كرمة ، أو
 قطعة من الخبز ••• ؟ ١١ ؟

فكلنا نتفق على أن هذه الأسماء ما هي إلا صفات وصف السيد
 بها نفسه ، ولم يتحول ، بأي حال من الأحوال ، إلى أى مادة من هذه
 المواد التي تشير إليها هذه الصفات • فلماذا إذن نحاول أن نطبق هذه
 الصفات التي نطق بها السيد في الأصحاح السادس ، والتي لا تمت بأية
 صلة إلى الأنخارستيا ، بطريقة حرفية ؟ فالكلام الذي نطق به يسوع
 هو كلام مجازي إذن وليس كلاما حرفيا • وكأني بالمسيح يخشى من المادية
 والحرفية القاتلتين ، فيقول في نفس الأصحاح السادس : « الروح هو
 الذي يحيى وأما الجسد فلا يفيد شيئا والكلام الذي أكلكم به هو روح
 وحياة » (يو ٦ : ٦٣) والمسيح نطق بهذه الكلمات أى بأن كلامه « روح
 وحياة » عندما أدرك أن اليهود فهموا عظته هذه عن الخبز الحي بطريقة
 حرفية مادية ، ولذلك قالوا له : « يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز »
 (يو ٦ : ٣٤) • وهذا هو نفس ما حدث مع السامرية عند بئر يعقوب
 التي فهمت كلام المسيح عن الماء الحي بطريقة حرفية مادية ، فقالت
 له المرأة : « يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتى إلى هنا

لأستقى « (يو ٤ : ١٥) • والأمر لا يحتاج إلى توضيح أكثر أو شرح أطول ، إذ أن يوحنا معروف بأنه يستعمل في كتاباته كثيرا من المجازات والتشبيهات ، فلا يمكننا قبول كل أقوال المسيح بطريقة حرفية : « لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى » (٢ كو ٣ : ٧) •

فإن كان يوحنا يحب الاستعارة والتشبيه ، واستعمل هذا الأسلوب في الكتابة عن شخص المسيح ، ولا يمكننا أن نفصره تفسيراً حرفياً ، فما هو موقفنا من أقوال الأناجيل الأخرى والرسالة الأولى لأهل كورنثوس ؟ ألم يقل السيد : « خذوا كلوا هذا جسدى •• اشربوا منها كلكم •• » (مت ٢٦ : ٢٦ ، ٢٧) ، « خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم •• » (١ كو ١١ : ٢٤) •

لقد سبق القول بأن كثيرين يميلون إلى فكرة أن العشاء الربانى حل محل الفصح ، ويحتل صبة هذا الفرض ، ولكن في أثناء العشاء الربانى كان المسيح يشير إلى جسده الذى سيكسر ، صحيح أن الصيغة المستعملة في الكتاب هي صيغة الماضى ، وأما في حقيقة الأمر فهي تشير إلى المستقبل ، « الغد » الذى فيه سيكسر جسد المسيح • وسواء أكان يظن أن المسيح قد قام بالعشاء الربانى قبل صلبه بيومين ، أو في الليلة التى أسلم فيها (١ كو ١١ : ٢٣) ، فهذا يدل على أن السيد بعد أن قال لتلاميذه : « خذوا كلوا هذا هو جسدى » بقى معهم حياً وخرج إلى بستان جثسيماني ، الأمر الذى لا يتفق مع عقيدة الاستحالة ، الذى يقول بأن الخبز والخمر يتحولان بطريقة سرية ومعجزية إلى جسد ودم المسيح •

فماذا يريد إذن المسيح بهذه الكلمات : « خذوا كلوا هذا هو جسدى » ؟ • إن المسيح لا يريد بهذا القول أن يعطى جسده حرفياً للأكل

ودمه حرفيا للشرب ، بل أراد أن يعبر عن الموت الذى سيجتازه بعد ساعات قليلة ، إذ أن ساعته قد جاءت وكان لا بد له أن يبذل نفسه ليس فقط عن خاصته الذين أحبهم ، بل عن العالم كله ، وبمنظرة ولو سطحية دون الدخول فى التفاصيل التفسيرية نلاحظ أن الرسول بولس يعتبر أن كسر الخبز هو شركة جسد المسيح (١ كو ١٠ : ١٦) ، ويقول الراحل المحبوب الدكتور ابراهيم سعيد : « فضلا عن هذا ، فإن بولس الرسول يؤكد أن الخبز بعد حلول البركة عليه ، لم يزل بعد خبزا » ، « الخبز الذى فكسره أليس هو شركة جسد المسيح » ؟ فإذا قد اعتبره الرسول « شركة » جسد المسيح لا « جسد » المسيح بالذات (١) . وحتى فى اللحظات الأخيرة من هذا العشاء التذكارى ، يتكلم المسيح عن « الخمر » الذى كان أمامهم فى الكأس ، على أن الخمر ما زال خمرًا والخبز ما زال خبزا حتى بعد صلاة السيد نفسه .

وهنا نريد أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى نقطة هامة : لقد قام السيد بإجراء معجزات عظيمة وخارقة للعادة ، وهذه المعجزات التى أجراها الرب من شفاء الأمراض المستعصية ، إقامة الموتى ، تهدئة العواصف ... الخ ، لم تكن معظم هذه المعجزات ضد العقل البشرى ، بل كانت تفوق إدراك البشر . فعلى سبيل المثال ، لو قامت لجنة طبية بالكشف على الرجل الذى فتح المسيح عينيه قبل أن تجرى له هذه المعجزة لقررت بأنه أعمى ، ثم لو قامت نفس اللجنة بالكشف على هذا الرجل بعد الشفاء ، لقررت بأنه يبصر . (نفس المثل يمكن أن يطبق على إقامة لعازر ومعجزات أخرى) . هنا تقف اللجنة الطبية عاجزة عن أن تعطى تفسيراً علمياً لهذه الحادثة ، ولكنها تستطيع فى نفس الوقت أن تقرر علمياً بأن الرجل الذى كان أعمى ، أصبح يبصر : أمر يفوق إدراك العقل ولكنه ليس

(١). انظر شرح بشارة لوقا للدكتور القس ابراهيم سعيد ص ٥٤٦ .

ضد الحقيقة أو ضد العقل ، لأن الرجل الذى كان أعمى شفى فعلا .
فالواقع هو برهان على حقيقة المعجزة . وهذا ما لا نراه فى سر الأفخارستيا
فالخمر يظل خمرا ، والخبز يظل خبزا بعد صلاة التقديس ، وكل الحواس
من بصر وشم وذوق تشهد كلها بعدم وجود أى تغيير .

ولكن إن كان لا يوجد تغيير جوهري فى الخبز والخمر اللذين نتناولهما
فى العشاء الربانى ، فأننا نشترك مع المسيح نفسه الذى قدم نفسه كذبيحة
حية مرضية أمام الله ، لكى نصير بفضل هذه الذبيحة الكاملة والخالية من
كل خمير ، قديسين وبلا لوم . قدمه فى المحبة ، فنحن أى شعب الله كله
كهنة : « لأنه جعلنا ملوكا وكهنة لله أبية » (رؤ ١ : ٦ ، ١ بطرس
٢ : ٩) ، يجب علينا أن نشترك فى هذه الفريضة بروح التعبد والخشوع ،
لأن المسيح كاهننا الأعظم ، يشترك معنا وحاضر بطريقة روحية وغير
منظورة أو ملموسة . فكل من يقترب من هذه المائدة باستخفاف واستهتار
أو بعدم الاحترام اللائق بحضور المسيح ، فإن ذلك الشخص « يأكل
ويشرب دينونة لنفسه » .

الرسول بولس يقول : « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه
الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء » . وإنى أعتبر هذه الكلمات
جوهريّة وفي غاية الأهمية ، وفى الوقت الذى تتعرض فيه المسيحية فى
العالم كله لهجمات قاسية عنيفة ، هجمات من الداخل ، تيارات لاهوتية
وسياسية فى داخل الكنيسة نفسها ، وتيارات إلحادية مادية من الخارج ،
فى هذا الوقت تحتاج كنيسة المسيح إلى أن تخبر بموت وقيامة الرب إلى
أن يجىء . هذه هى رسالة الكنيسة اليوم ، أن تتنادى بالخبر السار ،
تنادى بإنجيل المسيح ، فلنناد كلنا إذن بهذا الخبر العظيم : يسوع مخلص
العالم . ولنترك التعصب الذى يؤدى إلى الهدم والانقسام .
(م ٢٢ — تاريخ الفكر المسيحى)

الفصل العاشر

موت المسيح وقيامته

لقد حاولنا أن نشرح في الصفحات السابقة قضية العشاء الرباني وارتباطها بالفصح . وكيف أن إنجيل يوحنا يشدد على أن حمل الله الذي جاء ليكن يرفع خطية العالم صلب يوم الجمعة . وعندما نتكلم عن صلب المسيح لا يمكننا أن نهمل الناحية التاريخية ، خصوصا أن الأناجيل الأربعة التي تسجل لنا حادثة محاكمة وموت السيد ، تذكر لنا أسماء بعض الشخصيات الرومانية واليهودية التي سجلها التاريخ الروماني واليهودي . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن بخصوص موضوع موت المسيح هو : هل توجد أدلة تاريخية موثوق فيها ، تتكلم عن موت المسيح ؟ هل بيلاطس البنطي الحاكم الروماني الذي على يده صلب المسيح ، قدم تقريراً رسمياً إلى الامبراطور يشرح فيه قضية محاكمة يسوع والسبب الذي من أجله حكم عليه بالموت ؟ ...

إن الأناجيل الأربعة تذكر لنا مؤامرة القبض ومحاكمة يسوع وموته (متى ٢٦ : ٤٧ ، ٢٧ : ٢٦ ، ٢٦ : ٦٦ ، مر ١٤ : ١ - ١٥ ، ٤٧ ، لو ٢٢ : ٣٩ ، ٢٣ : ٤٩ ، يو ١٨ : ١ - ١٩ ، ٤٢) . كما أنها تذكر أيضاً أسماء رؤساء الكهنة اليهود والحاكم الروماني (أو الحاكمين الرومانيين : بيلاطس وهيرودس ،

الذين اشتركوا فى محاكمة السيد • ولكن الوثائق التاريخية ، غير الانجيلية ، التى تتكلم عن يسوع وموته قليلة جدا • والأمر الذى أدهش المؤرخين كثيرا ، بل يعتبر حجة وعثرة بالنسبة لهم ، أن الأنجيل تسجل لنا بوضوح قصة القبض على يسوع ومحاكمته وموته ، وأن الذين قاموا بالحكم فى هذه القضية هم اليهود والرومان ، رؤساء الكهنة الذين كانوا يمثلون السلطة الدينية اليهودية ، وبيلاطس البنطى الذى كان يمثل السلطة الحاكمة الرومانية المستعمرة لتلك البلاد فى ذلك الوقت • وبالرغم من ذلك فإن السجلات الرومانية المعروفة حاليا لا تذكر لنا شيئا عن محاكمة يسوع ولا عن موته ؟ وهنا يتساءل بعض المؤرخين واللاهوتيين : كيف يمكن أن يصدر بيلاطس البنطى حكمه باعدام شخص فى أمة خاضعة لسلطة روما دون أن يرسل تقريرا مفصلا أو حتى موجزا عن هذه القضية • خصوصا أن رؤساء الكهنة والكتبة قدموه إلى الحاكم الرومانى كمفسد للأمة ، وكإنسان ثائر ضد روما والسلطة الحاكمة • « وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا إنه هو مسيح ملك ••• فكانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب ••• » (لو ٢٣ : ١ - ٧) •

فالتهمة التى أراد اليهود إلصاقها بالسيد ، هى تهمة سياسية وخطيرة جدا ، فلم يتهموه أمام بيلاطس بأنه نبي كذاب أو مجدف ، أو هرطوقي ••• لأن كل هذه الأوصاف التى يمكن لليهود أن يصفوا بها هرطقة يسوع ، لا قيمة لها فى عينى بيلاطس الحاكم الرومانى • فإن مهمته ليست حفظ الدين اليهودى معصوما من الغلط والهرطقة ، بل السهر على سلامة المصالح الرومانية ، والضرب بشدة على رأس كل من يقاوم سلطان قيصر • وبما أن اليهود يعرفون ذلك جيدا ، فلقد اتهموا السيد بأنه يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر ، بل أنه يدعى بأنه مسيح ملك ، أى مقاوم

لسلطان قيصر ويريد أن يحرر إسرائيل • فكان من المنتظر إذن أن يعير بيلاطس الأمر اهتماما أكثر وأعظم ، وكان من الواجب أن يكتب إلى قيصر تقريراً مفصلاً يشرح فيه كيف استطاع أن يصلب الشخص الذى ادعى لنفسه سلطان المسيا • ولكننا لا نجد فى السجلات الرومانية أى أثر لهذه القضية ، نى قضية محاكمة السيد أمام بيلاطس •

لماذا إذن هذا الصمت الذى يكاد يكون كاملاً بخصوص قضية محاكمة يسوع ؟ فى حقيقة الأمر إن الصمت لم يكن كاملاً • فإن تلمود اليهود يقض علينا رواية ، وإن كانت لا تتفق ورواية الأناجيل لأنها تهدف إلى تبرير موقف اليهود من يسوع ، إلا أنها تسجل لنا شيئاً عن قضية محاكمة يسوع • وتقول قصة التلمود : « لقد علق يسوع الناصرى على خشبة فى عشية عيد الفصح ، فعلى مدى أربعين يوماً كان يتقدمه مناد صارخاً : لقد استعمل السحر وأغوى إسرائيل بالعصيان ، فهو إذن مستحق الزجيم • فإن كان يوجد من يدافع عنه لكنى يبرر موقفه فليدافع ، ولكن لم يوجد من يدافع عنه أو من يبرره • ولذلك قضى عليه فى عشية الفصح » • فإن كان هدف هذه الشهادة التى سجلها التلمود هو تبرير اليهود فى سلب المسيح ، إلا أنه يقدم وثيقة حية قوية عن أن يسوع صلب فعلاً ، وأن اليهود هم صالبيه •

وأما فيما يخص قلة الوثائق الرومانية والصمت الذى التزمه المؤرخ اليهودى المعروف يوسيفوس فلافيوس بخصوص حياة وموت المسيح ، فقد سبق أن أشرنا إلى هذا الموضوع (١) ، فمع أن يوسيفوس كان شحيحاً جداً فى المعلومات التى أعطاها لنا عن يسوع ، إلا أن بعض المؤرخين الوثنيين سجلوا شهادات واضحة وصريحة عن يسوع ، فتأسييت الذى سجل حادثة

(١) انظر هذا الكتاب من ص ١٤٤ - ١٥١ •

حريق روم^(١) يقول إن المسيحيين لقبوا بهذا الاسم بسبب نسبتهم إلى المسيح الذى فى عهد طيباريوس ، حكم عليه بالموت بيلاطس البنطى ... كذلك شهادة بليينوس الشاب وشهادة طاليس السامرى ، هؤلاء الكتاب يتكلمون عن موت المسيح • ولكن ما زال السؤال الخاص بمحاكمة يسوع معروضا : لماذا لا يوجد أى تقرير فى السجلات الرومانية عن موت المسيح ، وقد حكمت عليه محكمة رومانية ؟

وهنا نشير إلى ما سبق أن قلناه بخصوص هذا الموضوع وهو إن كنا لا نجد حتى الآن أى أثر لاسم يسوع فى التقارير الرسمية المرفوعة إلى روما ، فإن ذلك يرجع إلى عدة حقائق :

١ — كان بيلاطس شخصا قاسيا متعظرسا ذا سوابق مع روما ومع الشعب اليهودى ، ومن هذه السوابق أنه حكم بقتل كثيرين دون محاكمة رسمية ودون كتابة أى تقرير عنهم لروما ، ولقد ذكر هذا أغريباس فى أحد تقاريره ضد بيلاطس •

٢ — كما أنه يحتمل أيضا أن بيلاطس لم يرسل تقريرا مفصلا أو موجزا إلى روما بخصوص قضية يسوع لأن يسوع لم يكن من الذين يتمتعون بالجنسية الرومانية ، فلا داعى إذن لإرسال تقرير إلى روما عن هذه الحالة التى تختص بشخص يهودى •

(١) لقد ظن البعض خطأ بأن نيرون قام بحرق روما لى يلصق هذه التهمة بالمسيحيين ، وحقيقة الأمر هى أن الإمبراطور نيرون أراد التخلص من الأحياء القفرة ، وبناء مدينة جديدة تليق بالإمبراطور الرومانى ، فأمر بإشعال النيران فى بعض أحيائها • ويظن بأن البعض قد شاهدوه وهو ينظر إلى النار المشتعلة التى تسبب عنها موت وتشريد وخراب المدينة وتدميرها ، وكان يضحك ضحكات هستيرية عالية ، فلكى يخلص نفسه من هذه الجريمة اتهم المسيحيين بحرق روما :

٣ - كما يحتمل أيضا أن بيلاطس اعتبر محاكمة يسوع قضية محلية لا تخص إلا البوليس المحلى ، فلا داعى لابلأغ روما بهذه القضية .

٤ - وهناك احتمال آخر ، لقد كان اليهود وبيلاطس فى صراع مستمر وعدم انسجام . فعندما قدم اليهود يسوع ، ظن بيلاطس أنهم يمدون له شركا لكى يوقعوا به أمام الامبراطور ، ولذلك فقد حاول بيلاطس بكل الوسائل الممكنة أن يتجنب الحكم على يسوع لأنه كان يخشى أن يدبر اليهود له مؤامرة بهذه القضية . ولهذا السبب فقد طلب بيلاطس من اليهود أن يحكموا على يسوع بحسب ناموسهم : « فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم ، فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدا » (يو ١٨ : ٣١ ، ٣٢) . ولهذا السبب أيضا طلب بيلاطس ماء وغسل يديه أمام الجميع لكى يعلن أنه برىء من دم هذا الانسان (متى ٢٧ : ٢٤) .

أراد بيلاطس بعملية غسل يديه أمام الجميع وإعلانه براءة يسوع أن يتجنب المؤامرة التى كان يظن أن اليهود يحيكونها له ليرفعوا شكوى ضده لدى الامبراطور . وبما أن اليهود لم يقدموا فعلا شكوى ضده لدى الامبراطور بخصوص هذه القضية ، فإن بيلاطس لم يكتب لروما عنها ، وهكذا ظل الأمر غير معروف لدى روما ولم يسجل فى سجلاتها القانونية .

لقد فرضت كل هذه الاحتمالات لعدم وجود وثائق رسمية فى السجلات الرومانية التى تتكلم عن هذه القضية ، ولكن ربما المستقبل القريب يطالعنا بمفاجآت طيبة ، لأن علماء الحفريات ينبشون الآثار لكى يستخرجوا من بطون الأرض جددا وعثقا . فإن الاكتشافات الحديثة

انتهى وصل اليها علماء الآثار ، حلت لنا مشاكل كثيرة كانت صعبة ومعقدة ، مثل مخطوطات وادي قمران التي ظلت أسيرة سجين في كهف إلى أن حررها عن طريق الصدفة ، الراعي محمد الديب وسلمها للعلماء لفك رموزها .

فإن كانت السجلات الرومانية المعروفة لدينا حتى الآن تجهل قضية محاكمة يسوع ، إلا أن الأناجيل الأربعة بلا استثناء تسجل لنا بأمانة هذه القضية (متى ٢٦ : ٤٧ ، ٢٧ : ٦٦ ، مر ١٤ : ١ - ١٥ ، ٤٧ ، لو ٢٢ : ٣٩ ، ٢٣ : ٤٩ ، يو ١٨ : ١ - ١٩ ، ٤٢) وتذكر لنا أسماء الذين اشتركوا في محاكمة يسوع ، ويجوز للأسباب التي سبق ذكرها أن هذه القضية لم تسجل في سجلات الامبراطورية ، أو يجوز أيضا أن السجل الخاص بهذه القضية فقد ، وربما سيكتشف فيما بعد فتكون مفاجأة لتاريخ وثقافة .

وقبل أن ننهي الكلام عن محاكمة يسوع ، نود أن نقف ولو قليلا عند هذه القضية ؛ إن الشيء الأول الذي يلفت النظر ، هو سرعة البت فيها ، وتبعا لما ذكر في الأناجيل لم تستمر محاكمة يسوع أكثر من ٢٤ ساعة من وقت القبض عليه إلى أن رفع على الصليب . وأمام هذه السرعة تسأل الكثيرون قائلين : كيف يمكن أن تتم هذه العملية بهذه السرعة ؟ وكيف يمكن قضائيا وعمليا أن يقوم يسوع بعمل العشاء الرباني في العلبة والذهاب إلى جبل الزيتون ، والصلاة ثلاث مرات ، ثم حضور يهوذا مع الجند للقبض عليه ، ثم احضاره إلى رئيس الكهنة حنان واستجوابه ، ثم احضاره إلى رئيس الكهنة قيافا ، واستجوابه ، ثم احضاره أمام بيلاطس وبيلاطس يرسله إلى هيرودمس ، وهيرودمس يرجعه إلى بيلاطس . وهذا الأخير يقدمه إلى الشعب مقترحا عليهم اسم باراباس ، وأخيرا يسلمه للصليب فيصلب .

كل هذه الأحداث ، بما تتضمنه من مناقشات وأسئلة ومداولات قضائية وغير قضائية تمت في أربع وعشرين ساعة ، والمشكلة التي تعترض سبيلنا في هذه القضية هي : هل يمكننا من الناحية القضائية والناحية العملية تنفيذ هذه الأحداث الكثيرة في مدة أربع وعشرين ساعة ؟

ولقد اقترحت عدة حلول منها :

١ — لقد سبق أن أشرنا فيما سبق بخصوص الفصح إلى نظرية الآنسة جوبرت ، التي تعرفنا بوجود تقويم أسيني والذي بحسبه كان يوم الفصح يقع دائما يوم الأربعاء ، وبناء على هذا التقويم ، فالمسيح يكون قد تناول العشاء الأخير مع تلاميذه في مساء يوم الأربعاء ثم صلب عشية الفصح الرسمي اليهودي الذي كان يقع في تلك السنة في يوم السبت (أي يوم الجمعة بعد الظهر) وفي هذه الفترة من يوم الأربعاء مساء إلى يوم الجمعة صباحا دارت أحداث الآلام والصلب ، فالآنسة جوبرت تعتقد أن هذه الأحداث قد حدثت في مدة تزيد على اليوم ، وتلخصها كالآتي :

في ليلة الثلاثاء إلى الأربعاء : تم القبض على يسوع والذهاب به إلى رئيس الكهنة جنان (مر ١٤ : ٥٣ ، لو ٢٢ : ٥٤ ، يو ١٨ : ١٣) ثم أسئلة رئيس الكهنة ليسوع (يو ١٨ : ١٩ — ٢٣) ثم إرساله إلى قيافا (يو ٢٨ : ٢٤) .

يوم الأربعاء : الجلسة العظمى لمحاكمة السيد (مر ١٤ : ٥٥ — ٦٤) .
 يوم الخميس : جلسة مشاورة ومؤامرة (مت ٢٧ : ١ ، مر ١٥ : ١) .
 ثم احضار يسوع أمام بيلاطس ، وبيلاطس يرسله إلى هيودس (لو ٢٣ : ٦ — ١٢) .

يوم الجمعة صباحا : يمثل مرة ثانية أمام بيلاطس (لو ٢٣ : ١٣) .
ثم انحكم عليه وصلبه • هذا هو البرنامج الذى تقترحه الأنسة جوبرت .
بخصوص المحاكمة •

على أن الذين يتمسكون بفكرة أن كل هذه الحوادث تمت فعلا كما
ترويها الأناجيل فى مدة أربع وعشرين ساعة ، يعتقدون بأن البت السريع
فى هذه القضية كان ضروريا ولازما لعدة أسباب :

١ — التمسك بالنص الكتابى الذى يفهم منه أن هذه الأحداث
حدثت فى أربع وعشرين ساعة •

٢ — كان يجب الحكم على يسوع بسرعة قبل حلول العيد . لتجنب
كل شغب وهيجان من ناحية الشعب •

٣ — خوف رؤساء الكهنة من أن تظن السلطات الرومانية أن يسوع
هو واحد من المساييا الذين يظهرون ويؤيدهم عدد كبير من اليهود ، فتجنبنا
لهجمات الرومان وضرياتهم القاتلة ، فضلوا الاسراع بتسليم يسوع
لأيدي الرومان لكي يبرهنوا على أنهم لا يؤيدونه ولا يشاركونه أفكاره
الثورية • ألم يعط قيافا هذه المشورة بالقول : « إنه خير أن يموت إنسان
واحد عن الشعب » ؟ ألم يقرر أيضا رؤساء الكهنة فى مجمعهم بعد أن
أقام يسوع لعازر ، بأن يسلموا يسوع للموت عملا بمشورة قيافا : « إن
تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا
وأمتنا • » (يو ١١ : ٤٥ — ٥١) • ولت هذه الآية الأخيرة تكون
وأضحى فى أذهاننا : « فيأتى الرومان ويأخذون موضعنا وأمتنا » •

وحقيقة الأمر ، أن الرومان كانوا محتلين للأمة اليهودية والموضع ،
فلماذا يقول اليهود فى المجمع هذه العبارة ؟

إن اليهود كما سبق القول كانوا يخشون أن يشك الرومان في أن الأمة اليهودية ورؤساءها يؤيدون يسوع وحركته كما حدث في الحركات المسيانية التي جاءت قبله والتي ضربها الرومان بشدة . وكأني بهم يقولون : قبل أن يصل الأمر إلى آذان الرومان ، وقبل أن يأتى هؤلاء لتخريب أمتنا وشعبنا وموضعنا هذا لكي يخدموا حركة يسوع وأتباعه، كما فعلوا بالحركات المسيانية السابقة ، لنسلمه إلى أيديهم ، فإنه « خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب » . ولقد أسلموه فعلا إلى أيدي الرومان ، الأمر الهام في تسليم يسوع والحكم عليه بالموت ، لا يتمثل في أن هذه القضية قد استمرت يوما أو يومين أو أن الأمور سارت فيها قانونية أو غير قانونية ، بل الأمر الأهم من ذلك كله ، هو أن يسوع المسيح قبل الموت ليس فقط لأجل الانسان بل بدلا من الانسان . أى أن ذلك القدوس البار الخالي من كل خطية وعيب ، وهو الوحيد الذى استطاع أن يتحدى اليهود بالقول : « من منكم يكتفى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) ، صار هو نفسه كما يقول الرسول خطية لأجلنا : « لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥ : ٢١) .

فعملية النيابة التي قام بها المسيح لم تكن عملية تمثيلية ، كما يقوم الممثل بلعب دور على المسرح ، فلا يحدث في حقيقة الأمر قاتل ولا مقتول ولكنه قبل فعلا وحقا أن يموت لأجلنا وبدلا عنا ، والغرض من هذا الموت هو أن يأخذ يسوع مكاننا كخطاة أمام الآب ، أى أن يصبح هو نفسه ، الذى لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا . فعلى الصليب أخذ المسيح مركز الانسان الخاطيء المتمرّد والمجرم والعاصي والمبتعد عن الله ، وبالتالي الانسان المرفوض من الله . وعندما احتل المسيح مكان هذا الانسان الخاطيء المرفوض ، وشرب الكأس إلى نهايتها وذاق مرارتها وعلقمها القاسيتين ، « صرخ بصوت عظيم قائلاً : إيلى إيلى لما شبعقتى ، أى إلهى إلهى لماذا تركتني » (مت ٢٧ : ٤٦) . والمسيح عندما قام بعملية

النيابة هذه ، لم يقيم بها كشخص يريد أن يفعل الخير لأجلنا أو يحسن إلينا بصنيعة ، بل قام بها لأنه أراد أن يأخذ مكاننا ، أى مكان البؤس والحزن والسجن والرفض والقضاء والموت . ولهذا الغرض عينه صار الله إنسانا لكي يوجد في نفس الظروف التي توجد فيها . لقد جرب ، تألم ، بكى ، عرف العطش والجوع والفراق : « لأنه في ما هو قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين » (عب ٢ : ١٨) . فإلهنا ليس بالإله البعيد عنا الساكن في سموات لا يدنى منها ، بل هو الانسان يسوع المسيح الذى يعرف ظروفنا ، يعرف تجاربنا مهما كان نوعها ، لأنه في أيام جسده جرب هو نفسه بكل هذه التجارب : « لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتها بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية » (عب ٤ : ١٥) . هو نفسه الذى يقول عنه كاتب رسالة العبرانيين : « الذى في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت ، وسمع له من أجل تقواه ، مع كونه ابنا تعلم الطاعة مما تألم به » (عب ٥ : ٧ - ٨ ، لو ٢٢ : ٣٥ - ٤٦) . فالمسيح مع كونه « الله الذى ظهر في الجسد » فهو إنسان كامل بكل ما تحمل كلمة إنسان من معنى ، وهذا الأمر الذى يعزى قلوب المؤمنين ويطمئنهم ، ذلك أن المسيح يسير معهم في تجاربهم وآلامهم وأحزانهم واضطراباتهم وخوفهم وانزعاجهم أمام مشاكل الحياة ، لأنه هو نفسه مر في هذه المراحل كإنسان ، بل انه تحمل الموت وقبله طوعا لأجل البشرية كلها .

والذى قام بهذه العملية النيابية ، هو الله نفسه متجسدا في الإنسان يسوع المسيح ، هذا هو الأمر الذى يعطى لهذه العملية أهميتها وعظمتها . ويقارن كارل بارت آلام المسيح بالآلام التى تحملها عدد كبير من الشهداء في تاريخ البشرية ، ويرى أن الأناجيل لا تقول بأن آلام السيد كانت فريدة ووحيدة من نوعها ، فكم من شهداء تألموا بطريقة أكثر وحشية مما تألم السيد . وقد ذاقوا العذاب لفترة أطول من الفترة التى ذاق فيها

الرب الآلام ، إذ أن كل ما حدث له حدث فى يوم واحد ، فإن كثيرين من هؤلاء الشهداء والأبطال أقبلوا على الموت بسرور وشجاعة ، وموتهم غير أيضا أشياء كثيرة فى مجتمعهم . ولكن الذى يجعل آلام المسيح مختلفة عن آلام هؤلاء جميعهم ، ليس نوع الآلام التى اجتازوا فيها ولا حتى طريقتها ، ولكن الذى يميز آلام السيد عن كل الآلام التى أذاقها البشر بعضهم لبعض ، هو الشخص المتألم نفسه ، والغرض من هذه الآلام . فالشخص الذى قاسى هذه الآلام هو المسيح ، الله الأزلى فى شخص ابنه يسوع المسيح ، أراد أن يكون إنسانا وبذلك تحمل هذه الآلام . وكارل بارت يؤمن بأن هذه الآلام التى قاساها السيد لم تحدث له عن طريق الصدفة ، بل أن هذه الآلام كانت معروفة فى علم الله السابق ، والمسيح لم يكن واعيا ومدركا لحسب أن هذه الأحداث المريعة القاسية ستحدث له ، بل أنه قبلها أيضا برضى وبسرور^(١) .

والسؤال الذى نسأله الآن هو الآتى : لماذا هذه الآلام ؟ إن الغرض من الآلام ! التى اجتازها السيد هو المصالحة . « أى أن الله كان فى المسيح مصالجا للعالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمة المصالحة » (٢ كو ٥ : ١٩) . هذا هو السبب الذى من أجله صار الله إنسانا وتآلم ، إنه أراد أن يضع يده فى يد الإنسان الخاطئ . فعلى الصليب علق المسيح كخروف الفصح ، حمل الله الذى يرفع خطية العالم . وبهذه الذبيحة وبهذا الموت استطاع المسيح أن يصالح الله القدوس العادل من الإنسان الشرير الخاطئ . لأن الإنسان كان فى عداوة مستحكمة مع الله . فبالسقوط أعلن الإنسان حربا شعواء ضد الله وضد وصاياه ، وأكن الله فى محبته التى لا تقاس ، جاء إلى الإنسان فى شخص يسوع المسيح ، ومد يده طالبا المصالحة . لأن الله منذ الأزل وقبل

(١) راجع كارل بارت مجلد ١٧ ص ٢٥٠ — ٢٦٠ النص الفرنسى
Dogmatique.

تأسيس العالم ، قد أحب الانسان وأحبه إلى المنتهى • وبما أننا فى مجال الكلام عن المصالحة والسقوط والخطية يحسن بنا أن نلقى نظرة على ما يعتقد بارت بخصوص هذه العقيدة ، فلقد ظل معلمو اللاهوت التقليديون يتبعون فى دراساتهم العقائدية وبطريقة منظمة ، البدء بمعالجة عقيدة مشككة السقوط والخطية ثم عقيدة المصالحة •

ولقد اتبع التقليديون هذا النظام لأنهم اعتقدوا بأن الخطية هى السبب الأساسى الذى اضطر الله معه إلى القيام بعمل المصالحة ، أو بتعبير آخر ، لقد ظن التقليديون (بروتستانت ، وكاثوليك وطوائف أخرى) أن دخول الخطية إلى العالم هو السبب الأساسى الذى دفع الله لعمل المصالحة ولموت المسيح أيضا • وأما بارت فيعتقد بأن الخطية ودخولها إلى العالم لم تكن السبب الأساسى والجوهرى فى المصالحة ولا فى موت المسيح على الصليب ، ولكن الذى دفع الله إلى أن يبذل ابنه الوحيد لكى يموت ويحتمل هذه الآلام ، هو المحبة التى عن طريقها قطع الله عبدا مع الانسان ، لأنه محبة أبدية قد أحبه : « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به » (يو ٣ : ١٦) • فالخطية إذن لم تكن السبب الأساسى فى المصالحة ، ولكنها كانت فرصة عن طريقها أظهر الله محبته • والله لم يكن مجبرا أو ملزما أو مضطرا ، بسبب الخطية ، التى هى ناحية سلبية ومن عمل الشيطان ، بأن يقوم بالمصالحة مع الانسان ، لكن ما دفع الله لكى يتخذ هذه الخطوة الايجابية وأن يمد يده لكى يصلح الانسان ، ليس الخطية ولا حتى الخطية الخاطئة جدا ، بل هى محبة الله التى لا يمكن قياسها • صحيح أن الخطية هى كسر العهد وتعدى الوصايا ، ولكن ما دفع الله لعمل المصالحة ليس هو أن الانسان كسر الوصايا فحسب ، بل أن الله أحب ويحب الانسان وقطع معه عهدا ، ولأجله كانت هذه المحبة ، وبسببها نراه الآن معلقا على الصليب لكى يتم هذا العهد الذى كسرتة الخطية والانسان ، فعندما قال

يسوع على الصليب : « قد أكمل » ، أراد بذلك أن يقول : إنه قد أكمل تجديد العهد الذى قطعه الله مع الانسان والذى كسره هذا الأخير (١) .
 رسالة الكنيسة اليوم هى رسالة محبة الله وإعلان هذه المحبة ، وليس غضب الله . وما أحوج العالم الحالى إلى هذه الرسالة ، رسالة المحبة المضحية الباذلة التى لا تطلب ما لنفسها بل ما للآخرين .

هل قيامة المسيح حقيقة أم أسطورة ؟

إن قيامة المسيح من الأموات مشكلة من المشاكل اللاهوتية التى أثارت عبر التاريخ جدلا حارا ومناقشات طويلة مختلفة ومتنوعة ، وأسئلة لا حصر لها . ومن الأسئلة التى طرحها اللاهوتيون وغير اللاهوتيين ، بخصوص قيامة السيد من الأموات : هل قيامة المسيح من الأموات هى حقيقة واقعية أم أسطورة ؟ هل يسوع الناصرى ، ابن مريم الذى صلب على يد بيلاطس البنطى ومات على الصليب ، قام حقيقة من الأموات ؟ وهل يمكننا أن نعتبر حادثة القيامة حادثة وقعت فعلا كحادثة موته على الصليب ؟ وهل يسوع الناصرى قام بجسده البشرى ؟ ...

كما أن كتاب الأنجيل الأربعة كتبوا لنا بشيء من التفصيل عن موت يسوع ، فإنهم سجلوا لنا أيضا حادثة القيامة (متى ٢٨ : ١ - ٢٠) (مرقس ١٦ : ١ - ٨ ، لو ٢٤ : ١ - ١١ ، يو ٢٠ : ١ - ١٨) وإن كانوا فى تسجيلهم لهذه الحادثة قد كتبوا بأسلوب قد يظهر للبعض أن فيه شيئا من عدم الانسجام والتوافق ، فإن الأمر الأساسى هو أن كل كاتب من هؤلاء الكتاب الأربعة يروى قصة القيامة كما فهمها . ولا نريد أن نناقش هنا التفصيلات الدقيقة والكثيرة الخاصة بقصة القيامة كما سجلها لنا الإنجيليون ، ولكن لنبحث هذا الموضوع كحادثة : أعنى هل

(١) راجع كارل بارت مجلد ١٧ من ص ١٦٥ - ١٨٠

هذه الحادثة حدثت فعلا في زمان ومكان معينين في عالمنا هذا ؟

لقد تكلم كثيرون من اللاهوتيين عن هذه الحادثة كثيرا ، وعندما نتكلم عن اللاهوتيين وعن ما كتبوه عن قيامة المسيح ، لا يمكننا أن نجهل موقف كارل بارت الذي يقدم لنا مفهوم العهد الجديد بخصوص هذه الحادثة ، فهو يعتقد بأن العهد الجديد يروي لنا قصتين في غاية الأهمية ، حدثت القصة الثانية منها عقب الأولى مباشرة ، وعلى وجه التحديد في اليوم الثالث ، وهي قصة القيامة . والذين يقصون لنا هذه الرواية هم شهود عيان قد رأوا وسمعوا ولسوا المسيح المقام (١ يو ١ : ١ - ٤) ، فالذين يروون لنا هذه القصة هم الرسل أنفسهم ، ويقصونها كقصة حقيقية حدثت فعلا في زمان معين وفي مكان معين أيضا (١) .

وهنا يظهر الخلاف الأساسي بين كارل بارت وبولتمان ، فإن بولتمان أراد أن يجعل من القيامة أسطورة . وهذا ما يعترض عليه كارل بارت بشدة قائلا : إن بولتمان جعل من حادثة القيامة أسطورة مفسرا إياها كميلاد الايمان في يسوع المقام ، إيمان يرجع أصله الى الوعظ . وبولتمان لا يريد أن يعتبر هذه الحادثة وحوادث الأربعين يوما التالية لها من الحقائق التاريخية إذ أنها لا تخضع للتاريخ ، أي لا يمكن إثباتها تاريخيا .

وكيف يمكن اثباتها تاريخيا؟ إن القيامة شيء حدث في إيمان التلاميذ . ولكن بارت يرفض بشدة هذه الفكرة شارحا أن إيمان التلاميذ في يسوع المقام ولد من عدم الايمان . فليس إيمان التلاميذ في يسوع المقام هو الذي جعل التلاميذ يعلنون هذه الحقيقة وينادون بها ، بل العكس هو

(١) راجع كارل بارت مجلد ١٢ من ص ١٢٠ - ١٢٧

Dogmatique

(النص الفرنسي) .

الصحيح ، أى أن يسوع الذى قام من بين الأموات هو السبب فى ميلاد الايمان فى قلوب التلاميذ الذين كانوا لا يؤمنون بقيامته • فشخص المسيح يسوع الذى قام من الأموات هو موضوع إيمانهم وسببه • إن الإيمان بقيامة يسوع لم يعرف طريقه إلى قلوب التلاميذ إلا بعد أن قام فعلا من بين الأموات وجاء إليهم فلمسوه وأكلوا معه وسمعته أذانهم ورأته عيونهم ، وتأكدوا من أنهم لا يرون خيالا بل لحما ودما ، يسوع الناصرى الذى صلب ، وعندئذ فقط آمنوا بقيامته ونادوا بهذه الحقيقة لأنهم رأوه حيا (١ يو ١ : ١٠) • إن بولتمان يعتبر أن ميلاد الإيمان فى قلوب التلاميذ بقيامته ، يعتبر قيامة (١) •

وأما بارت فإنه يؤكد بأن يسوع المسيح الذى صلب هو نفسه الذى قام ، وقيامته هذه كانت السبب فى ميلاد الايمان فى قلوب التلاميذ • ويواصل بارت شرحه لهذه المشكلة بالقول : فعلى المستوى النقدى يتساءل البعض : ماذا رأى التلاميذ بعد القيامة ؟ إنهم لم يروا إلا قبرا فارغا ، ثم رأوا أيضا المنديل الذى كان على رأسه وليس موضوعا مع الأكفان بل ملفوفا فى موضع وحده • هذا ما رآه التلاميذ ، وفى هذه الحالة يمكننا أن نقول بأنه سرق • ثم أن بولس يقول : « وأنه ظهر لصفاء ثم للاثنى عشر • وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ أكثرهم باق إلى الآن ، ولكن بعضهم قد رقدوا » (١ كو ١٥ : ٦ ، ٥) • وعلى نفس المستوى النقدى أيضا يمكننا أن نتساءل : إن بولس لا يقول كيف أو متى حدثت هذه الحادثة بالضبط وماذا رأوا • بولس يقول : « وأنه ظهر » فهل رأوا رؤية أم خيال ؟ • وهنا يقول بارت إنه صحيح أن بطرس لم يزل إلا قبرا فارغا والسيد لم يكن هناك • ولكن بكل تأكيد

(١) راجع كارل بارت المجلد ١٢ من ص ١٢٠ - ٣٠٢ وخاصة ١٢٠ - ١٤٢ : (النص الفرنسى) •

لم يكن هذا كل ما رأوه • فإن كان القبر فارغا ، فقد رأوا بعد ذلك المسيح الذى قام من الأموات • ثم أن بولس فى (١ كو ١٥ : ٤ - ٥) يتكلم عن يسوع الذى مات ودفن وقام • هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يقدم لنا بولس الشهود الذين رأوه بعد القيامة • فهؤلاء الشهود لم يروا خيالا أو شبه إنسان أو انسانا يشبه يسوع ، لكن الرسول يحدد أن الشخص الذى رأوه هو يسوع المسيح الذى صلب ومات ودفن • هذا ما قد رآه التلاميذ وما أرادوا أيضا أن يبشروا به • فإذا كان المسيح لم يقم من الأموات فالرسل إذا شهدوا زور (١ كو ١٥ : ٤) ، لأن المسيح لم يقم من الأموات وهم يقولون بأنه قام • كلا ، فإن المسيح قد قام من الأموات • إن القصة التى يقصها علينا الرسل هى قصة حقيقية ، إذ أنهم شهود حقيقيون • إنهم شهدوا قد عاينوا موته وقيامته ، وهذه القيامة قد حدثت فعلا وحرفيا ، وليست أسطورة خيالية يرويها الرسل لى يشرحوا عن طريقها إيمانهم فى عقيدة القيامة بالمسيح • فعلى العكس فى ذلك ، إن المسيح الذى قام من الأموات هو أساس ومصدر هذا الايمان • فلأنهم رأوه عيانا ولمسوه بأيديهم وتكلموا معه وجها لوجه ، ولد الايمان فى قلوبهم • فإن الايمان بحقيقة قيامة المسيح لم يولد فى قلوب التلاميذ بل لم يفكروا فيه من قبل ، إلا بعد أن قام المسيح فعلا ، كاسرا شوكة الموت المخيفة • فبعد القيامة جاء إلى تلاميذه حيا ، وأكل وشرب معهم وأكلوا وشربوا معه • لقد تقابل بعد القيامة الطرفان وجها لوجه : التلاميذ الأحياء الذين كانوا يسيرون نحو الموت ، مع ذاك الذى قام من بين الأموات والموجود أيضا منذ الأزل وهو الحى • هنا فقط يولد الايمان فى قلوب التلاميذ لأنه يأتى إليهم فى شكوكهم وعدم إيمانهم ، بصورة ملموسة محسوسة ومنظورة حتى يستطيع أن يلمسه ويراه من يقول : « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع إصبعى فى أثر المسامير وأضع يدي فى جنبه لا أؤمن » (يو ٢٠ : ٢٥ ، ٢٦ : ٢ - ٥) • والمسيح الذى (م ٢٢ - تاريخ الفكر المسيحى)

قام من الاموات يظهر نفسه لهم ويطلب منهم أن يلمسوه بأيديهم :
 « أنظروا يدي ورجلي ، إني أنا هو • جسوني وانظروا. فإن الروح ليس
 له لحم وعظام كما ترون لي » (لو ٢٤ : ٣٩) • وهنا يتغير كل شيء
 بالنسبة للتلاميذ لأنه من هذه المقابلة الحقيقية والفعلية ، مقابلة المسيح
 الذي قام من الموت مع التلاميذ ، ولد الايمان في قلوب التلاميذ بل
 أصبحت هذه الحقيقة من الحقائق الأساسية والراسخة والتي من أجلها
 كان الرسل على استعداد ، ليس فقط لقبول الاضطهاد والعذاب ، بل
 حتى للموت • إن قصة القيامة بعيدة كل البعد عن الأساطير ولها اتجاه
 آخر يختلف الاختلاف كله عن الأحاديث والقصص الخرافية والأساطير •
 وذلك لأن هذه الحادثة خاصة بيسوع المسيح •••

وبارت لا ينكر أنه ليس من السهل ، بل أنه من الخطورة أن نضع هذه
 الحادثة على المستوى التاريخي ، بل ليس من السهل أيضا أن نضعها على
 نفس الدرجة أو المكانة التي تحتلها حادثة الصلب ، لأن هذه يمكن إثباتها
 تاريخيا وفهمها أيضا ، وأما القيامة فهي تختلف نوعا عن حادثة الصلب •
 وبارت لا يعنى بهذا القول ، أن يهدم ما سبق أن قاله عن القيامة ، بل
 ما يريد أن يقوله هو أنه ليس من السهل أن نثبت حادثة القيامة تاريخيا ،
 ولكننا نؤمن بأنها حدثت فعلا وحرفيا. في التاريخ • ومما لا شك فيه أن
 حادثة القيامة حدثت في التاريخ كما حدثت عمليتا الصلب والموت تماما •
 ولكن من الناحية التاريخية فنحن نقف هنا على أرض أخرى تختلف عما
 حدث في القيامة •

إن انقيامة من الناحية التاريخية ، تختلف نوعا عن حادثة الصلب
 والموت ، لأن الذي ينقص حادثة القيامة من الناحية التاريخية ، هو عدم
 ذكرها في التاريخ من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن شهود هذه الحادثة

شهود منحازون • وهذا لا يعنى بأى حال من الأحوال أن هذه الحادثة لم تحدث ، لأنه كما سبق القول إن إيماننا بالمسيح لا يتوقف على ما يقوله الناس والتاريخ عن يسوع وقيامته ، بل ما يقوله يسوع نفسه والتلاميذ وشهود البيان •

ومن هنا تأتى إليك السؤال الثانى الذى سبق أن سألتناه : وهو إذا كان المسيح قام فعلا ، هل قام بالجسد ؟

ولنرجع إلى بارت الذى يصرح بطريقة حاسمة وواضحة بأن يسوع الناصرى الذى ولد من مريم العذراء ، قام بجسده ، ولقد كتب يقول : « لقد حدث تغيير بعد القيامة ولكن هذا التغيير لم يكن انفصال أو نزع أو طيران الروح بعيدا عن الجسد ، بل على العكس فى ذلك ، فقد قام المسيح جسدا وروحا ، وهكذا جلس عن يمين الله ، وهكذا أيضا سيأتى من هناك (١) » • وبارت يشدد كثيرا على هذه الحقيقة أى أن المسيح قام روحا وجسدا • فإذا لم يكن المسيح قد قام بالجسد • • • بهيئة منظورة ومسموعة وملموسة كما مات ، فإن عظامنا وإيماننا كمسيحيين فارغان وباطلان ، ونحن ما زلنا فى خطايانا (٢) • وبهذا القول يقفل بارت الباب أمام الذين يعتبرون أن قيامة المسيح خرافة أو أسطورة لأنه لا يمكن قبول حقيقة أن المسيح هو الله دون أن نقبل فكرة قيامته من الأموات ، فهو الذى مات بجسده وقام بجسده وجلس عن يمين الآب ولذلك فهو حى •

إن الله الذى له السلطان المطلق هو الذى أقام يسوع من الأموات، لقد تدخل الله بطريقة مباشرة لكى يقيم ابنه من الأموات • وناسوت

(١) انظر كارل بارت مجلد ١٢ ص ٤ ومجلد ١٧ ص ٢٧٢ •

(٢) انظر كارل بارت ص ٣٧٠ - ٣٧٥ Dogmatique المجلد ١٧ •

(: النص الفرنسى :)

المسيح ليس له أى دخل فى هذه العملية (غل ١ : ١ ، رو ٦ : ٤ ، أف ١ : ٢٠) فإن إعطاء الوجود أو الحياة إلى الانسان بعد الموت لا يتوقف على الانسان ومقدرته ، ولا على ما يرغب فيه ، ولا على ما يعمل ، ولكنه يتوقف كلياً وجزئياً على الله . لأن كلمة موت أو يموت تعنى عدم الوجود ، عدم الرغبة ، وعدم العمل ... الخ . هنا ، وهنا فقط يظهر التدخل الالهي . الله يهب الحياة للمائت ، وهذا الشيء مستحيل أن يعمل الانسان ولكنه ممكن لله فقط (عب ١١ : ١٩ ، ٢ كو ١ : ٩ ، رو ٤ : ١٧) . وهنا تختلف أيضاً حادثة موت المسيح عن حادثة قيامته . إذ أن موت السيد على الصليب كئائب عنا ، كان إرادة الله المحتومة ، ولكن هذا الموت من حكم وجلد وصلب ... الخ ، قام بتنفيذه البشر (١) . وهنا نرى الأيدي البشرية عاملة ومساهمة فى حادثة الصلب . أما فى حادثة القيامة فنرى الله وحده المنفذ والعامل . فهو يعمل كالسيد المطلق ، وهو يقوم بنفس الدور الذى قام به فى بدء الخليقة ، إنه الخالق والمعطى الحياة . ولهذا السبب يظن بارت بأنه لا يمكن أن ننسب هذه الحادثة إلى سجلات الحوادث التاريخية ، أو أن نعطيها الطابع التاريخي الذى نعطيه للحوادث التى سجلت فى التاريخ وأصبحت وثائق تاريخية ، كما هو الحال فى حادثة صلب وموت المسيح ، فمع أن موته قد نفذ بلا جدال بناء على إرادة الله ، ولكن كان للانسان دور قام به ، وهنا نجد المستندات التاريخية . لتدخل الانسان فى العملية ، وأما قيامة المسيح من الأموات ، فالذى قام بكل العملية هو الله الذى أقامه من الأموات بدون أية مشاركة من جانب البشر ، وهنا نقص المستند التاريخي ، ولكن هذا لا يعنى بأية حال كما سبق القول ، أن هذه الحادثة لم تحدث فى الزمان والمكان كما يظن البعض (٢) ، فإن كانت هذه الحقيقة تفوق ادراكنا فهذا لا ينفي حدوثها . لأن ما يفوق ادراكنا فى هذا الأمر هو العمل أو التدخل الالهي .

(١) انظر كارل بارت مجلد ١٧ ص ٣١٦ — ٣١٩ النص الفرنسي .

(٢) انظر كارل بارت مجلد ١٢ ص ١٣٠ .

فعملية قيامة المسيح من الأموات تعنى أن الله تدخل بنفسه • وكلمة قيامة فى مفهوم بولس موازية لكلمة « الالهى » ، إنها تفسير الكلمة « الله » وما دام « الله » هو العامل ، هو المتدخل ، فكل شىء مستطاع سواء أكان الميلاد انعذراوى الذى هو علامة حلول الله فى عالمنا ، أو كان القيامة من الأموات التى تعتبر تدخل الله فى إقامة يسوع المسيح من بين الأموات •

وبارت يفرد لهذه الحادثة مكانة خاصة ومرموقة فى تعاليمه ، لأنه عن طريق هذه الحادثة قد ثبت أن يسوع هو المسيا ، ابن الله • لأنه فى أثناء إقامة الرب على الأرض بيننا كان لاهوته محتجبا فى الناسوت وأصبح ابن الله فى خلال هذه المدة، غير معروف كابن الله إلا من الآب، ولكن بالقيامة وعن طريقها ينزاح الحجاب ، فنرى لاهوته ومجده ويصبح معروفا ومعترفا به كابن الله • فحتى التلاميذ الذين كانوا يشاركونه الحياة لم يستطيعوا أن يدركوا هذا الأمر العظيم إلا بعد القيامة (رومية ١ : ٤) • وبهذه الحادثة أيضا وعن طريقها أعلن المسيح بطريقة ظاهرة ما كان عليه من قبل أى السيد KUNIOS ولا أقول أصبح المسيح

« السيد » KUNIOS ، لأنه كان وما زال « السيد » KUNIOS حتى فى أيام تجسده التى صار فى خلالها خادما وعاش بين الناس كإنسان وذلك لأنه أخفى نفسه من كل مظهر إلهى • فإن الذين عرفوه قبل قيامته ، عرفوه معرنة تختلف تماما عن معرفتهم له بعد قيامته من الأموات ، وحادثة تلميذى عماوس تعطى لنا صورة واضحة شفافة لهذه الحالة (لو ٢٤ : ١٣ - ٤٣) ، فالمسيح يقترب من التلميذين ويبدأ فى التكلم معهما ، وبعد وقت من الحديث يعرفانه ويقول الكتاب : « فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما » • إنهما عرفاه بأنه هو يسوع نفسه الذى كان معهم قبل القيامة ، ولكن فى هذه المرة عرفاه بطريقة أخرى • صحيح أنه هو يسوع نفسه الذى كان معهم ، والذى مات والذى دفن ،

واكتهم يرونه في هذه المرة بصورة أخرى وفي هيئة مختلفة • إنهم يرونه الآن كالسيد، كالمسيح الذي يختلف الاختلاف كله عن عقيدتهم وعن عقيدة اليهود المسيانية ، كما قالوا له : « ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل » (لو ٢٤ : ٢١) • لقد رأوا فيه بعد القيامة ما لم يروه فيه قبل قيامته من الأموات ، إذ أنهم رأوا فيه قبل القيامة مسيا على نمط مسيا اليهود •

بالقيامة تغيرت المفاهيم تغيرا كليا وجزئيا ، فالتلاميذ سوف لا يتساجرون ، فيما بعد بسبب من سيكون الأول أو الثاني ، أو من سيكون على يمينه أو على يساره في ملكوته العتيد ، ولكنهم يحملون الآن المشط وينطلقون إلى العالم حاملين هذا الخبر السار السعيد بأن المسيح بالحقبة قام وسيقيمنا أيضا معه •

ويرى بارت في حادثة القيامة من الأموات جواب الله الإيجابي أو « النعم » التي نطق بها الله لصالحنا أو لأجلنا • فالمسيح على الصليب أخذ مكان الإنسان الخاطيء ، وبالتالي فقد تحمل هذه الآلام ومنها غضب الله عليه ، فقد كان جواب الله ليسوع المعلق على الصليب هو جواب نفى : أي « لا » ، أو بمعنى أصح لقد حول الله وجهه عن هذا البديل حتى يجرع الكأس إلى نهايتها ، ولذلك فقد صرخ قائلا : « إيلي إيلي لما شبعقتي أي إلهي إلهي لماذا تركتني » (متى ٢٧ : ٤٦) • أن هذه الصرخة تعلن لنا الحقيقة المرة المظلمة ، وهي غضب الله الذي انصب على يسوع كممثل للبشرية الخاطئة المحكوم عليها بالموت • فإن الله الأب حول وجهه عن ابنه ، وفي هذه اللحظة يقول : « لا » SON NON واذلك يسلمه للموت حتى ينتصر الموت عليه هذا الانتصار ، أي أن انتصار الموت على المسيح أصبح انتصارا على البشرية كلها • لقد مات

المسيح بهذا الحكم ، عندما نطق الله SON NON جوابه بالنفى (١) .

وإنك تسكرا لله لأن القصة لا تنتهى هنا « بلا » النفى والقضاء على المسيح ، بل أن الله الذى قال « لا » ليسوع ، وبهذا أسلمه إلى الموت ، لقد أقامه من بين الأموات ، لقد خلصه من الموت . وفى إقامته للمسيح قد أقام معه البشرية كلها . لقد مات لأجل خطايانا ، ولقد دفن هذه الخطايا فى القبر ، وعندما قام من قبره منتصرا على الموت ترك هناك خطايانا فى قبرة معلنا بأننا لسنا بعد خطاة بل أبرارا فيه وبه (رو ٤ : ٢٤ ، ٢٥ : ٢ ، ٢٥ : ٥) . إن قيامة المسيح كانت هى التاج الذى توجت به كل الأعمال التى قام بها المسيح ، فبالقيامة أراد الله أن يخلق خليفة جديدة ، إذ أن الأشياء العتيقة لم تمض فحسب ، بل أصبحت أيضا جديدة . فإن الله بإقامته للمسيح يريد أن يقيم عالما جديدا عالما يغفر فيه الخطايا ويسيطر عليه السلام ، وتنتشر فيه المحبة الحقيقية (٢) وكما أن الله قد قال « نعم » ليسوع وأعلن جهارا سيادته على الكون KUNIOS (فى ٢ : ٥ - ١١) ، لأن المسيح كان الشخص الذى أطاع الآب طاعة كاملة حتى الموت ، موت الصليب والعار ، فهو أيضا يريد أن نطيعه كما أطاعه المسيح وأن نكرس نفوسنا وحياتنا لشخصه الكريم ، لأنه قد آمننا معه وبذلك يريدنا أن نسلك معه فى جدة الحياة . إن قيامة المسيح من الأموات لا تعنى انتصاره هو فقط على الموت بل انتصارنا نحن أيضا عليه ، فلقد كسر شوكتة وصولته ، قائله : « أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية ٠٠٠ » (١ كو ١٥ : ٥٥) .

وقبل أن نختم هذا الفصل عن قيامة المسيح من الأموات نود أن نشير إلى نقطة قد ذكرها « ألثاوس » ALTHAUS لاهوتى آخر تكلم

(١) انظر كارل بارت مجلد ١٧ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ النص الفرنسى .

(٢) انظر كارل بارت مجلد ١٧ ص ٢٢٣ - ٢٦٩ النص الفرنسى .

عن (قيامه المسيح) • لا نريد أن نبحث هنا في كل ما قاله اللاهوتيون في هذا الموضوع وإلا لأصبح الأمر مستحيلا لكثرة ما قيل وكتب فيه •
 إن ألتاوس (A. ALTHAUS) يدافع عن هذه الحقيقة فيقول :
 إن خبر قيامه المسيح من بين الأموات قد انتشر بعد القيامة مباشرة ، فلو كان هناك أدنى تزوير في هذا الخبر لافتضح الأمر سريعا ، إذ أن هذا الخبر قد انتشر في نفس المكان الذي فيه يمكن التحقق منه بطريقة عملية •
 على أن هيرش (E. HIRSCH) يعترض على هذه الحجة بقوله إن فتح القبور والتحقق من الجثة أمر غير سهل بل محرم ، الأمر الذي فأت ألتاوس (A. ALTHAUS) في بحثه لهذه النقطة (١) • فإن اعتراض هيرش ، وإن كان من الناحية الدينية اليهودية صحيحا ، وهو عدم استخراج الجثث للتأكد منها ، إلا أنه في هذه الحالة بالذات لا وزن له •
 فإن اليهود الذين عملوا كل ما في وسعهم وما في سلطانهم ، مستخدمين الكذب والمكر والخيانة والغش لكي يصلوا إلى مآربهم من صاحب المسيح وإزاحته من على المسرح ، كانوا على تمام الاستعداد أيضا لأن يذهبوا إلى القبر وأن يستخرجوا جثة يسوع للتحقق منها ، حتى لو كان هذا الأمر محرما ، فأى حرمة قد راعوها في حلب المسيح ؟ وأى قانون قد طبق في محاكمته ؟ لقد كان أمر التحقق من قبر المسيح أمرا سهلا ، وخاصة أن يسوع لم يوضع في مقبرة عامة حيث كانت تدفن جثث المجرمين ، بل أن جسده قد وضع في قبر جديد • « • • • » وأنزله ولفه بكتان ووضع في قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط » (لو ٢٣ : ٥٣) فاعتراض هيرش إذن لا محل له وألتاوس على حق في هذا الأمر ، وكما سبق القول إننا لا نريد س : مناقشة كل ما قيل في هذا الموضوع ، فقط نود أن نقول إن السيد نفسه قد تتبأ قبل موته بقيامته محمدا اليوم الثالث لهذه القيامة (متى ١٢ : ٤٠ ، ٢٠ : ١٩ ، ٢٣ : ٦٣ ، مر ٨ : ٣١ ، ٩ : ٣٠ ، ١٠

(١) W. Pannenberg. Esquisse d'une Christologie les Editions du Cerf. النص الفرنسي ص ١١٧ •

٣٤، ١٥ : ٦، لو ١٣ : ٣٢، ١٨، ٣٣، يو ١١ : ١٩، ١٦ : ١٦-٢٢) *
 ثم حقيقة أخرى يجب عدم اغفالها هي القبر الفارغ ، فإن هذا الأمر
 لا يذكره إنجيل متى وبعض النساء فقط (متى ٢٨ : ٥ - ٨، مر ١٦ :
 ١ - ٨، لو ١٤ : ١ - ٩، يو ٢٠ : ١ - ٢) ، بل يظهر أيضا في محاولة
 اليهود إخفاء قيامة يسوع (متى ٢٨ : ١١ - ١٥) ، وهناك دليل آخر
 على قيامته من الأموات وظهوره .

وهناك نوعان من الظهورات : ١ - ظهورات في أورشليم .
 ٢ - ظهورات في الجليل (متى ٢٨ : ٨ - ١١، ٢٨ : ١٦ - ٢٠) ويذكر
 مرقس حادثة الظهور ثلاث أو أربع مرات إذا حسبنا الصعود (مر ١٦ :
 ٩ - ١١، ١٦ : ١٢، ١٦ : ١٤، ١٩ : ١) ، ولوقا يذكرها أربع مرات
 (لو ٢٤ : ٣٤، ٢٤ : ١٣ - ٣٦، ٢٥ : ٤٢، ٤٤ - ٥١) ، ويوحنا أربع
 مرات (يو ٢٠ : ١١ - ١٨، ١٩ : ٢٣، ٢٤ - ٢٩) ، وبولس يشدد
 عليها في (١ كو ١٥ : ١٥) .

إن هذه الشواهد الكتابية السابقة وشواهد أخرى تتكلم بطريقة
 واضحة وصريحة عن قيامة الرب يسوع من الأموات . وبلا شك أن حقيقة
 قيامة المسيح من بين الأموات أمر يفوق ادراكنا ، ولا نستطيع أن نفهمه
 بعقولنا البشرية المحدودة ، ولكن يجب قبوله بالايمان . وكما يقول إميل
 برونر : ... أما حقيقة قيامته من الأموات فلم يدركها أو لم يعاينها إلا
 المؤمنون . إن حادثة القيامة ليست حادثة تاريخية بالمعنى الذى تحمله
 كلمة تاريخ ، لأن ما هو تاريخى يجب أن يكون معروفا من الجميع ، أما
 حادثة القيامة فهي من طبيعة أخرى ، فهي ليست بتاريخية إلا للمؤمن
 لأنها تفوق التاريخ .

فبالرغم من الاعتراف العظيم : « أنت المسيح » ، ظل الرسل

أنفسهم جاهلين لهذه الحقيقة إلى أن غير المسيح المقام هذا المفهوم بقيامته (١) .

إن هذه الحقائق الروحية لا يمكن قبولها إلا بالايان فإن الله العظيم الذي جاء إلى أرضنا ودخل تاريخ عالمنا بطريقة معجزية ، بميلاده من عذراء ، ثم خرج من بطن القبر ظافرا منتصرا على الموت وعلى الهاوية ، يستطيع أن يعطينا الايمان الذي ينير العقل والذهن وعندئذ نقول مع توما : « ربى وإلهى » (يو ٢٠ : ٢٨) .

ونزل إلى الجحيم

بما أننا في معرض الكلام عن الأيام الأخيرة التي قضاها الرب يسوع المسيح بالجسد على أرضنا ، وبما أننا قد سبق أن تكلمنا عن صلبه وموته ، ثم عن قيامته من بين الأموات وكيف أنه قام ظافرا منتصرا ، يجسن بنا قبل أن ننتقل إلى الجزء الثالث من هذا الكتاب ، أن نلقى نظرة سريعة جدا على عقيدة نزول المسيح إلى الجحيم . ففي الصفحات السابقة رأينا السيد الذي أسلم إلى الموت ثم قام في اليوم الثالث من بين الأموات كاسرا شوكة الموت وغلبة الهاوية ، فالقيامة حدثت في صباح يوم الأحد فجرا ، ولكن صعود السيد وجلوسه عن يمين الآب لم يتم فورا بعد موته على الصليب . بل توجد فترة من الزمان تفصل بين حادثة الموت وبين حادثة الصعود وتقدر بحوالى أربعين يوما . ولوقا يقول في كتاب الأعمال : « ... إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم ، الذين أراهم أيضا: نفسه حيا ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » (أع ١ : ٣ ، ٢) .

(١) El Brunner. La doctrine Chretienne de la Redemption. dogmatique tome 2 P. 362 - 367.

والسؤال الذى يطرح نفسه أمام هذا النص وأمام نصوص أخرى متشابهة هو : أين ذهب المسيح بعد الموت والقيامة ... وإذا كان لوقا يسجل لنا أنه توجد فترة أربعين يوما تفصل بين موته وصعوده إلى الآب، فماذا كان يعمل المسيح في هذه الفترة .

قبل أن ندخل في دراسة هذا الموضوع ، يحسن بنا أن نلفت نظر القارئ إلى نقطة هامة ، هي بعض التعبيرات الكتابية التى تظهر وكأنها لا تتفق وعلم الفلك والفضاء الحديثين ، فإن معظم التعبيرات الكتابية تقدم لنا الكون كما لو كان مكونا من عدة طبقات . ولقد اعتقدت الشعوب القديمة بصفة عامة والشعب السامى (اليهودى) بصفة خاصة ، بأن الكون يتكون من عدة طبقات ، السماء من فوق والأرض تحت السماء ، وما تحت الأرض ، أو الشيول Schéol أى السماء والأرض والجحيم . كان هذا المفهوم منتشرا بين شعوب كثيرة وخاصة بين شعب إسرائيل (تك ١٧ : ٢٢ ، ٣٠ : ١٣ - ٢٧ ، أى ٢٢ : ١٢ ، مز ٢ : ٤ ، ١٨ : ١٠ ، ١٠٣ : ١٩ ، ١٠٤ : ٣ ، ١٤٤ : ٥ ، ٢ كو ١٢ : ٢ - ٤ ، أف ١ : ٢ - ٢٣ ، ٤ : ٨ - ١٠ ، فى ٢٤ : ٥ - ١١ ، ١ تيمو ٣ : ١٦) .

من هذه الشواهد ومن شواهد أخرى كثيرة يتضح لنا أن الذين كتبوا ، بارشاد الله ووحيه ، الكتاب المقدس بعهديه ، كانوا يشاركون معاصريهم في المفهوم الخاص بالفلك والفضاء . ومما لا ريب فيه أن هذا الأمر لا يعتبر بأى حال من الأحوال نقصا أو عيبا في الوحي المقدس ، بل إننا نعتبر أن هذه التعبيرات التى لا تتفق وعلم الفضاء الحديث ، تعبيرات في غاية القوة لأن هدف الرسالة التى كان ينطق بها الله على فم الأنبياء والرسل ، هي التوبة والرجوع إلى الله بقلب منكسر وروح منسحق ، ولكي يرجع الانسان إلى الله تائباً نادماً على خطيئته مجدداً عهده معه ، يجب أن تكون الرسالة الموجهة إليه رسالة مفهومة . ولهذا السبب فإنه

كانت كلمه "اله" التي نطق بها قديسوه في كل هذه العصور ، كلمات تتفق مع كثير من المفاهيم الفلكية والكونية القديمة التي كانت منتشرة ومعروفة، ومفهومة بهذه الصورة . فلو تكلم الله في أنبيائه ورسله مستعملا تعبيرات علمية دقيقة ، فمن كان يمكنه أن يفهم هذه الاصطلاحات والتعابير التي كانت مجهولة وغير معروفة بالمرّة في تلك العصور ، التي كان فيها الناس يعتقدون بأن الأرض مسطحة وفاصلة بين السماء من فوق حيث عرش الله وبين الهاوية من تحت حيث يوجد الشياطين . فالله استعمل إذن في توصيل رسالة الخلاص ، المفاهيم السائدة المنتشرة ، لكي يفهم الناس هذه الرسالة ، وهنا نرى ليس ضعف كلمة الله كما يظن البعض لأنها لا تتفق والله الحديث ، بل قوة هذه الكلمة وعمقها لأن الله استعمل الأسلوب الذي يفهمه الانسان لكي يوصل عن طريقه رسالته . وواجبنا نحن الذين نعيش الآن في القرن العشرين هو البحث عن هذه المفاهيم المختلفة التي كانت منتشرة بين الشعوب الكثيرة ، لا لكي نثبت أو نقول بأن الكتاب المقدس ملأ بالأغلاط العلمية ، بل لكي نعرف نحن الذين توفرت لدينا الآن كثير من المعلومات الفلكية والكونية التي كانت مجهولة وغير معروفة تماما لهذه الشعوب ، بأن القصد من هذه التعابير هو توصيل الرسالة إليهم بالأسلوب الذي يفهمونه . فالحصيلة العلمية التي نتمتع بها الآن والتي تشرح لنا المفاهيم القديمة عن الكون تساعدنا على فهم لماذا استعملت هذه التعابير التي لا تتفق والعلم الحديث ، إذ أن هذا الأخير أصبح الآن ملأ بكثير من المعلومات والمفاهيم التي كانت سائدة ومنتشرة في العالم القديم . إننا لا نجهل أن الذين يحاولون توفيق الاصطلاحات الكتابية مع العلم الحديث في هذه المشكلة ، يرجعون إلى بعض الآيات التي تتكلم عن كروية الأرض مثل قول إشعياء : « الجالس على كرة الأرض وسكانها... » (اش ٤٠ : ٢٢ ، أيو ٢٢ : ١٤ ، ٢٦ : ٧) ، فمع أن إشعياء يتكلم عن كروية الأرض ، فهو في حقيقة الأمر لا يصف بهذه الآية (٢٢ : ٤٠) الأرض الكروية المعروفة لنا ، بل يصف للفضاء

الذى يغطى الأرض ، فهو يرى كما نرى الآن بالعين المجردة ما نسميه « قبة السماء » • على هذه القبة الكروية ، يرى إشعياء الله جالسا ، فما يريد إشعياء أن يقوله هو أن الله لا يجلس على الأرض بل على قبة الأرض ، أى على الفضاء أى الفضاء الذى يغطى كل الأرض المسطحة •

والذى نريد أن نقوله هنا هو أنه لا يوجد تناقض بين العلم والدين، إذا رجعنا إلى مفاهيم الشعوب والأمم التى وجهت إليهم رسالة الكتاب فى تلك العصور • فإن هذه الشعوب لم يكن ممكنا لها أن تفهم رسالة الكتاب لو أنه كتب بلغة علمية حديثة تفوق ادراكهم وعلمهم • فالكتاب المقدس ليس بكتاب علمى بل هو كتاب روحى همه الأول هو توصيل رسالة محبة الله إلى الانسان بالطريقة التى يفهمها الانسان حتى ولو كانت هذه الطريقة التى يستعملها خاطئة بحسب مفهوم العلم الحديث •

لهذا اسبب استعمل كتاب الكتاب المقدس الأسلوب الذى كان « يتمشى » وعقلية الذين كتب لهم الكتاب •

فعندما يحاول كتاب الكتاب المقدس أن يصفوا لنا عملية صعود المسيح إلى الآب كما لو كانت عملية صعود إلى العلاء ، أو عملية نزوله إلى طبقات الأرض السفلى كما لو كانت عملية نزول إلى قاع الأرض أو ما تحت الأرض ، فهذا الوصف يتفق تماما ومفهوم للكون فى ذلك الوقت •

ولنرجع الآن إلى السؤال الذى تركناه معلقا وهو السؤال الخاص بنزول المسيح إلى طبقات الأرض السفلى ، فكما أشرنا سابقا بأن المسيح لم ينطلق إلى الآب بعد الموت مباشرة ، بل انقضى على ذلك حوالى أربعين يوما • فماذا كان يعمل السيد خلال هذه الفترة ؟ هل كان مع الآب ؟ أو مع الملائكة أو مع الذين رقدوا سابقا ؟ أين كانت روح المسيح فى خلال الفترة التى كان فيها الجسد موضوعا فى القبر ؟

وعندما حاول اللاهوتيون الاجابة على هذه الأسئلة الشائعة انقسموا إلى فريقين :

الفريق الأول : يعتقد هذا الفريق من اللاهوتيين بأن روح المسيح بعد انفصالها عن الجسد وتركه فى القبر ، ذهبت إلى الجحيم لتبشير المسجونين فيه (١) * والذين يتمسكون بهذه العقيدة يرجعون إلى عدة فصول كتابية وإلى بعض أقوال الآباء لكى يؤيدوا نظريتهم هذه ، فلقد ظن هؤلاء بأن الفصول الكتابية الآتية : « وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضا أولا إلى أقسام الأرض السفلى ٠٠٠ » (أف ٤ : ٨ - ١٠ ، رو ١٠ : ٦ ، أع ٢ : ٢٤ - ٣١ ، متى ١٢ : ٣١ ، ٣٣ ، ١ بط ٣ : ١٨ ، ١٩) ، « فإنه لأجل هذا يشر الموتى لكى يدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح » (١ بط ٤ : ٦) تشير إلى نزول المسيح إلى الجحيم .

على هذه الشواهد السابق ذكرها أعلاه ، يبنى كثيرون من اللاهوتيين عقيدة نزول المسيح إلى الهاوية أو إلى الشيول أو الجحيم ، فلقد ظن بعض هؤلاء اللاهوتيين بأن روح المسيح بعد انفصالها عن الجسد ، ذهبت إلى الهاوية ، المكان الذى فيه حفظت أنفس الذين رقدوا فى الايمان ، لكى تعلن لهم الخبر العظيم بقيامة المسيح من الأموات . وأما البعض الآخر من نفس هذا الفريق فيؤمن بأن روح المسيح ذهبت إلى الجحيم لكى تبشر ، ليس فقط الأبرار الذين رقدوا فى الايمان ، بل ذهبت إلى انجحيم نفسه ، إلى الذين تفصلهم عن الأبرار هوة عظيمة لا يمكن عبورها (لو ١٦ : ٢٦) ففى تلك الفترة التى كان جسد يسوع موضوعا فى قبر جديد ، وفى الفترة التى تلتها ، كانت روح المسيح تقوم بعملية التبشير فى الهاوية أو فى الجحيم .

(١) انظر قاموس

Dict. de théologie Catholique Tome 4e Premier Partie

(تحت مقام ونزل إلى الجحيم)

ولقد وجد هؤلاء اللاهوتيون فى أقوال بعض الآباء سندا يؤيد عقيدتهم هذه . فقد كتب عن نزول المسيح إلى الجحيم كل من هرمس السراعى ويوستينيوس وترتليانوس وإيريناوس . فإن يوستينيوس وترتليانوس وإيريناوس اعتقدوا بأن المسيح قد وعظ فى أثناء إقامته فى الهاوية ، وكن لم يستقد من عظاته فى الجحيم إلا آباء العهد القديم فقط الذين كانوا ينتظرون تحقيق المواعيد النبوية . وأما معلمو الاسكندرية فقد ظنوا بأن تبشير المسيح فى الهاوية أو فى الجحيم كان موجها إلى كل الأموات يهودا كانوا . أم أما . ولقد ذهب كل من هرمس وأكليمندوس الإسكندري إلى أبعد من ذلك ، فلقد نادى كل منهما بأن الرسل أنفسهم قد بشروا بعد موتهم وأثناء إقامتهم فى الشيول School برسالة الخلاص ، وعمدوا كل الذين قبلوا الخلاص وأحضروهم معهم إلى السماء (١) .

ومع أن موقف الكنيسة الإنجيلية يختلف عن موقف الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية ، إلا أن أحد أساتذة علم العقائد فى الكنيسة الإنجيلية الفرنسية وهو فرانسوا بونيفاس FRANÇOIS BONIFAS قد نادى فى القرن التاسع عشر بهذه العقيدة ، أى نزول المسيح إلى الجحيم ، وهو يرجع فى تأييد هذه العقيدة كما رجس الكثيرون ، إلى الفصول الكتابية التى ذكرناها آنفا ، كما إلى أقوال الآباء وقوانين الايمان ، وخاصة أن قوانين الايمان التى يرجع تاريخها إلى القرن الرابع تذكر نزول المسيح إلى الجحيم . ولقد نادى بونيفاس فى تعليمه بنفس العقيدة التى نادى بها هرمس وأكليمندوس ، وذهب إلى أبعد منهما ، فإن هرمس وأكليمندوس قد علما بأن الرسل قد بشروا بالمسيح فى أثناء إقامتهم فى الشيول وعمدوا الذين قبلوا رسالة الخلاص وأحضروهم معهم

(١) François Bonifas. Histoire des dogmes. Tome 1.
pp. 351 - 360.

الى السماء ، أما فرانسوا بونيفاس فقد علم في القرن التاسع عشر بأن المؤمنين الذين يرقدون الآن في المسيح سيواصلون عملهم التبشيري في العالم الآخر ، لكي يوصلوا رسالة الخلاص إلى كل الذين لم يسمعوا بهذه الرسالة ، وأن بوق الله الأخير لن يوق إلا بعد أن تصل رسالة الخلاص إلى كل مخلوق حياً كان أو ميتاً . فإن الذين لم تنتح لهم الفرصة لسماع إنجيل المسيح ، ستتاح لهم الفرصة بعد الموت . ويقول الكاتب بأن هذه الفرصة التبشيرية ستتاح فقط للذين لم يسمعوا قط عن المسيح ، أما الذين سمعوا به وغلظوا قلوبهم وسدوا آذانهم فلن تجدد لهم هذه الفرصة في العالم الآخر . ويقتبس الكاتب نفس الآية التي كان يقتبسها بعض اللاهوتيين الكاثوليك ، لتأييد عقيدة المطهر : « ... وأما من قال بلى الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في العالم الآتى » (متى ١٢ : ٣١ ، ٣٢) .

ويقول بونيفاس ، بأن المطهر في عرف الكنيسة الكاثوليكية هو المكان الذي يجتاز فيه المؤمنون الذين لم يستطيعوا أن يطهروا حياتهم وأن يحتفظوا بملابسهم بيضاء نظيفة في أثناء حياتهم على الأرض إذ لا بد لهم أن يجتازوا في مطهر لكي يكفروا عن الزلات والخطايا التي ارتكبوها . وهو يرفض هذه العقيدة رفضاً كلياً وجزئياً ، ولكنه يؤمن بأن الله سيقدم فرصة أخرى في العالم الآخر حتى يوصل رسالة الخلاص إلى كل الذين لم تنتح لهم فرصة سماع إنجيل المسيح على الأرض في أثناء حياتهم ، لأن مسرة قلب الله الأب هي خلاص كل البشر ، « الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تيمو ٢ : ٤) .

ولكن كيف يقبل الناس شخص الرب يسوع المسيح كسيد وفاد إن لم يسمعوا بشارة الانجيل ؟ وكما يقول الرسول بولس : « فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به . وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به . وكيف يسمعون بلا كارز ... » (رو ١٠ : ١٤ - ١٦) .

وبما أنه لا خلاص بعيدا عن المسيح بحسب قول الرسول : « وليس يأحد غيره الخلاص ، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص » (أع ٤ : ١٢ ، ١ يو ٥ : ١٢) ، فلا بد إذن من أن رسالة الخلاص هذه تصل إلى كل الناس في حياتهم هنا على الأرض أو في الحياة الأخرى للذين لم يسمعوا عن المسيح في حياتهم الأرضية . وإلا فكيف يحاكم الله العادل القدوس الناس الذين لم يسمعوا بهذه البشري العظيمة ؟

يعتقد فرانسوا بونيفاس بأن محبة الله وعدله يدفعانه إلى إيجاد طريقة محبة وعادلة لكي يعلن بها رسالة الخلاص للأمم الذين لم يسمعوا بهذه الرسالة . ويقول فكما ذهب المسيح قديما وبشر الأرواح التي كانت في السجن ، فإنه يستعمل الآن قديسيه الذين يرقدون لنشر رسالة الخلاص بين الراقدين ، فإن فرصة وقت الرقاد أو الموت هي وقت عمل وتبشير أيضا بالنسبة للمؤمن ، ولذلك فالمسيح نفسه ذهب بعد موته مباشرة إلى هذه النفوس المسجونة لكي يعلن لها رسالة الخلاص (١ بط ٣ : ١٨ - ١٩) ويقول إنه يمكن شرح هذه الآية بطريقتين :

١ - بأن العظام التي كانت تلقى في أيام نوح كانت مصحوبة بروح المسيح ، أي أن المسيح نفسه كان هو الذي يتكلم في الذين يتكلمون .

٢ - أو أن المسيح نفسه هو الذي وعظ الأمم ، أي بعد موته . وهو يؤيد هذا القول الأخير (١) .

(١) راجع كتاب F. Bonifas ص ٣٥١ - ٣٦٠ . (٢٤٠ - تاريخ الفكر المسيحي)

إن تبشير الموتى بعد الموت نظرية مغربة ولذيذة ولكنها تحتاج إلى درس أعمق . وكما يبدو لنا أن الأمر الذي فات فرانسوا بونيفاس هو أن الذين ستوجه إليهم رسالة الخلاص لا يحتاجون بعد إلى براهين ووعظ وإقناع لأن كل شيء سيكون مكتسوفاً واضحاً أمامهم ، لا بل أن هؤلاء أنفسهم يودون أن يرسلوا رسلاً إلى أقاربهم وأصحابهم على الأرض لكي يتوبوا ويرجعوا . ألم يكن هذا هو الطلب الذي طلبه الغنى عندما قال : « أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي ٠٠٠ حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا ٠٠٠ » (لو ١٦ : ٢٧ — ٣١) .

وأمر آخر قد فات بونيفاس ، وهو أنه حاول كما يحاول الكثيرون هنا أن يرى الله مقيداً سجيناً بقيود وقوانين ونواميس نفرضها نحن على أنفسنا وعلى الله نفسه . إننا نريد أن نقيس الله بمقاييسنا ونراه بعيوننا الأرضية . إن الله أكبر وأعظم من أن نراه أو نعرف مواصفاته أو مدى قدرته وحكمته : « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً ٠٠٠ » (رو ١١ : ٣٣) .

الفريق الثاني : أما الفريق الثنائي من اللاهوتيين فإنه يسلك في طريق آخر غير الطريق الذي سلك فيه الفريق الأول ، وبناء على ذلك فهو يفسر الآيات التي يستند إليها الفريق الأول تفسيراً آخر ، فهو يرى في كلمة الجحيم بالجمع أو كلمة الشيول (Scheol) ليس الجحيم بحسب مفهوم العهد الجديد (متى ٨ : ١٢ ، ١٣ : ٤٢ ، ٥٠ ، ٢٢ : ١٣ ، رؤ ٢٠ : ١٥) بل أن كلمة شيول تعني في العهد القديم المكان الذي كانت تذهب إليه الأرواح بعد الموت كما يقول أيوب : « لأنني أعلم أنك إلى الموت تعيدني وإلى ميعاد كلحي » (أي ٣٠ : ٢٣ ، تك ٣٧ : ٣٥ ، ٣٠ : ٣ ،

١٠. ٨٦ : ١٣ ، إش ٣٨ : ١٧) • فالعهد القديم وصف القبر بالهاوية ، بالحفرة ، بالبئر ، بالجيب • الخ • والفكر الذى كان يسيطر على اليهود فى ذلك العصر هو أن كل الأموات يذهبون إلى الشيول • ولكن فى أثناء كتابة العهد الجديد كانت تنتشر فكرة أخرى هى أن الأبرار فقط هم الذين يذهبون إلى الفردوس •

فالمسيح بعد موته ذهب إذاً إلى الفردوس مثل كل الأبرار • فمن الواضح أن الشيول لا تعنى الجحيم بل مكان الانتظار أو القبر حيث ترقد الأجساد ، وجسد يسوع بقى فى هذا المكان من يوم الجمعة مساءً إلى يوم الأحد فجراً • لقد أنزل جسد المسيح إلى الهاوية إلى القبر وهذا ما يعنيه الرسول عندما يقول : « وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً إلى أقسام الأرض السفلى » ، أى أنه نزل إلى القبر ودفن فعلاً وأن موته كان موتاً حقيقياً •

ولقد أنشأ كلن فى كتاباته إلى نزول المسيح إلى الجحيم ، وهو يعتقد بأن الآلام التى قاساها السيد فى صلبه وموته توازى الجحيم فى شدتها • 'قد مات موتاً حقيقياً • أما بخصوص قوانين الايمان التى تتكلم بطريقة واضحة وصريحة عن نزول المسيح إلى الجحيم ، فهذه حقيقة لا تنكر •

ولكن هذه الجملة : « ونزل إلى الجحيم » لم تظهر فى هذه القوانين إلا فى القرن الرابع أو الخامس (١) فإن الكنيسة فى تلك العصور الأولى أضافت هذه الجملة (ونزل إلى الجحيم) إلى قوانين الايمان لى تعبر

(١) انظر كتاب

Jean Calvin. L'institution Chrétienne Livre Second
pp. 266 - 274.

انظر كتاب علم اللاهوت النظامى - دار الثقافة المسيحية : من ب
١٣٠٤ القاهرة .

بها عن حقيقة موت المسيح ، وأنه نزل فعلا إلى المكان الذي كان ينزل إليه الأموات ، لكي تصور بها درجة الاتضاع الذي قبله المسيح أن يتحملة من أجلنا .

إن الذين يتمسكون بنظرية نزول المسيح إلى الجحيم يقولون إن الهدف من نزوله هو أن يخلص الذين ماتوا قبل صلبه ، ولكن الكتاب المقدس يعرفنا بأن الذين ماتوا (في الايمان) قبل صلب المسيح انتقلوا إلى النعيم كما هو واضح من قصة العازار والغنى ثم من قصة التجلي (لو ١٦ : ١٩ ، مر ٩ : ٢ - ٨) .

فما هو إذا قصد الرسول بطرس عندما يتكلم عن ذهاب المسيح إلى السجن وتبشير الأرواح هناك ؟ (١ بط ٣ : ١٨ - ١٩) « ... مماثلا في الجسد ولكن محيا في الروح ، الذي فيه أيضا ذهب فكرز للأرواح التي في السجن إذ عصت قديما حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح ... » ؟ يعتقد البعض أن مفتاح الآية هو في عبارة (محيا في الروح ، الذي فيه أيضا ذهب فكرز للأرواح التي في السجن ... » أي أن الروح ، روح المسيح ، كان يعظ ويوبخ ويعمل في أيام نوح بينما كان نوح يقوم بعمل بناء الفلك علامة ظاهرة ملموسة على غضب الله من ناحية ، وعلى خلاصه أيضا من ناحية أخرى .

إن معاصري نوح كانوا يعيشون في سجن الخطية والعصيان والتمرد (تك ٦ : ٥ - ٨) ، ولهذا السبب فقد أراد الله أن يعاقبهم عقابا شديدا صارما بانطوفان . ولكن قبل أن تنفجر ينابيع الأرض وقبل أن تهطل أمطار السماء ، أمر الله نوحا بأن يبني الفلك . ولقد كان الفلك والفترة التي بنى فيها علامتين تعبران عن محبة وأناة الله كما عن غضبه وعقابه . في هذه الفترة التي كان يبني فيها الفلك ، كان روح المسيح يعمل في نوح

وفى بنيه ، لكى يعظ ويوصل عن طريقهم وبواسطتهم كلمة النجاة والخلاص للنفوس التى كانت سجينة فى سجن الخطايا والذنوب • فإن المسيح أزال الوجود ، الموجود قبل الدهور ، كان هو الواعظ (محيى فى الروح الذى فيه ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن) للذين فضلوا الشر على الخير ، والخطية على البر ، وبذلك أصبحوا مسجونين وعبدا لهذا الشر والخطية • ولذلك فقد ذهب إليهم المسيح بروحه قبل التجسد ووعظهم لكى يعطى لهم فرصة أخيرة قبل بدء الطوفان • والذين يتمسكون بهذا الرأى يرجعون إلى بطرس نفسه الذى يقول : « ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحا ثامنا كارزا للبر إذ جلب طوفانا على عالم الفجار » (٢ بط ٢ : ٥) ، فقد كان روح المسيح يعمل فى نوح وهو يبنى فى الفلك ، العلامة الظاهرة للموسسة لمحبة الله وغضبه ، لكى يعظ النفوس التى تحيط به والتي كانت سجينة للخطية (١) •

ووليم باركلى يقدم لنا فى شرحه لهذه الأعداد (١ بط ٣ : ١٨ - ٢٠) عدة نظريات يستحسن الرجوع إليها لضيق المجال عن مناقشتها هنا • ولكنه فى شرحه للنظريات العديدة يقول :

١ - إن نزول المسيح إلى الهاوية يعنى بأن المسيح قد مات فعلا وحقيقة ، وقد مر فى هذا الأمر الخيف •

٢ - إن قيامة المسيح تعنى أيضا نصرته الحقيقية •

٣ - إن نزوله إلى الهاوية وتبشيريه هناك يعنى بأن بشارة الانجيل ستصل إلى كل بقاع الكون (٢) •

(١) انظر كتاب علم اللاهوت النظامى ص ١٠٧ •

(٢) انظر W. Barclay. The Letters of James and Peter Ch. 3, 18 - 20.

وقبل أن نترك هذا الموضوع نود أن نذكر القاريء أن بعض المفسرين قد ظنوا بأن الشخص الذى بشر فى أيام نوح ليس هو المسيح بل هو أخنوخ . ولقد بنى هؤلاء المفسرون نظريتهم هذه على الأهمية الكبرى التى يحتلها أخنوخ فى تعاليم اليهود . وكتاب أخنوخ أصدق شاهد على ذلك . ولقد ترجم موغات (١ بط ٣ : ١٩) بالعبارات الآتية : « مماتا (المسيح) فى الجسد ولكن محيى فى الروح ، وبالروح ذهب أيضا أخنوخ فركز للأرواح التى فى السجن اذ عصت قديما . » (١) .

فلقد أدخل موغات كلمة أخنوخ فى هذا النص لكى يدل بها على أن الذى كان يقوم بعملية الكرازة ليس المسيح بل هو أخنوخ . ولكى نفهم هذه المسألة ، يجب علينا أن نرجع إلى المصدر لندرى كيف ولدت هذه الفكرة . فالتقليد اليهودى يعرفنا بأن أبناء الله المذكورين فى تكوين (١ : ٦ - ٤) هم نوع من الملائكة الساقطين الذين عاقبهم الله بطردهم من الجنة ثم ألقى بهم فى السجن إلى يوم القضاء (٢ بط ٢ : ٤ ، يهوذا ١ : ٦) ، ونفس التقليد يعرفنا بأن أخنوخ ذهب إلى الجحيم لكى يعلن لهذه الأرواح قضاء الله عليهم (٢) .

وبناء على هذا التقليد فإن الذى ذهب إلى الجحيم ليعلن حكم القضاء على الأرواح التى عصت وتمردت قديما ليس هو المسيح ولكنه أخنوخ . على أية حال إن هذا الفصل وبعض الفصول الأخرى الخاصة بهذا الموضوع مثل (١ بطرس ٤ : ٦) من الفصول الصعبة جدا . وصعوبتها كامنة فى حقيقة أنها قليلة جدا وقصيرة جدا ولا تعطينا أية تفاصيل مطولة تسمح لنا بأن نلم بالموضوع إلماما كافيا لشرحه بطريقة واضحة .

(١) راجع ترجمة موغات لهذا الفصل ثم وليم باركلي ١ بط ٣ : ١٩ .

(٢) انظر كتاب Jean - Claude Marcot. Les Épitres de Pierre

Ch. 3 & 4. Labor Fides. ص ٤٤٩ ، ٤٥٠

انظر كتاب أخنوخ الفصل الخامس .

الجزء الثالث

عقيدة الكنيسة
والهرطقات في القرنين الأول والثاني

- الفصل الأول : إيمان الرسل •
- الفصل الثاني : كنيسة القرنين الأول والثاني •
- الفصل الثالث : اكليمنديس الروماني •
- الفصل الرابع : بوليكر بوس •
- الفصل الخامس : إيريناوس •
- الفصل السادس : يوستينوس الشهيد •
- الفصل السابع : تاتيانوس •
- الفصل الثامن : اثيناغورس وثيوفيلوس •
- الفصل التاسع : ميلتون الساردسي •

الفصل الأول

إيمان الرسل

حاولنا أن نشرح في الجزء الأول من هذا الكتاب فكرة المسيا ، وكيف: أن هذه الفكرة ولدت وتطورت في اليهودية على مر العصور ، وكيف: أن اليهود في كل حقبة من حقبات تاريخهم كانوا ينتظرون مسيا ، منقذا ومخلصا ، وبناء على ذلك فقد رأوا في أحيان كثيرة ، في البعض من قادتهم أمثال موسى ، يشوع ، دبور ، إلخ... المنقذين والمخلصين من يد الأعداء ، نوحا من المسيا المنتظر ، ولقد وجدت فكرة المسيح المخلص والمنقذ من يد العدو ، تربة صالحة في أيام السبيين الأول والثاني ثم في أيام الاضطهاد الذي شنه الملك أنطيوخس أبيفان الرابع ضد اليهود وضد الناموس . على أن هذه العقيدة أي ظهور مسيا محارب يدافع عن الشعب اليهودي المضطهد المستعمر ، ويسحق أعداءه ويدوسهم تحت قدميه ، انتشرت على نطاق واسع في القرن الأول ، أي في أثناء وجود السيد الرب على الأرض .

إن التمسك بهذه العقيدة هو الذي دفع الكثيرين من اليهود للانضمام إلى الأحزاب السياسية الدينية التي كانت تحارب الرومان للحصول على الاستقلال السياسي الذي يؤدي بهم إلى تأسيس دولة ثيوقراطية .

فعندما جاء المسيح إلى الأرض كان معظم هذه الأحزاب الدينية والسياسية التي سبق أن تكلمنا عنها ، كانت تنتظر المسيا ، ولكنه المسيا المحارب المقاتل الذي يحرر شعب اليهود من الاستعمار . جاء المسيح إلى خاصته التي كانت تنتظر ظهوره ولكن خاصته لم تعرفه ، فحتى تلاميذه أقرب الناس إليه ، الذين أكلوا وشربوا معه لم يستطيعوا في بادئ الأمر التمييز بينه وبين المسيا السياسي الذي كان ينتظره اليهود . وهنا نلاحظ الأمر الغريب العجيب وهو أن الأمة التي كانت تنتظر المسيا بفارغ الصبر ، عندما جاءهم المسيا يمشى في شوارعهم ويتحدث إليهم ويلكل ويشرب معهم ، لم يدركوا بأنه المسيا الحقيقي ، وذلك لأنهم قد وضعوا بعقيدتهم في مسيا حربي عسكري ، غشاوة على أعينهم فلم يعرفوه . ألم يحدث نفس هذا الأمر مع إثنين من تلاميذه ، فقد سار معهما حوالي ١٢ كيلو متر (ستين غلوه) أي حوالي ساعتين من الزمن يتحدث إنيهما عن المكتوب ، ولكن : « أمسكت أعينهما عن معرفته » (لو ٢٤ : ١٢ - ٤٣) . فكم من المرات يقترب فيها السيد منا ويمشى معنا في الطريق ، وتعجز أعيننا عن معرفته . إن السيد في أمانته التي لا تحد ولا تقاس ، يأتي إلى شعبه على مر العصور بطرق مختلفة متنوعة ، ويمشى معهم في الطريق . إن ما يقوى إيمان المؤمن هو أن السيد يأتي إليه في الظروف المظلمة المخيفة والمرعبة ، ويمشى معه حتى وإن كان هذا المؤمن لا يشعر في بداية الأمر بوجوده ، فإنه يسير معه في هذا الطريق الصعب الوعر ، إلى أن تتفتح عيناه ، وعندئذ فقط يدرك حقيقة هامة جدا غابت عن فكره . فقبل القيامة كانت عقيدة التلاميذ تنحصر في هذا الاعتراف الذي نطق به تلميذا عمواس : « ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل » . وكلمة « يفدى » هنا لا تعنى ما نفهمه نحن حاليا : أي فداء الخاطيء من خطايا ، بل تعنى أن يخلص أو ينقذ أو يحرر . وكأني بهما يقولان : لقد وضعنا في المسيح آمالنا نفهم هذه المشكلة ، يجب علينا أن نرجع إلى المصدر ! نرى كيف ولدت

مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك » (لو ٢٤ : ٢١) أى لا رجاء من هذه الناحية • ولكن بعد هذه المقابلة لا يغير المسيح مفهوم تلميذى عماوس فقط ، بل أيضا مفهوم كل التلاميذ • وهنا يدركون هذه الحقيقة الهامة التى كلفوا بإعلانها ونشرها ليس فقط بين الشعب اليهودى بل بين الأمم أيضا • ولهذا السبب كانت كلمات الرب لتلاميذه فى إحدى المرات الأخيرة التى تقابل فيها معهم هى : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) •

سنحاول بنعمة الله فى هذا الجزء من الكتاب أن نشرح عقيدة الكنيسة فى شخص ربنا يسوع المسيح من القرن الأول إلى القرن الرابع • فالمسيح الذى تتبأ عنه سمعان الشيخ بهذه الكلمات : « هذا (يسوع) قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم » (لو ٢ : ٣٤) ظل وسيظل تلك العلامة التى تقاوم •

وفى دراستنا لهذه الحقبة من الزمان سنركز جهودنا على توضيح كيف ومتى ولدت المعتقدات المختلفة المتنوعة الخاصة بشخصية المسيح يسوع ، وهذا ما يدعى فى علم اللاهوت بالكريستولوجية (CHRISTOLOGIE) (١) • فلقد ظهرت خلال هذه الفترة تعاليم مختلفة متنوعة كانت نتيجة حتمية لعقيدتين هامتين ومتناقضتين وهما :

١ - العقيدة الأولى :

عقيدة الدين يرون فى شخص يسوع إنسانا وإنسانا فقط ابن مريم

(١) (Christologie) هى التعاليم الخاصة بشخص المسيح •

ويوسف ، ولقد رفعه الله بسبب تقواه إلى درجة الكرامة ، وهذه الجماعة تسمى الإبيونيين (EBIONISTES) •

٢ - أما الجماعة الثانية :

فقد علمت بأن المسيح لم يتجسد بصورة حقيقية ، إذ أن جسده الذى كان يظهر به أمام الناس ، لم يكن إلا خيالا لأن الجسد مادة ، وكل مادة رديئة • على أية حال ستكون لنا الفرصة فيما بعد لدراسة هاتين العقيدتين اللتين كانتا بمثابة الأم لكل العقائد والتعاليم والهرطقات التى انتشرت فى الكنيسة فى الشرق وفى الغرب • فمن هاتين العقيدتين خرجت تعاليم ماركيون ثم تعاليم الانتحالية MODALISME والتبني (ADOPTIONISME) وتعاليم بولس السميساطى وأريوس وبولوناريوس ونسطور وأتيخوس • ولقد كانت هذه التعاليم وتعاليم أخرى كثيرة بمثابة السكاكين الحادة والسيوف القاطعة التى جرحت جسد الرب يسوع المسيح ومزقته خالقة منه بدعا وطوائف وأحزابا وثيعةا وكثائس • هذا الجسد ، أى الكنيسة التى من أجلها صلى السيد فى أيامه الأخيرة على الأرض قائلا : « ... ليكونوا واحدا كما أننا واحد » (يو ١٧ : ٢٣) أصبح كنيسة ممزقة منقسمة يهاجم بعضها بعضا بسبب هذه التعاليم التى سنحاول شرحها فى هذا البحث •

عقيدة الرسل والكنيسة الأولى فى المسيح يسوع

ومع أننا سوف لا نقف كثيرا عند هذه النقطة الخاصة بتعاليم الرسل والكنيسة الأولى فيما يختص بشخص ربنا يسوع المسيح ، لأن هذا الموضوع يحتاج فى معالجته إلى كتاب آخر ، إلا أنه من الضرورى أن نلقى نظرة عاجلة سريعة على مفهوم الرسل والكنيسة الأولى • والسؤال الذى يطرح نفسه من أول وهلة عندما نتعرض لدراسة هذا

الموضوع هو : ما هي عقيدة الرسل والكنيسة الأولى في شخص يسوع المسيح ؟

هل كان الرسل يؤمنون بمسيانية المسيح بالمعنى الذى فهمه كثير من اليهود والتلاميذ قبل قيامته من الأموات ؟ أى هل كان الرسل يؤمنون بمسيانية يسوع وارساليته لخلاص الشعب اليهودى من قبضة الرومان واسترداد القوة وتأسيس دولة ثيوقراطية تحكم بالناموس ؟

لقد رأينا في الجزء الثانى أن التلاميذ كانوا يشاركون معاصريهم في كثير من الأحلام والأمانى المسيانية ، بل أن هذه الأمانى والأحلام المسيانية التى كانت تسيطر على كثير من اليهود في تلك الفترة ، كانت قد تأصلت وتعمقت في قلوب وأذهان التلاميذ لدرجة أنهم حتى في لقائهم الأخير مع السيد يسألونه هذا السؤال الذى إن دل على شيء فإنما يدل على تمسكهم بفكرة رد الملك لإسرائيل واقتناعهم العميق بها : « أما هم المجتمعون فسألوه قائلين يارب هل في هذا الوقت ترد الملك لإسرائيل؟ » (أع ١ : ٦) .

ولكن الذى غير مفهوم التلاميذ في هذا الموضوع هو الروح القدس نفسه الذى وعد به يسوع لكى يكون معلما ومرشدا لتلاميذه بعد انفصاله عنهم (مت ١٠ : ١٩ ، ٢٠ ، يو ١٤ : ١٦ ، ٢٦ ، ١٥ : ٦ ، ١٦ : ١٣ — ١٧) . ومما لا شك فيه أن قيامة المسيح من الأموات ومقابلته للتلاميذ حيا أكلا وشاربا معهم ، ملموسا ومحسوسا ومنظورا منهم : أى أن حواسهم كلها أدركت قيامته من الأموات ، كانت برهاننا قويا لا يرد وحجة ناطقة لا ترفض ، على سلطان المسيح المطلق حتى على الموت . إن هذه الحادثة العظيمة ، حادثة القيامة من الموت غيرت الكثير والكثير جدا من مفهوم التلاميذ الذين رأوا بعيونهم يسوع محاكما ومضروبا ومهاننا ثم مصلوبا ومماتا على الصليب وموضوعا في قبر جديد . وهم

أنفسهم أيضا الذين رأوا نفس المسيح مقاما من بين الأموات . لقد كانت هذه الحادثة صدمة كهربائية عنيفة ، إذ أنها حقيقة تفوق كل الإدراك والتفكير البشريين ، ولأن هذه الحقيقة كانت كصاعقة هزت معتقدات التلاميذ وأفكارهم ، فقد طلب السيد منهم بعد أن سألوهم هذا السؤال في اللحظة الأخيرة قبل صعوده : « هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل ؟ » ، بأن يمكنوا في اورشليم إلى أن ينالوا قوة من الملاء .

ويرى المسيح أتباعه بعد حادثة الموت والقيامة في حالة اضطراب وانزعاج ممزوجين بالفرح والغبطة ، بل والانتصار ، وعندئذ يقول لهم : لا تتركوا اورشليم . وكأننى به يوحى لهم بأن يذهبوا إلى العلية التى كانوا يقيمون فيها . . . « هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبه مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته » (أع ١ : ١٢ - ١٤) .

لقد مكث أتباع يسوع في هذه العلية عشرة أيام ، أى من يوم الصعود إلى يوم حلول الروح القدس . ومما لا شك فيه أن الرسل والذين مكثوا معهم في العلية كانوا يقضون أوقاتا طويلة في الصلاة والتأمل ، التأمل فيما نطق وعلم به السيد في أثناء حياته . وفي نهاية هذه الفترة ، فترة الخلوة والصلاة والتأمل العميق في العلية ، حل الروح القدس على هؤلاء الرجال والنساء . وهنا ، وهنا فقط يحدث التغيير الكلى والجذرى في حياة الرسل ومعتقداتهم وسلوكهم فالروح القدس قد ملأهم بالايمان والشجاعة .

ملاهم بالشجاعة :

وهنا نلاحظ الفرق الشاسع الذى لا يقاس في سلوك بطرس أمام

جارية عندما أنكر سيده قبل امتلائه بالروح القدس (متى ٢٦ : ٢٩ — ٥٧) ، وموقفه بعد امتلائه بالروح . فهو لا يكتفى بالقاء عظة أمام الشعب ، بل يعظ الرؤساء أيضا مقدما شهادة لامعة عن حياة المسيح سيده : « ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل . ورئيس الحياة قتلتموه الذى اقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك » (أع ٣ : ١٤ — ١٦) « ... » « لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا » (أع ٤ : ١٩ — ٢٢) .

وهنا نلاحظ ليس فقط شجاعة بطرس فى إعلانه هذا الأمر ، بل أيضا تغيير مفهومه الخاص بالمسيح . وهذا واضح من خطابه الذى ألقاه على الآلاف المؤلفة يوم الخمسين ، وخاصة هذه الكلمات : « ... فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا » (أع ٢ : ١٤ — ٣٦) . إن الاعلان الذى نطق به بطرس قبل هذا الاختبار — أى اختبار القيامة وحلول الروح القدس — كان بوحى من الآب دون أن يدرك بطرس معناه العميق (مت ١٦: ١٧) ولهذا السبب عينه فان بطرس نفسه بدأ ينتهر السيد عندما سمعه يتكلم عن آلامه وصلبه وموته ، ولذلك قال الرب لبطرس بعد هذا الاعتراف العظيم الذى جاء من الله والذى فهمه بطرس بطريقة جسدية مادية خاطئة بحسب المفهوم الإسرائيلى لابن الله : « اذهب عني يا شيطان » (متى ١٦ : ١٣ — ٢٨) .

ولكن الآن وبعد أن حل الروح القدس الذى وعد به السيد وأنه سيعلمهم كل شيء ، ينطق بطرس بارشاد الروح القدس بهذا الاعلان العظيم : أن يسوع هو رب ومسيح . ولم يستطع بطرس أن ينطق بإعلان كهذا عن فهم وإدراك إلا بارشاد الروح القدس وقيادته ، وكما يقول الرسول بولس : « وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس » (١ كو ١٢ : ٣) .

وهنا نلاحظ التغيير الشامل الكلى فى عقيدة الرسل بخصوص المسيح ، ولقد حدث هذا التغيير بفضل عمل الروح القدس ، الروح القدس الذى وعد به السيد تلاميذه ، فبعد القيامة ، وبعد فرصة التأمل والصلاة فى العلية ، وبعد الامتلاء بالروح القدس ، نرى هذا التغيير الجذرى فى مفهوم الرسل لشخص يسوع . فالمسيح المقام من الأموات لم يصبح بعد المسيا المنتظر بحسب المفهوم اليهودى والذى سينقذ ويخلص الشعب الإسرائيلى المذل من الاستعمار والاستعباد لكى يؤسس دولة ثيوقراطية ، بل إن يسوع الناصرى أصبح الآن فى عيونهم بعد القيامة وبعد حلول الروح القدس ربا ومسيحا مخلصا وفاديا ، فهو ملك بل ملك الملوك ، وملكه بلا انقضاء وسلطانه بلا حدود ، ولكن هذا الملك هو ملك روحى ، فلا داعى إذا بأن يتصارع ويتخاصم الرسل على من هو الذى سيكون الأول فى ملكوت الله ، أو من هو الذى سيكون عن يمينه أو عن يساره ، فبعد أن قابل الرسل الرب المقام من الأموات ، وبعد أن قضوا عشرة أيام فى العلية ، وبعد أن امتلأوا بالروح القدس تغيرت نظرتهم وعقيدتهم فى شخص يسوع ، فهم الآن على استعداد للانطلاق والتبشير ليس بيسوع كما فهموه فى بادىء الأمر وكما فهمه كثيرون ، بل التبشير بيسوع المخلص من الخطايا . هذا ما قد أقره واعترف به الرسل أن يسوع الناصرى هو المسيح ، هو ابن الله الحى . وهذا الأمر واضح كل الوضوح فى العهد الجديد بصفة عامة وفى رسائل بولس الرسول بصفة خاصة .

المسيح فى رسائل بولس الرسول :

إن بولس الرسول هو أول من دون رسائله . وعلى ما يظن أن أول رسالة كتبت فى حوالى سنة ٥٢ (رسالة كورنثوس) وآخر رسالة كتبت فى حوالى سنة ٦٦ أو ٦٧ ب م .

وهذه الرسائل تحتوى على تعاليم عامة ، ولكن معظمها يقدم لنا بعض العقائد عن المسيح • والدارس المدقق يجد في رسائل بولس ما يمكننا أن نسميه بقوانين الايمان ، ونقصد بعبارة « قوانين الايمان » الجمل أو : عبارات التى يظن أن الرسول حاول بها أن يلخص الايمان المسيحى • ولقد استعملت الكنيسة الأولى هذه العبارات وهذه الجمل عند قبولها الذين كانوا ينضمون إلى المسيحية ويطلبون العماد • والرسول بولس ترك لنا عددا كبيرا من صيغ الايمان ، منها : « وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس » (١ كو ١٢ : ٣) ، « ولكن لنا إله واحد الأب الذى منه جميع الأشياء ونحن له • ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به » (١ كو ٨ : ٦) « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم • آمين » (٢ كو ١٣ : ١٤) « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت •• » (رومية ١٠ : ٩ - ١١) • ويمكننا أن نضيف إلى هذه القوانين التى وضعها بولس ، قانون الايمان الذى يذكره سفر الأعمال : « فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله » (أع ٨ : ٣٧ ، أع ٨ : ١٦ ، ٢ كو ١ : ٢ ، فى ٢ : ١١) •

لقد نطق الرسول بولس بهذه العبارات وعبارات أخرى لكى يلخص بها محتوى الايمان المسيحى ، واستعملت الكنيسة الأولى هذه العبارات كقوانين للايمان ، وكان على كل طالب للعماد والانضمام للكنيسة ، أن يردد هذه الآيات كاعتراف منه بأن يسوع الناصرى هو المسيح الرب •

ورسائل الرسول بولس تحتوى على مجموعة أخرى من التعاليم المختصة بالمسيح ، فهو يعتقد بأن المسيح هو :

١ - صورة الله : « الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل » (م ٢٥ - تاريخ الفكر المسيحى)

خليقة « (كولوسي ١ : ١٥ - ٢٠) . وما أكبر الفرق بين المسيح صورة الله النقية الطاهرة الذي أطاع الآب حتى الموت موت الصليب والعار ، وآدم الذي خلق على صورة الله ، فشهوه هذه الصورة بعصيانته وابتعاده . (١ كو ١٥ : ٤٩ ، ٢ كو ٤ : ٤ ، رومية ٥ : ١٢ - ٢١) .

٢ - سابق الوجود ولقد شدد الرسول بولس على حقيقة أن المسيح أزلي الوجود ، فإن ظهور يسوع الناصري في فلسطين لم يكن هو بداية وجود المسيح ، بل هو موجود قبل كل موجود ، وكل ما في الكون وجد به وله : « فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى » (كولوسي ١ : ١٥ - ١٩ ، ١ كو ٨ : ٦ ، أف ١ : ٩ ، ١٠ ، في ٢ : ٥ - ١١) . وهنا يتفق الرسول بولس مع إنجيل يوحنا عندما يقول : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله . . . » (يو ١ : ١ - ٥) . وكاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول : « كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به أيضا عمل العالمين » (عب ١ : ٢ - ٤) .

٣ - السيد (KYRIOS = KUPIOS) : إن استعمال هذا اللقب قديم جدا ، فقد استعمله الهلينيون ليصفوا به شخصية الإله أو لوصف الإله المتسلط . وكذلك استعمله اليهود الناطقون باللغة اليونانية لكي يترجموا اسم الله . كما أن الرسل استخدموا نفس الاصطلاح عندما كانوا يتكلمون عن يسوع المسيح ، لكي يصفوا به سيادة الرب يسوع على الكون كله . (١ كو ١٢ : ٣ ، رو ٩ : ١ ، ١ كو ٨ : ٦ ، ٢ كو ١٣ : ١٣ ، ١ : ١٣ ، تيمو ٦ : ١٥) .

وعلى ما يظن فإن الرسول بولس عندما أعطى لقب « سيد » (KYRIOS) للمسيح كانت صورة الامبراطور الروماني « السيد » على الامبراطورية المترامية الأطراف حاضرة في ذهنه . فلقد عبد الرومان

أباطرتهم كآلهة وأعطوا لهم لقب « سيد » والرسول بولس يستخدم هذا الاصطلاح « سيد » للمسيح .

على أنه يميز سيادة المسيح عن كل سيادة أخرى مهما سمت وارتفعت : «لأنه ملك !ملوك ورب الأرباب» (١ نيمو ٦ : ١٥) . فعندما كان أعضاء الكنيسة الأولى ينطقون بكلمة « السيد » (KYRIOS) كانوا يقصدون بها إعلان سيادة المسيح على كل !!سيادات !أخرى ، أى على سيادة الأباطرة أنفسهم . ولهذا السبب نشأ الاضطهاد القاسى المؤلم ضد المسيحيين الذين رفضوا تقديم العبادة للأباطرة ، إذ أن قياصرة الرومان لم يستطيعوا التمييز بين العبادة التى كان على كل مسيحى أن يقدمها لسيدده وربّه يسوع المسيح وحده ، وبين الاحترام الذى كان يكنه كل مسيحى للحكام ، فان المسيحى كان يرى فى لقب «السيد» (KYRIOS) السيادة التى يجب أن تمنح للمسيح ، وللمسيح وحده ، لأنه هو «السيد» الذى يسيطر على الكون كله . فإن كان لقب « السيد » قد استعمل فى الكنيسة المسيحية الأولى لكى يفرق ويميز بين سيادة المسيح التى يجب أن تكون فوق كل السیادات الأخرى ، فإنه استعمل أيضا للدلالة على لاهوت المسيح . ولهذا فإن بولس يستخدم هذا الاصطلاح لكى يعبر به عن عقيدته فى المسيح بأنه الله الذى ظهر فى الجسد : « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١ تيمو ٣ : ١٦) . وفى رسالته إلى أهل غيلبي يقدم لنا لحنا جميلا وتعلیما فى غاية العمق عن المسيح الذى هو نفسه صورة الله : « أظلى نفسه آخذا صورة عبد ... لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم ... » (فى ٢ : ٥ - ١١) . والرسول يصف فى هذه الأعداد حالتى المسيح قبل التجسد وبعده ، فالمسيح موجود قبل عملية التجسد ، فقبل أن يكون يسوع الناصرى كان هو الله ، « فى البدء كان الكلمة » أى أن وجود المسيح ، وجود « اللوغوس » الكلمة (LOGOS) كان سابقا لوجود يسوع الناصرى ، ففى هذا الأخير قد

حل ملء اللاهوت وليس العكس ، كما يظن البعض بأن يسوع الناصري قد ارتفع عن طريق تقواه إلى درجة الكرامة والعظمة فأصبح إلها • فإن كان الرسول بولس يقول : « أعطاه اسما فوق كل اسم » ، فإن هذا لايعنى بأن الله رفع المسيح معطيا إياه اسما لم يكن له من قبل أو رفعه إلى درجة لم يكن قد وصل إليها سابقا ، بل في اعطائه هذا الاسم يعيده إلى الدرجة التي كان عليها قبل ذلك • أو بعبارة أصح ، إن الله يعلن جهاراً أو علانية أن يسوع الناصري هو نفسه « اللوغوس » ، أى الله الذى كان مخفيا في الجسد وغير معروف من الناس ، وأصبح الآن معروفا ومعترفا به كالسيد الذى يجب أن تسجد له كل ركبة وأن يعترف كل لسان بسيادته المطلقة الكونية •

والرسول بولس أعطى للمسيح ألقاباً أخرى في رسائله ، غير التي ذكرناها آنفاً مثل صورة الله ، والسابق الوجود و « السيد » • فيعطى له أيضاً لقب « ابن الله » (رو ١٥ : ٦ ، أف ١ : ٣ ، ٢ كو ١ : ٣ ، غلا ٤ : ٤) والفرق شاسع كبير في انتساب المسيح كابن الله ونسبتنا نحن لله كآب ، فإن كل الذين قبلوا المسيح كمخلص وفاد ، منحوا بنعمته أن يصيروا أولاد لله ، أى أن الله يتعامل معهم كما يتعامل مع أولاده ويحبهم كما يحب أولاده • على أن هذا التغيير ودرجة البنوية التي منحت لهم لا تجعلهم مشاركين لله في الجوهر • أما بنوية المسيح لله فتختلف الاختلاف كله عن هذا ، فإن المسيح هو ابن الله بالطبيعة فهو شريك له في الطبيعة وفي الجوهر •

ولقد أعطى بولس الرسول ألقاباً أخرى للمسيح ، مثل آدم الأخير والإنسان الثاني (١ كو ١٥ : ٤٥ ، رو ٥ : ١٢ - ٢١) « الذى صار من نسل داود » (رو ١ : ١) المخلص ، الفادى ... الخ •

وكاتب رسالة العبرانيين يعطى للسيد ألقاباً أخرى فهو يقدم لنا

المسيح الجالس عن يمين أبيه وكالوارث لكل شيء وهو أيضا : « بهاء مجده ورسم جوهرة وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (عب ١ : ١ - ٤) ، « والذي به أيضا عمل العالمين » (عب ١ : ٢) ولقد شدد كثيرا كاتب هذه الرسالة على أن المسيح هو رئيس كهنة (عب ٢ : ١٧ ، ٥ : ٥ - ١٠ ، ٦ : ٢٠ ، ٧ : ٢١ ، ٨ : ١) .

ومع أن الكاتب يقدم لنا المسيح كالجالس عن يمين الآب وكصورة الله الكاملة ، وبهاء مجد الآب ورسم جوهرة ، فإنه يقدمه لنا أيضا إنسانا متألما ومجربا كأي إنسان يتألم ويتجرب « من ثم ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء ، لكي يكون رحيمًا .. لأنه في ما هو قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين » (عب ٢ : ١٧ - ١٨) « لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفائنا بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية » (عب ٤ : ١٥) ، « الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت ، وسمع له من أجل تقواه ، مع كونه أبنا تعلم الطاعة مما تألم به » (عب ٥ : ٧ - ٨) .

هذه الآيات تعطينا صورة واضحة وصريحة عن ناسوت المسيح ، الناسوت ! نذى ولد من مريم العذراء وعاش في فلسطين وأكل وشرب ونام واستيقظ وتألم وجاع وعطش .. « مجرب في كل شيء مثلنا بلا خذلية » ، إن عبارة « مجرب في كل شيء مثلنا » ، تعني بأن يسوع في حياته الأرضية كان معرضا مثلنا لكل التجارب مهما كان نوعها وشكلها . وكلمة بلا خطية لا تشير إلى غياب التجربة بل إلى النصر التي حصل يسوع عليها بالرغم من كل التجارب التي كانت تحيط به وتهجم عليه في كل لحظة من لحظات حياته . لقد كان يسوع الناصري موضوعا للتجارب كأي إنسان آخر لأنه كان في تكوينه الطبيعي البيولوجي كأي إنسان آخر ، وفي تكوينه البيولوجي لم ينقصه شيء ما كان السبب في أن يكون يسوع بلا خطية ، أو بعبارة أخرى : إن الطبيعة البشرية التي أخذها

يسوع لم تكن طبيعة مختلفة عن كل الطبائع البشرية ، ومجردة من بعض الغرائز والميول التي يتمتع بها كل انسان والتي تدفع الانسان إلى ارتكاب الخطية والابتعاد عن الله ، وأنه لهذا السبب كان المسيح بلا خطية ، لغياب الدوافع للخطية ، بل إن الطبيعة البشرية التي أخذها المسيح هي نفس طبيعة كل إنسان ، وهي طبيعة آدم ليس قبل السقوط بل بعده ، وهنا يظهر الفرق الشاسع بين آدم الأول وآدم الأخير (رو ٥ : ١٢ - ٢١) .

فالأول سقط بالرغم من الامتيازات العديدة التي كان يتمتع بها آدم ، أما آدم الأخير (المسيح) فقد انتصر على كل أنواع التجارب بالرغم من وجود طبيعة آدم بعد السقوط فيه . فان كان المسيح يقول : « من منكم يبيكتني على خطية » (يو ٨ : ٤٦) ، وكاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول : « بلا خطية » فإن عصمة يسوع من الخطية لا ترجع إلى غياب العوامل التي كانت تدفعه إلى ارتكابها أو إلى نقص في تكوينه البيولوجي ، فلم يكن مجربا بها لسبب هذا النقص الطبيعي ، بل على العكس كان مكونا تكوينا طبيعيا كاملا . ولهذا فإن النواميس الطبيعية أو الغرائز الطبيعية كانت موجودة فيه كما هي موجودة في أي انسان آخر ، فإن نصرته على الخطية لا ترجع إذن إلى عامل عضوي أو نقص طبيعي ، بل إلى حقيقة أن الذي كان في هذا الجسد والذي كان يسيطر عليه ويقوده هو « اللوغوس » الله نفسه ، ولا يمكن لله أن يخطئ لأنه لا يمكن أن يكون الله ضد نفسه . فالمسيح ، قد جاء « في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد » (رو ٨ : ٣) أي أنه هجم على الخطية وهزمها في معقلها . فلو جاء المسيح في جسد يختلف عن أجسادنا وفي طبيعة تختلف عن طبيعتنا لأصبح غريبا عن جنسنا ، ولكنه على العكس من ذلك كان مجربا في كل شيء مثلنا . والاختلاف بينه وبيننا هو أنه بالرغم من اشتراكه معنا في نفس الطبيعة ، إلا أنه لم يسلك في

نفس الطريق الذي نسلك فيه ، فقد عمل في أيام جسده ما نفشل نحن في عمله يوميا ، كما أنه لم يعمل قط ما نقوم نحن يوميا بعمله .

المسيح في مفهوم يوحنا :

إنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن نقف في بحثنا هذا عند كل نقطة لدراستها دراسة وافية عميقة ، لأن الموضوع واسع ومتشعب ، ولذلك سنكتفى هنا كما فعلنا في دراستنا لمفهوم بولس لشخص المسيح ، ببعض النقاط الهامة التي توضح لنا مفهوم يوحنا للمسيح، «اللوغوس» .

إن يوحنا وبولس يتفقان في تعاليمهما عن المسيح . إلا أن الأول يركز على شخص المسيح بينما الثاني يركز على عمله ، وما قام به من أجلنا . فانسؤال الذي يريد بولس معالجته في رسائله هو ماذا عمل المسيح ؟ وأما يوحنا فقد حاول في إنجيله ورسائله أن يجاوب على سؤال : من هو المسيح ؟

وللإجابة على هذا السؤال : من هو المسيح ؟ يبدأ يوحنا إنجيله باقول : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . . » (يو ١ : ١ - ٥) . بهذه المقدمة الدسمة العميقة يبين يوحنا أن الكلمة أو اللوغوس هو كائن أزلي لا بداية لبدايته ، بل هو بداية كل بداية . والبداية التي ليست لها بداية هي معادلة لوجود الله ، لأنه هو نفسه الله . بهذه الكلمات يدحض الرسول يوحنا كل الهرطقات التي ظهرت فيما بعد والتي سنتكلم عنها في حينها ، وهي الهرطقات التي علمت أن المسيح كائن بشري له بداية وله نهاية ، أو الهرطقات التي تقول بأنه كان يوجد وقت ما لم يكن «اللوغوس» موجودا فيه . . .

ويستعمل يوحنا الاصطلاح « الكلمة » أو « اللوغوس » . وهذا الاصطلاح الذي يذكر لأول مرة في العهد الجديد سيتردد بلا ملل في

المجامع المسيحية وسيملاً فيما بعد صفحات كتب العقائد المسيحية • إن الاصطلاح « لوغوس » في المفهوم اليهودي يحمل في طياته معنى أعق مما تحمله الكلمة في لفظها البسيط ، « فاللوغوس » بالنسبة لليهود هو القوة الخلاقة (تك ١ : ٣ - ٦) : « قال الله ليكن نور فكان نور » (مز ٣٣ : ٦ ، ١٠٧ : ٢٠) كما أن هذا « الكلمة » هو أيضاً حكمة الله (أم ٨ : ٢٢ - ٣١)

وأول من استخدم هذا الاصطلاح « لوغوس » (LOGOS) هو هيراقليطوس • ومن الغريب كما يقول وليم باركلي ، أن هيراقليطوس اليوناني نذى استخدم هذا الاصطلاح في القرن السادس قبل الميلاد (٥٦٠ ق م) ، ويوحنا الرسول الذى استخدمه أيضاً ، عاشا كلاهما في مدينة أفسس • ولقد أسس هيراقليطوس فلسفته على المبدأ القائل بأن كل شيء يتغير (لا يمكن الاستحمام مرتين في نهر جار) والذى ينظم هذا الكون المتغير ويسيطر عليه ويوجه حركاته وسيره هو عقل الله ، ولا تقع حادثة في هذا الكون على الصعيد الفردى أو الصعيد الكونى دون أن يكون « اللوغوس » هو العامل في إحداث هذه الحادثة ، فهو الذى يؤهل الانسان أيضاً لعمل الخير وتجنب الشر ، والذى يساعد الانسان على فهم الحقيقة ...

ولقد درس فيلو اليهودى الاسكندرى هذا الاصطلاح في عرف كل من اليهود واليونان ، وهو يعتقد بأن « اللوغوس » هو أقدم شيء في العالم إذ أنه الإله الذى به خلق العالم ، بل هو فكر الله الذى عن طريقه يحكم الله هذا العالم • وقد قال : إن الله هو ريان هذا الكون وببيده « اللوغوس » ، كالدفة ، الذى عن طريقه يحرك ويدير كل هذا الكون • فاللوغوس هو الذى يدفع الانسان على التفكير والقوة والعمل ، هو الذى يساعد الانسان على الفهم والادراك ، هو الوسيط بين الله والعالم ،

هو الكاهن الذي يسمح للنفوس بأن تجلس أمام الله... (١) • ولقد اعتقد الرواقيون بأن الكلمة « لوغوس » هو قوة الله الخالقة الذي يقود ويسيطر على الكون كله ويحفظ نظامه •

وعلى ما يظهر أن يوحنا كان يعرف هذه الأفكار المنتشرة في عصره وفي مدينته أنسبس ، وربما لهذا السبب ، يستعمل يوحنا اصطلاحا معروفا ومنتشرا في ذلك الوقت وهو « اللوغوس » لكي يشرح به تجسد ابن الله • فلم يكن معقولا ولا مفهوما أن يقدم الرسول المسيح لليونان كالمسيا المنتظر ، لأن كلمة المسيا كانت غير معروفة عند اليونان •

وكأنى بيوحنا يخاطب معاصريه وخاصة اليونانيين بالقول : أيها القوم إن فلاسفتكم يبحثون في دراساتهم وفلسفتهم عن « اللوغوس » لكي يعرفوا من هو وأين يوجد وماذا يعمل ؟ وها أنا آت اليكم لأكلّمكم عن اللوغوس الحقيقي ، لأنني أعرفه بل تقابلت معه شخصا وأريد أن أقدمه إليكم (أع ١٧ : ٢٢ - ٣١) • إن اللوغوس الذي يحلم فلاسفتكم بأنه بعيد عن البعد عن البشر ويختلف عنهم الاختلاف كله ، قد جاء إلى أرضنا وسكن بيننا ، بل صار إنسانا مثلنا : « والكلمة صار جسدا » • وهنا يدخل يوحنا فكرة جديدة على المفهوم اليوناني الخاص « باللوغوس » أعني أن اللوغوس صار جسدا ، « عقل الله » ، الله نفسه صار جسدا • وهذا الأمر أي أن اللوغوس يصير جسدا كان أمرا غريبا بل مستحيلا بالنسبة لليونان •

فإن كان يوحنا قد أدخل فكرة جديدة على المفهوم اليوناني باستعماله كلمة « لوغوس » لكي يطبقها على المسيح ، فإنه أراد أيضا معالجة هرطقة كانت تهدد البعيدة المسيحية وهي الهرطقة الغنوسية التي تتحدى بأن

(١) انظر تفسير انجيل يوحنا لوليم ياركلي الاصحاح الاول من ١٤ - ٢٠.

المادة رديئة وأما الروح فهو صاف صالح ونقى • وبما أن العالم مادي والله صالح ، فلا يمكن أن يخلق المادة التي تعتبر شرا ، وبناء على ذلك فإن العالم المادي قد خلقه إله آخر رديء وهو عدو الله الصالح • فلقد رفض الغنوسيون حقيقة تجسد المسيح ، ولهذا السبب عينه شدد الرسول يوحنا ، ليس في انجيله فحسب بل في رسائله أيضا ، على أن المسيح صار جسدا يلمس وينظر ، بل أن كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان (يو ١ : ٣) ، فإن الذي خلق هذا العالم ليس إله رديء بل الله نفسه ، بل أكثر من ذلك أن اللوغوس ، عقل الله ، صار جسدا ، صار إنسانا • وعلى أية حال ستكون لنا الفرصة للتكلم عن جماعة الغنوسيين في حينه •

وإن كان يوحنا قدم لنا المسيح كاللوغوس ، كمقل الله العامل والمحرك والمنظم للكون ، فإنه يشدد كثيرا على الوحدة القائمة بين الآب وبين الابن • فمع أن الابن غير الآب إلا أنه في الآب والآب فيه ، وكل ما للآب هو له ، ومن رأى يسوع فقد رأى الآب (يو ١٤ : ٨ - ١٤ ، ١٠ : ١٢ ، ٣٨ : ٤٩ ، ١٤ : ٢٠ - ٢١ ، ١٧ : ٢٠ - ٢٤) • في هذه الفصول شدد يوحنا كثيرا على الوحدة التي تربط الآب بالابن ، وهذه الوحدة تختلف عن كل الوحدات التي نعرفها • إنها تختلف عن الوحدة التي تربط الأمم المتحالفة معا ، وتختلف عن الوحدة التي تربط أفراد العائلة ، بل تختلف أيضا عن وحدة الآب بالابن أو الأم بالابنة أو الابن في نفس العائلة ، لأن وحدة الله الآب بالله الابن أقوى وأعمق وأمتن من كل هذه الوحدات • إذ أن هذه الوحدة قوية وعميقة لدرجة أنه هو والآب واحد ومن رآه فقد رأى الآب تماما ••• إن وحدة الآب والابن ليست وحدة أدبية بل جوهرية ، لأن الابن هو من جوهر الآب •

ولقد أعطى الرسول يوحنا ألقابا عديدة أيضا للابن : فهو نور العالم ، فالذي قال في العهد القديم « ليكن نور » (تك ١ : ٣) عندما

جاء ملء الزمان أرسل ابنه كتور حقيقى لكى ينير العالم (غل ٤ : ٤
يو ١ : ٩ ، ١٠ ، ٨ ، ١٢ : ٩ ، ٥ : ١٢ ، ٤٦ : ١ ، يو ١ : ٧) •

ثم دعاه أيضا « بالحياة » ، فهو الحياة وواهب الحياة • ثم
« حمل الله » الذى يحمل خطايا العالم « والباب » ، « والراعى الصالح » ،
« والطريق » ، « والحياة والحق » ، « والقيامة » ،
« والخمرة » ... الخ •

لقد لقب بحق كثيرون من اللاهوتيين يوحنا « بيوحنا اللاهوتى » ،
لأنه تكلم كثيرا عن لاهوت المسيح ، غير أنه لم يهمل قط ، فى كلامه
عن لاهوت المسيح ، ناسوته • بل يمكننا أن نقول بأن الذى دفع الرسول
إلى أن يكتب إنجيله ورسائله ، هو الخطر الذى كان يتهدد عقيدة
ناسوت المسيح • فإن كان قد كتب إنجيله لسكى يقدم « اللوجوس » أو
« اللوغوس » إلى العالم اليونانى الذى كان يجهل اللوغوس الحقيقى ،
فإن الغرض الأساسى لكتابات سواء الإنجيل أو الرسائل ، هو معالجة
بعض الهرطقات التى بدأت تظهر فى ذلك الوقت • ومنها بدعة الغنوسية
(GNOSE) أى « العارفين » التى نادى بأن ظهور المسيح على الأرض
فى الجسد لم يكن ظهورا حقيقيا ، والجسد الذى كان يبدو للناس جسدا ،
لم يكن إلا خيالا ، إذ أنه من المستحيل أن « اللوغوس » يأخذ جسدا
ماديا مثل أجسادنا المادية لأن المادة شر ، وكيف أن اللوغوس يلتصق بما
هو شر ؟ إنه أظهر من أن يلتصق بالمادة الخاطئة النجسة ، ولذلك فعندما
ظهر على الأرض فى مظهر الانسان ، لم يكن هذا الظهور حقيقة واقعية ،
مظهره فى هذه الحالة يشبه ظهور الملاك فى هيئة إنسان ، وفى حقيقة
الأمر ليس هو بإنسان بل هو ملاك فى صورة إنسان •

ولا يمكننا أن نتعرض لكل معتقدات الغنوسيين ونظرياتهم

الطويلة الممتدة بخصوص المعرفة وأنها السبيل الوحيد للخلاص ، ثم نظرية الخير والشر ، وإله الخير وإله الشر • ولكن لكي نفهم الهرطقة التي كان يحاربها القديس يوحنا يجب علينا أن نذكر شيئاً عن تعاليمهم •

الغنوسية : (GNOSE) :

ما هو رأى الغنوسيين في المسيح ؟ قبل أن نبدأ في شرح عقيدة الغنوسيين وماذا رأوا في المسيح ، يجدر بنا أن نعرف من هم الغنوسيون ؟

إن كلمة « غنوس » أو الغنوسية هي كلمة يونانية وتعنى المعرفة أو العلوم الخاصة بالأمور الروحية أو الإلهية • ومن الصعب تعريف وتحديد وشرح كل نظريات هذه الجماعة التي انتشرت في كل حوض البحر الأبيض المتوسط ودعيت بأسماء عديدة مختلفة نسبة للذين ترعّموا قيادتها مثل سيمون (أ ع ٨ : ٩ - ٢٤) وسرنت فالنتيوس وبليدينيوس وتراقس وكائينيوس وأوفينيوس • الخ • والمصادر التي تكلمنا عن هذه الشيعة كثيرة مثل يوستينوس وإريناوس وهيبوليتوس وأبيفانوس • وبما أننا نتكلم عن المصادر التي نتحدث عن الغنوسية ، فلا يمكننا أن نهمل الاكتشاف العظيم لمكتبة ضخمة زاخرة بكتب الغنوسية • ولقد حدث هذا الاكتشاف في سنة ١٩٤٥ في نجع حمادى (في جمهورية مصر العربية) • وتحتوى هذه المكتبة الغنوسية على ٥١ مخطوطاً ، ولقد ترجم حتى الآن أكثر من ٦ مخطوطات من هذه المكتبة ، ومنها إنجيل الحقيقة ، وإنجيل توما ، والقيامة ، وإنجيل فيلبس ، وبعض المكاتيب الأخرى التي لا تحمل عناوين •••

ومع أن الغنوسية تشمل عدة مذاهب إلا أنها تشترك في شيء واحد وهو المعرفة ، وهذه المعرفة تأتي عن طريق الإلهام • غيب هذه المعرفة

نستطيع الوصول إلى ادراك وفهم من نحن وما هو مصدرنا وأصلنا وما هي الغاية التي نسعى اليها ؟ وبهذه المعرفة أيضا نستطيع الوصول إلى الخلاص من الأشياء الحسية التي تربطنا بالمادة • فالمعرفة تحل في تعاليم الغنوسيين محل الايمان في تعاليم الرسول بولس ، فإن الانسان لا يخلص عن طريق الايمان الذي يمنحه الله للانسان في المسيح ، بل عن طريق المعرفة ، المعرفة التي تثير وترشد إلى الطريق الحقيقي ، فلا خلاص عن طريق الايمان ، ولا عن طريق الأعمال ، بل عن طريق المعرفة والبحث والتعمق • ويدعى الغنوسى بأنه يملك الحقيقة والمعرفة الكاملتين وفي إمكانه أن يسلمها لتلاميذه •

والغنوسية هي خليط من الأفكار الفلسفية الدينية الهلينية ، والازدواجية الفارسية ، واليهودية والمسيحية • ولقد حاولت الغنوسية بهزيجها الغريب المتنوع ، شرح أصل ومصير الروح التي كانت في البداية في عالم سماوى منير ، ولكنها سقطت فجأة من هذا العالم المنير إلى الأرض حيث أصبحت سجيننة الجسد الحساس • ولقد تأثر الإله الأعظم تأثرا كبيرا لسقوط الروح إلى عالم المادة وسجن الشرارات الإلهية فيه • ولذلك فقد أرسل المخلص لكي يخلصها من هذا السجن ، واتخذ هذا المخلص مظهر إنسان ، لأن الإله لا يمكنه أن يتحد بالمادة المادية ، وادّعى بهذه الطريقة أن يعلن للعالم (للغنوسيين) أصلهم ، أى أنهم من عالم سماوى ، وعندما أتم هذه المهمة صعد بالقرب من الآب ، وبذلك فقد فتح الباب أمام الشرارات المنيرة التي ستصعد هي بدورها أيضا إلى المخلص عندما تتخلص من السجن الجسدى •

ويعتقد كل من سيمون وينط (A. BENOIT ثم M. SIMON) بأن الغنوسية المسيحية بدأت في القرن الأول ولكنها ازدهرت وانتشرت في القرن الثانى • وأبو الغنوسيين هو سيمون الساحر

الهرطوقى الأول كما يسميه الكاتبان ، وأرض الغنوسية الخصبة هي مصر (١) .

وأما بونيفاس (BONIFAS) فيظن بأن عقيدة الغنوسيين انتشرت وسط الشعب اليهودى المسبى فى بابل . إذ أن البعض من الذين كانوا مسبيين فى بابل ، اندمجوا وسط الشعب البابلى وتعودوا بعوائدهم ودرسوا تعاليمهم ومعتقداتهم وتأثروا بها وخاصة التعاليم المختصة بأصل العالم وتكوينه من أصل الشر والخير . والنظريات الغنوسية التى تصف لنا خلق الكون ، ثم إله الخير وإله الشر ، بل الآلهة المتعددة ، نظريات كثيرة لا تحصى . ولقد كان هناك أنصار وأتباع لهذه الشيعة بين الوثنيين وبين من يدعون بأنهم مسيحيون أو يهود .

ونقتبس هنا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر سرنط (CERINTE) اليهودى الغنوسى، ومع أن المعلومات التى وصلت إلينا عن حياته وعن شخصيته غير أكيدة مائة فى المائة ، إلا أنها تحتوى على الكثير من الحق ، وعلى ما يظن أن سرنط عاش فى آسيا الصغرى فى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثانى المسيحى . والقديس إيريناوس (IRENEE) فى القرن الثانى حوالى سنة ١٤٠ ب.م (يذكر بأن سرنط كان يقطن نفس المدينة التى كان يقيم فيها القديس يوحنا الرسول . ويقال إنه فى يوم من الأيام ذهب القديس يوحنا للاستحمام فى أحد الحمامات العامة ، وعندما عرف بأن سرنط موجود فى داخل الحمامات رفض الدخول خوفا من أن أساسات الحمامات، تتزعزع

(١) Le Judaisme et le Christianisme Antique : Par M. Simon et A. Benoit. Presses Universitaires de France. 108 Boul. . St. Germain Paris VI

والكاتبان يذكران قائمة من الكتب لعلاج مشكلة الغنوسية ، فعلى الدارس الذى يريد التوسع فى دراسة الموضوع أن يرجع لهذه القائمة فلا داعى لتكرارها هنا .

وتسقط على رأس المستحقين للانتقام الإلهي من شره (١) .

تعاليم سرننت :

كان يعتقد بأن الله وحده مطلق ، وكماله يفوق كل وصف ، ثم يرى من الناحية الأخرى المادة الغير المنظمة والتي تشبه الخواء والخراب ، وكانت تفصل بين الله والمادة هوة عظيمة . ولقد كان من المستحيل أن يتصل الله بهذه المادة دون أن يخفض نفسه ، ولكن بما أنه هو الخالق لهذا العالم ، فقد أخرج من ذاته سلسلة من الكائنات الروحية التي تنقص عنه قليلا في الكمال ، لكي تكون وسيطة بينه وبين المادة ، وهذه الكائنات هم الملائكة . ولقد كان إله اليهود (DEMIURGE) نصف إله وهو آخر هذه الكائنات الغير الكاملة والأقصى بعداً عن الله ، وهو الذي قام بعملية تنظيم العالم وهو أيضا الذي خلق الإنسان . ولقد أعطى الإله اليهودي ناموسه الغير الكامل للإنسان . وبما أن هذا الناموس الذي أمر به كان غير كامل ، فقد وعد الإنسان بمسيا ، على أن هذا المسيا لم يكن هو نفسه أيضا كاملا . ولأجل ذلك فقد أرسل الله السامى ، إلى العالم واحدا من الملائكة الأوائل الذين خرجوا منه أولا . ولقد اتحد هذا الملك بيسوع في لحظة العمد بولقد أوحى الملك ليسوع بسر الآب الذي خرج منه ، كما أعطى له أيضا الناموس الكامل والمعرفة الحقيقية حتى يعلنها للناس لكي يخلصوا بها . هذه هي نظرية سرننت .

وتوجد نظريات أخرى كثيرة وعديدة تشرح مذهب الغنوسيين وعقيدتهم . والذي يهمنا في هذا البحث هو النظريات التي تتكلم عن الازدواجية ، أى وجود الخير والشر ، ووجود إله الخير وإله الشر ، وأن

(١) Francois Bonifas Tome 1 pp. 76 - 82.

راجع نفس الصفحات من نفس الكتاب .

المادة هي شر • فلقد علم بعض الغنوسيين بوجود مملكتين أو سلطتين
أبديتين :

١ - مملكة النور :

والتي يحكمها ويسيطر عليها الإله السامى الغير المعروف • ولقد
خرجت من هذا الإله قوات متنوعة الدرجات ، وآخر إله خرج من الإله
العظيم هو إله اليهود •

٢ - مملكة الظلام أو مملكة المادة :

ويحكم هذه المملكة ويسيطر عليها إبليس (١) ، وتعاونه في الحكم
جماعة من الشياطين متنوعة الدرجات أيضا •

ومن هذه النظريات السابقة الذكر يتضح بأن كثيرين من الغنوسيين
قد علموا أولا : الازدواجية أى وجود إله الشر وإله الخير • ثانيا :
علموا بأن المادة شر ، فالاتصال بالمادة وبما هو مادي شر • وإله
الخير الإله السامى بعيد كل البعد عن المادة الشريرة •

ولقد دخل إلى الكنيسة المسيحية عند نشأتها جماعة من الغنوسيين
الذين حاولوا أن يوفقوا بين فلسفتهم وعقيدتهم في المادة التي كانوا
يعتبرونها سرا ومن صنع إله الشر ، وبين لاهوت المسيح « المسيا »
الذى ظهر على الأرض • وكانت المشكلة التي تعترض سبيل أولئك
الذين أرادوا أن يتمسكوا بالتعاليم الغنوسية هي صعوبة قبول فكرة
أن المسيح أخذ جسدا كأجسادنا ، فإن اتحاده بالجسد واتحاده بالمادة
هو شر وخطية • وسترى فيما بعد أن فالنتينوس (VALENTIN)

(١) انظر كتاب بونيفاس المجلد الأول ص ٧٦ - ١٩ (النص الفرنسى)

علم أن المسيح لم يأخذ جسدا بشريا ماديا كأجسادنا ، لأن المادة خطية .
لدرجة أنه علم بأن خروج المسيح من رحم مريم العذراء لم يفسد
عذراويتها ، لأن مرور المسيح من رحمها كان كاختراق النور للمواد
الشفافة أو المياه للثوب . . . الخ .

كانت هذه التعاليم الغنوسية التي تعلم بأن المادة شر ولا يمكن
للأرواح انطاهرة النقية الصافية أن تسكن فيها ، منتشرة ومعروفة
ليس فقط في كنيسة أفسس حيث كان الرسول يوحنا مقيما ، بل في آسيا
الصغرى وفي أماكن أخرى .

ولهذا السبب فقد حاولنا أن نذكر القارئ ببعض تعاليم هذه
الطائفة . التي عندما اطلع القديس يوحنا على عقيدتها وتعاليمها ،
مهاجما هذه "عقيدة وهذه التعاليم التي انتشرت في مدن كثيرة وخاصة
في مدينته أفسس . والقديس إيريناوس (ولد حوالي سنة ١٤٠ ب.م)
يعرفنا بأن إنجيل يوحنا موجه بطريقة مباشرة إلى كتابات سرنط
اليهودي الاسكندري (١) ، وعلى أية حال فإننا لا نعرف
بالضبط ما إذا كان إنجيل يوحنا موجه لسرنط مباشرة أم لا ، ولكننا
نعلم جيدا ، من أسلوب الانجيل والرسائل التي كتبها يوحنا ، أنها
كانت تهدف إلى مهاجمة العقيدة الغنوسية . والقارئ المدقق لكتابات
يوحنا يلاحظ ، بلا جهد كبير ، أن الرسول شدد كثيرا على حقيقة أن يسوع
المسيح قد جاء إلى عالمنا في جسد . ولقد قال (A. GRILLMEIER)
« إنه لا يوجد في العهد الجديد أي كتاب آخر يذكر بتكرار ويشدة لا
يعرف انك . حقيقة هذا الكائن السابق الوجود وطبيعته البشرية (٢)

(١) A. Grillmeier. Le Christ dans la Tradition Chrétienne de L'Age Apostolique A. chalcédoine (451) p. 51.

(٢) انظر كتاب A. Grillmeier . ص ٥٣ .

٢٦ - تاريخ الفكر المسيحي .

فالرسول يوحنا يبدأ إنجيله بهذه العبارة المعروفة : « في البدء كان الكلمة (LOGOS) والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) .
 فبهذه العبارة يريد الرسول أن يؤكد حقيقة غالية على قلبه ، وهي أن « اللوجوس » الكلمة كان من قبل كل بدء وسابقا لكل وجود ، بل أن كل ما وجد ، به قد وجد . وينتقل يوحنا من هذه النقطة الهامة وهي وجود الابن أو وجود اللوجوس أو اللوغوس ، السابق لكل وجود . إلى نقطة هامة جدا : هي نقطة الهجوم على الغنوسيين ، فيقول : « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيده من الآب مملوءاً نعمة وحقاً » . ففي الأعداد (١ - ٥) يتكلم يوحنا عن وجود اللوجوس السابق لك، الأشياء ، وأما في هذا العدد (١ : ١٤) فهو يعلن حقيقة أخرى ، وهي كالسهم القاتل الموجه إلى قلب العقيدة الغنوسية لقتلها والقضاء عليها ، وخاصة عندما يقول : « والكلمة صار جسداً » .
 والرسول يستعمل هنا كلمتي (LOGOS) « الكلمة » ، ثم كلمة (SARX) . وهذه الأخيرة (SARX) أي جسد) هي التي عبر بها الغنوسيون عن المادة ، فالجسد هو المادة ، وبالتالي فهو شيء ردي .
 لهذا السبب لم يقبل الغنوسيون الذين انضموا إلى المسيحية عقيدة أن (SARX = LOGOS) أي عقيدة أن « الكلمة صار جسداً » . وكيف يمكن أن اللوغوس يتحد بجسد ، بمادة شريرة ؟ ولذلك فهم يعتقدون بأن الجسد الذي أخذه المسيح لم يكن جسداً حقيقياً مادياً كأجسادنا ، بل مظهر جسد أي هيئة جسد « ... صائراً في شبه الناس ... » (في ٢ : ٧) .

ولاحض هذا التعليم الغنوسي ، قام الرسول يوحنا بكتابة الإنجيل والرسائل التي تشرح لنا أن يسوع المسيح لم يأخذ جسداً بل « صار جسداً » ... وعبارة صار جسداً أقوى بكثير من عبارة أخذ جسداً . لأن عملية التجسد لم تكن عملية لبس ثوب على آخر ، بل هي

عملية اتحاد كلّي وجزئي دون أن تطفى أو أن تلاشى طبيعة الواحد طبيعة الآخر . فالمسيح صار جسدا ، صار فعلا وحقا إنسانا . وهذا يعنى بأن المادة الجسد SARX الذى رفضه الغنوسيون واعتبروه شرا ، صار جزءا من السيد « والكلمة صار جسدا » . ولكي يشدد الرسول على حقيقة ناسوت المسيح رافضا عقيدة الغنوسيين كتب يقول: « الذى كان من البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ... » (يو ١ : ١ - ٤) . ويكرر الرسول يوحنا هنا مرة ومرة حقيقة أزلية المسيح . ثم يؤكد أن هذا المسيح الأزلّي هو نفسه الذى تجسد ، ولم يكن جسده خيالا أو شبحا أو طيفا . بل حقيقة مؤكدة ، لا يعرف الشك طريقه إليها ، إذ أن يده ويد التلاميذ الآخرين لمست هذا الجسد ، وعيونهم رآته . ولذلك فهو يقول : « بهذا تعرفون روح الله ، كل روح يعترف بيسوع أنه جاء في الجسد فهو من الله ، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح » (١ يو ٤ : ٢ - ٧) . والرسول يشدد كثيرا على حقيقة جسد المسيح في وصفه لقصة القيامة ومقابلة التلاميذ له حتى بعد الموت : « ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ... ثم قال لتوما . هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي وهات يدك وضعها في جنبى ... » (يو ٢٠ : ٢٠ ، ٢٧) ، وهنا ينفى الرسول تعاليم الغنوسيين التى ادعت بأن المسيح ظهر في جسد غير حقيقى . فهذه النصوص ونصوص كتابية أخرى تعرفنا بدون أى التباس أن المسيح صار جسدا . وسكن بيننا كواحد منا ، كان يفرح ويحزن ، يجوع ويعطش ، يبكى ويتألم لأنه قد صار فعلا وحقا جسدا (يو ١١ : ٣٥ ، ١٢ : ٢٧ ، ٢٣ : ٢٧) .

ولكى يشرح هذه الحقيقة ، أى أن المسيح صار فعلا جسدا ، كتب الرسول يوحنا إنجيله ثم رسائله معلنا أن الذى كان في البدء ، تنازل

وجاء إلى أرضنا وصار شريكا للبشر في بشريتهم • وهنا يضم يوحنا صوته مع بولس القائل : « عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » (١ تيمو ٣ : ١٦) •

فإن كان أرسول قد كتب إنجيله ورسائله لمعالجة مشكلة الفنوسية التي بدأت تنتشر في كنائس آسيا ، إلا أن هذه الهرطقة لم تكن الهرطقة الوحيدة التي ظهرت في كنيسة العصر الأول • بل ظهرت تعاليم أخرى كثيرة في الكنيسة الأولى تخالف تعاليم الرسل • والرسول أشار إلى هذه التعاليم التي كانت تهدد سلامة الايمان المسيحى ، ولقد سمى الذين ينادون بهذه التعاليم : « أضداد المسيح » أو المسحاء الكذبة (١ يو ٢ : ١٨ — ٢٢ ، ٤ : ٣ ، ٢ يو ٧) ثم « أنبياء كذبة » (١ يو ٤ : ١) « الكذابون » ، ثم الذين رفضوا الايمان بمسيانية المسيح وأنه ابن الله (١ يو ٢ : ٢٢ ، ٤ : ١٥ ، ٢ يو ٧) • كما أن الرسول يوبخ الذين رفضوا عقيدة التجسد (١ يو ٤ : ٣ ، ٢ يو ٧) فقد حاول هؤلاء القوم فصل يسوع التاريخى ويسوع ابن الله ، وأنكروا بأن الله قد جاء فعلا في الجسد (٤ : ٣ ، ٥ : ٦) •

ولقد انتشرت في الكنائس ضلالات أخرى حذر يوحنا من الوقوع فيها ، ولقد أشار الرسول إلى هذه الضلالات عندما كتب سفر الرؤيا (كتب فيما بين سنتي ٨٥ — ٩٥ م •) فقد انتشرت في كنيسة أفسس أعمال النقولايين (رؤ ٢ : ١ — ٧) • كما انتشرت في كنيسة سميرنا تعاليم الذين كانوا يدعون بأنهم يهود وليسوا يهودا (رؤ ٢ : ٨ — ١١) ، أما كنيسة برغامس فقد تمسك بعض أعضائها بتعاليم بلعام وبتعاليم النقولايين (رؤ ٢ : ١٢ — ١٧) •

هذه عينة من التعاليم المتنوعة المختلفة التي بدأت تجد طريقها إلى الكنيسة الأولى ، والتي كانت تهدد نقاوة التعليم الرسولى الصحيح •

لقد كانت هذه التعاليم المخالفة لتعاليم المسيح والرسول كالديدان الصغيرة التي تختفى في باطن الأرض وتتغذى بجذور النباتات المثمرة فتقضى عليه، تماما . وسنرى فيما بعد كيف أن هذه البدع والهرطقات ولدت أيضا بدعا وهرطقات أخرى أكثر خطرا وأشد شرا منها .

إن الذى دفع القديس يوحنا إلى أن يكتب انجيله ورسائله هو ظهور بعض الهرطقات التي بدأت تشق طريقها إلى الكنيسة المسيحية المبتدئة . فكما سنرى فيما بعد أن الكنيسة كانت مهددة من الناحية العتائدية بخطرین داهمين : الخطر اليهودي والخطر الوثني . والرسول يوحنا الذى عاش إلى ما يقرب من نهاية القرن الأول استطاع أن يرى ظهور بعض هذه الهرطقات وأن يقاومها بشدة وثبات . فقد كتب الانجيل ورسائله لكي يشرح بطريقة واضحة وصريحة أن يسوع الانسان الناصري هو ابن الله ، هو اللوغوس الأبدى « الكلمة صار جسدا » . فإن كان الرسول يوحنا قد شدد كثيرا على أن « اللوجوس » صار جسدا وأصبح كواحد منا ، وبهذا التشديد والتأكيد يريد أن ينفي عقيدة الغنوسيين، فإنه لا يهمل أيضا أن يحذر ويعلم ضد عقيدة أخرى هي عقيدة الإبيونيين . فهو يكتب ضد هؤلاء بالقول : « من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح » (١ يو ٢: ٢٢) . إن جماعة من المتمسكين بالناموس والتقاليد والعادات قد خرجت من كنيسة اورشليم تتنادى في الكنائس المسيحية بالعودة إلى الناموس : « وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الاخوة أنه إن لم تختنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا » (أع ١٥ : ١) يعتقد البعض أن الذين كانوا ينادون بهذه المبادئ هم جماعة الإبيونيين (EBIONISTES) ، أو على الأقل هم الذين ظهرت منهم جماعة الإبيونيين فيما بعد . ولقد تضاربت الآراء في هذه الجماعة ، فالبعض قال بأن هذا المذهب لا يدعى بهذا الاسم (EBIONISTES) لأن مؤسسه يسمى إبيون ، ولكن حقيقة الأمر أن كلمة إبيون تعنى في العبرية « فقيرا » وجمعها إبيونيم أى فقراء . وهذا

فتسأل ما هو نوع فقرهم ؟ هل هو فقر مادي أو علمي ؟ يقول جريلميير (GRILMEIER) ربما دعت هذه الجماعة بهذا الاسم « فقراء » لضدالة ذكائهم وبساطة أفكارهم وسذاجتهم فيما يختص بعقيدتهم في شخص المسيح . وللأسف الشديد لانملك من كتاباتهم إلا بعض المقتطفات البسيطة القليلة والتي تدعى إنجيل الإبيونيين (١) . والإبيونيون يؤمنون بأن يسوع هو مختار الله ، بل أنه هو الذبي الحقيقي ، على أنهم يرفضون ميلاده العذراوي ويقولون بأنه ابن مريم ويوسف . كما يرفضون أيضا وجود المسيح السابق قبل التجسد . وبناء على ذلك فهو نم يولد من الروح القدس ولا من الله ، بل خلق كما خلقت الملائكة ورؤساء الملائكة ، ولكنه أعظم منهم جميعا في الدرجة . فهم يعترفون إذا بناسوت المسيح ، ولكنهم ينكرون لاهوته . ولذلك فقد رأى بعض المفسرين بأن يوحنا كان يشير الى هذه الجماعة عندما كتب هذه الكلمات : « من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح » (١ يو ٢ : ٢٢) .

فلقد أذكر الإبيونيون أن يسوع هو المسيح ، أي أنهم قالوا إن الانسان يسوع ابن مريم ما هو إلا يسوع ابن مريم ويوسف وليس يسوع المسيح . المسيح اللوجوس الإله . ولهذا السبب عينه يكتب الرسول يوحنا محذرا من تعاليم هذه الجماعة التي ظهرت في عصره . وهنا نلاحظ أن الرسول نفسه الذي يتكلم عن المسيح سابق الوجود ، الكلمة ، الذي هو ملء اللاهوت ، وصورة الله ، هو نفسه الذي يعلم بأن المسيح هذا صار جسدا وحل بيننا وأن يسوع الناصري ابن مريم الذي عاش في فلسطين هو هو المسيح « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) .

(١) انظر كتاب Grillmeyer ص ١١٣ - ١١٦ .
انظر أيضا قائمة الكتب التي تتكلم عن هذه الجماعة في نفس الكتاب ص ١١٣ - ١٢٠ .

الفصل الثاني :

كنيسة القرنين الأول والثاني

تمهيد :

في الفصل السابق رأينا بعض الدوافع التي دفعت الرسول يوحنا إلى أن يكتب إنجيله ورسائله ، وهو ظهور جماعة الغنوسيين ثم انتشار تعاليمهم في الكنائس ، كذلك ظهور جماعة الإبيونيين وبعض المذاهب الأخرى التي يشير إليها الرسول في سفر الرؤيا (رؤ ٢ : ١ - ٢٨) . إن هذه التعاليم ، قد ظهر بعضها في عصر الرسل ، والبعض الآخر ظهر في عصر الرسول يوحنا الذي عمر إلى نهاية القرن الأول ، ولذلك فقد استطاع أن يكتب ضد هذه التعاليم وأن يدافع عن الإيمان القويم معترفا بأن يسوع المسيح هو ابن الله « الكلمة صار جسدا » . على أن عصر الرسل قد انتهى بانتقال آخر رسول إلى المسجد ، وأطل القرن الثاني على الكنيسة بسحابة أخرى من الشهود الذين سيحملون المشعل كما حفله الرسل بشجاعة وإيمان . وسحابة الشهود (عب ١٢ : ١) التي حلت محل الرسل ، هي جماعة الآباء الذين عاشوا في القرون الأولى ، ولقد حاول هؤلاء الآباء ، ليس فقط الدفاع عن الإيمان الصحيح الذي تسلموه من الرسل بل

عملوا أيضا على انتشاره في العالم . وكما رأينا في الفصول السابقة عقيدة الأجيال المختلفة المتنوعة على مر العصور في شخص المسيا ، ثم في شخص ربنا يسوع المسيح ، سنحاول أيضا بنعمة الله أن نتبع نفس النظام التاريخى العقائدى الذى نهجنا على منواله ، أى أن نذكر التواريخ والأماكن التى حدثت خلالها وفيها الأحداث . فلقد سبق أن رأينا في الجزء الثانى من هذا الكتاب ماذا اعتقد أو رأى الناس في المسيا أو في يسوع المسيح على مر العصور ؟ ثم من هو يسوع المسيح ؟ وسنواصل هنا البحث في نفس الأسئلة : ما هى عقيدة آباء كنيسة العصور الأولى من المسيحية ؟ ما هى تعاليمهم وعقيدتهم في شخص يسوع المسيح ؟ وما هى الهرطقات التى ظهرت في أيامهم وكيف حاربوها مدافعين عن الايمان السليم ؟ وللإجابة على هذه الأسئلة ، سنحاول دراستها من الناحية التاريخية والعقائدية . ونقصد بذلك أننا سنبدأ هذا البحث بتناول بعض الشخصيات من الآباء مبتدئين من أول القرن الثانى إلى القرن الرابع ، وسنتعرض في هذا البحث لما قاله بعض الآباء في هذه الحقبة من الزمان عن شخص يسوع المسيح ، وما هى الهرطقات التى ظهرت .

وبما أن الغرض من هذا الكتاب هو توضيح وشرح المفاهيم المختلفة على مر العصور عن شخص ربنا يسوع المسيح ، فقد رأينا أنه من المفيد بل من الضرورى أن نعطي فكرة تاريخية عن أصل ومكان وتاريخ بعض الشخصيات التى سنتعرض لتحليل تعاليمها ، سواء كانت شخصيات الآباء أو بعض الهرطقة . وذلك لالكي نذكر القارئ الكريم بالعقيدة المسيحية أو الهرطقة التى ظهرت فقط ، بل لكي يعرف أيضا متى وكيف وأين ولدت ، ومن هم الآباء الذين هبوا لمحاربة التعاليم الضالة وعلموا التعاليم الصحيحة السليمة .

فبعد أن وحك الرسل من غالمنا هذا إلى عالم المجد ، تولت جماعة

من الآباء المؤمنين قيادة الكنيسة والسهر عليها ، ويطلق على هذه الفترة التي جاءت بعد العصر الرسولي مباشرة اسم ما بعد العصر الرسولي ، (POSTE APOSTOLIQUE) ، وهي الفترة التي سنتحدث عنها وعن رجالها الذين بنعمة الله ومساعدته استطاعوا أن يحملوا بشجاعة منقطعة النظير مشعل الايمان الذي تسلموه من الرسل لكي يسلموه بدورهم إلى الأجيال التالية . ولقد تحمل هؤلاء القديسون في سبيل توصيل الرسالة الرسولية التي تسلموها من الرسل أنفسهم ، لا التعب والمشقة فقط ، بل أيضا الاضطهاد والاستشهاد الذي راح ضحيته عدد كبير من آباء الكنيسة الأولى الذين لم يحسبوا نفوسهم غالية عندهم في سبيل إعلان شخص ربنا يسوع المسيح للعالم الذي كانوا يعيشون فيه .

ولذلك ، فنحن الذين نعيش في القرن العشرين الوارثين لهذا التراث المقدس العظيم ، ننظر إلى هؤلاء الآباء الرسولين (LES PERES APOSTOLIQUES) إلى سحابة الشهود ، بكثير من الاحترام والتعظيم لأنهم حافظوا أو على الأقل حاولوا المحافظة على الايمان الصحيح لتوصيله للأجيال اللاحقة . وهذه الأجيال التالية لعصر ما بعد الرسل ، مدينة لهم ويجب أن تعترف بدينها لآباء تلك الفترة . وكتاباتهم تراث عظيم وثمين تملكه الكنيسة كلها . فأغناطيوس الأنطاكي وبوليكراريوس ويستينيوس وتاتانوس وإيريناوس وكيريانوس وأثناسيوس العظيم وأغسطينوس وكل هؤلاء القديسين وآخرون معهم الذين حاربوا وحوشا كاسرة ودافعوا عن الايمان ونادوا ببشارة الانجيل هم ملك للكنيسة كلها ، والكنيسة كلها مدينة لهم وتعترف بفضلهم وجهادهم . وعندما أقول الكنيسة كلها أقصد الكنيسة على اختلاف طوائفها ومذاهبها : كاثوليكية وأرثوذكسية وبروتستانتية — فإن هذه الطوائف كلها تحنى الرأس احتراما وتقديرا لما قام به هؤلاء الآباء الأبطال ، في نشر بشارة الخير السار والدفاع عنها .

وبناء عليه ، فما تركه هؤلاء الآباء هو ملك وتراث للكنيسة كلها وليس لكنيسة واحدة فقط وهي فخورة به . فمع أن تعليمهم ومعتقداتهم لم تصل إلى نقاوة وسلامة تعاليم الرسل ، إلا أنهم حاولوا ، بقدر الامكان وعلى قدر ما قد أعطى لكل منهم من النعمة والموهبة أن يحتفظوا للأجيال التالية بتعاليم رأوا أنها أقرب ما تكون من عقيدة وتعليم الرسل .

وفي بحثنا هذا سوف لا نتعرض لمعتقدات كل الآباء أو في كل المواضع ولا حتى لكل معتقدات الآباء فيما يخص « الكرستولوجي » (CHRISTOLOGIE) أي التعاليم والمعتقدات الخاصة بالمسيح . ولكن سنحاول عرض وتحليل بعض تعاليم الآباء وتعاليم الهرطقة الكرستولوجية التي تعرضت لها الكنيسة في تلك الفترة . فلا يغيب عن بالنا أن موضوع بحثنا هو يسوع المسيح على مر العصور ، وهنا نكرر نفس السؤال الذي سألناه تكرارا ومرارا : ما هو مفهوم الآباء وكنيسة العصور الأولى عن شخص ربنا يسوع المسيح ؟

عندما انتهى العصر الرسولي بانتقال جميع الرسل إلى المجد ، وجدت الكنيسة الناشئة نفسها أمام مسئولية ضخمة ، ومهمة عظيمة وشاقة ، وهي إعلان يسوع المسيح كسيد ومخلص ليس لليهود فقط بل للأمم أيضا . ولم تكن مهمة إعلان يسوع المسيح أو التبشير به كسيد ومخلص ورب للعالم ، بالأمر الهين السهل ، إذ أن التربة التي أقيمت عليها بذور المسيحية كانت تربة ملانة بأعشاب ونباتات أخرى . فلقد بشر الرسل والذين حملوا المشعل بعدهم بيسوع المسيح المخلص ، بشروا بهذا الخبر وسط اليهود الذين كانوا يؤمنون بوجود الإله الواحد السامي العظيم ، المرتفع الذي ترتعب وتهتز الجبال من حضوره ، ولا يوجد إله غيره لا في السماء ولا على الأرض . فعندما بدأت الكنيسة الأولى إعلان ألوهية يسوع المسيح ، اعتبرت اليهودية هذا الأمر تجديفا عظيما على يهوه لأنه لا يوجد

إله آخر غيره • وذلك لأن هؤلاء اليهود ظنوا بأن الكنيسة الأولى جعلت من يسوع أنصارى إلهها معادلا ليهوه • ولم يفهموا أن الكنيسة الأولى وخاصة الرسل لم يحاولوا أن يرفعوا الانسان يسوع المسيح إلى درجة الألوهية ، بل أنهم نادوا وأعلنوا أن يهوه نفسه ، الله بعظمته وسموه ، قد ظهر فى الجسد : « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » •

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يكن أمر التبشير بيسوع المسيح للأمم أمرا سهلا ، إذ أن الخطر كان عظيما وداهما أيضا : والخطورة هنا لم تكن كامنة فى أن الأمم يرفضون ألوهية المسيح كما فعل اليهود ، بل أن العكس هو الصحيح ، فإن كثيرين من هؤلاء الأمم كانوا معتادين على عبادة عدة آلهة (أع ١٤ : ٨ - ٢٨) • فالخطر الداهم الذى كان يتهدد التعاليم الكيستولوجية (التعاليم الخاصة بشخص المسيح) هو أن هؤلاء الأمم يعتبرون شخص المسيح كواحد من هذه الآلهة التى لا تحصى ولا تعد فى دياناتهم الكثيرة •

ولهذا لم تكن مهمة آباء الكنيسة الأولى مهمة سهلة ، ولقد قابلوا صعوبات لا حصر لها ، وخاصة الآباء الذين لقبوا بالآباء « المدافعين » (APOLOGISTES) • لأنهم عندما كانوا يعلنون بأن يسوع المسيح هو مخلص العالم ، كانوا يحاربون عدة جهات فى وقت واحد ، فقد كان عليهم أن يبشروا العالمين اليهودى والوثنى ليقبلا المسيح المخلص • وبعد أن يقبل هؤلاء سيادة يسوع ، كان من اللازم تنظيف عقول اليهود من الأفكار اليهودية المسيانية بحسب الجسد ، وتقديم يسوع المسيح كالمسيا الروحى والمخلص للعالم • ثم تنظيف عقول الأمم الملائنة بالخرافات الوثنية ، وتعليمهم أن يسوع المسيح ليس واحدا من هذه المجموعات الالهية التى يعبدونها ويعرفونها (١) • وبالاختصار كان على المدافعين

(APOLOGISTES) شرح عقيدة التوحيد ، أو وحدة الله التي يؤمن بها اليهود ، ثم شرح الكرستولوجى بطريقة تختلف عن مفهوم الوثنيين لألهتهم . ولقد كان هؤلاء المدافعون معرضين في كل لحظة للسقوط في الأخطاء العقائدية لتعقد المشكلة (١) . ولذلك فقد حاول بعض الآباء المدافعين المحافظة على عقيدة التوحيد (MONOTHEISME) كأساس جوهري ، فاضطروا إلى أن يبحثوا عن حلول أخرى لمشكلة الكرستولوجى . كما أنه كان من الضروري أيضا أن تشرح المسيحية للوثنيين بطريقة واضحة ومعقولة في مفهومها للكرستولوجى . كانت النقطة التي يجب التأكيد عليها وإيضاحها هي أن المسيح كان في حضن الله ، بالقرب من الله ، كان الله نفسه ، ومع ذلك فهو يختلف أيضا عن الله ، وإلا لسقطت الكنيسة في المذهب اليهودى التوحيدي الذي خرجت منه ، أو سقطت في إحدى الديانات المنتشرة في ذلك الوقت (٢) .

ماذا رأى معلمو القرنين الأول والثاني في المسيح يسوع ؟

سنحاول أن نشرح في هذا الفصل مفهوم بعض الآباء للمشكلة الكرستولوجية ، وسنتبع في هذا البحث نظاما تاريخيا وعقائديا بقدر الامكان . أى أننا سنتناول بالتفصيل والشرح الموجز بعض الأفكار لبعض الآباء بحسب ظهورهم في التاريخ ، والهرطقات التي ظهرت في عهدهم .

١ - أغناطيوس الأنطاكي (IGNACE D'ANTIOCHE) :

إن مدينة أنطاكية مدينة عظيمة ، ولقد أخرجت رجالا عظاما . ففي هذه المدينة دعى التلاميذ مسيحيين لأول مرة في التاريخ: «ودعى التلاميذ

(١) A. Harnack. History of Dogma. Vol. 2 pp. 1 - 38, 71, Vol. 3

سبق اقتباسه .

(٢) Marc Iods 1 - 14, pp. 32 - 37.

مسيحيين في أنطاكية أولا « (أع ١١ : ٢٦) ، فلقد جاء إليها عدد كبير من المسيحيين • ويقول هارنك المؤرخ العقائدي الشهير في أحد كتبه عن تاريخ العقائد ما يمكن تلخيصه في الآتي :

منذ أن ظهرت المسيحية تعرضت لعدة تيارات عقائدية يمكن تلخيصها في اتجاهين : الاتجاه الأول هو الذي يرى في يسوع الإنسان الذي اختاره الله وأسكن فيه روحه ، وبعد أن انتصر هذا الإنسان يسوع على التجارب ثبته الله بقوة وجعله سيدا وربا. هذا هو تعليم أتباع مذهب التبني (أو المسيح المتبنى) (CHRISTOLOGIE ADOPTIENNE) وأما الاتجاه الثاني فيدعى المسيح الروحي (CHRISTOLOGIE PNEUMATIQUE OUDULOGOS)

وهذا الفريق يرى في يسوع روحا سماويا. هي أسمى وأرفع روح بعد الله ، ولقد لبس يسوع جسدا ، ثم رجع إلى السماء بعد أن أكمل عمله على الأرض •

لقد تعرضت الكنيسة منذ نشأتها لهذين النوعين من العقائد :

- ١ - الإنسان الذي أصبح إلها •
 - ٢ - الكائن الإلهي الذي ظهر في صورة بشر (١) •
- هذه هي المشاكل الكرسولوجية التي تعرضت لها الكنيسة منذ نشأتها ، والتي كان على آباء الكنيسة وقادتها أن يشرحوها بدقة ووضوح •

ولنتقدم الآن خطوة أخرى لكي نرى بعض هذه المشاكل وموقف بعض الآباء منها :

(١) A. Harnack. Précis de l'histoire. pp. 1 - 12.

لقد قام اليهود أولا باضطهاد الكنيسة بطريقة عنيفة (أع ١١ : ٩)، ولم يبدأ الرومان في اضطهاد المسيحيين إلا بعد ذلك الوقت بكثير، إذ أن الامبراطورية الرومانية تسامحت وتساهلت مع ديانات شعوب البلاد التي كانت تسيطر عليها، ولذلك تركت لليهود حريتهم الدينية في العبادة. ولأن حكام البلاد لم يستطيعوا في بداية الأمر التفريق بين المسيحية واليهودية، فقد اعتبروها شيعة أو مذهباً من الشيع اليهودية، ولذلك فقد تركوا لها نفس الحرية التي كان يتمتع بها اليهود. ولكن عندما انفصلت المسيحية عن اليهودية، وأصبحت ديانة مستقلة عن الديانة اليهودية، بدأت السلطات الرومانية في اضطهادها اضطهاداً عنيفاً، لا للدفاع عن الديانة اليهودية بل لأن الرومان فهموا المسيحية فهماً خاطئاً. فلقد انتشرت الاشاعات بأن هذه الديانة ضد الامبراطور لأنها لا تتعبد له. ثم انتشرت اشاعات أخرى تقول بأن جماعة المسيحيين يقدمون في عبادتهم أطفالاً كمحرقة لإلههم. وذلك لأنهم لم يفهموا جيداً فكرة فريضة العشاء الربانى «من يأكل جسدى ويشرب دمنى يثبت فى وأنا فيه» (يو ٦ : ٥٦). أما التهمة العظمى التي وجهت الى المسيحيين فهي أنهم يتعبدون لإله يدعى يسوع، أى أنهم يخضعون لسلطة أخرى، لسيد (KYRIOS) آخر غير الامبراطور. ولهذه الأسباب قام الرومان باضطهاد المسيحيين الذين كانوا قد انتشروا في طول الامبراطورية وعرضها فمن ضمن الكنائس النامية الناجحة في ذلك الوقت والتي مرت بهذه الفترة العصيبة، فترة الاضطهاد، كانت كنيسة أنطاكية. ويظن بعض المؤرخين بأن بطرس الرسول هو الذى أسس كنيسة أنطاكية^(١). ولقد قبل أغناطيوس الايمان على يديه. وقبل أن ندخل في تعاليم أغناطيوس اللاهوتية وعقيدته في شخص الرب يسوع يحسن بنا أن نتعرف عليه...

(١) انظر كتاب دكتور اسد رستم : كنيسة مدينة الله : انطاكية العظمى. الجزء الاول ص ٤٩ — ٨٠.

أغناطيوس الأنطاكي :

ولد القديس أغناطيوس في سنة ٣٥ ب م ، ويحتفل أنه من أصل سوري يوناني . وقد قبل الايمان على يد الرسل مباشرة في أثناء اقامة بعضهم في أنطاكية . ويقول الدكتور أسد رستم بأنه قد اتخذ لنفسه لقب « ثيوفوروس » أي حامل الإله تيمنا . وتبركا . ويعتبر أغناطيوس ثاني أساقفة كنيسة أنطاكية^(١) التي نصب فيها في سنة ٦٩ أو في سنة ٧٠ ب م . كان هذا الأسقف أسقفا غيورا ممثلا بروح الله ، فكان يعمل بنشاط وعزم لانتشار ملكوت الله . ولم تخف أو ترعب هذا البطل سحب الاضطهادات التي بدأت تظلم الجو وتحجب نور الشمس في ذلك الوقت .

لقد شن الامبراطور تراجانوس اضطهادا ضد المسيحيين ، فاستجوب حاكم سوريا أغناطيوس عن إيمانه بالمسيح ، فلم ينكر سيده بل اعترف به جهارا أمام الجميع وأمام الحاكم الروماني الذي أوثقه بالأغلال وسلمه لعشرة من قادة الحراس ثم أرسله إلى روما للمحاكمة هناك . وفي طريقه إلى روما أراد أن ينهج على منوال بولس الرسول (أع ٢٠ : ١٧ - ٣٨) فكان يدعو بعض الخدام والاخوة في البلاد التي كان يمر بها ، لكي يعزيهم ويقوى إيمانهم . فلقد تقابل أغناطيوس في أثناء هذه الرحلة مع الأسقف أنشاب بوليكاربوس أسقف مدينة سميرنا ، كما أنه استطاع أن يكتب عددا من الرسائل ويرسلها إلى بعض الكنائس في آسيا الصغرى واليونان ومقدونية^(٢) . وعندما علمت بعض الكنائس بمروره بها خرجت لاستقباله ! عظم الاستقبال . وكانت هذه الرسائل التي أرسلها أغناطيوس إلى الكنائس تفيض بالمحبة والاخلاص لسيدة ثم لشعب الله .

(١) د. رستم جزء أول ص ٥٠ .

(٢) انظر كتاب : Johannes Quasten Traduction. La Porte :

Initiation aux Peres de l'Eglise pp. 75 - 77.

وعندما وصل إلى روما وجد عددا كبيرا من المسيحيين في انتظاره ، وكانت طلبته الأولى لهم أن لا يحاولوا اعاقه مقابلته مع السيد الرب بأى وساطة لدى الحكام ، فإن غايته العظمى هى أن يكون شهيدا وشاهدا لسيدده .

ففى سنة ١٠٧ فى احتفال صاحب مازح ، حيث كانت تحتفل الامبراطورية الرومانية بنصر الامبراطور تراجانوس على أعدائه ، ألقى عدد كبير من الأسرى والمجرمين ، من بينهم القديس العظيم أغناطيوس ، للوحوش الضارية المفترسة . ويقال إن الاخوة فى روما جمعوا عظامه وأرسلوها إلى أنطاكية فدفنت هناك .

مؤلفات القديس أغناطيوس :

لم يبق لنا من كتاباته إلا السبع الرسائل التى كتبها إلى : كنيسة أفسس ، ثم رسالة الى كنيسة مغنيزيا والرسالة إلى كنيسة فيلادلفيا ، والرسالة إلى كنيسة سميرنا ثم الرسالة إلى كنيسة ترالس ، ثم كتب رسالة إلى أسقف كنيسة سميرنا بوليكاربوس الذى استقبله فى أثناء مروره بسميرنا استقبالا حافلا مشرفا . وأخيرا رسالته إلى روما . وأهم هذه الرسائل هى رسالته إلى كنيسة روما . ولقد حث أعضاء الكنائس فى هذه الرسائل التى استعمل فيها أسلوب القديس بولس ، على الطاعة والخضوع للقادة الروحيين . ثم طلب من كنيسة روما وأعضائها أن لا يقوموا بأى مجهود للسعى لدى الحكام لانقاذه من الموت . فعندما تغرب شمسهم هنا نستشرق فى عالم آخر حيث تبدأ الحياة الحقيقية التى لا نهاية لها . وكذلك كتب يقول : أهلا بأسيان الوحوش المفترسة التى ستصنع منى خبزا شهيا للمسيح . (رسالته لأهل رومية ١ : ٢ ، ٢ : ١٠ ، ١ : ١٠) .

تعاليم أغناطيوس الكرسولوجية ، أو ما هي عقيدته في المسيح يسوع ؟
عندما نقرأ رسائل القديس أغناطيوس نشعر كما لو كنا ندرس رسائل بونس أو يوحنا ، فهو يقدم لنا شخص المسيح كما قدمه أيضا بولس . إن «الله ظهر في الجسد» ، ظهر في هيئة إنسان . والرسائل السبع التي سبقت الإشارة إليها تحتوي على تعاليمه الخاصة بالله والخاصة بالمسيح (١) .

ففي رسالته إلى أهل ترالس ، يعرفنا بأن موت المسيح وقيامته هما من الحقائق التي حدثت فعلا وحقيقة ، وأنها يؤديان إلى الخلاص . وفي نفس الرسالة يقول : إن المسيح قد صار فعلا إنسانا . وهنا يتمسك أسقف أنطاكية بالعقيدة الرسولية الغالية على قلب يوحنا الرسول . فكما سبق القول إن الغنوسية كانت منتشرة في ذلك الوقت ، وقد هاجمها يوحنا الرسول في إنجيله ورسائله . وهنا يقوم أسقف أنطاكية بمهاجمة نفس العقيدة بالتشديد على حقيقة أن المسيح صار إنسانا (الرسالة إلى ترالس ٩ . والرسالة إلى سميونا ١ : ١) وإن كان يشدد على ناسوت المسيح موضعا بأن الكلمة صار جسدا وحل بيننا ، فهو لا يهمل بأي حال من الأحوال أن يسوع هذا هو الله ، ولم يتردد أسقف أنطاكية في أن يعطى لقب « الله » للمسيح ، فإن كان يوحنا قد ذكر بأن المسيح هو الله ثلاث مرات ، فإن أغناطيوس أعطى هذا اللقب « الله » للمسيح عبدة مرات وفي أحيان كثيرة ، وبهذا فهو يحارب رافضا عقيدة الإيونيين التي لا تعترف بلاهوت المسيح ، كما يرفض أيضا عقيدة الغنوسيين التي ترفض ناسوت المسيح . ولقد استطاع معلم أنطاكية العظيم أن يتكلم عن ناسوت المسيح وعن لاهوته دون أن يمزجها مزجا كلياً أو أن يفصلهما فصلاً تاماً الواحد عن الآخر ، فمع أن عقيدة الطبيعتين لم تكن قد ظهرت

(١) انظر كتاب Grillmeier ص ١٢٧ .
(م ٢٧ — تاريخ الفكر المسيحي)

بعد بالطريقة التى ستظهر بها فى الفترة التالية، إلا أننا نشعر بأن تعاليم أغناطيوس كانت فى نفس الاتجاه الذى انتهجته الكنيسة فى القرنين الثالث والرابع . ومن الأمور الواضحة فى تعاليمه ، عقيدته عن الجسد (الساركس) ، وعن الكلمة « اللوغوس » الذى اتحد بالساركس : « الكلمة صار جسدا » ، فهذا الاتحاد الذى تم فى المسيح بين اللوغوس والساركس ، بين الكلمة والجسد كان واضحا فى تصرفات المسيح ، فهو كان يتعب ويأكل ويشرب لأنه كان إنسانا ، وكان يعمل المعجزات لأنه الله . كان يوجد توافق واتحاد بين اللوجوس والساركس ، وهذا ما سيدعى فيما بعد بالـ (LA COMMUNICATION DES IDIOMES) ويعنى أن كلا اللاهوت والناسوت كانا متحدين وعلى صلة مستمرة الواحد مع الآخر، وأنه يوجد اتحاد وانسجام لا انفصال (رسالته إلى سميرنا ٤ : ٢) وخاصة رسالته إلى أفسس ١ : ٨ ، أف ٧ : ٢ ورسالته إلى بوليكاربوس ٣ : ٢) . ويقول أغناطيوس ، لكى يشرح المصدر الالهى البشرى فى المسيح ، بأنه أصبح مخلوقا بالتجسد وغير مخلوق باللاهوت . فإن الجسد الذى ولد من مريم العذراء يربط يسوع بالبشرية ، ولكن الكلمة الذى صار جسدا أى اللوغوس ، هو من الله ، بل الله نفسه ، وهو الذى يربط المسيح بالله (رسالته إلى أهل مغنيزيا ١ : ٢ ، سميرنا ٣ : ١ ، فيلادلفيا ٢ : ٢) كل هذه الفصول تشدد بطريقة واضحة وصريحة على اتحاد الكلمة « اللوجوس » بالساركس أى بالجسد ، وكان الاثنان يعملان فى اتحاد وانسجام وتوافق .

يرى أغناطيوس ناحية أخرى فى المسيح ، فهو الحياة الجديدة لأنه يعطى المؤمن حياة جديدة ، فهو يلاشى الحياة القديمة ويخلق فى الانسان عالما جديدا (رسالته لأفسس ٤ : ٤ ، ١٩ : ٣) .

ولقد تشدد أغناطيوس أيضا على عمل المسيح الخلاصى ، فهو يعلن

أن قصد الله الأساسى هو خلاص البشر ، ولذلك فقد أرسل أولا أنبياءه إلى اليهود ، ولقد تمت كل هذه الانتظارات فى المسيح (رسالته الى مغنيزيا ٩ : ١ ، ٢) • إن أغناطيوس مثل بولس يعتبر أن المؤمن هو هيكل الله الساكن فيه (١ كو ٣ : ١٦ ، ١٧ ، ١٩) • ولذلك فقد أعطى لنفسه لقب ثيوفيلس (THEOPHILE) « حامل الله » ، ويرى أيضا فى المسيح الطبيب الوحيد الذى يشفى الانسان من أمراضه الروحية •

إن هذه الرسائل السبع التى كتبها القديس أغناطيوس تعد من الكنوز العظيمة ، لأنها تعطى لنا فكرة عن تمسك الكنيسة المسيحية فى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثانى بالتعاليم الرسولية^(١) وكيف أن خداما أمناء 'نه ولكمته استطاعوا أن يقاوموا كل انحراف فى التعليم وأن يتمسكوا بالحق الإلهى العظيم لكى يسلموه للأجيال التالية صحيحا نقيا، فلقد مات أغناطيوس شهيدا ولكنه يتكلم بعد •

(١) للتوسع فى هذا الموضوع ارجع الى (١) A. Grillmeier ص ١٢٧ — ١٣٠ ، (٢) J. Lebert ص ٥٧ — ٥٩ ، (٣) J. Quasten ص ٧٥ — ٧٧ د • رستم الجزء الأول من ص ٤٩ — ٥٨ مجلة Le Christianisme 5. 12. 1977 No. 46.

الفصل الثالث

إكليمندوس الروماني

إننا نجهل أين ومتى ولد القديس إكليمندوس الروماني ، فلا نعرف شيئاً عن طفولته ولا عن شبابه ولا عن البيئة التي نشأ فيها .
ومع أن الجزء الأول من حياته غير معروف لنا ، إلا أن الجزء الثاني كان حافلاً بالنشاط والعمل في حقن المسيح . فلقد نصب إكليمندوس الروماني أسقفاً على روما في أيام حكم دوميتيانوس (DOMITIEN) ويعرفنا إيريناوس الذي قام بعمل أقدم قائمة لأساقفة روما ، بأن إكليمندوس هو ثالث خلف للقديس بطرس الرسول (انظر إيريناوس ADV. HAER. 3, 3, 3) ولكن ما نأسف له هو أن إيريناوس لم يقل لنا شيئاً عن متى بدأ ولا متى أنهى خدمته الأسقفية . أما المؤرخ الكنسي أسابيوس (EUSEBE) فهو يحدد لنا بداية ونهاية خدمة إكليمندوس الأسقفية . فهو يعتقد بأنه ثالث أسقف لروما بعد القديس بطرس ، وقد جلس على كرسي الأسقفية الرومانية في السنة الثانية عشرة لحكم دوميتيانوس إلى السنة الثالثة لحكم تراجانوس . وهذا يعني أن إكليمندوس كان أسقفاً لروما من سنة ٩٢ إلى سنة ١٠١ ب م (١) . ثم أن

(١) Eusébe. Hist. Eccl. 3. 15, 34.

ترتليانوس بعرفنا بأن الذى رسمه أسقفنا لروما هو القديس بطرس نفسه ، وأبيفانوس يؤكد حقيقة هذا الأمر^(١) . ويتمسك أسقف ليون (إيريناوس) بأن أكليمندس عاش فى عصر الرسولين بولس وبطرس وأنه كان يعرفهما جيدا . ويؤيد هذا الرأى كل من اللاهوتى الاسكندرى أريجانوس وأسابيوس (EUSEBIUS) بل يعتقدان بأنه كان شريكا للرسول بولس فى الخدمة ، وأنه هو نفس الشخص الذى يتكلم عنه الرسول بقوله: «نعم أسالك أنت أيضا يا شريكى المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معى فى الانجيل مع أكليمندس أيضا وباقى العاملين معى الذين أسماؤهم فى سفر الحياة» (فى ٤ : ٣) .^(٢) فالرسول يذكر عددا من الذين كانوا يتعاونون معه فى الخدمة ، ويظن بأن أكليمندس المذكور هنا هو نفس الشخص الذى صار أسقفنا لروما فى سنة ٩٢ . على أن هذا الرأى يحتاج إلى برهان تاريخى . ويعتقد دين كاسيوس (DION CASSIUS) أن أكليمندس هو القنصل تيطس فلافيوس من عائلة الامبراطور وقد حكم عليه بالاعدام فى سنة ٩٥ أو ٩٦ لاعتناقه المسيحية^(٣) .

كتابات أكليمندس :

كتب القديس أكليمندس رسالة إلى أهل كورنثوس ، وهذه الرسالة تعتبر فى غاية الأهمية خصوصا لأنه قد ثبت بطريقة لا تعرف الشك صحتها ونسبتها إلى أكليمندس . فإذا استثنينا كتب العهد الجديد ، تعتبر رسالة أكليمندس إلى أهل كورنثوس من أقدم الكتابات المسيحية التى تعطى لنا صورة عن معتقدات وحياة الكنيسة بعد انتقال الرسل . فعلى ما يظهر أن النزاع والانشقاقات التى بدأت فى كنيسة كورنثوس فى عهد الرسول بولس (١ كو ٣ : ١ - ٢٣) ما كانت إلا بذورا أعطت ثمارها

- | | | |
|---------------|------------|--------|
| (١) انظر كتاب | J. Quasten | ص ٣٢ . |
| (٢) انظر كتاب | J. Quasten | ص ٣٢ . |
| (٣) انظر كتاب | J. Quasten | ص ٣٢ . |

الرديئة والذئبة في هذه الكنيسة في أيام أكليمندس حتى أن كثيرين من أعضاء هذه الكنيسة تمردوا على رعاتها وطردها البعض منهم • ولذلك تدخل أكليمندس محاولاً أن يهدئ من شدة العاصفة التي كادت تقوض ظهر الكنيسة في كورنثوس والتي أصبحت عثرة لغير المؤمنين • ويحتمل بأن أكليمندس قد تدخل لحل المشكلة المحلية في الكنيسة الكورنثوسية بعد أن طلبت منه هذه الكنيسة التدخل لحل مشكلتها •

وتحتوي رسالة أكليمندس إلى أهل كورنثوس ، على مقدمة ثم جزئين رئيسيين • والمقدمة تصف حالة كنيسة كورنثوس المزدهرة النامية سابقاً ، ولما تسمة المفزقة حالياً • ثم يتعرض الكاتب في جزئي الرسالة لمعالجة مشاكل كنسية ولاهوتية وتعليمية كثيرة ، فهي تتكلم عن إقامة بطرس الرسول في روما وزيادة بولس لأسبانيا واستشهاد الرسولين كما أنها تتكلم أيضاً عن الاضطهادات التي شنها نيرون على المسيحيين •

تاريخ كتابة الرسالة :

إن الرسالة تذكر اضطهاد نيرون لكنيسة روما (٤ : ٥) ، وبعد وصفه لهذه المحنة التي مرت بها كنيسة المسيح في روما في أيام نيرون يذكر أكليمندس أن الكنيسة الحالية ثمر بمحنة قاسية • وربما يشير الكاتب إلى الاضطهادات التي شنها دوميتانوس في سنة ٩٥ أو ٩٦ • وبناء على ذلك فإنه من المحتمل أن الرسالة كتبت بين سنتي ٩٦ ، ١٠٠ بيم •

ولا يوجد شك في أن كاتب هذه الرسالة هو أكليمندس بالرغم من أنه لا يذكر اسمه فيها • وعنوان هذه الرسالة هو « كنيسة الله في روما » ، أو « كنيسة الله المقيمة في روما » •

ويستعمل الكاتب صيغة الجمع للمتكلم ، ولقد أجمع آباء القرون الأولى على أن الكاتب هو أسقف روما أكليمندس (١) • وحالياً توجد

(١) Eusébe Hist... Eccl 4, 23, H, 3, 16.

هذه الرسائل في المتحف البريطاني •

وبما أن هذه الرسالة لم تقابل اعتراضات تذكر ، في حقيقة نسبتها إلى أكليمندس الروماني ، فقد قام البعض في القرن الثالث بكتابة رسائل أخرى ونسبوها إلى نفس الشخص (أكليمندس) حتى تستطيع أن تشق طريقها بسهولة إلى الكنائس المسيحية ، ومنها :

١ - رسالة أكليمندس الثانية إلى أهل كورنثوس :

وهي رسالة لا تمت بأية صلة إلى أكليمندس لأن محتوياتها وأسلوبها وعباراتها برهان كاف لإبعادها عن أسقف روما •

٢ - خطابان موجهان إلى الغير المتزوجين :

وفي هذين الخطابين يبين الكاتب مزايا وفوائد العزوبية • وتوجد كتابات أخرى نسبت إلى أسقف روما ، على أن آباء الكنيسة لم يعترفوا إلا بالرسالة الأولى •

تعاليم القديس أكليمندس :

إن القديس إيريناوس عندما يتكلم عن تعاليم أسقف روما أكليمندس ، يعرفنا بأن هذا الأخير قد احتفظ لنا بنقاوة وسلامة تعاليم الرسل •

والرسالة تظهر اطلاع القديس أكليمندس ومعرفته الواسعة بالعهد القديم ، فهو يشرح لنا قصد الله لخلاص العالم الذي نفذه في شخص ابنه ربنا يسوع المسيح ويعمل الروح القدس معطيا هذه المهمة للرسل (رسالته إلى أهل رومية ٤٢ : ١ - ٣) •

وعندما نقرأ رسالة القديس أكليمندس يسيطر علينا نفس الشعور الذي نشعر به عندما نطلع على رسائل أسقف أنطاكية في وصفه لاتضاع وارتفاع المسيح في التجسد والموت والقيامة • فأسقف روما يتتبع اثر خطوات بولس عندما يتكلم عن شخص المسيح ، فهو يقدمه لنا كما وصفه الرسول بولس بالقول : « فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى ، لكي تستغنوا أنتم بفقره » (٢كو ٨ : ٩ ، في ٥ : ٢ — ١١) • فلقد جاء المسيح فقيرا لا يملك شيئا مع أنه الغنى ، بل هو ذاك الذي أخضع نفسه واتضع اتضاعا عظيما لدرجة أنه صار في هيئة عبد (في ٢ : ٥ — ١١) فمع أنه كان يمكن له أن يظهر في هيئة العظمة والتعجب والتعطر ، لكنه اختار طريق التواضع وانكار الذات (رسالته ١٦ : ٢) • ومع أنه يقدم لنا المسيح كذاك الذي اتضع اتضاعا كاملا كليا ، فإنه يصفه أيضا « بالسيد » ، فإن لقب « سيد » هو اللقب اللائق والمناسب للمسيح مثل « الله » و « معلم » و « رب » •

وأسقف روما يؤمن بأن الابن موجود مع الآب ولقد ارسل إلى العالم كرئيس كهنة •

من هذا نلاحظ أن أسقف كنيسة روما تمسك بتماليم بولس الرسول فيما يختص بشخص الرب يسوع • فلقد رأى فيه إنسانا وإلهما ، وفي نفس الوقت فهو الذي كان غنيا وافتقر من أجلنا ، وهو المعادل لله ، اتضع وأخذ صورة عبد •

إن دراسة كتابات القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية وكتابات القديس أكليمندس أسقف روما بخصوص التماليم الكرسولوجية (التماليم المتحدة بشخص المسيح) في غاية الأهمية لأنهما يعتبران القنطرة المباشرة التي تربط الرسل بكنيسة القرون التالية • إذ أنه من المحتمل

جدا ، كما سبقنا الإشارة إلى ذلك ، أنهما كانا فعلا على اتصال مباشر وشاهدى عيان لبعض الرسل . ولهذا السبب تحتل كتاباتهما في تاريخ العتائد المسيحية مكانة مرموقة هامة (١) .

Bard, RSR. 12 (1922) 73 - 85.

(١)

ولدراسة هذا الموضوع بتعمق راجع المراجع الآتية :

L. Sanders. L'Hellenism de St. Clément de Rome Et le poulinism louvain 1943, p. 19 - 33.

وتوجد قائمة كتب في كتاب J. Quasten يجب الاطلاع عليها .

F. Louvel. Les Ecrit des Pères A postolique.

الفصل الرابع

بوليكاربوس (ST. POLYCARPE)

عندما نتكلم عن الأشخاص الذين يحتمل أنهم فازوا بالمقابلة الشخصية مع الرسل أو كانوا شهود عيان لهم ، لا يمكننا أن نهمل ذكر القديس بوليكاربوس أسقف مدينة سميرنا .
وإد بوليكاربوس سنة ٦٩ في مدينة سميرنا ولا يعرف شيئاً عن شبابه أو الجو العائلي الذي نشأ فيه ، وهل تربى ونشأ في عائلة مسيحية أو وثنية .

على أنه توجد بعض الوثائق التي تكاد تكون مؤكدة بأن القديس بوليكاربوس تعرف على بعض الرسل أو على الأقل ، كان تلميذاً لأحدهم وهو القديس يوحنا الرسول الشيخ . ويقال إنه كان يجلس عند أقدام الرسول يوحنا عندما كان يعلم أو يعظ لكي يلتقط الدرر التي كانت تتساقط من فمه .

ويقول أسابيوس إن الرسل أنفسهم هم الذين عينوه أسقفاً على مدينة سميرنا ، ولهذا السبب كان يتمتع باحترام الكثيرين من الخدام ويحتل المكانة المرموقة بينهم (١) . ولقد كان أسقفاً لهذه المدينة عندما

(١) انظر أرينياس

Eusébe. Hist ... Eccl. 5, 20, 5, 11 Adv. Haer. 3, 3, 4

(ص ٦٠ — ٦٢) الجزء الأول — طبعة فرنسية . Irénée Adv Haer.

مربها القديس أغناطيوس في طريقه إلى الاستشهاد ، وسلم له رسالته المشهورة ، وطارت سمعته الحسنة ومعرفته العميقة إلى روما وسمع بها البابا أنيسيت (ANICET) أسقف روما . ولذلك فقد دعاه للذهاب إلى هناك في سنة ١٥٥ ب م للنظر في بعض المسائل الكنسية خصوصا مشكلة تحديد تاريخ القيامة . ومع أن هذه المقابلة لم تحقق الهدف المقصود وهو الوصول إلى اتفاق لتحديد يوم ثابت لعيد القيامة ، فقد ظلت روابط المحبة المسيحية القوية تربط بين قلوبهما .

لقد عاد القديس بوليكاربوس إلى مدينة سميرنا بعد رحلته إلى روما ، وكانت مدينة سميرنا تمر في ذلك الوقت بفترة اضطهاد مرير عنيف . ويبدو أن الاضطهاد الذي تنبأ به يوحنا الرسول في سفر الرؤيا في خطابه الموجه إلى كنيسة سميرنا كان قد بدأ يتحقق فعلا فلقد كتب الرسول إلى هذه الكنيسة يقول : « هوذا إبليس مزمع أن يلقي بعضا منكم في السجن لكي تجزبوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام . . . » (رؤ ٢ : ١٠) ، فلقد حل جزء من أيام الاضطهاد العشرة هذه عندما قام الحاكم استاتيوس كوادراتوس STATIUS QUADRATUS باضطهاد الكنيسة فامر باحضار راعي كنيسة سميرنا الشيخ الوقور بوليكاربوس . وعندما رأى الحاكم هذا الشيخ الجليل الوقور ، يبدو أن الشفقة عرفت طريقها إلى قلبه وأراد أن ينقذه من الموت فقال له : « أقسم لي بأن تلعن المسيح وأنا أطلق سراحك الآن » . فأجاب القديس بلا تردد وبشجاعة منقطعة النظير بهذه الكلمات التي سجلها له التاريخ ، وهي أيضا فخر الكنيسة ، كشهادة حية له قائلا : « منذ ستة وثمانين عاما وأنا له وأخدمه ولم يسء إلى أبدا ولا بأساءة واحدة ، فكيف يمكن إذا أن أجحد على ملكي ومخلص » . ٢ .

ثم تخول إلى الجلادين الذين كانوا يعدون العدة لتبشيرهم على

الخشبة انتى كانت معدة لحرقه . وقال : « اتركونى هكذا ، فإن الذى يعطينى التوبة لكى أحتمل النيران ، هو نفسه الذى سيعطينى القوة لكى أظل فى مكانى بلا حركة دون أن أسمر بمساميركم » (٢) .

وهكذا قبل الرجل الشيخ العظيم الموت فى ٢٢ فبراير سنة ١٥٦
مستشهدا لأجل ذاك الذى من أجله ومن أجلنا أيضا مات ونحن بعد
خطاة .

تعاليم بوليكاربوس :

لقد كتب بوليكاربوس رسالة إلى أهل فيلبى ، وتحتوى هذه الرسالة على بعض تعاليم بوليكاربوس . والقديس ايزيناوس يقول بأن بوليكاربوس قد أرسل عدة رسائل إلى الكنائس المحيطة بسميرنا . وإلى زملائه الخدام فى المنطقة . وللأسف الشديد لم يبق لنا من هذه الرسائل إلا رسالته إلى أهل فيلبى (١) . ويعتقد هاريسون (P.N. HARRISON) بأن رسالة بوليكاربوس إلى أهل فيلبى فى شكلها الحالى تحتوى على رسالتين مكتوبتين فى حقتين مختلفتين من الزمن . فالرسالة الأولى لا تحتوى إلا على الفصلين الثالث عشر والرابع عشر مع مذكرة تفسيرية ، ثم رسائل القديس أغناطيوس التى طلبتها منه كنيسة فيلبى ، وبعد عشرين سنة من إرسال الرسالة الأولى (الفصلين الثالث عشر والرابع عشر) أرسل بوليكاربوس بقية رسالته من الفصل الأول إلى الثانى عشر . ويحتمل أن هذه الرسالة كانت مكتوبة على ورق البردى .

(١) انظر كتاب J. Quasten ان تاريخ موت القديس بوليكاربوس من النقاط الغزيرة المتفق عليها ، إذ أن البعض يظن بأنه استشهد فى سنة ١٧١ والبعض الآخر فى سنة ١٧٧ .
(٢) انظر اسابيوس . 15 - 36, 13 ; 3. 36, 13 ; 5, 20, 8 ; Eusebe Hist. Eccl.

وقد حاول بوليكاربوس معالجة عدة مواضيع في هذه الرسالة ،
 منها : النظام أو الترتيب الكنسي ، الصدقة ، ثم علاقة الكنيسة بالدولة .
 ولكن الذي يهمنا في بحثنا هذا هو مفهومه عن شخص المسيح أى
 تعاليمه الكرسولوجية . إن بوليكاربوس اتبع آثار خطوات معلمه
 القديس يوحنا ، فلقد سبق أن رأينا أن يوحنا الرسول كتب إنجيله
 ورسائله مداهما عن لاهوت وعن ناسوت المسيح . وبوليكاربوس الذى
 تشجع بأفكار يوحنا يواصل الجهاد ضد الغنوسيين وضد الإيونيين .
 فهو يكتب قائلا : « من لا يعترف بأن يسوع المسيح قد جاء فى الجسد
 فهو ضد المسيح ، ومن لا يعترف بالصليب فهو من الشيطان ، وكل من
 يحول أقوال الرب إلى رغباته الشخصية ، وكل من ينكر القيامة
 والدينونة فهو بكر إبليس » (رسالته الى أهل فيلبى ٧ : ١) . ونلاحظ
 هنا أن الجزء الأول من هذا الاقتباس قريب جدا من قول الرسول يوحنا
 حيث يقول : « وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد
 فليس من الله » (١ يو ٤ : ٣) . ولا شك أن بوليكاربوس يواصل
 نفس المعركة التى شنها يوحنا الرسول ضد الذين ينكرون لاهوت المسيح
 وضد الذين ينكرون ناسوته . خاصة أن هذه البدع انتشرت انتشارا
 كبيرا فى طول البلاد وعرضها فى ذلك الوقت . وكما أن الرسول يوحنا
 قد عرف المعلم الكاذب سرنط ، وقد كتب رسائله ضد تعاليمه ، فإن
 البعض يعتقد أن بوليكاربوس تقابل هو أيضا مع هرطوقى آخر فى عصره
 لا يقل خطورة عن سرنط وهو ماركيون MARCION . ويقول
 لنا إيريناوس إنه عندما تقابل الاثنان معا ، سأل ماركيون بوليكاربوس
 قائلا : « أتعرفنى ؟ » ، فأجاب بوليكاربوس بالقول : « بلا شك . وكيف
 يمكن أن أجهل بكر الشيطان » (١) .

ففى عهد بوليكاربوس بدأت التعاليم المختلفة المتنوعة المختصة

(١) انظر Irenée Adv., Haer 3, 3, 4 (ذكر سابقا) .

بشخص المسيح يسوع تهز الكنيسة وتهدد سلامة عقيدتها وإيمانها في المسيح • ولكن الذي وعد تلاميذه بأنه سيكون في كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، هو أمين وأمانته لا تتوقف على عدم أمانتنا لأنه أمين وسيظل أميناً إلى الأبد ، يقوى كنيسة في ضعفها ويسندها في سقوطها لأنه محبة أبدية قد أحبها • ولذا جاء هو نفسه لتأسيسها ، وحمل الرسل مسئولية بنيانها والتعليم فيها ، كما عمل ويعمل بروحه في القديسين وفي المؤمنين لكي يواصلوا تبليغ الرسالة إلى الذين لم تصل إليهم •

لقد كان بوليكاربوس من سحابة الشهود الذين قدموا شهادة حية قوية ولاعة لسيدهم وربهم •

الفصل الخامس

إيريناوس (SAINT IRENEE)

لم يستطع المؤرخون أن يحددوا بالضبط تاريخ ميلاد أسقف ليون (LYON) • ولذلك فقد ظنوا أنه ولد بين سنتي ١٣٠ و ١٥٠م • ولكن الأمر الذي لا يعتريه الشك هو أن إيريناوس قد عرف القديس بوليكاربوس شخصيا في مدينة سميرنا التي هي مسقط رأسه • ولذلك فإن إيريناوس يعتبر حلقة هامة جدا في السلسلة حيث لا يفصل بينه وبين الرسل إلا حلقة واحدة منها أو جيل واحد هو القديس بوليكاربوس • فقد كان إيريناوس شهاد عيان لبوليكاربوس • وهذا الأخير كان تلميذا للقديس يوحنا تلميذ المسيح • وإيريناوس نفسه هو الذي عرفنا بأنه كان من الذين يسمعون عظات القديس بوليكاربوس في مدينة سميرنا • فهو يقص هذا في خطاب كان قد أرسله إلى صديق يدعى فلورنيس (FLORINUS) • شارحا لصديقه كيف كان يتمتع متألذا في أيام شبابه بسماع عظات القديس بوليكاربوس إذ أن هذا الأخير (بوليكاربوس) كان يروي على سامعيه القصص الحلوة العذبة التي يصف فيها علاقته بالقديس يوحنا والتلاميذ الآخرين الذين قد رأوا السيد ، وكيف كان يتذكر كلماتهم والأشياء التي كان

يسمعا منهم بخصوص السيد ومعجزاته وتعاليمه .
 ومع أن إيريناوس يصف في هذا الخطاب لصديق شبابه ، فهو لا
 يتكلم عن طفولته أو عائلته . ولذلك فإننا نجهل تماما ما إذا كان قد تربى
 في عائلة مسيحية أو وثنية ؟ ولكننا نعرف أنه أصبح أسقفا لمدينة ليون في
 سنة ١٧٧ بم . كما أننا نجهل كيف ومتى أصبح إيريناوس مسيحيا ؟
 هل تجدد على يد بوليكاربوس أو على يد شخص آخر ؟ . ونجهل أيضا
 الأسباب التي دفعته إلى الهجرة إلى ليون . ولقد أرسلته كنيسة (ليون)
 إلى روما ، وعند عودته خلف أسقف المدينة بوتن (POTHIN) الذي
 استشهد في الاضطهادات التي قام بها الوثنيون ضد الكنيسة .

عندما جلس إيريناوس على كرسي أسقفية ليون كرس جزءا كبيرا
 من جهوده ووقته للكراسة وتبشير بلاد الغال (فرنسا حاليا) إذ كان
 يعرف لغتهم معرفة جيدة . ثم كرس جزءا آخر من وقته للدرس والكتابة
 شارحا ومبينا الايمان المسيحي الصحيح ومدافعا ضد الغنوسيين
 وهرطقاتهم .

لقد كان إيريناوس رجل المصالحة ، ولقد ظهرت فيه هذه الروح
 عندما أراد أسقف روما فيكتور أن يقطع علاقاته مع كنائس آسيا التي
 كانت لا تتفق وعادات روما وطقسها فيما يختص بالاحتفال بعيد
 القيامة ، فقد تدخل حالا إيريناوس لتوطيد العلاقات وعدم قطع الشركة
 لسبب بعض الاختلافات التي لا تمس نقاطا حيوية أو جوهرية في الايمان
 (راجع اسابيوس ٥ : ٢٤ ، ١٧) .

اننا نجهل تاريخ موته الذي قد يكون بين سنتي ١٩٠ و ٢٠٢ بم
 في أثناء الاضطهادات التي شنها سيبيتيوس سفيروس - (SEPTIME)
 (SEVERE) ، فاسابيوس المؤرخ الكبسي لا يذكر شيئا عن موته .
 إلا أن جريجواز من تور (GREGOIRE DE LA TOURS) يقول إنه مات
 شهيدا (أنظر HISORIA FRANCORUM 1 : 17) .

كتاباتة :

كتب القديس إيريناوس كتباً كثيرة جداً خصوصاً المصنفات التي كتبها ضد جماعة الغنوسيين . ولكن للأسف الشديد لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا كتابان . ولقد كتب إيريناوس مؤلفاته في لغته وهي اليونانية . ولكن هذين الكتابين كتباً باللغة اللاتينية . ويعالج إيريناوس في كتابه الأول (من هذين الكتابين) مشكلة الغنوسية ، ويتعرض لها من الناحية التاريخية ومن الناحية العقائدية . أما الكتاب الثاني ويدعى « شرح تعليم الرسل » فيحاول أن يشرح فيه محتويات الإيمان المسيحي الصحيح . فهو يتكلم عن قضية الثالوث وسقوط الإنسان والتجسد والفداء ثم يقدم لنا يسوع كابن داود .

ولقد احتفظ لنا ببعض المقتطفات من كتاباته كل من هيوليتوس وأسابيوس وابيفانوس .

تعاليم إيريناوس الكرسولوجية :

لكن نفهم تعاليم القديس إيريناوس اللاهوتية المختصة بشخص المسيح ، يجب علينا أن نذكر الأحداث التاريخية العقائدية . فلقد سبق أن أشرنا إلى انتشار الغنوسية في بلاد كثيرة ، كما عرفنا أيضاً أن الرسول يوحنا قد كتب إنجيله ورسائله ضد تعاليم الغنوسيين وضد بعض التعاليم الأخرى غير الصحيحة . وعندما ظهر القديس بوليكاربوس تلميذ يوحنا اتبع أيضاً آثار معلمه في محاربة هذه البدعة التي كانت منتشرة في بلاد عديدة وخاصة في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وعلى ما يبدو أن تعاليم الغنوسيين وصلت إلى لبنان ، المنطقة التي جاء ليشرح فيها التسميرنى ، ولذلك فقد قام إيريناوس بالهجوم على هذه (م ٢٨ - تاريخ الفكر المسيحي)

التعاليم التي حاربها سابقوه . فمعظم ما كتبه في « الهرطقات المختلفة »
(ADVERSUS, HAERESSES) كان ضد تعاليم هذه الجماعة ،
إذ أنه حل ناقدا كل هذه التعاليم ، لأن كثيرين من الغنوسيين كانوا
يروون في المسيح واحدا من الآلهة المتعددة التي خرجت من الآله الأعظم
السامي . وكان هدف مجيء المسيح إلى الأرض هو أن ينقذ الانسان
الذي كان سجيناً وعبدًا للمادة ، فإن رسالة اللوغوس هي أن يعلم
ويرشد الانسان الساقط إلى المعرفة الحقيقية ، وعن طريق هذه المعرفة
يخلص .

لم يقبل إيريناوس هذه التعاليم عن المسيح ، ولكنه قبل أن يبدأ
في شرح مفهومه لعقيدة اللوغوس ، يحتج بشدة ضد اللاهوتيين الذين
يقدمون شروحات مطولة ومفصلة عن أصل ومنبع ابن الله ومصدره
ووجوده ، كما لو كانوا حاضرين في يوم ميلاده . ثم يقول إن هذه
الأشياء لا يمكن وصفها لأنها تفوق كل وصف ، والانسان لا يمكنه أن
يفهمها أو يشرحها ولا أحد يعرف سر ميلاد ابن الله إلا الآب والابن
(راجع كتابه . ADV. HAE. 11 : 28) .

ولكن بالرغم من هذه الملاحظة التي ينتقد بها الذين حاولوا تقديم
شروحات طويلة ومفصلة عن سر التجسد ، فإنه هو نفسه يدخل في هذه
التفاصيل مقدما لنا مفهومه عن المسيح . فما هي عقيدته في المسيح ؟

لقد ركز إيريناوس في تعليمه على ما يدعى بالـ (Sotériologie)
أي كل ما يختص بقضية الخلاص ، فإن كنا نرى اللاهوتي اليوناني
يؤكد بشدة على مشكلة الخلاص الذي تم في شخص المسيح يسوع ،
فذلك لأن عددا من الغنوسيين كانوا يعلمون بأن المسيح هو واحد من
العوالم (EONS) . أو الآلهة التي خرجت من الآله الأسمى

ونزل لكي يخلص الانسان أو بالمعنى الأصح لكي يحرر الشرارات
الالهية السجينة في الانسان . والخلاص بحسب مفهوم هؤلاء الغنوسيين
ليس هو عودة العالم الأرضي المنظور والانسان الساقط روحا وجسدا ،
إلى الله ، بل هو رجوع الشرارات أو الذرات الالهية التي سقطت من
فوق ، إلى اللاهوت . وهذه العودة لا تتم إلا عن طريق « الغنوس »
أي المعرفة وهي التي تعطى الخلاص ، والمسيح هو الذي يساعد الانسان
على الوصول إلى هذه المعرفة . هذا هو الخلاص الذي نادى به
الغنوسيون .

وإيريناوس وعظ بأن المسيح جاء فعلا للخلاص ، ولكن هذا
المسيح الذي يتكلم عنه الغنوسيون ليس هو نفس المسيح الانجيل ، بل
هو واحد من الآلهة الكثيرة ، أما المسيح الانجيل فهو مسيح واحد فريد
وقد جاء لقضاء الانسان . فإن كان الغنوسيون يتكلمون عن مسيح جاء
من فوق ولا يمكن له أن يلتصق بالمادة لأنها شر وخطية ، فإن مسيح
الانجيل صار جسدا . وهو يقول : « إن لم يكن المسيح إنسانا حقا
وإلها حقا لأصبح خلاصنا مستحيلا » . وعندما جاء المسيح إلى عالمنا
لخلاصنا أخذ جسدا حقيقيا كأجسادنا لأن الرسول يقول : « الكلمة
صار جسدا » . وهنا يظهر إيريناوس رفضه لعقيدة الدوسينيين
(الذين يؤمنون بأن المسيح كان إلها فقط) . ويؤكد أسقف ليون بشدة
على حقيقة أنه كان من الضروري بل من اللازم لاتمام عملية الفداء
والتجسد ، وجود مخلص ، وأن يكون هذا المخلص مشتركا في اللاهوت
ومشتركا أيضا في الجنس البشري . كان لابد وأن يكون إلها وإنسانا
في نفس الوقت ، حتى يستطيع أن يصلح الانسان والله . فقد كان
المسيح إذن هو الوسيط المؤهل للقيام بهذه العملية ، عملية الوساطة
بين الله انذى لا يمكن أن يدنى منه ، وبين الانسان الخاطئ (راجع
J. LIEBAERT P: 67 .)

والذى يدرس كتابات القديس إيريناوس يلاحظ أنه شدد كثيرا على أعمال المسيح وخاصة أعماله الفدائية • فإن أسقف ليون قد أعطى الأولوية في كتاباته للبحث عن أعمال المسيح الفدائية والخلصية ، دون أن يهمل اهمالا كاملا الأسئلة المختصة بأصل وجوهر المسيح • (راجع كتابة ADV. HAER. 3, 166) •

ونلاحظ هنا أن القديس إيريناوس لا ينفج المنهج الذى اتبعه الرسول يوحنا بل يسلك الطريق الذى سلكه بولس الرسول ، إذ أن يوحنا تكلم عن الذى كان من البدء الذى فى حضن الآب ، جوهر الآب ، وأما الرسول بولس فقد ركز بالحرى على عمل المسيح الذى مات من أجلنا الذى قدم نفسه كذبيحة حية مرضية : آدم الأخير

والمقارنة التى قام بعملها إيريناوس بين آدم الأول و آدم الأخير تعتبر من أهم المواضيع اللاهوتية الكرسولوجية التى كتب فيها • وكرجل كتابى رجع إلى المكتوب لى يشرح الفرق بينه وبين الوثنيين • ولقد اتخذ أساسا لبحثه رومية (٥ : ١٢ - ٢١ ، ١ كو ١٥ : ٢١ - ٢٢ ، ٤٥ - ٤٩) •

(١) وهو يرى فى آدم الأول أنه إنسان مأخوذ من أرض بكر والمسيح أيضا ولد من بكر عذراء •

(٢) إن سقوط آدم الأول تسبب عن عصيان امرأة عذراء وهى حواء ، كذلك مجيء المخلص إلى العالم عن طريق امرأة عذراء من جنس آدم وحواء وهى مريم •

(٣) إن الوسيلة المستعملة لسقوط آدم كانت ثمرة شجرة هوالمسيح

قام باصلاح هذا السقوط بواسطة الصليب الذى صنع من أخشاب
الشجرة أيضا •

(٤) لم يستطع آدم الأول أن يقاوم رغبة الأكل من الشجرة
الممنوعة ، أما المسيح فقد قاوم الشيطان الذى جربه بتجربة مشابهة
على الجبل (تجربة الخبز) •

(٥) لقد سقط آدم الأول بسهولة فى فخ الشيطان الذى أغواه بأن
يكون معادلا لله ، بينما انتصر ابن الانسان على هذه التجربة ، غير
محاولا لا بالقوة ولا بالكر أن يثبت معادلته لله (فى ٢ : ٦ - ١١) •

لقد حاول إيريناوس ، بهذه العناصر الكتابية وخاصة المقتبسة من
رسائل بولس ، أن يبين الفرق بين آدم الأول و آدم الأخير - أى
المسيح - فهو يرى فى شخص المسيح صورة الله الكاملة • فمع أن آدم
قد خلق أيضا على صورة الله ، لكن آدم الأخير هو صورة الله حقيقة •
ولقد قام المسيح : آدم الأخير ، خير قيام بالدور الذى كان على آدم
الأول أن يقوم به • ولقد نجح آدم الأخير على طول الخط فيما قد
سقط فيه آدم الأول •

ولكن بالرغم من هذه المقارنة التى يجريها إيريناوس بين آدم
الأول و آدم الأخير ، والتى تبين لنا بأنه تتبع تعاليم الرسول بولس ،
فإنه يوجد اختلاف بين مفهوم بولس ومفهوم إيريناوس لمشكلة الخطية
والفداء • ولقد كتب الأستاذ لودز (LODS) (١) بخصوص هذا
الموضوع يقول : « يوجد اختلاف هام بين مفهوم بولس ومفهوم
إيريناوس ، يرجع أصله إلى مفهوم بولس للخطية ، ثم للفداء ، فبولس

(١) Marchods ص ١٢ - ١٥ •

يرى أن المسيح لم يصلح غلطة آدم فقط ... بل عمل ما لم يستطع آدم أن يقوم بعمله بسبب طبيعته الجسدية وبسبب خطورة عصيانه ، فهناك انفصال وفترة ، عظيم بين آدم ويسوع • فالفداء ليس رجوع إلى الوراء ، إلى خليقة مجددة ، ولكن الفداء هو خليقة جديدة لتأسيس ملكوت الله • ولهذا السبب فالمسيح هو السابق المتفوق على آدم •

أما إيريناوس فيعتقد بأن الخطية هي غلطة أدبية ، وأن آدم تصرف عن جهل ، فغلطة آدم نتجت إذن عن جهل وعدم نضوج ، فكان من الضروري أن يقوم هذا الجهل وأن تصلح هذه الغلطة • وهنا تبدأ عملية آدم الأخير ، أي اصلاح ما أفسده آدم الأول • هذا هو الفرق بين مفهوم إيريناوس ومفهوم بولس • (راجع ADV. HAER. 3, 21. 10 - 22. 4, 5, 21, 1 - 2.)

ويلخص لنا لودز (LODS) عملية الخلاص التي قام بها السيد بحسب مفهوم إيريناوس في النقاط الثلاث الآتية : إن اتحاد الله في المسيح كان لأجل فدائنا •

(١) لأنه لو كان ذاك الذي انتصر على عدو الانسان ليس بانسان ، لأصبح انتصاره بلاقيمة •

(٢) ولو لم يكن الله نفسه هو المانح لهذا الخلاص لأصبح هذا الخلاص مهدداً وغير مضمون •

(٣) ولو لم تتم عملية مصالحة الانسان مع الله اظل الانسان مائتاً (١) •

ولهذا كان من الضروري أن يكون الوسيط هو المسيح لأنه يستطيع عن طريق ارتباطه بالله أن يمثل الانسان ، وعن طريق ارتباطه بالانسان يستطيع أن يمثل الله . وبهذا يستطيع أيضا أن يجرى عمل المصالحة وأن يرجع السلام والصداقة بين الاثنين . فهو الذي يستطيع أن يقود الانسان إلى الله ثم يعرف الانسان بالله .

وهنا نرى المسيح المتجسد في طبيعته الإلهية والبشرية يقوم بعملية الفداء ، وبعملية المصالحة . فالإله المتجسد هو الذي يجذب البشرية إلى الآب لكي تعرفه ، وفي نفس الوقت فابن الله الذي في حضن الآب ، هو الذي يعلن الله للبشرية . ولقد كتب يقول : « فيه (في المسيح) نزل الله إلى الإنسان ، وهو أيضا (المسيح) رفع الإنسان إلى الله ... » (١)

وبعملية الفداء هذه نفذ الله قصده بالنسبة للانسان ؛ فالبشرية التي سقطت وأخطأت في آدم الأول ، تجددت الآن في آدم الأخير . فالمسيح هو الذي أعطى لهذه البشرية الساقطة والمبتعدة ، خلاصها وهو الذي صالحها مع الله (راجع IRENEE ADV. HAER. 3. 18, 1, 5, 14, 2.

مما سبق يتضح جليا أن أعمال المسيح الفدائية قد احتلت المكانة الأولى في تعاليم القديس السمريني . ولكن هذا لا يعنى أنه لم يتكلم عن شخصية المسيح وجوهره . صحيح أن قديسنا إهتم كثيرا بشرح أعمال المسيح ولكنه لا يهمل قط التكلم عن المسيح ، عن جوهره وأبديته ومساواته للآب ، إذ أنه من جوهر الآب ، ثم عن ناسوته ، وأنه إنسان كامل .

وبخصوص عقيدته في علاقة الآب بالابن أو عملية الانبثاق — أى

ولادة الآب لابن — فهو يعترف بأن هذا الأمر سر عظيم ولا يستطيع أن يشرحه ، ويجب قبول هذا السر بالايما: (ADV. HAER 2.28.6) ومع ذلك فقد حاول أن يشرح ما يؤمن به فيقول : « إن الله كائن وهو الذي ظهر عن طريق الابن الذي هو في الآب والذي فيه الآب » (ADV. HAER 2, 6, 3) • إن هذه الجملة تعبر عن تمسك أسقف ليون بوحدة الآب بالابن وهي وحدة ليست أدبية بل جوهرية ، فإن «اللوغوس كان في الله والله كان فيه • « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) •

وهذه الوحدة الموجودة بين الآب والابن هي وحدة أبدية ، أو بمعنى آخر إن وجود الابن موازي في الزمن لوجود الآب ، فالمسيح أزلي الوجود (ADV. HAER. 4, 20) • وهنا يختلف إيريناوس عن بعض المعلمين في الشرق الذين علموا بأن وجود الابن ام يكن أبدياً • ونقد كانت له الشجاعة أن يعلن هذه الحقيقة التي لم يستطع أن يعلنها القديس يوستينوس ، إذ أننا نجد نوعاً من التذبذب في شرحه لأبدية الابن • فمع أنه يتكلم عنه كالعامل مع الله في الخليقة والذي وجد قبل الخليقة ، إلا أنه لا يقول صراحة بوجود الابن الأبدى أو بالوجود الموازي لوجود الآب • أما إيريناوس فقد علم بوضوح لا يعتوره الشك ، بأبدية الابن ووحدة مع الآب •

وبما أن معظم كتاباته كانت تهدف لمحاربة الغنوسية وتفنيد عقيدتهم ، فإنه لم يهمل أن يتكلم عن جسد يسوع • فإن اتحاد المسيح بالجسد هو أولاً وقبل كل شيء اتحاد حقيقي وفعلي ، وليس كما يقول الغنوسيون أن المسيح كان خيالا • فعندما يقارن إيريناوس آدم الأول بآدم الأخير • يقول « إن المسيح آدم الأخير كان لحماً ودماً من دمننا ، كان إنساناً بكل ما تحمله الكلمة من معنى (ADV. HAER. 5, 14, 2)

فعندما تجسد ابن الله صار فعلا إنسانا • كان يتألم ويفرح ويعطش ويشرب ويجوع ويأكل • • • وليس كما يظن بعض الغنوسيين بأن لا الآلام ولا الجوع ولا العطش ولا أية قوة أخرى طبيعية لها سلطان على المسيح ، لأنه كان مجردا من الطبيعة البشرية الخاضعة لقوى الطبيعة وتأثيرها • بـا، على العكس ، فالمسيح « اللوجوس » صار مثلنا لكي يصيرنا مثله (IRENEE ADV. HAER. 19, 3) ولكن في صيرورته مثلنا لم يفقد لاهوته بل ظل هو هو نفس المسيح الواحد • • إن هذه العبارة الأخيرة ستصير عبارة مشهورة ومعروفة في مجمع خلقدونية إذ أنها ستسجل في قرارات هذا المجمع حوالي سبع مرات (١) • يلوم البعض القديس إيريناوس لأنه تكلم كثيرا عن الجسد واللوجوس في المسيح كما لو كان لا يوجد أي شيء آخر غيرهما (٢) • ومما لا شك فيه أنه شدد كثيرا على وجود اللوجوس والجسد في المسيح ، وذلك لأنه كان مضطرا في دفاعه ضد الغنوسيين إلى أن يشدد مرارا وتكرارا على هذه الحقيقة • ولكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال بأن معلم ليون ينكر وجود روح المسيح • فهو يذكر بطريقة واضحة أن للمسيح روحا بشرية كأرواحنا (راجع إيريناوس ADV. HAER 3, 22, 1 .) •

إن القديس إيريناوس رفض كل عقيدة تؤدي إلى الفصل أو التقسيم في الله أو اللوغوس • فهو يرى الوحدة الكاملة والجوهرية بين الله الآب والله الابن ، بين اللوجوس وبين الجسد • ومع ذلك فإنه اضطر مرارا كثيرة إلى أن ينسب ما هو للجسد وما هو للطبيعة الالهية للطبيعة الالهية • وذلك لأن الكتاب المقدس نفسه استعمل هذا الأسلوب في التحدث عن المسيح ، فإن الله الذي سكن في الجسد لم يلاش ما في الجسد الذي سكن فيه من صفات مختصة به • كذلك الجسد الذي كان الله فيه ساكنا

A. Grillmeier p. 146

(١)

A. Grillmeier p. 148

(٢)

لم يلائس هذا اللاهوت • فهناك أفعال وتصرفات في شخص المسيح لا يمكن أن ننسبها للجسد ، كما توجد صفات وأعمال في المسيح لا يمكن نسبها لله (راجع إيريناوس 3, 21, 3, 17, 5 ; 3, 12, 9, 3, ADV. HAER.) •

فمع أن إيريناوس لم يكن لاهوتيا خلاقا أو مجددا لأفكار جديدة ، إلا أنه كان الرجل الذي استطاع أن يتمسك بالايمان الصحيح الذي استلمه من الرسل • ولقد حاول في كتاباته وفي حياته الرعوية أن ينادي بهذا الحق الثمين وهو أن يسوع المسيح آدم الأخير قد جاء لكي ينقذ ويخلص ما قد هلك • لقد جاء المسيح في جسد الخطية لكي يهزم الخطية في الجسد ويحرر الانسان تحريرا كاملا من الخطية وعبوديتها • انه جاء لخلاص البشرية كلها •

بعض المراجع لدراسة حياة وتعاليم القديس ايريناوس :

1. W. Volker. THLZ 72, 1947 (170 - 173).
2. A. Benoit St. Irénée. Paris 1960.
3. A. Houssiau La Christologie de Saint Irénée. Louvain, 1955.
4. E.C. Blackman, Marcom and his influence, London 1949.
5. J. Daniélou, Saint Irénée et Les Origines de la Theologie de L'histoire.
6. D'nuger, Christ's Role in the Universe according to S. Tre-naeus. Franciscan Studies 26 (1945) 3 - 10. 114 - 137.
7. F. R. M. Hitchcock, Irenaeus of Lugdunum. A Study of His Teaching. Cambridge, 1914.
8. A. d'Ales, La Doctrine de la recapitulation en St. Irénée. R. SR6 (1916) 185 - 211.
9. L. Cristiani St. Irénée, évêque de Lyon, Paris 1927.
10. A. Verrièle. Le plan du salut d'apres St. Irénée. RSR. 14 (1934) 493 - 524.
11. Eugene de Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etude Critiques de documents du gnosticisme Chretien aux 11 et 111 siecle. Bible ecole Hautes etudes Paris 2e Paris.
12. Irénée. Adversus. Haereses.

راجع ما كتبه القديس ايريناوس نفسه

الفصل السادس

يوستينوس الشهيد

(SAINT JUSTIN LE MARTYR)

سنبدأ في هذا الفصل سلسلة جديدة من سحابة الشهود الذين كرسوا حياتهم وعلمهم ومعرفتهم لذلك الذي قدم حياته بسخاء من أجلنا . إن هذه السلسلة من سحابة الشهود الذين سندرس حياتهم ومفهومهم لشخص المسيح يسوع ، لم يتمتعوا بمقابلة الرسل والتلمذ عند أقدامهم كما كان الحال مع القديس أغناطيوس ، وأكليمنديس الروماني ، وبوليكاربوس وبابياس الهيرابولسي . ولكن هؤلاء الأشخاص قد تقابلوا مع السيد بطرق مختلفة متنوعة ، فغير حياتهم ، وعندئذ كرسوها له .

ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين يجب على كل دارس لعلم العقائد المسيحية أن يدرس حياتهم وأفكارهم اللاهوتية ، نذكر القديس الشهيد يوستينوس .

القديس الشهيد يوستينوس SAINT JUSTIN LE MARTYR

إن يوستينوس يعتبر من الرجال العظام الذين استخدموا أقلامهم السبالة ومعرفتهم الواسعة الفياضة في الدفاع عن المسيحية التي

اضطهدها كثيرون من الرومان ونبذها كثيرون من اليهود .

ولد يوستينوس حوالي سنة ١٠٠ أو سنة ١٠٥ في نابلس وهي سكيم القديمة في فلسطين ، من أبوين وثنيين من أصل يوناني . فلقد تربى وشب في الديانة الوثنية، على أن يوستينوس كان منذ صباه شغوفا بالقراءة والاطلاع ، مولعا بالبحث وطلب المعرفة أينما وجدت . ولذلك فقد بحث عن هذه المعرفة عند الرواقيين كما يقول لنا هو نفسه بأنه التحق بمدرسة رواقية (١) ، ثم درس فلسفة الأكاديميين والفيثاغوريين، ولكن كل هذه الدراسات العلمية والفلسفية لم تستطع أن تروى نفسه المتعطشة وقلبه الملهب ، كما أنها لم تستطع أن تقنع بأى حال من الأحوال عقله الذى كان يفكر ويبحث . فإن الرواقية لم تستطع أن تشرح له بطريقة مقنعة « ذات الله » كذلك الأفلاطونية التى كان يتمسك بها ، لم تخطه هى أيضا أن تجيب على كل استفساراته العديدة . وهكذا كان يوستينوس يسبح في بحر من الفلسفة والعلم والآراء المتناقضة المختلفة دون الوصول إلى المعرفة الحقيقية .

وفي يوم من الأيام بينما كان يروح عن نفسه مبتذرا على شاطئ البحر، تقابل مع رجل شيخ، شرح له أن الفلسفة الأفلاطونية لا يمكنها أن تشبع قلب الانسان ولا أن تروى نفسه المتعطشة ، وأشار عليه بأن يدرس كتابات الأنبياء فهى وحدها التى تعلن لنا الحقيقة . ويقول يوستينوس إن الرجل قال له أشياء كثيرة أخرى ، وبعد ذلك تركه وانطلق ولم يره من بعد ذلك ، ويواصل روايته قائلا : ولكن بعد رحيله شعرت فجأة بنار تلتهم روحي ورغبة لا تقاوم لدراسة الأنبياء وحياة أصدقاء المسيح ، وفي دراستى لهذه الكتب وجدت أنها هى الفلسفة الحقيقية والصحيحة ، وتمنيت من كل قلبى أن الجميع يعرفون ما

عرفت (١) • ولقد قبل يوستينوس المسيح مخلصا وفاديا لحياته وطلب
العماد في حوالي الثلاثين من عمره •• وإن كان البحث والقراءة ومقابلة
هذا الشيخ قد لعبت دورا هاما جدا في تغيير الشاب الوثني ، فإنه
يعترف أن شجاعة المسيحيين واقدامهم على الموت بلا تردد ، كانا سببا
من الأسباب الهامة التي دفعت به إلى التفكير والتأمل في حياة هؤلاء ثم
قبوله للمسيح (٢) •

بعد أن حصل يوستينوس على التجديد الذي يحتمل أنه قد حدث
في مدينة أنسس ، كرس حياته للدفاع عن المسيحية ، إلا أنه لم يترك
الثوب الذي كان يرتديه عادة فلاسفة اليونان • وبدأ يطوف البلاد كمعلم
متجول إلى أن وصل إلى روما حيث فتح هناك مدرسة في عهد انطونيوس
التقى (ANTONIN LE PIEUX) (١٣٨ — ١٦١) وكان من بين تلاميذه
ثاتيانوس (TATIEN) الذي سيصير فيما بعد من المدافعين
عن المسيحية •

ويحتفظ التاريخ لنا بقصة محاكمة القديس يوستينوس مع ستة أشخاص
آخرين ، وتستشهد هذه القصة بما سجلته المحكمة التي قامت بالنظر
في هذه القضية • فالقضية تعرفنا بأن يوستينوس قد زج به في السجن
مع ستة آخرين من المسيحيين بأمر حاكم روما « جانيوس راستيكوس »
(Q JUNIUS RUSTICUS) في عهد الامبراطور مرقس أوريليوس
(MARC AURELE) الفيلسوف الروائي ، وهذا هو نص الحكم الذي
نطق به الحاكم : « إن القاتون ينص على أن كل من لا يقدم ذبائح
للآلهة ، وأن كل من لا يخضع لأوامر الامبراطور ، يضرب بالعصى وتقطع
رأسه » • وبناء على ذلك فقد تم حكم الاعدام في يوستينوس ورفقائه

Dialog. 8.

Dialog. 2, 12, 13.

(١) انظر يوستينوس

(٢) انظر يوستينوس

الستة في سنة ١٦٥ في روما •

كتابات:

إن أسانيوس (EUSEBE) المؤرخ الكنسي المعروف يقول إن يوستينوس قد ترك عدة مؤلفات في غاية الأهمية (١) ، ولكن للأسف الشديد لم يحل إلينا من هذه المؤلفات الكثيرة إلا ثلاثة كتب كتبت في مجلد واحد وهي :

- (١) دفاعان عن المسيحية ضد الوثنيين •
- (٢) حوار مع تريفيون (TRYPHON) اليهودي •

١ — الدفاع الأول : ولقد وجه القديس يوستينوس دفاعه الأول عن المسيحية إلى الامبراطور انطونينوس بيوس فيما بين سنتي ١٤٩، ١٦٠ • ففي المقدمة لهذا الدفاع (الفصل ١ — ٣) يلتمس يوستينوس أن يحكم الامبراطور بنفسه في قضايا المسيحيين ، لأن الذين يقومون بالنظر في قضاياهم في المحاكم ، لا يراعون العدل في الحكم ، وفي الجزء الثاني من الدفاع (الفصل ٤ — ١٢) يلوم موقف الحكومة الرسمي ازاء المسيحيين ، ثم يشرح أن كلمة مسيحي تشبه تماما كلمة فيلسوف ، فهي لا تحمل في طياتها إدانة أو براءة ، فلا يجب إذن عقاب المسيحي لأنه مسيحي • فإن كانوا قد رفضوا السجود أو عبادة الآلهة الأخرى ، فذلك لأنهم

Eusébe. Hist. Eccl. 4 : 18.

(١)

(٢) راجع بخصوص هذا الموضوع (دفاعه ٢ : ٤) ثم الكتب المذكورة أدناه :

Apol. 2 : 4.

W. F. Blunt. The Apologies of Justin Martyn.

B. L. Gildersleeve, Apologies of Justin. Martyn.

Pautigny les Apologies.

يخشون إلههم • كما أن عقيدتهم وإيمانهم يدفعانهم الى عمل الخير ،
ولذلك فهم أفضل العناصر كمواطنين صالحين • والجزء الثالث (من
الفصل ١٣ - ١٧) يحتوى على دفاع عظيم عن المسيحية ، فيه يسرد
بطريقة مطولة العقيدة المسيحية والعبادة والأساس التاريخى لها •

(٢) الدفاع الثانى : ويبدأ شهيدنا هذا الجزء بحادثة حدثت في
روما ، وهى أن حاكم روما أوربيكوس قد أمر بقطع رؤوس ثلاثة
من المسيحيين ، والجريمة التى دفعت الحاكم لاصدار هذا الحكم على
المسيحيين الثلاثة هى أنهم مسيحيون • ويطلب يوستينوس من الراى
العام الرومانى بأن يكون حكما فى هذا الأمر ثم يحتج بشدة ضد
تعسف الحكام وموقفهم من المسيحيين •

(٣) المكتوب الثالث : هو الحوار الذى دار بينه وبين تريفون
اليهودى وهو أقدم وثيقة حوار بين المسيحيين فى تلك الفترة ، وللأسف
لا نملك كل ما دار فى هذا الحوار • ويحتمل أن الحوار دار بين يوستينوس
وتريفون فى أفسس فى يومين متتاليين (أنظر أسابيوس : تاريخ الكنيسة
٤ ، ١٨ ، ٦) • ويبدأ الشهيد فى هذا الحوار بمقدمة (الفصل ٢ - ٨)
يشرح فيها بالتفصيل الدراسات التى درسها ثم اهدائه للمسيحية •
وفى الفصول من ٩ إلى ٤٧ يقدم عقيدة المسيحى فى العهد القديم موضحا
أن المسيحية هى التاموس الجديد والأزلى للبشرية جميعا والجزء الثانى
من ٤٨ إلى ١٠٨ يحتوى على بعض البراهين التى حاول بها القديس تبرير
عبادة المسيح كإله • والجزء الثالث من ١٠٩ - ١٤٢ يعرفنا فيه بأن كل
الأمم التى تقبل المسيح وتؤمن به وتتبع ناموسه تحتل مكان إسرائيل
فهى إسرائيل الجديد •

ولا يمكننا الجزم بأن هذا النص المسجل فى الحوار بين يوستينوس

وتريفون قد سجل جملة جملة ، ولكن هذا لا يعنى أن هذا الحوار لم يحدث ، بل قد حدث فعلا ، وقد تكلم عنه أسابيوس في كتاباته كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

ولقد كتب يوستينوس بعض المؤلفات الأخرى الكثيرة ولم يتبق لنا منها إلا بعض العناوين التي ذكرها الكتاب اللاحقون في كتاباتهم ، مثل كتاباته ضد ماركيون التي ذكرها إيريناوس (أسابيوس تاريخ الكنيسة ٤ ، ٨ ، ١١) ، ثم خطابه ضد اليونان (أسابيوس ٥ ، ٤ ، ١٨ ، ٣ ، ٤) ، وتعاليمه عن الروح (أسابيوس ٤ ، ١٨ ، ٤) .

من هذا الحوار ومن كتاباته الدفاعية يمكننا أن نصل إلى النقطة المهمة والأساسية في بحثنا : ما هي عقيدة يوستينوس في شخص المسيح ؟

ما هي تعاليم يوستينوس المختصة بالمسيح ، ما هو مفهومه (الكرسولوجى) ؟

لقد تكلم القديس في كتاباته عن الله ، ثم عمل مقارنة بين مريم وحواء ، وكتب أيضا عن الملائكة والشياطين وعن الخطية الأصلية وعن العماد والعشاء الربانى وعن مواضيع أخرى . ولكن الذى يهمنا هنا هو مفهومه لشخص المسيح يسوع .

اللوجوس (اللوغوس) :

إن اللوجوس في عرف القديس يوستينوس هو القنطرة التى ألقيت على الهاوية الفاصلة بين الله والانسان ، فبدور هذه القنطرة أو اللوجوس هو الوساطة بين الله والانسان .

فالله لا يتصل بالعالم إلا عن طريق اللوغوس ، فهو الوسيط الذى (م ٢٩ — تاريخ الفكر المسيحى)

عن طريقه يعلن الله ذاته ثم يقود النفوس إلى الرب •
 ولقد حاول يوستينوس أن يشرح أصل اللوجوس ، فهو يعتقد
 بأنه كان ساكنا في الله كقوة ، وهذه القوة انبثقت أو خرجت من الله قبل
 الخليقة • ولقد قام (اللوجوس) بعملية الخلق • ولكي يوضح عملية
 انبثاق اللوجوس من الآب استعمل بعض التشبيهات والصور •

إن انبثاق الابن من الآب لا يعنى أن اللوجوس جرد الآب من
 لاهوته ، أو نزعه عنه ، فإن الإنسان يفكر في الكلمة التي ينطق بها قبل
 أن يخرج لفظ الكلمة من المتكلم • فالكلمة المفوظة لا تجرد الإنسان
 الذي نطق بها من جوهره كإنسان أو تقلل أو تنقص كيانه ووجوده
 الجسماني • إن انبثاق الابن من الآب يشبه أيضا توليد النار من النار
 وهذه العملية لا تنقص من كمية أو قوة النار الوالدة ولا تجردها من
 قوتها وكيانها (راجع حوار ٦١ ، ٢ ، ١٢٨ ، ٤) •

وعندما يقوم الإنسان بعمل ما فلا ينقص هذا من تكوينه أو جوهره
 (بهذه الصور : لفظ الكلمة من لفظها ، توليد النار من نار ، القيام
 بعمل) • عبر يوستينوس عن انبثاق الابن من الآب بأنه انبثاق داخلي
 في الله ذاته • ويتفق أيضا وقول الرسول يوحنا : « كل شيء به كان
 وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣) فإن اللوجوس الذي انبثق
 من الآب قبل خلق العالم هو نفسه الذي خلق العالم (راجع الدفاع
 الثاني ١ : ٢ ، حوار ٦١ : ١) ، والذي كان أيضا مع الله قبل أن يخلق
 هذا العالم ، ولقد لفظه — أخرجه — الله من ذاته خارجا عنه لكي
 يقوم بعملية الخليقة والعناية (حوار ٦٢ : ٤) ففي عرف قديسنا أن
 اللوجوس الابن هو العامل في الخلق • ولكي يؤيد فكرته هذه يقتبس
 (١ كو ٨ : ٦ ، كولوسي ١ : ٦ أم ٨ : ٢) (انظر الدفاع الثاني ١ : ٢ ،
 حوار ٦١ : ٣ — ٥ ، ٦٢ : ٤ ، ١٢٩ : ٣) • ثم يشير يوستينوس إلى

استعمال الجمع في (تك ١ : ٢٦ ، ٣ : ٢٢) « نعمل الانسان على صورتنا وكشبهنا » فالله يشرك اللوجوس في عملية الخلق .

ومع أن الشهيد يعتقد بأن اللوجوس انبثق من الله ، ولكنه يؤمن أنه يتمتع بوجوده الذاتي والتميز بالطبيعة عن الله السامي . ويعتقد البعض بأن يوستينوس كان يحارب بطريقة خفيفة لكن بثبات ووضوح ، بعض المسيحيين الذين كانوا يتمسكون بفكرة أغناطيوس التي ترفض فصل أي شيء عن لاهوت الآب . فهم يقولون إن قوة الله اللوجوس لا يمكن أن تقطع ولا تفصل عن الآب ، فإنه لا يمكن قطع أو فصل نور الشمس على الأرض من الشمس التي في السماء . ففي استطاعة الله أن يبتثق قوته عندما يريد وأن يحضرها مرة ثانية فيه عندما يشاء ذلك ، ويجيب يوستينوس قائلا بأن اللوجوس متميز عن الآب ليس فقط في الاسم بل في العدد أيضا (حوار ١٢٨ : ٣ ، ٤) . ولقد ظن بعض اللاهوتيين أن يوستينوس قد أضعف أبنية اللوغوس بحواره (رقم ٦٢ : ٤) .

وعندما تعرض القديس يوستينوس لشرح علاقة الآب بالابن لم يستطع أن يتجنب السقوط في مشكلة التبعية أو الخضوع (SUBORDINATIONISME) أي تبعية الابن للآب أو خضوع الابن للآب لأن الآب أعظم وأسمى منه ، فقد كتب يقول : « إن اللوغوس أصبح ابنا إلهيا ، ولكنه خاضع للآب (حوار ٦١) » وستكون لنا الفرصة للتكلم عن هذه العقيدة عندما نتعرض لشرح أفكار أريجانوس اللاهوتية في هذا الموضوع .

من أهم المواضيع اللاهوتية التي عالجهما يوستينوس موضوع اللوغوس . وفي شرحه لهذه العقيدة يرى بعض الروايسط التي تربط

المسيحية بالوثنية • فلقد علم بأن اللوغوس لم يظهر بطريقة واضحة وشفافة إلا في المسيح وحده ، ومع ذلك فإن بذوره (اللوغوس) قد انتشرت في البشرية جميعها • ولقد وجدت هذه البذور ، بذور اللوجوس في كل كائن بشري •

وبناء على ذلك فإن اللوجوس قد أرشد وقاد ليس فقط أنبياء العهد القديم بل حتى فلاسفة الوثنيين • فكل الذين سلكوا بحسب ارشاد اللوغوس الالهى الذى كان يعمل فيهم، هم في الحقيقة مسيحيون، فهل يمكننا أن نعتبر المفكرين الذين سلكوا بارشاد هذا اللوجوس أمثال هيراقليطوس والفيلسوف الروائى ميزونيوس (دفاعه ١ : ٤٦) ملحدين ؟ فإن كل المبادئ الحسنة والقوانين العادلة التى علم بها وسنها الفلاسفة ، كان المصدر والمرشد إليها هو اللوجوس • ومما لا شك فيه أن هذه التعاليم وهذه المبادئ التى أوحيت إلى هؤلاء الفلاسفة ناقصة وغير كاملة ، لأن معرفتهم عن اللوجوس كانت جزئية وناقصة وغير كاملة • والمسيح وحده هو الذى يملك هذه المعرفة الكاملة التى تأتى بطريقة مباشرة من اللوجوس الذى أظهر نفسه لهم (دفاعه ٢ : ١٣ ، ٢ : ١٠ ، دفاعه ١ : ٤٤) فلا معرفة كاملة إذن ولا ادراك تام للمبادئ السامية إلا في المسيح،ويلخص أدولف هرنك عقيدة يوستينوس الكرسولوجية في هذا القول : إن المسيح هو اللوجوس والناموس (١) •

ومع أن يوستينوس يعتبر من لاهوتى القرن الثانى العظام ، ومن الرجال الأتقياء المتعمقين في الدرس والبحث والمعرفة ، ومن الذين أيضا بدرسهم وتعمقهم استطاعوا أن يدافعوا بكتاباتهم وعظاتهم وحياتهم عن الحق الإلهي ، إلا أن البعض من تعاليمه قد تعرضت للنقد لأنه بالرغم

من دراساته العميقة ومعرفته الواسعة للكتاب المقدس ، فإن التعاليم الأفلاطونية تركت تأثيرا عميقا عليه لم يكن من السهل محوه . بل إن الدارس المدقق لكتابات الدفاعية والحوار يشتم في بعض الأحيان رائحة وثنية في تعليمه عن اللوجوس وطريقة الانبثاق ، فإن خروج اللوجوس من الآب يشبه إلى حد ما خروج اللوجوس (بعض الأرواح) من الإله العظيم في المفهوم الوثني الغنوسي ، كما أن يوستينوس يعتقد بأن الابن أدنى من الآب ، وأن الروح القدس أقل من الابن ، فقد كتب يقول : « إن الله اللوجوس هو إله وسيد أقل من الله الخالق للكون ، وعندما يتكلم عن الثالوث يضع الله السامي في المرتبة الأولى والمسيح في المرتبة الثانية والروح القدس في المرتبة الثالثة (دفاع ١ : ١٣ ، ٣ : ٤) » .

مما لا شك فيه أن الدراسات الفلسفية الكثيرة التي درسها القديس يوستينوس قبل تجديده ، تركت في تعاليمه بعض الآثار الوثنية ، على أن هذا لا يقلل من عظمة الرجل الذي عاش ومات لأجل المسيح .

الفصل السابع

TATIEN تاتيانوس

قبل أن نختم هذه الحقبة في تاريخ العقائد المسيحية ونبدأ حقبة أخرى ، يحسن بنا أن نذكر بعض الأسماء التي لعب أصحابها دورا هاما في تاريخ العقيدة المسيحية والدفاع عنها . فلقد سبق أن رأينا تاريخ حياة وتعاليم كل من أغناطيوس الأنطاكي وأكليمندس الروماني وبوليكرابوس وإيريناوس ثم يوستينوس ، وكيف قبل هؤلاء المسيح كمخلص وسيد لحياتهم . ثم عرفنا أيضا أفكارهم وتعاليمهم بخصوص المسيح . ويمكننا أن نضيف إلى هؤلاء للتذكير فقط ودون الدخول في التفاصيل الدقيقة الخاصة بتاريخ حياتهم وعقائدهم كل من تاتيانوس السوري وثيوفيلوس الأنطاكي وهيليتون الساردسي ، إذ أن هؤلاء المعلمين وآخرين أيضا قد عاشوا وعلموا في القرن الثاني .

١ - تاتيانوس السوري (TATIEN. LE SYRIEN) :

ولد تاتيانوس في سنة ١١٠ في سوريا من عائلة وثنية ، ولقد كان شغوفا بالعلم جادا في البحث عنه . ولهذا الغرض فقد ترك بدوره سوريا واتجه إلى بلاد اليونان لكي يدرس أفكارهم وفلسفتهم ، وبعد أن أقام في اليونان فترة من الزمن ، إنطلق إلى روما لكي يستقى من

علمهم ويروى نفسه المتعطشة من فلسفتهم وديانتهم • ولكنه بعد أن درس هذه الديانات والفلسفات خاب ظنه ولم يستطع أن يحصل على السلام الذي كان ينشده ويبحث عنه لكي يروى به نفسه • وفي روما تقابل مع القديس يوستينوس فتتلمذ على يديه ، ولقد وصل النور إلى تاتيانوس عن طريق الدراسة والبحث العميق والصلاة ، وكان في فترة البحث والدراسة يتردد على المدرسة التي كان يدرس فيها القديس يوستينوس •

وبالرغم من أن تاتيانوس هو تلميذ القديس يوستينوس ويحتل كثيرا أنه قد تجدد على يديه ، إلا أننا نجد فرقا كبيرا بين الاثنين ، ليس فقط في التعليم والعقيدة بل في الذوق وفي المبادئ • إن يوستينوس كان يبحث دائما عن الحقيقة ليس فقط في الكتب المقدسة بل أيضا في كتابات المفكرين الآخرين • أما تلميذه السورى فقد ضرب عرض الحائط بكل العلوم والفلسفات الأخرى غير المسيحية ، فإنه يرفض رفضا باتاً كل الفلسفات اليونانية • لقد أظهر يوستينوس في دفاعه عن المسيحية احتراماً عظيماً وتقديراً كبيراً للفلسفات غير المسيحية ، بينما كان تاتيانوس ضد كل ما يمت بصلة للحضارة اليونانية وفنها وعلمها واللغة نفسها •

ولقد أسس تاتيانوس مذهب جماعة الممتنعين ، فلقد امتنعوا عن الزواج لاعتباره زنى في نظرهم ، وامتنعوا عن أكل اللحوم بأي شكل كان ، وامتنعوا عن شرب الخمر حتى في العشاء الرباني ولذلك استعملوا الماء بدلا من النبيذ للأفخارستيا • (١)

(١) لمعرفة كيف كان تاتيانوس يبحث عن الحق في الديانات الأخرى ولم يجده راجع كتاب د. أسد رستم ص ٧٢ الجزء الأول ،

I. Quaston p. 249 - 250

كتابات :

لم يبق انا من كتاباته إلا كتابان :

الكتاب الأول :

يدعى « محاضرة لليونان » (LES DISCOURS AUX GRECS) ولا نعلم بالضبط تاريخ كتابة هذا الكتاب ، ويحتمل أنه كتب خارج روما بعد موت يوستينوس أكتبه قبل تجديده أو بعده ، لا نعلم ؟ لقد ظن بعض العلماء بأن هذا الكتاب لا يهدف إلى الدفاع عن المسيحية ولا إلى تبرير موقف الكاتب لتجديده ، بل إنه يبحث فيه الجماهير على الالتحاق بمدرسته • وفيه يعطى صورة سوداء للفلسفة والدين وتصرفات اليونان وسلوكهم التي يعتبرها الكاتب بلا معنى وغير أخلاقية وبلاقيمة .

والكتاب يحتوى على أربعة أجزاء يحتوى كل جزء على عدة فصول • ويتكلم عن الكون في المفهوم المسيحي ، عن اللوجوس وعلاقته بالآب ، خلق الانسان والقيامة والدينونة الأخيرة ، خلق الملائكة ، ثم يتكلم عن الحرية وسقوط الملائكة ، خطية آدم وحواء ، الملائكة الأشرار والشياطين (١) •

الكتاب الثانى :

يدعى الديايطسرون (LE DIATESSARON) ويمكن أن نسميه « ما تحتويه الأربعة » • أما بقية ما كتبه تاتيانوس فقد ضاع • ولقد ذكر الكاتب في دفاعه ثلاثة كتب من هذه الكتب الضائعة ، كما أن بعض الكتاب ذكروا بعضا من فصول كتب أخرى قد ضاعت أيضا • إن تاتيانوس قد استعار بعض الأفكار التي علم بها معلمه

يوستينوس مثل اللوجوس الذى يشبه الكلمة التى تشرح الفكرة ،
والنار الخارجة من نار ، اللوجوس هو العامل فى الخليقة ، أى الذى
خلق به العالم • ولكن بالرغم من أن اللاهوتى السورى قد استعمل
بعض العبارات التى استعملها اللاهوتى الفلسطينى ، إلا أن تاتيانوس
قد شط فى تعليمه إلى أبعد من معلمه ، فقد آمن مثل يوستينوس بأن
اللوغوس كان عاملا فى الخليقة ، « فهو العمل الأول للآب » أو العمل
البكر للآب • إن هذه الجملة غامضة وتهدف فى معناها إلى أن اللوجوس
ولد قبل الأزمنة وليس قبل كل الأزمنة ، وهذا يعنى أنه أول كل
المخلوقات ، وفى هذا الفصل يعطى تاتيانوس تاريخ اللوجوس فى
مرحلتين :

فى المرحلة الأولى كان اللوجوس مختفيا فى الله ، فقبل الخليقة كان
لا يمكن تمييزه عن الله •

وفى المرحلة الثانية يبدأ بالخليقة عندما يخرج اللوجوس عاملا ،
وبعبوره فى هذه المرحلة يصبح الخارج من الآب ، وهنا يبدأ عمله فى
تنظيم المادة المختلطة فى العالم •

لقد سبق أن أشرنا إلى عدم وضوح يوستينوس بخصوص عقيدته
فى أزلية اللوغوس ، فلم يتكلم بوضوح عن أزليته ، بل ترك هذا الأمر
غامضا ، أما تاتيانوس فمع أنه يتكلم عن هذا الموضوع بكلمات غامضة
وغير واضحة مائة فى المائة ، إلا أنه يستشف من عباراته الغامضة بأن
اللوغوس ولد قبل الأزمنة وليس قبل كل الأزمنة • أو بعبارة أخرى
يمكننا أن نفسر فكر تاتيانوس بأن اللوجوس كان غير موجود فى زمن ما ،
فى زمن بعيد جدا فى الأزل •

وهنا نلاحظ ظهور التربة التى ستنمو فيها ، فيما بعد ، أنواع
كثيرة من الهرطقات المختصة بشخص المسيح وعدم أزليته •

بعض المراجع للدراسة :

1. A Puech, *Recherches sur le Discours aux Grecs de tation*, Paris 1903. 107 - 158.
2. J. Le Blanc, *Le logos de tation, Athenagore et Theophile : Annales de Philosophie Chretienne* 149 (1905) 634 - 639.
3. R. M. Grant, *Patristica. Vc3* (1949) 225 - 229, *idem, the Date of Tatian's Oration : HTHR.* 46. (1953) 99 - 101. *The Heresy of Tatian JTSTN. S. 5* (1954) 62 - 68.
4. J R. Harris, *The Diatessaron of Tatian. A Preliminary Study*, London 1890.
5. M. Maher. *Recent Evidence for the four Gospels : Being the Diatessaron of Tatian (circa 160) ...* Edinburgh 1894.

انظر كتاب Quasten فهو يعطى قائمة طويلة ومفيدة بخصوص هذا الموضوع .

الفصل الثامن

أثيناغورس وثيوفيلوس

عندما نتكلم عن المدافعين (APOLOGISTES) الذين اعتنقوا المسيحية ودافعوا عنها بكتاباتهم وحياتهم في نهاية القرن الثاني ، لا يمكن أن ننسى شخصيات أخرى كثيرة غير التي تعرفنا عليها في الصفحات السابقة، وكيف يمكننا أن ننسى أثيناغوراس الأثيني (ATHENAGORE D'ATHENES) الذي كان معاصرا لتاتيانوس ، والذي كان يعتبر من أصحاب الأقلام السيالة والأسلوب السلس الرقيق . وكان أثيناغوراس قريبا في تفكيره وأسلوبه ومعتقداته من يوستينوس ، بعيدا في هذه أيضا من تاتيانوس ، فهو من أبلغ المدافعين المسيحيين الأولين . كان يجب الفلسفة والشعر ، وكتاباته مليئة بالاعتبارات الشعرية والفلسفية . وكل ما نأسف له هو أننا لا نعرف إلا القليل عن حياته ، ولقد كتب أثيناغوراس ما يدعى بـ « التماس لأجل المسيحيين » . (LA SUPPLIQUE AU SUJET DES CHRESTIENS) . ولقد وجه هذا التماس إلى الامبراطورين مرقس أورليوس (الآب) وليسيوس أورليوس سنة ١٧٦ . (الابن) . ويحتوى هذا الكتاب على عدة أجزاء : ١ - المقدمة : (من الفصل ١ - ٣) وفيها يشرح الكاتب هدف

رسالته ، وهو أن المسيحيين يضطهدون ويعذبون بطريقة غير إنسانية وغير عادلة • ويلتمس أن تفحص قضايا المسيحيين بدقة وعدل • ويجب أن لا يكونوا فيما بعد ضحية للواشين بهم • وفي الفصل ٤ — ٣٦ حاول الكاتب ان ينفي التهم الثلاث التي أراد بها الوثنيون تشويه المسيحية ، وهي :

- (١) الذندقة أو الكفر •
- (٢) أكل لحوم البشر •
- (٣) عقدة أوديب •

وفي الفصل ٣٦ يعالج الكاتب مشكلة القيامة ، ويهمننا أن نعرف أن الكاتب يتكلم عن الانسان المكون من روح وجسد ، وموت هذين العنصرين اللذين سوف يتحدان في القيامة •

ولقد تكلم أثيناغوراس في كتابه عن : (١) وحدة الله (كتابه — الالتماس الفصل ٨) ، (٢) الروح القدس (التماس ١٠) ، (٣) الثالوث (الالتماس ١٠) ، (٤) الملائكة (الالتماس ١٠) ، (٥) الوحي (التماس ٧) ، (٦) العزوبية (التماس ٣٣) ، (٧) الزواج (التماس ٣٣) ، (٨) الزواج لا يمكن فصله أو ازالته حتى بالموت (التماس ٣٣) •

ما هو مفهوم اثيناغوراس الكرسولوجي ؟

إن الكاتب اليوناني يتبع إلى حد ما أفكار القديس يوستينوس فيما يختص بالدور الذي قام به اللوجوس في الخليقة • ويقتبس كسابقيه (أم ٨ : ٢٢ — ٢٩) لكي يثبت أن اللوجوس كان يعمل هو أيضا خالقا في أثناء الخليقة •

ويعتقد الأستاذ لودز (LODS) بأن الفصل العاشر من كتاب أثيناغوراس يحتوى على تيارين مزدوجين •

١ - إن استخدام الحكمة ، الابن المذكور (أمثال ٨ : ٢٢) هو كمنجز لأعماله في الخليقة

٢ - عندما ندرس هذا الفصل (SUP. 10) الذي يتكلم عن الحكمة أو الابن نشعر كما لو كان أثيناغوراس يتكلم عن صفة من صفات الله الآب . فإن الله السامي كان من الأبد عاقلا ، زكيا ، قويا ... فالابن هو ذكاء الآب ، حكمة الآب (راجع SUP. 10. 12. 24) ، فقد ظهر كالطاقة العاملة أو الفكرة الخالقة ... ، فكان أثيناغوراس يرى في اللوغوس ليس شخصا بل صفة من صفات الله (١) .

أما بونيفاس فيعتقد بأن أثيناغوراس حاول بتعليمه أن يزيل الحاجز الذي أقامه أتباع يوستينوس بتعليمهم أن اللوغوس هو فكرة إلهية وأبدية ، الكأمة في وقت الخليقة ولأجلها . فإن أثيناغوراس يعتقد بأن اللوغوس كان منذ الأبد في الله ، فهو الفكرة والقول ، هو الذكاء والنشاط الحكمة الذي يفهم ، والارادة ، هو أيضا الطاقة الذي ينفذ (SUP. 10) وأن خلق العالم ما هو إلا نتيجة هذا الفكر. وهذا النشاط الإلهي . ولقد ظل اللوغوس بعد الخليقة ما كان عليه قبلها ، أي أنه الفكر والنشاط والطاقة الإلهية الذي يحكم العالم ويرشد البشر .

ولا شك أن هذه النظرية تعرض شخصية اللوغوس للاختلاط بل للتلاشي في الله ، وهي انزلاق نحو السبيلينية (٢) التي سنتكلم عنها فيما بعد .

وبما أننا نتكلم عن عقيدة بعض المدافعين وإيمانهم في شخص المسيح في القرن الثاني ، فلا يمكننا أن ننسى :

Lods. p. 36

(٢)

Bonifas p. 287 - 288.

(١)

ثيوفيلوس الأنطاكي :

لا نعرف الكثير عن حياته ولا عن تجديده ، غير أن أسابيوس المؤرخ الكنسي الذي بدأ في كتابة تاريخ الكنيسة في بداية القرن الرابع، يعرفنا بأن ثيوفيلوس كان الأسقف السادس لكنيسة أنطاكية (EUSEBE HIST. ECCL. 4. 20) • ومن كتابات الأسقف الأنطاكي، نعرف أنه واد بالقرب من الفرات من والدين وثنيين^(١) • وكانت ثقافته ثقافة يونانية وثنية ، وبعد الدراسة الطويلة للكتب المقدسة والتأمل العميق ، تجدد • ولقد نصب أسقفا على مدينة أنطاكية في عهد مرقس أورليوس ، أي في النصف الأخير من القرن الثاني •

ويحتمل أن ثيوفيلوس توفي بعد سنة ١٨٠ لأنه يذكر في كتاباته مرقس أورليوس الذي توفي في ١٧ مارس سنة ١٨٠ •

كتابات :
:

لم تصلنا من كتابات سادس أسقف لكرسي أنطاكية إلا ثلاثة كتب هي التي تسمى « ضد أوتوليكوم » (AD AUTOLYCUM) ويحتمل أن هذه الكتب قد كتبت بعد سنة ١٨٠ • إذ أن الكتاب الثالث يحتوي على تاريخ العالم وينتهي بموت الامبراطور مرقس أورليوس الذي مات في ١٧ مارس ١٨٠ كما سبقت الإشارة إلى ذلك •

ويدافع الأسقف عن المسيحية وعن إيمانها في ثلاثة كتب ، كتبها ردا على اعتراضات صديقه الوثني أوتوليكوس (AUTOLYCUS) • وفي الكتاب الأول يتكلم الكاتب عن جوهر الله الذي لا نراه إلا بعين الروح • كما أنه يتكلم في نفس الكتاب عن الوثنية ، ثم يشرح الفرق بين الاكرام الذي نقدمه للامبراطور والعبادة التي نقدمها لله (كتابه

الأول ١ : ٢) نم يتكلم عن القيسامة (١ : ١٤) . وفي الكتاب الثانى يتكلم ثيوفيلوس عن تعاليم الأنبياء الذين تتبأوا بوحي من الروح القدس وعن غباوة الديانة الوثنية وشعرائها . أما الكتاب الثالث فهو يقدم انا سمو وارتفاع الديانة المسيحية على الديانات الأخرى من الناصيتين الأدبية والأخلاقية .

ولقد كتب أسقف أنطاكية كتباً أخرى ضاعت . ويذكر أسابيوس من هذه الكتب المفقودة :

كتاباً ضد هرطقة هرموجن (HERMOGENE) ، وكتاباً ضد هرطقة ماركيون (MARCION) وعدة كتب تعليمية وشرح إنجيل يوحنا والأمثال (انظر أسابيوس ٤ : ٢٤) . كل هذه المؤلفات ضاعت ولم يبق لنا منها إلا الثلاثة كتب التى أشرنا إليها .

تعاليم ثيوفيلوس الخاصة بشخص المسيح :

جدير بالذكر أن أول شخص استعمل كلمة الثالوث (TRIAS) فى تاريخ العقيدة المسيحية هو أسقف أنطاكية . ولقد استعمل هذا الاصطلاح فى صيغة غريبة^(١) هى « ثالوث الله » ، كما أنه يرى فى الأيام الثلاثة السابقة لخلق الشمس ، إشارة إلى الثالوث .

أما بخصوص تعاليمه الكرسولوجية ، فإن كاستن (QUASTEN) يعتقد بأن ثيوفيلوس هو أول كاتب ومدافع من الكتاب المسيحيين ، الذى ميز بين اللوغوس فى الداخل LOGOS INTERIEUR OU JAMMENENT

(١) . انظر كتاب ... Lods p. 36.

واللوغوس في الخارج أو منطوقا (LOGOSEMIS OU PROFERE) (١) وعندما نرجع إلى كتابات ثيوفيلوس فإننا نجد أنه يحاول أن يشرح بأن اللوغوس أو الكلمة كان في الله ، في حضن الله ، وهذا ما يسميه ثيوفيلوس بالكلمة في الداخل أي أن اللوغوس (الكلمة) كان في الله ، في داخل الله . ولكن عندما نطق الله هذا الكلمة ، هذا اللوغوس ، خارجا عنه فهو الكلمة المنطوق أو الخارج من الله (انظر كتابه ٢ : ١٠) (٢) ، وثيوفيلوس يعتقد بأن هذا اللوغوس المنطوق هو ذاك الذي كان يتحدث مع آدم في الجنة ، وهو أيضا الذي كان يتشاور مع الله (انظر كتاب ٢ : ٢٢) .

وهنا نتساءل : ألا تحمل هذه النظرية ونظرية الكلمة في داخل الله والكلمة منطوقا خارج الله ، خطراً يهدد أبدية اللوغوس ؟

إن ثيوفيلوس اتبع في بقية تعاليمه نفس الخط الذي اتبعه المؤلفون الآخرون أمثال يوستينوس وأثيناغوراس ، عندما يتكلم عن طبيعة اللوغوس ، فهو يقتبس (أمثال ٨ : ٢٧ - ٢٩) لكي يثبت أن الحكمة أو الابن ولد للاشتراك في عمل الخليقة .

كما يلاحظ في تعاليم ثيوفيلوس الخاصة بالمسيح نوعاً من التبعية أو الثانوية (عقيدة أن الابن أقل من الآب أو تابع له) . ومع ذلك فقد علم بأن عملية الكلمة المنطوق أو اللوجوس لم يفرغ نفسه أو يخلى نفسه من اللاهوت عندما صار كلمة منطوقا خارجاً عن الله (كتاب ٢ : ٢٢) (٣) .

(١) انظر المراجع المشار إليها هنا

G. Bardy (Introd... Athénagore Sc., p. 56.

G. Bardy (Introd... Athénagore Sc., 1943, p. 52 - 6. (٢)

G. Bardy (Introd... Théophile 1948, p. 40 - 43. (٣)

الفصل التاسع

ميلتون الساردسى

وبما أننا فى مجرى الحديث عن المدافعين الذين دافعوا بأقلامهم وحياتهم عن المسيحية وعن إيمانهم بالمسيح ، فلا يمكننا أن ننفل ميلتون الساردسى (MELITON DE SARDES)

كان ميلتون أسقفا لكنيسة ساردس التى ذكرت فى سفر الرؤيا : « واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ساردس » (رؤ ٣ : ١) • ولقد كان واحدا من الأساقفة المدافعين فى القرن الثانى • وهذا واضح من الخطاب الذى كتبه أسقف أفسس بوليكارب إلى البابا فيكتور (حوالى ١٨٩ - ١٩٩) واصفا فيه نجوم آسيا اللاعبة والأبطال العظام فى الايمان الذين رقدوا فى الرب منتظرين القيامة ، ومنهم ميلتون الأعزب الذى كان يحيا كليا وجزئيا فى الروح وللرب (راجع

.. (EUSEBE HIST.. ECCL. 5. 24, 5

خارجا عن هذه الشهادة التى سجلها لنا المؤرخ الكنسى أوسابيوس ، لا نجد أية وثائق تاريخية تتحدث عن هذا الرجل وعن حياته • وإن كنا لا نعرف إلا التليل والقليل جدا عن حياته ، إلا أنه يبدو أن أسقف ساردس قد كتب كثيرا ، وللأسف الشديد ضاع معظم ما كتبه ميلتون ، (م ٢٠ - تاريخ الفكر المسيحى)

ولكن لحسن الحظ ، قد اقتبس من كتاباته بعض الكتاب المتأخرين •

في سنة ١٧٠ قدم دفاعا عن المسيحيين إلى الامبراطور مرقس أورليوس ، ولم يتبق لنا من هذا الدفاع إلا بعض الاقتباسات التي اقتبسها أوسابيوس ، والخاصة بالعلاقة التي يجب أن تكون بين الكنيسة والدولة • فهو يعتبر من أوائل المدافعين المسيحيين الذين نادوا بضرورة التعاون والترابط بين الكنيسة والامبراطورية
(EUSEBE. HIST. ECCL. 4, 26, 7 - 8)

ولقد اكتشف بونر (C. BONNER) عظة ميلتون (١) ألهاها الواعظ بمناسبة أسبوع الآلام • والكلمات الأولى في هذه العظة ، توجي لنا بأنها ألقيت بعد قراءة فصل من العهد القديم ، فهي عبارة عن تفسير قصة خروج الاسرائيليين من مصر • ويقارن الواعظ عملية ذبح خروف الفصح الذي نحره الاسرائيليون ووضعوا دمه على بيوتهم ، بموت حمل الله الذي رفع خطية العالم ، فالمسيح بموته أعطى الخلاص للمسيحيين كما أن موت خروف الفصح كان علامة على نجاة الاسرائيليين من الغضب والهلاك • ومع أن العظة مركزة على عمل المسيح الفدائي والخلاص (SOTERIOLOGIE) إلا أن الواعظ يتكلم أيضا عن الصفات الأخرى في السيد • فإن فكرة لاهوت المسيح ووجوده السابق لكل وجود تسيطر على تعاليم ميلتون ، وفي توكيده الشديد على لاهوت وأولية المسيح ، لا ينسى ناسوته فهو يعترف بأنه ولد من عذراء وصار إنسانا حقيقيا. مثله كل إنسان • والاقتباس الآتي يبين لنا مفهومه المختص

(١) لقد ظن بعض العلماء أن هذه العظة لا تمت بصلة إلى ميلتون فبان نوتن (P. Nautin) لا يتفق مع بونر (Bonner) على صحة نسب هذه العظة كما أن بترسون (E. Peterson) يرجع تاريخ ناليفها إلى القرن الثالث • وتوجد بعض الاقتباسات من هذه العظة في نسخ سريانية وقبطية ويونانية (راجع Quasten p. 274, 275)

بالمسيح : « لأنه ولد كابن وسلك كحمل وذبح كشاة ودفن كإنسان وقام من الأموات كاله فهو إله وإنسان بالطبيعة .. فهو أب لأنه قد ولد وهو ابن لأنه مولود ، وهو كشاة لأنه ذبح أو تألم ودفن لأنه إنسان وقام لأنه الله . هذا هو يسوع المسيح الذي له المجد في كل العصور » . إن هذا النص يبين عقيدة ميلتون في المسيح بأنه إله وإنسان ولكن البعض اتهم كاتب هذا النص بالمودالزم (MODALISME) ^(١) ، فإن الكاتب يتكلم عن نفس الشخص في هذا الفصل كما لو كان هو نفسه لأب والابن ، ثم انشاة التي ذبحت ... ولكن الدارس لكل العظة والاعتباسات الأخرى التي اقتبسها بعض الكتاب من النصوص انتى ضاعت ، يتضح له بأن ميلتون يميز بين الأب وبين الابن ^(٢) . ولقد أعطى كاتب هذه العظة الألقاب الآتية للمسيح : الابن ، المسيح ، السيد ، الله . ثم مرة واحدة « اللوغوس » ، ثم إنسان ، الحمل ، شاة ...

ولكى يشرح إيمانه في أزلية المسيح وفي وجوده قبل كل الأشياء ، كتب يقول : هو (المسيح) بكر الله ، ولد قبل بزوغ نجمة الصبح ، فهو الذي أمر بأن يشرق النور وأن يطلع النهار ، وهو الذي فصل الظلام عن النور ، وهو الذي علق الأرض واضعا أساساتها الأولى ... وهو الذي نظم العالم ^(٣) .

وكما سبق القول إن ميلتون يرى في المسيح المخلص الذي يخلص شعبه من خطاياهم وينقذهم من عبودية الشيطان ويحررهم من سلطة الخطية وسلطانها ، كما فعل يهوه بشعب إسرائيل ، فقد أنقذهم من أرض العبودية وحررهم من سلطان فرعون ، وكما أن علامة الدم على

(١) سندرس هذه المشكلة في النصول القادمة (الأب ظهر في العهد القديم كأب وهو نفسه الذي ظهر في يسوع المسيح كابن وهو الذي ظهر كروح قدس ، لا يوجد إذن ثلاثة آتاني بل ثلاثة طرق مختلفة للظهور .

J. Liebaert, p. 63 - 65.

Quaestio 276.

(٢)

(٣)

بيوت الاسرائيليين كانت دليلا على نجاتهم ، فإن ارواحنا قد ختمت
بعلامة الدم ، علامة لخلاصنا ، والمسيح فصحننا الجديد هو الذى قدم
نفسه لكى يفدى شعبه ويخلصهم من خطاياهم^(١) .

ولقد رفض ميلتون فى عظته تعاليم الغنوسيين كما رفضها الآباء
المدافعون ، فهو يؤكد بأن المسيح صار فعلا إنسانا آخذا جسدا حقيقيا ،
فهو يقول : « فهو (المسيح) الذى صار جسدا فى « بطن » العذراء
والذى لم تكسر عظامه على الخشبة ... » (QUASTEN 276) .

ولقد أكد بشدة على ناسوت المسيح وعلى لاهوته . ومع أن كلمة
ناسوت أو طبيعة فى هذه الحقبة من الزمن ، كانت لا تحمل نفس
المعنى الذى سوف تحمله فى القرون الثالث والرابع والخامس ، إلا
أنها ترددت كثيرا فى عظة ميلتون . ولذلك فإن هذه العظة تعتبر بالنسبة
لمن يدرس تاريخ الفكر المسيحى فى غاية الأهمية ، إذ ثبتت صحة نسبها
إلى ميلتون فى نهاية القرن الثانى .

كتابات الأخرى :

بخلاف هذه العظة التى اكتشفت حديثا والتى يتكلم فيها عن
المسيح وعن الخطية الأصلية ثم الروح ، والكنيسة ، والدولة ، قد
كتب بعض الكتب الدفاعية التى ضاعت ، ثم كتب كتابين ١ ، ٢ - عن
الفصح (كتبها حوالى سنة ١٦٦ - ١٦٧) . ٣ - كتاب عن الحياة
المسيحية والأنبياء . ٤ - عن الكنيسة . ٥ - يوم الرب .
٦ - إيمان الإنسان . ٧ - الخليقة . ٨ - طاعة الإيمان .
٩ - الخواص . ١٠ - الروح والجسد . ١١ - كرم الضيافة .

- ١٢ - المعمودية • ١٣ - الحقيقة • ١٤ - الإيمان وميلاد
المسيح • ١٥ - النبوة • ١٦ - المفتاح • ١٧ - الشيطان •
١٨ - رؤية القديس يوحنا • ١٩ - الله المتجسد • ٢٠ - تجسد
المسيح • ٢١ - ستة كتب عن الناموس والأنبياء ولقد احتفظ أسابيوس
بمقدمة هذا المجلد (EUSEBE HIST. ECCL. 4, 26, 13 - 14) .

بعض المراجع التي تساعد الدارس على دراسة أفكار ميلتون
المقائنية .

- (١) انظر كتاب Quasten فهو يعطى قائمة ببعض المراجع المهمة .
2. C. Bonner, *The Homily on the Passion, by Melito Bishop of Sardes*, London, Philadelphia 1940.
3. M. Testuz. *Melton de Sardes. Homelie sur La Paue.*
4. H. Chadwick, *A Latine Epitome of Melito's Homily on the Pascha JTHS NS2 (1960) 76 - 82.*
5. P. Nautin. *Le Dossier d'Hippolyte et de Meliton dans les florileges dogmatique et les historiens modernes : Patristica. 1 Paris 1953, 53 - 56.*
- (٦) انظر كتاب Grillmeier يعطى ايضا بعض المراجع الهامة عن ميلتون من ص ٣٦ - ٤٠ .

الجزء الرابع

آباء الكنيسة
والعصر اطقه في القرن الثالث

الفصل الأول	: الخنوسية والماركيونية
الفصل الثانى	: البنويون
الفصل الثالث	: اكليمندس الاسكندرى
الفصل الرابع	: ترتليانوس
الفصل الخامس	: كبريانوس
الفصل السادس	: أوريغانوس
الفصل السابع	: هيبوليتوس
الفصل الثامن	: نوفاتيانوس
الفصل التاسع	: ريويسيوس الاسكندرى
الفصل العاشر	: الانتحالية
الفصل الحادى عشر	: بولس السمبساطى
الفصل الثانى عشر	: لوقيانوس
الفصل الثالث عشر	: آريوس
الفصل الرابع عشر	: القديس اثناسيوس
الفصل الخامس عشر	: الأسقف أبولوناريوس

الفصل الأول

الفنوسية والماركيونيك

رأينا في الصفحات السابقة جماعة المدافعين الذين حاولوا أن يدافعوا عن الايمان المسيحى بأقلامهم وحياتهم • ورأينا أيضا بعض معتقدات هؤلاء الآباء والقادة في شخص المسيح ، إذ أن كلا منهم حاول أن يشرح مفهومه وعقيدته في شخص يسوع المسيح ، لجماعة اليهود أولا ثم لجماعة الوثنيين ثانيا • وكما سبق أن قلنا إن الكنيسة منذ نشأتها كانت مهددة بخطرین عظیمین : الخطر الأول : اليهود الذين كانوا يرفضون كل عقيدة توحى من الداخل أو من الخارج بعدم وحدة الله ، ولقد ظهرت المسيحية في بادىء الأمر لليهود غير المتعمقين ، كبدعة عن وحدة الله ، إذ أنها تعطى لقب « الله » للمسيح • أما الخطر الثانى الذى كان يتهدد المسيحية وعقيدتها في شخص المسيح فهو اعتبار الوثنيين لشخص المسيح كإله ضمن الآلهة الكثيرة العديدة ، وبذلك يصبح المسيح بالنسبة لهؤلاء الوثنيين ليس الله السامى العظيم والمحـب الذى نزل إلينا وأصبح واحدا منا ، بل إلها أو واحدا من الآلهة •

ولهذا السبب هب الآباء الرسوليون يدافعون بشدة عن لاهوت وناسوت المسيح • ولقد قام بعضهم بالكتابة لليهود لشرح علاقة المسيح

بالعهد القديم وكيف أن النبوات كانت تشير وتقتبأ عن المسيح الذي جاء وحمل خطايانا وأثقالنا . والبعض الآخر قام بالكتابة للأمميين والفلاسفة مبينا لهم بأن اللوغوس الحقيقي الذي يدير هذا الكون ويسيطر عليه هو شخص المسيح يسوع الذي صار جسدا وحل بيننا ورأيناه ولمسناه . . . وعندما شنت الاضطهادات المريرة ضد المسيحيين ، قام بعض المدافعين بتقديم الالتماسات بل الاحتجاجات ضد الحكام الذين كانوا يضطهدون المسيحيين ليس لأية جريمة ارتكبوها ، غير كونهم مسيحيين .

وكانت الكنيسة في القرنين الأول والثاني تشبه سفينة صغيرة في محيط كبير هائج مضطرب ، تلطم أمواجه العالية القوية بشدة وبلا رحمة هذه السفينة الصغيرة ، ولقد كانت أشد هذه الأمواج خطرا وعنفا على حياة الكنيسة وعلى عقيدتها ، هي أمواج التعاليم الضالة التي بدأت منذ القرن الأول تهدد الكنيسة بلطمات عنيفة وقوية .

ولنداول الآن أن نسرد بعض هذه التعاليم الضالة التي تعرضت لها الكنيسة في القرنين الأولين :

١ - الغنوسية :

في الحديث عن مفهوم الرسول يوحنا لعقيدة اللوجوس ، تكلمنا عن جماعة الغنوسيين وكيف أنهم رفضوا عقيدة مجيء المسيح في جسد بشري لأن الجسد مادة وكل ما هو مادة هو شر (انظر ٢٠٣ - ٢١٠ من هذا الكتاب) ولذلك لا نريد أن نكرر ما سبق أن قلناه بخصوص جماعة الغنوسيين . ولكن الذي يضطربنا للرجوع إلى الحديث عن الغنوسيين ، هو استمرار وجودهم وقوة نفوذهم وانتشار تعاليمهم ليس فقط في العالم ، بل في الكنيسة نفسها ، وأصبحت تعاليمهم خطرا ليس على العالم بل على الكنيسة . إذ أن بعضا من أعضاء الكنيسة

المسيحية قبلوا التعاليم الغنوسية ونادوا بها . ولقد كانت التربة في الكنيسة مهياة تماما لنمو هذه العقيدة فيها ، لأن معظم أعضاء الكنيسة المسيحية الأولى سواء من اليونان أو من الرومان ، كانوا مثقفين بالثقافة اليونانية ومتأثرين بها ، وأى يونانى مثقف بالثقافة اليونانية كان لا يقبل فكرة أن الله خلق المادة ، فالمادة هى سجن للروح ، ولا اتصال لله بالمادة . والفيلسوف اليونانى سلس (CELSE) يظن أنه لا يمكن أن الله يتصل بالمادة ويأمرها كما يعتقد المسيحيون واليهود (C. CEB. 6 - 60, 61) . ، فالمادة كانت تعتبر شرا . ولهذا السبب فقد رفض كثيرون من الوثنيين الغنوسيين عقيدة أن الله السامى العظيم خلق هذا العالم وأن المسيح أخذ جسدا .

و ضد هذه التيارات الوثنية ، أعلنت الكنيسة بوضوح وصراحة إيمانها في الله الخالق ، الذى خلق كل شيء بما في ذلك المادة نفسها ، فبولس الرسول يقول : « لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون . لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به » (١ كو ٨ : ٦ ، ٥) .

وهنا يشدد الرسول بولس على حقيقة أن كل الأشياء آتية من الله ، أى أنه الخالق للكون وما فيه ، وكل ما خلق قد خلق بيسوع المسيح ابنه .

ولقد حاولت الكنيسة في العصور الأولى أن تنادى وتعلم بهذه الحقيقة^(١) بل شددت في تعاليمها ، وفي قوانين الايمان فيما بعد على

(١) إن الكنيسة الأولى والآباء الرسولين نادوا بهذا الأمر وشددوا عليه . (انظر المراجع الآتية) .

أمرين مهمين : مما أن الله خالق السموات والأرض وأن يسوع المسيح ابنه ولد من عذراء ، وصار إنسانا حقيقيا .

وإن كانت الكنيسة قد شددت على هذين الأمرين ، أى أن الله هو نفسه الذى خلق العالم المادى وأن يسوع المسيح صار فعلا جسدا ، فذلك لأن الغنوسية كانت منتشرة فى الأوساط الوثنية ، وبدخول الوثنيين فى الكنيسة عذد قبولهم للمسيحية ، حاولوا أن يحتفظوا هم أيضا بأفكارهم ومعتقداتهم الوثنية ، كما رغب اليهود الدخلاء إلى المسيحية فى الاحتفاظ بالتقاليد والعادات والنواميس اليهودية بعد تجديدهم وقبولهم المعمودية (أع ١٥ : ١) .

ولقد كان الخطر داهما وعظيما عندما أراد بعض الوثنيين الذين قبلوا المسيحية الاحتفاظ بأفكارهم وعقائدهم الوثنية فى الكنيسة . ومن المعروف أن بعض المدارس الغنوسية كانت تعلم بوجود نوعين من الألوهية : ١ - النوع الأول هو الإله السامى أو العظيم ، وهذا الإله السامى أو العظيم يرأس سلسلة كثيرة الحلقات من الآلهة أو الرياسات أو « الموالم » (EONS) . وكل هؤلاء الآلهة المتميزين الواحد عن الآخر فى الدرجة والسلطان ، قد انبثقوا سواء من هذا الإله الأعظم أو خرجوا الواحد من الآخر . وكل هذه الكائنات الالهية سواء كانت منفردة منعزلة ، الواحد عن الآخر أو كانت أزواجا أزواجا فانها كونت كلها معا ما يدعى (LE PLEROME CELEST) أى المجموعة الالهية أو الملاء الالهى ، أو الطقم الالهى . ولقد حدث خلل فى هذا الطقم الالهى لسقوط أحد هذه الكائنات الالهية ، ولكن هذا الكائن الالهى الذى سقط

Clém, 19, 2 ; 20. 11 ; 59. 9 ; 60 - 1. ; Hormas, Mand 7. 1 =
Did 10 ; 3 ; Justin 1 Apol. 16. 3, 10 ; Act. Justin 2.56 Irenneé Ad
V. Haer 1.10. 1 ; 111, 1, 24. Test. De praesé 13.2 ; 365.

مسيرد إلى رتبته وطهارته الأصلية عندما تتم عملية الفداء ، وضد هذه المجموعة الالهية السماوية : ٢ - يوجد نوع ثان من الالهية وهو يشبه النوع الأول من ناحية النظام والتكوين ولكن يختلف عنه من ناحية النوع لأن الذي يرأس هذه المجموعة هو إله شرير ، الإله الذي خلق المادة ، نصف الإله ، وقد ساعد هذا الإله وتعاون معه الآلهة الأشرار والمخربون . والصراع بين إله الشر وأعوانه وبين إله الخير وأعوانه ، صراع مستقر وعنيف^(١) .

١ - بازيليدوس :

ومن الغنوسيين المعروفين في القرن الثاني نذكر الغنوسى السورى بازيليدوس (BASILIDE) الذى بدأ تعليمه فى حوالى سنة ١٣٠ ب م وقضى معظم حياته تقريبا فى مصر (بالاسكندرية) ، ونظريته عن الله وعن المادة طويلة ومعقدة ولكن الذى يهمنا من نظريته هو الجزء الخاص بالمسيح فهو يعتبر المسيح كواحد من المجموعات الالهية الكونية وهو من الأرواح السامية^(٢) .

٢ - فالنتينوس :

ويوجد شخص آخر يعتبر من ألمع الشخصيات الغنوسية فى عصره وهو فالنتينوس (VALENTIN) لا نكاد نعرف شيئا عن حياته ولا عن شخصيته ، وكل ما يقوله أبيفانوس عنه ، هو أنه يحتمل أنه كان مصرية ، درس الفلسفة فى الاسكندرية على يد بازيليدوس السورى . ولقد جاء إلى روما فى أيام أنطونيوس بيوس (حوالى سنة ١٣٨ - ١٦١) وقام بالتدريس فى روما ثم قبرص . ويدعى فالنتينوس بأنه أستلم تعاليمه من إثنين من تلاميذ الرسول بولس^(٣) ونظريته طويلة جدا ومعقدة .

(١) انظر كتاب Lods ص ٥٣ - ٥٥ .

(٢) انظر كتاب بونيفاس Bonifas ص ٧٨ - ١٠٢ فهو يذكر عدة نظريات غنوسية (الطبعة الفرنسية) .

(٣) انظر كتاب Haag ص ١٢٠ - ١٢٤ .

ويعوزنا الوقت لو دخلنا في تفاصيلها الدقيقة ، فهو يؤمن بوجود إله سامي جدا وبوجود آلهة كثيرين آخرين • كما أنه يؤمن أيضا بوجود نصف الاله أو إله اليهود الذي لا يعرف الاله العظيم •

ولقد علم فالنتينوس بأن المسيح السماوي اتحد بالمسيا النفسى الذى وعد به نصف الاله أو إله اليهود وعندئذ جاء المسيح السماوي في هيئة إنسان بشرى وعلم الناس الروحيين وأعلن لهم عن الإله الحقيقى وعن كيفية الاتحاد به •

ولقد علم فالنتينوس والفالنتينيون بعده أن المسيح السماوي لم يتخذ جسدا حقيقيا بشريا ، بل هيئة إنسان • كما أنهم علموا أيضا بأن المعرفة (النفوس) هى الأساس فى الحصول على الخلاص ، أى الخلاص من المادة وسيطرتها وقوتها • فالمسيح هو الذى يعلن للإنسان ما هى المعرفة التى عن طريقها يمكنه أن يصل إلى مصدره الالهى الذى سقط منه •

وبما أننا فى معرض الحديث عن الهرطقات التى ظهرت فى بداية القرن الثانى والتى هددت الكنيسة وعقيدها فى شخص المسيح ، يجدر بنا أن نذكر أيضا شخصا آخر لا يقل خطورة عن بازليدوس وفالنتينوس وهو :

٣ - ماركيون : MARCION

ولد ماركيون فى حوالى سنة ١٢٠ فى مدينة سينوب التى تقع على شاطئ البحر الأسود • والذى يميز هذا الشاب عن بعض الهرطقة الذين تكلمنا عنهم سابقا والذى يميزه حتى عن بعض المدافعين أنه نشأ وتربى فى جو مسيحى تقى • فقد كان أبوه أسقفا بمدينة سينوب • وبالرغم من أنه نشأ فى هذه البيئة المسيحية المدققة ، فقد انحرف من

الناحية العقائدية وعلم تعاليم لا تتفق والكتب المقدسة ،
ولد ماركيون وتلقى تعليمه في مدينة سينوب وبقى فيها إلى أن
أصبح شابا يافعا ، ولقد وصفه الذين تكلموا عن حياته التي لا نعرف
عنها إلا القليل ، بأن ماركيون كان شابا ذكيا ، بل آية في الذكاء ، ولم
يدفع به هذا الذكاء إلى الكبرياء والابتعاد عن حياة التقشف بل كان
رجل صلاة وتقشف وتأمل وتقوى^(١) ، وكانت عائلته تحتل مركزا اجتماعيا
واقصاديا مرموقا . وماركيون نفسه كان تاجرا ناجحا جدا وقد استطاع
بذكائه واجتهاده وأمانته تكوين ثروة طائلة من عمله . فقد كان يملك
عددا كبيرا من المراكب التي كان يؤجرها لنقل السلع .

ويبدو أن أسقف سينوب (أبا ماركيون) وماركيون لم يكونا على
وفاق . بل إن الخلاف كان واسعا وخطيرا بين الأب وابنه لدرجة أن
الأسقف حرم ابنه من الاشتراك في كنيسة . وعلى أثر هذا النزاع
العائدي العائلي ترك ماركيون بيت أبيه متجها إلى روما فوصل إليها
في حوالي سنة ١٤٠ في أيام حكم أنطونيوس بيوس (ANTONIN) .
LE PIEUX) . وحال وصوله إلى هذه المدينة انضم إلى كنيسة فيها ،
بل وأظهر غيرة وحماسة في التعليم والعمل ، ولكن مجلس هذه الكنيسة
المحلية لاحظ عدم أرثوذكسية تعاليمه وانحراف عقيدته . فيما يختص
بالكرستولوجي (التعاليم الخاصة بشخص المسيح) وفي تعاليم أخرى .
ولذلك فقد طلبت الكنيسة في روما من الشاب المتحمس للتعليم والتبشير
بأن يقدم إقرار إيمان عن ما يعتقد وما يؤمن به . وكانت النتيجة أن
ماركيون قد قطع (حرم) من عضوية هذه الكنيسة في يوليو ١٤٤ .
ويظن أن ماركيون كان يتردد على مدرسة سردون (CERDON)
الغنوسية في روما . فقد كانت التعاليم الغنوسية منتشرة ومعروفة ليس

(١) انظر قائمة الكتب التي سنذكرها في آخر هذا الفصل عن ماركيون
وتعاليمه وعن بعض المعلمين المضللين الآخرين . . .

فقط في آسيا ولكن في روما أيضا • وقبل أن نعرض معتقدات ماركيون نريد أن نلفت نظر القارئ الى نقطة هامة ، وهي أن كثيرين من اللاهوتيين ومن مؤرخي تاريخ العقائد المسيحية ، يعتقدون بأن ماركيون كان غنوسيا ، غير أننا نشك كثيرا في غنوسيته • فمع أن تعاليمه تبتعد كثيرا عن تعاليم الكتاب المقدس ، إلا أنها تختلف أيضا عن تعاليم الغنوسيين (انظر كتاب لودز: LODS ص ٥٥ - ٥٨) فكما يقول (LODS) « أنه كان في بداية الأمر مسيحيا بل مفسرا للكتاب المقدس » •

والذي شغل بال ماركيون ليس مشكلة الخير والشر في العالم ، وأصل الشر فيه ، كما فعل الغنوسيون الذين تخيلوا وتصوروا عوالم كثيرة متعددة وآلهة متنوعين ، إله الخير وإله الشر ... لكي يجدوا حلا لمشكلة وجود الشر في العالم ، بل الذي شغل باله هو الفرق القائم بين إله اسرائيل وإله يسوع المسيح • وسنرجع الى هذه النقطة فيما بعد •

بعد أن أصدرت الكنيسة حرمانها للشباب ماركيون ، لم يقف هذا الأخير مكتوف اليدين ازاء هذا القرار ، بل استعمل معرفته الكتابية ودراسته وحماسته • وبما أنه كان غنيا ماديا فقد استخدم أيضا ماله في نشر تعاليمه • وكان يختلف عن الغنوسيين في العقيدة بخصوص الازدواجية (إله خير وإله شر) ، وكان يختلف عنهم أيضا في طريقة نشر تعاليمه وتأسيس طائفته ، فإن المعلمين الضالين السابقين (أمثال بازيليدوس وفالنتينوس وكاربوكراتس وساتيرينوس وآخرين) لم يؤسسوا إلا مدارس لكي تعلم معتقداتهم وتعاليمهم • أما ماركيون ، فبعد انفصاله عن كنيسة روما ، أسس كنيسة الخاصة ووضع لها دستورا هرميا يبدأ بالأساقفة كرأس ، ثم يليهم في هذا النظام الهرمي ، الكهنة ويأتي في نهاية الهرم الشمامسة •

ولقد اتبع الماركيون في طريقة عبادتهم ليتيرجية^(١) تشبه إلى حد كبير الليتيرجية الكاثوليكية ولذلك فقد انضم إليهم عدد كبير جدا أكثر من أى مذهب غنوسى آخر . فالقديس يوستينوس يقول لنا إنه بعد مرور عشر سنوات على حرمان ماركيون انتشرت كنيسته فى أنحاء العالم واستمرت حتى القرن الخامس الذى شاهد عددا لا يئس به من الكنائس الماركيونية فى الشرق وخاصة فى سوريا ، بل ان بعضا من هذه الكنائس ظل قائما الى بداية العصور الوسطى^(٢) .

فما هى اذن تعاليم ماركيون التى استطاعت أن توقع الكثيرين فى شركها ؟

لقد خلت تعاليم ماركيون من الازدواجية التى تكلم عنها فلاسفة اليونان والهرطقة ، أى وجود الإله العظيم السامى والذى منه خرجت سلسلة طويلة من الآلهة أو العوالم ، ثم الإله الشرير الذى خرجت منه أيضا سلسلة أخرى من الآلهة والعوالم الشريرة ...

وهاتان المجموعتان من الآلهة تحارب الواحدة الأخرى . ومع أن تعاليم ماركيون خلت من هذه الازدواجية (إله صالح ضد إله شرير) ، إلا أنها نادت بنوع آخر من الازدواجية ، فلقد علم ماركيون بوجود إلهين : ١ - الإله العظيم السامى أو الإله المحب ، وهذا الإله غير معروف من العالم ومخفى عن عينيه ، لأنه لا صلة له بالعالم وليس هو الخالق

(١) الليتيرجية : هى نظام العبادة فى الكنائس الطقسية الكاثوليكية والارثوذكسية مثل القداس والالحان ، والمزامير ، وقراءة فصول معينة . والكنائس المصلحة تستعمل نفس الاصطلاح لتشير به إلى الخدمة فى الكنيسة من صلاة وترنيم وقراءة فصول كتابية ووعظ ...
(٢) انظر كتاب Quasten ص ٢٠٥ - ٢١٠ .

(م ٣١ - تاريخ الفكر المسيحى)

له . ٢ - أما الإله الثاني . فليس مساوياً لهذا الإله بل أقل منه درجة ، ولا يعتبر شريراً كما نرى في نظام الغنوسية الازدواجية بل هو إله عادل ولكنه سريع الغضب ومنتقم ، يحارب ويسفك دماء أعدائه بلا رحمة ولا شفقة . هذا الإله المنتقم هو الذي قام بعملية الخليقة ، وبعد أن خلق هذا العالم اختار منه شعباً لكي يكون شاهداً له ، وهو الشعب اليهودي الذي أعطى له الناموس . ولقد عاقب بصرامة وشدة الذين تعدوا على هذا الناموس وترك بقية الشعوب الأخرى غريسة للمادة والوثنية . هذا الإله هو إله اليهود والذي لا يعرف ، بل يجهل تماماً ، وجود الإله السامي العظيم المحب .

وهنا يختلف ماركيون عن الغنوسيين الذين يؤمنون بوجود قوة ضالحة (إله الخير) وقوة شريرة (إله الشر) ، فإن ماركيون يعتقد بوجود الإلهين : إله اليهود العادل والمنتقم الجبار ثم الإله المحب السامي العظيم . ولقد ظل هذا الأخير مخفياً وغير معروف من الناس إلى السنة الخامسة عشرة من حكم الإمبراطور طيباريوس عندما ظهر المسيح في بلاد اليهودية في هيئة بشرية ، وبدأ يعلن للبشر السر العظيم عن الإله المحب الذي يجهله البشر والإله اليهودي . إذ أنه من المستحيل على الناموس الذي أعطاه الإله اليهودي أو الطبيعة أن يعلن الإله السامي المحب ، لأن معرفته تفوق إدراكهما ، ولأنه ليس هو الصانع لهما . فالمسيح وحده هو الجدير بأن يعلن هذا الإله المحب . ولقد تمت هذه العملية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - في السنة الخامسة عشرة من حكم تايباريوس وفي أثناء حكم بيلاطس البنطلي . ويقول كاستن (QUASTEN) : إن ماركيون يعتقد بأن المسيح ليس هو المسيا الذي تنبأ عنه العهد القديم ، وليس هو ذاك الذي ولد من العذراء مريم ، فإن المسيح لم يعرف في حقيقة الأمر ، ميلاداً ، ولا نمواً ، ولا حتى المظهر لهذه الأحداث . إن المسيح الحقيقي هو ذاك الذي ظهر بطريقة فجائية

في عهد -ليباريوس الامبراطور ، ومن هذه اللحظة فقد أصبح المسيح في هيئة بشرية واحتفظ بهذه الهيئة البشرية بحسب الظاهر الى موته على الصليب .

أما بونيفاس فيظن بأن ماركيون كان يعتقد بأن الله السامي المحب والذي يفوق في الدرجة إله اليهود ، قد ظهر هو نفسه في يسوع المسيا الذي أرسله إله اليهود فنزل الإله السامي المحب بنفسه على يسوع في وقت العمد ، وهذه العملية يمكن أن تسمى عملية التجسد ، وهي تختلف عن التجسد الذي فهمته الكنيسة في النقاط الآتية :

(١) إن ماركيون فهم أن عملية التجسد تمت وقت العمد وليس وقت الحمل .

(٢) وهذا التجسد ما هو الا مظهر ، لأن ماركيون لا يؤمن باتصال ما هو الله بما هو مادي (وهنا يظهر أثر الغنوسيين) . إلا أن ماركيون لم يكن غنوسيا على الأرجح .

(٣) يعتقد ماركيون أيضا بأن الذي تجسد في يسوع المسيح هو الله نفسه وليس ابنه الكلمة الأبدية .

واتد كان الهدف من هذا التجسد هو أن يحرر البشر من ناموس الاله الأدنى مرتبة ، إله اليهود . ولكي يقودهم الى الخلاص . ولهذا السبب فقد غضب إله اليهود وأثار اليهود ضد يسوع فقبضوا عليه ، ثم حكموا عليه بالموت ، وبعد الموت ذهب المسيح مباشرة الى الهادس لإعلان الانجيل للوثنيين والى أسرى الاله اليهودي ، وبعد أن قام بهذه المهمة التبشيرية صعد مباشرة الى السماء دون قيامة على الأرض . وفي

• اليوم الأخير سيحكم على إله اليهود وسيطره في الهادس (١) •

ومن الواضح أن ماركيون يعلم بوجود الهين ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك ، الإله الطيب المحب السامي العظيم ، والذي لا علاقة له بالعالم أو بالمادة ، ثم الإله العادل سريع الغضب والانتقام وهو أقل درجة من الإله المحب • والذي أعلن لنا وجود الإله المحب هو المسيح • فالإله المحب أظهر نفسه في يسوع المسيح • ولقد فصل ماركيون فصلا كاملا بين الإله السامي المحب وبين إله اليهود الأدنى ، فإله اليهود هو الذي خلق العالم وأعطى الناموس • ولذلك فقد رفض ماركيون رفضا كلياً وجزئياً ليس الناموس فقط بل كل العهد القديم لأنه اعتبره كتاب ذاك الإله الذي يحب الانتقام وليس كتاب الإله المحب السامي • فالعهد القديم كله بلا قيمة بالنسبة له هذا هو موقفه بالنسبة للعهد القديم •

أما موقفه من العهد الجديد فلم يتمسك الا بعشر رسائل من رسائل بولس الرسول ، وحذف كل الكتابات الأخرى الموجودة في العهد الجديد الا إنجيل لوقا بعد أن حذف منه أيضا نصوصا كثيرة جدا • وحتى الرسائل البولسية التي احتفظ بها أو اعترف بصحتها لم تنتج من الحذف • فقد حذف من هذه الرسائل نصوصا كثيرة ، كما أنه حذف أيضا من إنجيل لوقا كل النصوص التي تشير الى الآب المحب كخالق أو أن الإله الخالق هو أبو ربنا يسوع المسيح ، لأنه يؤمن بأن آب ربنا يسوع المسيح ليس هو الله الخالق ، أي إله اليهود ، بل هو الآب المحب العظيم الذي لا علاقة له بإله اليهود • ولذلك فقد حذف كل النبوات التي اقتبسها الرسول بولس من العهد القديم وكل النصوص التي تشير إلى بنووية المسيح لله الخالق أو صانع السماوات والأرض •

(١) انظر كتاب بونيفاس (Bonifas) ص ٩٩ - ١٠٢ (الطبعة الفرنسية)

ويعتقد ماركيون بأن اليهود المسيحيين زوروا الاناجيل وأدخلوا عليها عناصر كثيرة من معتقداتهم الشخصية . ولهذا الغرض خلقد دعا المسيح الرسول بولس لكي يعطى الانجيل الصحيح ويشرح الايمان الحقيقي ، لأنه هو الشخص الوحيد الذي فهم الحقيقة ونادى بها . ولكن عنثات بولس ظلت هي أيضا غامضة وغير مفهومة من الشعب إلى أن جاء ماركيون لشرحها وتوضيحها . ولقد منحته كنيسة في روما الحق في وضع قائمة بالكتب القانونية (١) ولقد وضع على رأس هذه القائمة سفر غلاطية الذي اعتبره أساسا للايمان ، إذ أن الرسول يرفض فيه انحرافات بطرس وميوله اليهودية ورجوعه إلى الطقوس والناموس . فالتلاميذ كانوا يهودا وتأثروا بالأفكار والمعتقدات اليهودية التي لا قيمة لها .

ولهذا السبب فقد علم تلاميذه بأن تعاليمه الشخصية التي يلقيها عليهم جديرة بالثقة أكثر من تعاليم الرسل أنفسهم الذين تأثروا باليهودية بل ظلوا في قرارة نفوسهم يهودا متمسكين بالعقيدة اليهودية . ولقد رأى المعلم الضال في لوقا (٥ : ٣٦) تفسيرا لمذهبه ، وهو أن الانجيل خبر جديد ، وأما العهد القديم فهو بال لا قيمة له ، ويجب طرحه خارجا وعدم التمسك أو العمل به ، كذلك فقد رأى في اوقا (٦ : ٤٣) أن الشجرة الجيدة التي تعطى أثمارا جيدة هي أبو ربنا يسوع المسيح ، أي الآب المحب الطيب الصالح ، أما الشجرة التي تعطى أثمارا رديئة فهي إله موسى . ولذلك فقد بالغ كثيرا في استعماله لرسالة بولس لأهل غلاطية ، لدرجة أنه تصور كما لو كان إله موسى أي الاله العادل ، إله الناموس ، هو ضد المسيح والنعمة .

ولذلك فقد قام ابن أسقف سينوب بحرب شعواء ضد الناموس

(١) انظر كتاب Harnack, *Precis de L'Histoire* ص ٢٧ — ٣٠

والعهد القديم وضد إله العهد القديم ومن هنا جاءت الخطورة ، لأن ماركيون علم بوجود الهين : الاله المحب والاله العادل ، ولهذا السبب انقسمت الكنيسة في روما وتبع ماركيون عدد لا بأس به . وعندما انفصل ماركيون وأتباعه عن كنيسة روما ، علم هو نفسه بأنه لا خلاص خارج عن كنيسته وعن تعاليمه (انظر كتاب كاستن ص ٣٠٧) . ويعتقد البعض بأن ماركيون قد رجع عن تعاليمه الضالة قبل موته ولكنه توفي قبل أن ينفذ هذا القرار بطريقة عملية^(١) . ولكننا لا نعتقد أن ماركيون قد رجع عن تعاليمه الضالة لعدم وجود المراجع التي تتكلم عن ذلك من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النجاح الذي لاقاه هذا المذهب في القرن الثاني لا يوحى بهذه التوبة .

مما سبق أن قلناه عن ماركيون وعقيدته وإيمانه في شخص المسيح، يتضح الخطر الكبير الذي كان يهدد الكنيسة لا من الخارج فقط بل من الداخل أيضا . فان ماركيون كان في بادئ الأمر عضوا في الكنيسة وابن أسقف ، ولكنه انحرف بعيدا عن الايمان الصحيح وأسس كنيسة تعتقد بمعتقداته وتضل بضلاله .

ولهذا السبب فقد قام المدافعون المعاصرون له بالدفاع عن الايمان القويم مفسرين الحق الالهي بأمانة واستقامة . ويعتقد البعض أن القديس بوليكرابوس تلميذ الرسول يوحنا تقابل مع ماركيون ، بل يعتقد البعض الآخر بأن زيارة بوليكرابوس لروما سنة ١٥٥ كانت سببا في رجوع الكثيرين من وراء ماركيون^(٢) .

ويرجع الفضل في معرفتنا لبعض عقائد ماركيون الى المدافعين الذين سجاوا لنا في دفاعهم عقيدته ، أمثال القديس إيريناوس

(١) انظر كتاب د. أسد رستم الجزء الأول ص ٦٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

وترتليانوس . . . لأن كل ما كتبه ماركيون نفسه قد ضاع ولم يبق لنا شيء منه . وكل ما نعرفه عن تعاليمه ، هو ما دونه لنا المدافعون في دفاعهم عن العقيدة الصحيحة . فلقد ضاع الكتاب الوحيد الذي كتبه ماركيون والذي أشار إليه بعض المدافعين في دفاعهم ويدعى المتناقضات (LES ANTITHÈSES) كما ضاع أيضا الخطاب الذي كتب فيه إقرار إيمانه الذي طلبته منه كنيسة روما . ولكن بالرغم من أن كل كتابات ماركيون قد ضاعت ولم يبق منها شيء ، إلا أن المدافعين قد اقتبسوا اقتباسات عديدة من كتاباته سمحت لنا بأن نعرف عقيدة ماركيون ، ومن هذه الاقتباسات استطعنا أن نعرف أن الكتاب المقدس الذي اعترف به ماركيون كان لا يحتوى إلا على اثني عشر سفرا : ١٠ رسائل من رسائل بولس الرسول وإنجيل لوقا ثم كتابه الذي يدعى المتناقضات (LES ANTITHÈSES)

وأمام هذه الهرطقة لم تقف الكنيسة صامدة بل هبت مدافعة عن الإيمان الصحيح الذي تسلمته من الرسل والذي أرادت أن تسلمه أيضا للأجيال القادمة صحيحا نقيا لا عيب ولا غش فيه . ولقد أصدرت كنيسة روما حكما ضد ماركيون وكنيسته . وهنا نرى لأول مرة - تقريبا - في تاريخ الكنيسة المسيحية هذا النوع من الانشقاق في الكنيسة الذي أدى إلى انفصال بعض الأعضاء عنها بل إلى خروجهم عليها ومحاربتهم لها ولعقائدها . نعم لم تكن هذه المرة هي الأولى التي نرى فيها انشقاقا في الكنيسة ، فحتى في أيام الرسل كان الانشقاق والنزاع يسهمان جو الكنيسة في كورنثوس (١ كو ٣ : ١ - ٢٣) ، ولكن للمرة الأولى تقريبا نرى شخصا يتزعم جماعة من الكنيسة ثم يثور على تعاليم الكنيسة وعقائدها . ولذلك يمكننا أن نسمى ماركيون لوثر الزائف .

واقد أصدرت الكنيسة حكما ضد هذا المعلم المضل ، لأنها رأت

الخطر الداهم في تعاليمه . فإن كان العلماء قد انقسموا حاليا فيما إذا كان يمكن وصف ماركيون بالغنوسية أم لا ، إلا أنهم اتفقوا جميعا على أن تعاليمه كانت تبتعد كل البعد عن روح الكتاب المقدس . وكيف لا تبتعد تعاليم ماركيون عن الكتاب المقدس ، وهو قد حاول أن يمحو الكتاب المقدس خصوصا العهد القديم ومعظم أسفار العهد الجديد ؟ كما أن تعاليم ماركيون التي كانت تختلف بعض الشيء عن تعاليم الغنوسيين ، اشتملت أيضا على كثير من المعتقدات والأفكار الغنوسية التي كانت تشكل خطرا عظيما على الكنيسة . وكيف لا تشكل تعاليم ماركيون خطرا على العقيدة المسيحية وهو يؤمن بوجود إلهين لا يعرف أديانها أسماهما ١١ ؟

على أن ماركيون قد قدم خدمة جليلة للكنيسة ، فبخروجه عليها وعلى تعاليمها خصوصا عندما رفض قبول العهد القديم ، وعدم استعماله لأسفار العهد الجديد التي كانت منتشرة في الكنائس ولكنها لم تكن محددة قد فتح عينى الكنيسة على أمر خطير عظيم ، وهو جمع وتحديد أسفار العهد الجديد التي كانت متداولة ومقروءة في الكنائس ، ولكنها لم تكن قد جمعت بعد في كتاب واحد بالشكل الذى هى عليه الآن . كما أنه فتح عينى الكنيسة والمدافعين أيضا على أن الهجوم ضد الكنيسة وضد شخصية المسيح لا يأتى من الخارج فقط أى من اليهود ومن الوثنيين ، بل أن التعاليم الضالة يمكنها أن تنمو وتكبر في الكنيسة وتجدها تربة صالحة .

إن انشقاق كنيسة ماركيون وخروجها على كنيسة روما لم يكونا إلا بداية لسلسلة طويلة من الانشقاقات والانقسامات التى ستمزق على مر العصور ، بلا رحمة ولا شفقة ، جسد المسيح ، الكنيسة . ولكن شكرا لله لأن الواعد كان أميناً لقوله : « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (متى ١٦ : ١٨) .

بعض المراجع الهامة لدراسة ماركيون وتعاليمه :

توجد في هذا الكتاب قائمة بعدة كتب عن نفس الموضوع .

1. Quasten. Initiation aux Peres de l'Eglise pp. 305 - 310.
2. V. Ermoni, Marcion dans la litterature Amenleme Rocher. 1 (1896) 461.
3. A. Harnack, Marcion. Das Evangelium von frenden Gott (Tu 45) Leipzig 1921.
4. E. Bosshardt, Essai sur l'originalité et la probité de Tertullien dans son traité contre Marcion. Lausanne 1921.
5. A. D'Ales Marcion. La Réforme Chretienne au 11 e siecle RSR 13 (1922) 137 - 168.
6. Couchond, Jo Marcion's Gospel One of the Synoptics ? HY (1936) 263 - 377.
7. A Loisy, Marcion's Gospel : A Reply : HY (1936) 378 - 387.
8. W. F. Howard, The Anti-Marcionite Prologue to the Gospels: Exp. T 47 (1936) 534 - 538).
9. J. Knox, Marcion and the New Testament, Chicago 1942.
10. F. C. Backman, Marcion and His Influence. London 1948.
11. J. Liebaert. Histoire des Dogmes p. 45 - 47.
12. R. S. Willson, Marcion. A Study of a second-Century Heretic. London 1933. G. Bardy, Marcion. D. B. Supp. v., 1957 Col. 882 - 77.
13. M. Lods. op. cit. 55 - 58.
14. Justin. 1 Apol. 61. 3, 10. Irene Adv. Haer 1, 3.6, 10, 1., 3, - 16.5, 20.1.
15. Irénée Adv. Haer. 4, 9.1, 2, 3, 25.3.
- 16 — راجع كتاب د. أسد رستم الجزء الأول من صفحة ٦٢ — ٦٥ .
17. A. Harnack. Precis de L'histoire. Traduit par Eugene Choisy. Paris Librairie Fishbaeher. 33 Rue de Sein 1893. p. 27 - 31.

الفصل الثاني

البنويوت

(LES ADOPTIANISTES)

البنويوت هم الذين يعلمون بأن يسوع لم يكن ابن الله بالطبيعة بل بالتبني . فمع أنهم ينادون بالميلاد العذراوي إلا أنهم رفضوا أزلية المسيح كما أنهم اعتقدوا بأن يسوع كان وظل إنسانا عاديا ، مع استثناء حادثة الميلاد العذراوي ، إلى أن جاء يوم العماد حيث نزل عليه الروح القدس ، أي المسيح نزل على الإنسان يسوع ووشحه بقوة علوية لعمل المعجزات .

ومن الذين علموا بهذا التعليم ونادوا به رجل شرقي يدعى ثيودوتئوس (THEODOTE) . جاء إلى روما في نهاية القرن الثاني (١٨٩ - ١٩٩) في أيام الأسقف فيكتور أسقف روما . وكل ما نعرفه عن ثيودوتئوس الدباغ الشيخ البيزنطي ، أنه كان شرقيا ومثقفا ثقافة عظيمة وجيد . اللغة اليونانية . والمصادر التاريخية التي تتكلم عنه هي

EUSEBE. HEV, 28 ثم HIPPOLYTE, PHILOS. . 7.35 - 36)
ويذكره أيضا (EPIPHANE. PAN. 59) ولا ننسى (THEO DORET
HAER FABUL 2.5 - 6)

ومن الواضح من الناحية التاريخية أن ثيودوتئوس جاء إلى روما بعد ماركيون (١٤٠ ب م) ولذلك فقد وجد تربة مهيأة لانقضاء بذور الهرطقات في كنيسة روما . إننا لا نجهل أن الفرق كبير وعظيم بين تعاليم ماركيون الرافضة للعهد القديم ولكل حركة تيودية ، وبين تعاليم ثيودوتئوس الذي حاول التمسك بالعهدين القديم والجديد ، والرجوع إليهما لاثبات عقيدته منهما : ثم تمسكه باليهودية .

فقد رجع كثيرا إلى كل من العهدين ، وبنوع خاص إلى مزمور (٧ : ٢) لكي يثبت عقيدته « ... قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك » ثم قول الرسول بولس « ... لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم ... » (في ٢ : ٥ - ١١ ، لو ١ : ٣٥ ، ٣ : ٢١ ، ٢٢ ، تث ١٨ : ١٥ ، ار ١٧ : ٩ ، اش ٥٣ : ٢ ، متى ١٢ : ٣١ ، يو ٨ : ٤٠ ، أع ٢ : ٢٣ ، ١ تيمو ٢ : ٥) (١) .

فما هو اعتقاد ثيودوتئوس في شخص المسيح ؟

لقد كان الشيخ الشرقي يعلم في روما بأن يسوع لم يكن بالطبيعة ابنا لله بل إن الله قد تبناه ، وهذا يعني أن يسوع ابن مريم الذي ولد بطريقة معجزية في الناصرة ، بدأ وجوده كما يبدأ أي إنسان آخر وجوده من لحظة الميلاد . إلا أن الإنسان يسوع يختلف عن كل إنسان آخر بحادثين مهمين . الحادث الأول هو : الميلاد العذراوي ، أما الحادث الثاني : هو لحظة عماد يسوع . فثيودوتئوس يعتقد بأنه في تلك اللحظة ، وفي تلك اللحظة فقط ، أصبح يسوع ابن الله بالتبني . فعندما « نزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلا أنت ابني الجيب بك سررت » (لو ٣ : ٢٢) أصبح يسوع من هذه

(١) انظر كتاب A. Harnack. Précis de L'histoire من ١١١ - ١١٦ .

اللحظة ابنا لله بالتبنى ، وليس بالطبيعة • ولهذا فقد سمي ثيودوتىوس وأتباعه بالبنويين (LES ADOPTIANISTES) • فعند العماد أعلن الله بطريقة رسمية وعلنية أن هذا الانسان يسوع هو ابنه ، ولقد تبناه من هذه اللحظة لكى يكون ابنا له • وفى هذه اللحظة أيضا ، أى فى لحظة التبنى نزل الروح القدس على يسوع أو نزل المسيح على يسوع فأصبح يسوع المسيح ابن الله بالتبنى •

ومن هذه اللحظة أيضا أدرك يسوع الناصرى بأنه ابن الله بالتبنى • ولقد قام يسوع بعمل المعجزات لأنه امتلا بقوة علوية أهله لأجراء هذه المعجزات • وكان يسوع مثاليا فى حياته وتصرفاته مطيعا لله فى كل شئ ، إلا أنه لم يكن ابنا لله بالطبيعة ، أى يشارك الله فى طبيعته الالهية ، بل ابنا بالتبنى • ويعتقد ثيودوتىوس بأن الروح القدس حل على يسوع فى ميلاده بطريقة خفية ولكن حادثة العماد كانت عبارة عن الاعلان الظاهرى الرسمى الذى شهد به الله بأن يسوع الناصرى هو ابنه • فبحلول الروح القدس بطريقة خفية وقت ميلاده وبحلول الروح القدس بطريقة علنية (أو نزول المسيح) عليه وشهادة الآب له ، أصبح يسوع ابن الله بالتبنى • لأن كاتب الزامير يقول : «... أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » • وبهذه الطريقة — أى بالتبنى — رفع الله يسوع الى أعلى الدرجات كما يقول كاتب الرسالة إلى الفيلبيين : «... لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم... » •

ولقد تمت عملية الرفعة هذه عندما أقام الله من الأموات بقوة وعظمته ابنه الذى تبناه ، ذبالقيامة توج الله يسوع ابنه بكل مجد وعظمة ومنحه اسما يفوق كل الأسماء وسلطانا لا يشعده سلطان • على أن كل ما وصل إليه يسوع من سلطان ومجد وعظمة وصل إليه بفضل ذاك الذى منحه هذا السلطان وهذا المجد وهذه العظمة •

فلقد اعتقد ثيودوتئوس بأن يسوع بدأ كإنسان ، ثم أن الله هو الذى تبناه ورفعته الى هذه الدرجة مانحا له اسما فوق كل اسم . وهنا نلاحظ في هذا التعليم نوعا من الغنوسية ، فكما سبق القول فان الغنوسيين علموا بأن المسيح السماوى جاء في شبه انسان . فان كان ثيودوتئوس قد علم بأن يسوع كان فعلا إنسانا وإنسانا حقيقيا ، لكنه علم أيضا بأن الروح القدس أو المسيح نزل عليه عند العماد . ففى تعليمه نجد مزيجا من الدوسيتية^(١) والإبيونية . ولقد اتهمه أبيفانوس بأنه حسوتى^(٢) ، ومع أن الاتهام فيه شيء من المبالغة إلا أنه لا يخلو من الحقيقة .

ومع أن أسقف روما فيكتور قد حكم بضلالة هذا التعليم وادانة معلمه ، فإن هذا الحكم لم يستطع أن يوقف سريان التيار وانتشاره في روما وخارجها . بل ان تلاميذه وأتباعه قد أخذوا على عاتقهم مواصلة الجهاد في نشر تعليمه ومذهبه ومن تلاميذه يذكر لنا التاريخ ثيودوتئوس آخر ، ثم ناتاليوس الذى أصبح أسقفا لكنيسة في روما في سنة ٢٠٠ ب م (EUS. HEV, 28. 12) ثم أرتيمون الذى احتفظ أوسابيوس بخطابه (EUS. HEV. 28)

ومع أن ثيودوتئوس بدأ المناداة بمذهب البنوية في نهاية القرن الثانى ، فإن تعاليمه هذه لم تكن إلا ثمرة للبذور التى ألقيت في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثانى . ولكى يكون هذا الأمر واضحا في أذهاننا نقول إنه منذ أن سأل يسوع في قيصرية فيلبس قائلا : « من يقول الإنسان إبنى أنا ابن الإنسان ؟ » أصبح هذا السؤال يتردد على أفواه

(١) الدوسيتية كلمة يونانية تعنى يظهر أو يتراءى ، وتعنى هنا بأن المسيح ظهر في هيئة جسد وليس في جسد حقيقى يلمس ويحس ...
(٢) أنظر كتاب A. Grillmeier ص ١١٥ .

الكثيرين على مر العصور وفي كل مكان • بل إن شخصية المسيح نفسه أصبحت حجر عثرة لسقوط وقيام الكثيرين ، كما تتبأ بذلك سيمعان الشيخ : « ... إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامة تقارم » (لو ٢ : ٣٤) فمنذ أن ظهر المسيح على أرضنا والناس يتساءلون قائلين : من هو ؟ ومع أن الآب قد أعطى الجواب لبطرس عندما قال : « أنت المسيح ابن الله الحي » . (متى ١٦ : ١٦) ، فإن البعض من الناس انقسموا في الإجابة على هذا السؤال • ويرجع سبب انقسامهم إلى الثقافة التي تثقفوا بها والبيئة التي نشأوا فيها والأديان التي اعتقدوا بها وعاشوا فيها (١) •

فعندما حاول هؤلاء الناس أن يجيبوا على هذا السؤال : « من هو يسوع المسيح ؟ » انقسموا في إجاباتهم • وكما سبقت الإشارة فإن الكنيسة نشأت أولا في بيئة يهودية وكان التلاميذ أنفسهم يهودا • فعندما بشروا بيسوع المسيح وسط الأمم كاله ، كانت الخطورة هي أن تقبل الأمم المسيح المخلص كأحد الآلهة الكثيرين المنتشرين والمعروفين عندهم ، وأن يصبح المسيح بالنسبة للأمم واحدا من العوالم الإلهية التي نادى بها الغنوسية • وهنا تظهر خطورة الغنوسية أو الدوسيتية (أو الدوسونية) •

أما الخطر الثاني الذي كان يهدد العقيدة المسيحية ، فهو تفسك بعض اليهود الذين قبلوا الايمان المسيحي ، بالناموس • فان هؤلاء اليهود المتصرين حاولوا هم أيضا بدورهم الإجابة على هذا السؤال : « من يقول الناس إنى أنا ابن الانسان ؟ » • فالجماعة الأولى التي قبلت تعاليم الرسل ، ضمت صوتها مع صوت بطرس بالقول : « أنت ،

1. A. Harnack. History of Dogma Vol. 3 p. 20 - 32.

هو المسيح ابن الله الحي » . ولكن ظهرت جماعات أخرى عديدة في الكنيسة المسيحية نفسها ، لم تقبل هذا الاعتراف ، وعلى الخصوص أقوال الرسول بولس التي تشير الى لاهوت المسيح ووجوده السابق لكل وجود ، « اللوغوس » ، الكلمة الأبدى ، الذي به كل شيء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . فإن هذه الجماعات قبلت المسيحية ودخلت فيها ولكنها أرادت أن تحتفظ بناموس موسى ، بل أنها وجدت في أقوال المسيح نفسه سندا يؤيد زعمهم هذا ، أى التمسك بناموس موسى . ألم يقل السيد « ... لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ... » (مت ٥ : ١٧ ، ١٨) . فمنذ البداية ظهرت هذه الجماعات في داخل الكنيسة نفسها وأرادت المحافظة على الناموس والتقليد والصيام والعادات التي كان يتبعها اليهود . ومن هذه الجماعات :

١ — جماعة الاخوة « الضعفاء » الذين يتكلم عنهم الرسول بولس (١ كو ٨ : ٩) .

٢ — الاخوة الكذبة الذين يذكرهم نفس الرسول في الرسالة إلى أهل غلاطية (غل ٢ : ٤) والذين كانوا يتمسكون بالختان كأمر ضرورى للخلاص .

٣ — المعلمون الكذبة الذين ظهروا في كولوسى وأفسس (أف ٤ : ١٤) .

٤ — الناصريون ، ومع أن هذه الجماعة الأخيرة قد تمسكت بلاهوت المسيح والميلاد العذراوى وعمل المسيح الفدائى ، إلا أنهم تمسكوا

أيضا وبشدة بالناموس الموسوى والتعاليم الربانية والوطنية ، فقد كانوا ينتظرون تأسيس مملكة يهودية اسرائيلية •

• — ثم جماعة الإبيونيين^(١) وهم يشبهون الى حد كبير الاخوة الكذبة الذين ذكرهم الرسول بولس (غل ٢ : ٤) ، ولقد ظهرت هذه الجماعة بعد سنة ٧٠ ب م أى بعد سقوط اورشليم • ولقد تضاربت الآراء على تسميتهم بهذا الاسم كما أشرنا الى ذلك سابقا ، فان ترتليانوس يعتقد بأن اسمهم مشتق من اسم المؤسس لطائفتهم وهو إيبون ، ويشك في هذا الأمر كثيرا ، لأن يوستينوس وإيريناوس وأريجانوس لا يذكرون شيئا عن هذه الشخصية •

أما بخصوص عقيدة هذه الجماعة ، فقد تمسكوا بالختان ، والناموس والتقاليد لخلص الأمم • واعتبرا يسوع كالمسيا ولكنّه في نفس الوقت إنسان ومجرد انسان عادى ولد ولادة طبيعية من مريم ويوسف • ولقد حصل على نعمة خاصة في أثناء العباد • ولا يرون في أعمال المسيح إلا أعمالا تعليمية كاملة ومكملة لأعمال موسى • كما أنهم يؤمنون بمجىء المسيح الثانى بل ينتظرونه بفارغ الصبر لكى يمحسو بهذا المجىء الثانى عشرة الصليب المخجلة • وهم لا يقبلون بولس كرسول حقيقى •

إن هذه الجماعة شددت كثيرا على ناسوت المسيح وأنكرت لاهوته، وكانت لا ترى في يسوع الا مجرد انسان • وعندما ندرس بالتدقيق عقيدتهم في يسوع ، نلاحظ تمسكهم باليهودية بل بالمسيانية المفتصرة على العدو • فإن انتظارهم للمجىء الثانى للمسيح لم يكن انتظار الكنيسة الهائمة المنتظرة لمقابلة عريسها المحبوب ، بل انتظار المسيا

الذى بمجيئه الثانى سيزيل لطفه العار التى تركها الصليب على وجوه هؤلاء الذين ينتظرون مجيء ملكوت الله بقوة ...

ومع أنهم كانوا يرون فى المسيح مجرد إنسان إلا أنه كان إنسانا عظيما ، فهو مختار الله بل هو النبى الحقيقى • وبما أنهم أنكروا الميلاد !عذراوى ، فقد حذفوا من كتابهم الأصحاحين الأولين من إنجيل متى ، وأنكروا أيضا أن المسيح سابق الوجود أو أنه ابن الله بالطبيعة • ويعلمون بأن المسيح لم يولد من الله بل أنه خلق بكأحد رؤساء الملائكة ، وهو يملك ليس على الملائكة فقط بل على كل الخلاق لأنه هو ذاك الذى له كل السلطان ، ويؤمنون أيضا بأن لحظة العباد كانت حاسمة بالنسبة ليسوع ، لأنه فى هذه اللحظة رفعه الله فوق الخليقة (١) •

إن هذه الآراء كانت منتشرة ومعروفة فى وسط اليهود المتصرين • والذى يقرأ رؤية راعى هرماس (LE PASTEUR D'HERMAS) يستطيع أن يدرك بدون عناء التأثير اليهودى الذى يسيطر على الكاتب فى تفسيره مفهوم ابن الله والروح القدس (٢) •

فإن راعى هرماس يعتقد بأن الروح الذى أسكنه الله فى جسد يسوع لا يعتبر شخصا إلها ولكن قوة إلهية •

من هذا يتضح أن مذهب النيوين الذى نادى به ثيودوثيوس فى نهاية القرن الثانى لم يكن جديدا على الكنيسة ، بل كان كالزوان الذى

(١) انظر كتاب A. Grillmeier ص ١١٢ - ١٢٤ •

(٢) انظر A. Grillmeier ص ١١٥ •

(م. ٢٢ - تاريخ الفكر المسيحى)

ينمو مع النباتات الصالحة في نفس الحقل . ومما لا شك فيه أن هذا الزوان الذي زرعه يد العدو في الحقل ، سيظل هكذا موجودا فيه ويكبر مع النباتات الأخرى . وصلاتنا ليس بأن السيد يرسل منجسنا فيجث هذه النباتات الرديئة ، بل أن يرسل روحه القدس لكي ييكت على خطية وعلى بر وعلى دينونة ، وعندئذ تتغير القلوب فيخرج من الأكل أكل ومن الجاف حلاوة (١) .

اللاووغوسيون (ALOGES)

وبما أننا نتكلم عن البنويين الذين لا يعترفون بأولية يسوع ولا بمشاركته لله في الطبيعة الالهية ، يجدر بنا أن نذكر طائفة أخرى قد اتفقت من الناحية العقائدية مع البنويين ، وهي جماعة اللاووغوسيين (ALOGES) وهذا الاصطلاح (ALOGES أو ALOGES) يعني الأذكيا . وفي نفس الوقت يعنى المنافسين لعقيدة « اللاووغوس » ، أي الذين لا يعترفون أو لا يقبلون عقيدة « اللاووغوس » . وكان يرأس هذه الجماعة كاهن روماني يدعى غايوس (GAIUS) ظل على قيد الحياة الى سنة ٢٠٠ ب.م (٢) ولقد قام غايوس بحرب شعواء ضد جماعة المونتانيين (LES MONTANISTES) (٣) .

ولقد نادى غايوس وجماعته بكثير من المبادئ التي تبناها البنويون وهي أن يسوع ولد ميلادا عذراويا ولكنه لم يكن ابن الله

(١) ولدراسة هذا الموضوع بتوسع راجع كتاب A. Grillmeier فهو

يعطي قائمة ممتازة لبعض الكتب التي تعالج هذه المشكلة ص ١١٢ -

١٢٤ . كذلك كتاب Lods الذي يعطي قائمة أخرى تستحق

الدراسة ص ٢٧ - ٤١ .

(٢) انظر كتاب لودز (Lods) ص ٢٦ .

3. A Harnack History of Dogma Vol. 3, p. 14 - 19.

بالطبيعة بل أصبح ابنا لله عن طريق التبني في وقت انعماد • ويدعون بالثووغوسيز لأنهم رفضوا عقيدة «اللوغوس» واجدا • سبب لم يقبلوا انجيل يوحنا ولا سفر الرؤيا • ولقد ظنوا بأن سرفت اليهودي نسب هذين الكتابين إلى الرسول يوحنا • ويرفضهم لهذين الكتابين وخاصة إنجيل يوحنا فقد رفضوا لاهوت المسيح إذ أنهم لا يعترفون إلا بناسوته ، وناسوته فقط • ولقد شددوا كثيرا على ناسوت المسيح ، وبناء على ذلك فإن هذه الجماعة لا تعترف بأن المسيح كان موجودا منذ الأزل مع الله ، بل ان بداية وجوده هي ميلاده •

إننا نجهل الكثير عن هذه الجماعة وعن مدى نجاح أو فشل تعاليمهم ، فلا نعرف بالضبط متى توقفت هذه الحركة عن العمل ومن الذي استطاع أن يوقفهم ويخرجهم من آسيا • فالمصادر التي تتكلم عنهم لا تعطينا تفاصيل واضحة • فلقد ذكرهم كل من :

1. EPIPHANE (PAN 51)
2. EUSEBE HE 2, 25. 6 - 7, 3, 28 1 - 2 ; 4, 20 - 3
3. HIPPOLYTE, KEPHALAIA KATA GAIOU

الفصل الثالث

أكليمندس الاسكندري

بعد أن رأينا في الصفحات السابقة بعض المعلمين الذين ضلوا الطريق في تعاليمهم الخاصة بشخص المسيح يسوع ، أمثال الغنوسيين وبازليدوس وفالنتيوس وساتيرنيوس وماركيون والبنويين ثم اللاوغيوسيين ... لنواصل الآن رحلتنا العقائدية بسلسلة أخرى من المعلمين الذين قاموا بدور هام عظيم في تاريخ الفكر المسيحي القديم ولنبدأ هذه السلسلة بـ :

أكليمندس الاسكندري : (OLEMENT D'ALEXANDRIE)

هو تيطس فلافيوس أكليمندس الاسكندري • ولد ، على ما يحتمل ، في أثينا (بلاد اليونان) من أبوين وثنيين في سنة ١٥٠ ب م ، ونجهل تاريخ قبوله للمسيحية ، كما نجهل أيضا تفاصيل الدوافع التي دفعت به لاتخاذ هذا القرار ، أي قرار قبوله للمسيحية • لقد أنهى تعليمه الثانوي في أثينا • كان منذ طفولته محبا للعلم شغوبا به مولعا بالبحث عنه أينما وجد ومهما كلف • ولهذا السبب فقد ترك وطنه الأول أثينا وجال يبحث عن العلم في كل من جنوب ايطاليا وسوريا ثم فلسطين • وكان الغرض من هذه الرحلة هو مقابلة أشهر المعلمين وتحصيل العلوم كيفما استطاع

أن يحصل عليها . وهو نفسه الذي سجل لنا هذا الأمر في كتابه (STROM. 1, 1, 2) . على أن هذه الرحلة التي بدأ بها من أثينا لم تنقته في فلسطين بل في الاسكندرية ، هذه المدينة العظيمة التي كانت تعتبر في ذلك الوقت كمركز علم وكملتقى لحضارات مختلفة متنوعة . فيسبب موقعها الجغرافي أصبحت الاسكندرية أثينا الثانية ، لأنها ربطت الثلاث القارات المعروفة في ذلك الوقت . ولهذه الأسباب أصبحت الاسكندرية جامعة يلتقى فيها المعلمون والطلبة ، ولذلك فقد كثرت فيها المدارس الفلسفية والدينية . فعندما كان المرء يدخل هذه المدينة كان يشعر كما قال بونيفاس : « بأن كل الديانات وكل الفلسفات الماضية وكل التعاليم الكاذبة وكل التعاليم الصحيحة وكأنها على موعد في هذه المدينة ، إذ أن كل المدارس كانت ممثلة فيها » (١) .

إلى هذه المدينة التي كانت تعتبر مدينة جامعية ، مع الفارق الكبير بينها وبين مدننا الجامعية الحالية لأن معلمى هذه الجامعة (الاسكندرية) كانوا مقيمين فيها وعلى استعداد بصفة مستمرة أن يتقابلوا مع طالبى العلم والنقاش معهم ، جاء أكليمندس الى مدينة العلم باحثا عن العلم وعن الحق ليحصله من حقول الاسكندرية ويلتقطه من أفواه معلميه . وكطالب للعلم والمعرفة التحق بالمدرسة اللاهوتية التي كانت تدعى « مدرسة التعليم المسيحى » التي قام بتأسيسها وإدارتها باتتيوس (PATENE) . وعلى ما يظن ، قبل أكليمندس المسيحية على يدى باتتيوس ، وبعد عماده أصبح الذراع الأيمن لمدير هذه المدرسة والمساعد الجدير بأن يحتل هذا المنصب . فإن باتتيوس ترك إدارة هذه المدرسة لتلميذه النابغة أكليمندس ، وذهب لنشر الانجيل (٢) . في خارج مصر .

(١) انظر كتاب بونيفاس Bonifas ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) كان باتتيوس (Pantène) وثيا رواقيا قبل المسيحية ، وهو الذى أسس مدرسة الاسكندرية اللاهوتية في سنة ١٧٩ وقام بالتعليم فيها

تولى أكليمندس إدارة المدرسة اللاهوتية بعد رحيل أسبناذه باتتيوس ، ويظن البعض أن أكليمندس خلف باتتيوس في حوالي سنة ١٩٠ (انظر بونيفاس ص ١٣٩) ، على أن البعض الآخر يظن أنه لم يصبح المسئول عن هذه المدرسة إلا في حوالي سنة ٢٠٠ ب م (انظر QUASTEN ص ١٢) . ولقد اضطر إلى أن يترك مصر لسبب الاضطهادات القاسية المرة التي اجتاز فيها مسيحو مصر تحت حكم سبتيميوس سفريوس (SEPTIME, SEVERE) . ويقول كاستن إنه لجأ إلى أورشليم عند ألكسندر تلميذه والذي احتل فيما بعد كرسي أسقفية أورشليم ، ومات هناك في سنة ٢١٥ دون أن يرى مصر مرة أخرى (انظر QUASTEN ص ١٢) . على أن بونيفاس يقول إن أكليمندس اضطر إلى أن يهجر مصر لسبب الاضطهادات ولكنه رجع إليها واستأنف تعليمه فيها إلى أن مات في أرضها في سنة ٢١٧ (انظر بونيفاس ص ١٣٩ - ١٤٠) .

كتابات أكليمندس :

كان أكليمندس من الشخصيات اللاعبة ، ومن الكتاب الذين تركوا لنا كنوزاً عظيمة ، تبدو أهميتها في نقل الأفكار اللاهوتية والتعليم التي علم بها والتي انتشرت في تلك الحقبة من الزمان . وإن كنا لا نقبل كل ما علم به هذا المعلم ، إلا أن تعاليمه تبين لنا نوعاً من العقائد والأفكار التي نادى بها البعض وانتشرت في الكنيسة في القرنين الثاني والثالث .

عدة سنوات ، ولقد قابل تعليمه نجاحاً كبيراً . ثم ترك إدارة المدرسة لتلميذه أكليمندس وذهب إلى العربية لنشر الانجيل فيها بل وصل في رحلته التبشيرية هذه إلى الشرق الأقصى . وبعد ذلك رجع إلى الاسكندرية حيث مات فيها . نجهل الكثير عن حياته وكتبه . على أننا نعرف بأن كلا من أكليمندس وأريجانوس كانا من تلاميذه (انظر كتاب بونيفاس ص ١٣٩) .

ومع أن أكليمندس كان كاتباً مشهوراً ومفكراً عميقاً عظيماً ، إلا أنه يحتاج إلى التنظيم والترتيب في الكتابة ، فلم يعرف أن ينظم ولا أن يرتب أفكاره بطريقة منطقية ، وهذا ما توحى به الكتب العديدة التي تركها . ولقد ملأت هذه الكتب الفراغ الذي نجعله عن حياته ، فمن بين سطورها نستطيع أن نتصوره رجلاً واسع الاطلاع وكثير المعرفة . وكتابات العديدة التي سنذكر البعض منها ، تظهر كفاءة هذا الرجل العلمية . ذُقد كان ملماً بعلوم الفلسفة والشعر والأثرية والأساطير والآداب . نستجد في مؤلفاته ١٥٠٠ اقتباس من العهد القديم ، ٢٠٠٠ اقتباس من العهد الجديد و ٣٦٠ اقتباس من بعض كتب العلماء والفلاسفة (١) .

والدارس لتاريخ العقائد يلاحظ بلا غناء التشابه الكبير بين الشهيد يوستينوس والمعلم أكليمندس في أشياء كثيرة ، وبنوع خاص موقفهما من العلوم والفلسفات الوثنية ، فإن كان يوستينوس يؤمن بوجود بذور اللوجوس في تعاليم وفلسفات اليونان ، فإن معلم الاسكندرية يذهب في هذا المجال مذهبا أبعد من ذلك . فلقد قارن فلسفة اليونان بالعهد القديم نفسه عندما كانت تعد البشرية لمجيء المسيح . على أنه نبر بشدة بأنه بالرغم من أهمية الفلسفة ، إلا أنها لا تستطيع بأي حال من الأحوال أن تحل محل الوحي الإلهي . إن الفلسفة لا يمكنها إلا أن تعد الطريق أمام الإيمان (انظر كتابه STROM 1, 5, 28 ، STROM 2, 2, 8, 4) .

وأكليمندس يعتقد بأنه لا تناقض بين العلم والدين ، بل إن الأول هو خادم أمين ومساعد عظيم له أهمية لا تقدر ، على شرط معرفة استخدامه استخداماً حسناً . فإن المسيحية هي تاج ومجد كل الحقائق التي تكشفها كل المذاهب الفلسفية المختلفة (انظر المجلد الثاني

14. QUASTEN) • ولذلك فقد حاول أكليمندس أن يعالج في كتاباته ليس المشاكل اللاهوتية والدينية فقط ، بل تعرض أيضا لبعض المشاكل الاجتماعية والفلسفية التي كان يواجهها المجتمع المعاصر • فإن الكنيسة يجب أن لا تقفل عينها عن هذه المشاكل • ولذلك فقد استحق عن جدارة لقب « رائد العلوم المسيحية » (انظر كتاب QUASTEN المجلد الثاني ص ١٣) ، فهو صاحب المبادرة في دفع الكنيسة الى دراسة العلوم الغير المسيحية واستخدامها (انظر BONIFAS ص ١٤٠) •

واقدر ترك لنا معلم الاسكندرية مجموعة ضخمة من الكتب اللاهوتية العقائدية والتفسيرية والدفاعية ، والكتب الأدبية أيضا ، التي بقي بعضها إلى الآن وضاع البعض الآخر ، ومن أهم هذه الكتب :

(١) « حث لليونان » (L'EXHORTATION AUX GRECS)

يداول الكاتب أن يحث اليونان على التجديد وقبول البلوغوس الحقيقي الذي تتبأ عنه الأنبياء والذي ظهر في شخص المسيح • ثم يناشدهم أن يتركوا عبادة الأوثان وقبول التعاليم الحقيقية التي تتادى بها المسيحية (انظر كتابه 4 - 3 ، 117 ، 11 ، PROTREPTIQUE) ، فإن هذا الكتاب يمكن اعتباره كتابا دفاعيا عن المسيحية •

(٢) « المهذب أو المعلم » (LE PEDAGOGUE) ، ويحتوى هذا الكتاب على ثلاثة مجلدات ، وهو عبارة عن تكملة لكتابه السابق « حث لليونان » ، وفيه يقدم بعض النصائح للذين قبلوا الايمان المسيحى ، ويشرح بالتفصيل أن « اللوجوس » هو المعلم الذى يرشد الذين تجددوا إلى الطريق السليم الصحيح الذى يجب أن يسلكوا فيه • فإن الدور الذى يقوم به اللوجوس هو دور روحى وليس ثقافيا ، فهو يؤهل النفس لحياة روحية سامية وفاضلة (راجع كتابه 14 ، 1 ، 1 ، PAED...) وهو

معلم الأطفال ، الأطفال الذين قبلوا المعمودية وتجددوا (PAED 1, 6, 28.1) وما لا شك فيه أن هذه الجملة الأخيرة « قبلوا المعمودية وتجددوا » توحى للبعض كما لو كان التجديد أو الفداء عما نتيجة لقبول الإنسان للمعمودية ، أو كما لو كانت المعمودية هي السبب في هذا التجديد والفداء . وفي الواقع فإن الأمر يختلف عن ذلك تماما ، فإن أكليمندس كان يخاطب وثنيين ، ولذلك فإن ما يريد أن يقوله في العبارة السابقة ، هو أن عملية التجديد أو قبول الإيمان المسيحي كانت تسبق أى عملية أخرى . فعندما كان يتجدد الإنسان الغير المسيحي ويحرقه عطية الفداء التي تمت في المسيح ، فعندئذ وعندئذ فقط كان يعتمد . والعماد كان علامة ظاهرية واعترافا جهاريا أمام الجميع على الإيمان الخفى الذى عن طريقه قبل الإنسان المسيح كمخلص وفاد ...

(٣) « الطراز أو الحياكة » LES STROMATES ON TAPISSERIES وتحتوى هذه السلسلة على ثمانية كتب ، ويتعرض الكاتب في هذه المجموعة لمعالجة أمور كثيرة ودراسة مواضيع مختلفة متنوعة ، كالعلاقة بين الديانة المسيحية والديانات والمذاهب الفلسفية الأخرى . وهو يدافع عن الفلسفات اليونانية ويعتقد بأن العناية الالهية قد منحت هؤلاء الفلاسفة هذه الفلسفات ، كما منح الله العهد القديم لليهود . على أن هذه الفلسفات لا تعادل ، بلا شك الوحي المقدس ولا تحل محله . (راجع STROM 1, 5, 28 ; 2, 2, 8, 4) .

(٤) كتابان عبارة عن اقتباسات من كتب الغنوسيين والتعليق عليها (انظر QUASTEN 23)

(٥) عظة عنوانها : « من هو المعنى الذى سيخلص ؟ » (مرقس ١٠ : ١٣ - ١٤) .

مؤلفاته المأثورة :

أهم ما فقد من مؤلفات أكليمندس هو تفسيره للكتاب المقدس بعهديه وعنوان هذا التفسير الذى يحتوى على ثمانية مجلدات هو « مسودة » (HYPOTYPOSES = CROQUIS) • ولقد أشار إلى هذا التفسير أوسابيوس (انظر 1, 14, 6 EUSEBE HIST. ECCL) ، كما أن أوسابيوس يذكر أيضا أن أكليمندس كتب كتابا آخر عن الفصح (EUSEBE HIST. ECCL. 6, 13, 9)

ونفس المؤرخ (أوسابيوس) يتكلم عن كتاب آخر يدعى « حث للتمعدين حديثا » ، ثم يذكر محاضرتين لأكليمندس عن الصوم والنميمة ...

بعد أن عرفنا بعض الأشياء عن المعلم الاسكندرى ومؤلفاته ، حان الوقت لأن نطرح السؤال الذى هو صلب بحثنا وهدفه ، وهو ما هى تعاليمه الكرسولوجية (التعاليم المختصة بالمسيح) •

كان أكليمندس معاصرا للقديس إيريناوس ، وهذا الأخير كتب الكثير ضد الغنوسيين كما سبق أن أشرنا إلى ذلك • فإن كان إيريناوس قد حارب الغنوسيين فى عقيدتهم التى كانت منتشرة ، فلا بد أن اللاهوتى المصرى قد تعرض لهذه المشكلة • وكيف لا تعرض مشكلة الغنوسية هذا الرجل وهى قد نمت وترعرعت فى الاسكندرية لأنها وجدت لها تربة طيبة صالحة فى هذه المدينة ؟ ! لقد حارب أكليمندس الغنوسية كما حاربها إيريناوس ، وكان يعرف أيضا خطر الهلينية الذى كان يهدد المسيحية كما كان يعرفه أيضا إيريناوس • على أن القديس اليونانى (إيريناوس) كان رجل الكتاب والتقليد أما أكليمندس فكان رجل الكتاب والعلوم والفلسفة •

ولهذا السبب فان هجوم اللاهوتى المصرى ضد الغنوسية يختلف

عن هجوم اللاهوتى اليونانى • فأكليمندس كان يعرف خطر الغنوسية المزيفة على المسيحية وعلم ضدها • كما أنه هاجم أيضا ، كباقي المدافعين في عصره ، الهرطقة والهرطقة الغنوسية ، إلا أنه ميز ما يسميه الغنوسية المزيفة والغنوسية الحقيقية • لقد علم أتباع الغنوسية (المعرفة) الهرطوقية بعدم إمكان التوفيق بين العلم والايقان ، أما أكليمندس فعلى العكس من ذلك ، فقد اعتقد بأن المؤمن الحقيقى ما هو إلا ثمرة انسجام الايمان والمعرفة ، فالايقان (PISTIS) هو بداية الفلسفة أو المعرفة (GNOSIS) (انظر STROM ; 1, 20, 100 ; 2, 4, 15) ومع أنه يعطى أهمية كبرى للمعرفة (الغنوسية) إلا أنه يعطى الأولوية للايمان • ولقد شدد كثيرا على أن الفلسفة والعلم هما خادمان للايمان ويساعدان على اكتشاف الكنوز المخفية في الكتاب •

إن المحاولة التى قام بها أكليمندس في التوفيق بين ما يسميه الغنوسية الحقيقية والايقان ، سببت له بعض المشاكل العقائدية إذ أنه تطرف في بعض الأحيان في تعاليمه عن الغنوسية • ومما لا شك فيه أن العلوم والفلسفات الوثنية الكثيرة التى درسها والبيئة التى نشأ فيها أكليمندس ، تركت فيه أثرا عميقا لم يكن من السهل محوه محو تاما • واندارس لكتابات اللاهوتى المصرى يلاحظ بعضا من هذا التأثير الغنوسى في تعاليمه •

تعاليمه الكريستولوجية :

ومنع أن أكليمندس يتمسك بالأفكار التى علم بها القديس يوستينوس بخصوص اللوجوس ، إلا أنه نادى بأفكار أخرى غير التى علم بها يوستينوس • ففي شرحه لعقيدة « اللوجوس » ينهج نفس المنهج الذى سلكه يوستينوس ، أى يبدأ بظهورات اللوجوس في العهد القديم • فإن الظهورات التى يكلمنا عنها العهد القديم ، كانت ظهورات اللوجوس ، وكانت كل هذه الظهورات تعد للظهور الأعظم ، أى التجسد •

ففى خلال فترة العهد القديم كان اللوغوس يظهر نفسه بطرق مختلفة متنوعة ، « ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس ... » (غل ٤ : ٤) • على أن هذا الظهور الأخير أى التجسد يختلف تماما عن الظهورات السابقة ، فهو شىء جديد من نوعه فكما أن الله قد اختار شعبا جديدا ، وعهدا جديدا فإنه يظهر هذه المرة لشعبه بطريقة جديدة • (انظر PAED. 1, 59, 1) .

ويعتقد اللاهوتى الاسكندرى بأن اللوغوس الذى ظهر بطرق عديدة فى العهد القديم والذى ظهر فى نهاية الزمان فى يسوع المسيح هو نفسه الذى كان يرشد الفلاسفة بنفس الطريقة التى كان يرشد بها أنبياء العهد القديم تقريبا (انظر STROM. 1, 5, 28 ; 5, 12, 81, 4 - 82, 4)

واللوغوس لا يبدأ بهذه الظهورات التى يتكلم عنها العهد القديم ، بل هو الذى خالق هذا العالم ، كل ما يوجد فى الكون به وله قد وجد ، وهو أيضا الذى مع الآب والروح القدس يكون الثالوث الالهى ، وهو الذى عن طريقه أيضا نستطيع أن نعرف الآب (انظر نفس الشاهد أعلاه) ، فلا الظهورات إذن ولا عملية التجسد كانت بداية وجود اللوغوس ، إذ أنه كان موجودا مع الآب قبل أن توجد كل هذه الكائنات • وعملية التجسد التى قام بها اللوغوس لم تنقص شيئا من عظمته وسموه ، العظمة والسمو اللذين يتصف بهما الآب • بهذه النقطة استطاع معلم الاسكندرية أن يخطو خطوة للأمام وأن يسجل تقدما على الذين سبقوه من المدافعين أمثال يوستينوس وغيره ، الذين بالغوا كثيرا فى وصف عظمة الآب وارتفاعه ، مما ترتب عليه التقليل من سمو اللوجوس ، فإن دخول اللوغوس فى التاريخ أصبح مركزا للتاريخ ومكملا لظهورات العهد القديم • ومجيئه أيضا الى العالم هو اظهار محبة الآب للعالم (انظر PAED, 1, 8, 2 ; PROTR. 116, 1) .

ومن هذا نلاحظ أن أكليمندس يعترف بنوع من المساواة فى العظمة بين الآب والابن •

ويرى معلم الاسكندرية في اللوغوس شمساً جديدة تشرق بنورها على العالم . فهو الذى بنوره استطاع أن يعلن لنا الآب بطريقة واضحة ومضيئة ، لأنه نور العالم ، وبنوره نستطيع أن نرى الآب (انظر : PROTR 113, 2) . فبعملية التجسد أصبح الابن منظوراً ومدرَكاً في حيز الأشياء التى نراها وندرَكها بحواسنا (انظر : STROM V, 39, 2 ; 16, 5) .

فهو يتمسك بكلمات الرسول يوحنا : « والكلمة صار جسداً . » (يو ١ : ١٤) . وهذا الكلمة هو نفسه الذى ولد من الآب قبل كل الدهور ، « لوغوس » واحد مولود من الآب ، وبهذا ينفى أكليمنديس الادعاءات الغنوسية التى كانت تعلم بوجود عدة « عوالم » أو مسايا أو مسحاء (انظر : EXC. THEOD. 7, 4 ; 8, 1) . فهو أيضاً صورة الآب (انظر كتابه STROM 5, 34, 1) ، ولم يصبح صورة الآب بفضل التجسد وبسببه ، بل منذ الأزل وقبل كل بداية كان صورة الله الغير المنظور ، (انظر كتابه STROM 5, 38, 7) .

فالوجرس الذى هو صورة الله، هو أيضاً سيد هذا الكون والمشرع للبشرية ، كما أنه المخلص للجنس البشرى والمعطى الحياة الجديدة ، وهذه الحياة تبدأ بالايمان وتنمو في العلم والتأمل ، وتصل في نهاية المطاف ، عن طريق المحبة ، الى الخلود والتأله (انظر كتاب PROTREPT 11, 88, 114) .

إن الدارس لكتابات معلم الاسكندرية يمكنه أن يلاحظ بلا جهد ، أنه شدد كثيراً على لاهوت المسيح ، ولذلك فقد اتهمه البعض بأنه دسوتى (DOCETE) (١) . ومما لا شك فيه أن الذى دفع البعض الى اتهامه

(١) الدسوتى : هو الشخص الذى يؤمن بلاهوت المسيح وينكر حقيقة ناسوته ، فبعض الغنوسيين أنكروا ناسوت المسيح عندما علموا بأن المسيح كان في هيئة إنسان ولم يكن إنساناً حقيقة .

بالدسوتية هو النصوص العديدة التي نجدها في كتاباته ، والتي يشتمل منها رائحة الدسوتية • وخاصة الأفكار التي أخذها عن الغنوسية الغالنتينية ، فاقدم سبق أن أشرنا إلى أن الغالنتينوس قد علم بأن المسيح قد ظهر في شبه جسد وليس في جسد حقيقي ، لدرجة أن مرور الجنين يسوع من رحم أمه ، لم يفض عذراويتها ، فقد كان مروره كمرور شعاع الشمس عبر الزجاج ••• ولقد نادى معلم الاسكندرية بأفكار تشبه إلى حد كبير هذه الأفكار الغنوسية • فنجد في تعاليمه بعض الأفكار الغريبة ، مثلا : أن المسيح لم يكن محتاجا لعطية هضم الطعام ولا لعملية التبرز (انظر كتابه STROM 3, 7, 59, 3) .

وهناك نص آخر يدل على التأثير العميق الذي تركته الغنوسية في تعاليمه ، ففي شرحه ليوحنا : « الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة » (١ يو ١) يشير إلى بعض التقاليد التي تقول بأن الرسول يوحنا قد غمس يده في جسد المسيح ولم تقابل يده أية مقاومة إلا قوة اللاهوت (انظر ص ٩٢ ، ٩٣ J. LIEBAERT) .

ولقد تركت الرواقية أيضا بدورها تأثيرا لا يستهان به على تعاليمه • ونلاحظ هذا في مفهومه لمشكلة آلام المسيح • هل المسيح كان يتألم ويجوع ويعطش كبقية البشر ؟ فهو يظن أن المسيح كان فوق كل هذه المؤثرات الحسية • فلم يكن للعطش أو للجوع أو الآلام أى سلطان عليه ، لأن القوة الالهية قد حلت فيه محل هذه الدوافع ، واللاهوت سيطر عليه بطريقة كلية لدرجة أن هذه المشاعر والعواطف والتأثيرات الحسية لم يعد لها أى سلطان عليه (انظر كتابه STROM : 6, 9, 71, 3, 6) (49. STROM 6, 135, 1 - 4)

ويتعرض المعلم المصري لمشكلة لاهوتية أخرى ، وهي الدور الذي يقوم به اللوجوس في الجسد ؟ من الذي يحكم ويشيطر ويدير ويوجه

هذا الجسد ، أهو اللوجوس أم الجسد ؟ إنه يعتقد بأن اللوغوس الذي سكن في هذا الجسد هو الذي يسيطر عليه ، يوجهه ويديره حيثما شاء ، لأن قوة الروح أو مايسميه بالإنسان الداخلى أو اللوجوس هو الذي يسيطر على الإنسان الخارجى . فإن اللوجوس يتدخل في الجسد لتغييره وإدارته والسيطرة عليه (راجع كتابه STROM 6, 135, 1 - 4 ; 3 . (1, 2 ; 3, 7, 59, 3) .

من هذه النصوص التى أشرنا إليها ومن نصوص أخرى فى كتابات أكليمندس ، استنتج البعض بأنه كان دسوتيا ومما لا شك فيه أن هذه النصوص تدل فعلا على روح دسوتية إذا أخذناها منفردة منعزلة عن الفصول الأخرى التى تتكلم عن ناسوت المسيح . فإن الدسوتى الحقيقى لا يؤمن بحقيقة جسد المسيح ولا يتكلم عن وجوده . أما معلم الاسكندرية فبالرغم من تشديده على لاموت المسيح فإنه لم يهمل الكلام عن ناسوته فهو يؤمن بأن اللوجوس المتجسد هو الله وإنسان ، الذى منحنا الحياة (انظر كتابه PROTRET 11, 88, 114) . بل أن أكليمندس قد علم بأن اللوجوس الذى هو سابق لكل وجود ، هو هو نفسه الذى سكن فى شخص يسوع المسيح التاريخى . وهو نفسه أيضا الذى حل فى الجسد وارتبط به (راجع كتابه STROM 5, 105, 4 ; 5, 38, 6) .

فأكليمندس لم ينكر إذن حقيقة جسد المسيح كما فعل الغنوسيون ، بل أشار الى هذا الجسد الحقيقى فى كتاباته العديدة . فليس من السهل إذن القول بأن أكليمندس كان دسوتيا ، ولكنه حاول أن يوفق بين التعاليم الغنوسية الوثنية وبين الغنوسية المسيحية ، وفى هذه المحاولة قد شدد كثيرا على اللاهوت معطيا له الأولوية العظمى . ولهذا السبب عندما كان يتعرض فى تفسيره أو تعليمه لشرح عقيدة جلول « اللوجوس » فى الجسد ، فإنه كان يبالغ فى إبراز ملامح اللاهوت فى الصورة التى كان يرسمها عن التجسد لدرجة أن القارىء لا يرى فى أحيان كثيرة إلا اللاهوت

الذى غرس فيه يوحنا يده والذى لا يخضع للجوع أو للعطش أو للآلام ،
وتتلاقى صورة يسوع الناصري الانسان الذى كان يعطش ويجوع
ويشأم .

ومما لا شك فيه أن أكليمندس المسيحى المتجدد فى الاسكندرية كان
يحتفظ فى داخله بجزء من أكليمندس الفيلسوف اليونانى الذى درس
الفلسفات اليونانية الوثنية بمذاهبها المختلفة المتنوعة ، وبالرغم من ذلك
لا يمكننا أن نعمم هذا المبدأ على كل ما كتبه هذا الرجل المثقف المطلع
ليس فقط على الفلسفات الوثنية بل على الكتب المقدسة ، ويكفينا أن نلقى
نظرة على ما كتبه لكى نعرف كفاءة الرجل العلمية والكتابية فى شتى
المواضيع . فنقد كتب كتبنا عن الكنيسة ومكانها وماهى (انظر PAED
1, 6, 42 ; 3, 12, 89, 1. STROM 7.16, 107 ; 15, 89 ; 7 ; 76, 76)

(وعن الدرجات فى الكنيسة STROM 6, 13, 107) ثم كتب عن العماد
(انظر STROM 3, 12, 87) ، ثم كتابه المعنون بعنوان : « من هو
الغنى الذى سيخلص (1 ; 23) وكتب أيضا عن الأنخارستيا .
ما هو سر الأنخارستيا بالنسبة له ، هل هو تقديم
الذبائح ، أو الحضور فى الاجتماعات الدينية أو تناول
المشاء الربانى أو هو انسحاق القلب وتقديمه للرب كذبيحة حية مرضية
لله ؟ يبدو بأن معلم الاسكندرية فضل هذا الزأى الأخير (انظر
PAED 1, 6, 42, 3 - 43, 2 ; STROM 7, 3, 14 - 15 ; 7, 6, 32) .
ولقد كتب أيضا يعالج موضوع الخطيئة والتوبة (انظر
PAED 1, 8, 67 ; STROM, 2, 13, 58 - 59 ; 4 ; 2, 13, 56 - 57) .

ثم كتب عن الزواج والعزوبة (انظر STROM 3, 12, 82 ; 712, PAED 1, 4, 10)

مراجع للذين يريدون دراسة شخصية لكليمنس الاسكندري :

1. J. Quasten. *Initiation aux peres de l'Eglise* 2e vol. (Les Editions du Cerf).
- من صفحة ١٢ — ١٩ يعطى الكاتب قائمة ضخمة جدا بمراجع في غاية الأهمية .
2. A. Grillmeier. *Le Christ dans La tradition Chretienne. De L'âge apostolique a Chalcedoine (451)* (Les editions du cerf)
- توجد أيضا قائمة بكتب تختص بهذا الموضوع من صفحة ١٨٧ — ١٩٢ .
3. J. Liebaert. *Histoire des Dogmes. L'incarnation des Origines au Concile de Chalcedoine* (Les Editions du cerf).
- قائمة الكتب في صفحة ٩٢ — ٩٣.
4. F.R.M Hitchcock. *Clements of Alexandria*. London 1899.
5. J. Patrick. *Clements of Alexandria* 1914.
6. R.B. Tolinton. *Alexandrine teaching on the Universe*. New York, 1932.
7. E. De, Faye. *Clement d'Alexandria* 2e ed., Paris 1906.
8. R.E. Witt. *The Hellenism of Clement of Alexandria*. c 925 (1931) 195 - 204.
9. J. Moingt. *La Gnose de Clément d'Alexandrie dans ses rapports avec la foi et la philosophie*. RSR 37 (1950) 195 . 251, 38 (1951) 82 - 118.
10. V. Ermoni. *The Christologie of Clement of Alexandria*. YTHST 5 (1904) 125 SQ.
11. H. A Wolfson. *Clements of Alexandria on the generation of the Logos*. *Church & History* 20 (1951)' 3 - 17.

(م ٢٣ — تاريخ الفكر المسيحي)

الفصل الرابع

ترتيانوس

عندما ندرس تاريخ الكنيسة ، نرى أن المسيحية قد انتشرت خلال القرنين الأول والثاني ليس فقط في أورشليم وأنطاكية ومصر وروما وأفسس وسميرنا ، وبلاد الغال (فرنسا حاليا) ولكنها وصلت أيضا إلى أفريقيا ، بل أن هذه الأخيرة تمخضت وولدت ليس فقط مؤمنين عاديين قبلوا المسيح يسوع كمخلص ورب لحياتهم وتصرفاتهم ، بل أن أفريقيا ولدت أبطالاً في الايمان أصبحوا كالنجوم اللامعة في سمائها الزرقاء الصافية ، فبشروا شعبها بالانجيل وعلومه الايمان الصحيح الذي تسلموه من خدام الرب الأمناء . ومن بين هذه النجوم الأفريقية اللامعة ترتليانوس وكيريانوس ، وأغسطينوس وآخرون .

ترتليانوس :

واسمه بالكامل في اللاتينية هو كنتينوس سييتينوس فلورنتوس
ترتليانوس QUINTUS, SEPTINUS, FLORENT, TERTULLIANUS
ومسقط رأس هذا الرجل قارطجنة (CARTHAGO) . وهي مدينة أثرية
قديمة في شمال أفريقيا أسسها الفينيقيون في حوالي القرن التاسع قبل
الميلاد ولا تبعد كثيرا عن تونس الحالية .

ولد ترتليانوس في حوالي سنة ١٥٥ - ١٦٠ من والدين وثنيين ، وكان أبوه يحتل مركز رئيس فرقة الوالي الرومانية في هذه المدينة . وفي هذه المدينة الوثنية نشأ الشاب ترتليانوس وتردد على مدارسها وتعلم على أيدي معلميها . ثم توجه بعد ذلك إلى روما لكي يدرس الحقوق فنجح فيها نجاحا ملحوظا . وبعد أن أنهى دراسة الحقوق ظل مقيما في روما وقتا من الزمن يمارس فيها المحاماة ، حيث طارت شهرته كالبرق ، فأصبح محاميا مشهورا قديرا ، وكان المعلم الأفريقي متزوجا ، ولا نعرف الكثير عن زوجته . إلا أن كتاباته تحتوي على كتاب قد كتبه إلى زوجته ، وفيه ينصحها بعدم التزوج مرة ثانية إذا شاعت العناية الإلهية بأن يغادر قبلها الحياة الأرضية . ولكن إن لم تستطع احتمال التمرل فليكن زوجها مسيحيا حقيقيا متدينا . (انظر كتابه (AD. UXOREM) .

تختلف الظروف التي تجدد فيها ترتليانوس عن الظروف التي تجدد فيها كلاً من القديس يوستينوس وأكليمندس فكما سبقت الإشارة فإن هذين الأخيرين قبلًا الرب يسوع كمخلص وفاد لهما بعد بحث طويل ودراسة عميقة وتفكير ناضج ، أما الذي قاد المعلم الأفريقي للمسيح فهو الشجاعة المنقطعة النظير التي أظهرها الكثيرون من الشهداء عندما استقبلوا الموت ليس فقط بلا خوف أو انزعاج ، بل أيضا بفرح وابتهاج .

فإن عوقف هؤلاء الشهداء عند استشهادهم وتقديمهم الشهادة الحسنة اللادعة لشخص ربنا يسوع المسيح غير حاسبين نفوسهم ثمينة عندهم ، كان لهذا الموقف البطولي الأثر العميق على المحامي الأفريقي . ولقد سجل لنا هو نفسه هذه الانطباعات في كتابه (AD. SCAFULAM 5) فإن شجاعة المسيحيين الأولين الذين كانوا يستقبلون الموت بلا تردد

ولا خوف : دفع رجل القانون ترتليانوس إلى أن يفكر في دراسة الانجيل والتعرف على هذه الديانة . ويحتمل أنه تجدد في حوالي سنة ١٩٣ . ومنذ ذلك الوقت نبعث أن قبل المسيح مخلصا وفاديا ، كرس نفسه وحياته للدفاع عن هؤلاء المسيحيين الذين كانوا بلا مدافع أرضي ، فإن معظم كتابات هذا المدافع المحامي تحتوي على كتابات دفاعية عظيمة جدا . ومن أشهر هذه الكتب كتبه الدفاعية (LES ECRITE APOLOGETIQUE) ففي سنة ١٩٧ كتب كتابين يشرح فيهما بلباقة نادرة نقد لاذع وثبات لا تهزده العواصف ، موقف المسيحية من الدولة وموقف الدولة من المسيحية .

ففي هذين الكتابين حاول المحامي المدافع أن يشرح ليس فقط للحكام الذين كانوا يضطهدون المسيحيين بوحشية وبلا شفقة ، بل للشعب أيضا أن هؤلاء ليس لهم الحق في اضطهاد مواطنين صالحين كالمسيحيين : فلقد بين في دفاعه عن المسيحيين أن الجهل هو المستول الأول عن موقف الحكام والشعب في اضطهادهم للمسيحيين . فإن المسيحيين ليسوا بأعداء الدولة أو الامبراطور ولا أعداء الجنس البشري كما اتهمهم البعض بذلك . وكيف يمكن أن تلاميذ ذاك الذي أوصى بأن نحب الأعداء ، أن يكونوا أعداء الدولة أو للجنس البشري ؟ (انظر كتاب 7 - 1 - 29 APOLOGIE) فبعد أن ينفي المحامي الشهير تهمة أن المسيحيين أعداء للدولة ، يطالب بحرية الدين ، وأنه ليس من حق الأُمم أن يحاكم المسيحي لأن الأول أُمم والثاني مسيحي ، وأن المسيحية لا يجب أن تكون جريمة يحاكم عليها الذين ينتمون إليها (انظر كتاب الدفاع 19 - 1 AUX PAIENS) .

وعلى ما يظن أن ترتليانوس رجع بعد تجديده إلى وطنه قارطجنة ليعلم سيدد هناك . ومع أنه لا يذكر في كتاباته أنه رسم كاهنا إلا أن

جيروم يؤكد هذا الأمر (١) .

ولقد احتل هذا الكاهن المحامي مكانة عظيمة جدا في التعليم والتعذيب والارشاد . إذ قد أسند إليه عند عودته إلى مسقط رأسه « التعليم المسيحى » أى الاهتمام بتعليم المسيحيين وغير المسيحيين الحقائق والعقائد انديجية .

غير أن علاقته بالكنيسة الكاثوليكية قد ساءت بسبب تشجيعه لجماعة المونتانيين (MONTANISME) ولقد انضم رسميا إلى هذه الجماعة في سنة ٢٠٧ ب م ، ويبدو أن ترتليانوس كان له النفوذ القوى والتأثير الفعال على هذه الطائفة لدرجة أنه أصبح رئيسا لجماعة فيها ، بل إن هذه الجماعة انتحلت اسمه فدعوا أنفسهم : « الترتليانوسيين » . ولقد ظلت هذه الجماعة قائمة في قارطجنة أو « كارتاج » إلى وقت ظهور القديس أغسطينوس .

لا يمكننا أن نحدد بالضبط تاريخ موت ترتليانوس ، إلا أنه من المؤكد أن موته لم يكن قبل سنة ٢٢٠ ب م (انظر J. QUASTEN P. 294) . لقد مات ترتليانوس ولكن تعاليمه التى تركها لنا وكتابات العديدة جدا ، وجدت في قلوب الشعب والمعلمين تربة صالحة فنمت فيها وترعرعت ، هانت بأثمارها الكثيرة على مر العصور والأجيال . فإذا استثنينا القديس أغسطينوس ، لأصبح ترتليانوس ، في الكنيسة اللاتينية الكاتب الأول ذا الشهرة الالامعة والمعرفة الكتابية واللاهوتية العميقة والقانونى المحنك والفيلسوف المفكر والدارس المنقب والمتعمق . فقد درس بجانب دراسته للحقوق ، والآداب ، اللاتينية واليونانية والفلسفات المختلفة في عصره . وكما قال عنه جريلميير GRILMEIER « إن كثيرين من اللاهوتيين

(١) Frederic Delforge. Soixante te moins de Jésus - Christ
Le Christianisme au Vingtième siecle p. 10 .

يعتقدون بأن التعاليم اللاهوتية الكرسولوجية الغربية تقدمت على التعاليم اللاهوتية الكرسولوجية الشرقية بعدة قرون بفضل ترتليانوس» (انظر GRILL P. 166) .

ويمكننا أن نضيف عدة شهادات واقتباسات من كتابات كتاب كثيرين كتبوا عن هذا الرجل وتعليمه وتأثيره على جيله والأجيال التالية ، ولكننا نكتفى بتلخيص ما كتبه كاستن (QUASTEN) عنه فيقول : « أسلوبه يدل على تمكنه من اللغة اللاتينية ، وعلى مقدرته الخطابية .. فقد استطاع أن يصنع بل أن يخلق اصطلاحات غير معروفة وغير موجودة من قبل ، لكي يعبر بها عن أفكاره وتعاليمه ... فإن هذه المقدرة اللغوية ساهمت مساهمة عظيمة وفعالة في تاريخ الكنيسة المسيحية اللاتينية في شمال أفريقيا ... » (انظر QUASTEN 296 - 297) .

كان ترتليانوس رجل القانون والعلم حازما في قراراته ، ثابتا في تعاليمه وإيمانه ، لا يتردد في الدفاع عن إيمانه ولا في الدفاع عن المظلومين ، ولو كان هذا الأمر يغضب الرؤساء ويعرض حياته لخطر الموت . ألم يكتب دفاعه ضد الحكام والأباطرة ؟ موضعا لهم موقف المسيحي من المجتمع الذي يعيش فيه ؟ (راجع AUX, PAIENS « إلى الأمم » : APOLOGIE) .

ومع أن ترتليانوس تعلم وتهذب بكل العلوم التي درسها كل من يوستينوس وأكليمندس إلا أن موقفه منها يختلف الاختلاف كله عن هذين المعلمين . فلقد سبق أن أشرنا إلى أن يوستينوس يعتبر أن بذور اللوجوس وجدت في فلاسفة اليونان والوثنيين تربة نمت فيها . فاللوغوس أرشد فلاسفتهم ومعلميهم . ثم أن أكليمندس الاسكندري قد ذهب في هذا المجال إلى أبعد من ذلك لدرجة أنه علم بأن الدور الذي

قام به الفلاسفة الوثنيون هو نفس الدور الذي لعبه الفاموس عند اليهود . أما ترتليانوس فهو على عكس ذلك تماما . فهو يرفض زواج الفلاسفة والدين ، فلقد كتب ما ملخصه . . . ماذا تعمل أثينا مع أورشليم ؟ أيوجد اتفاق بين الكنيسة والأكاديمية ؟ أيوجد انسجام بين الهراطقة والمسيحيين ؟ . . . لنبتعد عن كل محاولة لعمل مزيج من المسيحية والرواقية أو الأفلاطونية . . . ويعد أن امتلكا المسيح يسوع ، لا نريد فيما بعد مناقشات هدفها حب الاستغلال ، ولا نحيد عن الانجيل ، ولا نريد أن نضيف إلى إيماننا معتقدات أخرى (راجع DE PRAESCR 7) .

فترتليانوس لا يريد إذن الرجوع إلى الأركان الضعيفة لكي يفهم عن طريقها وبواسطتها إنجيل المسيح . ويقول في موضع آخر : أيوجد اتفاق بين المسيحي والفيلسوف ؟ بين تلميذ اليونان وبين تلميذ السماء ؟ بين الإنسان الذي يبحث عن الشهرة وبين الذي يريد أن يصل إلى الحياة ؟ بين الذي يتكلم وبين الذي يعمل ، بين الذي يبنى وبين الذي يهدم . . . بين الذي يفسد الحق والذي يعلمه ؟ (انظر APDI, 46) ولقد لقب سقراط بلقب مفسد الشباب . وأما يوستينوس فقد قال عن سقراط بأنه مسيحي (انظر APOL. 46 ; DE PRAESER) .

وبالرغم من هذا الهجوم على العلوم والفلسفة فهو يعتقد بأن بعض الفلاسفة قد وصلوا إلى جزء من الحق وفكروا بطريقة صحيحة بناءة أمثال سنكا الفيلسوف وآخرين (انظر DEAN., 20) .

ويعتقد البعض بأن موقف ترتليانوس من الفلسفة والعلوم ما هو إلا انعكاسا لتعاليم المونتانيين التي تأثر بها تأثرا عميقا .

كتابات ترتليانوس :

إن تأثير هذا الرجل ككاتب ، ومعلم وقانوني ومدافع عن الايمان ،

كان عظيما جدا ولا يمكن قصره على جيله أو كنيسة فحسب ، بل لقد تخطى الحدود: وعبر الأجيال . ويعوزنا الوقت لو أردنا أن نسرد هنا كل كتاباته بالتفصيل لأنها كثيرة جدا ، ولذلك سنكتفى بالإشارة إلى البعض من كتاباته مع التعليق البسيط ، ثم سنعطى في نهاية الفصل قائمة ببعض المراجع التي تساعد الدارس على التوسع في دراسة هذه الشخصية العظيمة . وكم نتمنى أن يقوم البعض بدراسة جدية ودقيقة لبعض آباء الكنيسة أمثال أغناطيوس الأنطاكي ، وأكليمندس الروماني، وبوليكرابوس ، وإيريناوس ، وأكليمندس الاسكندري ... الخ .

١ - الكتابات الدفاعية :

(LES ECRITS APOLOGETIQUES DE TRETULLIEN)

(أ) من كتبه الدفاعية الكتابان اللذان كتبهما في سنة ١٩٧ وهما يعالجان نفس المشكلة أي الدفاع عن المسيحيين وعن حقوقهم كمواطنين أكثر اخلاصا وأكثر نشاطا وحباً للوطن من أي مواطن آخر . والكتاب الأول يسمى « للأمم » (AUX NATIONS)

(ب) أما الكتاب الثاني ويسمى « دفاع » (APOLOGIE) فيعتبر عن أهم ما كتب ترتليانوس . فقد حاول في هذا الكتاب أن يصنّ إلى قلوب حكام المقاطعات الرومانية لا لمهاجمتهم واطهار غريبتهم وظلمهم في الحكم ، بل لقيادتهم للمسيحية واقتناعهم بها .

فإن تان ترتليانوس يهدف من هذا الكتاب إلى الدفاع عن المسيحيين وعن حقوقهم ، إلا أنه لم ينتس قط الناحية العقائدية ، فقد تكلم عن الروح ، روح الانسان الساكنة فيه ، من أين جاءت ومتى خلقت ؟ (انظر : APOL 17, 1, 4 - 6) .

(ج) خطابه المفتوح إلى الحاكم اسكابولا (SCAPULA)

لقد وجه المدافع هذه الرسالة كخطاب مفتوح الى الحاكم اسكابولا (حاكم في افريقيا سنة ٢١١ - ٢١٣) الذى كان يضطهد المسيحيين بوحشية وبلا رحمة ، ووصلت وحشيته في الاضطهاد الى أنه كان يأمر بالقاء بعض المسيحيين للوحوش الضارية المفترسة . كما أنه أمر بالقاء البعض الآخر في النار المتقدة . وعلى ما يظن أن هذه الرسالة المفتوحة كتبت في سنة ٢١٢ ، إذ أنه يشير إلى خسوف الشمس الذى حدث في ١٢ أغسطس ٢١٢ كعلامة على غضب الله . ويحتوى هذا المكتوب على خمسة فصول .

(د) كتب كتابا آخر يسمى « ضد اليهود » (CONTRE LES JUIFS) . والذى دفعه إلى كتابة هذا المصنف حوار دار بين مسيحي وبين دخیل يهودى على المسيحية ، ففيه يتكلم عن المسيح الملك الذى ملكه بلا نهاية وبلا حدود . كما أنه يوضح بأن النبوات التى تقبأ بها الأنبياء تحققت فى المخلص .

٢ - كتبه الجدلية :

(أ) حق الهرطقة فى استعمال الكتاب (LA PRESCRIPTION DES HERETIQUES) . لقد حاول ترتليانوس أن يشرح قانونيا أن الهرطقة لا يملكون حق استعمال الكتاب المقدس (راجع فصل ١ - ١٥) .

(ب) كتابه ضد ماركيون (ADVERSUS MARCIONEM) :

يعد هذا الكتاب أضخم ما كتبه ترتليانوس من ناحية الحجم ، كما أنه فى غاية الأهمية لأنه يعتبر وثيقة تاريخية لدراسة هرطقة ماركيون . ويحتوى هذا الكتاب على خمسة مجلدات ، وفيه يفند الكاتب عقيدة

وأفكار ماركيون وخاصة الازدواجية الموجودة بين إله العهد الجديد وإله العهد القديم . والكاتب نفسه يعرفنا بأن المجلد الأول كتب في السنة الخامسة عشرة من حكم الامبراطور سفريوس أى في سنة ٢٠٧ ، كما أن بقية المجلدات ظهرت بعد فترة قصيرة من ظهور المجلد الأول (راجع Mar. 1, 15) .

(ج) كتابه ضد هرموجن (CONTRE HERMOGENE) :

وهو رسام غنوسى من كارتاج أو قارطجنة ، كان يعتقد بأن المادة أزلية كأولية الله ، فلا بداية لها ولا نهاية . فهو إذن مثل الله بل مساوية له . ولقد حارب ترتليانوس هرموجن موضحا ضلال عقيدته ، ويبدو بأن ثيوغيلوس الأطاكي سبق أن كتب مصنفًا ضد هرطقة هرموجن (انظر EUSEBE HIST. ECCL. 4, 24) .

(د) كتاب ضد الفالنتينوسيين أو الفالنتينيين
(CONTRE LES VALENTINIENS) :

وهو عبارة عن كتاب نقد لذهب الغنوسيين الفالنتينوسيين ، ويقتبس الكاتب كثيرا من كتابات القديس إيريناوس (الكتاب الأول ADV. HAER. ، ثم يقتبس أيضا بعض الاقتباسات من القديسين يوستيفوس الشهيد ، وميلتيادوس (MILTIADE) .

(هـ) كتابه عن العماد :

إن هذا الكتاب يعتبر من الوثائق الثمينة والتاريخية التي تكلمنا عن ليتيرجية العماد (نظام العماد) وفاعليته .

(و) كتابه عن العقارب .

(ز) جسد المسيح :

يحتوى على مجلدين يكمل أحدهما الآخر ، وفى هذا الكتاب الذى يسمى جسد المسيح (جسم المسيح) (CHAIR DU CHRIST) حاول ترتليانوس أن يشرح بطريقة واضحة ومقنعة للمؤمن حادثة قيامة الجسد . ويقول الكاتب (ترتليانوس) بأن الهرطقة أنكروا حقيقة جسد المسيح ، وهو يشير بذلك إلى أربعة مذاهب معروفة فى وقته وهى الماركيونية والأبليسية (APELLE) والبازيليديسية (BASILIDE) والفالنتينوسية (VALENTIN) فكل هذه المذاهب الغنوسية تقبل وتعترف بحقيقة المسيح الروحية ، ولكنها لا تقبل حقيقة جسده أو على الأقل إن البعض منها يشك فى وجود جسد حقيقى للمسيح . ولقد كانت الأسئلة التى تشغل بال هذه الطوائف الغنوسية هى : هل كان للمسيح جسد ، وما هو نوع هذا الجسد ومن أين جاء ؟ ولقد حاول ترتليانوس أن يجيب على هذه الأسئلة فهو يعتبر أن ميلاد المسيح حقيقة واقعية لا شك فيها ، وبهذا رفض تعاليم ماركيون الدسوتية وكذلك عقيدة الغنوسيين . فالمسيح لم يأخذ طبيعته من الملائكة مع أنه يدعى ملاك الرب ، ولا من النجوم كما يعتقد (APELLE) . ولا من أية مادة روحية أياً كانت كما ظن الفالنتينوس ، بل إنه كان مثلنا تماماً فى كل شيء ما عدا الخطية ، ومع ذلك فهو لم يولد عن طريق زرع بشرى . فإن جسد آدم الأول وجسد آدم الأخير لم يعرفا زرعاً بشرياً (انظر كتابه DE CARNE CHRIST 1, 17) كما أن ترتليانوس يرفض أيضاً قول الغنوسيين القائل بأن المسيح لم يأخذ شيئاً من العذراء ، فهم لا يقولون إن المسيح ولد من العذراء بل ولد عن طريق العذراء أو فى العذراء (انظر DE CAR 23) .

(ح) قيامة الأجساد :

وهو يتكلم فى هذا الكتاب عن الطوائف التى تنكر القيامة مثل طائفة الصدوقيين وجماعة الهرطقة وجماعة الوثنيين . ويقول إن الجسد خلقه الله وفداه المسيح ويجب أن يدان فى الآخرة مع الروح .

— كتابه ضد براكسياس (CONTRE PRAXEAS) :

كتب المعلم الأفريقي هذا الكتاب ضد عقيدة انتشرت في ذلك الوقت تدعى « الانتحالية » (MODALISME ثم PATRIPASSIEN) وستكون لنا الفرصة فيما بعد للحديث عن هذه الشيعة • على أن كتاب ترتليانوس موجه لشخص يدعى براكسياس (PRAXEAS) قبل تعاليم هذه الشيعة ونادى بها • وقد كتبه في حوالي سنة ٢١٣ وتتلخص التعاليم التي نادى بها براكسياس فيما يأتي :

إن الآب هو نفسه الذي نزل في بطن مريم العذراء وواد منها ، وهو أيضا نفسه الذي تألم ، فالآب هو نفسه يسوع المسيح (انظر: PRAX 1) ورفض ترتليانوس هذه العقيدة ، ويعتبر ما كتبه دحضا لهذه الهرطقة في غاية الأهمية ، فهو أول كاتب لاتيني ، يستعمل الاصطلاح «الثالوث» وكتابه ضد باركسياس (ADV. PRAX) في غاية الأهمية أيضا لأنه يحاول شرح الوحدة القائمة بين الآب والابن والروح القدس ، وهذه الوحدة مؤسسة على التميز وليس على الانقسام ، أي أنه يجب التمييز بين الآب والابن والروح القدس دون فصلهم الواحد عن الآخر • ومع أن المعلم الأفريقي حاول جاهدا الابتعاد عن السقوط في الهرطقات التي كانت تهدد الكنيسة ، فقد انزلق انزلاقا خفيفا نحو عقيدة التبعية (SUBORDINATIONISME) عندما تعرض لشرح علاقة الآب بالابن •

(ط) كتابه عن الروح :

إن هذا الكتاب يعد من أضخم كتبه حجما إذا استثنينا كتابه ضد ماركيون • ففي هذا الكتاب يرفض أيضا الهرطقات المنتشرة كما أنه يرفض فكرة الوجود السابق للروح ، فهو يؤمن بن الروح والجسد

يصلان معا وفي نفس الوقت إلى الجنة • (انظر كتابه الروح 7 AME)
كما يعتقد أيضا بأن كل الأرواح تذهب بعد الموت إلى الهاوية ولا يفلت
من اندخول فيها إلا أرواح الشهداء المختومة بدم الشهادة : فهي التي
تذهب مباشرة بعد الموت إلى الفردوس (انظر 55 AME)

٣ - كتاباته عن النظام والآداب والتقشف :

فقد كتب تحت هذه المجموعة عدة كتب نذكر أسماءها فقط :

- ١ - إلى الشهداء ٢ - الملامى ٣ - زينة النساء أو مظهر
النساء ٤ - الصلاة ٥ - الصبر ٦ - التوبة ٧ - كتاب
إلى زوجته ٨ - حث على الطهارة ٩ - التزوج بامرأة واحدة
١٠ - كتاب عن غطاء وجه العذاري ١١ - التاج ١٢ - الهروب
في أثناء الاضطهاد ١٣ - عبادة الأصنام ١٤ - الصوم
١٥ - التواضع •

بجانب هذه الكتب توجد عدة كتب أخرى كتبها هذا الرجل العظيم
ولكنها ضاعت للأسف الشديد • وقد ذكر هو نفسه البعض منها في مؤلفاته
التي سبقت الإشارة إليها كما أن بعض الكتاب المتأخرين ! مثال جيروم
قد أشاروا إلى هذه الكتب •

ولقد حاول البعض إلصاق اسمه ببعض الكتب ، ولكنهم لم ينجحوا
في هذا الأمر •

تعاليم ترتليانوس :

إن تعاليمه متعددة الفروع وواسعة وكثيرة جدا كما سبقت الإشارة

إلى ذلك ، غلا يمكننا أن نتعرض لكل تعاليمه ولا حتى لجزء بسيط منها ، ولكن الذى يهمنا فى هذا البحث هو أفكاره الكرسولوجية ، وماذا كان يرى فى المسيح ؟

إن ترتليانوس كتب الكثير عن شخص المسيح ، عن « اللوغوس » ، عن ابن الله . إلا أنه كان مضطرا إلى أن يدافع عن الثالوث ، وفى دفاعه عن هذه العقيدة كان مضطرا بطبيعة الحال إلى أن يتكلم عن المسيح . ولكى نفهم تعاليم هذا الرجل والمواضيع التى حاول معرفتها ، يجب علينا أن نلقى نظرة على الظروف التى كانت تحيط به ، فإنه وجد فى ظروف مشابهة ، إن لم تكن أكثر تعقيدا من الظروف التى وجد فيها الكثيرون من الآباء المدافعين ، فكان يحارب إذن فى عدة جهات فى وقت واحد . إذ أنه كان يدافع عن عقيدة التجسد محاولا أن يشرح هذه العملية للدخلاء من الوثنية ، وللوثنيين أنفسهم ، هؤلاء الذين كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة ، وكانوا مشدودين إلى فكرة أن يسوع المسيح هو واحد من هذه الآلهة العديدة . كان يحارب أيضا ضد اليهود الدخلاء وغير الدخلاء الذين لم يروا فى يسوع المسيح إلا مجرد إنسان . كان يناضل أيضا ضد جماعة أخرى من اليهود رأت فى لاهوت المسيح تهديدا عظيما لوحدة اللاهوت ، وهى جماعة « وحدة الله » (MONARCHIANISME) وفوق هذا كله كان عليه أيضا أن يحارب الهرطقات الموجودة فى داخل الكنيسة وفى خارجها ، مثل أتباع ماركيون وفالنتينوس وغيرهما .

لقد قام إذن بحرب شعواء ، لا هوادة فيها ضد هؤلاء أجمعين . وكان عليه أن يتسلح لى يستطيع لا أن يصمد فقط ضد هجمات العدو ، بل أن يقوم هو بنفسه بعمليات هجوم ضد التعاليم الضالة والهرطقات الكاذبة فيهدمها هدمًا ويذكر قصورها الشامخة العالية . ولهذا السبب فقد حاول أن يبتدع مصطلحات جديدة وعديدة لى تعبر عن تعاليمه اللاهوتية دون أن يبتعد عن المكتوب .

ومن المشاكل اللاهوتية الضخمة التي تعرض لمعالجتها في كتابه الذي كتبه ضد باركسياس (PRAXEAS) مشكلة الثالوث ، ومما لا شك فيه عندما يتكلم أى لاهوتى عن الثالوث لا بد له بأن يتكلم عن شخص المسيح يسوع . والذي دفع اللاهوتى الأفريقى إلى الكتابة في هذا الموضوع هو انتشار التعاليم التي تسمى « بالمواد السيم » (MODALISME) ويمكننا أن نترجم هذا الاصطلاح بكلمة ، هيئة أو طريقة أو شكل ، أو اتصال .

وملخص هذه العقيدة التي كان يعلم بها باركسياس (PRAXEAS) في روما وانتشرت أيضا في قارطجنة أو كارتاج ، هو أن المسيح هو الله الآب ، فالمسيح ما هو إلا مظهرا من مظاهر الله أو بمعنى آخر ، فإن الله واحد وهذا الإله الواحد ظهر في يسوع المسيح في هيئة إنسان . وهو نفسه ظهر فيما بعد في شكل الروح القدس وحل على المؤمنين . فالآب والابن والروح القدس ما هم الا أسماء لا ألقاب (١) وفي حقيقة الأمر لا يوجد إلا شخص واحد وهو الله الذي استعمل طريقة معينة فأصبح ابنا أو أخذ شكل الابن ، وبطريقة أخرى أصبح هو نفسه الروح القدس . وهذا الآب هو الذي تألم ، ولذلك فقد سميت هذه الجماعة بالـ (PATRIPASSIANISME) « أى الآب الذي يحتمل الآلام أو الذي يشعر بالآلام » . والذي دفع هؤلاء إلى اختلاق هذا المذهب هو إيمانهم « بوحدة الله » (MONARCHIANISME) ، فلقد رأوا في مذهب الآب والابن والروح القدس نوعا من التعدد لا يمكن معه أن يكون هؤلاء الثلاثة إلهًا واحداً ، ولذلك فقد نادوا بأن الإله الواحد ، الله الآب ظهر بطرق مختلفة ، ظهر بهذه الطرق الثلاثة دون أن يتحول إلى ثلاثة آلهة ، بل هو نفس الإله ، نفس الآب الذي اتخذ هذه الطرق الثلاثة المختلفة .

(١) كلمة « ألقاب » لم تكن معروفة ومنتشرة في ذلك الوقت بالطريقة التي عرفت بها في نهاية القرن الثالث .

ومما لا شك فيه أن ترتليانوس نادى هو أيضا بوحدة الله ، ولكن هذه الوحدة هي وحدة الأقانيم ، فإن الله هو آب وابن وروح قدس ، هؤلاء الثلاثة أقانيم هم إله واحد ، الله الواحد المثلث الأقانيم من جوهر واحد . فهو يقول أؤمن بأنه يوجد جوهر واحد في الثلاثة (انظر DE PUD. 21, 12) . وكما سبق أن أشرنا فإن ترتليانوس هو أول كاتب لاتيني يستعمل الاصطلاح « التثليث » . وفي كلامه عن التثليث ، كان أول شخص أيضا استعمل الاصطلاح (PERSONA) الذي يمكن أن نسميه « أقنوما » (انظر ADV., PRAX. 12) . هذا الاصطلاح سيأعب دورا هاما جدا فيما بعد في المناقشات والمجادلات العقائدية في أثناء انعقاد المجالس المسكونية .

تعاليمه الكريستولوجية :

ما هي عقيدته في اللوجوس ، في المسيح ؟

مما لا شك فيه أن تعاليم ترتليانوس عن شخص المسيح تعتبر تقدما عظيما وخطوة واسعة بالنسبة لسابقيه . وبالرغم من ذلك فلم يستطع أن يهرب من الشرك الذي سقط فيه الكثيرون من سابقيه ، وهو مشكلة التبعية (SUBORDINATIONISME) فإن هذه المشكلة قد أتاها المدافعون من قبله ، فلقد حاول هؤلاء المدافعون شرح عقيدة اللوغوس ومتى وكيف ظهر ، قد حاولوا التمييز بين الكلمة الداخلى أو الساكن في الله LE VERBE INTERNE OU IMMANENT EN DIEU . وبين الكلمة الخارج أو المنطوق من الله أو الذى نطق به الله . وترتليانوس يعتقد بأن ظهور أو ميلاد اللوغوس بدأ بالتدريج ، فمع أنه يستعمل كلمة « حكمة » (SAGESSE) عند التكلم عن الكلمة ، والحكمة والكلمة صفتان يوصف بهما الأقنوم الثانى ، إلا أنه يميز بين الميلاد الأول لهذا الأقنوم ، الحكمة ، قبل الخليقة وبين الميلاد الكامل في لحظة

الخليقة ، عندما نطق الله هذا اللوغوس وأصبح الكلمة ، في هذه اللحظة أصبح الكلمة منظورا وكاملا ، فعندما كان الله ليكن نور ، كان هذا هو الميلاد الكامل للكلمة الذي خرج من الله ، الذي انبثق منه . فإن هذا ، الكلمة كان ساكنا في الله ، بحكمة ، كفكر (أم ٨ : ٢٢) . ولكن عند عملية الخليقة خرج هذا الحكمة ، وظهر هذا الكلمة اللوجوس من الله ، أو أن الله أخرج أو بثق منه هذا الكلمة ، فإن الكلمة قد انبثق من الله لكي يعمل معه في خلق العالم (أم ٢٢ : ٢٧) وبهذه العملية — أي عملية انبثاق أو خروج اللوغوس أو الكلمة من الله ، أصبح الله الأب أبا وأصبح اللوجوس المنبثق منه أو المولود منه ابنا . فهو الابن البكر لأنه ولد قبل كل خليقته بل إنه الابن الوحيد ، إذ أنه الوحيد الذي ولد من الله (انظر كتابه ADV, PRAX 7) ويواصل ترتليانوس شرحه بالقول بأنه بناء على ما سبق فالابن كابن ليس أزليا (انظر HERMOG 3 EP. 321) .

ومع ذلك فإن اللوغوس هو هو نفسه قبل وبعد الخليقة وترتليانوس لا يريد بهذه العبارة الأخيرة أن يقول بأن الابن هو شخص يختلف عن شخص اللوجوس ، بل إن صفة الابن أو الاصطلاح « ابن » لم يكن منذ الأزل بل كان نتيجة عملية انبثاق الابن من الأب .

وبما أن الابن انبثق أو خرج من الأب فهذا الأخير هو الجوهر الكامل أو الكلي ، وبناء على ذلك فإن الابن هو سبل من هذا الكل ، الأب هو كلى الجوهر (TOTA SUBSTANTIA EST) بينما الابن هو جزء من هذا الكل (DERIVATION TOTIUS ET PORTIO) .

ويستشهد ترتليانوس بكلمات المسيح التي تقول : « لأن أبي أعظم مني » (يوحنا ١٤ : ٢٨) . وتظهر فكرة التبعية أو أولوية الأب على (م ٣٤ — تاريخ الفكر المسيحي)

الابن أو سمو الآب على الابن في التشبيهات الكثيرة التي أعطاها لشرح هذه العقيدة ، فهو يقول بأن خروج الابن من الآب يشبه تماما خروج شعاع الشمس من الشمس . هكذا نطق الله الكلمة ، فإن الفرع يخرج من جذع الشجرة والنهر من ينبوع والشعاع من الشمس ، كل هذه الأشياء خارجة من مصادر ، ومولودة منها . وبناء عليه فإننا نقول بلا تردد بأن الفرع هو ابن الجذع ، والنهر هو ابن ينبوع والشعاع هو ابن الشمس . فإن المصدر هو أب لما ولد منه . وهكذا يمكننا أن نطبق نفس الشيء على الكلمة الذي دعى ابن الله ، فالفرع لم ينفصل عن الشجرة أو عن الجذع والنهر لم ينفصل عن المنبع ولم ينفصل الشعاع عن الشمس ، فإن الجذع والفرع هما شيئان متميزان ولكنهما متحدان (راجع كتابه ADV. PRAX 8) .

من هذا يتضح أن ترتليانوس لا يفرق بين جوهر الينبوع وجوهر النهر ، أو الجذع والفرع ، هكذا فإن الابن هو من نفس جوهر الآب وخارج منه ، وبما أنه خارج منه فهو خاضع له ، إن الابن هو جزء من الآب دون أن يتجزأ الآب . وهذا لا يعنى أن جزءاً فقط من الابن لاهوت ، كلا ، بل إن الابن كله لاهوت ، لأنه خارج من جوهر الله ، من لاهوت الله ، فهو إذن الله الآب هو ماء اللاهوت ، والابن خارج من هذا الماء (انظر APOL 21. 2)

نعم أن المعلم الأفريقي قد أعطى المكانة الأولى في الثالوث للآب والمكانة الثانية للابن والمكانة الثالثة للروح القدس^(١) إلا أنه أكد كثيرا وبشدة على حقيقة أن هؤلاء الثلاثة من جوهر واحد (PRAX 9) ومن هذا الجوهر أنبتق الابن للوغيوس والروح القدس ، هؤلاء الثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس ، جوهر واحد ووحدة واحدة يكونون الله المثلث الأقانيم .

ولقد رفض اليهود عقيدة الثالوث ، لأنهم خشوا قيام نوع من الصراع وانفصال والغيرة بين أفراد الثالوث ، الأمر الذي ترويه لنا الأساطير الوثنية ، أما ترتليانوس فيرى وحدة الثالوث بطريقة تختلف كل الاختلاف عن كثرة تعدد الآلهة في الوثنية ، فإنه فهم فكرة « الوحدة » في الثالوث (MONARCHIA) ، بأن الله الأب يظل سيدا للكون ويحتفظ بهذا السلطان ، ومع أنه يحتفظ بهذا السلطان فقد منح لابن وهذا الأخير يستعمل هذا السلطان في إنعالم لكي ينفذ به ما يريد الأب . وكل ما يريد الابن لا يختلف عن ما يريد الأب ، فلا نزاع إذن بين الأب والابن . لأن ما يريد الأب هو ما يريد الابن وينفذه الروح القدس . فلا صراع إذن في داخل الله ، وكل ما يوجد في هذه الوحدة المثلثة هو الانسجام والتوافق والمحبة .

يتعرض ترتليانوس إشكالة أخرى مختصة بالمسيح وهي طبيعته . ما هي هذه الطبيعة التي أخذها المسيح ؟ أمى طبيعة سماوية ملائكية أم أرضية بشرية ؟

فهو يعرفنا بأن نور الله الذي تنبأ عنه الأنبياء في القديم ، والذي انتظرتة الأجيال مدة طويلة ، نزل إلى بطن العذراء وصار جسدا . وفي ميلاده ولد إلها وإنسانا معا . فإن هذا الجسد الذي تبكون عن طريق الروح القدس والذي تغذى ونما وتكلم وعلم وعمل هو المسيح . (انظر APOC. 21, 14) . فإن كان اللوغوس أو الكلمة صار جسدا ، فما هي طبيعة العلاقة بين الجسد وبين اللوغوس ؟ وهل التجسد يعنى تغيير أو تحول الروح « اللوغوس » إلى جسد . أم أن الروح يظل غير متغير ويلبس فقط الجسد ؟ إن ترتليانوس يسمى هذه الحالة بعد التجسد حالة مزدوجة (UN DOUBLE STATUS) (انظر PRAX 11) وهو يعنى بذلك وجود طبيعتين في شخص المسيح ، ولقد شدد بوضوح

على وجود هاتين الطبيعتين في شخص المسيح • ففي المسيح توجد الطبيعة الالهية وتوجد الطبيعة البشرية ، اتحاد الالهى بالبشرى (PRAX 27) وفي هذا الاتحاد الالهى البشرى ، « اللوغوس » ، يسوع احتفظت كل طبيعة بمميزاتها الخاصة بها •

وإن هذا الاتحاد الالهى البشرى تم في شخص واحد ، في أقنوم الابن • على أن الروح المتجسد ، وهو الابن متميز عن الآب ، أى أنه ليس هو الآب ، كما أنه متميز أيضا عن الجسد الذى لبسه ، أى أنه ليس هو الجسد (انظر : PRAX 27) فالروح والجسد هما إذن جوهرى المسيح متميزان وغير مختلطين مع أنهما متحدان • وهو برفض أيضا الأفكار الروائية التى تعلم بأن اتحاد الجسد بالروح ينتج عنه شيء آخر من نوع آخر ، مزيج من الروح والجسد ، فلا هو روحا ولا هو جسدا • أما ترتليانوس فقد تمسك بعقيدة الطبيعتين في شخص واحد ، شخص المسيح يسوع ، الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية : فالروح لم يتحول إلى جسد بل إن « اللوجوس » صار جسدا • واحتفظ كل منهما بمميزاته الخاصة به ، فالجسد لا يصبح روحا ولا الروح يصبح جسدا ، بل إن الكلمة صار جسدا ، في صيرورته جسدا لم يلاش ما للجسد من مميزات خاصة به ، والجسد بدوره لم يخف كلية اللاهوت في داخله ، فإن كلا منهما يقوم بالعمل الخاص به • فاللوجوس كان يعمل المعجزات ، من شفاء المرضى ، وقيامه الأموات ، وإخراج الشياطين ... الخ ، أما مميزات الجسد فكانت ظاهرة أيضا في الجوع والعطش والآلام ، والاضطراب والحزن والبكاء ، والفرح ... الخ • هذا هو المسيح : طبيعتان ، طبيعة إلهية وطبيعة بشرية متحدتان بلا اختلاط كلى أو امتزاج (انظر : PRAX 27)

وبهذا أراد ترتليانوس أن يهاجم تعاليم بعض الوحدويين

(MONARCHIENS) الذين علموا بأن المسيح كان كائنا مكونا من الآب ومن الانسان يسوع في شخص واحد هو المسيح . وفي هذا المسيح الابن الذي هو اللاهوت والابن الذي هو الناسوت ، الواحد يدعى المسيح والثاني يدعى يسوع . ويعترض المعلم الأفريقي على هذا التعليم بالقول بأنه لا يمكن تقسيم اللاهوت والناسوت بين الآب والابن فالابن ليس الجسد ، ولكن الابن اتحدت فيه هاتان الحقيقتان ، أى اللاهوت والناسوت دون خلطهما أو مزجهما مزجا كليا (PRAX 27, 1) فإن اللوجرس موجود في الله وله كيانه ، ولكن عندما لبس اللوجرس جسدا ، أو بالعبارة الأصح عندما صار جسدا ، أصبح للابن حالتان : حالة اللاهوت وحالة الناسوت ، أو بعبارة أخرى أنه بعد التجسد أصبح للمسيح طبيعتان ، طبيعة إلهية وطبيعة بشرية ، وهنا يمكن أن نقول بأنه عن طريق هذا الاتحاد الإلهي والبشري في الأقتنوم الثاني ، يوجد في المسيح طبيعتان وجوهان . جوهر اللاهوت « اللوغوس » الذي انبثق أو خرج من الله ثم جوهر الناسوت الذي أخذه من مريم العذراء .

ولقد شدد ترتليانوس على هاتين الحقيقتين في المسيح : الله « اللوغوس » نفسه هو الذي كان في يسوع ، وجسد يسوع لم يكن جسدا خياليا أو ملائكيا أو هيوليا سماويا بل كان جسدا . مثل أجسادنا وله روح أيضا . مثل أرواحنا . ولقد كان تكوين يسوع الطبيعي كتكوين أى شخص آخر مكون من روح وجسد . ولا يمكن أن يكون المسيح إنسانا حقيقيا إن لم يكن مكونا من روح وجسد مثل أرواحنا وأجسادنا . (انظر DE RESURT CARNE, 40) . وبما أن المسيح كانت له روح مثل أرواحنا وكان يتألم مثلنا فقد صرخ على الصليب من شدة ما عاناه في الصليب .

ويعتقد ترتليانوس بأن موت المسيح تم عندما انفصلت روحه عن جسده (انظر MAR 4, 42, 6) .

إن ترتليانوس كان يعمل جاهدا لكي يهدم التعاليم المضلة التي نادى كل من الغنوسيين والماركيونيين الذين علموا بأن المسيح لم يكن له جسد حقيقي بشري بل إنه ليس جسدا سماويا ، فهو لم يولد من العذراء كما يعتقدون ، بل ولد عن طريق العذراء (أو في العذراء) ولقد علم غالنطينوس ، كما سبقت الإشارة ، بأن مرور الطفل يسوع من رحم أمه كان كمرور المياه عبر ثوب دون أن تمزقه ، فالعذراء مريم ظلت عذراء حتى بعد ميلاد يسوع . أما ترتليانوس فلا يقبل هذا الفكر ويرفض رفضا باتا نذراوية مريم بعد الميلاد . ويعتبر بأن التمسك بعذراوية مريم المستمرة بعد الميلاد يعتبر تعليما غنوسيا ، وكان جسد يسوع الذي مر من رحم مريم العذراء في أثناء الميلاد لم يكن جسدا حقيقيا . (ننظر (DE CARNE CHRISTI 23, 7 ; ADV. OCCARC. 4. 19, DE MONO, 8).

ونحن نعلن أن ترتليانوس على حق في هذا الأمر ، وندعو الكنيسة الكاثوليكية التي تقدمت في الناحية العقائدية تقديما ملحوظا تحسد عليه بأن تعيد النظر وتدرس ليس فقط هذه العقيدة الخاصة بعذراوية مريم المستديمة بل مواضيع عقائدية أخرى تقف حتى الآن في طريق وحدة الكنيسة التي يريدونها المسيح بأن تكون واحدا كما أنه والآب واحد .

والاله المحب القدير الذي سار مع كنيسته عبر الأجيال يستطيع أن يفتح عيوننا وقلوبنا فتمتلئ من محبته وعندئذ لا نسعى إلا لغرض واحد هو مجد المسيح وحده وانتشار ملكوته في العالم .

بعض المراجع عن تعاليم وشخصية ترتليانوس :

1. Adolphe Harnack. *Precis de L'histoire*. Traduit par Eugene Choisy. Paris. Societe Arrongme. 33 Rue de Seine 1893.
2. J. Liebaert., *L'incarnation des origines au concile de Chalcedoine* : Les editions du Cerf. pp. 85 - 92.
3. A. Grillmeier. pp. 166 - 184. نكر سابقاً
راجع هذه الصفحات فهو يعطى قائمة لكتب قيمة عن هذا الموضوع .
4. Marc Lods. p. 42. نكر سابقاً
5. J. Quasten. pp. 293 - 402. نكر سابقاً
راجع ايضا هذا الكتاب فانه يحتوى على قائمة مراجع هامة جدا .
6. J. F. Bethune-Baker, *Tertullian's use of substantia, nature and persona* : YTHST 4 (1903). 440 - 442.
7. C. Dodgson, *Library of Fathers* 10 oxford.
8. A. D'Ales. *La Theologie de Tertullien*. Paris 1905.
9. B. E. Roberts. *The Theology of Tertullian*. London 1929.
10. J. Morgan. *Importance of Tertullian in the Development of the Christian Dogma*. London 1928.
11. J. Berton. *Tertullien le Schismatique*. Paris 1928.
12. T. H. Brandy. *Tertullian's Ethic*. Guterslok, 1929.
13. B. B. Warfield, *Studies in Tertullian and Augustine*. Oxford, 1930, 1 - 109.
14. J. Riviera. *Tertullien : le dogma de la redemption*. Louvaine 1931, 140 - 164.

الفصل الخامس

كبريانوس OYBIEN

في دراساتنا لتاريخ الفكر المسيحي والعقائد لا يمكننا أن ننسى عملاقا آخر ظهر في أفريقيا ، وبالتحديد في قارطجنة أو كارتاج ، مدينة اللاهوتي العظيم ترتليانوس ، وهو القديس كبريانوس . وسوف لا نقف طويلا عند حياة هذا الرجل العظيم الشهيد أو تعاليمه ، فبالرغم من عظمة حياته الرعوية وشجاعته في قبول الاستشهاد ، وبالرغم أيضا من كتاباته الكثيرة والتي كان لها تأثيرها العميق على الشعب ، فإننا لا نرى جديدا في تعاليمه ، فهو لا يختلف فيها كثيرا عن ترتليانوس . فقد كان معجبا به كل الاعجاب لدرجة أنه كان يدرس مؤلفاته يوميا ويقول جيروم عنه : «لقد تعود أن لاينهي يومه قبل أن يكون قد قرأ بعض النصوص من كتابات ترتليانوس » ، وكان يقول لسكرتيه : «تكرم وأعطاني المعلم » . وكان يقصد بذلك ترتليانوس . (انظر JEROME DE VIR ILL 53) .

وكما سبق القول إنه لا يختلف كثيرا في تعاليمه عن ترتليانوس . وهو الأمر الذي يهمننا في دراساتنا لتاريخ العقائد المسيحية ، ولهذا السبب لا داعي للدخول في شرح تعاليمه ، ولكن للاستفادة التاريخية نلقى نظرة عاجلة على حياة هذا الشهيد .

ولد كاسيليوس كبريانوس CAECILIUS' CYPRIANUS بين سنتي ٢٠٠ ، ٢١٠ في أفريقيا • وعلى ما يحتمل في كارتاج (قارطجنة) ، ولقد نما وتربى في عائلة غنية جدا ومتقفة • ولقد اشتهر بالخطابة القوية المقنعة وبالبلاغة والفصاحة • على أنه كان يشمئز كل الاشمئزاز من الانحطاط في الآداب والأخلاق العامة والخاصة ، وعافت نفسه الفساد الذي كان يسيطر على الحكومة ، وينتشر في اداراتها وفي المجتمع بصفة عامة •

لهذه الأسباب كان يبحث كبريانوس عن حياة أفضل ومثل أعلى وأخلاق أرقى • وهنا هيا الرب له بأن يتقابل مع كاهن تقى ، اتخذ كبريانوس اسمه بعد العماد وهو كاسيليوس ، الذي قاده إلى قراءة الكتاب المقدس ، وعملت النعمة بروح الله فيه ، فتجدد هذا الغنى ، الفاحش الغنى ، فأعطى كل ثروته للفقراء (انظر JEROME DE VIR ILL., 67) وبعد التجديد كرس نفسه للخدمة وفي سنة ٢٤٩ اختاره شعب كارتاج أسقفا لدينتهم •

وما تآد يجلس على كرسى أسقفية أفريقية الشمالية ، حتى اندلعت الاضطهادات المؤلمة والشنيعة التي شنها الامبراطور دسيوس DECIUS أو DECE • وكانت هذه الاضطهادات في غاية العنف والقسوة حتى شملت كل دسيحي الامبراطورية بجمعتها ، فالاول مرة يتعرض المسيحيون لاضطهادات عامة تشمل كل الامبراطورية • لأن الامبراطور دسيوس أراد أن يعمم الديانة الوثنية ، ولذلك طلب من كل مواطن روماني أن يقدم ذبائح للوثن (١) •

(١) كان دسيوس امبراطورا على روما من سنة ٢٤٨ — ٢٥١ (انظر كتاب Quasten p. 404 - 405.

وذهب ضحية لهذا الاضطهاد عدد كبير من المسيحيين الذين بسبب تمسكهم بالايمان ولشهادتهم الحسنة ليسوع المسيح ، اضطروا للاستشهاد . أما الأسقف كبريانوس فقد كان في مكان آمن يستطيع منه أن يقود حركة المقاومة وأن يشجع المؤمنين الى التمسك بإله الآلهة ورب الأرباب .

وعندما انتهى كابوس الاضطهاد في سنة ٢٥١ باغتيال الامبراطور دسيوس ، بدأت كنيسة أفريقيا تتنفس الصعداء . ولكن هذه الفرصة لم تكن إلا كدلم حلو قصير ، فقد بدأت الاضطهادات من جديد . ونفى الأسقف كبريانوس بعيدا عن كارتاج في ٣٠ أغسطس ٢٥٧ . وعندما رجع بعد عام من المنفى : كان يعلم جيدا أن إقامته في هذه المدينة ، بل بقاءه في هذا العالم قصير جدا . لذلك فقد كان يعد نفسه للموت ، ولم يستغرق هذا الاعداد وقتا طويلا ، ففي يوم ١٤ سبتمبر سنة ٢٥٨ قطعت رأس هذا الأسقف الشهيد العظيم بالقرب من مدينة كارتاج (١) .

الفصل السادس

أوريجانوس (ORIGENE)

في رحلتنا العقائدية التاريخية نتقابل مع شخصية أخرى لعبت في تاريخ الفكر المسيحي دورا هاما جدا . بل دورا حاسما ومصيريا بالنسبة للتعاليم اللاهوتية التي كانت في دور التكوين والتطوير في ذلك الوقت . إن هذه الشخصية الفذة هي شخصية المعلم العظيم أوريجانوس المصري ، وقد كتب عنه كاستن (QUASTEN) : يقول : « لقد وصلت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية إلى أوج عظمتها في عهد خليفة أكليمندس ، وهو أوريجانوس . فلقد كان معلما لامعا وكلمة من المعرفة في الكنيسة القديمة . فهو رجل ذو شخصية ترفعت عن كل ضعف ، وقد حصل كمية كبيرة جدا من المعرفة والعلم جعلته من أكبر المفكرين والخلاقيين في العالم اللاهوتي كله (انظر QUASTEN P. 49) » .

ولحسن الحظ ، قد حفظ لنا التاريخ وثائق لا بأس بها عن هذا الرجل وعن حياته . والفضل في ذلك يرجع إلى المؤرخ الكنسي الشهير أسابيوس (EUSEBE) الذي كرس لأوريجانوس جزءا مهما جدا في المجلد السادس لتاريخ الكنيسة . كما أن القديس جيروم تكلم أيضا عنه (انظر (JEROME DE VIR ILL 64, 62)) وذكره فوتيوس (PHOTIUS)

في إحدى رسائله (PHOTIUS, BIBLIOTH COD 118 EPIST 33)

إن هذه الوثائق ووثائق أخرى تعرفنا بأن أوريجانوس المصري ،
وبالتحديد الاسكندري ، لم يكن وثيقاً . فقد كان أبوه ليونيداس
(LEONIDE) رجلاً تقياً يعرف الكتب المقدسة ، وفي الوقت نفسه كان
مثقفاً ومطلعاً على كتابات الوثنيين ، فلقد نشأ أوريجانوس منذ نعومة
أظفاره في جو مسيحي تقى ، يشتم كل يوم رائحة الصلاة والتأمل
والقراءات الكتابية التي كان يحرص أبوه كل الحرص على تسليمها لأولاده .
وهنا يتميز أوريجانوس عن كثيرين من المدافعين واللاهوتيين الذين
سبقوه ، إذ أنه ولد وتربى في جو مسيحي تقى فاضل .

ولد أوريجانوس لونيدياس في حوالي سنة ١٨٥ في مدينة الاسكندرية ،
وكان بكرًا لعائلة كبيرة العدد . وفي سن السابعة عشرة اجتاز هذا الشاب
التقى الرقيق الاحساس في اختبار أليم قاس ، عندما بدأ سفريوس
(SEVERE) اضطهاداته العنيفة ضد المسيحيين (سنة ٢٠٢) والتي
راح ضحيتها والده الرجل التقى لونيدياس ، وكثيرون آخرون من
المسيحيين . ويعرفنا أسابيوس بأن أوريجانوس الشاب كان يريد أن
يلحق بأبيه لكي يتمتع معه بشرف الاستشهاد ، وفي عشية اليوم الذي
استشهد فيه لونيدياس حاولت أمه أن تقنعه بكل الوسائل الممكنة
بالعدول عن هذا القرار فلم تفلح ، ولذلك خبأت كل ملابسها في الليل وفي
الصباح لم يجد نوباً واحداً للذهاب للمحكمة . وعندئذ كتب خطاباً إلى
أبيه يشجعه على الاستشهاد ويقول له حرفياً : « لا تغير رأيك بسببنا »
(راجع QUASTEN 88) .

بعد استشهاد لونيدياس ، صادرت الدولة كل أملاكه فلم يبق لهذه
العائلة التقية من متاع الحياة إلا دهنه زيت (٢ مل ٤ : ٢) هي عبقرية
الشاب أوريجانوس وعلمه . واستخدم هذا الشاب المطم دهنه الزيت

هذه في بادئ الأمر باعطاء بعض الدروس الخصوصية للأطفال • وبهذا العمل البسيط المتواضع كان الرب يعده لعمد أعظم ولما كان أسقى • فلقد حدث أن الاضطهادات العنيفة المريعة التي كانت تجتاحها كنيسة المسيح ، اضطرت الكثيرين إلى الهروب من نيرانها المحرقة ، حتى هرب بعض القادة • ومن الذين هربوا من وجه السيف ، الذي كان يحصد بلاشفقة شبابا وشيوخا ، المعلم أكليمندس • وبعد هروبه أصبحت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية الشهيرة ، مهددة ليس فقط بروح الفوضى وعدم النظام ، بل بالانقراض أيضا • وكيف يمكن أن تغلق هذه المدرسة التي كانت تعد العمود الفقري والمحرك ليس بالنسبة للكنيسة المصرية فحسب ، بل للكنيسة الجامعة ولهذا السبب ، عين الأسقف ديمتريوس DEMETRIUS الشاب النابغة !!عالم أوريجانوس مديرا لهذه المدرسة • وكانت مقدره أوريجانوس العلمية تفوق بمراحل كثيرة عمره الزمني • فعندما تعين مديرا لهذه المدرسة المظيمة كان في الثامنة عشرة من عمره ، وقد استطاع هذا الشاب أن يديرها بحكمة فاقت حكمة الشيوخ ، وكانت المسئوليات العديدة التي ألقيت على عاتقه ، محركا ودافعا له الى الانتاج اللاهوتي والأدبي ، الذي صار ثروة عظيمة لا تقدر للكنيسة على مر العصور •

ولم يكن أوريجانوس مديرا ولاهوتيا وأديبا فقط ، بل كان أيضا رجلا نفيا استطاع أن يترجم عمليا بحياته اليومية وتصرفاته مع الناس معنى الحياة المسيحية • ولقد قال عنه المؤرخ أسابيوس : « كانت حياته خير مفسر لأقواله » (انظر EUSEBE HIST. ECCL, 6, 3, 7)

كان مدير مدرسة الاسكندرية يحيا حياة التقشف والابتعاد عن اللذات العالمة • ويمكن أن نقسم حياته التعليمية إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى في حياته التعليمية ، تبدأ في سنة ٢٠٣ عندما كلفه أسقف الاسكندرية بإدارة المدرسة وتنتهي هذه الفترة في سنة ٢٣١ •

لقد استطاع هذا المعلم الشاب بعد أن استلم إدارة مدرسة اللاهوت بالاسكندرية أن يغزو لا الأوساط المسيحية فحسب ، بل أيضا الأوساط الوثنية التي أظهرت اهتماما كبيرا بتعاليمه ، فجاء إليه الكثيرون من مسيحيين وغير مسيحيين يتعلمون على يديه .

وكانت المواد التي تدرس في هذه المدرسة كثيرة ومتنوعة ، فلم يقتصر المعلم المصري على تعليم الكتاب واللاهوت ، بل كان يقوم أيضا بتدريس الطبيعة والحساب والهندسة والفلك ، والفلسفة وخاصة الفلسفة اليونانية . غير أن المعلم شعر بأن المجهود الذي يقوم به والمسئوليات العديدة الكثيرة تفوق قدرته البشرية ولذلك فقد طلب من تلميذه هراكلاس HERACLAS أن يساعده في العمل ، فأسند إليه تعليم المواد الابتدائية والتحضيرية . أما هو فقد كرس وقته للتدريس في قسم المتقدمين في الدراسة ، أي لتدريس اللاهوت والكتب المقدسة والفلسفة .

ولم يكن أوريجانوس سجيناً في مدينة الاسكندرية العظيمة ولما درستها الشهيرة ، بل كان يتغيب مرات كثيرة عن التدريس فيها لقيامه ببعض الرحلات . فإن المؤرخ أسابيوس يعرفنا بأن هذا الشاب المعلم قام برحلة إلى روما في سنة ٢١٢ لى يرى الكنيسة القديمة جسداً ، كنيسة روما . وهناك تقابل مع اللاهوتي الشهير المعروف والذي سيلعب هو أيضاً دوراً لا يستهان به في تاريخ الفكر المسيحي والعقائد ، وهو الكاهن الكاثوليكي « هيبوليتوس » HIPPOLYTE ويحتمل أنه ناقش معه بعض المشاكل اللاهوتية . ثم في سنة ٢١٥ قام برحلة أخرى ، ولكن في هذه المرة إلى الشرق ، وبالتحديد إلى العربية ، إذ أن حاكمها الروماني رجاء أن يحضر إلى بصرى لى يعلمه شيئاً عن المسيحية . ويحتمل أن يكون هذا الحاكم هو فورينوس جليانوس (FURNIUS, JULIANUS) .

ثم قام برحلة أخرى تعليمية إلى فلسطين ، ففي سنة ٢١٦ أمر

كاراكالا (CARACALLA) يخلق المدارس وسلبها ، فاضطر المعلم المصري إلى الهجرة إلى قيصريّة فلسطين . فرحب به الأساقفة هناك ترحيبا عظيما ، بل طلبوا منه أن يقوم بالوعظ والتعليم في مدارسهم وكنائسهم وعندما علم أسقف الاسكندرية بهذا الأمر انهال باللوم على زملائه الأساقفة في قيصريّة فلسطين لأنهم سمحوا لعلماني غير مرتسم أن يعلم في جُفرتهم . وطلب من أوريجانوس العودة حالا إلى الوطن . وقبل أوريجانوس أمرا أسفنه ديمتريوس ورجع إلى الاسكندرية لاستئناف العمل .

ومع أن وسائل الاعلام كانت محدودة وبطيئة في ذلك العصر ، وليس كما هو الحال في وقتنا الحاضر ، إلا أن شهرة هذا المعلم الشهير انتشرت بسرعة عجيبة ليس فقط إلى آذان قادة الكنيسة والحكام فحسب ، بل وصلت أيضا إلى الأباطرة .

فإنه والد الإمبراطور ألكسندر سيفريوس (ALEXANDRE SEVERE) طلبت أن تسمع هذا المعلم المسيحي الاسكندري ، فحضر المعلم المصري إلى أنطاكية مدفوعا بحرس إمبراطوري . ولا نعلم النتيجة التي وصلت إليها هذه المقابلة إذ أن المؤرخ أسابيوس لا يقول لنا شيئا فيما إذا كانت « بوليه ماميه » قبلت الإيمان أم لا . ويحتمل أن هذه الرحلة تمت في حوالي سنة ٢٢٤ (١) (انظر EUS. HIST. ECCL. 6, 84)

ولقد أرسله الأسقف ديمتريوس إلى بلاد اليونان لكي يدحض هرطقة ظهرت هناك . وبعد أن أنهى المعلم مهمته التي كلف بها ، توقف في طريق العودة في أورشليم لكي يرى أصدقاءه هناك . وعندئذ أراد الأساقفة

(١) لقد اختلفت الآراء في تحديد تاريخ هذه الزيارة وللتوسع في الموضوع انظر Quasten p. 50 - 50 ، كتاب د. أسد رستم ص ٩٤ - ١٠٢ ، المراجع المذكورة في هذا الكتاب .

والكهنة والشعب الاستفادة من وجود هذا العالم الشهير • ولكن المشكلة التي اعترضته هي أنه لم يكن كاهنا • ولكي يتجنب كل من ألكسندر أسقف أورشليم وثيوكتيستوس (THEOCTISTE) أسقف قيصرية اللوم الذي وجهه إليهما أسقف الاسكندرية لأنها سمحا لعلمانى بالوعظ في كنائسهما فقد قاما بسيامة أوريجانوس كاهنا حتى يتمكن الشعب كله من الاستفادة من وعظه وتعاليمه وعندما علم ديمتريوس بخبر سيامة أوريجانوس كاهنا غضب جدا واعترض على هذه السيامة التي اعتبرها باطلة • وعلل الأسقف ديمتريوس اعتراضه بأن أوريجانوس لم تتوفر فيه الشروط التي يجب أن تتوفر في الكاهن وذلك لأنه قد خصى نفسه •

وفي الواقع يبدو أن هذا الشاب الذي نشأ في جو تقى جدا متمسك بالكتاب ، تد طبق بطريقة حرفية وعملية في شبابه المبكر كلمات المسيح الواردة في متى (١٩ : ١٢) : « لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ما كوت السموات • من استطاع أن يقبل فليقبل » •

على أن المؤرخ أسابيوس يعلق على موقف ديمتريوس بالقول : « عندما رأى ديمتريوس أن أوريجانوس أصبح رجلا عظيما شهيرا ومعروفا لدى العالم كله ، لعبت المشاعر البشرية دورها في قلبه (انظر : EUSEBE HIST. ECCL. 6, 8, 4 وطلب ديمتريوس أسقف الاسكندرية انعقاد المجمع ، ولقد قطع هذا المجمع المعلم العظيم من عضويته في كنيسة الاسكندرية • ثم اجتمع مجمع آخر في نفس المدينة سنة ٢٣١ وقررن قطعه (شلحه) من الكهنوت •

وفي سنة ٢٣٢ عندما تتيح الأسقف ديمتريوس وجلس على كرسى أسقفية الاسكندرية أحدثلاميذه ومساعديه وهو هراكلاس (HERACLAS) ظن أوريجانوس أن الأمور قد تغيرت وحاول الرجوع إلى بلاده الحبشية

ليشرب من نيلها العذب الحلو اللذيذ ، الذى إذا شرب أجنبى منه لا بد أن يرجع مرة أخرى ليشرب منه ثانية ، فجاء هو الوطنى لكى يشرب من هذه المياه التى هو أحق الناس بها ، ولكى يقوم بالتحاليم التى كان يرى بلاده فى أشد الحاجة إليها . ولكن للأسف الشديد فإن الأسقف الصديق هراكلاس جدد الحرمان ضد أوريجانوس ، ولهذا فقد اضطر الى العودة إلى قيصرية فلسطين ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية فى حياته .

أوريجانوس فى فلسطين :

عندما رجع المعلم العظيم إلى فلسطين وجد القلوب والكنائس مفتوحة أمامه ، ولم يبق أسقف قيصرية أى حساب للحرمانات التى نطق بها زميله الاسكندري ، فطلب من أوريجانوس هذه المرة ليس التعليم فى الكنائس فقط بل أيضا أن يؤسس مدرسة لاهوت . وفعلا تأسست مدرسة اللاهوت التى قام بالتدريس فيها وادارتها المعلم المصرى لمدة عشرين عاما ، قام خلالها غذا الرجل ، الذى لا يعرف اليأس والتعب طريقهما إليه ، بالتعليم والتعذيب والارشاد ، وهكذا أصبحت هذه المدرسة بفضل منارة عظيمة فى محيط واسع كبير ترشد السفن إلى البر الأمين . وبفضلها وبفضل الذين تخرجوا منها انتشرت المسيحية فى هذه المنطقة ، وبدأت نهضة روحية مسيحية وحركة فكرية ثقافية ، كانت مصر فى أشد الحاجة إليهما . ولقد تخرج فى هذه المدرسة رجال عظام أمثال غريغوريوس العجائبي الذى لم يتفق مع أوريجانوس فى بعض العقائد ، ثم واثنيدوروس وفزيميليانوس . وفى هذه المدرسة ألقى غريغوريوس العجائبي خطابه الوداعى لتحاليم أوريجانوس ، وبهذا أعلن غريغوريوس انفصاله الرسمى عن جماعة أوريجانوس وعدم اتباعه لتحاليمه (انظر: QUASTEN P. 52) ولقد تعرض المعلم المصرى لعذابات تقشعر منها الأبدان فى أثناء (م ٣٥ - تاريخ الفكر المسيحى)

الاضطهاد النريع الذى شنه الامبراطور دسيوس (DECE) (١٤٩ - ٢٥١) والذى شمل الامبراطورية كلها تقريبا ، فقد قيد بسلاسل ثقيلة فى يديه ورجليه وعنقه وزج به فى سجن مظلم وكوى بالحديد ، وكان هم القاضى أن يحتفظ به حيا ليطيل عذابه ... ولكنه رغم هذه الآلام المبرحة ظل الرجل آمينا لسيدته (انظر EUS. HIST. ECCL. 6, 39, 5)

كان بهذا الاضطهاد والعذابات التى أضعفت جسده تأثيرها العميق والكبير على سحته حتى بعد أن خرج من السجن ، فمات هذا المعلم المصرى العظيم فى صور ودفن فيها فى سنة ٢٥٣ بعد أن جاهد الجهاد الحسن وأكمل السعى ...

كتابات أوريجانوس :

ربما يعتقد القارئ أنى أبالغ عندما أقول إنه لو بقيت كل كتابات أوريجانوس ، لكان كتاب فى حجم هذا الكتاب لا يكفى لذكر أسماء الكتب والمواضيع التى قام بدراستها ومعالجتها . ولكى نبرر هذا القول سأذكر حقيقة أخرى قد يندهش لها القارئ أكثر ، وهى أن القديس جيروم يعرفنا بأن المؤلفات التى كتبها هذا العبقري المصرى حوالى ٢٠٠٠ كتاب (الغنى كتاب) (انظر ADV. RU 2, 22 . وأما ابيفانوس (EPIPHANE) فقد قال : إن عدد كتبه يزيد على ستة آلاف كتاب (انظر EPL HAER, 63, 64) . على أن المعروف لدينا من هذه الكتب ثمانمائة كتاب فقط هى التى ذكرها القديس جيروم فى خطابه إلى بولا (PAULA) ، (انظر EPIST, 33) .

والسؤال الذى يفرض نفسه فرضا ، هو كيف يمكن لرجل مهما أوتى من مقدرة عامية وجسمية وثقافية أن يصل إلى بناء هذه الأهرامات الضخمة التى لا يمكن تنفيذها ماديا ؟ هل كانت الأرقام التى ذكرناها ،

ما هي إلا أرقام صفحات الكتب التي كتبها ؟ أى أن كتبه تحتوى على ٢٠٠٠ صفحة وليس ٢٠٠٠ كتاب كما يعتقد جيروم ؟ أو ٦٠٠٠ صفحة ، وليس ٦٠٠٠ كتاب كما يظن أبيفانوس ؟ فمن الناحية العملية لو كرس أوريجانوس حياته كلها للكتابة دون أن يقوم بأى عمل آخر غير الكتابة ، فلا يمكنه أن يصل إلى هذا الرقم !!!

عندما نلقى نظرة سريعة على تعاليمه وكتبه ، سنعرف أن هذه الأرقام كانت: فعلا كتبها • أما كيف استطاع ماديًا - أى من ناحية الوقت والمال - أن يبنى هذه الأهرامات الشامخة ، فذلك أن صديقا له يدعى أمبرواز (AMBROISE) كان غنيا جدا وقد تجدد على يده وترك الغنوسية بفضل تعاليمه • هذا الرجل طلب من أوريجانوس أن يسجل كل تعاليمه • ولهذا الغرض قام بتمويل سبعة أشخاص • الذين يجيدون الكتابة السريعة ، لمتابعة المعلم المصرى في أثناء قيامه بالتعليم والقاء المحاضرات والمناقشات والأنشطة الأخرى • وكانوا على ما يبدو يتناوبون العمل على دوريات مختلفة ؛ ولقد سهلت هذه العملية تسجيل ما علم به هذا المعلم • وما نأسف له ، هو أن هذه الأهرامات الطمية قد اختفت غالبيتها الساحقة ، ولم يبق لنا منها إلا عناوينها وبعض المقتطفات والاقتباسات التي اقتبسها الكتاب. الذين جاءوا بعده • (انظر 2 - 1 ، 33 ، 6 ، EUSEBE HIST, ECCL)

فما هي إذن كتبه ؟

مما سبقت الإشارة إليه ، يتضح أنه لا يمكننا الدخول في هذا المحيط العميق ، وذكر أسماء كل الكتب التي كتبها والتعليق عليها • وأذلك سنكتفى بذكر بعض !! كتب فقط •

يعتبر أوريجانوس أعظم معلم ومفسر للكتاب المقدس ، ولم يسبقه في ذلك مفسر ولا شارح للكتاب في كل تاريخ الكنيسة إلى عصره ، فاستحق

عن جدارة لقب مؤسس العلوم الكنسية ، (انظر QUASTEN P. 58) .

١ - ومن الأشياء العظيمة التي قام بعملها والتي كرس لها جزءا كبيرا من حياته ، ما يدعى بالكسابل (BIBLE SEXTUPLE) أى الكتاب المقدس ذى الأعمدة الستة . فلقد قام بوضع العهد القديم كله فى كتاب ذى أعمدة ستة ، ولقد وضع فى العمود الأول النص العبرى بأحرف عبرية . وفى العمود الثانى نفس النص العبرى بأحرف يونانية لتسهيل عملية النطق ، وفى العمود الثالث يذكر الترجمة اليونانية التى قام بها أكىلا اليهودى فى زمن هادريانوس (HADRIEN) ، وفى العمود الرابع الترجمة اليونانية التى ترجمها سيماك (SYMMAQUE) المعاصر لسبتيميوس سفريوس ، وفى العمود الخامس وضع الترجمة السبعينية ، وفى العمود السادس وضع ترجمة ثيودوثيانوس (THEODOTIEN) اليهودى التى قام بعملها فى سنة ١٨٠ ب م . وللأسف الشديد لم يبق من هذه التحفة العظيمة إلا بعض النصوص .

٢ - كتب تفسيراً لكل أسفار الكتاب المقدس ، ولكن للأسف الشديد لا يوجد حالياً تفسير كامل لأى كتاب من هذه الكتب . فلم يصل إلينا من التفسير الذى كتبه عن متى فى ٢٥ كتاباً إلا ثمانية كتب . ولا نملك أيضاً إلا ثمانية كتب من ٢٢ كتاباً لتفسير إنجيل يوحنا . ولقد كتب ١٥ كتاباً لتفسير الرسالة إلى رومية لم يبق منها إلا بعض الاقتباسات والمقتطفات التى اكتشفت حديثاً فى طرة سنة ١٩٤١ (جنوب القاهرة بحوالى ١٥ كيلو متر) . أما بخصوص العهد القديم فلا نملك إلا جزءاً من شرح نشيد الانشاد فى ٤ كتب من تسعة .

وهناك الكتب التى فقدت كلها تقريباً وهى ١٣ كتاباً لتفسير سفر التكوين ، ٤٦ كتاباً لتفسير ٤١ مزموراً ، ٣٠ كتاباً لتفسير سفر اشعيا ، ٥ كتب لتفسير المراثى ، ٢١ كتاباً لتفسير حزقيال ، ١٥ كتاباً لتفسير الانبياء

البصغار ، ١٥ كتابا لتفسير إنجيل لوقا ، ٥ كتب لتفسير رسالة غلاطية .
 ٣ - توجد أيضا مجموعة أخرى من الكتب وهي كتاباته الدفاعية
 وأهم ما كتبه أوريجانوس في الدفاع هو كتابه ضد سلس (CELSE)
 ثم ٤ كتب عقائدية .

وأهم ما كتبه في العقائد كتابه الذي يدعى :

٤ - المبادئ الأولى (LES PREMIERS PRINCIPLE) : وهذا
 المجلد يعتبر تقريبا الكتاب الأول من نوعه ، الذي يحاول فيه الكاتب
 شرح العقيدة اللاهوتية بطريقة نظامية ومبسطة . ويحتوي هذا الكتاب
 على أربعة مجلدات . ففي المجلد الأول أو الكتاب الأول يتعرض اللاهوتي
 المصري لشرح العالم غير الطبيعي ووحدة الله والثالوث . وفي الكتاب
 الثاني يتكلم عن العالم الطبيعي وخلق الإنسان ، السقوط ، والفداء ،
 والقيامة ، والدينونة . وأما في الكتاب الثالث فهو يتكلم عن اتحاد الجسد
 بالروح والصراع القائم بين الجسد والروح . وفي الكتاب الرابع يتعرض
 لمشكلة الكتب المقدسة .

٥ - إن الحفريات التي تمت في طرة سنة ١٩٤١ ، كشفت لنا عن
 كتاب يحتوي على نقاش دار بينه وبين هراقليطوس في بضرة في العربية ،
 عندما دعاه أخوة الكنيسة للذهاب إلى هناك لاصلاح الموقف وأرشاد
 هراقليطوس (HERACLIDE) إلى انصواب . وكان موضوع الحوار
 « الثالوث » (انظر HER 164, 9) .

نضيف إلى ذلك عظامه التي لا تحصى والتي لم يبق لنا منها إلا ٢٠
 عظمة فقط (انظر QUASTEN P. 60 - 62) .

ثم توجد كتب أخرى كثيرة لم يبق منها شيء بقايا ، أو لا نملك منها

إلا القليل ، ونذكر هنا البعض من عناوينها : القيامة ، خليط ، الصلاة ،
حبث على الاستشهاد ، المراسلات •

وكما سبق القول لا يمكننا أن نذكر كل ما كتبه هذا اللاهوتي العظيم •
ونتمنى أن يتخصص أحد الشباب في دراسة حياة هذا الرجل وتعليمه ،
لكي يقدمه للألم العربي تقديمًا أفضل وأشمل وأعمق من هذه المجالة التي
لا تلمس إلا القليل من بحر حياته •

المسيح يسوع في مفهوم أوريجانوس

تعاليمه الكرسولوجية :

ما هي عقيدة أوريجانوس في شخص المسيح يسوع ؟ إن اللاهوتي
المصري غنم هو أيضا بلاهوت وناسوت المسيح ، واستعمل الاصطلاح
« الله الانسان » (انظر كتابه DE PRINC 2, 6, 3) لكي يدل به على أن
الله لم يكن الله فقط بعد التجسد ، بل كان إنسانا أيضا • على أن تعاليم
أوريجانوس تعرضت لنقد لاذع شديد • وقبل أن ندخل في التفاصيل
الكرستولوجية نرى أنه من الضروري أن نلقى نظرة سريعة على مفهوم
أوريجانوس للروح ، لأن ذلك يساعدنا على أن نفهم عقيدته في « اللوغوس »
أي الكلمة •

كان أوريجانوس — على العكس من معلمه أكليمنديس ويوستيفوس —
يرجع كل شيء ليس إلى اللوغوس بل إلى الله • فإن أوريجانوس شدد
على حقيقة أن الله هو الأول ، وهو النشاط والطاقة والحياة ، فهو الخالق
الذي عن طريق الكلمة خلق كل الأشياء • فهو يعمل وينتج عن طريق الكلمة
أي « اللوغوس » ، الذي يستخدمه في عملية الانتاج والخلق • (انظر كتاب

• (١) (BONIFAS VOL 1, P. 150 - 153 HARNACK P. 100 - 103)
وعمنية الخلق كما يراها أوريجانوس عملية طويلة ، ولكن يمكن أن
نلخصها في المراحل الآتية : كما سبق القول إن الله في تعليم أوريجانوس
هو الأول ، وهو الله الخالق الذي كان منذ الأبد خالقا . فكل ما هو موجود
خلقه الله عن طريق كلمته أي « اللوغوس » . ولكن العالم الذي نراه الآن
والذي نحن منه ، ليس هو نفس العالم الذي خلقه الله في البداية عن
طريق كلمته ، اللوغوس . فإن الله خلق في البداية عنصرين هامين جدا
ساهما في تكوين العالم ، ومنهما تكون العالم الحالي .

العالم الأول أو العنصر الأول هو : الأرواح ، فإن الله خلق
الأرواح كخلائق تتمتع بحرية كاملة ، ولقد دعا هذه الأرواح للاتحاد مع
« كلمته » ، « اللوغوس » ، وعن طريق اتحادها مع اللوغوس تتحد أيضا
مع الله . وكانت هذه الأرواح كلها من جوهر إلهي ومتساوية في الذكاء
والقدرة والعمل ومعرفة الله ومحبة . ولقد دعوا كلهم إلى نفس المصير .
لكن كان ينقص هذه الخلائق أو الأرواح شيء واحد وهو عمل الخير ،
الذي يتوقف على استعمال الحرية التي منحها لهم الله . فقد تركهم أحرارا
لاختيار الخير أي الاتصال بالله والحياة معه أو اختيار الشر والحياة
بعيدا عنه .

أما العنصر الثاني الذي تكون منه العالم فهو المادة . فالمادة إذن
هي خليفة الله (وهنا يرفض أوريجانوس الفنوسية المتطرفة) ، ولكن
المادة التي خرجت من بين يدي الله منذ الأبد تختلف كل الاختلاف عن
المادة الحالية ، المادة الكثيفة الجامدة الثقيلة . فالمادة عندما خرجت من
بين يدي الخالق كانت مادة خفيفة منيرة ، لامعة شفافة سائلة ، كاملة
مهية لسكن الروح ، هذا الروح الذي كان لا بد أن يعمل من هذه المادة

(١) انظر في نهاية هذا الفصل المراجع كاملة .

مسكننا يليق بعمل الخير . لقد كانت المادة إذن عند خروجها من يد الله قبل الروح غير كاملة ، إن المادة والروح لم يكونا إلا ما سيصيران عليه بعد اختيارهما للخير أو للشر بحسب الحرية التي منحت لهما . فالكون بكل ما فيه ما هو إلا النتيجة الحتمية للاختيار الذي قامت به هذه الأرواح .

والذي حدث كما يظن أوريجانوس أن بعضا من هذه الأرواح التي خلقها الله ، اختارت بحرية كاملة الاتحاد بالله ، وبالمثلوغوس ، وبناء عليه فقد أظهرت محبتها وارتباطها الوثيق بالله . وهذه الأرواح تدعى الملائكة ، أى الطبقة المنيرة السماوية الممجدة . على أن بعض الأرواح الأخرى ثارت على الله ، وانفصلت عنه وعصت أوامرهم ، بل أعلنت حربا شعواء ضده وهم الشياطين ، الذين حكم عليهم بالسكن في المناطق المظلمة والنجسة ، وهى التى تثير الاضطراب وعدم الانسجام فى العالم .

وتوجد طبقة ثالثة من الخلائق ، وهذه الطبقة لم تتحد بالله كما فعل الملائكة ، ولم تعلن حربا ضد الله كما فعل الشياطين ، ولكنها أخذت موقفا وسطا ، فماتت تركت الله وانطوت على نفسها وأحببت ذاتها ، وهذه هى جماعة البشر . فإن الجسد والعالم الأرضى ، اللذين تسكنهما الأرواح البشرية هما النتيجة والعقاب لسقوط هذه الأرواح البشرية .

إن عملية السقوط كما يراها أوريجانوس ليست عملية وحيدة وفريدة ونتيجتها جماعية فى التاريخ ، ولكنها عملية فردية ، فإن كل نفس بشرية قد سقطت من العالم الإلهى السابق ، فإن أرواح البشر مخلوقة من زمن بعيد ، منذ خلقية الأرواح الملائكية والشياطين . فالأرواح البشرية سابقة إذن فى وجودها للأجساد التى تسكن فيها على الأرض الآن . ومسكن الأرواح فى الأجساد يمد عقابا لهما على تصرفاتها فى العالم السابق .

ومن هنا تنتقل الى الفكرة الرئيسية والهامة في موضوع دراستنا وهي عملية التجسد . فأوريغانوس يعتقد بأنه من المستحيل أن نتحد الطبيعة الالهية بجسد بشري ، ولكي تتم هذه العملية — عملية الاتحاد الالهى البشرى — كان لا بد من وجود وسيط . والوسيط الذى يلجأ اليه هو الروح البشرية الموجودة والمخلوقة قبل خلق الجسد ، فإن الروح بطبيعتها تدل مكانا وسطا ، ففى استطاعة الروح الاتحاد بالكله لكونها روحا وفى استطاعتها أيضا أن تتحد بالجسد لهذا السبب عينه . والأغرب من ذلك فى مفهوم أوريغانوس بخصوص أبدية الأرواح أو وجودها السابق ، هو أن عملية الاتحاد التى تمت بين اللوغوس وروحه البشرية ، قد تمت بعد الخليقة مباشرة ، إذ أن اللوغوس عند تجسده كان لا بد له أن يأخذ روحا بشرية ، وقد تمت هذه العملية ليس عند التجسد ، بل لقد حدث الاتحاد بين اللوغوس وبين روحه البشرية بعد الخليقة مباشرة ، أو بمعنى أدق إن عملية الاتحاد هذه تمت بين اللوغوس وروحه فى لحظة السقوط ، لأن الله دعا كل الأرواح المخلوقة بعد الخليقة للاشتراك والاتحاد معه ، على أن يكون هذا الاتحاد نابعا من قلب محب واردة حرة للاختيار .

ولم يوجد بين كل هذه الأرواح « الوسطى » إلا روح واحدة قد التصقت باللوغوس بطريقة قوية متينة ثابتة لا تعرف الانفصام . ولأن هذه الروح قد التصقت باللوغوس بهذه الرابطة القوية فلم تعرف طريق السقوط الذى هوت فيه كل الأرواح الأخرى ، وظلت ساكنة فى السماء ومتحدة باللوغوس . ولذلك عندما جاء ملء الزمان وعندما أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ، فإن هذه الروح التى كانت متحدة باللوغوس قبل التجسد صارت روحا للانسان يسوع بعد التجسد^(١) . « لقد اتحد

(١) انظر — بخصوص هذا الموضوع — المراجع التى سنذكرها فى نهاية هذا الفصل ، ثم انظر كتاب

Bonifas Vol. 1, pp. 151 - 159, 337 - 338

اللوجوس بالجسد عن طريق روح بشرية ، وهذه الروح هي نفس طاهرة لم تعرف الإسقوط (انظر هرنك PRECIS DE L'HISTOIRE ص ١٠٥ - ١١٠) .

إن هذه الروح التي قبلت باختيارها الشخصى وبمحدثها العظيمة، الاتحاد باللوجوس والالتصاق به ، هي نفسها باتحادها مع اللوجوس حلت في الانسان يسوع ، أو بعبارة أخرى صارت الروح البشرية ليسوع الناصري . فإن هذه الروح التي كانت متحدة باللوجوس قبل التجسد ، أصبحت انوسيط بينه وبين جسد يسوع الذي سكن فيه اللوجوس .

والسؤال الذي يعترض سبيلنا هو الآتى : ما هو نوع العلاقة القائمة بين اللوجوس وبين هذه الروح والجسد اللذين لبسهما ؟ إن العلاقة بين اللوجوس وبين الروح قائمة على المحبة والانسجام والطاعة، لأن هذه الروح قد قبلت ، منذ خلقها وبملاء حريتها هذا الطريق، أى طريق لم تعرف الإسقوط (انظر هرنك CONTRE CELSE, 1. 32) . وعندما سكن اللوجوس في هذا الجسد، في يسوع الناصري، وهو انسان كامل من ناحية تكوينه أى روح وجسد ، كان اللوجوس ابن الله يعمل في الانسان يسوع لكي يرفعه ويسمو به .

ومع أن أوريجانوس يقول إن الروح التي اتحد بها اللوجوس لم تعرف الإسقوط (انظر BONIFAS 337 - 338) فهو يقول أيضا إن هذه الروح تشبه تماما أرواحنا (انظر كتابه DE PRINC., 2, 6, 5) وإلا كيف كان يمكن للمسيح أن يخلص أرواحنا لو أخذ روحا تختلف عن الروح التي يجب أن يخلصها . ولكن على الرغم من ذلك فمع كونها شبيهة تماما بأرواحنا فإنها ظلت طاهرة قبل الإسقوط عن طريق اختيارها الشخصى الحز باتحادها باللوجوس ، كما ظلت أيضا بعد اتحادها بالجسد طاهرة نقية وبلا خطية .

وكان اللوجوس يرفع ويؤله تدريجيا الروح التي اتحد بها ،
وكانت الروح ترفع وتؤله هي أيضا بدورها الجسد الذي سكناه .

ويستعمل أوريجانوس مثل الحديد والنار لكي يشرح عملية اتحاد
اللاهوت بالاناسوت . فإن الحديد لا يحمر ولا يتحول إلى نار إلا بفعل
النار . هذا هو تأثير اللاهوت على الروح وعلى الجسد ، فإذا كان
الحديد قد أحمر وتحول إلى نار ، فالفضل في ذلك يرجع إلى النار ،
وإلى النار وحدها . فإن تأله روحه وجسده تدريجيا يرجع إلى اللوغوس
الذي سكن فيهما ورفعهما إلى هذه الدرجة ، درجة اللاهوت (انظر
كتابه DE PRINC., 2, 6, 3 ; 2, 8, 2 ; 2, 6, 5) .

من الاقتباسات السابقة وخاصة ما قاله في كتابه ضد سلس
(CONTRE CELSE 3, 41) يتضح بأن أوريجانوس يؤمن بأن
روح المسيح وجسده كانا يرتفعان ويتحولان تدريجيا إلى درجة اللاهوت
فهو يقول : « إن روح المسيح ، وحتى جسده ، تألها باتصالهما بالكلمة
« اللوغوس » . ويقول هرنك أن أوريجانوس كان يؤمن بأن اللوجوس
لم يكن سجين الجسد بل كان له السلطان أن يمارس ما كان يقوم به
سابقا ، بل كان يواصل اجتماعاته بالأرواح الطاهرة . وخلال هذه الحياة
على الأرض كان اللوجوس يمجّد ويؤله بالتدريج الروح وهذه الأخيرة
كانت بدورها تمجّد وتؤله الجسد (انظر هرنك PRECIS DE
L'HISTOIRE ص ١٠٥ - ١١٠) .

وهنا يبدو لنا الخطر المثلوق الوعر الذي كان يهدد أوريجانوس .
فمع أنه يكرر مرارا كثيرة ، وخاصة في شرحه للنصوص الآتية (يو
١٠ : ١٨ ، ١٢ : ٢٧ ، ١٣ : ٢١ ، متى ٢٦ : ٢٨) . أن هذه النصوص
تدل على ناسوت المسيح (انظر كتابه DE PRINC., 2, 6, 3)
إلا أنه يقول أيضا في بعض كتاباته بل في أماكن عديدة سبقت الإشارة
إليها ، بتأليه جسد المسيح .

ومن هذا يتضح أن هذا المعلم الذى نشأ في بيئة تشبعت بالغنوسية، كان يريد أن يعمل من الغنوسية الوثنية غنوسية مسيحية ، كما حاول ذلك قبله أكليمندس الاسكندري . والدارس المدقق لتعاليم هذا الرجل يلاحظ ذلك بلا غناء ، وخصوصا في شرحه لنظرية الخلق . لا ننكر بأنه استبعد الغنوسية التى تعتبر أن الله السامى لا علاقة له بالخليقة والمادة ، عندما اعترف بأن الله هو الخالق . على أنه يعترف بأن العالم الذى خلقه الله ، خلقه من مادة تختلف عن ما هو عليه الآن ، مادة خفيفة شفافة نقية ... الخ .

وهناك نقطة أخرى تبرهن على أن الرجل ، بالرغم من أنه نشأ في وسط مسيحي ، كانت لا تزال بعض رواسب الوثنية باقية فيه ، أو ربما كان لرغبته في ايجاد حل وسط يجذب عن طريقه الغنوسيين ، علم بأن روح المسيح قد خلقت منذ الأزل . كذلك أيضا رأيه في نظام الخليقة ، نشتم منه رائحة غنوسية . فمع أنه يستعمل العبارة «إنسان الله» عندما يتكلم عن يسوع المسيح لكي يشير إلى لاهوته وناسوته ، ولكن التصريحات التى سبقت الإشارة إليها تبين لنا أنه يريد أن يرفع جسد هذا الانسان يسوع إلى درجة اللاهوت . وهذا خطر عظيم .

والقارىء المدقق لتعاليم أوريجانوس يشتم منها كل أنواع الهرطقات ، إلا أنه استطاع أن يهرب من الكثير منها . فقد قال عنه هرنك ما معناه : « كان يمكن أن يتهم أوريجانوس بأنواع كثيرة من الهرطقات ، ولكنه استطاع أن يفلت منها بسبب الاحتياطات التى اتخذها » . (هرنك ص ١٠٩ ذكر اعلاه) فلقد كان اهتمامه الأعظم وشاغله الشاغل هو إبراز صورة اللاهوت «اللوغوس» ، الله .

إن اللاهوت طغى حتى كاد يخفى الناسوت تماما ، فمع أن الناسوت كان ظاهراً أمام العين المجردة ، ولكن في تعاليم أوريجانوس

نكاد لا نرى إلا إلهوت ، أو ناسوتا في طريقه إلى التآله . وهنا نتساءل أين إذن الله الانسان ؟ أين يوجد ناسوته إذا كان اللوغوس يؤله الزوج والجسد معا ؟

إننا لا ننكر فضل أوريجانوس في ادخال عقيدة الروح في التعاليم الكرستولوجية ، فلقد كان الأول الذي علم بهذه التعاليم في الكنيسة الشرقية ، عندما قال إن مخلصنا أراد أن يخلص الانسان روحا وجسدا (راجع DE PRINC., 4, 2, 4) ولكن للأسف الشديد ، إن تمسكه بفكرة الزوج ، قادتته إلى أفكار غريبة عن الكتاب المقدس وعن المسيحية . على سبيل المثال : عقيدته في أن وجود الأرواح سابق لوجود الأجساد . أى أن الروح موجودة قبل الجسد الذي تحل فيه وتمسكه . ومن أفكاره الغريبة أيضا أن الخلاص هو خلاص يشمل الجميع كونيا (COSMIQUE) فالمسيح انفاذى لا يفدى الجنس البشرى فحسب ، بل حتى الملائكة الساقطين (انظر BONTAS VOL. 1, P. 154)

وبما أننا رأينا فيما سبق علاقة اللوجوس بالروح وبالجسد ، وكيف أن اللوجوس يعمل على رفع وتآليه الروح ، والروح بدورها تعمل على رفع وتآليه الجسد . يجب أن نسأل هذا السؤال : ما هي العلاقة القائمة بين اللوجوس وبين الآب ؟ من هو اللوجوس بالنسبة للآب ؟

لقد سبق أن عرفنا بأن علاقة اللوجوس بروح المسيح البشرية قد بدأت عند السقوط وبالتحديد عندما اختارت الروح بمحض إرادتها الاتحاد ، عن طريق المحبة والطاعة الكاملة ، باللوجوس . ولهذا السبب ظلت هذه الروح الوحيدة في السماء ولم تسقط إلى السجن الأرضي .

وهكذا ظلت هذه الروح متحدة باللوجوس إلى يوم التجسد ، اليوم الذي فيه حلت في الانسان يسوع المسيح . فالانسان الكامل من الناحية الطبيعية مكون من روح عاقلة وجسد . وفي مفهوم أوريجانوس أن الأرواح موجودة ومفلوكة قبل الأجساد ، وكل الأرواح سجناء في الأجسام . أما روح المسيح فكانت في السماء مع اللوجوس إلى يوم حلولهما معا في الانسان يسوع الناصري ، فإن الانسان يسوع الناصري كان يتكون إذن مثل كل انسان من روح عاقلة وجسد ، ثم اللوجوس كان في هذا الانسان يسوع الناصري وبالتالي فهو « الله — الانسان » .

وهنا نطرح السؤال الذي طرحناه سابقا ، وهو : ما هي العلاقة القائمة بين اللوجوس والله ؟ أو بطريقة أخرى ما هي العلاقة القائمة بين الله الآب والله الابن ؟ من هو الآب بالنسبة للابن ومن هو اللوجوس بالنسبة للآب ؟

إن أوريجانوس يعلم بأن اللوجوس انبثق من الآب ، وهذا الانبثاق لا يعد تقسيما في ذات الله ، بل إن هذه العملية — أي عملية الانبثاق أو خروج الابن أو اللوجوس من الآب — هي عملية روحية . فالابن هو صورة الله الغير المنظورة وهو أيضا حكمة الله . فالابن بالنسبة للآب هو الحق . أما بالنسبة لنا فهو الذي يقودنا إلى الحق (انظر DE PRINC, 1, 2, 6) . وهذا الابن هو ابن أزلي لا بداية له ، فإنه موجود منذ الأزل ولا يوجد وقت ما لم يكن الابن موجودا فيه (انظر DE PRINC, 1, 2, 9 ; 2, 4, 4, 1) .

وكانى بأوريجانوس يرفض مقدمات الأفكار التي نادى بها فيما بعد أريوس ، الذي علم بأنه يوجد وقت ما لم يكن الابن موجودا فيه ، كما أنه يرفض عقيدة التبني ، أي أن يسوع أصبح ابنا بالتبني وليس بالطبيعة (انظر DE PRINC, 1, 2, 4) .

ثم يقول : « وبما أن الحكمة (الكلمة أو اللوجوس) انبثق من الله فهو الله ، ومولود من جوهر إلهي (انظر كتابه SAF., 7, 25) . ولكي يعبر أوريجانوس بطريقة صحيحة وواضحة فقد صاغ الاصطلاح الذي سيلعب دورا كبيرا في تاريخ العقيدة المسيحية وخاصة في مجمع نيقية (سنة ٣٢٥) وهو «أموزيوس» (OMOOUSIOS) ، والذي يعنى أن طبيعة الابن من طبيعة الآب . فبحسب هذا التعبير ، الابن من نفس جوهر الآب .

إذا اكتفينا بالاقتباسات السابقة فقط يمكن أن نقول مع كاستن (QUASTEN) بأن تعاليم أوريجانوس الكرسولوجية تقدمت بخطوات واسعة إلى الأمام ، على تعاليم المعلمين الذين سبقوه . على أننا نلاحظ أنه قد ترك لنا بعض النصوص في أماكن كثيرة أخرى في كتاباته لا تتفق وأقواله التي سبق أن أشرنا إليها بخصوص وحدة الجوهر وذاتيته . ويقول لودز (LODS) في تعلقه على مفهوم أوريجانوس للوغوس إن الوسيط بين الله والناس ما هو إلا إلهانثانيا (أو ثانويا) في عرف أوريجانوس ، هو ابن ، ولكنه مختلف عن أبيه في الطبيعة ، ومن المستحيل مساواته مع الآب ، فهو أقل منه درجة أي تابع للآب . لا يملك اللاهوت بل يتقبله من الآب ، فهو الله بالاشتراك في لاهوت الآب (انظر IN JOB 2, 2, 8) الآب وحده هو الله بذاته ، أما الابن فهو إله من درجة أدنى (انظر LODS P. 43) .

ويواصل لودز تعليقه بالقول بأنه توجد عبارات أخرى في كتابات اللاهوتي الإسكندري تدل على نفس المعنى كقوله (DEUTEROS THEOS) أي إله ثان أو ثانوي (انظر : CONT. CELSE 5, 35) بل انه يختلف عن الآب ليس فقط في تميزه كشخص آخر (IN JOB. 10) بل في الجوهر أيضا (انظر DE 15, 1) .

ومما لا شك فيه أن هذه العبارات التي ذكرها لودز ، وعبارات أخرى كثيرة ، خطيرة المعنى ثقيلة النتيجة ، قد أفلتت من قلم أوريجانوس . ولهذا السبب فقد اتهمه البعض بهرطقة التبعية (SUBORDINATIONISME) أى أن الابن أقل من الآب في الدرجة وتابع له . فالقديس جيروم يصفه بالتبعية دون أى تردد . على أن غريغوريوس العجايبى والقديس أثاناسيوس المصرى يبرآنه منها . كذلك بعض الكتاب الحديثين أهثال رنيون وبرات (REGNON, PRAT) فهما لا يوافقان على هذه التهمة (انظر: QUASTEN VOL. 1, P. 95) .

ومن هذا يتضح أن البعض يبرر اللاهوتى المصرى من هذه الهرطقة وأن بعض الآخر يرى في كتاباته ميلا صريحا للتبعية . والذي دفع البعض إلى أن يروا في أوريجانوس نوعا من هرطقة التبعية هي النصوص التي سبقت الإشارة إليها ، وخاصة النص الآتى : « ونحن الذين نؤمن بكلام السيد الذى يقول : بأن الآب الذى أرسله هو أعظم منه » ، وأنذى لا يسمح بأن يلقب «بالصالح» ناسب هذا اللقب للآب فانه بهذا يدين الذين يمجدون الابن بافراط ، فنحن نؤمن بأن المخلص والروح القدس يفوقان كل الأشياء المخلوقة ، في العظمة والسمو بلا وجه للمقارنة ، كذلك الآب يفوقهما في العظمة والسمو بدرجة سموهما وتفوقهما على كل الخلائق الأخرى (انظر IN JOB, 13, 15) .

إن هذا التصريح خطير وغريب ، لأن أوريجانوس قد رفض عقيدة «المود السيم» (MODALISME) بل انه تكلم عن الثالوث مرات كثيرة في كتاباته : IN 10, 139, 270 ; P. 14, 257 ; JOH., 5, 17 . (JES HOM 1, 4, 1 ; CUATT 15, 31 PAG 13, 1345....)

وبالرغم من رائحة الهرطقات العديدة التي يمكن ان نشتمها عندما

نقوم برحلة في حدائق كتاباته ، فقد كان أوريجانوس لاهوتيا عظيما ، فهو الذى أدخل في التعاليم اللاهوتية الشرقية عقيدة روح المسيح • ومما لاشك فيه أنه بالغ في ذلك وارتكب أخطاء عظيمة عندما علم بوجود الأرواح قبل وجود الأجساد • وهو الرجل الذى نادى أيضا بفكرة وساطة اللوغوس بين البشر وبين الله ، فباتخاذ روحا بشرية كأرواحنا وجسدا بشريا كأجسادنا ، أصبح إنسانا ، وفي نفس الوقت هو اللوجوس ، اللاهوت • بهذا الامتياز (إله - إنسان) استطاع أن يربط الله بالإنسان • وأوريجانوس يرجع كثيرا في تعاليمه إلى فكرة الروح واتحادها بالجسد فإنه يعتقد بأن الروح هو صورة اللوغوس ، واللوغوس هو صورة الله • كما أنه رأى في شخص المسيح المخلص والفادى • وهنا أيضا قد تطرف ، في فهم نظرية الخلاص : إذ أنه ظن بأن عملية الخلاص مقدمة للكون كله ، والفرصة متاحة للشياطين أيضا •

وهو يعتقد أن الكون كله سيخلص في النهاية ، ولكن بما أن الأمر متوقف على حرية الخلاق واختيارها ، فيكفى أن تحدث حادثة عصيان وعدم قبول الطريق الذى يؤدي للخلاص ، فتبدأ عملية الخلق من جديد • • • وهكذا تستمر هذه العملية ، أى خلق عالم جديد ثم سقوط ثم فداء • وهكذا دواليك • • • دون نهاية (انظر كتاب
(BONIFAS VOL. 1. P. 155) •

بالرغم من كل هذه الأخطاء اللاهوتية ، وبالرغم أيضا من خلطه بعض التعاليم الغنوسية والرواقية والأساطير الوثنية بتعاليمه المسيحية ، فقد كان لأوريجانوس تأثير عميق على كنيسة القرون الأولى • فبعد موته قادت جماعات لاهوتية تؤيد آراءه وتتحدى بها ، كما أن جماعات أخرى رفضت هذه الآراء ، وبين هاتين الجماعتين قامت المجادلات التى
[٣٦١ - تاريخ الفكر المسيحى]

تدعى فى تاريخ الفكر المسيحى «المجادلات الأوريغانوسية» التى ظهرت فى سنة ٣٠٠ ، ٤٠٠ ، ٥٥٠ ، فقد كان ضد تعاليم أوريغانوس كل من متوداوس الفيلبى وبيطرس الاسكندرى (METHOD DE PHILIPPES ET PIETRE D'ALEXANDRIE) ولقد دافع عن تعاليمه بامفيلوس القيصرى وبعد ذلك جاء فى سنة ٤٠٠ إبيفانس السلامنى (EPIPHANE DE SALAMINE) ثم بطريك الاسكندرية ثيوفيلوس لمهاجمة تعاليم أوريغانوس فأصدر قرارا سنودسيا ضد هذه التعاليم • على أن السنودس (الجمع) الذى عقد فى القسطنطينية فى سنة ٥٤٣ أصدر قرارا بخمسة عشرة حرفا على البعض من تعاليم أوريغانوس ، ولقد وقع على هذه الحرمانات البابا فيجيل (VIGILE) وكل البطارقة (انظر - QUASTEN P. 50) بالرغم من هذا كله فقد لعبت تعاليم أوريغانوس دورا عظيما فى حياة الكنيسة الأولى وتركت أثرا عميقا فى كثيرين من الآباء والمعلمين • وكم نتمنى لو أن الذين ينبشون بطون الأرض ، يكتشفون بعضا من مئات الكتب التى تركها هذا المعلم المصرى العظيم ، لتعطى لنا صورة مكتملة الجوانب عن تعاليمه بنوع عام ، وعن مفهومه لشخص المسيح بنوع بنوع خاص •

بعض المراجع لدراسة حياة وتعاليم أوريجانوس :

1. Adolphe Harnack. Précis de l'histoire. Traduit par Eugène Choisy. pp. 98 - 111 (Paris Librairie Fischbacher).
2. J. Liebaert. L'incarnation de origines au concile de Chalcedoine (Les éditions du cerf) pp. 93 - 107.
3. Francois Bonifas. Histoire des dogmes. de l'église chrétienne. Tome 1. pp. 143 - 159, 337 - 338 (Librairie Fischbacher).
4. A. Grillmeier. Le Christ dans la tradition chrétienne de l'âge apostolique à chalcédoine (451) Les éditions du cerf) pp. 192 - 202.
5. J. Quasten. Initiation aux peres de l'Eglise. tome 2 (traduction de l'anglais par J. Laporte) (Les éditions du cerf) pp. 49 - 122.
6. T. De Regnon. Etude de théologie positive sur la sainte trinité. Première série, deuxième série, 1892, troisième série Paris 1898.
7. F. Prat. Origene le théologien et L'exégète. 3e ed. Paris 1907.
8. G. Bardy, La règle de foi d'origene : RSR9 (1919) 162 - 196).
9. R. Cadiou. Introduction au système d'origene. Paris 1932
10. J.J. Maydiou. La procession du logos d'après le commentaire d'origene sur l'évangile de saint Jean : BLE 35 (1934) 3 - 16, 49 - 70.
11. W. Fairweather. Origen and Greek Patristic Theology. N.Y. 1901
12. H. Crouzel. Théologie de L'image de Dieu chez Origène. Paris 1950 (71 - 142):
13. B. F. Westcott, Origene : Dictionary of Christian Biography 4, 96 - 142.
14. G. L. Prestige. Fathers and Heretics. London, 1948 (43 - 66).

١٥. — الدكتور أسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى : منشورات النور — بيروت لبنان — الجزء الأول من ص ٩٤ — ١٠٢ .

الفصل السابع

القيسريون

تمهيد :

ما هي عقيدة الكنيسة الغربية في شخص المسيح يسوع ؟ كيف فهم الغربيون عملية التجسد ؟ من هو يسوع الناصري بالنسبة للكنيسة الغربية ؟

في عرضنا لتطور الفكر المسيحي عبر التاريخ في السؤال : « من هو يسوع المسيح » ، رأينا آراء مختلفة متنوعة ، ولقد سبق أن رأينا أن السؤال الذي سألته السيد لتلاميذه في قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إني أنا ابن الانسان ؟ » قد طرح على الكنيسة الأولى ثم على الكنيسة في الأجيال اللاحقة ، وما يزال هذا السؤال يطرح نفسه على الكنيسة كلها أينما كانت .

وفي دراستنا لتطور الفكر المسيحي حاولنا أن نرى الاجابات المختلفة الكثيرة ، التي أجابت بها الكنائس والجماعات والأفراد ، وبما أن هذا السؤال قد طرحه السيد على تلاميذه ، وكان ينتظر منهم جوابا يعبر عن إيمانهم وعقيدتهم في شخصه ، فإن نفس السؤال طرح أيضا وما يزال يطرح على كل الكنيسة في كل زمان وفي كل مكان .

ولذلك، فقد حاولت كل جماعة مسيحية أينما وجدت أن تجاوب على هذا السؤال . وفي الإجابة على هذا السؤال : « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان؟ » (متى ١٦ : ١٣) تضاربت الآراء واختلفت الأفكار . وظهرت المدارس الفكرية التى ولدت فيما بعد الطوائف الدينية ، فإن المدارس الفكرية والمذاهب الدينية ظهرت عندما ظهرت الإجابات المختلفة المتنوعة على سؤال السيد . إذ أن البعض قد رأى فى يسوع الناصرى ، المسيح ، اللوجوس ، الله الذى ظهر فى الجسد . والبعض الآخر رأى فيه إنسانا ومجرد إنسان . ولكنه إنسان نبي — على أن البعض الآخر رأى فيه إنسانا وحصل إلى درجة اللاهوت بعد العباد

والجدير بالذكر أن معظم هذه الآراء والأفكار والمدارس قد ظهرت فى الشرق ، بل يمكن أن نقول بأن الأغلبية الساحقة قد ظهرت فى الشرق . فإن الاسكندرية قامت بدور رئيسى هام جدا فى تاريخ الفكر المسيحى . ففي الاسكندرية تأسست أول مدرسة مسيحية لتدريس علوم اللاهوت ، المدرسة التى أسسها بانتيقوس فى سنة ١٧٩ . وحتى المدرسة الثانية (مدرسة قيصرية) والتى ولدت بعد نصف قرن من تأسيس مدرسة الاسكندرية ، كان مؤسسها مصرى أيضا وهو أوريجانوس الذى تتلمذ على يدى أكليمندس الاسكندرى ، وهذا الأخير كان تلميذا لبانتيقوس .

ففى الوقت الذى كانت فيه الكنيسة فى الشرق فى ثورة فكرية وفلسفية وعتائدية ، كانت كنيسة الغرب تجهل الكثير عن بعض التطورات اللاهوتية التى وصلت إليها أختها فى الشرق . فمع أن الكنيسة الرومانية لم تكن كنيسة منظوية على ذاتها ، بل كانت كنيسة حية نشطة جدا ، استطاعت أن تعلن رسالة الانجيل بلا خوف بل بشجاعة عظيمة لكثيرين ، إلا أنها ظلت من الناحية التعليمية واللاهوتية بلا إنتاج فكرى يذكر ، حتى

بداية انقرن الثالث . فبينما كانت كتب دفاع الشرقيين عن المسيحية وعن إيمانهم بالمسيح منتشرة في طول الامبراطورية وعرضها ، لا نرى في الغرب إلا نوعا من الالهواء ، أو ربما نوعا من الاعتماد والرجوع إلى ما قد قامت به الكنيسة الشرقية في دفاعها عن الايمان المسيحي ، وشرحها لايمانها في شخص المسيح . ولقد ظلت كنيسة الغرب في هذا النقص التعميمي اللاهوتي إلى بداية القرن الثالث . ويرجع ذلك إلى حقيقة أن الكنيسة الرومانية اهتمت كثيرا بتنظيم الكنيسة من الناحية الادارية والقانونية والاجتماعية والتبشيرية .

ففي بداية القرن الثالث ظهر مكتوب دفاعي كتبه مينوكيوس فيليكس (MINUCIUS FELIX) وبالرغم من سلاسة الأسلوب وفصاحة الكاتب ، فإنه لا يلمس الايمان المسيحي إلا من بعيد جدا . على أن هذا المكتوب لم يكن المكتوب الأول في الكنيسة الرومانية ، فلا يمكن أن ننسى اكليمنديس الروماني وآخرين ممن كتبوا عن الايمان المسيحي ، ودافعوا عنه ، ولكنهم كانوا قليلين عندما نقارنهم بكتاب ومدافعى الشرق . ومن بين المعلمين الذين ظهوروا وعلموا في روما عن شخص المسيح نذكر :

هيبوليت أو هيبوليتوس : (HIPPLYTE)

ولم يكن ظهور هيبوليتوس في بداية القرن الثالث شبيها بظهور المعلم المصرى بانتينوس في الاسكندرية أو أوريجانوس ، فإنه لم يقم بتأسيس مدرسة تحمل كلمة مدرسة بكل ما في الكلمة من معنى . بل قام فقط بنشر تعاليمه اللاهوتية . وجدير بالذكر أن حتى هذا المعلم الروماني يحتمل أنه كان شرقى الأصل . فإن كاستن (QUASTEN) يعتقد بأن هيبوليتوس لم يكن رومانيا ولا لاتينيا ، فان معرفته المدهشة للفلسفة اليونانية منذ بدايتها إلى عصره ، كذلك معرفته أيضا للعبادات السرية اليونانية ، والشخصية اليونانية ، تدل على أنه كان من أصل شرقى . كما

يلاحظ أيضا قرابة هلموسة بينه وبين تعاليم الاسكندرية ، فيما يخص عقيدة اللوغوس • فهو يونانى في تعبيراته وأفكاره ، ويعتبر أيضا آخر كاتب مسيحي رومانى كتب باليونانية •

يحتمل أن هيوليتوس ولد في ساردينيا (SARDAIGNE) بين سنتي ١٧٠ ، ١٧٥ ب م ، ورسم كاهنا في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية • ولقد نقل فوتيوس (BIB. COD. 121 PHOTIUS) عن فمه أنه كان تلميذاً للقديس ايريناوس اليونانى • ويحتمل أيضا أن المعلم الرومانى تقابل وتناقش مع اللاهوتى المصرى أوريجانوس عندما قام هذا الأخير بزيارته لروما سنة ٢١٢ • بل إن جيروم يعتقد بأن العظة المعنونة بعنوان : «اجلال أو تسبيح للسيد مخلصنا» قد ألقاها هيوليتوس في روما في حضرة أوريجانوس •

فإن كان هيوليتوس تلميذاً للقديس ايريناوس فلا بد أنه أتبع آثار خطوات معلمه في محاربة الهرطقات التى كانت منتشرة في هذا الوقت والتي قاومها بشدة القديس ايريناوس •

كان هيوليتوس عميق الفكر ، متسع الاطلاع ، امتدت معرفته الى عدة فروع مختلفة من العلوم ، ولقد توجهت هذه المعارف في هذا الرجل بهبة الوعظ • فقد كان خطيباً مفوها • ومع أنه قد طرق في تعاليمه وأبحاثه أبواباً لم يطرقها المعلم المصرى ، ومع أنه أيضا أنتج في كتاباته انتاجاً ضخماً جداً ، إلا أنه لم يستطع أن يصل إلى نفس الدرجة التي وصل اليها أوريجانوس في عمق الفكر والتجديد المستمر •

وتوجد نقاط كثيرة متشابهة في حياة المعلمين • فلقد رأينا أن سوء التفاهم الذي نشب بين معلم الاسكندرية وأسقفه ، أدى إلى قطع الأول

من الكنيسة وحرمة • هكذا هبت هذه العاصفة أيضا بين المعلم الرومانى وأسقفه كاليستوس (CALLISTE) • ولكن على وجه آخر ؛ فعندما حاول البابا كاليستوس تسهيل الأمور أمام المراجعين للإيمان بعد ارتدادهم عنه لسبب المخططات العنيفة القاسية ولأسباب أخرى • فقد ثار هذا المتكشف ثورة عارمة ضد البابا وأتهمه بالليوننة التى ستهوى بالكنيسة وتقاليدها الرسولية الى الحضيض • بل وصل به الأمر الى اتهام البابا بـ «هرطقة السابلينية»^(١) • وتفاقت الأمور بين الكاهن وأسقفه • والتفخون هيونيتوس جماعة من كنيسة روما وانفصلوا عنها واختاروه أسقفا ؛ فأصبح أول الذين يسميهم التاريخ فيما بعد بأضداد البابا (ANTIPAPES) • واقد استمر هذا الانقسام فى الكنيسة الرومانية حتى فى أيام البابا أربانيوس (URBAIN) ٢٢٣ - ٢٣٠ والبابا بونتينيوس (PONTIEN) (٢٣٠ - ٢٣٥) وظل هذا الانشقاق قائما الى أن تقابل كل من البابا بونتينيوس وهيوليتوس فى ساردينيا (SARDAIGNE) فى المنفى ، ويبدو أنهما تصالحا •

فى ٢٨ سبتمبر سنة ٢٣٥ استقال بونتينيوس لكى يسمح للكنيسة الرومانية أن تختار خليفة له • كما أن هيوليتوس تنازل هو الآخر عن منصبه وموقفه واتحدت الكنيسة الرومانية وتبددت الغيوم التى انتشرت فى سمائها ، وانتخب أنتروس (ANTEROS) بابا لها • ومات هيوليتوس وبونتينيوس فى جزيرة « الموت » وقد أمر البابا غابيانوس (FABIEN) (٢٣٦ - ٢٥٠) بإحضار جسديهما الى روما • فدفن بونتينيوس بجوار القديس كاليستوس فى ناووس (مقبرة الباباوات) ، كما أن هيوليتوس دفن هو الآخر فى مقبرة فياتبورتيانا (VIA TIBURATIAN) واحتفل بدفنهما فى نفس اليوم وهو ١٣ أغسطس سنة ٢٣٦ أو ٢٣٧ ، وفى هذا

(١) سنرى فيما بعد عقيدة وتعاليم السابلينية •

اليوم تحتفل الكنيسة باستشهاد القديس هيوليتوس •

كتابات هيوليتوس :

ومع أن الكتب التي كتبها هيوليتوس عديدة جدا ، إلا أنها واجهت نفس المصير الذي واجهته كتابات الكاتب المصري أوريجانوس • ولا نملك حاليا إلا عددا قليلا جدا من كتاباته اليونانية • ولكن وصنت إلينا بعض كتاباته في لغات أخرى مترجمة إلى اللاتينية ، والسريانية ، والقبطية والعربية والأثيوبية ...

ومن أهم ما كتب المعلم الروماني ، المجموعة التي تتكون من عشرة كتب والتي تدعى :

(PHILOSOPHOUMENA OU, REFUTATION DE TOUTES LES HERESIES). « رفض كل الهرطقات » :

ونقد ضاع — لسوء الحظ — من هذه المجموعة الكتابان الثاني والثالث • أما بقية هذه المجموعة فقد اكتشفها منوادي ميناس (MINOIDE MYNAS) في سنة ١٨٤٢ مكتوبة باليونانية في أسلوب القرن الرابع عشر • وعندما قام ميللر (M.E. MILLER) بطباعتها في سنة ١٨٥١، نسبها إلى أوريجانوس ولكن في الطبعة التي قام بها دنكر (DUNKER) في سنة ١٨٥٩ نسب هذه المجموعة بطريقة واضحة ونهائية إلى هيوليتوس لأن مؤلف هذه المجموعة يذكر في مقدمتها كما في فصلين آخرين بأنه هو الكاتب لكتاب « جوهر الكون في تاريخ العالم » ومن المؤكد أن كاتب هذين الكتابين هو هيوليتوس (انظر : QUASTEN ص ١٩٣ — ١٩٩) • لقد ضاع الكتابان الثاني والثالث من هذه المجموعة ، فالكتاب الأول عبارة عن تلخيص لتاريخ الفلسفة اليونانية ، وهو ركيك الأسلوب •

أما الكتاب الرابع فيتكلم عن الفلك وعن السحر ... والجزء الثانى من هذه المجموعة يحتوى على الكتاب الخامس إلى الكتاب التاسع . ولقد حاول المؤلف أن يشرح العقيدة الصحيحة رافضا ومفندا آراء الهرطقة ؛ ولذلك فإن هذا الجزء يعتبر فى غاية الأهمية لأنه يعطى لنا فكرة عن تاريخ الهرطقات الغنوسية . وفى الكتاب العاشر من هذه المجموعة : يقدم أنا سجلا تاريخيا لليهود ثم تفسيرا للعقيدة الصحيحة . ويحتمل أن هذه المجموعة كتبت بعد موت البابا كاليستوس ، إذ أن الكاتب يذكر أن البابا كاليستوس مات سنة ٢٢٢ : عندما كان هيوليتوس يقوم بكتابتها . إن هذه الكتب لم يذكرها الكاتب نفسه فى قائمة كتبه ولا أسابيوس فى تاريخ الكنيسة (٦ : ٢٢) ولا جيروم .

٢ - كتب هيوليتوس كتابا آخر يدعى (LE SYNTAGMA) وأسابيوس يعنونه بعنوان : « ضد كل الهرطقات » (انظر EUSEBE. HIST. ECCL. ويذكر المؤلف ٣٢ هرطقة .

٣ - ضد المسيح (ANTICHRIST) : وهو الكتاب العقائدى الوحيد الذى وصل إلينا كاملا . والكاتب موجه الى شخص يدعو هيوليتوس الأخ المحبوب ثيوكيلوس . ويعطى الكاتب ملخصا لهذا الكتاب فى الفصل الخامس . ويشرح فيه الكيفية التى سيأتى بها ضد المسيح ، ومن هو ضد المسيح ، وفى أى وقت سيأتى .

٤ - كتب تفسيرية : لقد كتب عدة كتب تفسيرية للمهدين ، وكان يتبع فى تفسيره نفس الطريقة المجازية التى اتبعها معلم الاسكندرية . على أنه يجدر بنا أن نذكر هنا أن هيوليتوس هو الوحيد الذى أعطى لنا فى كتابه الرابع لتفسير سفر دانيال تحديدا لبعض التواريخ التى لم يذكرها أحد من الآباء فهو يظن بأن المسيح ولد يوم الأربعاء ٢٥ ديسمبر .

في السنة الثانية والأربعين من حكم الامبراطور أغسطس ، وأنه مات في يوم ٢٥ أبريل •

٥ — كتاب عن الفصح : كتبه في حوالي سنة ٢٢٠ •

٦ — كتب وعظية : وليس من السهل التمييز بين كتبه الوعظية والتفسيرية ، لأن معظم تفاسيره تنهج المنهج الوعظي •

٧ — عظات أو تعاليم ضد الهرطقة •

٨ — كتاب ضد اليهود •

٩ — التقليد الرسولي : وهذا الكتاب ذو أهمية عظيمة ، فهو يحتل الدرجة الثانية بعد الدسقولية • لأن الكاتب يصف لنا نظام الكنيسة القديمة فيتكلم عن النظم والفرائض التي كانت تمارسها الكنيسة في هذا الوقت : العشاء الرباني ، العماد ، الدرجات الكهنوتية •

إن هذه الكتب التي ذكرناها ليست إلا بعضا من كتابات هيوليتوس العديدة جدا ، ولقد ضاع الكثير منها • وجيوم يذكر لنا عدة كتب أخرى لا نعرف شيئا عن محتوياتها لأنها ضاعت تماما مثل كتاب عن البكون ، كتاب بعنوان ضد اليونان ، كتاب عن أفلاطون (انظر 32 : 10 PHILO) ثم كتابه ضد هراطقة أرثيمون (ARTEMON) الذي ذكره أسابيوس (HIST. ECC. 5 : 28) وكتابه عن القيامة الذي ذكره جيوم (DE VISILLE, 61) .

كما ينسب أيضا الى هيوليتوس قائمة الكتاب المقدس التي اكتشفها موراتاري (MURATORI) في سنة ١٧٤٠ •

تعاليم هيوليتوس الكرسولوجية :

كيف فهم هيوليتوس فكرة اللوجوس أو المسيح ؟
 إن معلم روما قد سلك في نفس الطريق الذي سلك فيه يوستينوس
 وتاتيانوس وأنيناغوراس وثيوفيلوس وترتليانوس ، في تعاليمه عن
 يسوع المسيح . إلا أنه شذذ أكثر منهم جميعا على عقيدة التبعية (١)
 (SUBORDINATIONISME) إذ أنه لم يكتف بالتمييز بين الكلمة
 الداخلية أو الكائنة في الله والكلمة المنطوقة كما فعل ثيوفيلوس . بل قدم
 نظرية تختلف نوعا ما عن كل النظريات التي سبقت الإشارة إليها فيما
 يختص باللوغوس . ويعتقد هيوليتوس أن عملية ظهور اللوغوس كانت
 عملية تطويرية مرت بعدة مراحل يمكننا أن نلخصها في ثلاث :

١ - المرحلة الأولى :

فمنذ البدء وقبل الخليقة كان الله وحيدا مع ذاته . ومع ذلك لم
 يكن قط وحيدا ، لأن الله لم يتجرد قط من التفكير والعقائد والحكمة
 والطاقات . فقد كان الله وحيدا ولكنه في نفس الوقت « جمعا » (انظر
 كتابه ضد نيوتس (10 - 11) NOETOS) . كان « جمعا » لأن الفكر
 أو العقل أو عبارة أصح « اللوجوس » كان فيه ، كان في داخله ، فعندما
 كان الله وحيدا في البداية وقبل بداية كل البدايات ، لم يكن في حقيقة
 الأمر وحيدا إذ أن الفكر (اللوغوس) ، الكلمة LE LOGOS كان ملازما
 له ، فقد كان اللوغوس إذن في الله كالفكر في الإنسان .

وبما أن الله موجود قبل كل الوجود فاللوغوس موجود أيضا قبل

(١) فكرة أن الابن تابع للآب وخاضع له ، وأنه أقل منه درجة ، فالآب
 أعظم من الابن وبناء عليه فإن الابن أقل من الآب .

كل الوجود وأزليته مساوية تماما لأزلية الله ولا يوجد وقت ما لم يكن اللوغوس غير موجود فيه ، لأنه لا يمكن أن نتصور الله بلا حكمة أو بلا عقل لأن اللوغوس هو فكر الله ، هو العقل الذى كان ساكنا فيه بطريقة غير منظورة أو معروفة إلا منه . فالمرحلة الأولى لوجود أو ظهور اللوغوس هي المرحلة التى كان فيها الكلمة أى اللوغوس ، كفكر الله ، أو الله مفكرا (انظر كتابه (10 - NOEL ثم PHIL0, 10. 33) .

٢ - المرحلة الثانية :

إن الله المفكر رأى في علمه السابق خلق العالم وبدأ في تنفيذ هذه الخطة بتكليف اللوغوس بالقيام بهذه العملية . ولكى يقوم الكلمة ، اللوغوس ، بعملية الخليفة مع الله ، فلقد أخرجه الله من ذاته أو نطقه خارجا عنه . فان هذا الفكر الداخلى الذى كان كامنا في الله أصبح بعد عملية الانبثاق وقبل الخليفة حقيقة منظورة معروفة خارجا عن الله . ففى عملية الانبثاق أو عندما نطق الله اللوغوس وأخرجه خارجا عنه ، أصبح الفكر الذى كان كامنا في الله ، وفي داخله ، خارجا عنه . وهذا الفكر الذى أصبح خارجا عن الله هو « اللوغوس » ، وبما أنه خارج من جوهر الله نفسه فهو إذن بكره ، وهو أيضا نفس الله ، على أنه ليس الله في ذاته وبذاته . فهو النور الخارج من النور والشعاع الخارج من الشعاع .

فإن الله الذى كان يملك في داخله اللوغوس في وقت ما قبل الخليفة ، قد بثق أو أخرج من داخله الكلمة أى اللوغوس ، كصوت أو كصور أو كشعاع . وعندئذ أصبح فكر الله الذى كان مخفيا فيه ، حقيقة خارجة عنه . فقبل هذه العملية أى عملية اللفظ أو الانبثاق ، لم يكن اللوغوس إلا فكرا في داخل الله ، أما بعد عملية الانبثاق أو الخروج أصبح اللوغوس خارجا عن الله أو أمامه يراه وجها لوجه . وفيما بعد ، أى بعد

الخليقة ، صار منظوراً ولموسا ليس فقط لله بل منظوراً أيضاً من الخلائق . فبعد الخليقة التي ساهم في عملها اللوغوس والتي من أجلها ولدناها لفظه !!له خارجاً عنه أو أخرجه خارجاً عنه ، يقوم الكلمة أي اللوغوس بدور آخر ، هو العناية والقيادة ، فهو يعمل على تنفيذ إرادة الله . وهو أيضاً الذي يقود البشر ويرشدهم إلى الطريق الصحيح . وهو أيضاً الذي ظهر للآباء والأنبياء في العهد القديم (انظر كتاباته الآتية . (PHILO 10 : 33 ; CONTRE NOETOS 10 - 11, HIPF - HAER 14, (NAUTION 257. 5 - 7 ; 10 NAUTIN 257. 4 -

ويسمى هيولييتوس هذه المرحلة التي كان يتراءى فيها اللوغوس أو الكلمة لبعض الأنبياء وبعض الآباء مرحلة « اللوغوس أساركس » (LOGOS ASARKOS) أي اللوغوس بدون جسد (انظر : (PHILO, 10 - 33 ; HIPPOL. DE CHRISTO ET ANTICHR, 4 ED. ACHEBIS).

٣ - المرحلة الثالثة :

وتبدأ المرحلة الثالثة في تطور اللوغوس عندما يأمر الله كلمته ، اللوجوس ، بأن يشارك البشر حياتهم مشاركة كاملة وحقيقية . وعندئذ يطيع الابن اللوغوس أمر الآب فيتجسد ويصبح لوغوس - جسد (LOGOS - SARK) أو (LOGOS, ENSARKOS) أي اللوغوس في الجسد أو الكلمة في الجسد ، « الكلمة صار جسداً » . فيدخل اللوغوس في جسد شبيه بأجسادنا تماماً ومن نفس « عجبتنا » . والدليل انقطاعه على أن الابن ، اللوغوس ، كان من نفس طبيعتنا البشرية أنه كان خاضعاً لقوانين طبيعتنا ، إذ أنه كان يجوع ويعطش ويتألم ويحزن ويبكى ويفرح ، بل إنه تألم حتى الموت وذاق فعلاً الموت . على أنه انتصر في نهاية الأمر على هذا الموت بقيامته . ففي يسوع المسيح توجد طبيعتان ،

يوجد لكائن إلهي « اللوغوس » ، ثم الإنسان الذي اتحد به اللوغوس في شخص يسوع (انظر PHILOS., 10. 33, 34) .

في هذه المراحل الثلاث التي ذكرناها أعلاه يلخص هيولييتوس مفهومه لتطور اللوجوس ، فإنه يؤمن بأن اللوجوس كان في البدء فـكر إله الكامن فيه ، وعندما نطق أو أخرج الله هذا الفكر ، هذا الكلمة خارجا عنه ، صار الكلمة الموجود أمامه والمنطور والمعروف ليس من الله فحسب بل منظورا ومعروفا من الخلاق أيضا ، ولقد أصبح هذا الكلمة ، اللوجوس ، منظورا ومعروفا وملموسا بطريقة حسية عندما لبس جسدا وصار إنسانا .

ولقد أراد اللاهوتي الروماني بهذه النظرية أن يهدم تعاليم « المودالسيم » (MODALISM) التي ستعرض لشرحها بالتفصيل فيما بعد . فإن هذه الجماعة اعتقدت بأن الآب والابن والروح القدس ليسوا هم ثلاثة أقانيم ، بل ثلاث هيئات أو طرق فيها أظهر الله نفسه فإن الله الآب هو نفسه الله الابن هو نفسه الله الروح القدس ، فقد ظهر كالله الآب في أيام الآباء ثم ظهر كالله الابن في يسوع المسيح في أيام التجسد وأخيرا ظهر كالله الروح القدس في يوم الخمسين وفي أيام تأسيس الكنيسة . ولكي يهدم هيولييتوس هذه النظرية التي لا تميز البتة بين الآب والابن والروح القدس ، والتي تنادي بأن هذه الألقاب ، أب ابن وروح قدس ، ما هي إلا أسماء قد أعطيت لنفس الشخص لكي تشرح ثلاث هيئات أو مراحل مر بها نفس الشخص . فقد شدد على التمييز بين الأقانيم وأنها لا تعبر عن حالة أو عن هيئة أو مرحلة وجد فيها ، أو لبسها أو مر بها نفس الشخص ، بل أن هذه الأقانيم انثلاثية حقيقة إلهية ، وأن الآب ليس هو الابن ولا الابن هو الروح القدس ، فإن هؤلاء ثلاثة أقانيم وليسوا ثلاث هيئات أو طرق ظهر بها الله الآب .

ومما لا شك فيه أن هيوليتوس كان على عين الصواب عندما حاول أن يميز أقنوم الآب عن أقنوم الابن وعن أقنوم الروح القدس . فان هؤلاء الثلاثة هم جوهر واحد ولكنهم ليسوا أقنوماً واحداً بل ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس . فمع أنه كان محققاً كل الحق في التوكيد الشديد على التمييز بين الثلاثة الأقانيم إلا أنه لم يستطع أن يبعد قدميه عن منحدرات الانزلاق الخطيرة .

فإن نهومه اللوغوس كان يتعارض مع مفهوم الموداليسم الخاطئ كما أنه كان يتعارض أيضاً مع مفهوم كل من البابا زيفرنيوس (ZEPHYRIN) ثم البابا كاليستوس (CALLISTE) اللذين كانا يدافعان عن الإيمان البسيط التقليدي ، والخطأ الأول الذي وقع فيه هيوليتوس هو اعتقاده بعملية النمو أو التطور في شخص اللوغوس . فهو قدم لنا في بادئ الأمر اللوغوس كفكر الله ، كمقل الله ، وهذا الفكر يتطور إلى حقيقة واقعية خارجة عن الله ، ابن الله ، وهذا الابن يتطور أيضاً بطريقة أكثر واقعية وحسية عندما يأخذ جسداً ، عندما صار انساناً . فمع أن المعلم الروماني يعترف بحقيقة مهمة جداً لم يعترف بها بعض الآباء المدافعين وهي أزلية هذا اللوغوس . إلا أنه يعترف بوجود نوع من النمو والتطور أو التغيير في اللاهوت نفسه . (انظر : HIPPO. NOET., 10 - 11)

والخطأ الثاني الذي ارتكبه هيوليتوس هو تعليمه بأن ميلاد اللوغوس أو انبثاقه هو عملية حرة كخلق الله للخلقة ، وليست عملية حتمية عضوية لا مفر أو مهرب منها . فعندما بثق الله اللوغوس خارجاً عنه فإنه لم يقوم بهذا العمل لأنه كان عملاً حتمياً والزامياً أو عضوياً وضرورياً ، بل لقد قام الله بهذا العمل عن طريق حريته ، فهو عمل حر ، بل ذهب أبعد من ذلك عندما قال : « ... لو أراد الله أن يجعلك إلهاً لاستطاع ذلك وهناك مثال الكلمة (اللوغوس) ... » (انظر كتابه PHILOS., 10, 33, 7)

وتوجد نقطة أخرى يجب لفت نظر القارئ إليها وهي أن هيولييتس يعتقد بأن اللوجوس لم يدع بطريقة صحيحة ورسمية ابنا لله إلا بعد التجسد ، فمع أنه يؤمن بأن وجود اللوجوس معاصر لوجود الله (PREEXISTANT) ، فهو والله (COEXISTANTS) موجودان منذ الأزل ، إلا أنه يعتقد بأن لقب الابن لم يعط بصفة رسمية وحقيقية إلا بعد التجسد أى بعد الميلاد من العذراء . صحيح أن عملية الانبثاق أو عملية خروج اللوجوس من الله تعد عملية ولادة (GEMERATION) فاللوجوس يمكن أن يدعى ابنا بعد خروجه من الآب ، إلا أن عملية الولادة هذه لم تكن عملية ولادة كاملة إلا بعد أن ولد من العذراء مريم بطريقة منظورة ملموسة معروفة . بهذه العملية أصبح اللوجوس ابنا لله (انظر : 8 - 242 - 241. 26 HIPPOL. NAUTIN) .

والمعلم الرومانى لا يريد أن ينكر بنوية اللجوس كما فعل « البنويون » (ADOPTIONISTES) بل كان جل قصده هو أن اللوجوس لم يدع ابنا بطريقة صحيحة ومنظورة إلا بعد التجسد (انظر : 21 - 14 HIPPOL. HAER. NAUTIN 259) .

ويم يستطع معلم روما الهروب من الخطأ الذى سقط فيه الكثيرون من المدافعين والمعلمين الذين سبقوه ، فقد انزلق كسابقيه فى منحدر « انتابعية » (SUBORDINATIONISME) . إن هيولييتس تصرف فى دفاعه ضد جماعة المواد ليسم ، فلكى يثبت لهم أن الآب ليس هو الابن وأن هذا الأخير ليس هو الروح القدس . وأن الله الواحد هو ثلاثة أقانيم ، وأن الأقانيم الثلاثة متميز الواحد منهم عن الآخر بالرغم من أنهم وحدة واحدة وجوهر واحد ، فلكى يبرهن على هذا التميز القائم بين الثلاثة الأقانيم اضطر الى أن يقول ما معناه أن اللوجوس ليس فقط (م ٣٧ - تاريخ الفكر المسيحى)

أقنوما متميزا عن الآب ولكنه أقل منه • لأنه ما هو إلا صوت الآب ، وما هو إلا انعكاس النور السماوي ... ومع أنه لا يوجد انقسام في اللاهوت فهو يختلف عن الآب (انظر NOET., 11) وهو يقول عندما يتعرض لشرح عملية الانبثاق : « هكذا ظهر آخر » خارجا عنه (عن الله) • ونكني عندما أقول « آخر » لا أقصد أنه يوجد إلهان ، بل بالعكس لا يوجد إلا نور الأنوار (انظر NOET., 11) وهنا ينضم هيبوليتوس في تفكيره إلى ترتليانوس (انظر TERTULLIEN ADV. PRAX. 8, 9) •

وقد اتبع أيضا معنمه إيريناوس في تعاليمه الخاصة بعقيدة الخلاص (SOTRIOLOGIE) فهو يعلم بأن المسيح قد أخذ جسدا حقيقيا من مريم العذراء ، جسدا كأجسادنا ومن نفس العجينة التي صنع منها كل انسان ، فلو كان المسيح من طبيعة تختلف عن طبيعتنا ، كيف إذن يمكن لنا أن نتبع خطواته ، وهو من طبيعة سامية مختلفة عن طبيعتنا وكيف يمكن أن يكون من طبيعة أخرى ، وهو قد تجرب بكل تجارب البشر إلا الخطية فهو الاله الانسان الذي جاء لكي يخلصنا ، ويجدد عهدنا مع الله ، جاء المصالحة ولقد جاء في جسد حقيقي (ENSARKOS) وهكذا استطاع أن يخلص الانسان كله (راجع PHIL 10.33 ; 34) • إن مجيء الابن الى العالم هو إعلان محبة الله الجديدة للعالم • وبطريقة جديدة للعالم : « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) •

بعض المراجع لدراسة حياة وتعاليم هيپوليتوس :

1. J. Quasten. *Initiation aux pères. Vol. 2. Traduction de L'anglaise par J. Laporte. (Les éditions du cerf) p. 193 - 252.*

راجع هذا الكتاب لأنه يحتوى على مراجع في غاية الأهمية بخصوص هذا الموضوع .

2. A. D'Alès, *La théologie de saint Hippolyte. Paris 1906 2e ed.*
3. G. Bardy. *La Vie Spirituelle d'après les Pères de trois premiers siècles. Paris 1935 (149 - 159).*
4. G. Bardy. *L'enigme d'Hippolyte. Melange de Scinece Religieuses (1948) 53 - 88.*
5. C. C. Y. Bunsen, *Hippolytus And His Age. London, 1854, 4vol.*
6. C. Wordsworth. *St. Hippolytus and the Church of Rome in the Early part of the third century. London 1953.*
7. B. Capelle. *Le Logos, fils de Dieu, dans la theologie d'hippolyte : RTAMQ (1937) 109 - 124.*
8. B. Altaner. *Precis de Patrologie, Mulhouse 1961.*
9. A. Grillmeier. *Le Christ dans la tradition Chrétienne De l'âge apostolique a Chalcedoine (451) (Les éditions du cerf).*

راجع هذا الكتاب والمراجع الموجودة فيه في غاية الأهمية من ١٦٠ — ١٦٦ .

10. Marc Lods ; *Précis d'histoire de la theologie chretienne du 11e au début du IVe Siecle. Editions Delachaux et Niestlé. Neuchatel. p. 41 - 42.*
11. J. Liebaert. *Histoire des dogmes.*

راجع من صفحة ٨٠ — ٨٢ .
١٢ — راجع كتابات هيپوليتوس نفسه .

الفصل الثامن

نوفاتيانوس NOVATIEN

لقد حاولنا في الصفحات السابقة أن نشرح مفهوم المعلم الروماني هيوليتوس لشخص المسيح • ولا يمكننا القول بأن تعاليمه كانت تمثل العقيدة العامة التي تعترف بها كل كنيسة روما ، وخاصة بأن هيوليتوس انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية ، إلا أنه رجع إليها في نهاية حياته • على أن تعاليمه تمثل عينة من التعاليم المختصة بشخص المسيح والتي كانت منتشرة في تلك المنطقة وفي تلك الحقبة من الزمن • وقبل أن نترك روما وأن نترك هذه الحقبة من الزمان في تاريخ الفكر المسيحي ، يليق بنا أن ننقى نظرة سريعة على تعاليم معلم روماني آخر هو :

نوفاتيانوس : الذي يشبهه هو أيضا — الى حد كبير — هيوليتوس • فإن كليهما انفصل عن الكنيسة الرومانية وكليهما أيضا حرم منها • على أنه جدير بالذكر أن الخلافات التي فصلت بين هذين المعلمين هيوليتوس ونوفاتيانوس • وبين أساقفتهم كان معظمها مختص بالنظام الكنسي ، والقليل بل والقليل جدا كان متعلقا ببعض الأمور العقائدية •

كان نوفاتيانوس كاهنا في الكنيسة الرومانية ، وعلى ما يبدو كان يصبو بشغف الى درجة الأسقفية ، ولذلك فقد انتهر فرصة الانقسامات

التي كانت تسيطر على كنيسة روما وطلب من ثلاثة أساقفة ، أو بعبارة
أصح أرغم مهّدا ثلاثة أساقفة ، على وضع اليد عليه ورسامته أسقفا
(انظر EUSEBE HIST. ECCL. 6, 43, 9 ; QUASTEN p. 255)
وهكذا تجدد الانقسام في كنيسة روما ، وبدأ الصراع بين البابا
كورنيليوس الذي نصب في سنة ٢٥١. وبين نوفاتيانوس وأتباعه . ولا
نريد أن ندخل في تفاصيل النزاع الذي قام بينهما لأنه يتعلق بمسألة
قبول أو عدم قبول الأعضاء الذين ارتدوا عن الإيمان في وقت الاضطهاد
كما أنه يتعلق ببعض المشاكل الأخرى التي تمس نظام الكنيسة ، والتي
لا تمس بطريقة مباشرة موضوع دراستنا ، فلنترك إذن البحث في
موضوع النزاع ولنسأل هذا السؤال الذي هو مركز بحثنا : ما هي
أفكار نوفاتيانوس الكرسولوجية ؟ ما هي عقيدته وإيمانه في شخص
المسيح يسوع ؟

لقد جاء نوفاتيانوس بعد هيوليتوس وعلم في روما في الوقت
الذي انتشرت فيه تعاليم الدوسوتية ، والموداليسم وعقيدة التبني
(LE DOCETISME, LE MODALISME ET L'ADOPTIANISME)
فكان على نوفاتيانوس أن يحارب هذه التعاليم التي غزت روما في نهاية
القرن الثاني وبداية القرن الثالث . ولهذا فقد كتب كتبا عديدة ، ولكن
أشهر هذه الكتب من الناحية العقائدية كتابه عن « الثالوث »
(DE TRINITATE) ففي هذا الكتاب حاول المعلم الروماني شرح
عقيدة الثالوث وعلاقة كل أقنوم بالآخر ، ولكن الذي يهمنا في هذا
الكتاب هو مفهومه للوجوس أو الابن . أو كيف فهم هذا اللاهوتي مشكلة
التجسد ، وما هي علاقة الآب بالابن وبالروح القدس ؟

لقد سبق أن رأينا بأن هيوليتوس حاول أن يميز بين الآب والابن
والروح القدس وأكد بشدة على هذا الأمر بسبب انتشار المذاهب

الثلاثة التي أشرنا إليها • ولهذا السبب عينه — أى انتشار الدوسوتية والموداليسم (الانتحالية) (١) وعقيدة التبني — فقد اضطر نوفاتيانوس الى اتباع نفس النظام فى تعاليمه • إلا أنه شدد أكثر من سابقه على التمييز بين الآب والابن والروح القدس ، وأن المسيح كان إنسانا حقا وإنها حقا منذ الأزل •

فلكى يحطم عقيدة « الانتحالية أو الهيئة (MODALISME) وعقيدة التبني وعقيدة الدوسوتية ، فقد علم بأن اللوجوس ليس هو الآب بل كان مع الآب قبل كل بداية • فالكلمة كان ساكنا فى الآب منذ الأزمنة البعيدة التى لا يمكن تحديدها أو إخضاعها للزمن لأن وجود الكلمة أى اللوغوس فى الآب سابق للزمن • وإلا فلا يكون الآب أباً منذ الأبد • فمع أن الابن موجود قبل كل الوجود ، وأن كل ما هو موجود قد وجد به • إلا أن الآب هو أصل الابن هو المنبع الذى ينبع منه اللوجوس لأن الآب لا أصل له •

أما الابن فيستمد أصله ووجوده من الآب • وبناء على ذلك فالآب سابق للابن بالنسبة لكونه أباً وإلا لما أصبح أباً • فأصل الابن هو الآب الذى انبثق أو ولد منه ، والابن أو الكلمة هو أيضا وبكل تأكيد الله ويدعى الابن أو الأقنوم الثانى • وهذا الابن أو الكلمة هو أقل من الله • إنه يحتل الدرجة الثانية فى الثالوث ، لأن الآب موجود من ذاته وبذاته أما الابن فانبثق من الآب الذى هو مصدره ومنبعه (انظر كتابه 31 - 17 DE TRINITATE) •

ولكى يثبت لجماعة الانتحالين أن المسيح ليس هو الآب ، بل هو

(١) نترجم هنا كلمة (Modalisme) بالانتحالية أو الهيئة ، إذ أن اتباع هذا المذهب يعتقدون بأن الآب نفسه انتحل هيئة إنسان أو انتحل عدة هيئات •

أقنوم آخر غير الآب يرجع الى سفر التكوين (٢١ : ١٧) « ونادى ملائكة الله هاجر من السماء ... » ، فهو يعتقد بأن الملائكة الذي نادى هاجر هو المسيح . فان الذي نادى هاجر ليس هو الله الآب بل هو المسيح ، الذي هو أيضا الله ولكنه ليس الآب ، وبهذا أراد نوفاتيانوس التمييز بين إله الآب والله الابن الذي هو هذا الملاك .

وفي محاولته لاثبات الفرق بين الآب والابن ، أو بعبارة أدق في محاولته التمييز بين الآب والابن وتحطيم عقيدة الانتحالية أو الهيئة . فقد سقط في نفس الأخطاء التي سقط فيها بعض الآباء وخاصة هيوليتوس ، إذ أنه علم بأن الابن متميز عن الآب والدليل على ذلك هو أن الآب أعظم من الابن وهذا الأخير أقل من الآب ، كما أن الروح القدس أقل من الابن (انظر كتابه عن الثالث DE TRINITATE 27) فهو يقول : « إن البراقليطوس أخذ رسالته من المسيح ، فإذا كان قد استلمها من المسيح فيكون هذا الأخير (المسيح) أعظم منه . فلو لم يكن أعظم منه لما استلم رسالته منه ... » (نفس الكتاب DE TRIN. 18) كان هم نوفاتيانوس الأعظم وشاغله الشاغل منصبان على مقاومة الهرطقات التي انتشرت في عصره وخاصة هرطقة الانتحالية التي نادى بأن الله واحد والآب والابن والروح القدس ما هم إلا أسماء وليسوا أقانيم ، ولهذا السبب فقد حاول المعلم الروماني بكل الوسائل أن يميز الأقانيم بعضها عن بعض . وفي محاولته التمييز بين هذه الأقانيم التي تكون وحدة واحدة هي الله ، ابتعد للأسف الشديد عن هذه الوحدة ، وهو ما كان يتحاشاه الانتحاليون أنفسهم . فإن هؤلاء الانتحالين (LES MODALISTES) نادوا بأنه لا يوجد إلا إله واحد وهو الله الآب الذي ظهر بهيئات متعددة عبر التاريخ ، وفي تمسكهم بهذه العقيدة أرادوا الهروب من السقوط في خطأ تعدد الآلهة . وأما نوفاتيانوس فقد هاجم هذه الجماعة وعلم بأن الآب والابن والروح القدس ما هم إلا

ثلاثة أقانيم وايسوا ثلاثة آلهة مختلفين في الجوهر • ولكن عندما حاولنا شرح هذه العقيدة فقد ارتكب أخطاء لاهوتية لا تقل في خطورتها عن أخطاء الانتحالين •

وكأنى بالمعلم الروماني يتصور الثالوث كهرم قاعدته الآب ووسطه الابن وقمته الروح القدس • فالآب هو الأصل والقاعدة ، الذي يرتكز عليه كل البناء ، والذي منه يخرج الابن الذي كان معه قبل كل بداية وهو خاضع له ولا يعمل إلا إرادته وينفذ أوامره ، وأيضا هو أقل من الآب • أما الروح القدس فهو خاضع أيضا للابن وأقل منه ومرسل من الابن ومأمور بأمره • (انظر DE TRIN. 18 ; 27 ; 71) •

ولم يستطع الهروب من منزلق آخر أو على الأقل لم يكن بعيدا عن الانزلاق في منحدر آخر وخطير ، ففي دفاعه ضد الهرطقة الدوسوتية وفي محاولته إثبات حقيقة التجسد وأن ابن الله أي اللوجوس الذي هو الله ، قد أخذ فعلا جسدا حقيقيا وبشريا ، قد أضطر في بعض الأحيان الى أن يفصل أو يميز بطريقة قاطعة بين ابن الله وابن الانسان ، أو على الأقل فإنه يشعر القارئ بأنه يفصل ابن الله من ابن الانسان ، فقد انتقد بشدة الذين لا يميزون بين ابن الله وابن الانسان ويخلطون ابن الله بابن الانسان (انظر DE TRIN. 24) •

وبالرغم من أن نوفاتيانوس يتكلم عن وحدة ابن الله بابن الانسان ، أي أن اللوجوس أخذ فعلا جسدا (يو ١ : ١٤) مثل أجسادنا إلا أنه لا يتكلم عن روح المسيح • فحتى عندما يتكلم عن موت المسيح لا يذكر أيضا شيئا عن الروح (انظر DE TRIN. 13) ولكنه يتكلم بوضوح عن الاتحاد الذي تم بين ابن الله وابن الانسان ، فهو إليه وإنسان معا • (انظر DE TRIN. 11 ; 24 ; 26 ; 21) •
هكذا رأى نوفاتيانوس شخص المسيح يسوع •

بعض المراجع لدراسة حياة وتعاليم نوفاتيانوس :

1. J. Quasten. *Initiation aux peres de L'Eglise Vol. 2. Les editions du cerf. p. 253 - 277.*
راجع هذا الكتاب لأنه يعطى قائمة كتب في عدة ملفات مختلفة ومهمة جدا للباحث .
2. A. Grillmeier. فكر سابقا ص ١٨٤ — ١٨٧
3. J. Liebaert. فكر سابقا ص ٨٣ — ٨٥
4. H. Moore, *The Treatise of Novatian on the Trinity (SPOK). London 1919.*
5. C. B. Daly. *Novatian and Tertullian. Irish Theological Quarterly 19 (1952) 33 - 43.*
6. A D'Ales Novatien. *Etude sur la theologie romaine au milieu de 111e siecle. Paris 1925.*
7. R. Favre. *La Communication des idlomes dans l'ancienne tradition latine : BLE, 37 (1936) 130 - 145.*
8. C. Mohrmann. *Les origines de la latinite chretienne a Rome: VC3 (1949) 67 - 106. 163 - 183.*

٩ — الدكتور أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى .
الجزء الأول ص ١١١ — ١٨٠ (منشورات النور — بيروت لبنان) .
ملاحظة : كان نوفاتيانوس أول لاهوتي روماني يكتب باللغة اللاتينية
(انظر Quasten p. 258)

الفصل التاسع

ديونيسيوس الاسكندري .

DENYS D'ALEXANDRIE

عندما ترك أوريجانوس مدرسة الاسكندرية واستقر في قيصرية ،
تولى إدارة المدرسة من بعده أحد تلاميذه الذي صار أسقفا للكنيسة
المصرية وهو هيراكلاس (HERACLAS) . وعندئذ دعى أحد تلاميذ
أوريجانوس المعجبين به والمتمسكين بتعاليمه لإدارة هذه المدرسة وهو
ديونيسيوس . على أن هذا الأخير اختير أيضا أسقفا للكنيسة المصرية
(من سنة ٢٤٨ — ٢٦٥) .

لقد ولد ديونيسيوس وشب في عائلة وثنية غنية جدا . ولقد كان
منذ صباه شغوفا بالعلم محبا للاطلاع يبحث عن الحق والمعرفة . ووجد
هذا الحق الذي كان يبحث عنه في الكتب المقدسة عن طريق الاطلاع
والبحث ، واقتد ذكر هو نفسه هذا الأمر في كتاباته (انظر :

3-1, 1, 7, ECCL. HIST. EUSEBE) .

رسم ديونيسيوس أسقفا في سنة ٢٤٨ وبعدها هرت الكنيسة
المسيحية — ليس في مصر فقط بل في كل الامبراطورية تقريبا — في بودقة
التجارب المحمسة إذ أن الامبراطور ديسيوس شن حربا شعواء على

الكنيسة • واضطر الأسقف إلى الهروب ثم عاد إلى الاسكندرية بعد موت الامبراطور دسيوس • وفي أثناء حكم الامبراطور فاليريانوس (VALERIEN) نفى الأسقف المصري إلى ليبيا ، وبعد عودته من المنفى تعرضت البلاد المصرية لتجربة أخرى لا تقل في شراستها وقسوتها عن التجارب السابقة ، وهي الحرب الأهلية ثم وباء الطاعون • وبعد حياة جهاد وصبر وعمل وكفاح مات الأسقف ديونيسيوس في سنة ٢٦٥ في أثناء انعقاد مجمع أنطاكية ولم يستطع حضور جلساته بسبب مرضه • وسمى أسقف الاسكندرية بديونيسيوس العظيم أو الكبير أعظمه جهاده وصبره في انتجارب •

كان تأثير هذا الأسقف عظيما ليس فقط على أبراشيته في مصر بل امتد نفوذه وتأثيره إلى خارج البلاد • فلقد حاول أن يفض النزاع الذي كاد يمزق كنيسة روما وكتب إلى نوفاتيانوس رسالة يحسنه فيها على الرجوع إلى الكنيسة (انظر EUSEBE HIST. ECCL., 6, 45) .

كما أنه كتب كتبا عديدة لمعالجة بعض المواضيع التي كانت تتعرض لها كنيسة عصره • فلقد كتب كتابا عن الطبيعة وكتابين عن المواعيد • وكان الغرض من هذين الكتابين هو تصحيح بعض الآراء التي نادى بها الأسقف المصري نيبوس (NEPOS) الذي رفض تعاليم أوريجانوس الاستعارية والمجازية ، وكان يؤمن بقبول المواعيد المذكورة في الكتاب بطريقة حرفية لا مجازية • وبناء على ذلك قال إن الألف سنة التي يتكلم عنها سفر الرؤيا (رؤ ٢٠ : ٢ - ٦) لأبد وأنها ستتحقق حرفيا (انظر أوسابيوس 3 - 1, 24, 7 HIST. ECCL.) • ولقد ذهب الأسقف بنفسه إلى مقر الأسقف نيبوس (NEPOS) ودعا الاخوة إلى حوار مفتوح دام ثلاثة أيام لكي يقنع هذا الأسقف بأخطائه • (انظر أوسابيوس 8 - 6, 25, 7 HIST. ECCL.) •

ثم كتب أربع رسائل ضخمة الى سمييه بابا روما والتي فيها دافع عن التهمة التي اتهمه بها بعض كهنته ، بأنه ليس أرثوذكسيا • فشرح أسقف الاسكندرية لزميله أسقف روما البابا ديونيسيوس إيمانه وعقيدته في المسيح ، وهنا نسأل هذا السؤال الذي هو صلب بحثنا ما هي عقيدة أسقف الاسكندرية وما هي تعاليمه الكرسولوجية ؟ ماذا رأى في المسيح يسوع ؟

كان ديونيسيوس تلميذا غيورا ومتحمسا لتعاليم أوريجانوس ، ولقد تأثر به تأثرا عظيما • ولذلك لا نجد فرقا كبيرا بين تعاليم هذين المعلمين المصريين • فإن الأسقف المصري نادى كعلمه أوريجانوس بأن اللوجوس هو إله « ثان » أو ثانوى أو أقل درجة من الآب ، فاللوغوس خرج من الآب أى أنه غير مساو للآب • واتهمه البعض بأنه في إحدى المناقشات الخاصة قد تخطئ ببعض التعبيرات التي يشتم منها رائحة الهرطقة • مثل قوله بأن المسيح لم يكن بالطبيعة ابنا لله • ولكنه خليفة يختلف جوهرها عن جوهر الله ، فان علاقة الابن بالآب شبيهة بعلاقة الكرمة بالكروم والسفينة بصانعها • وعندما وصلت هذه الأخبار الى مسامع الأسقف سمييه في روما ، كتب البابا ديونيسيوس الرومانى الى ديونيسيوس المصري رسالة رقيقة ولكنها حازمة يرفض فيها التعبيرات والتشبيهات التي استعملها والتي تحمل في طياتها انقسامًا في جوهر اللاهوت ، لأن اللاهوت غير منقسم الذات والابن مولود منذ الأزل ، وهما من نفس الجوهر • ويقال إن ديونيسيوس الرومانى هو الذى استعمل الاصطلاح الذى سيكون له النصر العظيم في مجمع نيقية وهو (HOMOIOUSIA) أى من نفس الجوهر^(١) ، غير أن البعض يظنون بأن أول من استعمل هذا الاصطلاح هو أوريجانوس •

(١) انظر كتاب لودس ص ٤٤ « ٤٥ » Eodis (نكر سابقا) ..

وعندما نرجع الى كتابات الأسقف المصرى نفسها نلاحظ تأثير تعاليم أوريجانوس عليه ، ولكنه لا ينكر أزلية الابن فهو يقول : « لا يوجد زمن ما لم يكن فيه الله أبا ، ولا توجد لحظة ما حرم فيها الآب من اللوغوس ، من الحكمة ، من القوة ... على أن الابن لا يستمد وجوده من نفسه بل من الآب ... وبما أن الآب أزلى فالابن أزلى أيضا • إنه نور من نور ... وبما أن الله نور فالمسيح لمعانه ، وبما أن الله روح ، لأن الكتاب يقول « الله روح » (يو ٤ : ٢٤) فيليق أن ندعو الابن نفذته (انظر : EUSEBE, HIST. ECCL. 7. 26, 2) ويرجع ديونيسيوس الى سفر الأمثال (٨ : ٣٠) « كنت عنده صانعا وكنت كل يوم لذته فرحة دائما قدامه » لكي يثبت أن كل الأشياء قد صنعت ووجدت باشتراك اللوجوس وهو موجود قبل كل هذه الأشياء •

فبالرغم من أن أسقف الاسكندرية قد اتبع أستاذه أوريجانوس في عقيدة التبعية إلا أنه شدد على أزلية الابن •

وبما أننا نتكلم هنا عن بعض معلمى الاسكندرية الذين لعبوا دورا هاما جدا في تاريخ الفكر المسيحى وصياغته فاننا لا ننسى المعلم ثيوغونستوس (THEOGNOSTE) الذى خلف الأسقف ديونيسيوس في إدارة مدرسة الاسكندرية من سنة ٢٦٥ — ٢٨٢ (انظر : PHOTIUS. BIBL COD. 106) •

ثم تولى ادارتها بعده المعلم بياريوس (PIERIUS) (انظر : EUSEBE 7. 32. 27) الذى كان يتصف بالتقوى والعزم ، ولذلك فقد سمى أوريجانوس الصغير • وجاء من بعد أوريجانوس الصغير للإشراف على هذه المدرسة « بطرس الاسكندرى » (PIERRE) (DE L'ALEXANDRIE) ظل يعلم فيها الى أن اختير أسقفا لكنيسة

الاسكندرية في حوالي سنة ٣٠٠ ب م . ولقد مات هذا الأسقف شهيدا في سنة ٣١١ . ومع أن المؤرخ الكنسي أسابيوس يقرظه تتريفا عظيما (انظر أسابيوس (HIST. ECCL. 7. 32, 31) . إلا أنه لا يذكر شيئا عن كتاباته ويرجع ذلك الى أن الأسقف بطرس الاسكندري وتعاليم أوريجانوس تنا على طرفي النقيض . ولكن لحسن الحظ وصلتنا بعض تعاليمه عن طريق ليوس البيزنطي (LEONCE DE, BYZANCE) ثم عن طريق مجمع أتمس (سنة ٣٢١) . فان بطرس علم بوجود طبيعتين في المسيح ، فلقد كتب قائلا : « فكل هذه الأشياء وغيرها من آيات ومعجزات تدل على أنه كان الله الذي صار إنسانا ... فقد كان الله بالطبيعة وإنسانا بالطبيعة أيضا » . (انظر VEONT., CONTRA NESTON ET EUTYCH, 1)

فلقد شدد الأسقف بطرس على حقيقة وجود الطبيعة البشرية كاملة في المسيح ووجود الطبيعة الالهية كاملة أيضا فيه .

كما أنه رفض كليا أفكار أوريجانوس الخاصة بوجود الروح قبل الجسد إذ أن أوريجانوس كان يؤمن بأن الأرواح خلقت دفعة واحدة في البداية كما سبق أن شرحنا ذلك .

بعض المراجع عن حياة وتعاليم ديونيسيوس :

1. J. Quasten. 2e vol. P. 124 - 132.
- انظر هذا الكتاب الذي سبق ذكره عدة مرات لانه يحتوى على قائمة مراجع في غاية الاهمية : ومراجع انجليزى وفرنساوى والماتى .
2. C. L. Feltoe. **The letters and Other Remains of Dionysius of Alexandria** (CPT), Cambridge, 1904.
3. C. L. Feltoe. **St. Dionysius of Alexandria, Letters and treatises** (SPCK) London 1918.
4. J. Furel. **Denys d'Alexandrie, Sa vie, son temps ses oeuvres.** Paris, 1910.
5. P. S. Miller. **Studies in Dionysius the Great of Alexandria** Diss. Erlangen 1933.
6. P. Morize. **Denys D'Alexandrie.** Paris 1881.
7. Marc. Lods p. 44 - 46. (ذكر سابقا)
8. L. B. Radford. **Three teachers of Alexandria : Theognostus, Plerius and Peter. A study in the Early History of Origenism and Anti-Origenism.** Cambridge 1908.

الفصل العاشر

الإنتمالية (LE MODALISME)

أقد سبق أن رأينا في العرض التاريخي العقائدي آراء بعض آباء الكنيسة ومعانيها ، وكيف فهم هؤلاء على مر العصور وفي أماكن مختلفة شخصية الرب يسوع المسيح ، أو بعبارة أصح ماذا كان جواب هؤلاء القادة والمعلمين عبر التاريخ وفي أماكن مختلفة ، على سؤال السيد : « من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان ؟ » (متى ١٦ : ١٣) .

لقد رأينا أجوبة الكنيسة الأولى ثم أجوبة كنيسة القرنين الأول والثاني ، وأجوبة كنيسة القرن الثالث ، وفي أثناء عرضنا لتعاليم بعض المعلمين وعقائد بعض الطوائف والجماعات التي ظهرت في هذه القرون الثلاثة الأولى فكرنا: الاصطلاح موداليسم (MODALISME) ومشرحناه شرحا سريعا غير مفصل .

فما هي إذن عقيدة الموداليسم ومتى وأين ظهرت ؟

عندما نتتبع تاريخ الفكر المسيحي وخاصة التعاليم المختصة بشخص الرب يسوع المسيح ، نلاحظ ظهور عدد كبير جدا من المذاهب والطوائف والمعلمين الذين حاولوا الإجابة بطريقة أو بأخرى على سؤال السيد : « من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان ؟ » . ففي الإجابة

على هذا السؤال رأى البعض في يسوع الانسان نبيا بل أعظم من نبي ، فقد رأوا فيه « النبي » .. على أنه ظل نبيا وكان إنسانا ومات إنسانا . ورأى البعض الآخر في يسوع « النبي » الذي وصل بتقواه وطاعته الكاملة لله إلى درجة اللاهوت فأصبح ابنا لله بالتبني . واعتقد بعض آخر أن المسيح قد جاء من السماء ، وقد شبه للناس بأنه بشر ، وفي حقيقة الأمر لم يكن جسد المسيح إلا خيالا . وظن البعض الآخر بأن الله واحد سام عظيم ولا يمكن تقسيمه لأنه وحدة واحدة ولقد نادى بهذا التعليم الجماعة التي تدعى جماعة « الوحدوية » أو الوجدويين (MONARCHIANISME) . وكان أعضاء هذه الجماعة من اليهود المسيحيين . وكان همها هو عدم تقسيم أو تجزئة الله فإن الله واحد .

واشترك في هذه العقيدة ، وحدة الله وعدم تجزئته ، بعض المعنمين وبعض القادة ، فتمخضت هذه الجماعة وولدت طائفة تدعى الموداليسم (LE MODALISME) وكلمة الموداليسم تعني الطريقة أو الهيئة : المظهر، بطريقة معينة أو انتحال هيئة أو طريقة أو شكلا للظهور أمام الناس . وقبل أن ندخل في شرح عقيدة هذه الطائفة وبأية طريقة أجابوا على سؤال السيد في قيصرية فيلبس ، يحسن بنا أن نتعرف أولا على بعض قادتها .

كانت التعاليم الخاصة بعقيدة وحدانية الله منتشرة ومتعمقة في الأوساط اليهودية المسيحية ، وكان يترغم هذه الحركات في القرن الثاني حوالي سنة ١٨٠ عدد لا بأس به من المعلمين ومنهم نوتوس السميرني (NOETUS DE SMYRNE) ثم انتشر هذا المذهب في روما في أيام البابا زفيرينوس (ZEPHYRIN) (١٩٩ - ٢١٧) ولقد تعمقت جذوره وتأصلت في المجتمع الروماني بفضل تعاليم ونشاط بعض أتباعه .

٣٨ - تاريخ الفكر المسيحي

مثل ايمونوس وكليمنس وبراكسياس (EPIGONE, CLEOMENE,) (PRAXEAS) ولقد ذهب بعضهم إلى أفريقيا لنشر هذه التعاليم ، وتقابلوا مع المعلم الأفريقي الشهير تريتليانوس (حوالي ١٥٥ - ٢٢٥) على أن أشهر شخصية وأبرزها في جماعة الانتحالين (MODALISTES) هو الكاهن سابليوس (SABELLIUS) الذي ولد في نهاية القرن الثاني ومات في سنة ٢٦١ ، فقد كان معاصرا للمعلم المصري أوريجانوس (١٨٥ - ٢٥٤) ، وكان ليبي الجنسية علم في روما واستقر بها .

ولقد تأثر سابليوس بأفكار وتعاليم جماعة الوجدانيين (MONARCHIANISME) . والمختصة بوحدة الله . ولقد بدا له كما بدا لهذه الجماعة أن عقيدة الثالوث في الله الواحد عقيدة صعبة وغير معقولة . وكيف يمكن أن الله الواحد الذي لا يمكن أن يقسم أو أن يجزأ ، أن يكون أباً وابناً والروح القدس في نفس الوقت . إن هذه الفكرة كانت مرفوضة رفضاً كلياً من اليهود وصعبة الفهم على الوثنيين .

ولتسهيل هذه العقيدة لليهود أولاً وللوثنيين ثانياً ، وجد سابليوس شرحاً بسيطاً قد أغوى الكثيرين في عصره ومازال حتى الآن طعماً جذاباً لبعض اللاهوتيين المعاصرين (١) . وتتلخص نظرية الكاهن سابليوس في الآتي :

قبل بداية كل بداية كان الكائن الالهي (LA MONADE DIVINE) وحدة مطلقة محصنة لا تنوع ولا درجات ولا اختلاف ولا تميز فيه ، إذ أنه وحدة واحدة ووحيدة . كان الراحة والنصمت الأبديين،

(١) انظر W. Panrenberg. Esquisse d'une Christologie Les Editions du cerf p. 150 - 152.

ومع أنه الصمت والراحة فهو مليء بالطاقات والقوات الخلاقة والمحيية، وهو أيضا قدير على الكلام وقطع الصمت . وبما أنه قدير على الحركة والعمل والتفكير والكلام والذكاء فيمكن أن نسميه الاوغوس أو فيه اللوغوس ، لأنه مصدر الحياة ومصدر الكلام ومصدر العمل والحركة وهذه هي المرحلة الأولى للكائن الالهي .

أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد خلق العالم واتصال الإله بالعالم المخلوق . وهنا يعرض نظريته الجديدة عن الوحدة الإلهية التي لا يمكن أن تتجزأ أو تنقسم :

فهو يؤمن بأن الله الأزلي الذي خلق العالم وكل ما فيه ، خرج عن صمته وعن راحته بخلقه لهذا العالم ، وعندما خلقه ، أصبح الله الآب الخالق وهو جوهر واحد وشخصا واحد ووحدة واحدة . وهو أيضا أي الله الآب هو الذي أعطى إيلياموس لوسي وأوحى للأنبياء وقاد شعبه وقطع معهم العهود . فهو إذن نفس الشخص منذ بدء الخليقة إلى وقت التجسد . وهنا في عملية التجسد تبدأ المرحلة الثانية بعد الخليقة ، فإن الله نفسه أو بالعبارة الأصح الله الآب ، نفس الجوهر ونفس الشخص ، هو الذي تجسد في الإنسان يسوع الناصري .

فالذي تجسد في يسوع الناصري ليس الابن أو اللوجوس بالمعنى الذي فهمه الآباء ، بل الآب نفسه هو الذي انتحل شخصية الابن وأصبح الابن . ففي لحظة التجسد أخذ الآب نفسه جسدا ، أي نفس الشخص الذي كان يعمل في أثناء الخليقة وبعدها والذي أعطى الناموس وأوحى للأنبياء وقاد شعبه ، هو هو الذي أخذ جسدا وصار ابنا . وعندما أخذ هذا الجسد وصار في هذه الهيئة ، هيئة الإنسان أصبح ابنا ، أي الشخص الذي كان أبا أصبح ابنا . وهكذا ظل الله الآب الابن شخصا .

واحدًا وجوهًا واحدًا . هذا الشخص هو أيضا الذي تألم وصلب ومات . وهنا أضيف إلى إسمهم اسما آخر غير الانتحالية أو الهيئة وهو (PATRIPASSIENS) أى الذين يؤذنون بآلام الآب . فإن الآب هو الذى كان يعمل فى فترة العهد القديم ، وهو نفسه الذى انتحل شخصية الابن أو أخذ هيئة الابن وقام بعملية الفداء فتألم وصلب ومات وقام .

وتبدأ المرحلة الثالثة بعد الخليقة بحلول الروح القدس على التلاميذ وقيادته للكنيسة . فالروح الذى حل على التلاميذ يوم الخمسين والذى يرشد المؤمنين ويقدر حياتهم ، هو أيضا نفس الشخص الذى كان يعمل فى العهد القديم كأب ويعطى العهود . والذى قام بعملية الفداء والمصالحة كابن هو نفسه الذى يقدر المؤمنين ويقود الكنيسة ويرشدها كروح قدس . فالله الآب ظهر فى هيئة الآب أو انتحل شكل الآب من بدء الخليقة الى التجسد وفى التجسد أخذ الآب هيئة الابن فعمل كمصالح وفاد ، وبحلول الروح القدس أخذ الآب الذى هو الابن هيئة الروح القدس فعمل مقدسا ومرشدا .

فسابليوس يؤمن بوجود شخص واحد إلهى قام بأدوار ثلاثة فى ثلاث حقبات من الزمن . ولكى يؤيد أفكاره ، رجع إلى الكتاب المقدس كما رجع إليه معظم الهرطقة وكل المحافظين ، فهو يرى فى قول اشعيا : « أنا الرب وليس آخر » لا إله سواى ، نطقتك وأنت لم تعرفنى » (اش ٤٥ : ٥) ، « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة إله » (يو ١ : ١) ، « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) ، صدقونى « أنى فى الآب والآب فى » (يو ١٤ : ١١) .

لقد لاقى سابليوس نجاحا عظيما جدا لدرجة أن مذهب الانتحالية أو الهيئة يدعى أيضا بالسابلينية نسبة إلى سابليوس . وما ساعد على

نجاح هذه التعاليم وانتشارها ليس فقط في الأوساط المثقفة بل أيضا في الأوساط البسيطة والعامة ، هو بساطة هذه التعاليم وابتعادها عن التعقيدات والتحليلات الفلسفية ، بل إن هذه التعاليم ظهرت لكثيرين ، ليس فقط من البسطاء بل من قادة الكنيسة وأعمدتها ، بأنها تعاليم سهلة وأرثوذكسية . فإن سابليوس لم ينكر في أية لحظة من اللحظات لاهوت الآب أو لاهوت الابن أو لاهوت الروح القدس . ثم إن هذا التعليم حافظ على وحدانية الله ، الله الذي لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم . فلقد أراد سابليوس بملائمة الأقانيم : أقنوم الآب والابن والروح القدس ، أن يتجنب عملية التقسيم والتجزئة التي يتعرض لها المتمسكون بوجود ثلاثة أقانيم في الثالوث . وبدل أن يعنم بوجود ثلاثة أقانيم في الثالوث علم بأن الله الواحد الوحيد الموحد الجوهر انتحل أو استعمل أو استخدم ثلاث طرق مختلفة لإعلان نفسه للبشر . فالتنوع لا يوجد إذن في جوهر الله وذاته ، بل في الطرق التي استعملها لكي يظهر نفسه للبشر عن طريقها . فيحسب مفهوم الكاهن الليبي ، فإن الله مثلث الأقانيم بل مثلث الطرق .

كان سابليوس يهدف بهذه التعاليم إلى المحافظة محافظة كاملة على وحدة الله من ناحية وعلى لاهوت المسيح من ناحية أخرى . وهي المشكلة التي كانت تعاني وتقاسى منها كنيسة العصور الأولى . فإن اليهود المتتصرين لم يقبلوا بسهولة مساواة المسيح بالله . الأمر الذي بدا لهم عقيدة وثنية مصدرها تعدد الآلهة . ولكن سابليوس حاول بهذه التعاليم أن يبين لهم بأن إله إبراهيم واسحق ويعقوب وإله العهد القديم هو نفسه ، وليس شخصا آخر أو أقنوما آخر . كما تدعى الكنيسة المسيحية ، هو الذي ظهر في يسوع ، والروح القدس هو أيضا نفس الشخص قد ظهر بطريقة أخرى وبهيئة أخرى لقيادة الكنيسة . نفس الإله انتحل أو استعمل هذه الطرق الثلاث لكي يظهر للناس ويتكلم

معهم • ولهذا فقد دعى أتباع هذا المذهب بالانتحالين
(LE MODALISTES) .

ومع أن هذا المذهب يبدو جذابا وبسيطا للتعليم والفهم ، وقد انغوى به كثيرون في القرون الأولى ، وما زال منصبا كثره أيضا للكثيرين في العصر الحاضر ، إلا أن كثيرين من آباء الكنيسة وقادتها أدركوا خطورة هذه التعاليم ودانوها وحكموا برفضها ، لأنهم رأوا فيها ملاحظة تامة لشخص الابن وعطيه الفدائي ، ثم ملاحظة كاملة أيضا لوجود الثالوث • لأن سابليوس لا يؤمن بوجود الثالوث ، أى وجود الأقانيم الثلاثة آب وابن وروح قدس في الله الواحد ، بل يؤمن أن الله الواحد قد ظهر بثلاث طرق مختلفة كآب وابن وروح قدس • وهناك أمر آخر وهو أن سابليوس علم بأن الله قام بالأدوار الثلاثة في الثلاث الحقبات من الزمن كآب وكابن وكروح قدس •

أما الكنيسة المسيحية فتعلم بأن الله مثلث الأقانيم آب وابن وروح قدس موجودون كلهم قبل كل بداية ويعملون معا • الله الآب مع اللوجوس الخالق والروح القدس الذى كان يقود الكنيسة في إسرائيل في العهد القديم يقودها أيضا في العهد الجديد : فالله ثلاثة أقانيم وليس ثلاثة طرق للتعبير • على عكس ما اعتقد سابليوس بأن الأقانيم ما هى إلا ثلاثة طرق أى ثلاثة أسماء للتعبير عن ما قام به الله في خلال هذه المراحل الثلاث •

إن تعاليم سابليوس لاقت نجاحا عظيما كما سبق القول ، بل إن تعاليمه انتشرت بين الأساقفة أنفسهم في روما ، لدرجة أن المذهب الانتحالي أصبح تقريبا مذهبيا رسميا • ولكن البابا كاليستوس (٢١٧ - ٢٢٢) أصدر حرمانا ضد سابليوس وأتباعه • ويظن البعض أن سابليوس ظل في روما بعد حرمانه واستمر في نشاطه

وعمله في الكنيسة التي كان يقوم برعايتها ، وأن بقاءه في روما سهل عليه الاتصال بكنائس الشرق ونشر تعاليمه فيها^(١) على أن البعض الآخر يعتقد بأن سابليوس ذهب بعد حرمانه الى مصر حيث وجد عددا كبيرا من أتباعه هناك^(٢) . ويقال إن تعاليم هذا اللاهوتي الليبي انتشرت بسرعة عظيمة في مصر وخاصة بعد موت أوريجانوس ، لدرجة أن الوعظ عن المسيح وعن ابن الله أصبح نادرا جدا . على أن الأسقف المصري ديونيسيوس قام بحملة شعواء ضد هذه التعاليم ، وكذلك أيضا اللاهوتي الروماني هيوليتوس وعدد كبير في الشرق وفي الغرب كتبوا ضدعا . وبانغم من ذلك فإن مذهب الانتحالية^(٣) انتشر بسرعة عظيمة وفي مناطق كثيرة .

(١) انظر كتاب Adolph Harnack. History of Dogma vol. 3
Lods p. 40 - 4
(٢) انظر كتاب
(٣) لقد حاولنا أن نترجم كلمة (Modalisme) بكلمة الانتحالية أو الهيئة
أو المظهر ولكننا نفضل كلمة « الانتحالية » .

بعض المراجع عن مذهب الانتحالين :

1. Hippolyte Contre Noeton.
2. Hippolyte Phillos. 9. 7. 11.
3. Tertullien Adv. Praxeas.
4. Lods. P. 40 - 41. ذكر سابقا
5. François Bonifas. Histoire des Dogmes de l'église chrétienne. Tome 2. pp. 31 - 36.
6. W. Pannenberg. Esquisse d'une christologie les éditions du cerf.
7. A. Harnack. History of dogma. Vol. 3e pp. 81 - 100.
8. M. E. Haag. Histoire des dogmes chrétiens. Libraire-Editeur. 10 Rue de La Monnaie 1862 pp. 140 - 146.

الفصل الحادى عشر

بولس السامساطى

PAUL DE SAMOSATE

كانت التعاليم الوحدانية (MONARCHIANISME) أو الانتحالية (MODALISME) منتشرة في الغرب وفي الشرق . ولقد وجدت تربية خصبة في الأوساط اليهودية المسيحية ، إذ أن كثيرين من اليهود المتصرين وجدوا في هذه التعاليم توافقا وانسجاما مع معتقداتهم فيما يختص بوحدة الله وعدم تقسيمه إلى أقانيم . فإن نوتوس (NOETUS) نادى بوحدانية الله في نهاية القرن الثانى ، وفي بداية القرن الثالث ظهرت جماعة الانتحالين (MODALISTES) وعلى رأسهم الكاهن الليبى سابلوريوس كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق .

ونقد لاقت هذه التعاليم نجاحا عظيما وملحوظا في الأوساط اليهودية المسيحية ، لدرجة أنها انتشرت ليس بين بعض العلمانيين والكهنة فقط ، بل سيطرت أيضا على بعض الأساقفة في الغرب وفي الشرق . وهنا نرى الأسقف بولس السامساطى واحدا من ضحاياها .

كان بولس خطيبا مفوها وسياسيا ماهرا مكررا أو إداريا محنكا .

ونذلك فقد احتل مركزا مرموقا يحسد عليه في مملكة الملكة « زينب » أو

زنوبية « (ZENOBIE) • ويظن أنها عرفت بميلها لليهود • ويحتمل أيضاً أنها كانت تعرف ولو جزئياً بعض أفكار بولس السميساطى الذى كان يشغل مكاناً مرموقاً فى الدولة • وبما أنها كانت تهدف إلى انفصالها عن روما ، فقد رأت فى بولس أداة سياسية فعالة ، ولهذا السبب فقد ساعدت بنفوذها وسلطانها بولس للوصول إلى كرسى أسقفية أنطاكيا فى سنة ٣٦٠ • ويظن أيضاً أن الأسقف الأنطاكى (بولس) نهج نفس المنهج الذى رسمته الملكة زينب وهو مناصبة الرومان العداء • وكان الأسقف الأنطاكى يتمتع بسلطة دينية ومدنية فى نفس الوقت ، إذ أنه ظل حتى بعد وصوله إلى الأسقفية يمارس مهمة الاشراف على الأمور المالية والاجباية فى الدولة (١) •

ما هى تعاليمه ؟

إن أسابيوس المؤرخ الكنىسى ، يعرفنا بأن انحراف بولس السميساطى ظهر حالاً بعد أن نصب أسقفًا • إذ انه علم تعاليم لا تتفق وتعاليم الكنيسة (أسابيوس HIST. ECCL., 7, 27, 2) والمصادر التاريخية التى تحتوى على تعاليم الأسقف الأنطاكى قليلة • ولكن لحسن الحظ فإن كلا من بولس البيزنطى والامبراطور يوستفيانوس ويطرس الثماس قد احتفظوا لنا ببعض الشذرات من الحوار الذى دار بينه وبين الكاهن مالكيون (MALCHION) إذ أن هذا الأخير هو الذى اكتشف وأعلن هرطقة الأسقف • فما هى هرطقته ؟

كما سبقت الاشارة كانت التعاليم الوجدانية والانتحالية منتشرة فى ذلك الوقت ، وبما أن هذه التعاليم كانت تنمو وتترعرع فى الأوساط

(١) انظر كتاب J. Quasten pp. 166 - 167 (vol.2)

وكتاب رستم الجزء الأول ص ١١٨ — ١٢٠ •

اليهودية المسيحية فإنها وجدت في شخص بولس السامساطي الذي كان متأثرا بهذه التعاليم فلاحا ماهرا ، وفي الملكة زينب التي عرفت يعظفها على اليهود تربة خصبة . ومن الصعب تحديد عقيدته بطريقة واضحة صحيحة لأن معظم الوثائق التي نملكها عن تعاليمه هي احتجاج التي قدمها الذين لم يتفقوا معه في أفكاره ، فيحتل بأن أسقف أنطاكية كان يعلم بأن الله واحد ، أي أقنوم واحد وفي هذا الأقنوم يمكننا أن نميز اللوجوس والحكمة ، وهما عبارة عن صفتين وليسا أقنومين . ولقد خرج اللاوغوس من الله . أو انبثق منه منذ الأزل . ويمكن تسمية هذا اللوجوس والحكمة ، وهما عبارة عن صفتين وليسا أقنومين . ولقد أو قوة غير شخصية وليس أقنوما مميذا عن الله . ويعتد بأن اللاوغوس هو الذي كان يعمل في الأنبياء ويرشدهم وهو أيضا الذي كان يعمل في ابن داود المولود من العذراء ، يسوع الناصري ، فيسوع إنسان مثلنا تماما ، فمع أنه أعظم من موسى والأنبياء ولكنه إنسان كامل ، ولقد حل اللوجوس في هذا الإنسان يسوع ولذلك فمن الضروري التمييز بين اللوجوس وبين يسوع ، فإن الأول أعظم من الثاني (١) ، إذ أن يسوع بشري ومثلنا في طبيعته ، ومريم لم تحمل في بطنها اللاوغوس بل حملت يسوع البشري وهكذا ظل هذا الإنسان يسوع إنسانا مثلنا لا فرق بينه وبين أي إنسان آخر إلى يوم عماده الذي في أثنائه وعن طريقه أوحى له بطريقة خاصة بأنه المسيح الذي حل فيه اللوجوس ، وارتبط بيسوع الناصري برباط المحبة القوية .

ولقد استطاع المسيح بفضل رباط المحبة القوية أن ينتصر ليس فقط على الخطية بل انتصر أيضا على خطية أجداده ، ولهذا السبب فقد أصبح فاديا ومخلصا لأنه تم مشيئة الله بطريقة كاملة . وبفضل

هذه المحبة القوية ، فقد ارتبط بربط وثيقة ثابتة • ولأن يسوع قد سلك بأمانة وتدقيق أمام الله ولأن اللوجوس قد اتحد به فقد رفعه الله كمكافأة له وأعطاه اسما فوق كل اسم •

ولقد حذف بولس كل الترانيم التى تصف المسيح كإله أزلى^(١) موجود قبل وجود العالم وتأسيسه • ويعتقد كاستن (QUASTEN) بأنه من المحتمل أن بولس كان يعلم تعاليم انتحالية (MODALISTE) لا تقبل عقيدة الثالوث ، أى وجود ثلاثة أقانيم فى الله • والاقتباس الذى اقتبسه لينوس يظهر أن بولس اكتفى بأن يسمى الأب بالله الذى خلق كل الأشياء والابن الذى صار إنسانا ، وأن يسوع كان أفضل وأعظم من موسى والأنبياء ، ولكنه لم يكن الكلمة (انظر) LEONCE DE SECTIS, 3, 3 (٢)

ومن هذه الاقتباسات واقتباسات أخرى يتضح أن التهمة التى وجهت الى الأسقف الأنطاكي تهمة مزدوجة ، التهمة الأولى هى إيمانه بعقيدة الانتحاليين ، فهو لا يؤمن بوجود الثلاثة الأقانيم بل بوجود اله واحد ووحيد له ثلاث صفات وليس ثلاثة أقانيم • والتهمة الثانية التى اتهم بها هذا اللاهوتى السورى (أصلا من سوريا) هى عقيدته بالبنوية (ADOPTIONISME) • أى أن يسوع لم يصبح ابن الله إلا بعد الاعتماد وبعد أن أعلن الأب أنه تبني هذا الانسان يسوع ليكون ابنا له •

والخطر فى الاتجاهين ، الانتحالى والتبني ، عظيم هدام • فإن خطر الانتحالية كما سبقت الإشارة كان يهدف الى مناشاة عقيدة

(١) Adolphe Harnack. Precis de L'Histoire p. 112 - 133.

(٢) انظر نفس المؤلف Harnack : History of Dogma vol. 3 pp.

34 - 50.

الثالث ، لا وجود لثلاثة أقانيم بل هذه الأقانيم ما هى إلا طرقا قد انتحلها الله ليظهر نفسه فى العالم . أما خطر التبني فهو أيضا هدام للإيمان ولعقيدة « الكلمة صار جسدا » . فإن اللوجوس أى الكلمة لم يصر جسدا ، بل إن الله قد تبني الإنسان يسوع الناصري فى وقت العماد ومن هذه اللحظة أصبح ابنا ليس بالطبيعة ولكن بالتبني . فإن الله رفع هذا الإنسان يسوع إلى درجة اللاهوت عن طريق التبني الغير الطبيعى ، ويكمن وراء هذا التعليم تسم آخر ، هو وجود ابنين لله ، كما أشار إلى ذلك المؤرخ اللاهوتى هارنك (HARNACK HIST. OF DOGMA PP. 42 - 50) : احتسوت تعاليم بولس السيمساطى على الهرطقات الانتدالية والتبني والأرطومونية (ARTEMONISME) .

فالعقيدة المسيحية كانت إذن مهددة أو بالمعنى الأصح إن شخصية المسيح كانت باهتة وغير ظاهرة بالطريقة التى تليق به . ومما لاشك فيه أن هرطقة هذا الأسقف كانت واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار ، ولكن من كان يجرؤ على اتهام ذلك الأسقف الذى قبض بيديه على سلطتين عظيمتين . فلقد أمسك بيد السلطة الروحية كأسقف لمدينة أنطاكية ، ثم قبض باليد الأخرى على السلطة الزمنية ، إذ أنه كان يعتبر المشرف على خزانة الملكة زينب ومستشارا لها .

ولكن بالرغم من هذا السلطان المزدوج الذى وشح به فإن الرب يقيم لنفسه شهودا أمناء فى كل جيل وعصر يستطيعون أن يعلنوا الحق عاليا متمسكين به ومضحين من أجله مهما كان الثمن غاليا ومكلفا . فإن هؤلاء الشهود أقامهم وقيّمهم وسيقيمهم الرب لكى يعلنوا عبر الأجيال لكل عات ومبتعد ومتعطرس ، قائلين : « يانبوخذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر » . . . (دانيال ٣ : ١٦ - ١٨) .

فلقد أقام الرب شخصا غيورا تقيا لمقاومة هذا الأسقف الذى عرف ليس بالهرطقة فى التعليم فقط أيضا بل بسوء السارك • إذ أنه نهج فى حياته منهج الملوك والحكام ، فكان عالميا فخورا طموحا • • • • فكانت مهمة الأخ ماليكون (MALCHION) الكاهن مهمة حساسة بل خطيرة • ففى مهاجمته لتعاليم الأسقف كان يهاجم فى وقت واحد رئيسه الروحى ورئيسه المدنى أيضا • وكان هذا الكاهن عالما ومنطقيا • فكاستن يقول إن الفضل يرجع إلى ماليكون فى إدانة بولس والنصرة عليه (انظر • QUASTEN VOL. 2. A 166 •)

وهذا لا يعنى أن ماليكون كان وحيدا فى صراعه ضد هذا الأسقف وأنه نم يكن إلا هذا الرجل وحده أمينا لله ، كما ظن ايليا النبى فإن « الرب أبقى فى اسرائيل سبعة آلاف ، كل تركب التى لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله » (١ مل ١٩ : ١ - ٢١) •

ولقد تماثلت هذه البقية الأمانة للتعاليم الصحيحة فى انكاهن المعلم ماليكون ودودونون وانضم إليهما عدد لا بأس به من أساقفة وكهنة وعلمانيين مثقفين ثقافة يونانية رومانية •

يظن أن لينوس أسقف طرسوس هو الذى دعا لعقد هذا المجمع للنظر فى أمر الأسقف بولس (١) واجتمع المجمع (السنودس) فى سنة ٢٦٤ فى أنطاكيا نفسها ، ويحتن أن الذى رأس هذا المجمع هو بونس نفسه فلم يصل المجتمعون إلى نتيجة عملية (٢) واقد أعقب هذا المجمع مجمع آخر انتهى إلى نفس النتيجة التى انتهى إليها المجمع الأول (٣) •

(١) انظر كتاب د. أسد رستم الجزء الأول ص ٢٢٣ •
انظر كتاب هارنك Harnack. Hist. of Dogma vol. 3 p. 38.

(٢) نفس المؤلف هارنك ص ٣٩ •

(٣) انظر أيضا كتاب Quasten vol. 2. p. 166.

ويقول الدكتور أسد رستم أن الذين اجتمعوا في المجمع الأول رغبوا في الاستفادة من علم ديونيسيوس الأسكندري وحكمته ودرأيته وشهرته فدعوا إلى الاجتماع معهم في أنطاكية . و أراد ديونيسيوس أن ينبى هذه الدعوة ويعيد الوحدة إلى صفوف كنيسة المسيح ولكنه اعتذر عن الحضور نظرا لتقدمه في السن، وحض الأساقفة على التقوى وخوف الله (د . أسد رستم ص ١٢٣ : ١٢٤) .

وبالرغم من النتيجة الغير المشجعة التى وصل إليها المجمعان السابقان ، وخاصة المجمع الثانى الذى جاء إليه ممثلون من أقطار العالم المسيحى كله : والذى دعى بالمجمع الأعظم ، فإن الذين أخذوا على عاتقهم محاربة الهرطقة والضلال ، لم تستطع صدمة هذين المجمعين أن تضعف من عزيمتهم ، فقد تابعوا النضال لاعلان الحق الإلهى . ولذلك فقد بذلوا الجهد الجهد لعقد مجمع آخر ، وفعلا انعقد مجمع آخر في سنة ٢٦٨ في أنطاكية أيضا . وقد تضاربت الآراء في عدد الذين حضروا في المجمع ، فقال البعض إنهم كانوا حوالى ٧٠ أو ٨٠ نائب (انظر ATHANASE, DES SYNOD. 43 HILAIRE DE SYNOD P. 86 . وقال البعض الآخر إنهم كانوا حوالى ١٨٠ نائب (انظر HARNACK HIST. OF DOGMA VOL. P. 38)

وام يجهل أعضاء هذا المجمع (السنودس) فكر بولس الثعلبى وخبرته الطويلة وتحنكه في الأمور السياسية والدبلوماسية ، ولذا لم يقد طلبوا من الكاهن مالكيون العالم ومدرس المنطق الشهير المعروف بعلمه وخبرته وتقواه القيام بالنقاش وطرح الأسئلة على الأسقف الأنطاكى . واقد سجل الحوار أشخاص تمرنوا على الكتابة السريعة ، وبعد النقاش الطويل استطاع هذا الكاهن بلباقته وعلمه إظهار هرطقة الأسقف وفساد تعاليمه وضلال عقيدته . فحكم المجمع بقطعه من

الكنيسة وعينوا أسقفنا آخر بدلا منه (١) . ولقد كتب كل الرعاة المجتمعين رسالة إلى كل من ديونيسيوس أسقف روما وماكسيموس أسقف الاسكندرية وكذلك إلى كل كتائس المقاطعات والبلاد الأخرى شارحين هرطقة وفساد عقيدته وسوء سلوكه . (راجع أسابوريوس HIST. ECCL. 7, 29, 1 - 30, 1)

ولكن للأسف الشديد فإن بولس السميساطى لم يخضع لقرار السنودس ولم يقبل قرار الخلع فظل في منصبه كأسقف لأن الملكة زينب أيدته ، فظلت أوامره نافذة معمولا بها ، وكأنه لم يحدث شيء . ولم يغير قرار السنودس شخصية بولس ولا تعاليمه . وقد استمرت الأمور تسير على ماكانت تسير عليه لمدة أربع سنوات أخرى .

ولكن عندما تولى أوريليانوس الحكم وسقطت الملكة زينب وسلطانها ، تغيرت الأمور . وزال سلطان ونفوذ الأسقف الأنطاكى بزوال سيدته وحاميته .

وعندئذ بدأت الكنيسة تتنفس الصعداء بعد أن تحررت من أسقف هرطوقى طاغ ، ولقد ظنت في ذلك الوقت بأنها تخلصت تخلصا نهائيا من الهرطقات والتعاليم الضالة بحكمها على بولس السميساطى وقطعه من الكنيسة ، ولم تعلم بأن بولس لم يكن إلا واحدا من حوكب طويل من الهرطقة والمعلمين الكذبة الذين سيوجهون سهامهم السامة لكي يقتلونها ويقضوا عليها . لم تعلم هذا . . . لكنها علمت يقينا بأن الذى وعدها قائلا : « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » أمين وعادل وسيحقق وعده لها بالرغم من ضعفها وعدم أمانتها .

(١) يعتقد د. أسد رستم بأن دومنوس هو الذى انتخب أسقفنا لمدينة أنطاكيا بدلا من بولس (انظر كتاب د. رستم الجزء الأول ص ١٢٧) .

بعض المراجع لدراسة حياة وتعاليم بولس السامسياني .

1. Eusebe. *Histoire Ecclesiastique*. 7, 27, 2.
2. Saint Hilaire (De Synod 581, 86).
3. Leonce (De Sectis 3, 3).
4. H. J. Lawlor. *The Sayings of Paul of Samosata*. JTHST 19 (1917 - 1918) 20 - 45, 115 - 120.
5. H. de Riedmatten, *Les Actes du Proces de Paul de Samosate* (Paradosis 6) Fribourg 1952.
- (٦) راجع كتاب Quasten ص ١٦٦ — ١٦٨ يحتوي على قائمة من الكتب التي تعالج هذا الموضوع . نكر سابقا .
- (٧) راجع كتاب الدكتور أسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى — الجزء الأول من ص ١١٩ — ١٢٠ .
8. M. E. Haag. *Histoire des dogme Chrétiens*. نكر سابقا
9. A. Harnack. *History of Dogma* Vol 3 pp. 34 - 50.
10. J. Liernaert. *Histoire des dogmes*. نكر سابقا

الفصل الثاني عشر

LUODEN

لوقيانوس

إن كنيسة أنطاكية قد حاولت هي أيضا الإجابة على هذا السؤال الذي طرحه السيد في قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إنى أنا ابن الانسان ؟ » وكنيسة أنطاكية كنيسة قديمة ، إذ أن أعضاءها هم « الذين تثبتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استقنانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية » (أع ١١ : ١٩) .
كما أنه في أنطاكية دعى التلاميذ لأول مرة في التاريخ بمسيحين : « ودعى التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا » (أع ١١ : ٦) . والتقليد الكنسي الأنطاكي يرجع تأسيس كنيسة أنطاكية إلى القديس بطرس نفسه (١) فكان على هذه الكنيسة أن تجاوب هي أيضا على نفس السؤال المطروح : « من يقول الناس ... » مثل أخواتها في الاسكندرية وفي قيصرية وقارطاجنة وروما . وهذا ما حاول القيام به أساقفتها ومعلموها وقادتها وأعضاؤها . ومع أن هؤلاء الأساقفة والمعلمين والقادة — لم

(١) راجع كتاب د. أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . الجزء الأول ص ١٩ - ٢١ .

يهملوا الناحية التعليمية والعقائدية في كتاباتهم : فإن مدرسة أنطاكية اللاهوتية لم تظهر إلا في الجزء الثالث من القرن الثالث . والذي قام بتأسيس هذه المدرسة والتعليم فيها هو :

لوقيانوس :

يعتقد البعض بأن لوقيانوس من سميساط أي بلد بولس السميساطي ، فعندما أصبح هذا الأخير أسقفا استندعى لوقيانوس الرجل العالم المثقف ورسمه كاهنا وأوكل إليه مهمة التعليم في مدينة أنطاكية (انظر د . أسد رستم نفس المجلد ص ١٤٤) .

ونجهل الكثير عن حياة وتعاليم هذا الرجل ، ولكن ما قد وصلنا إلينا يعطى لنا فكرة ولو جزئية عن حياته وتعاليمه .

وهارنك يقدمه لنا كشخصية بارزة لامعة ، ومثقت ثقافة عظيمة (١) وكان يجيد اللغة العبرية ، ولذلك فقد قام بتصحيح ترجمة العهد القديم (انظر JEROME, PRAEF. J. PARHL, ADV. RUF 2, 27) . وجيروم يشير أيضا إلى كتيب قد كتبه لوقيانوس ، على أنه لا يذكر محتويات هذا الكتيب (JER., DE VIR, ILL 77) .

إن لوقيانوس كان يتبع نظاما يختلف عن النظام الذي كانت تتبعه مدرسة الاسكندرية في تعليمها ، فهذه الأخيرة كانت أمينة لطريقة أوريجانوس التفسيرية ، أي التفسير المجازي . وبناء على ذلك فإن هذا التفسير كان يرى السيد في كل مكان في الكتاب المقدس . أما مدرسة أنطاكية فقد اتجهت ناحية التحليل للفصول الكتابية مستعينة بعلم اللغة والقواعد والتاريخ . فمدرسة أنطاكية اتبعت نظاما يمكن أن

A. Harnack. History of Dogma vol. 4. pp. 1 - 6.

نسميه الطريقة العلمية • أما مدرسة الاسكندرية فقد اتبعت نظاما يمكن أن نسميه الطريقة الروحية • وربما لهذا السبب نجد أن التفاسير التي قامت بانتاجها مدرسة أنطاكيا عمرت وقتا أطول من التفاسير التي أنتجتها مدرسة الاسكندرية ، إلا أنه يجب أن لا يغيب عن بالنا أن الوقت الذي ظهرت فيه مدرسة أنطاكيا كطفل رضيع يحبو على يديه ورجليه ، كانت مدرسة الاسكندرية قد وصلت إلى أوج عظمتها ، فانتشرت تعاليمها ليس في الاسكندرية ؛ تتطبل في بلاد كثيرة أخرى بفضل أوريجانوس والمدرسة التي قام بتأسيسها في قيصرية •

ما هي تعاليم لوقيانوس الكرسولوجية ؟

قيل، أن نتكلم عن تعاليم لوقيانوس العقائدية ، نرى أنه يجدر بنا أن نشير إلى حقيقة أن المعلم الأنطاكي كان يتمتع بشهرة عظيمة ، لا لثقافته الواسعة وإجادته للغة انعبرية فقط ، بل لأنه كان يحيا حياة لا تشوبها شائبة ، فقد كان مترفعا عن الدنيا ونزيها ولقد مارس حياة التقشف ، على العكس تماما من ولى نعمته الأسقف بولس السميساطي، وكان أيضا غيورا لله وانتشار ملكوته ودافع عن الايمان بكل ما وهب من قدرة علمية ، وختم حياته بالاستشهاد في يوم ٧ يناير ٣١٢ على يد الامبراطور مكسيموس دايوس (MAXIMIN DAIA) بعد أن قاسى عذابات تفوق الوصف (انظر RUFIN HIST. ECCL. 9.6)

وأسابيوس المؤرخ الكنسي يقدم لنا صورة منيرة رائعة عن قدرته العلمية وعن حياته التقشفية ، ثم عن دفاعه واستشهاده (انظر أسابيوس HIST. ECCL. 9, 6, 3) وكتاب أسد رستم الجزء الأول ص ١٧٩ •

واكن للأسف أن المعلم الأنطاكي شوه الصورة التي ذكرناها أعلاه بتعاليمه المنحرفة • فعلى ما يعتقد أن الأسقف بولس ترك بتعاليمه أثرا

عمية: جداً على الشاب لوقيانوس السيساطى ، وأن هذا الأخير لم يقبل فقط هذه التعاليم البونسية بل نادى بها وعلمها في مدرسة أنطاكية . وفساد عقيدته لم يكن خطراً على هذا الشخص — لوقيانوس — وحده ، بل كان سماً مميتاً لمدرسة كاملة : أي مدرسة أنطاكية ، بل إن هذا الداء القاتل امتد فعله إلى أجيال عديدة وبلاد مختلفة متنوعة .

فإن الوثائق التاريخية تعرفنا بأن لوقيانوس كان خلفاً للأسقف بولس السيساطى في تعليمه لعقيدته . وأباً ومصدراً رينبوعاً لتعاليم أريوس . فإن هذا الأخير (أريوس) كان فخوراً بأنه تلميذ للوقيانوس ، لدرجة أنه كان يصف نفسه بالقول أريوس اللوقيانوسى (١) .

والخطاب الذى أرسله أسقف الاسكندرية بعد عشر سنوات من وفاة لوقيانوس إلى كل أساقفة مصر وسوريا وآسيا وتبادوكية ، يعرفنا بأن لوقيانوس كان خليفة لبولس وأباً لأريوس . إذ أن أريوس اعتنق أفكار المعلم الأنطاكى ونادى بها ، كما أن لوقيانوس اعتنق هرطقة بولس وعلم بها . أنظر : (THEODORE. HIST. ECCL. 1, 4, EPIPHARE, HAER., 69, 9)

وبناء على ذلك يمكننا أن نقول بأن الهرطقة الأريوسية التى حددت كيان الكنيسة ، والتى أدت فيما بعد إلى انقسامات خطيرة ومؤلمة والتى نعانى من نتائجها حتى الآن ، لم تولد في مصر بل قد حبل بها وولدت في أنطاكية ثم ظهرت في الاسكندرية عندما قام بالمناداة بها أريوس الليبى تلميذ لوقيانوس الأنطاكى .

واقصد علم لوقيانوس بنفس التعاليم التى علم بها أستاذه بولس

من قبل بعد أن أضاف إليها بعض الإضافات الطفيفة • فهو يؤمن بأن الله واحد وحيد لا مساو له • وهو الخالق لكل الأشياء ، وكل ما هو خارج عنه فهو مخلوق • فهو الذى خلق الحكمة أو اللوجوس • وهذه الحكمة أو هذا اللوجوس أو الكلمة أخذ جسدا بشريا لا روحا • وبما أن ابن الله تألم وجاع وعطش واضطرب ، فإنه أخذ فعلا جسدا بل كان يسوع (إنسانا حقيقيا • والخطورة هنا ليس في تعاليمه بحقيقة ناسوت المسيح بل أن الخطورة كامنة في المناداة بأن يسوع كان إنسانا وابننا بالتبني فقط وليس ابن الله بالجواهر •

والمسيح هو الشخص الذى عرفنا بالله والذى ارتفع إلى المجد بعد أن أظهر طاعة كاملة ومحبة عارمة لله • ويحتفل أنه علم أيضا نفس العقيدة التى نادى بها أستاذه وأسقفه ، المختصة بالتمييز بين يسوع وبين اللوجوس • والخطأ في هذه العقيدة هو التفريق بين ابن الله وابن الإنسان ، بين اللاهوت وبين الناسوت ، وكأنه يوجد إيمان لله لا ابن واحد • وبهذا فقد مهد لوقيانوس الطريق لأريوس وللهرطقة الأريوسية التى ستظهر بعد استشهاد المعلم الأنطاكي بما لا يزيد عن عشر سنوات •

وتعرف من خطاب الأسقف الكسندر الاسكندري الذى أشرنا إليه سابقا ، بأن لوقيانوس ظل محروما في أثناء الفترة التى تولى فيها الجلوس على كرسى أنطاكية الثلاثة الأساقفة الذين خلفوا على التوالى الأسقف بولس السميساطى (أنظر 1, 4 THEODORET HIST. ECCL.)

لقد انتصر الامبراطور أوريليانوس على أعدائه وهزم الملكة زينب وكسر شوكتها ، فزال بزوال سلطانها الأسقف بولس ، لأن الامبراطور نفذ قرارات مجمع (سنودس) سنة ٢٦٨ • ولا نعلم شيئا من أخباره بعد ذلك • على أن البعض يعتقد بأن أتباع بولس كانوا يواصلون

اجتماعاتهم في الخفاء (١) •

إن كنيسة أنطاكية شعرت بعد تدخل الامبراطور في النزاع وإبعاد الأسقف بولس عن رئاستها ، بل الكابوس الذي كان جاثما على صدرها قد انزاح وأن الهرطقة التي كانت تهدد الكنيسة كلها اختفت الى الأبد • ظنت الكنيسة ذلك عندما نفذ الامبراطور أوريليانوس في سنة ٢٧١ قرارات مجمع (سنودس) سنة ٢٦٨ • ولكنها لم تعلم بأنه كان في داخل الكنيسة ثعالب صغيرة مخفية تعمل في الخفاء على افساد الكروم : «خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغار المفسدة الكروم » •• (نشيد الانشاد ٢ : ١٥) •

بعض المراجع عن حياة وتعاليم لوقيانوس الأنطاكي :

1. Eusebe. Hist. Eccl., 9, 6, 3, Rufin. Hist. eccl. 9, 6, Jerome De vir ill., 77, Theodoret. Hist., eccl. 1, 4,
2. G. Bardy. Le discours apologetique de Saint Lucien d'Antioch (Rufin, H. E. 9. 9) RHE 22 (1925) 487 - 512.
3. G. Bardy. Recherches sur saint Lucien d'Antioche et son ecole. Paris 1936.

(٤) راجع كتاب Quasten vol. 2 من ١٧. تجد قائمة بكتب هامة عن نفس الموضوع .:

(٥) راجع أيضا الجزء الأول من كتاب د. اسد رستم من ١٤٣ — ١٤٧ .
يفكر قائمة هامة أيضا بكتب تخص الموضوع .

6. A. Harnack. History of Dogma. Translated from the third German edition by E. B. speirs D.D. and James Miller B. D. Volume IV. pp. 1 - 6.

7. A. Harnack. Precis de L'histoire pp. 176 - 179 (نكر سابقا)

الفصل الثالث عشر

أريوس ARIUS

كان لوقيانوس المعلم الأنطاكي غيورا على الدين يدافع عنه بكل قوته وعلمه ، لا يخاف من وعيد ولا ينعوى بوعود . ولذلك فقد نادى بمعتقداته التي كان يؤمن بها ويعلمها . وللأسف الشديد أن معظم هذه التعاليم كانت تصطبغ بالصبغة الهرطوقية ، وبالرغم من أن هذا المعلم كان هرطوقيا في تعاليمه ومعتقداته ، فقد تمسك بها تمسكا وثيقا وقت الاضطهاد الذي ثبته مكسيمينوس ضد المسيحيين في سوريا . فالتقى القبض على هذا المعلم لأنه مسيحي وسجن في نيقوميديّة : وقاسى في سجنه أنواعا من العذاب تقشعر لها الأبدان ، ويعجز صاحب القلم السيال عن وصفها على حقيقتها . فقد ضرب وجلد ووضع على صنجات ساخنة وحرم من الأكل والشرب ، وبالرغم من هذه العذابات الشنيعة كان جوابه تعذيبه : « أنه مسيحي » .

فلقد كان المسيحيون في الامبراطورية الرومانية موضوع اضطهادات عنيفة وقاسية في أوقات كثيرة وفي أماكن مختلفة ، وقد اجتاحت بعض المناطق مثل سوريا ومصر . حتى بعد قرار العقول الذي أصدره الامبراطور بقلايريوس في سرديكة في سنة ٣١١ والذي كان

يحتوى على وقف الاضطهادات عن المسيحيين انظر. (EUSEBE
HIST ECCL. 8, 17) •

فمنذ ظهور المسيحية مرت الكنيسة بأوقات عاصفة وبأوقات هادئة
إلى أن جاء قسطنطين (١) وأصدر ليكنيوس ما يسمى بمعاهدة ميلان
التي تضمنت حرية الأديان • وعندئذ أعلن الامبراطور ليس فقط حرية
العبادة بل إعادة أملاك الكنائس التي قد صادرتها السلطات السابقة ،
وعمل أيضا على مساعدة الكنائس وترميمها وبناءها •

وهنا بدأت الكنيسة تتنفس الصعداء وتشعر بالحرية التي كانت
تتوق إليها من زمن بعيد • فمع أن الكنيسة لم تصبح في هذا الوقت
ديانة الدولة كما يظن البعض خطأ ، ولكنها كانت تتمتع بامتيازات عظيمة
جدا ويكفى أنها صارت مساوية في الحقوق لباقي الديانات الأخرى
الموجودة في الامبراطورية • وقد أصبحت الكنيسة فيما بعد كنيسة
الدولة ، وهنا تتحد القوتان العظيمتان : القوة الروحية والقوة الزمنية ،
الله وقيصر ! !

في هذا الوقت الذي كانت تتمتع فيه المسيحية بالحرية ، ظهر تلميذ
المعلم الأنطاكي :

أريوس اللبني :

ولد ونشأ في عائلة مسيحية أم وثنية ، لا نعلم عن ذلك شيئا ؟

(١) يعتقد البعض بأن قسطنطين قبل المسيحية أو على الأقل منح الحرية
للمسيحيين بعد أن رأى رؤية طلب منه فيها أن يرسم علامة الصليب
قبل إقدامه على معركة حربية كان لا بد له أن يخوضها ، وقد كسب
فعلًا المعركة بعد أن فعل ما طلب منه (انظر Eusebe. Vita Constantini
1, 28 - 30 ، كتاب د. أسد رستم ، الجزء الأول ص ١٨٠-١٨١)

٤ — إن معرفة الابن محدودة وليست مطلقة ، ولا يستطيع أن يعلن لنا الآب بطريقة كاملة .

٥ — إن الله خلق الكلمة ، الابن لأجلنا ، لأنه عندما أراد أن يخلقنا ، خلق كائنا يدعى الكلمة ، أو الحكمة لكي نكون على صورته . فلو أراد الله أن لا يخلقنا لأصبح وجود الابن مستحيلا . فالابن مخلوق مثل كل الخلائق ، متغير : غير أزلي ، ليس كلى العلم ، ولقد كان حرا أن يظل صالحا كما خرج من بين يدي الله أو أن يرتد إلى الشر مثل الشيطان . على أن الله قد سبق وقرر بأن يسلك الابن في طريق الصلاح . ولهذا فقد منحه مجدا إلهيا . وهذا المجد الإلهي ما هو إلا هبة من الله ، وعن طريق هذا المجد الممنوح ارتفع الابن فوق كل الخلائق . (انظر كتاب بونيفاس ٢ : ٣٦ - ٤٠) .

كان ألكسندروس هو أسقف الاسكندرية في ذلك الوقت . ولقد وصفه بونيفاس بالقول بأنه كان شيخا ضعيفا ومريضا . ولو لم يكن بجانبه الشاب ايفانسيوس اثناسيوس المتقد غيرة وحماسة ، لمرب الأمور دون أن يعرهما أحد ! اهتماما كبيرا (بونيفاس ٢ : ٤١) . ونظن أن بونيفاس يبالغ في وصف أسقف الاسكندرية ، ومما لا شك فيه أن اثناسيوس كان كتلة من الايمان والغيرة والتقوى ، وقد قام بدور هام جدا في هذا الصراع العقائدي . إلا أن أسقف الاسكندرية ألكسندروس لم يهمل هذا الأمر ، بل عندما سمع بتعاليم أريوس استدعاه وناقش معه هذه المسألة ، وأخيرا عندما رفض أريوس الخضوع طلب ألكسندروس عقد مجمع (سنودس) في حوالي ٣٢٠ أو ٣٢١ وقد حضره حوالي مائة أسقف مصري وليبي للنظر في قضية أريوس (انظر كتاب HARNACK (HIST OF DOGMA VOL. PP. 7 - 10

ولقد عرض الأسقف ألكسندروس على المجمع (السنودس) بدعة

الكاهن أريوس ، فناقشوها معا ولم يتبع أريوس في آرائه إلا أسقفان
ليبيان ، وهما ثيوفانس وسكوندس (هارنك تاريخ العقيدة
H. HIST. OF DOG. الجزء الرابع ص ٨ - ١٠) . وبعض
القسوس وبعض الشماسة (أو قسوس و ٦ شماسه) (انظر
كتاب د . أسد رستم الجزء الأول ص ١٩٤) وقرر المجمع قطع الكاهن
أريوس من الخدمة .

وعندما صدر قرار الحرمان وجد أريوس أن الجماعة التي تلتف
حوله وتقول بقوله وتؤمن بإيمانه في الاسكندرية قليلة جدا . وتعد على
الأصابع . ولذلك فقد ثبت أنظاره على الخارج . ولقد سبق أن ذكرنا أن
أريوس درس في أنطاكيا على يدى المعلم لوقيانوس ، وبناء على ذلك
فهو كان يعرف البعض من الذين نادوا بتعاليم معلم أنطاكيا ، خصوصا
أنه نادى هو نفسه بها . بل كان فخورا بتلمذه على يدى لوقيانوس .
فيحتمل إذن أنه كان يعرف أو كان على صلة ببعض زملائه في زمن
التلمذة ، والذين كانوا يشابعون لوقيانوس في عقائده أمثال أسابيوس
أسقف نيقوميديا وأسابيوس أسقف قيصرية فلسطين ، وغريغوريوس
أسقف بيروت ، وثيودوتوس أسقف اللاذقية وآخرون . . . فجاء أريوس
إلى قيصرية فلسطين وشرح لأورخ الكنيسة العظيم أسابيوس أسقف هذه
المدينة موقفه وعقيدته . وكان أسابيوس عالما مشهورا في تاريخ الكنيسة
والآباء ويتمتع بمكانة عظيمة في المنطقة كلها . إلا أنه كان يميل إلى
تعاليم لوقيانوس دون المجاهرة بها . ونصح أسابيوس أريوس بأن
يكتب إلى سفيه أسقف نيقوميديا ، فكتب إليه ثم ذهب لبقائه . وبعد
أن إطلع أسابيوس أسقف نيقوميديا على أفكار وتعاليم أريوس كتب
هو بدوره إلى عدد كبير جدا من الأساقفة ، حاضا إياهم على الوقوف
بجانب أريوس وتأييده (انظر THEODORET. HIST. ECCL. 1 5)

دعا أسقف نيقوميديا إلى عقد مجمع فيها للنظر في قضية أريوس، واجتمع المجمع وقرر قبول أريوس الكاهن وأتباعه في الشركة . ولقد كتب المجمع إلى الأسقف ألكسندروس بأن يرفع الحرمان عن أريوس كما طلب أيضا من أريوس بأن يكتب إلى أسقفه موضحا عقيدته وإيمانه . وكتب فعلا أريوس إلى أسقفه رسالة رقيقة ولبقة معترفا فيها بأنه لم يعلم ولم ينسأد بغير ما نادى به أسقفه (انظر : ÉPIPHANE, HAER. 69, 7)

ويعتقد بونيفاس بأن مجمعين قد انعقدا في كل من بيت عنيا وفي فلسطين لبحث مشكلة أريوس وطالب كلاهما برجوع أريوس ولكن ألكسندروس رفض هذا القرار المجمعى ، فانفصل أريوس مع أتباعه عن الكنيسة (انظر ص ٤٢ BONIFAS. 2 VOL)

ويظن هارنك أن سنودس بيت عنيا هو المجمع الذى حكم فيه أريوس إلى درجته وخدمته . فلقد انعقد هذا المجمع بأمر وتحت رئاسة زميل أريوس في التلمذة وهو الأسقف أوسابيوس النيقوميدي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت العلاقات بين الأسقف المصرى والأسقف النيقوميدي غير طيبة ، وهذان الأمران لعبا دورا لا يهمل في موضوع أريوس ، إلا أنهما لم يكونا جوهرين (١) . ومع أن المجمع اتصل بأسقف الاسكندرية لكي يوافق على قرار المجمع (السنودس) ولكن يقبل أريوس في الخدمة . إلا أن ألكسندروس رفض هذا القرار رفضا باتا . وحالما وصلت إليه هذه الأخبار ، رأى فيها تصدعا في وحدة الكنيسة التى هى جسد المسيح والتى يجب أن تحتل المكان الأول في الحكم . ولذلك فقد أرسل عددا كبيرا جدا من الرسائل إلى الأساقفة شارحا لهم قضية أريوس ويكرر بشدة على وحدة الكنيسة .

بمقتضاها لم يزل ينادى بالخلاص ، ففعلوا ما أحبوا .

(A. Harnack Hist. of Dogma vol. 4 pp. 301-302)

أما أريوس فقد انتهر هذا القرار السنودسى الذى أصدره مجمع نيقوميدية فى صالحه ، وعاد إلى الاسكندرية مع جماعة من أتباعه وبدأ نشاطه فى الخدمة . ولقد ألف أريوس فى أثناء الفترة التى أقامها فى نيقوميدية كتابه المعروف «بالمثالية» (THALIA)

كان أريوس كاتباً وشاعراً ، فالف بعض الترانيم العقائدية التى انتشرت بين جميع طبقات المجتمع المصرى ، وسرت العدوى ليس فقط فى مصر بل فى بلاد أخرى ، وترعها جماعة من تجار الانشقاقات والانقسامات أمثال استيروبيوس الذى جال فى بلاد الشرق منادياً ومبشراً بالبدعة الأريوسية . (انظر نفس المرجع لهرنك من ص ١٨ — ٢٣ من المجلد الرابع ثم كتاب د . أسد رستم الجزء الأول ص ١٩٧) .

وعلى ما يظهر فإن نجم أريوس بدأ يلمع من جديد ليس فقط فى مصر وفى موانئ الاسكندرية حيث كان يتغنى البعض ، على الأخص الملاحون الذين كانوا يحملون ويفرغون السفن ، بالترانيم العقائدية التى كتبها أريوس والتى كان يصف فيها علاقة الآب بالابن ، بل إن شهرته امتدت إلى بلاد كثيرة فى الشرق وأصبح أتباعه وأعدادهم كثيرين . وبهذا فقد اتسعت شقة الخلاف واستفحلت إذ أن كلا من الجانبين حاول أن يجذب إليه العدد الأكبر وخصوصاً من الأساقفة ذوى النفوذ والتأثير على المستويين السياسى والدينى . ولذلك فقد كتب كل من الطرفين رسائل عديدة وخطابات طويلة يشرح فيها عقيدته وموقفه مدعياً بأنه على حق ، وأنه لا يسلك إلا على الصراط المستقيم والإيمان القويم . بل إن كلا من الطرفين رجع إلى الكتاب المقدس واقتبس آياته التى تؤيد وجهة نظره .

ولم تكن هذه المجادلات عبارة عن ثروة كلامية ومعارك خطابية

وهجمات عظيمة ، كما ظن الامبراطور قسطنطين ذلك ، بل إن الأمر كان أخطر من ذلك بكثير ، إذ تولدت الأحزاب وشاعت الاضطرابات . وهنا انقسمت الكنيسة ليس في مصر فقط بين أتباع الكسندروس الأسقف وأتباع الكاهن أريوس ، بل إن هذا الانقسام قد انتشر أيضا في كنائس كثيرة في الشرق كله ، بين الأساقفة وبين الشعب .

لقد ظهرت هذه الاضطرابات والانقسامات في الكنيسة الشرقية في نفس الوقت الذي بدأ فيه الامبراطور قسطنطين يشعر بالاطمئنان الجزئي والسلام على وحدة الامبراطورية . إذ أنه بذل كل غال ورخيص للوصول الى عرش هذه الامبراطورية الرومانية وتوحيدها ، وقد وصل إلى هذا الهدف بعد موقعة خريسوبوليس التي فيها سويت الأمور بينه وبين ايكتيوس وأصبح سيدا للموقف في سنة ٣٢٣ - ٣٢٤ . وهنا يظهر خطر جديد لتمزيق هذه الامبراطورية ، ومع أنه ظن في بداية الأمر بأن هذه الانقسامات والاضطرابات ما هي إلا نزاعات ومعارك كلامية ، لكنه أدرك حالا أن هذه النزاعات والانقسامات تهدد سلامة الامبراطورية تهديدا جديا وخطيرا .

ومن المؤسف والمؤلم والمحزن أن هذه الانقسامات والاضطرابات ظهرت في الكنيسة بصورة بشعة ، فأصبحت كفتال بين حزبين سياسيين ، بل كحرب بين جيشين ، يقاتل أحدهما الآخر على مسمع ومرأى من الوثنيين ، الذين كانت الكنيسة تريد أن تكتسيهم وتضمهم إلى ديانة يسوع المسيح ، ديانة الحب والسلام ، وأي حب وسلام ؟ !!

لم يقبل الامبراطور قسطنطين هذه الصورة البشعة التي ظهرت بها المسيحية ، وفي حقيقة الأمر لم يكن رفضه لهذه الصورة الغير المشرفة

للمسيح ، نابعا من غيرته للمسيح والمسيحية فقط بل كان يرى في هذه الانقسامات والمعارك اللاهوتية عاملا خطيرا وهذا ما لوحده الامبراطورية الرومانية . ولهذا السبب فقد استشار الامبراطور صديقه العزيز الأسقف هوسيوس (HOSIUS) ، واتفق الاثنان على أن يكتب الامبراطور شخصيا إلى كل من ألكسندروس أسقف الاسكندرية وإلى أريوس داعيا اياهما إلى ترك المجادلات العقيمة التافهة والرجوع إلى الصلح والسلام والبنيان . وحمل هذه الرسالة الأسقف هوسيوس نفسه لكي يناقش الأشخاص المعنيين بالأمر في مشكلة الانقسام الخطيرة . وتعتبر هذه الرسالة من أهم الرسائل الدينية التي كتبها قسطنطين . (راجع HARNACK HIST. OF DOG. VOL. 4. 13 - 15)

ومع أن هذه الرسالة لم تأت بالنتائج التي كان ينتظرها الامبراطور ، إلا أن رحلة هوسيوس ومقابلته لبعض الأطراف الداخلة في النزاع مثل ألكسندروس وأريوس ثم أسقف نيقوميديا ، قد سمحت له بأن يكون صورة متكاملة الجوانب للموقف . وهنا ظهر اقتراح عقد مجمع مسكوني في نيقية للبت في هذا الأمر .

ولقد تضاربت الآراء حول من هو الذي دعا لعقد هذا المجمع . فهارنك يعتقد بأن الذي أخذ مبادرة اجتماع مجمع مسكوني هو الأسقف هوسيوس نفسه (HARNACK HIST. OF DOG. VOL. 4 P. 13 - 15) إلا أن البعض الآخر يظن بأن الذي فكر في عقد مجمع مسكوني هو أسقف الاسكندرية ألكسندروس (انظر PHILOSTROGE HIST. 1, 7) أما المؤرخ إكتسي أسابنيوس فهو يعتقد بأن الذي دعا لاجتماع مجمع نيقية هو الامبراطور قسطنطين نفسه . على أي حال لقد أمر الامبراطور بعقد هذا المجمع بعد أن ولدت فكرته .

(راجع : — تاريخ الفكر المسيحي /

مجمع نيقية : (LE CONCILE DE NIOEE)

كما أن الآراء اختلفت على تحديد من هو الذي أخذ المبادرة لعقد مجمع نيقية ، فلقد اختلفت أيضا في تعيين رئيس هذا المجمع العظيم ، الذي وإن لم يكن أول مجمع في تاريخ الكنيسة ، إلا أنه أول مجمع مسكوني . فلقد ظن البعض بأن الذي رأس هذا المجمع هو فستاثيوس أسقف أنطاكيا . واعتقد البعض الآخر بأن الذي رأس هذا المجمع هو الأسقف هوسيوس صديق الامبراطور ومستشاره ، وخصوصا أن اسمه كان أول الموقعين ، ورأى البعض الآخر في أسابيوس المؤرخ الكنسي رئيسا لهذا المجمع (١) . ويتسائل هارنك قائلا : من هو الذي رأس هذا المجمع ؟ أهو فستاثيوس أو أسابيوس الفيصرى أو هوسيوس . لا نعلم بالضبط . إلا أنه من الواضح الجلى أن هوسيوس كان يحتل مركزا هاما جدا ، وقام بدور حاسم في مجمع نيقية (٢) .

والأمر الذي لا شك فيه أن هذا المجمع العظيم عقد في مدينة نيقية ورأسه أحد الأساقفة وحضر الافتتاح الامبراطور قسطنطين نفسه .

وكم كان المنظر غريبا وعجيبا ومدهشا ، بل مؤثرا للغاية عندما اجتمع هؤلاء الأساقفة وكان يعرض بعضهم على بعض التشوهات الجسدية وآثار الجروح والضربات والجلدات التي تركتها فترة الاضطهاد العنيفة القاسية . والآن كل شيء قد تغير بل إن الامبراطور نفسه حاضر معهم يأمر جيشه بحراستهم والعناية بهم .

وبدأ مجمع نيقية جلساته في ١٩ يونيو ٣٢٥ ، ولقد اختلف

(١) انظر كتاب د. أسد رستم الجزء الأول ص ٢٠١

(٢) Harnack. Hist. of Dog. vol. 45 - 51.

المؤرخون أيضًا على عدد المثلين في هذا المجمع • فهرتك يعتقد بأن عدد الأساقفة كان يتراوح بين ٥٢٠ - ٣٠٠ ، ثم يتعرض لخطاب القديس أثناسيوس الذي يذكر فيه بأن عدد الأساقفة ٣١٨ أسقف ، إلا أنه يقول إن هذا الخطاب تحوم حوله الشكوك (انظر: HARNACK. HIST. OF DOGMA VOL. 4. 45 - 51 واحتلت كنائس الشرق في هذا المجمع المائة الأولى ، بل إن الأغلبية الساحقة من أعضائه جاءت من الشرق ولم يأت من الغرب إلا أربعة أو خمسة أشخاص • لم يوجد أي ممثل لكنيسة بريطانيا • وناب عن كنيسة أسبانيا شخص واحد ، كما ناب عن كنيسة بلاد الغال (فرنسا) شخص واحد، كما ناب عن كنيسة روما شخصان (نفس المرجع هنك IBID. 45 - 51) •

ويمكننا أن نلاحظ وجود ثلاثة أحزاب في هذا المجمع :

(١) الحزب المصرى وعلى رأسه الأسقف ألكسندروس وأثناسيوس وانضم إلى هذا الحزب ممثلو الغرب وهم أقلية •

(٢) حزب أريوس اللوقيانوسيون (أتباع لوقيانوس) وعلى رأسه الأسقف أسابيوس النيقوميدي • وهذا الحزب لا يضم هو الآخر إلا أقلية من أعضاء المجمع • ولكنها أقلية متحمسة •

(٣) وأما الحزب الثالث فيمكن أن نسميه الحزب المحايد أو أتباع أوريجانوس وعلى رأسه أسابينوس القيصرى مؤرخ الكنيسة المعروف • وقد اشتهر بالعلم والاتزان والمعرفة (انظر: BONTAS 1 VOL. 1, P. 42 - 45) ، ثم هنك (HAR. HIST. 45 - 51 OF DOG.) • ويقول هارنك بأن أغلبية الأساقفة الذين كانوا يمثلون الكنائس في هذا المجمع كانوا على درجة متوسطة من العلم (IBID 50) •

هذه الصورة تعطينا فكرة : ولو جزئية عن هذا المجمع المسكوني الأول العظيم الذي نظر في قضية أريوس وتعاليمه • ولقد بدأ رئيس المجمع بتحية الامبراطور وشكره على اهتمامه وعنايته بالكنيسة ثم دعا المجمع إلى فحص القضية التي من أجلها انعقد هذا المجمع •

فعرضت أمام الآباء المجتمعين تعاليم أريوس التي نادى بها ، ولقد قرأوا بعض الفصول من كتابه الذي يدعى «المثالية» لكي يقارنوا تعاليمه بتعاليم الكتاب المقدس وتعاليم الآباء •

ويعتقد البعض بأن الآباء المجتمعين في المجمع سدوا آذانهم اشمئزازا ، حال سماعهم هذه التعاليم الهرطوقية (١) واكتفوا بهذه العينات المقروءة للحكم عليه • على أن بعض المؤرخين يظن أن المجمع طلب استحضار أريوس واستجوابه • والأمر المؤكد المحقق هو أن مجمع نيقية كان يضم ثلاثة أحزاب كما سبقت الإشارة • فبعد عرض القضية واتهام أريوس بالهرطقة ، قام الحزب الموالي له وعلى رأسه أسقف نيقوميدية بالدفاع عن الكاهن الليبي وعن عقيدته • وبعد جدال عنيف ونقاش طويل اقترح أسقف نيقوميدية وحزبه الذي كان يؤيد أريوس نصا لقانون الايمان • ولكن المجمع رفض قانون الايمان الذي اقترحه الأسقف أسابيوس النيقوميدى • وهنا تغيرت الأوضاع ، فعندما رفض المجمع قبول قانون الايمان الذي اقترحه الأسقف أسابيوس فإنه رفض في الوقت نفسه هرطقة أريوس إذ أن هذا القانون كان يحتوى على كثير من تعاليم أريوس • وجدير بنا أن نلفت نظر القارئ إلى الدور الذي قام به اشماش أثناسيوس في هذا المجمع • فمع أن البعض يظن أن أثناسيوس لم يشترك في المناقشات التي دارت في مجمع

(١) انظر Saint Athanase. Epist. Ad Epist. Aegypti 13.

نيقية ، وأن الأساقفة فقط هم الذين تفاوضوا في هذه القضية وهم وحدهم الذين اتخذوا القرارات (١) ، فإننا نعتقد مع البعض الآخر من المؤرخين بأن الدور الذي قام به القديس أثناسيوس في هذا المجمع كان دورا هاما جدا وحاسما (٢) .

ولقد رأى الأريوسيون في شناس الاسكندرية مدافعا غيدا عن الحق الكتابي وعن تعاليم الرسل والآباء ، فوهنت عزائمهم وخارت قواهم وسيطر عليهم اليأس ، ولهذا السبب فقد انضم حزب أريوس الذي فقد الأمل في الحصول على النصر ، إلى حزب الأغلبية ، حزب أتباع أوريجانوس وهو الحزب الذي كان يتزعمه أسابيوس القيصر . وكان هذا الحزب يعتبر حزبا محايدا وكان يضم أغلبية أعضاء مجمع نيقية .

أراد الأسقف أسابيوس القيصر رئيس هذا الحزب أن تكون له الكلمة الأخيرة والحل المقبول المرضى من جميع الأحزاب . وكان الأسقف القيصر يتمتع بشهرة عظيمة لمعرفته الواسعة بكتابات الآباء والتقاليد وتاريخ الكنيسة ، ولذلك فقد انتهر فرصة رفض المجمع لقانون الايمان الذي قدمه سمييه ، واقترح قانونا آخر للايمان . ونقد حاز هذا القانون قبول الكثيرين في المجمع . ولكن عند مناقشته ، ومعارضة الحزب المصري لبعض أجزائه ظهرت الإخطاء اللاهوتية التي كان يخفيها هذا القانون ، وعلى ذلك فقد اقترح ادخال بعض التصويبات والتعديلات على قانون إيمان أسابيوس القيصر .

وهنا قدم حزب الاسكندرية وعلى رأسه الأسقف الكسندروس

(١) Bardy G., Origines de l'arianisme, Fliche et Martin.

(٢) انظر كتاب بونيفاس Bonifas الجزء الثاني ص ٤٢ - ٤٥ .

والنمائي أثنايسوس قانون إيمان لا يعتبر قانوناً جديداً بل هو عبارة عن توضيح وتفسير القانون الذي اقترحه أسابيوس. ولقد ظن البعض أنه في حقيقة الأمر، أن أسابيوس قد استوحى جوهر نص قانونه هذا من قانون إيمان كان ألكسندروس ينوي تقديمه. وعندما تعرض المجلس لمناقشة قانون الإيمان الذي اقترحه أسابيوس أدخلت عليه بعض التعديلات والعبارات التي تعتبر في غاية الأهمية. فإن البعض يعتقد بأن الإمبراطور قسطنطين وبايحاء من صديقه الأسقف هوسيوس، اقترح إدخال الاصطلاح (HOMOOSIOS) (١).

وناقش المجلس قانون الإيمان المنقح الذي قدمه وقد الأسكدرية والذي يشهد بقدسية علي أن يسوع المسيح هو الابن الوحيد المولود من الآب، أي من جوهر الآب والمساوي له في كل الكمالات الإلهية. كما أن الآباء تمسكوا بعقيدة أن الابن مولود من الآب ولكنه غير مخلوق. وهنا استخدموا بطريقة واضحة وطريقة تعاليم الأريوسية التي كانت تنادي بعدم مساواة الابن للآب وأن الابن مخلوق كباقي المخلوقين. ولقد تعرض أثناسيوس على أشكال الاصطلاح، فقالوا: (LE FILS EST CONSUBSTANTIEL DU PÈRE) وقالوا إن هذه العبارة لا توجد في الكتاب المقدس وعريقة عليه، ويطاء على ذلك يجب رفضها. ولكن أثناسيوس وأتباعه ردوا بقلبي: هذا الاعتراض يقال بأن قولاً أنه صحيح. أن هذا الاصطلاح غير موجوداً بحرفياً في الكتاب المقدس لكنه معنوي مأخوذ من الكتاب المقدس. انظر (BONIFAS VOL. 2 P. 43 - 45) وأن الكتاب المقدس يتكلم عن أن الابن خارج من جوهر الآب وبناء على ذلك فإن كان هذا الاصطلاح

(١) هو: نيسوس كلمة يونانية تعني بأن جوهر الابن من جوهر الآب أي
 (١) Harnack, Harnack Dogmatische Theologie, Vol. 4, 50-51
 Harnack, Harnack Dogmatische Theologie, Vol. 4, 50-51

غريبا على الكتاب لفظيا ولكنه مستوحى منه معنويا .
وبعد نقاش طويل استقر الرأي على قبول قانون الإيمان المنقح ،
وهو كالآتي :

«نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل خالق كل الأشياء ما يرى وما لا يرى»
وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الآب ، المولود الوحيد ،
أى من جوهر الآب ، إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ،
مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر ، الذى به كان كل شيء فى
السماء وعلى الأرض ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا
نزل وتجسد وتأنس وتآلم وقام أيضا فى اليوم الثالث وصعد إلى
السماء . وسيأتى من هناك ليدين الأحياء والأموات . وبالروح
القدس . وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه وإنه لم يكن
له وجود قبل أن ولد وإنه خلق من العدم أو إنه من مادة أخرى أو
جوهر آخر أو إن ابن الله مخلوق أو إنه قابل للتخير أو متغير فهم
ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية » (١)

ووافق مجمع نيقية على قانون الإيمان هذا ، ووقع عليه المجتمعون
حتى الأريوسيون أنفسهم إلا أسقفان مصريان هما ثيودتس
وسكوندس ، ثم حكم بهرطقته تعاليم أريوس .

وبما أن الامبراطور كان يسعى من وراء هذا المجمع إلى وحدة
الامبراطورية ، فقد أمر بحرق كتب أريوس ونفيه (٢) .

(١) انظر كتاب علم اللاهوت : صدر من دار الثقافة المسيحية - القاهرة -
القاهرة . من ١٧٠ وقانون الإيمان المستعمل حاليا فى الكنائس
الكاثوليكية والكنائس الانجيلية مذكور فى ص ١٧٣ من نفس الكتاب
المذكور أعلاه .

Harnack Hist. of Dog. vol. 4 p. 54 - 59

(٢)

إن هذا المجمع يعتبر حدثاً تاريخياً هاماً جداً في تاريخ العقيدة المسيحية لأنه في هذا المجمع تقرر مسكونياً أن الابن مساو للأب في الجوهر . كما أن هذا المجمع يعتبر أيضاً مجمعا تاريخياً هاماً بالنسبة لكنيسة الشرق بنوع عام وبالنسبة لكنيسة مصر بنوع خاص ، إذ فيه استطاع أسقف الاسكندرية ألكسندروس وشماسه التقى المتحمس مع كل الوفد المصرى إعلان الحق الإلهى ، والتمسك به والدفاع عنه . وهارنك يشير الى هذه الحقيقة بالقول : « لقد كان مجمع نيقية الخطوة الأولى التى اتخذها أسقف الاسكندرية ، والذي به أظهر أولوية الشرق على الغرب (١) » .

لقد قرر مجمع نيقية بأن قانون الايمان الذى أصدره هو القانون المبرر عن الايمان المسيحى الحقيقى . وبناء على ذلك فمن يخالف تعاليم هذا القانون يخالف الايمان المسيحى ويجب حرمه . وإذ ذلك فقد حرم المجمع أريوس وأتباعه ، ونفى مع بعض مؤيديه أمثال أسابيوس النيقوميدى وثيوغونيوس النيقى .

وعندما حرم هذا المجمع المسكونى أريوس وأتباعه ، تنفس الامبراطور قسطنطين الصعداء وظن أن الخطر الذى كان يهدد الامبراطورية من الناحية الدينية قد انزاح . كما أن الكنيسة وخصوصاً كنيسة مصر شعرت بأن هذا العقاب الذى أنزل بأريوس ومشايخه عقاب إلهى ، فقد انتصرت الكنيسة فأبواب الجحيم لن تقوى عليها . ولكن للأسف الشديد فإن كثيرين من الأساقفة والآباء الذين اشتركوا في أعمال هذا المجمع عادوا إلى أبرشياتهم وكنائسهم وبدأوا من جديد ينادون بالتعاليم التى كانوا يعلمون بها من قبل هذا المجمع المسكونى . ولقد سبب هذا الأمر اضطرابات كثيرة ومعارك كرستولوجية جديدة ، واجتماعات محلية ومسكونية . فلم يستطع إذن مجمع نيقية أن يحل المشكلة حلاً

نهائيا ، وظلت وستظل نبوة سمعان الشيخ نافذة المفعول : « ... ها إن هذا قد وضع اسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامة تقاوم » (لوقا : ٢١ : ٣٤) .

بعد هذا العرض التاريخي العاجل الذي من أجله اجتمع مجمع نيقية ، يحسن بنا الآن أن نلقى نظرة على تعاليم أريوس الخاصة بشخص المسيح . وبما أن بحثنا مركز على شخص المسيح يسوع على مر العصور ، فإننا نطرح على أريوس نفس السؤال الذي سألته السيد لتلاميذه في قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إنى أنا ابن الانسان » ؟ (متى : ١٦ : ١٣) .

لقد حاول أريوس الليبي أن يجيب هو أيضا على سؤال السيد ، فما هو جوابه ؟

تعاليم أريوس الكرسولوجية (تعاليم أريوس الخاصة بشخص المسيح) :

ماذا رأى أريوس في يسوع المسيح الناصري ؟

كان المعلم الليبي خطيبا مفوها وواعظا مشهورا ، استطاع بأسلوبه للسلس وعلمه الواسع أن يجتذب الكثيرين الى كنيسة بئكالييس التي كان يرعاها في الاسكندرية . كما أنه استطاع بمهارة ولباقة أن يهاجم في بداية خدمته الرعوية تعاليم سابليوس التي قاومتها بشدة كنيسة الاسكندرية . لهذه الأسباب ولأسباب أخرى ، التفت حوله جماعة من الزهبان والراهبات ومن الشعب الذين أعجبوا في بداية الأمر بوعظه وتعاليمه التي كان يهاجم فيها عقيدة سابليوس الهادمة للثالوث . ولكنه عندما بدأ الوعظ والتعليم عن الابن . فقد انزلق كما انزلق قبله الكثيرون ، إلا أن مقوطه كان عظيما . فكمما سبقت الإشارة أنه أراد في بداية الأمر أن يهاجم عقيدة

سابليوس التي لا تعترف بوجود أقانيم في الثالوث ، فحاول أن يشرح الاختلاف والتمييز الموجود بين الآب والابن وأنها ليسا شخصا واحدا. كما علم بذلك سابليوس • بل أن الابن يختلف اختلافا كليا وجزئيا عن الآب ، فهو يؤمن بأن الله وحده هو الاله الواحد الغير المولود والأزلى ، موجود بذاته وبدون تدخل أى سلطان آخر • وأما عقيدته في الابن فيمكننا أن نلخصها في الآتى :

- ١ - إن الابن ليس أزليا إذ أنه يوجد وقت ما لم يكن الابن موجودا فيه ، فمع أن الابن موجود قبل وجود الخليقة ، وهذه الأخيرة قد أوجدت به ، إلا أنه غير أزلى •
- ٢ - إن الابن غير أزلى وهو خليفة الله الآب مثل كل الخلائق الأخرى ، إلا أنه سابق لها •
- ٣ - الابن ليس من جوهر الآب بل من جوهر آخر فقد خرج من العدم بحسب مشيئة الله وقصده •
- ٤ - الابن متغير وليس ثابتا •
- ٥ - إن معرفة الابن للآب محدودة وليست مطلقة ولا يستطيع أن يعن لنا الآب بطريقة كاملة •
- ٦ - إن الله الآب قد خلق الابن لأجلنا لأنه عندما أراد أن يخلصنا فقد خلق كائنا يدعى الكلمة أو الحكمة لكي نكون على صورته • فلو لم يرد الله خلق الخليقة لأصبح وجود الابن مستحيلا •
- ٧ - إن المسيح الذى يتعبد له المسيحيون ليس إلها ولا يملك الصفات الالهية المطلقة مثل : كلى القدرة ، كلى العلم ، كلى الحكمة وعديم التغير ، أزلى ... الخ •
- ٨ - وبناء على ذلك فهو ليس إلها بذاته ومن ذاته ولكنه ارتقى إلى

هذه الدرجة عن طريق رفع الله الآب له (١) إلى مستوى أعلى من
ويعتقد أريوس بأن الروح القدس هو أيضا أدنى من الآب وهو
مخلوق أيضا (انظر HARNACK. PRECIS DE L'HIST. 180 - 181)

ولقد حاول هرنك أن يلخص عقيدة أريوس في نقطتين هامتين :
(١) كان أريوس يرى في الله الآب إلها عظيما ساميا نائيا ويعتبر
عن البشر وعن كل المخلوقات . وكان هذا الاله السامي يريد الاقترب
من هذه الخليقة .

(٢) فخلق الكلمة أي المسيح الذي هو أول كل الخليقة والذي أصبح
عن طريق النعمة الممنوحة له من الله ، ثم عن طريق منابرتة وسعيه نحو
الكمال إلها . لقد نال درجة اللاهوت بالتبني (انظر هرنك
(HIST. OF DOGMA VOL. 4. P. 40 - 50)

فمع أن أريوس كان يعتقد بأن الابن قد احتل أسمى مكان ووصله
إلى أعلى درجة في الارتفاع ، إذ أنه قد أعطى كل سلطان وله تسجد كل
ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان
أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (في ٢ : ١٠) ، إلا أنه كان يعتقد
أيضا بأن هذا السمو الذي وصل إليه الابن وهذا المجد الذي كل به ،
وهذه العظمة التي عظم بها ، كل هذه ما هي إلا هبة وعطية من الله الآب
للابن ، لأنه هكذا مسرة الآب .

(١) انظر الكتب الآتية :

Harnack Précis de l'histoire 179 - 185.

Harnack. Hist. of Dog. vol. 4. 23 - 50.

M. E. Haag. Hist des Dog, Chnè Pre Parties 148 - 151.

Bonifas. Hist. des Dog. vol 2. 37 - 40.

وعلم اللاهوت النظامي — دار الثقافة المسيحية ص ٢١٢ — ٢١٣.

واقعد وحل أريوس الى درجة القول بأنه يمكن أن نقول إن الابن هو الله أو إله أو حتى إله قوى ... الخ (انظر HARNACK. HIST. OF DOG. VOL. 4. 18 - 20) •

وغد يبدو للقارىء أنه يوجد تناقض ظاهر في كلام أريوس هنا وفيما ذكرناه سابقا عندما قلنا بأنه يؤمن « بأن المسيح الذى يتعبد له المسيحيون ليس إلهًا ولا يملك الصفات الإلهية المطلقة مثل كلى القدرة ، كلى العلم ، كلى الحكمة وعديم التغير ... الخ » •

ونكن في حقيقة الأمر لا يوجد أى تناقض في عقيدة أريوس • وهنا تكمن التناقض • فهو يعتقد بأنه يمكن القول بأن الابن هو إله ، بل وإله قوى ... ولكن هذا الإله القوى العظيم الذى ارتفع فوق كل رئاسة وسطان ، قد وصل الى هذه الدرجة ليس لأنه عظيم وسام وإله منذ الأزل أو لأنه هو نفسه مصدر كل سمو وعظمة وسطان ، بل لأن الآب الذى خاقه وجعله بكر كل خليفة قد منحه هذه العظمة وهذا السلطان • فالمسيح الذى يتعبد له المسيحيون ليس إلهًا ، بمعنى أنه لم يكن إلهًا منذ الأزل ولم يكن موجودا منذ الأزل ، بل إن الله قد خلق هذا الابن في زمن معين ثم تبناه ورفع معطيا له اسما فوق كل الأسماء ، ودرجة تفوق كل الدرجات • فمن طريق هذا التبني وعن طريق هذه الرفعة التى وصل إليها الابن بعد أن رفعه الآب يمكن أن ندعوه إلهًا •

على أن الابن لم يكن البتة ، لا من الأصل ولا بالطبيعة ، إلهًا • فجوهر الابن يختلف الاختلاف الكلى والجزئى عن جوهر الآب • ونذلك فقد رفض أريوس الاصطلاح الذى استعمل في مجمع نيقية عن مساواة جوهر الآب بجوهر الابن وهو (HOMOOSIOS) « متساو في الجوهر » • فإله الآب شيء والابن الذى أصبح عن طريق التبني إلهًا شيء آخر •

ويقول هرنك إن تعاليم أريوس انتشرت بسرعة في العهد القسطنطيني بين الوثنيين المتعلمين وأنصاف المتعلمين الذين انضموا إلى الكنيسة في ذلك الوقت ، لأنها كانت تتفق إلى حد كبير مع بعض الأفكار الوثنية التي تنادي بأن الله واحد سام ولا يمكن مقارنته بأحد ، والذي عنه خرجت عدة آلهة (انظر هرنك HIST. OF DOGMA VOL. 4. 40 - 50) •

فأريوس إذن يرفض مساواة جوهر الابن بجوهر الآب • والآب وحده هو الله الأزلي ، الذي لا يمكن مساواته بأحد • ولكي يدعم حجته ، فقد رجع إلى الكتاب المقدس فاقتبس عدة نصوص منها : « انظروا الآن • أنا أنا هو وليس إله معي • » (تث ٣٢ : ٣٩ ، ٦ : ٤ ، أم ٨ : ٢٢ ، مز ٤٠ : ٨) •

ومفهوم أريوس للتبني يختلف أيضا عن مفهوم الكنيسة ، فهو يدعو يسوع ابن الله ولكن هذا التبني لا يعني أن الابن خرج من جوهر الآب ، وبالتالي فهو مساو له في القدرة وفي الجوهر ، بل أن الله قد تبني الابن كما يتبنى شخص طفلا • فهذا الأخير يصير ابنا شرعيا ووارثا له ولكنه يختلف عن الآب في الجوهر ، فالابن وصل إلى درجة التبني عن طريق الاعلان الإلهي : أي أن الله تبني يسوع المسيح فأصبح ابنا بالتبني وليس بالطبيعة • وهنا نلاحظ أن أريوس سلك نفس الطريق الذي سلكه البنويون (LES ADOPTIONISTES) • ولكي يؤيد فكرته هذه رجع أيضا إلى الكتاب فاقتبس (لو ٢ : ٥٢ ، ٣ : ٢١ - ٢٢) • ولكي يثبت أيضا أن الله قد رفع يسوع إلى درجة سامية ، اقتبس النصوص الآتية : (أ ع ٢ : ٢٦ ، ١ كو ١٥ : ٢٨ ، في ٢ : ٦ - ١١ ، عب ١ : ٤ ، ٣ : ٣) • كما أنه رجع إلى الكتاب أيضا عندما حاول اثبات أن الابن قد خلق وكان بكر كل خليقة : « الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة » (كو ١ : ١٥) ، ولكي يبين أن الآب أعظم من الابن رجع إلى يوحنا (١٤ : ١٠) •

(٢٨) : « لأن أبى أعظم منى » ، ولكى يبرهن على أن الابن كان يضطرب ويخاف ، وخاضعا للطبيعة البشرية اقتبس (يو ١٢ : ٢٧ ، ١٣ : ٢١ ، متى ٢٦ : ٣٩) .

من هذا يتضح بأن أريوس كان لا يؤمن بأزلية الابن ولا بمساواته في جوهر الآب ، ولهذا السبب فان قانون الايمان النيقوى تسدد على هذه النقطة معلنا أزلية الابن ومساواته لجوهر الآب . فهو يقول : « نؤمن بإله واحد . . . ويرب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الآب المولود الوحيد أى من جوهر الآب . . . مولود غير مخلوق مساو للآب في أنجوهر . . . »

والخطأ الذى وقع فيه أريوس والذى وقع فيه الكثيرون أيضا ، هو أنه اعتبر الآيات التى تتكلم عن ناسوت الابن ، كما لو كانت تتكلم عن شخص الابن كليا وجزئيا . ولقد غاب عن ذهنه أن هذا الانسان يسوع الناصرى ابن مريم الذى ولد وعاش وتكلم وجاع وعطش ثم فى نهاية المطاف صلب ومات ثم قام من الأموات ، هو نفسه الذى يقول عنه يوحنا : « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) « . . . قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن » (يوحنا ٨ : ٥٨ ، ١٧ : ٥ ، رؤا ١ : ٨ ، ٢٢ : ١٣) .

والآيات التى سمى الابن فيها بأسماء إلهية كثيرة وعديدة (منها ما جاء فى يوحنا ١ : ١ ، ٢٠ : ٢٨ ، أع ٢٠ : ٢٨ ، رو ٩ : ٥ ، ٢ تس ١ : ١٢ ، ١٢ : ١٦ ، عب ١ : ٨ ، ١ يو ٥ : ٢٠ ، اش ٩ : ٦ ، مت ١ : ٢٣) .

ونقد ادعى أريوس بأن الابن محدود العلم ، ومما لا شك فيه أن ابن الانسان — يسوع الناصرى — الناسوت محدود العلم ، ومحدود المعرفة

والقوة، إذ أنه كان ينمو بطريقة طبيعية وعادية كما ينمو ويتكبر أى طفل آخر . (لو ٢ : ٥٢ ، مر ١٣ : ٣٢) . إلا أن هذا الانسان — يسوع الناصري — لم يكن مجرد يسوع الناصري فقط ، بل كان «الله الذى ظهر فى الجسد» ، هذا هو السر العظيم الذى يفوق كل ادراك ، إذ أنه «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (١ تيمو ٣ : ١٦) . فكل ما رآه أريوس هو الجسد والجسد فقط . ولم يستطع أن يرى الله الذى كان ساكنًا فى الجسد . . . وفى هذا الجسد كان الله ، كان انلوغوس الذى يرى كل شىء ويعلم كل شىء . فهو يقول عن نفسه : « كل شىء قد دفع إلى من أبى وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » (مت ١١ : ٢٧ ، لو ١٠ : ٢٢ ، يو ٢٣ : ٢٥ — ٢٧ ، يو ١ : ٢٧ ، رؤ ٢ : ١٣) . كل هذه الآيات تثبت أن المسيح كان يتمتع بمعرفة كاملة شاملة ليس فقط لما سيحدث ، بل كان يعرف نفسه كما يعرف الآب معرفة جيدة . ولذلك فهو الوحيد الذى يستطيع أن يعلن هذا السر ويعرفنا بالآب . فهو ليس كما يدعى أريوس بقوله : « إن معرفة الابن للآب محدودة وليست مطلقة ، ولا يستطيع أن يعلن لنا الآب بطريقة كاملة » . وكما أن المسيح كان يتمتع بمعرفة كاملة عن نفسه وعن الآب فهو كان يتمتع أيضا بقدرة غير محدودة (عب ١ : ٣ ، رؤ ١٠ : ١٨ ، ١١ : ١٧) .

ويكفى أن نلقى نظرة ولو سريعة على حياته ومعجزاته ، فهى خير دليل على قدرة ذاك الذى تعجب التلاميذ من قدرته : « فخافوا وتعجبوا قائلين فيما بينهم من هو هذا . فإنه يأمر الرياح والماء فتطيعه » (لو ٨ : ٢٥) .

إن الشواهد الكتابية التى تشير الى لاهوت وناسوت المسيح كثيرة وعديدة ، يعوزنا الوقت لو حاولنا أن نقتبسها كلها . ولقد رجع إليها آباء الكنيسة فى رفضهم للهرطقات التى ظهرت فيها . وإن ألكسندروس أسقف

الاسكتدرية كان واعيا كل الوعي ومدركا كل الادراك لخطورة الهرطقة الأريوسية • وكما يقول عنه هرنك إنه كان يعتبر أن هذه الهرطقة من أبشع الهرطقات التي عرفها التاريخ المسيحي ، إذ أنها هرطقة ضد المسيح ••• وأن أريوس وأتباعه أعداء الله ••• وقاتلو لاهوت المسيح (انظر هرنك HIST. OF DOG. VOL. 20 - 23) •

إن أريوس لم يكن الأول ولن يكون الأخير الذي يهاجم عقيدة لاهوت الابن • فحتى بعد موته سيقوم أريوسيوس كثيرون يנהجون منهجه ويسلكون في نفس الطريق الذي سلك فيه ، وينادون بتعاليمه بل ينادون بتعاليم أخرى أكثر ضلالا ••• ويهاجمون التعاليم الصحيحة ، وهكذا لا نقول إن الكنيسة تنقسم من جديد ، بل نقول إنها تستمر في انقسامها الى أحزاب وجماعات ، ينهش بعضها بعضا •

ولكن الذي يطمئن قلب المؤمن هو أن رب الكنيسة وعد أن يكون فيها ويقودها الى انشائها الآمن • وهذه الهجمات ما هي إلا أمواج ، وحتى وإن كانت أمواج عاتية قوية ، وتستمر طويلا في لطمها لهذه السفينة ، فإنها تلطم صخرة راسخة قوية • إنها تلطم صخرة راسخة قوية فلا ترحزحها من مكانها قيد أنملة ، بل تتمزق عليها فلا يبقى لها قوة ولا أثر لأنه مكتوب : « الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ••• ومن سقط على هذا الحجر يترفض ومن سقط هو عليه يسحقه » (مت ٢١ : ٤٢) ، « أبواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨) •

بعض المراجع التي تعالج موضوع أريوس ومعتقداته والنزاع النيقوى :

1. Francois Bonifas. Histoire des dogmes de l'église Chrétienne. Tome 2. pp. 36 - 50. ذكر سابقا
2. A. Grillmeier. Le Christ dans La Tradition Chrétienne.... pp. 215 - 225. ذكر سابقا
3. Bardy. Origines de l'arianisme. Fliche et Martin. 3 : 69 - 83.
4. Bardy. Recherches sur Saint Lucien d'Antioche et son école. Paris 1936.
5. H. M. Gwatkin. Studies of Arianisme, Cambridge 1900.
6. Epiphane, Ancoratus 33, 4 : ed. K. Holl. Ges 1, 42. pG 43, 77AB.
7. Sozomène. Hist., Eccl 1, 15.
8. Philostorge, Hist. eccl., 2, 2, 1, 7.
9. Eusèbe vit. Con., 3, 7.
10. Theodore. His Eccl. 1, 8.
11. Harnack. Hist of Dog. translated from the third German edition by E. B. Speirs D. D. and James Miller B. D. Volume 4 p.p. 15 - 50.
12. A. Harnack. Precis de L'histoire Traduit par E. Choisy. Paris Librairie Fischbacher Societe anonyme 33 rue de Seine 1893. p.p. 176 - 194.
13. M. E. Haag. Hist., des Dogmes Chrétiens 1re partie p.p. 148 - 152.

(١٤) علم اللاهوت النظامى — دار الثقافة المسيحية — القاهرة
ص ٢٨٣ — ٣٥٥ .

(١٥) شرح أصول الايمان ، تأليف د. ق. اندراوس واطسون والدكتور
القس ابراهيم سعيد . دار الثقافة المسيحية — القاهرة ص ٦٦ — ٥٠ .
١٤٧ — ٢١٠ .

(١٦) الدكتور أسد رستم ، كنيسة مدينة الله انطاكيا العظمى — الجزء
الأول ص ١٩٣ — ٢٠٣ .

(م ١٠ — تاريخ الفكر المسيحي)

الفصل الرابع عشر

القديس أثناسيوس

ATHANASE

إن السؤال الأول الذى يخطر على بالنا بعد هذا العرض العقائدى التاريخى الموجز لمشكلة أريوس هو الآتى : ما هو موقف الأساقفة والآباء بعد مجمع نيقية ؟ هل استطاع الأساقفة والآباء المنسادة والتعليم بالقرارات التى اتخذها مجمع نيقية ؟

لقد انفض هذا المجمع بعد أن نظر أيضا فى بعض القضايا الأخرى التى كانت تشغل آباء الكنيسة . على أن القضية العظمى والمشكلة الكبرى كانت قضية أريوس وأتباعه ، الذين علموا بتعاليم لا تتفق وروح الكتاب ولذلك فقد تقرر فى هذا المجمع قبول قانون الايمان الذى يعلم بأزلية الابن وأزاد جوهره مساو اجوهر الآب ، ولا يوجد أى اختلاف فى جوهر الاثنين (HOMOOSIOS)

وعندما قبل مجمع نيقية الاعتراف بأزلية الابن ومساواته فى جوهر الآب ، فقد اعترف ، بل أعلن جهارا انتصار الأرثوذكسية^(١) التى كان يترعها كل من أسقف الاسكندرية ألكسندروس وشمامسة العظيم

(١) كلمة أرثوذكس تعنى ذى الراى المستقيم .

أثناسيوس • ولقد أراد الامبراطور أن يستأصل الداء من أصله فأمر
 بحرق كتب أريوس (أنظر هرنك 60 - 55 HIST. OF DOG. VOL. 4)
 حتى يتجنب « المباحكات » العقائدية التي تؤدي إلى الانقسامات
 والأضطرابات السياسية في الامبراطورية • ثم أمر بنفى أريوس وأتباعه
 واعتبارهم أعداء المسيح • وهنا شعر الأرثوذكسيون بانتصار عظيم،
 لا يفوقه انتصار • وكيف لا يشعرون بانتصار عظيم • ومجمع نيقية قد
 سحق الهرطقة التي كانت تهدد الكنيسة كلها • كما أن الامبراطور شعر
 أيضا بالاطمئنان على سلامة الامبراطورية ووحدتها وأن خطر الانقسام
 قد زال وأن شبح المعارك الحزبية قد انزاح •

هذه هي انطباعات الامبراطور وانطباعات الكثيرين من الأساقفة
 الأرثوذكسيين بعد قرارات مجمع نيقية •

ولكن للأسف الشديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كله
 عن القرارات السنودسية والمجمعية • فقد رجع الأساقفة بعد مجمع
 نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم ، وبدأ كل منهم يعلم ما كان
 يعلم به قبلا بل إن البعض تطرف في الهرطقة التي فاقته هرطقة أريوس
 نفسه • فمع أن أريوس وبعض أتباعه نفوا، إلا أن الأريوسية بنت عشا
 في حدائق كثيرين من الأساقفة والرعاة •

وهكذا بدأت غيوم الانشقاق تصعد من جديد في جوف الكنيسة ،
 فعكرت صفاءها وشجوهت شهادتها ، وحجبت عنها جزئيا شمس البر
 والتمتع بنوره ، فإن الأحزاب التي كانت في مجمع نيقية ، ظهرت من
 جديد بعد هذا المجمع ، واستأنفت نشاطها مستغلة كل الوسائل للوصول
 إلى نشر تعاليمها وهدم تعاليم الأحزاب الأخرى •

ويرجع السبب في ذلك إلى تأثير أم الامبراطور هيلانة وأخته

قسطنطينية وحاشيتهما الكليزيكية ، فان أم وأخت الامبراطور كانتا أريوسيتين . ولذلك فقد عملت هيلانة على امتناع قسطنطين بأن أريوس وأتباعه أبرياء ولا يستحقون : بأية حال هذا الحكم القاسى ، ومن الواجب النظر فى قضيته مرة أخرى لانصافه واصلاح هذه الغلطة العظيمة . واتد استطاعت بالحاحها ولجاجتها على الامبراطور أن تؤثر عليه لكي يرجع أسابيوس أسقف مدينة نيقوميديا الى أبرشيته ، وفعلا رجع أسابيوس الى أبروشيته فى سنة ٣٢٨ (انظر كتاب بونيفاس TOME 2. 77 - 50 كتاب هرنك HIST. OF DOG. VOL. 4. 62 . 66) ثم كتاب الدكتور أسد رستم الجزء الأول ص ٢٠٧) .

وعندما رجع الأسقف السيقوميدي الى أبروشيته ، بدأ نشاطه ونفت سمومه ضد تعاليم مجمع نيقية ، على أنه بدأ ينفث سمومه هذه بطريقة خفية وغير مباشرة . وكان أسابيوس يتمتع بسلطة عظيمة وتأثير قوى على الحاشية الامبراطورية . ولذلك فقد استطاع عن طريق دبلوماسيته المحكة ، ومكره ومراوغته ، ثم استغلاله لنفوده وعلاقاته ببعض الشخصيات فى البلاط ، وخصوصا أخت الامبراطور التى أوصت أخاها قبل موتها باصلاح الغلطة التى ارتكبت فى مجمع نيقية فى الحكم الغير العادل الذى صدر ضد أريوس ، لقد استغل أسابيوس النيقوميدي كل هذه الطرق لاثبات براءة أريوس وإعادته الى منصبه . ولذلك فقد قدم أسابيوس مع بعض الأساقفة قانون إيمان يدل ظاهره على الأرثوذكسية التى لا غش فيها ، والتمس من الامبراطور العفو عن أريوس لأن هذا القانون الذى قدم هو قانون إيمان أريوس الذى يشرح فيه إيمانه وعقيدته فى شخص الابن ، وهو قانون سليم وأرثوذكسى ولا تشوبه شائبة ، بحسب الظاهر . عندئذ أصدر الامبراطور قسطنطين أمره بانرجاع أريوس الى كرسيته ، وطلب من أسقف الاسكندرية اعادته الى منصبه .

كان الأسقف ألكسندروس الأعجوز الذى وصفه البعض بالضعف ، قد رحل الى عالم الأبدية ، وخلفه فى الجلوس على كرسي الأسقفية فى الاسكندرية الشاب النقي الورع المملوء غيرقوحماسة الشماس أثناسيوس الذى نصب أسقفا لهذه المدينة العظيمة يوم ٨ يونيو سنة ٣٣٨ •

ولا نريد أن ندخل فى تفاصيل حياة هذا القديس البطل العظيم الذى كرس حياته لخدمة الرب ومجده ، لأن هذا الأمر يحتاج وحده لمجلد ، وكم يكون مفيدا وناफعا أن يكرس شخص من الدارسين وقتا ليكتب بحثا عن حياة وجهاد القديس أثناسيوس • فقط نشير بأن أثناسيوس ولد حوالى ٢٩٦ ثم رسم شماسا فى سنة ٣١٩ وارتقى الأسقفية فى سنة ٣٣٨ • ولم يصل أثناسيوس الى هذه الدرجة بسهولة وبلا مقاومة ، فمع أنه كان محبوبا من الشعب ومذكى منه كل التذكية ، إلا أنه قد وجدت حفنة من الكهنة وعلى رأسهم ملاتيوس فى عهد ألكسندروس ، ثم يوحنا أرتف فى عهده لم يوافقوا على تنصيبه أسقفا وقاوموه كل المقاومة • وتداخلت عناصر أجنبية فى المقاومة ضد الأسقف الجديد • فإن أسابيوس أسقف نيقوميديا كان يعتبر أثناسيوس خصما قويا عنيدا يجب التخلص منه بأية وسيلة ممكنة حتى يستطيع نشر الأريوسية فى الشرق • وكان متأكدا من أن ارتقاء أثناسيوس الشاب النقي لعرش أسقفية الاسكندرية يعنى القضاء العاجل المؤكد على الأريوسية • ولهذا فقد عمل على إثارة الفتن وتكوين الأحزاب واشعال نار العداء بين أثناسيوس وبين بعض الكهنة المصريين • ويظن أن أسابيوس لم يكن بريئا من حياكة التهمة التى اتهم بها يوحنا أرتف أثناسيوس لدى الامبراطور قسطنطين • فان يوحنا أرتف قد اتهم القديس أثناسيوس بأنه فرض الضرائب على المؤمنين وأنه قد أمر بكسر كأس الأفخارستية الذى كان يستعمله الكاهن اسخيراس •

ونم يترك الامبراطور هذا الأمر بلا تحقيق فاستدعى أسقف الاسكندرية ، أظهر هذا الأخير براءته ، وأكاذيب الكاذبين ! لحتلين ، فرجع الى أبروشيته في سنة ٣٣٢ كريما شريفا مرفوع الرأس •

وعندما فشلت هذه المؤامرة الرخيصة ومؤامرات أخرى ، لم يفشل أعداء الأسقف الأمين المجاهد في ايجاد حيلة أخرى ، وكانت الفرصة الذهبية لنصب هذا الشرث لاصطياد النسر القوي ، هو أمر الامبراطور بارجاع أريوس الى مركزه في الاسكندرية • فان أعداء أثناسيوس كانوا يعلمون يقينا أنه لا يمكنه أن يقبل هذا القرار الامبراطوري ولن يخضع له • وفعلا فان رجل الله العظيم لم يخش الامبراطور وسلطانه ، بل خضع لما أملاه عليه سيده في روح الصلاة والتعبد (أع ٤ : ١٩ - ٢٢) • ولذلك فقد رفض أمر الامبراطور ولم يقبل أن يرجع أريوس الى الخدمة المقدسة ، وهو يعلم بأنه ثعلب مفسد للكروم وأن مؤيديه ذئاب خاطفة لا تشفق على الخراف •

ولقد انتهز أعداء أثناسيوس هذه الفرصة وعقدوا مجمعا للنظر في أمر عودة أريوس للخدمة •

مجمع صور :

اجتمع هذا المجمع في صور في سنة ٣٣٥ تحت رئاسة الأسقف أسابيوس القيصرى مؤرخ الكنيسة (انظر هرنك HIST. OF DOG. VOL. 4. 62 - 66 ولقد جاء أثناسيوس من الاسكندرية مع خمسين أسقف لحضور هذا المجمع (السنودس) ، ولكن الوقد منع من الدخول الى المجمع بحجة أن الوفد المصرى غير مدعو للاشتراك في أعمال المجمع

(انظر كتاب JEAN MARIE LEROUX. ATHANASE D'ALEXANDRIE P. 21) • إلا أنه يحتمل أن أثناسيوس حضر جزءا من هذا المجمع •

وكذا ننتظر أن يكون موضوع البحث في هذا المجمع (السنودس) الذي عقد في ذلك الوقت بالذات هو مشكلة العقيدة والتحقق من قانون إيمان أريوس والتأكد من صحته وسلامته • وهل قبل أريوس فعلا قانون الايمان النيقوي الذي رفض الاعتراف به في سنة ٣٣٥ ، أم مازال مصرًا على اعتقاده الشخصي في ابن الله ؟ فان المجمع (السنودس) لم يتعرض البتة لمبحث أية مشكلة لاهوتية في اجتماعه هذا ، بل إن البحث فيه كان مركزا على النظر في الاتهامات المقدمة ضد أسقف الاسكندرية ، وكانت هذه الاتهامات كثيرة وعديدة • ولكنها كانت كلها أيضا أكاذيب وافتراءات مسطنة ضد أسقف الاسكندرية • فمن ضمن هذه الاتهامات التي حاولوا انصاقها به هي : أنه أمر بقتل أحد الأساقفة المصريين المعارضين لسياسته وهو الأسقف أرسينوس (ARSENIOS) ، ولقد أحضر أحد الشهود ذراعا مملحا وادعى بأنه ذراع الفقيد أرسينوس • وعندئذ تقدم اثناسيوس وسأل قائلا من منكم يستطيع أن يقسم بأنه يعرف أرسينوس جيدا وأن هذا الذراع ذراعه ؟ فتقدم بعض الأساقفة وأقسموا بأنهم يعرفونه جيدا ، وأن هذه ذراعه • فطلب اثناسيوس السماح لشاهد بالدخول ، وعندما دخل هذا الشاهد كانت الدهشة عظيمة وخيبة الأمل كبيرة ، لأن هذا الشاهد لم يكن إلا أرسينوس نفسه بذراعين سليمين •

وبالرغم من فشل هذه الحجة فشلا ذريعا مخجلا فقد أمر بعض أعضاء هذا المجمع على الوصول إلى الهدف الذي من أجله قد اجتمعوا ، وهي إدانة اثناسيوس وخلعه من الكرسي • فاتهموه باتهامات أخرى

رخيصة لا أساس لها ، مثل أنه أمر يكسر كأس الأفخارستيا الذي كان يستعمله الكاهن أسخيراس أحد معارضي أثناسيوس ، كما أنهم أيضا بأنه على علاقة غير شريفة بامرأة سيئة الأخلاق (١) ولكنهم لم يستطيعوا تقديم الدليل على أية حجة من هذه الحجج (٢) .

وعندما أدرك القديس أثناسيوس أن هدف المجمع ليس هو البحث عن الحقيقة بل أن يصدر حكما تعسفيا ضده ، فقد انطلق إلى الامبراطور سرا لكي يرفع دعواه اليه . وانتهر المجمع هذه الفرصة فحكم على أثناسيوس غيابيا ، ثم أريوس وحكم بارجاعه الى مركزه .

وطلب أثناسيوس مقابلة الامبراطور إلا أن هذا الأخير رفض المقابلة . وفي اصراره وعناده المقدس انتهر فرصة خروج الامبراطور للفرصة وعرض عليه قضيته ، وتظاهر الامبراطور باجراء العدل فطلب أن يحضر اليه وفد من مجمع صور ، فجاء لتمثيل هذا المجمع أسابيوس النيقوميدي وأسابيوس القيصر وأربعة آخرون ، (انظر كتاب د . أسد رستم الجزء الأول ص ٢١٣ - ٢١٤) . وكانت التهمة الوحيدة التي اتهم بها القديس أثناسيوس هي أنه هدد بعدم تصدير قمح الاسكندرية الى القسطنطينية ، الأمر الذي أغاظ وأغضب الامبراطور كثيرا ، إلا أن الامبراطور لم يكن في حاجة للاغظة والغضب ضد هذا الرجل الذي يحاول فصل السلطة الدينية عن السلطة الروحية ، ولذلك فقد صدق قسطنطين الامبراطور على الحكم الذي أصدره مجمع صور والذي اشتمل على خلع أثناسيوس من كرسيه ونفيه واعادة أريوس الى مكانته وقبوله في الكنيسة .

ونفى القديس العظيم الى تريفز TREVES وهي مدينة ألمانية حانيا . ولقد ثار الشعب المصرى ضد هذا القرار . ولكن هذه الثورة العارمة لم تغير شيئاً من قرار الامبراطور . فقادوا القديس اثناسيوس الى المنفى في سنة ٣٣٥ . ولم يكن هذا النفي إلا حلقة في سلسلة طويلة وثقيلة كان على رجل الله أن يحملها على كتفه بصبر وشكر وثبات وعزم . لأنه كان موثقاً في داخله أن الجريمة التي ارتكبها والتي من أجلها يحاكم وينفى ، هي دفاعه عن لاهوت الابن وعن أزليته . ولهذا لم تستطع القوات الأرضية أن ترحزع هذا الرجل الصالح كالصخر ولو قيد أنمله ، لأنه كان يضع نصب عينيه هذا القول : « طوباكم إذا أبغضتم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الانسان » (لوقا ٦ : ٢٢) .

انتصار أريوس وموته :

إن القرارات التي أصدرها مجمع صور بشلح الأسقف اثناسيوس ونفيه ، ثم إعطاء يمين الشركة لأريوس وارجاعه الى منصبه كخادم ، كانت تعد نصراً عظيماً لأريوس ولأتباعه .

وبما أن الكنيسة في مصر قد رفضت كلياً وجزئياً قرارات هذا المجمع (إلا حزب المعارضة) فقد رفضت بالطبع رجوع أريوس الى الاسكندرية ، ولذلك فقد نصب رسمياً في كنيسة في اورشليم (انظر كتاب بونيفاس BONIFAS JOME 2. 49) .

وبعد تنصيبه في اورشليم ، ذهب الى القسطنطينية ودخلها مع جماعة من أتباعه في موكب انتصارى ضخم . ولكن هذا الانتصار لم يكن إلا كيقطينة يونان ، ففي نفس اليوم بينما كان يسير في شوارع مدينة القسطنطينية مع بعض أتباعه ، شعر بألم شديد في بطنه ، فترك

أصدقاءه ودخل الى مكان هادئ، لقضاء حاجته ، فاندلقت أحشاؤه ومات في الحال في سنة ٣٣٦ . ولقد تضاربت الآراء في سبب موته ، فان أتباعه اتهموا الأرثوذكسين « بسمه » . وأما الأرثوذكسيون فقد رأوا في هذا الموت المفاجيء السريع قضاء إلهيا عادلا على أريوس الهرطوقي . ولكن المحايدون لم يروا في موته إلا عملية قسمة وليست قضاء إلهيا ، بل إن موته يرجع الى عملية طبيعية وهي اصابته بمرض الدوسنتاريا . المرض الذي لم يستطع أريوس العجوز الذي تجاوز الثمانين من عمره مقاومته والتغلب عليه (١) .

موت الامبراطور قسطنطين :

مات الامبراطور قسطنطين في ٢٢ مايو سنة ٣٣٧ ، ولم يطلب أن يعمد إلا في اللحظات الأخيرة من حياته ، ولقد عمده الأسقف أساييوس النيقوميدي (انظر كتاب ص ٥٠ BONIFAS JOMES 2) .

ولقد ترك الامبراطور ثلاثة أبناء ورثة للامبراطورية فحكموها معا ، فتولى ابنه الامبراطور قسطنطين الثاني الغرب . أما الابن الثاني وهو قسطنديوس فحكم الشرق ، أما قسطنس فقد تولى حكم البرية وجزءا من أفريقية . ولقد كان قسطنديوس الذي حكم الشرق أريوسيا ، وأما قسطنطين الثاني وقسطنس فكانا أرثوذكسين .

وبعد أن تولى هؤلاء الأباطرة الثلاثة زمام الحكم في الامبراطورية أصدروا قرارا باعادة الأساقفة المنفيين ويعتقد لير (LEROUX) بأن الامبراطور قسطنطين الثاني هو صاحب المبادرة في اطلاق سراح الأساقفة المنفيين ، وكان يهدف من ذلك الى إثارة الشعب والاضطرابات في الأجزاء التي كان يحكمها أخوه قسطنديوس في الشرق (انظر كتاب LEROUX ATHANASE D'ALEXANDRIE 25) .

(١) انظر كتاب . BONIFAS JOME 2. 49

وليكن ما يكون في أمر هذا القرار فقد رجع أثناسيوس إلى وطنه في ٢٣ نوفمبر ٣٣٧ واستقبله الشعب استقبالا رائعا عظيما بعد غياب طال إلى حوالي سنتين . وعندما علم الأريوسيون وأصدقائهم بخبر وصول أثناسيوس إلى الاسكندرية اضطربوا وبدأوا حالا في حياكة المكيد وتدبير المؤامرات وحبك التهم لاقصاء بطل الايمان في أسرع وقت ، بعيدا عن هذه المدينة . وكان على رأس المعارضين في عودة أثناسيوس إلى الاسكندرية أسابيوس أسقف نيقوميديا الذي أصبح أسقفا للقسطنطينية وكان كما سبقت الإشارة قوى التأثير ، طويل الذراع ، يتتبع بنفوذ عظيم في البلاط الامبراطوري .

ولقد كتب أعداء أثناسيوس إلى الأباطرة ثم إلى أسقف روما يوليوس يدعون أن الشعب المصري لا يرغب في عودة أثناسيوس ، وأنه ثائر غاضب على هذه الأوضاع ويجب اقصاؤه بأقرب سرعة . ونقد اتهموا أثناسيوس أيضا بأنه منع توزيع القمح على فقراء مصر وأخذه لنفسه .

ولكن الأساقفة المصريين الأرثوذكسين اجتمعوا في نفس السنة ٣٣٨ وأظهروا تأييدهم الكامل لأثناسيوس وابتهاجم بعودته . ويحتمل بأن أثناسيوس قد اتصل بأصدقائه الرهبان لكي يقوموا بمظاهرة في صالحه ، وعندئذ جاء القديس أنطونيوس نفسه من الصحراء لكي يؤيد صديقه الأسقف أثناسيوس (انظر كتاب LEROUX ص ٢٦ المذكور سابقا) .

وكان لهذه المظاهرة تأثير عميق على نفسية الشعب وعلى نفسية مؤيدي الأسقف لأن أنطونيوس كان مكرما في أعين كل الشعب . وكان رد أسقف روما على هذه الدعايات المغرضة ضد أسقف الاسكندرية هو

الدعوة لعقد مجمع مسكونى فى روما للبت فى هذه المماحكات ، ولكن الأساقفة الأريوسيين رفضوا هذا الاقتراح ، بل احتجوا بشدة على دعوة عقد مجمع مسكونى لينظر فى قضية شرقية قد سبق أن أصدر حكما فيها مجمع شرقى .

وكان رد فعل روما على هذا الاحتجاج شديداً ، بل إن أسقف روما أظهر فى هذه الفرصة أولوية روما على بقية الأسقفيات الأخرى (١) وأرسل خطاباً شديداً للهجة الى أسابيوس ، وعندما استلم أسابيوس أسقف القسطنطينية هذا الخطاب أراد بأن يلفظ من موقفه وأن يكتب الكثيرين الى جانبه (٢) ، فحاول أن يجمع حوله جماعة من المعتدلين ولذلك فقد عقد مجدها فى أنطاكية فى سنة ٣٤١ وقدم فيه مع حزبه قانون إيمان ، يعتبر حلا وسطاً بين قانون الإيمان النيقوى والعقيدة الأريوسية . وبما أن مؤلفى قانون الإيمان هذا (أسابيوس وحزبه) كانوا يهدفون الى مقاومة قانون إيمان نيقية ، ولكن بلباقة وبطريقة خفية ، وفى الوقت نفسه مد يد المساعدة للأريوسيين ، فقد اجتهدوا فى ايجاد بعض الصيغ والعبارات التى استعملت فى مجمع نيقية فى تعظيم وتمجيد يسوع المسيح ، ولكنهم تجنبوا استخدام بعض الاصطلاحات الأساسية والهامة التى لستعملها مجمع نيقية مثل « وهو مساو للآب فى الجوهر » ، وظنوا أنهم بذلك يفلحون فى جذب الأريوسيين والأرثوذكسين لقبول هذا الحل الوسط . ولقد قرر هذا المجمع خلع القديس أثناسيوس وتعيين غريغوريوس فى محله (٣) .

وعندئذ لجأ أسقف الاسكندرية الى روما لكي يعرض قضيته على

Batiffol p , Paix Const., 422 - 431

Leroux p. 27

Bonifas Jome 2 p. 50

(١)

(٢) انظر أيضا كتاب

(٣) انظر كتاب

الأسقف يوليوس ، فاستقبله هذا الأخير خير استقبال وعقد مجمعا ألغى قرارات مجمع أنطاكيا •

وهنا نرى الكنيسة منقسمة من جديد الى حزبين :

١ — الذين يؤيدون قانون إيمان نيقية وهم الغربيون وأثناسيوس والذين يرفضون قانون الايمان النيقوي وهم الشرقيون وعن رأسهم أسابيوس النيقوميدي ، إلا أن حزب أسابيوس كان يضم المعتدلين أيضا •

وفي حقيقة الأمر كانت توجد ثلاثة أحزاب أو تيارات لاهوتية :

١ — حزب أثناسيوس أو حزب الأرثوذكسين المتسكنين بقانون إيمان نيقية •

٢ — حزب الأريوسيين وكان على رأس الحزب في بداية الأمر أسابيوس النيقوميدي قبل أن يغير اتجاهه جزئيا •

٣ — ومن هذين الحزبين ولد الحزب الثالث الذي يدعى الحزب النصف الأريوسي SEMIARIEN وكان على رأس هذا الحزب أسابيوس القيصرى ولقد تكون هذا الحزب من الذين رفضوا عقيدة أريوس وعقيدة أثناسيوس • ولقد حاول أتباع هذا الحزب إيجاد حل وسط للمشكلة الكريستولوجية • فقد رأوا في الابن صورة الله ، بل هو الله بالطبيعة ولكنه ليس من طبيعة الله الأب ، ولقد رفضوا — مثل ما فعل الأريوسيون — اصطلاح : « مساو للأب في الجوهر » (١) •

(١) انظر كتاب

M. E. Haag. Hist. des. Dog. Chr. Pre Partie 178 - 183

مجمع سارديكا :

أصبح قسطنطين الإمبراطور الوحيد في الغرب بعد أن قتل أخوه قسطنطين الثاني . ولقد سئمت نفسه الانشقاقات والاضطرابات التي قسدت الكنيسة والتي كانت تهدد وحدة الإمبراطورية ، ولذلك فقد اتفق مع أخيه إمبراطور الشرق قسطنديوس على عقد مجمع للنظر في هذه المشاكل .

وعقد المجمع في مدينة سارديكا (SARDIQUE) على حدود الإمبراطوريتين في سنة ٣٤٣ . وكان الهدف منه هو أرجاع السلام والوحدة إلى الكنيسة وإلى الإمبراطورية ، ولكن للأسف الشديد قد ساد الاضطراب والانشقاق في هذا المجمع قبل أن يجتمع . فلند وصل أولاً إلى مكان الاجتماع الأسقف أثناسيوس في صحبة الوند الغربي ومن بينهم الأسقف هوسيوس (HOSTIUS) الذي كان رئيساً لمجمع نيقية ، ويبدو أنه اختير أيضاً لرئاسة مجمع سارديكا . وبدأ المجمع أعماله قبل وصول الحزب الأسابيوسي . وعندما وصل الأسابيوسيون وعرفوا بأن أثناسيوس نه الحق في التصويت والاشتراك في أعمال هذا المجمع احتجوا على ذلك بحجة أن أثناسيوس قد خلع من الخدمة بقرار من مجمع أنطاكيا . وتركوا سارديكا وذهبوا إلى مدينة أخرى تدعى نيليوبوليس وهناك عقدوا مجمعا آخر ، وهكذا بدأ المجمعان أعمالهما في مدينتين مختلفتين ، وأصدر كل منهما قراراته :

فإن مجمع سارديكا الذي حضره القديس أثناسيوس قد أكد من جديد تمسكه بقانون إيمان نيقية وأرجاع أثناسيوس إلى منصبه ، وقطع باسيليوس أسقف أنقرة وغريغوريوس أسقف الاسكندرية .

أما مجمع نيليوبوليس فقد رفض قبول قانون الإيمان النيقوي وأقر:

ثانية قانون الايمان الانطاكي ، ثم أصدر الحكم بخلع اثناسيوس
وماركوس ، وقطع يوليوس أسقف روما وهوسيوس أسقف قرطبة .

ومن هذا نلاحظ أن فجوة الخلاف قد اتسعت بين هذه الأحزاب
الدينية .

وكان حزب الأسابيوسيين يتمتع بمساعدة الامبراطور قسطنديوس
وكثرة العدد . وعلى الرغم من ذلك فقد كان حزبا مفككا لأنه كان يضم
في داخله المعتدلين الذين حاولوا ايجاد حل للمشكلة ، وتقريب اثناسيوس
من أريوس ، كما كان يضم أيضا في داخله الأريوسيين المتطرفين ، وكان
كل منهم ينتقد الآخر بشدة . فلم تكن هناك رابطة عقائدية تربطهم معا
إلا اتفاقهما على رفض عقيدة « مساو للآب في الجوهر » . أما الحزب
النيقوي فكان على العكس يتمتع بروابط قوية وثيقة وحدت صفوفه .
فلقد كانت عقيدة مساواة الابن للآب في الجوهر عقيدة أساسية يجب
التمسك بها وتعليمها ، كما كان هذا الحزب الأرثوذكسي يمتاز أيضا بأن
اثناسيوس الرجل العظيم هو المدافع عن هذه العقيدة . ولقد وقفت
الكنيسة اللاتينية الرومانية بجانبه فأيدته في جهاده وإيمانه .

ولقد تغيرت الأوضاع عندما ثارت الجنود الرومانية وهجمت على
الامبراطور قسطنس وقتلته في سنة ٣٥٠ وأصبح بذلك قسطنديوس
الامبراطور الوحيد على الشرق وعلى الغرب .

وعندئذ أراد الامبراطور قسطنديوس اذلال العرب والذين
يتعاونون معه (١) أمثال اثناسيوس والآساقفة الأرثوذكسيين في مصر وفي

(١) انظر كتاب Harnack. Hist. of Dog. vol. 4. 70 - 73.

غيرها • واذلك دعا لعقد مجمع في ميلانو في سنة ٣٥٥ وعندما اجتمع الأساقفة هناك طلب منهم الموافقة على إصدار الحكم بخلع أثناسيوس أو المنفى للجميع • ولقد رفض البعض التوقيع على إصدار الحكم بخلع أثناسيوس أمثال أسقف روما ليباريوس (٣٥٢ - ٣٦٦) الذي خلف الأسقف يوليوس (٣٣٧ - ٣٥٢) • ولكن الأغلبية الساحقة وقعت على هذا القرار تحت تأثير الضغط والتهديد • وعندئذ أمر الامبراطور بنفى أثناسيوس ، ولم يقبل الرجل الشجاع هذا الأمر بل شعر أنه ليس من حق الحاكم أن يتدخل في الأمور الدينية التي لا يفهم فيها شيئاً • فاحتفظ الامبراطور وثار ثورة عارمة ضد هذا القديس وارسل قوة عسكرية مكونة من حوالي ٥٠٠٠ جندي مسيحين للقبض على الأسقف وقيادته الى المنفى ، وعندما وصل الجيش الى الكنيسة التي كان القديس أثناسيوس يقيم الصلاة فيها وجدوها تعج بالعابدين • واقد توسل الكثيرون الى الأسقف بأن يهرب وينجو بحياته الثمينة والضرورية للكثيرين ، فرفض أثناسيوس وعندما فشلت هذه التوسلات تدخل بعض الرهبان واحتطفوه خطفاً وهربوا به الى الصحراء • ولقد ثار الشعب كله ضد السلطات الحاكمة وضد أمر الامبراطور ولكن هذا الأخير لم يعر هذه الثورات والمظاهرات أى اهتمام بل أمر الحكام بالبحث عن أثناسيوس وتسليمه ، ولكن كل المسعى باء بالفشل ولم يستطع حاكم الاسكندرية القبض على أثناسيوس لأن كل الشعب كان مؤيداً له ، ولقد وجد أثناسيوس ملجأ آمناً عند الرهبان واستطاع القديس العظيم أن يكتب في هذه الفرصة بعضاً من الكتب ، بل كان يذهب من حين الى آخر خفية إلى الاسكندرية ليتقعد الرعية ، وهكذا ظل على هذه الحال ست سنوات من ٣٣٥ - ٣٦١ • ولقد عين الامبراطور أحد موظفي المالية أسقفاً بدل أثناسيوس ، فقابل الشعب هذا الأمر بالسخط والغضب والاحتقار •

وهجر الشعب الكنيسة التي كان يصلى فيها الأسقف الجديد

جورجيوس ، وأغاظ هذا التصرف الأسقف فطلب من البوليس احضار الذين ذهبوا إلى الصحارى والمقابر لأقامة الصلاة فيها. فحاصر البوليس هذه المقابر وتبعض على الكثيرين وألقى بهم في السجون (انظر كتاب LEROUX ذكر سابقا ص ٣٩ ، ٤٠) .

وكانت الكنيسة في ذلك الوقت العصيب تشبه سفينة في بحر هائج صاحب تلطم أمواجه العاتية القاسية هذه السفينة التي كادت تنحطم وتتكسر وتختفي في اليم العميق . ولقد رأى الأريوسيون المتطرفون والأريوسيون المعتدلون أن النصر حليفهم ، ولذلك تطرف البعض منهم في تعاليمه أمثال آيتتوس (AETIUS) ثم أيونوميوس (EUNOMIUS) فقد علم كل منهما بأن الابن له بداية فهو مخلوق مثل باقي الخلائق لأنه إذا كان الابن أزليا أي لا بداية له ، فهذا لا يعنى أنه من جوهر الله الآب فهو يشبه الله ولكن ليس من جوهره ، وهذا التشابه الموجود بين الآب والابن هو بحسب إرادة الآب^(١) لأنه إذا كان الابن أزليا كما يعتقد الأرثوذكسيون فهذا يعنى أنه هو نفسه أصل وعلة وجوده ، وبناء على ذلك فهو ليس من نفس الجوهر الذى منه الله الآب بل من جوهر يشعه هذا الجوهر . ولقد اعترض الذين لا يقبلون أزلية الابن بالقول : إذا كان الابن مولودا فهو غير أزلي ، وإذا كان أزليا فهو غير مولود . وبناء على ذلك فقد رأوا أن قانون الايمان النيقوى غير معقول ويجب تصحيحه . وهكذا عقد مجمع جديد في أنقرة في سنة ٣٥٨ ، ويحتفل أن باسيليوس أسقف هذه المدينة هو الذى دعا لانعقاده^(٢) . ولقد كان باسيليوس من حزب الأريوسيين المعتدلين الذين حاولوا أن يكونوا نقطة الالتقاء والتوافق بين الأريوسيين المتطرفين وبين الأرثوذكسيين .

183 - 178 M. E. Haag
Epiphanios. Haeres. 73

(١) انظر كتاب
(٢)

(م ٤٢ - تاريخ الفكر المسيحى)

ومن المعروف أن الذين كانوا يسيطرون على هذا المجمع هم جماعة أنصار الأريوسيين أو المعتدلين (LES SEBI - ARIENS) الذين يؤمنون بأن الابن من مشابه لجوهر الآب . على أنهم لا يقبلون ولا يعترفون بفكرة أن الابن من نفس الجوهر الذي منه الآب . إنه من جوهر مشابه لجوهر الآب وليس من ذات الجوهر الذي منه الآب ، فهم يرفضون هنا العقيدة الأساسية التي تمسك بها الأرثوذكسيون في الشرق وفي الغرب ، والتي أقرها مجمع نيقية والتي من أجلها أيضا يحارب ويناضل البطل الباسل والقديس الشجاع أثناسيوس ، وهي حقيقة « مساو للآب في الجوهر ولقد استبدلوا الاصطلاح الذي قبله مجمع نيقية : « مساو للآب في الجوهر » بالاصطلاح : « مشابه للآب في الجوهر » . وبذلك فقد رفضوا عقيدة الأرثوذكسيين كما أنهم رفضوا أيضا عقيدة الأريوسيين المتطرفين التي تعلم بأن الابن مخلوق من العدم كبقية الخلائق . فهم (المعتدلون) يقولون بأن الابن مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب قصد الله ومشيئته . فالابن بحسب هذا المفهوم « النصف الأريوسي » يحتل مكانا وسطا بين الله وبين الذائقة (انظر كتاب BONIFAS - TOME 2. 52 - 54) ومن الطبيعي ، فقد رفض الأرثوذكسيون هذه العقيدة كما رفضها أيضا المتطرفون خصوصا أن عناصر جديدة دخلت في الحزب الأريوسي المتطرف فدفعه أكثر الى الانزلاق والابتعاد عن الأرثوذكسية وعن حزب المعتدلين ، ولقد علم هؤلاء المتطرفون تعاليم أكثر خطورة وأبشع هرطقة من التعاليم التي علم بها أريوس نفسه .

وهنا تزداد الفجوة اتساعا ويصبح الانقسام خطراً يهدد سلامة الامبراطورية . لأن الانقسام لم يعد بعد بين الأرثوذكسيين المتمسكين بقانون الايمان النيقوي وبين الذين يرفضون قبوله ، بل لأن الانقسام سيطر أيضا على هذا الحزب الأخير .

وهنا تظهر من جديد الحاجة الملحة ، والتي تعودت عليها الكنيسة وهي الحاجة الى انعقاد مجمع آخر ليفصل في هذه المشاكل العقائدية التي تهدد بانتسام الامبراطورية والكنيسة . ولقد نصح الامبراطور بعض المغرضين من الأريوسيين الذين خشوا بأن يكونوا أغلبية في المجمع بعمل مجمعين : مجمع في الشرق في سلفكية (في تركيا) حيث يتنافس فيه المجتمعون باللغة اليونانية ، ومجمع في الغرب في ريمينة (في ايطاليا) ويتناقش فيه المجتمعون باللغة اللاتينية . وبدأ مجمع ريمينة أعماله في يوليو ٣٥٩ . ولقد جاء لحضور هذا المجمع ٤٠٠ أسقف ، جاءوا لحضوره راغبين أو مرغمين ؟ فعلى ما يظن أنهم جاءوا مرغمين على ذلك بالأمر الامبراطوري أو على الأقل أرغم عدد كبير منهم على الحضور (انظر كتاب LEROUX 41 - 43 ذكر سابقا) .

ولقد حضر مجمع سلفكية مائة وخمسون أسقفا من الشرق . وهكذا اجتمع المجمعان منعزلين الواحد في الشرق والآخر في الغرب ، لتسهيل التناهم وتوفير المال كما اقترح البعض على الامبراطور الذي طلب من الأسقف مرقس أسقف أرسوز بعمل قانون إيمان لكي يناقشه المجمعان . وسيحمل هذا القانون فيما بعد اسم : «قانون الايمان المؤرخ» ، ودعى بهذا الاسم لأن الأسقف مرقس ذكر أولا وقبل نص القانون موافقة الامبراطور على هذا الاجتماع ثم ذكر أيضا السنة والشهر واليوم الذي تمت فيه هذه الموافقة .

ومحتويات هذا القانون تتفق واتجاهات الأريوسيين المعتدلين . فقد استبدل عبارة « مساو للاب في الجوهر » بعبارة « مشابه للاب في الجوهر » ، كما أنه أقر بأن الابن مولود قبل الدهور . ولقد سبق أن أشرنا الى عقيدة الأريوسيين المعتدلين ، إلا أن هذا القانون يشير ولأول

مرة إلى نزول المسيح الى الجحيم (١) .
ورفضت أغلبية مجمع ريمانية القانون المؤرخ وصالت بتطبيق
القانون النيتوى ، إلا أن الأقلية (٨٠ أسقفا تقريبا) قبلت التجديد
والأوامر الامبراطورية . ولقد كان أمر الامبراطور واضحا ومحددا
للذين يشرفون على هذا المجمع : العمل سواء باللين أو بالشدّة ، على أن
ينضم المجمع كله الى حزب الأقلية . ولقد قام ممثل الامبراطور في المجمع
بتنفيذ هذا الأمر خير قيام . وانتهى الأمر بأن معظم أعضاء مجمع الغرب
قبلوا هذا القرار بسبب الضغط الامبراطورى .

أما مجمع الشرق فقد انقسم على ذاته لأن الأغلبية فيه لم تقبل
قانون الايمان المقترح . ومع أن الأغلبية في مجمع الشرق ظلت تعادى
القديس أثاناسيوس إلا أنها لم ترد قبول قانون إيمان جديد قد ينتج عنه
انقسامات جديدة وهرطقات أخرى .

وأمام اصرار هذا المجمع وعدم قبوله التوقيع على قانون الايمان
المؤرخ ، فقد أمر الممثل الامبراطورى بإنهاء أعمال المجمع بعد ثلاثة أيام
من بدايته . وذهب وفدان عن المجمعين الى القسطنطينة لمقابلة الامبراطور
ولقد ظن الأساقفة الشرقيون بأن أساقفة الغرب تبغوا نفس الموقف الذى
اتخذوه ، ولكن خيبة الأمل عندهم كانت عظيمة عندما عرفوا بأن أساقفة
الغرب وقعوا على قانون الايمان المؤرخ . ولقد استعمل البوليس العنف
مع أعضاء مجمع سلفكية حتى انضم معظم أعضائه الى أعضاء مجمع
ريمانية بعد أسابيع قليلة . وفي أول يناير سنة ٣٨٠ وقّع الوفدان في
القسطنطينة على قانون الايمان المؤرخ (انظر كتاب 43 - 40 LEROUX

Socrates. Hist. eccl. 2, 34.

Saint Hilaire, Frag. Hist., 15, 3.

Saint Athanase, De Synode 8.

(١) انظر المراجع المذكورة هنا

المذكور سابقا) ، وأرسلت رسالة بذلك الى جميع أساقفة المسكونة . كما هددت السلطات كل من لا يوافق على هذا القرار ، وبالرغم من ذلك فقد امتنع عن أنتوقيع على قانون الايمان عدد لا بأس به .

فمع أن أثناسيوس كان منفيًا وبعيدا عن المجمع لكنه كان قوى التأثير عظيم السلطة ولذلك فقد طلب من الوفد المصرى والليبي التمسك بالايمان النيقوى وعدم الانضمام الى أى قانون ايمان آخر . وبناء على ذلك فلم يوقع أغلبية ممثلو مصر وليبيا على هذا القرار .

عندما وقعت الأغلبية الساحقة على قانون الايمان المؤرخ ، فكأنى بها توقع على وثيقة اعدام القانون النيقوى ، وبناء عليه غانها تعلن انكارا أزلية ابن الله . وأمام التهديد بالنفى والخلع عن المراكز السامية العظيمة ، اختارت الأغلبية الساحقة الطريق الواسع الرحيب المطبوع بالادرام والتعظيم والمجد الأرضى . وبهذا ولأجل هذا أيضا وقعت الأغلبية الساحقة على قانون « الايمان المؤرخ » الذى أمر به الامبراطور . والذى كان يسعى من ورائه الى توحيد الامبراطورية وتجنبها الانقسام . ولذلك فقد استعمل القسوة والاشدة والاضطهاد والنفى لكى يصير هذا القانون مقبولا من الجميع . وهكذا من النيقاريون (المتمسكون بقانون ايمان نيقية) الأرثوذكسيون بفترات عصية وأوقات صعبة ، انتشرت خلالها الأريوسية بطريقة سريعة وسهلة .

ولكن هذه الفترة لم تكن إلا عشرة أيام الضيق التى تكلم عنها الرائي : « هوذا إبليس مزعج أن يلقى بعضا منكم فى السجن لكى تجربوا . ويكون لكم ضيق عشرة أيام » . (رؤيا ٢ : ١٠) . فلقد تغيرت الأحوال جزئيا . عندما مات الامبراطور قسطنديوس فى ديسمبر ٣٦١ وأوصى هو نفسه بأن يتولى بعده يولييانوس بن يوليوس . ومع أن الامبراطور

الجديد لم يكن محبا ومشجعا للمسيحية إلا أنه أظهر روح التسامح جزئيا وخصوصا للأساقفة المنشين وأمر بعودتهم الى أوطانهم • وأذلك رجع القديس أثناسيوس الى الظهور بعد أن اختفى في الصحراء أكثر من ست سنوات • ولقد انتهز الأسقف الاسكندري فرصة عودة أساقفة المنشي ، وعتد مجمعا في أثناء مرورهم بالاسكندرية لكي يتساوروا معاني الأمور التي حدثت في أثناء نفيهم وخصوصا موضوع الأريوسيين • وكان بعض الأساقفة الأرثوذكسين لا يريدون قبول الأريوسيين في الكنائس ويقاتلون بمحاربتهم • على أن أثناسيوس كان يميل لم يد انصالحه للأريوسيين الذين يقبلون قانون الايمان النيقوي • وهكذا أراد أثناسيوس فور وصوله الى رعيته المحبوبة ، البدء في البناء والعمل ، ولكن للأسف الشديد لم يمض على وصوله للأسكندرية إلا ثمانية شهور حتى صدر أمر امبراطوري بالقبض على أثناسيوس ، غثار الشعب ثورة عظيمة جدا ضد هذا القرار • ولكن الامبراطور الوثني لم يعر هذه الثورة أي اهتمام وأصر على نفيه من جديد • أما القديس أثناسيوس فكان يعزى شعبه بالقول : ما هذه إلا غيوما ستختفي قريبا • وانطلق زجل الجهاد إلى أصدقائه في الصحراء للاختفاء هناك • ولم تستطع قوات الامبراطور الوصول اليه أو التعرف على مكانه • وظل هكذا مختفيا إلى أن قتل الامبراطور يوليانوس في ٢٦ يونيه ٣٦٣ ، فرجع أثناسيوس كمعادته نشيطا قويا لا يعرف الفشل طريقه إليه •

وعندما تولى عرش الامبراطورية جوفيانوس أو يوفيانوس كتب في سنة ٣٦٣ كتابا رقيقا ولطيفا جدا الى أثناسيوس يدعوه فيه لزيارته والاقامه في القصر الامبراطوري بعضا من الوقت وكان الامبراطور جوفيانوس أرثوذكسيا متمسكا بالقانون النيقوي ، وفعلًا لبى الأسقف الاسكندري الدعوة الامبراطورية •

إلا أن هذا الامبراطور لم يعمر طويلا فقد مات في ٣٦٥ واستولى بعده على زمام الأمور الامبراطور فلنس VALENS الذي أصدر حالا أمرا امبراطوريا ينفي كل الأساقفة الذين سبق أن نفاهم قسطنطيوس . كما أنه أعطى أمرا خاصا بأن هذا القرار ينطبق أيضا على أثناسيوس فلا بد من نفيه .

وهكذا نفى هذا الرجل العظيم للمرة الخامسة ، ولكنه هذه المرة اختار مخبئا أكثر قربا من المدينة ومعد بالوسائل للراحة والرفاهية أكثر من المرات السابقة . فلم يذهب الى الصحراء بل اختبأ في فيلا أحد أصدقائه في ضواحي الاسكندرية ، حيث قضى فيها حوالي سنة . ولانعلم بالنسبة الظروف التي دفعت شعب الاسكندرية في أول فبراير ٣٦٦ للذهاب الى مقر مخبئه والتهافت بحياته وتأييده . وأمام هذا الأمر الواقع اضطر الامبراطور الى أن يسمح له باستئناف عمله الرعوي في مدينة الاسكندرية .

وهكذا تنتهي فترة النفي التي استمرت حوالي ٢٠ سنة من حياة رجل الله المجاهد في سبيل الايمان الصحيح فقد كان أسقفا لمدينة الاسكندرية لمدة ٤٥ عاما قضى منها عشرين عاما في المنفى .

والدارس لتاريخ حياة هذا القديس العظيم واليطل المجاهد يلاحظ بلا شك — انطباعا خاصا قد انفرد به عن كثيرين من القديسين الذين يكلمنا عنهم التاريخ ، فقد تعودنا أن نرى أو نتصور القديسين يعيشون في جو من التأمل الروحي السماوي ، لا صلة لهم بما هو أرضي ، يقضون ليلهم في الصلاة والتأمل ونهارهم في العمل والوعظ . ومما لا شك فيه أن القديس أثناسيوس كان رجل صلاة وكانت له شركة عظيمة وفوية مع الرب . لكن الأمر الذي ميز هذا القديس عن كثيرين هو أنه اندمج

في المجتمع ودافع فيه عن الحق الالهي. لقد تحدى أقوى وأعظم القوات الأرضية في وقته غير هياب للنفي أو للموت . ولم يعرف الفشل واليأس خريقهما إلى قلبه الذي امتلأ أولاً بالمسيح ابن الله ففاض غيرة وحماسة وجها له ، وإذ ذلك أصبحت نفسه غير ثمينة عنده .

ومع أن البطل المجاهد في سبيل انتصار قانون الايمان النيقوي استطاع في نهاية حياته أن يتمتع ببضع سنوات من الهدوء نسبياً. إلا أنه لم ير اليوم الذي فيه انتصر قانون الايمان النيقوي الذي قبله مجمع القسطنطينية في سنة ٣٨١ والذي جاهد من أجله كل حياته .

مجمع القسطنطينية :

اجتمع هذا المجمع في مدينة القسطنطينية في سنة ٣٨١ للبت في الأمور العقائدية التي كانت تشغل أذهان الكثيرين . وعلى ما يظن أن الامبراطور ثيودوسيوس هو الذي دعا لعقد هذا المجمع المسكوني ، وكان يضم حوالي مائة وخمسين أسقفًا وتولى رئاسة جزء من هذا المجمع الأسقف، غريغوريوس النزينزي أسقف القسطنطينية . ولقد قرر آباء المجمع المسكوني الثاني قبول قانون الايمان النيقوي ثم أضافوا إليه بعض الفقرات لتوضيحه وشرحه . ويحتمل أن المجمع المسكوني الثاني قد أضاف بعض العبارات غير الموجودة في قانون الايمان (هذا احتمال) مثل : « . . . الروح القدس الرب الحي الميثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد ، الناطق بالأنبياء » كما أن هذا القانون يوجز المادة المختصة بيسوع المسيح في الجزء الأول ولكنه يتوسع في المادة الثانية ثم يضيف بعض التفاصيل . ونلاحظ أيضاً أن قانون إيمان المجمع المسكوني الثاني يضيف هذه العبارات : غفران الخطايا ، الكنيسة ، القيامة ، الحياة الأبدية . نجد هذه العبارات في قانون إيمان الرسل ولكنها غير موجودة في قانون إيمان نيقية . ولا يذكر

هذا القانون أئحرم ان المذكور في القانون النيقوى ثم يشدد على عقيدة الروح القدس ومساواته للآب .

وبعد أن نظر المجمع المسكونى الثانى فى بعض المشاكل الأخرى ، أنهى أعماله وأرسل رسالة شكر للإمبراطور ، واعتمد الإمبراطور قرارات هذا المجمع الذى اعتبره مجمعا أرثوذكسيا . وبهذا القرار نرى الأرثوذكسية وقد انتصرت من جديد . هذا هو القرار الذى جاهد من أجله حقا ، والوصول إليه رجل الله العظيم القديس أثناسيوس ، نعم ! إنه لم ير هذا اليوم الذى انتصرت فيه الأرثوذكسية واعترف فيه بها . إلا أنه رأى قبل موته علامات كثيرة كانت تشير الى قرب يوم الانتصار . هذا . ولذلك فقد انطلق قديس الاسكندرية العظيم على هذا الرجاء فى يوم ٣ مايو سنة ٣٧٣ لى يتلاقى مع ابن الله وجها لوجه . ويمكننا أن نقول عن ذلك الرجل « وإن مات أثناسيوس يتكلم بعد » .

إن المجمع الذى اجتمع فى القسطنطينية فى سنة ٣٨١ قبل قانون الايمان النيقوى بعد أن أدخل عليه بعض التعديلات والاضافات ، وهذا هو نص قانون الايمان الذى نسب الى مجمع القسطنطينية «نؤمن بإله واحد ، أب ضابط الكل . خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى ، وبزب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ، الذى به كان كل شيء ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس و صلب عنا على عهد بيلاطس البنطى وتآلم وقبر » وقام فى اليوم الثالث على ما فى الكتب ، وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب وأيضا يأتى بمجد ليدين الأحياء والأموات الذى لا فناء ملكه ، وبالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والآب

مسجود له وممجد ، الناطق بالأنبياء ، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة
رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا • ونترجي قيامة
الموتى والحياة في الدهر العنيد • آمين •

وقد قبل مجمع توليدو الذي عقد في أسبانيا سنة ٥٨٩ نكس القانون
بعد أن غير الجملة الآتية : « وأومن بالروح القدس الرب والمحى المنبثق
من الآب والابن ••• » ، أى أن الروح القدس لم ينبثق من الآب وحده
بل انبثق من الابن أيضا • وقبلت كل الكنائس الغربية والكنائس
الانجيلية غيما بعد هذا النص الذى يتكلم عن انبثاق الروح القدس من
الآب والابن ورفضته الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية •

بعد أن أنهى مجمع القسطنطينية المسكونى الثانى أعماله تنفس
الامبراطور ثيودوسيوس وقادة الكنيسة الصعداء ، وشعروا كما شعر
الامبراطور قسطنطين وقادة الكنيسة بعد قبول قانون الايمان النيقوى
في سنة ٣٢٥ بسرور وارتياح عظيمين، لأنهم ظنوا بأن مجمع نيقية استطاع
أن يستأصل الهرطقة من جذورها وأن يعيد الوحدة إلى الامبراطورية
والى الكنيسة المهددين بالانقسام والاضطراب ! !

فهل استطاعت الامبراطورية والكنيسة أن تصلا إلى هذه الوحدة
المنشودة بعد المجمع المسكونى الأول ؟ وهل ستستطيع الامبراطورية
والكنيسة أن تصلا إلى هذه الوحدة المنشودة بعد مجمع القسطنطينية
المسكونى الثانى ؟ وهذا ما سنحاول دراسته في المجلد الثانى •

وقبل أن نترك هذه الحقبة التى حدثت فيها تطورات كثيرة وجذرية
في تاريخ الفكر المسيحى، نود أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى شخصية
أخرى لعبت دورا هاما وكبيرا في تاريخ الهرطقات وهى شخصية الأسقف
أبولوناريوس APOLLINAIRE (٣١٠ - ٣٨١) •

الفصل الخامس عشر

الأسقف أبولوناريوس

APOLLIN-AIRE

كان أبولوناريوس أسقفا للاذقية وصديقا حريصا للقديس أثناسيوس ، وفي بدء حياته كان يقف بجانب الأسقف المصري (١) يصارع بجانبه ويناضل نضاله ضد الذين رفضوا قانون الايمان النيقوي. ولذلك فلقد نزل خبر انحراف أبولوناريوس العقائدي على أثناسيوس نزول الصاعقة ، وفي حقيقة الأمر كان أسقف اللاذقية يريد أن يجد حلا سلميا للمشكلة اللاهوتية التي تعرضت لها الكنيسة في ذلك العصر . فكما سبق أن رأينا أن الكنيسة انقسمت بعد مجمع نيقية الى أحزاب وجماعات ومدارس ، وكان سبب الانقسام هو نفس السؤال الذي طرحه المسيح على تلاميذه . « من يقول الناس إني أنا ابن الانسان ؟ » فإن الذين كانوا يتمسكون بقانون الايمان النيقوي وعلى رأسهم أسقف الاسكندرية علموا بأن الجواب على هذا السؤال هو : « أنت هو المسيح ابن الله الحي ؟ » « من ذات جوهر الآب متساو مع الآب في الجوهر » . والذين لم

Leroux p. 50

(١) انظر كتاب

يقبلوا قانون إيمان نيقية! انقسموا الى أحزاب ، فالبعض رأى في المسيح نبيا والبعض الآخر رأى فيه ابنا لله لا بالطبيعة بل بالتبني ، أى أن الله تبني يسوع المسيح وبناء على ذلك فقد رفعه الله الى أعلى درجات المجد والعظمة ... فالصراع العقائدى الذى كان يسيطر على الأحزاب المتعارضة في ذلك الوقت تلخص في عدم الاتفاق على جوهر المسيح فيما إذا كان من نفس جوهر الآب أو من جوهر آخر ، وفيما إذا كان مخلوقا كبقية الخلائق أم هو نفسه الخالق والأزلى الذى لا بداية له وأن بنوته معاصرة تماما لأبوة الآب . هذه هي الأسئلة والمشاكل التى تعرضت لها الكنيسة بعد مجمع نيقية . وهنا يظهر أسقف اللاذقية الذى تدسك بالقانون النيقوى لأنه يعتقد بأن اللوغوس أزلى، فإن كان يؤمن بأزلية الابن فما هي مرطقته إذن ؟

كان مفهوم أبولوناريوس للانسان يشبه الى حد كبير مفهوم يوستينوس الذى تأثر تأثرا كبيرا بالأفلاطونية التى كانت تعلم بأن الانسان مكون من ثلاثة عناصر : ١ - الجسد ، (SOMA) ٢ - النفس ، (PSYCHÉ) ٣ - الروح (PREUMA)

ولقد حاول الأسقف اللاذقى أن يستفيد من هذه النظرية الأفلاطونية لكي يحل بها المشكلة اللاهوتية التى كانت تمزق الكنيسة ولم يعلم أن نظريته الجديدة عرضته لخطر آخر . فإن أبولوناريوس علم بأن المسيح يتكون من ثلاثة عناصر: الجسد والنفس واللوغوس . فالذى كان يحرك الجسد هو طاقة حيوية عاقلة فيه . واللوغوس ، الكلمة حلاً في المسيح محل الروح (AME) . وهنا نرى التأثير الأفلاطونى واضحا، فإن الأفلاطونية علمت كما سبقت الإشارة بأن الانسان يتكون من جسد ونفس وروح عاقلة . وفي تعليم أبولوناريوس نرى بأن اللوغوس حل محل الروح عاقلة . فهو يرفض إذن وجود روح عاقلة في المسيح ولكي

يؤيد بدعته هذه فقد رجع الى الكتاب المقدس كما رجع اليه كل الأرثوذكسين والهرطقة على السواء . فهو يقتبس قول الرسول يوحنا : « والكلمة صار جسدا ... » معلقا على عبارة : « صار جسدا » بالقول بأن الرسول لا يقول إن الكلمة صار « روحا » بل صار جسدا (١) فإن « اللوغوس » ابن الله الأزلي اتخذ لنفسه جسدا ، وفي اتخاذه هذا الجسد ، فقد حل محل الروح ، فالمسيح إذا بلا روح عاقلة لأن الكلمة أو اللوغوس أو ابن الله الذي أخذ جسدا حل محل هذه الروح العاقلة .

وهو يعتقد بأنه كان من الضروري بل من اللازم أن يجرد المسيح من روح بشرية عاقلة . وذلك لأنه لو كان للمسيح روح بشرية مثل كل البشر لما كان ممكنا له أن يصل الى درجة القداسة الكاملة ، لأن الخطية مرتبطة وعالقة بالروح البشرية ، فحيث يوجد إنسان مكون تكوينا كاملا من جسد ونفس وروح ، فهناك تسكن وتكمن الخطية . والذي يميز يسوع عن كل البشر والذي أهله لأن يكون قديسا لا عيب فيه هو أن « اللوغوس » حل محل الروح . ويواصل أبولوناريوس اعتراضه على وجود روح في المسيح بالحجة الآتية :

إن قبول فكرة وجود روح في المسيح تخلق لنا مشاكل لا تحل ، ومنها : إن وجود روح بشرية في المسيح يفترض أن هذه الروح تتمتع بالحرية والإرادة والتصرف والسلوك ، هذه الامتيازات التي تتمتع بها كل الأرواح البشرية ، وهذه الأشياء عيناها لا تتفق وإرادة اللوغوس في أحيان كثيرة عند استعمالها . وهنا ينشأ الصراع والنضال وعدم التوافق وعدم الانسجام بين اللوغوس ، الكلمة ، وبين الروح البشرية في المسيح ، وهذا الأمر لا يمكن قبوله بأية حال من الأحوال في المسيح ، وكيف يمكننا أن نقبل وجود صراع ونضال وتناقض في داخل المسيح ؟ وحلا لهذه

المشكلة فقد اقترح أبولوناريوس عدم وجود روح بشرية في المسيح لأنه لا يمكن قبول فكرة وجود صراع أو تناقض في شخص المسيح . ويقدم أسقف اللاذقية حجة أخرى فيقول إن قبول فكرة وجود روح في المسيح نقودنا بطريقة لا تقبل الرفض ، إلى الاعتراف بوجود مسيحين . اللوغوس ، الكلمة ، ابن الله من ناحية ، ثم الانسان المكون تكوينا بيولوجيا نفسيا روحيا من ناحية أخرى .

وأبولوناريوس يعتقد أن عملية التجسد قد تمت عندما اتحد ابن الله أو اللوغوس بطبيعة بشرية لتكوين وحدة أساسية التي عن طريقها وبها تكون الكائن الالهي البشري ، وبعد هذا الاتحاد أصبح الانسان المكون أو المركب إنسانا سماويا (١) . وأسقف اللاذقية لا يعنى بعبارة «الانسان السماوي» عند كلامه عن المسيح أن جسده قد نزل من السماء، كما فهم البعض ذلك خطأ بل العكس فإنه يعلم بأن المسيح أخذ طبيعته البشرية والجسدية من مريم العذراء ولم تصبح إلهية إلا بعد اتحادها باللاهوت . ولكي تكون عملية الاتحاد بين الله والانسان يسوع قوية وأساسية وكاملة لا يعوقها أي عائق ، يجب نفى الروح من هذا الانسان السماوي ، لأن اللوغوس الكلمة حل محلها فالعناصر التي تكون منها الانسان السماوي هي انلاهوت من فوق ، ثم الناسوت من الناحية البشرية ، إلا أن هذا الناسوت خال من الروح البشرية . وهذا الكائن المركب من اللوغوس ومن الطبيعة البشرية الناقصة يكون الكائن الكلي ، أي المسيح (٢) .

(١) انظر هذه المراجع بخصوص نفس الموضوع
 Apoll. Ep. Ad. Dionys. Al : Ed. Leitzmann 256 - 257.
 Apoll. Ep. Ad. Dionys. Al : Ed. Leitzmann 256 - 257.
 Apoll. Ad. Sarapion., fragm. 160
 (٢) انظر كتاب Apoll., De Unions : éd., L. 187. 7 - 114

وهو يعتقد أن اتحاد اللوغوس بالجسد يشبه إلى حد كبير اتحاد النفس البشرية بالجسد البشري ، فإن الروح تتحد بالجسد وهي التي تسيطر عليه وتديره ، كذلك فإن اللوغوس ابن الله قد احتل في تجسيده مكان الروح ؛ فهو الذي يعمل في الجسد ويسيطر عليه . والعقبة الكبرى التي ظهرت أمام أبولوناريوس هي أن وجود روح في المسيح يفرض بالضرورة نوعا من الصراع وعدم التوافق لأن الروح لها رغباتها وميولها التي لا تتفق تماما مع رغبات وميول اللوغوس .

ومن خطابه الذي أرسله إلى الإمبراطور جوفيانوس يلاحظ أنه كان متمكنا من عقيدته (١) فقد حاول شرحها بطريقة سهلة مقبولة ، ويقول (جريلمير GRILMEIER بصد ذلك : ص ٢٦٠) « لم يستلح أحد قبله أن يشرح هذه العقيدة بهذه السهولة والوضوح » .

مما لا شك فيه أن أبولوناريوس استطاع أن يقدم أفكاره اللاهوتية بطريقة جذابة وسهلة وواضحة لأنه كان كاتباً ماهراً وشاعراً مشهوراً في عصره وبيئته . ولكن إنكاره لوجود روح في المسيح يعد هرطقة ، أدانتها الكنيسة وحكمت بحذفها من تعاليمها . فعدم قبوله لفكرة وجود روح في المسيح يعني أن تكوين المسيح البشري كان ناقصاً وغير كامل . لأنه اعتبر أن الروح هي التي تسيطر على الجسد وتديره ، وهي أيضاً مركز الانفعالات والتي توجه التصرف والسلوك . فإذا كان جسد المسيح قد جرد من هذه الروح وأن اللوغوس حل محلها في هذا الجسد فلا يمكننا في هذه الحالة أن نقول إن المسيح قد تجرب بكل التجارب التي يمر بها الإنسان المركب تركيباً عادياً . فإن عدم قبول فكرة وجود روح في المسيح يعني إزالة مركز الإرادة والسلوك والتصرف . وبناءً على ذلك فإن

(١) انظر كتاب J. Liebaert

المسيح لم يتعرض في حياته الأرضية لأية تجربة أيما كانت، لأن اللوغوس الذى حل محل الروح كان يقود جسدا مجردا من كل إرادة . وهذا يتعارض مع المكتوب الذى يعرفنا بأن الله ظهر في الجسد : وهذا الجسد لم يكن جسدا مجردا من الروح كما ظن الأسقف أبولوناريوس بل كان جسدا حقيقيا وكاملا من حيث تكوينه ، فإن كنا نرى يسوع يبكى بحزن، يتألم بفرح . يضطرب بالروح ... فإنه كان يمر بهذه الأحاسيس والمشاعر والانفعالات لأنه كان إنسانا كاملا التكوين . ولأنه كان كامل التكوين فقد جرب في بشريته كما يجرب أى إنسان آخر . فالرسول يقول : « لأنه في ما هو قد تألم مجريا يقدر أن يعين المجربين » (عب ٢ : ١٨) « لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتها بل مجرب في كل شيء . دلتنا بلا خطية » (عب ٤ : ١٥ ، ٧ : ٢٦ ، ٩ : ١٤ ، يو ٨ : ٤٦ ، ٢ : ٢١ ، ١٠ : ١٠ ، يو ٣ : ٥) . بل ان كاتب الرسالة إلى العبرانيين أكد بشدة على هذه الحقيقة في قوله : « من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء » ، (عب ٢ : ١٧) ، فكيف يمكن له أن يكون مشابها لإخوته في كل شيء إذا كان المسيح لا يتمتع بوجود روح بشرية فيه ، ورب « مترض يقول ، إذا كان من الضروري أن يشبه المسيح إخوته في كل شيء لكان من الضروري أيضا أن يخطئ لكي تكون المشابهة كاملة والتجسد حقيقيا ، وهنا نرى عظمة يسوع وقداسته وقدراته . نعم أنه كان يشبه إخوته في كل شيء ، أى أنه كان مكونا تكوينا كاملا من الناحية النفسية والطبيعية ومعرضا لكل أنواع التجارب التى يتعرض لها أى إنسان مثله ، نقد استطاع - وهو الوحيد في ذلك - أن يقول متحديا لليهود : « من منكم يكتفى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) وهذا لايعنى أن الجسد والروح كانا لا يعملان في المسيح كما يعمل الجسد والروح في أى إنسان آخر : لدفعه للخطية ولارتكابها ، بل أن المسيح كان مجربا في جسده وروحه كأى إنسان آخر ، والرسول يقول : « ... فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد » (رو ٨ :

٣ ، غلاطية ٢ : ١٣) ، فانتصار المسيح على الخطية وقهره لها لا يرجع بأي حال من الأحوال إلى غياب الروح البشرية من يسوع . كما يعتقد أبولوناريوس ، بل يرجع إلى حقيقة واحدة : وهي أن الذي كان يعمل في هذا الإنسان يسوع الناصري المتون من روح عاقلة وجسد طبيعي ، هو أن اللوغوس ابن الله حل في هذا الإنسان . فقداسة يسوع وكمال تصرفه وسمو أخلاقه ومثالية حياته لا ترجع إلى غياب الروح منه ولا حتى إلى غياب العامل الذكري في الحبل به من عذراء ، وإن كان صحيحا أنه حبل به عن عذراء بطريقة معجزية ، ولكن السبب الوحيد في كماله هو : «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» أي أن الله نفسه حل في الإنسان يسوع المسيح .

فإن انتصار يسوع الناصري على الخطية وعلى التجارب لا يرجع إذن إلى غياب روح بشرية ميالة إلى السقوط في الخطية ، بل يرجع بالحرى إلى وجود «اللوغوس» فيه ، ووجود اللوغوس في الإنسان يسوع الناصري لم يلاش الناسوت بل كان يوجهه ويرشده ويقوده .

لقد رفضت الكنيسة بدعة أبولوناريوس منذ أول ظهورها ، لأنها تؤمن بأن المسيح جاء لا لكي يخلص الجسد فقط ، بل ليخلص الإنسان كله روحا وجسداً ، فلو لم يكن للمسيح روح كبقية البشر لأصبح من المستحيل أن يخلص أرواح البشر . ولقد كرر هذه الحقيقة مراراً عليها أوريجانوس المصري وترتليانوس^(١) وتكلم عنها فيما بعد غريغوريوس النزينزي^(٢) .

Weigenborg Stud. Pat. 3 (1961) 327 - 328

(١) انظر

Greg. Naz. Ep. 101 Ad, Cledon. PG. 37, 181-C- 184A.

(٢)

(م ٤٢ - تاريخ الفكر المسيحي)

إن مجمع الاسكندرية الذي اجتمع في سنة ٣٦٢ للمظفر في قضية الذين تركوا الاعتراف بقانون الايمان النيقوي، بحث هذه المشكلة أيضا، ولقد صدرت أحكام هرطقة تعاليم أبولوناريوس في : (١) المجمع (السنودس) الروماني الذي عقده البابا دماسوس سنة ٣٧٧ • (٢) وفي المجمع (السنودس) المصري الذي اجتمع في الاسكندرية سنة ٣٧٨ • (٣) وفي المجمع الأنطاكي في سنة ٣٧٩ • (٤) وفي المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية في سنة ٣٨١ • وبالرغم من ذلك فقد ظلت هذه التعاليم منتشرة حتى إلى ما بعد سنة ٤٢٠ • وهذا ظهرت هرطقة جديدة في الكنيسة ولم تكن للأسف الشديد الأخيرة •

ولقد تعودت الكنيسة في خلال هذه القرون الأربعة الأولى أن تلتقط أنفاسها وأن تنتسم الصعداء في كل مرة كانت تحكم فيها في مجمع رسمي على هرطقة من الهرطقات أو على ضلالة من الضلالات ظنا بأنها قد قصت على هذه الهرطقة وعلى هذه الضلالة بالحكم الذي استطاعت أن تصدره في مجمع كنسي ضد هذه التعاليم • ولكن للأسف الشديد لم يكن لهذه الأحكام الكنسية والمجمعية إلا تأثير جزئي ، بل في أحيان متيرة كانت هذه الأحكام المجمعية الكنسية ضد الهرطقات التي ظهرت في تاريخ الفكر المسيحي ، بمثابة اندعاية لهذه الهرطقات وللتعاليم المضلة • ولهذا السبب ولأسباب أخرى انتشرت بعض التعاليم التي حكمت الكنيسة بحرمانها ، فهكذا انتشرت تعاليم الغنوسيين وتعاليم ماركيون وتعاليم البنويين وتعاليم الانتحالين وتعاليم بولس السميماطي وتعاليم لوة يانوس وتعاليم أريوس وأتباعه ... الخ •

إن الفترة التي مرت بها الكنيسة في القرون الأربعة الأولى كانت فترة صعبة معقدة ، إذ أن معظم الهرطقات التي ظهرت في تاريخ الفكر المسيحي بخصوص التعاليم الكرستولوجية ، ظهرت في هذه الحقبة من

الزمن ، ومما لا شك فيه أن هرطقات وتعاليم مضلة قد ظهرت في القرون الأخرى وستعرض لها في المجلد الثاني ، إلا أن أغلبية التعاليم المضلة التي ظهرت في تاريخ العقائد المسيحية قد ظهرت خلال هذه القرون الأربعة . بل منذ نشأة الكنيسة ، جاء إليها العدو ليلاً : منتهزاً فرصة نيام الناس و زرع زوانا في وسط الحنطة (مت ١٣ : ٢٤ - ٣٠) ، ولقد نما هذا الزوان في نفس التربة وفي نفس الحقل أسوة بالنباتات الجيدة التي بذرها صاحب الحقل وكبر هذا الزوان بجانب النباتات الجيدة الطيبة وأعطى أثماره الرديئة المدمرة والمخربة . ولقد سبق أن رأينا في دراستنا لهذه الفترة ، الأثمار الرديئة والمرّة التي أنتجها هذا الزوان : « تعاليم مضلة » وابتعاداً عن الحق الإلهي وانقساماً مريعاً محزننا في جسد المسيح أي الكنيسة ، التي في محاولتها للإجابة على سؤال المسيح : « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » (مت ١٦ : ١٣) انقسمت إلى جماعات وأحزاب وطوائف وكنائس يحارب بعضها بعضاً باسم الله ولأجله وهو من كل هذا برى . وهكذا نرى أن نبوة سمعان الشيخ قد تحققت في خلال هذه القرون الأربعة بل لا تزال تتحقق أيضاً منذ أن نطق بها إلى يومنا هذا ، أي أن المسيح : « قد وضع إسقوط وقيام الكثيرين . . . ولعلامة تقاوم » (لو ٢ : ٣٤) أي أنه صار حجر عثرة يسقط عليه الكثيرون ، بل للأسف الشديد الأغلبية الساحقة ، ذلك لأن الأغلبية الساحقة رأت في المسيح عثرة وجملته أيضاً عثرة ! !

ولكن بالرغم من هذا كله ، بالرغم من الزوان الذي ينمو في وسط النباتات الجيدة في حقل السيد ، وبالرغم من التعاليم المتفشية والمضلة التي تعرضت وستعرض لها الكنيسة في كل مكان وزمان ، وبالرغم من الزوابع العاصفة والقاصفة التي تهب بشدة ويعنف على السفينة الصغيرة ، فإن الذي يطمئن قلب المؤمن والذي يمتحه السلام الكامل

والضمان للمستقبل ، هو أن سيد هذه السفينة المهددة بالعواصف والرياح موجود في وسطها، فلن تهلك. لأنه هو نفسه الذى أعطى كلمته لكنيسته ، فوعده لها التآكل : « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨) وعد صادق وأمين ، والذى وعد الكنيسة بالنصرة والغلبة على العدو صلى أيضا من أجل وحدتها وحفظها من الانقسام والانشقاق ، فلقد طلب في صلاته الوداعية قائلا : « ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني » (يو ١٧ : ١) . إن أمنية المسيح العظمى هي أن تشتفى الانشقاقات والانقسامات البغيضة التى لا تلد إلا الكراهية وعدم التفاهم وعدم الانسجام . إنه يريد كنيسة واحدة متحدة بالروح ، متخذة عبرة من الانشقاقات والانقسامات التى مزقت في الماضى وتمزق في الحاضر أيضا جسد المسيح الذى هو الكنيسة ، فإن كان المسيح يريد كنيسة صحيحة الايمان سليمة العقيدة جوابها على سؤاله في قيصرية فيلبس : «أنت هو المسيح ابن الله الحى » فإنه يريد أيضا كنيسة حية تتفاعل مع المجتمع وفي المجتمع الذى توجد فيه وخادمة له لأن سيدها قد جاء ليعلم لا ليعلم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين ، أين هذه الكنيسة ؟ ! هل عندنا ينظر المسيح إلى كنيسة اليوم في القرن العشرين يرى فيها سحابة من أشهود ؟ ليساعدنا الرب لكي نكون شهودا أمناء لشخصه الكريم . آمين .



في المجلد الثانى سنواصل بعون الله إذا سمعت إرادته رحلتنا العائلية التاريخية من آخر القرن الرابع إلى القرنين السادس والسابع .

بعض المراجع للدراسة عن أريوس وأثناسيوس ومجمع نيقية :

1. A. Harnack. History of Dogma. Volume IV. p. 6 - 71.
2. A. Harnack. Précis de l'histoire. 176 - 194.
3. M. F. Haag. Histoire des dogmes Chrétiens. 1re partie p. 148 - 182.
4. F. Bonifas. Histoire des Dogmes de L'Eglise Chrétienne. Tome 2. 36 - 65.
5. H. M. Gwatkin. Studies of Arianism. London 1900.
6. M. Richard. Saint Athanase et La Psychologie du Christ Selon Les Ariens. Mel, SCRE L4 (1947) p. 5 - 54.
7. G. Voisin. La doctrine Christologie de St. Athanase. Rev. Hist. E. 1 (1900) 226 - 248.
8. P. Glatier. St. Athanase et L'ame Humaine du Christ. Greg. 36 (1955) 553 - 589.
9. J. M. Leroux. Athanase d'Alexandrie. Eglise d'Hieret d'aujourd'hui. Les éditions ouvrières.

كتب القديس أثناسيوس :

1. Apologie Contre Leariens.
2. La Circulaire aux eveques.
3. Les Quatre discours contre Le Ariens.
4. Apologie l'Empereur Constance.
5. Apologie du Christianisme contre Le Paiens.
6. L'incarnation du verbe.
7. La vie de St. Antoine.
8. Apologie Sur Sa Fuite.

مجمع نيقية (انظر)

1. Bardy. G. Origines de L'Arianisme, Fliche et Martin 3,80 - 90.
2. Theodoret. Hist. 1. 7, 8 (نكر سابقا)
3. Baynes. N. H. Journal of Roman Studies 1928, p. 279 f.
4. Eusebe vit. cont. 3. 7, 10, 9.
5. Rufin Hist. eccl., 10, 3.
6. Philostorge, Hist. eccl. 1,8.
7. Sozomene, Hist. Eccl. 1, 17.
8. Basile, Epist. 81.

(٩) علم اللاهوت النظامي . دار الثقافة المسيحية ص . ب ٤٣
القاهرة من صفحة ١٦٦ - ١٧٦ ، ٢٩٩ - ٣٠٩ .

(١٠) الدكتور أسدرستم مؤرخ الكرسي الانطاكي : كنيسة مدينة الله
انطاكية العظمى . الجزء الأول من صفحة ١٩٩ - ٢٠٥ .
بعض مراجع عن ايولوناريوس واثناسيوس ..

1. G. Voisin. L'apollinarisme, Louvain - Paris 1901.
2. C. A. Raven Apollinarism. An Essay on the Christology of the Early Church, Cambridge 1923.
3. A. Grillmeier.
4. A. Gaudel. La Theologie du Logos Chez Saint Athanase. Rev SRQ (1929) 524 - 539.
5. El Weigl. Christologie. v. Tome d'Ath. 9 - 13.
6. Apollinaire, Ep. Ad Dionys. A1, éd., Lietzmann 256 - 257, 49.
7. H. de Riedmatien. Apollinarist Christology 240 - 248
F. Bonifas. Tome 2, 91 - 94.
8. Jean Danielou Et Henri Marron. Nouvelle Histoire de l'Eglise Ed. Seuil 380 - 386.

9. Epiphane. Adv. Haer, 77, 20
10. J. Liebaert. Hist. des Dogmes 143 164.

(١١) شرح أصول الايمان : تأليف الدكتور القس ابراهيم سعيد والدكتور
القس اندراوس واطسون . دار الثقافة المسيحية ص . ب ٣
النجاة القاهرة . مصر ص ١٥٣ .

